تاريخ الأدب العربي

تأليف

الدكتور عمر فروخ

الجزء الخامس

الأدب في المغرب والأندلس

عصر المرابطين والموحدين

دار العلم للملايين


تاريخ الأدب العربي



تاريخ الأدب العربي

الجزء الخامس

الأدب في المغرب والأندلس
عصر المرابطين والموحدين

تأليف

عمر فروخ

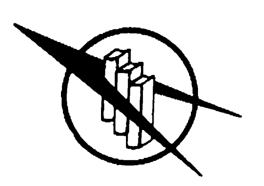
عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو المجمع العلمي العراقي في بغداد
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي



دار العلم للملايين

ص. ب: ١٠٨٥ - بيروت
تلكس: ٢٣١٦٦ - لبنان

دار العلم للملايين
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر
شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو
ص.ب ١٠٨٥ - تلفون ٣٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩
برقياً : ملايين - تلكس ٢٣١٦٦ ملايين
بيروت - لبنان



الطبعة الأولى ١٩٨٢

الطبعة الرابعة

نيسان / أبريل ٢٠٠٦

الكلمة الأولى

هــــذا هو الجزءُ الخامس «من تاريــــخ الأدب العربي»، وهو يُؤرّخُ للأدب العربي في المَغْرب (من قارّة إفريقِيَةَ) وفي الأندَلُس وصِقِلِّيَةَ (من قارّة أوربّة). وقد رأى القارىء الكريم أنني في هذه السلسلة قد أرّخْتُ للأدب في المشرق ثمّ للمَغْرب، لا لأنّ الأدبَ المشرقيَّ منفصلٌ من الأدب المَغْربي، بل لأنّ هذا الفَصْلَ جعلَ مُعالجةَ الموضوع أيْسَرَ عليّ.

وهذا الجزءُ الخامس يبدأُ نحوَ سَنَةِ ٤٩٠ للهجرة (١٠٩٦ م) - قبل قيامِ البابوية بالحروبِ الصليبيةِ على المُسلمين والإسلامِ في الشَّرْق - ثمّ يَنْتهي نحوَ سَنَةِ ٦٣٩ للهجرة (١٢٤٠ م). وهذه المدّة عينُها تكادُ تنطَبِقُ انطباقاً تامًّا على المدّة التي حَكَمَ المرابطون والمُوَحِّدون في أثنائها في الأندلس.

إنّ كُلَّ تقسيمٍ للأحقابِ السياسيةِ خاصّةً (والاجتماعيةِ عامّةً) تقسيمٌ عُرْفِيٌّ، ولكنْ لا بُدَّ من ذلك، مِنَ الناحيةِ العمليّة. ثمّ يظَلُّ في هذا التقسيمِ ثَغَراتٌ لا حيلةَ للمؤلِّفِ في سدِّها. ويزيدُ في هذه الثَّغَراتِ في وقْتِنا هذا - وقتِ تَنْضِيدِ الحُروفِ بالحسّاب (بتشديد السين) - فإنّ «صفّ الأحرُفِ» سريعٌ جِدًّا، فيُضْطَرُّ المؤلّفُ إلى تصحيح مِئاتِ الصَّفَحات في الأزمنة القصيرة. ثمّ إذا وقع خطأٌ في الترتيب (من المؤلّف) أو في التنضيد (من العُمّال) فإنّ إصلاحَه أكثرُ صُعوبة مِمّا كان في عَهْدِ «الصف» بالحروف المُنفردة، وخصوصاً في الكُتُب الكبيرة المَبْنيّة على نظامٍ جامعٍ في التأليف.

وقد وَقَعَ في هذا الجزء أيضاً أشياءُ من الاضطراب أصلَحْنا أوجُهاً منه ثم بَقِيَ أوجُهٌ يسيرةٌ جِدًّا لا تكاد تعترض سبيلَ القارىء إلاّ قليلاً. وكان من أُمْنِيَتي أنْ يتناولَ الإصلاح هذه أيضاً، ولكنّ الكمالَ في الأعمال الإنسانية مستحيلٌ.

وقد بَقِيَ من هذهِ السلسلة جُزْءٌ واحدٌ يبدأ بقيامِ بني نصرٍ أو بني الأحمر (في الأندلس) ثمّ ينتهي بمَجيء الأتراك العثمانيّين إلى المغرب (نحو سَنَــــــةِ

٩٣٠ هـ = ١٥٢٣ م)، وربُما امتدَّ ذلك الجزءُ السادسُ بِضعةَ عَشَرَ عاماً بحَسْبِ تراجمِ نَفَرٍ من الذين تَرْجَمْتُ لهم. وذلك بعدَ جيلٍ مِنَ الدهر (نحوَ ثلاثة وثلاثينَ عاماً) مِنْ سُقوطِ دولة بني نصرٍ (٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م)، وخُروجِ العَرَبِ من الأندلس - في العام الذي حَمَلَتِ الريحُ فيه كولومبوسَ إلى العالمِ الجديد (قارّة أميركا) وهُوَ يظنّ أنّه وصَلَ إلى الهند.

هذا الجزءُ السادس موجودٌ شِبْهَ تامٍّ. وحينما يَصِلُ هذا الجزءُ الخامسُ إلى يدِ القارىء أكونُ أنا قد دَفَعْتُ ذلك الجزءَ السادسَ إلى المطبعة أو على وَشْك أنْ أدفَعَه إلى المطبعة، مرّةً واحدةً أو أقساماً مُتلاحِقَةً.

والحمدُ للهِ في كلّ أمرٍ وفي كلّ حينٍ على ما أقْدَرَ عليه، وهُوَ المُستعانُ في كلّ عملٍ؛ وليس للإنسانِ إلاّ السَّعْيُ. وما الوصولُ على العاملين المُخلصين إلى تحقيقِ أشياءَ من آمالِهم - بعدَ عَوْنِ اللهِ - بعزيز.

في الثالث والعِشرين من شوّالٍ ١٤٠١، ع. ف.
٢٣/ ٨/ ١٩٨١

تاريخ الأدب العربي
الجزء الخامس

مقدّمة

يَحْرِص المؤلّفُ عادةً على أن يكونَ كلُّ كتابٍ له تامًّا في موضوعه. إنّ هذا السَّعْيَ إلى الكمال ممدوحٌ، ولكنّ الوصولَ إلى الكمال مُستحيل.

إنّ أوّلَ ما يصطدمُ به مؤرّخُ الأدبِ كَثْرةُ الأدباءِ والشعراء. وسأكتفي هنا بالقولِ المشهور لابن قُتَيْبَةَ: لو عَدَدتُ كلَّ مَنْ قال شِعْراً شاعراً لَعَدَدتُ جميعَ العرب. فلا بُدَّ، إذَنْ، من التخيُّرِ ومن الاجتهاد في ذلك التخيُّرِ عند انتقاءِ الأدباء والشعراء والمؤرّخينَ للأدبِ والنُّحاةِ والنُّقّادِ مِمّنْ يَجِبُ ضَمُّهم - أو يحسُنُ ضمُّهم - إلى كتابٍ عامٍّ في تاريخ الأدب العربيّ.

ثمّ تبدو مصاعبُ أُخرى. هنالك أشخاصٌ مُكْثِرونَ من النَّثر والشِّعر، ولكنّ نِتاجَهم نازلٌ عن مَرْتَبَةِ الجَوْدة. إنّ هؤلاء، بلا رَيْبٍ، من صورةِ الجانبِ الأدبيِّ في حياةِ الأُمَم. ولكنْ بما أنّ المؤلّفَ في تاريخِ الأدب مُضْطَرٌّ إلى التخيُّرِ من أصحابِ النِتاجِ الجيّد، فَمِنَ الأَوْلى أنْ يُهْمِلَ هؤلاء الأدباءَ العاديّينَ الذين لا نَجِدُ في نِتاجِهم جانباً جديداً أو جانباً مُفيداً وأنْ يُتْرَكَ مكانُهم لأُولئك المُقِلّين من ذوي الإنتاج الجيّد، ما أمكنَ ذلك.

وهنالك أُدباءُ وشعراءُ لهم نِتاجٌ جيّدٌ، ولكنّنا نجهَلُ تواريخَ وَفَياتِهم، ورُبّما جَهِلنا عَصْرَهم أيضاً، فلا حيلةَ لمُؤلِّفِ كتابٍ في تاريخِ الأدب قائمٍ على الحَوْليّاتِ (توالي السنين) في هؤلاء. أمّا إذا كان مؤلّفٌ يَضَعُ قاموساً في الأدب (على أحرُفِ الهِجاء)، فإنّ بإمكانِه أن يضُمَّ إلى قاموسِه هذا أشخاصاً نجهَلُ أعمارَهم أو أعصارَهم.

ونَجِدُ أيضاً جماعةً مشهورين نَعْرِفُ تاريخَ وَفَياتِهم، ولكنْ ليس لَدَيْنا نُصوصٌ مِنْ نِتاجِهم. إنّنا لا نستطيعُ أن نَسْلُكَ هؤلاء في سِلْسِلَةِ بُحوثنا إذا لم يكُنْ لَدَيْنا نصٌّ من نِتاجهم يقومُ دليلاً أوْ شِبْهَ دليلٍ على مكانتهم.

ثمّ يأتي هؤلاء الذين هم شُعَراءُ (أو أدباءُ) بالعَرَض كالنُّحاة والفلاسفة والعُلَماء

والفُقهاء، فما نفعل بهم؟ لقد ضَمَمْتُ أنا نفراً من هؤلاء إلى هذه السلسلةِ كآبنِ باجّه وآبنِ طُفيلٍ (مخترع القصّة العِلْمية) وآبنِ رُشْدٍ (الحفيد: الفيلسوف) ثمّ الشاطِبيّ صاحبِ «حِرْزِ الأماني» (وَهِيَ أُرجوزةٌ في القِراءاتِ: قِراءاتِ القُرآنِ الكريم) وآبنِ مالكٍ النَّحْوِيّ.

من مشاكل التحقيق:

يقول آبنُ خَلْدونٍ[1]: إنّ من «مغالطِ»[2] المؤرّخين «الثقةَ بالناقلين». ولقد قَصَدَ آبنُ خَلدونٍ، بلا ريبٍ، أولئك المؤرّخين الذين لا ينظُرون في مصادرِ أخبارِهم أو يتشيّعون لآراء ومذاهبَ فيُجانبون الحقَّ ويحيدون عنِ الصواب فيما رَوَوْا.

ونحن اليومَ حينما نأتي إلى تاريخ الأدب نَقِفُ من المعاصرينَ لنا ومن الذين سبقونا كثيراً أو قليلاً كما وَقَفَ آبنُ خَلْدونٍ من المؤرّخين الذين سبقوه. ومعَ أن عدداً كبيراً من المصادرِ والمراجعِ التي نعتمدُها اليومَ قد ظهرتْ وعلى صَفَحاتها الأولى «أنّها مُحقَّقَةٌ» أو مُحرّرة[3] أو أنّها بأعتناء فلانٍ وفلانٍ، فإنّا نَجدُ فيها مغامزَ[4] مختلفةً. ففي كتابِ «زادِ المُسافر» (بيروت ١٩٧٠ م) لا تَجِدُ في «فهرست الأعلام» رقماً منطبقاً على صفحات ذلك الكتاب. إنّ «المخزوميَّ الأعمى الشريفَ» مذكورٌ في الفهرست على أنّ آسْمَهُ يَرِدُ على الصَفْحتَينِ ٧٥ و٨٣، بينما هذا الاسم يَرِدُ على الصفحتين ١١٧ و١٢٥. وكذلك شأنُ جَميع الأسماء في ذلك الفهرس.

ويبدو أنّ الناشرَ الجديدَ (للطبعة الثانية) قد أرادَ أنْ يُحْدِثَ تبديلاً في شكلِ طبعتهِ الثانية فضمّ أرقامَ صَفَحاتِ المُقدّمةِ التي كان «مُخْرِجُ الكتاب» قد أعدَّها للطبعةِ الأولى إلى صَفَحات مَتْنِ الكتاب في نَسَقٍ واحدٍ، وغابَ عنه أن فهارسَ

---

(١) المقدّمة (المطبعة الأدبية، بيروت ١٩٠٠ م)، ص ٩ (دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦١ م)، ص ١٢.
(٢) المَغلطة (بالفتح): الكلام يُغلط (سهواً) أو يُغالط به (قصداً).
(٣) التحقيق هنا: ضبط النصّ في المخطوط الذي طبع منه الكتاب المحقّق. والتحرير ضبط الألفاظ من حيث الصحّة.
(٤) المغمز: العيب (المطعن: أمر خطأه ظاهر).

الكتاب (للأعلام الأشخاص - للمدن والأماكن - للقوافي) قد وُضِعَتْ للدّلالةِ على صَفَحات الطبعة الأولى.

- وفي كتاب «النبوغ المغربي» للأستاذ عبدِ الله كنّون ثروةٌ من التراجم المَغْربية والأخبار والمُختارات نظماً ونثراً في مُعظم فنونِ الأدب. ولكن ترقيمَ الصَفَحاتِ مضطربٌ: يبدأ الجزء الأوّل بالصفحة «واحدة» وينتهي بالصفحةِ ٣٣٨. ثمّ يبدأ الجزء الثاني بالرقم «واحدٍ» إلى «تسعةٍ» ثمّ من ٣٤١ إلى ٩٩٣ (فيكون هنالك أرقامٌ يَدلّ كلّ رقمٍ منها على صَفْحتين). هذا خطأ الناشرِ والطابع، وليسَ خطأً من المؤلّف. ومعَ أن عددَ الصَّفَحات المكرورة كان قليلاً (نحوَ مِائَةِ صفحةٍ) فإنّه لا يساعد على الوضوح عند إحالة القارىء إلى صفحةٍ من تلك الصفحات المكرورة.

وهنالك مشاكلُ سأمرّ بها سريعاً: سَنَواتُ وَفَياتٍ مُتباعدةٍ (وهو كثير) - مصادرُ تخلُط بين ترجمتَيْ شَخْصين أو أكثر - إحالة القارىء على مصدرٍ ثمّ تَجِدُ الصفحةَ المُحال عليها تسرُدُ ترجمةَ شخصٍ غير المقصود - آضطرابٌ في الفهارس الهجائية: أسماء في متن الكتابِ لا تظهَرُ في الفهرس وأسماء في الفهرس لا تَجِدُها في الصَّفَحات المذكورة - أسماء يَرِدُ كلُّ اسمٍ منها (في الفهرس) في مكانَيْنِ مُختلفين بصِيغتين مختلفتين - أسماء جُمِعَ آثنانِ منها أو أكثرُ في واحدةٍ - ترتيبٌ مُخالفٌ للمألوف: الأصمعي، الأفلاطونية، آكل المرار (حقّ الألف الممدودة، وهي في الحقيقة أَلِفانِ، أنْ تأتيَ قبلَ ذلك: قبل تِسْعِ صَفَحاتٍ في الفهرس الذي أعنيه)، الأغاني (فقد جعل مرتّب الفهرس الغين بعد الفاء)، آل البيت (الألف الممدودة أيضاً جاءت متأخرة تسع صفحات وفُصِلَ بينَها وبينَ أُختها باسمٍ آخرَ هو «الأغاني»)... العزيز بالله، الأيوبي، الهلاليون، ألوف، اليوسفي، اليونان، أمرؤ القيس، أمغار، أنخل، مُحسن الأمين، محمّد (ص)، محمّد الفضل، محمّد البرنسي (تأخّرت الباء عن الفاء)، محمد الفاسي، محمّد بن ابراهيم (تأخّرت الألف عن الفاء)،..... محمد بن المنصور، محمّد بن تاويت (تأخّرت التاء عن الميم).

وفي كتاب آخر (في حرف الميم من الفهرس): أبو مدين، المسيلي، المحاسي، الموارقة، معروف، مالك، المتنبّي، ابن مقدام، مضر، المؤمناني، المالقي، الخ.

إنّ مِثْلَ هذا يحدُثُ في الكتب الضخمة.

ولكنّ هنالك فارقاً بينَ أمرينِ: بينَ أمرٍ يَغيبُ أحياناً عن المؤلّف (أوِ المُحقّق) أو لا يَسْترعي انتباهَه عند التصحيح (مَعَ أنّ التصحيحَ أحياناً يقومُ به أكثرُ من واحدٍ أكثرَ من مرّةٍ) وأمرٍ يُهْمِله المؤلّفُ أوِ المحقّق حينما يعهَدُ به إلى نفرٍ أقلَّ منه دِرايةً.

أمّا أخطاءُ الأمرِ الأوّلِ (الأخطاءُ العارضة) فيُمكِنُ استدراكُها حينما يُعيدُ المؤلّفُ الطبعَ. لمّا صَدَرَ الجزءُ الثالث من هذه السلسلةِ (تِسعمِائَةِ صفحةٍ من المَتْن ثم من الحواشي بالحرفِ الدقيق - ما عدا المُقدّمات والفهارس - والمتن مشكولٌ شكلاً كاملاً في الأكثر) كان فيه مائةُ غلطةٍ أوْ أكثرُ. وقد صُحِّحتْ هذه في الطبعة التالية (ولعلّه لا يزال في ذلك الجزءِ شيءٌ من الأخطاء). وفي كلّ طبعةٍ يُحاوِلُ المؤلّفُ تصحيح غلطةٍ هنا وغلطةٍ هناك.

ولكنّ هنالك أمراً آخرَ: هنالك نفرٌ من المؤلّفين أو المحقّقين للمصادرِ يعتمدون مُساعدينَ من طُلاّبهم أو أصدقائهم أو زُملائهم أو يتّخذون مُستأجَرِينَ لذلك يقومون بعددٍ من الأعمال في الكتاب المحقّق (صُنْعِ الفهارس مثلاً). وهذا الاعتماد ظاهرٌ جدًّا. لا يُمْكِنُ لمحقّقِ كتابٍ (على هذا المستوى) أن يَشْكُلَ بيتاً من الشعر مثلَ هذا الشكل: فهل لهم سائل عنهم فيخبرُهم (ويضع ضمّة على الراء مكان الفتحة). وكذلك لا يمكن أن يغفُلَ محقّقٌ عن أنّ بيتَ الشعر:

هو البحر غص فيه إذا كان ساكنا ... على الدرّ واحذره إذا كان مزبدا

للمتنبيّ وليس لأبي الصلت أميّة بن عبد العزيز.

ويَرِدُ بيتانِ من الشعر مرّتينِ في كتابينِ لِمُحقّقٍ واحدٍ. يَرِدانِ مرّةً على الصورة التالية (٢ : ٥٩٣):

- قـــل لابن شلبون مقال تنزّه ... غـيري يجاريـك الهجـاء فَجـارِ
(إنّا اقتسمنا خطّتينا بيننا ... فحملـت برّة واحتملـت فَجـارِ)

ويلي البيتانِ (هنا) هذه الجُملةُ (في النصِّ نفسِه):

- وهذا (البيتُ الثاني) مُضمَّن من شعر النابغة الذبياني.

وكذلك يَرِدُ هذانِ البيتانِ مرّةً ثانية (٥: ٢٧٤) على هذه الصورة الأخرى:

- قـــل لابن شلبون مقـــال تنزّه غـــيري يجاريـــك الهجـــاء فجار

انّا اقتسمنا خطّتينا بيننا فحملت برّة واحتملت فجاري

الملاحظة على الرواية الثانية:

- انّ المحقّق لم يُشِرْ هنا إلى أنّ البيت « إنّا اقتسمنا... » مأخوذٌ من النابغة. وهو يعرف ذلك بلا شكٍّ. ثمّ إنّ الرواية الثانية قد أفسدتِ الجِناسَ التامَّ في « فَجارِ (في البيت الأوّل: الفاء للعطف؛ جار: فعل أمر من جارى)، ثمّ في فجارِ (اسم للفجور: الانغماس في المعاصي، معدول عن الفاجرة ومبني على الكسر بلا تنوين).

وليس من المعقول أن تكونَ الروايتانِ مَضبوطتينِ ومُحرّرتين بقلمِ مُحقّقٍ واحدٍ. ولا ريبَ في أنّ الذي ضَبَطَ الرواية الثانية أقلُّ معرفةً بالنَّحْو وبتاريخ الأدب من الذي ضَبَطَ الروايةَ الأولى.

وكذلك ليس من الممكنِ أن يكونَ محقّقُ الكتاب قد ضَبَطَ الظاء بالكسر في البيت التالي: عاشت بـاحتك الظِّبا... (يقصد الظباء جمع ظبي: الغزال)، بينما المقصود الظُّبا (بضمّ الظاء جمع ظُبَة - بضمّ ففتح بلا تشديد - : حدّ السيف).

لعلّ نفراً من هؤلاء الذين يساعدون المحقّقَ ليسوا جهّالاً ولكنّهم يَقْصِدون أن يُوقِعوا المحقّقَ في مثلِ هذه المآخذ. هنالك كتابٌ كبيرٌ قيّمٌ فيه كثيرٌ من هذه الأمور، فرجائي إلى مُحقّقه - وهو زميلٌ وصديق أُجلّه وأعرِفُ مقدارَ علمه. ولقدِ اعتمدتُ كتابَه آعتماداً كثيراً ونوّهتُ بعمله في مواضعَ من الأجزاء الأندلسية في هذه السلسلة - رجائي أن يُمِرَّ هو بقلمِه على أجزاء ذلك الكتابِ وأن يُعيد هو بنفسهِ وَضْعَ « فهرسِ الأعلام » من جديدٍ.

ويلحقُ بهذه المشاكلِ شيءٌ آسمُه « التحقيق »:

تناولتُ كتاباً على صفحته الأولى « نشرٌ وتحقيق: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تأليف خالد بن عيسى البلويّ الأندلسي، ثمّ (بحرف أصغر): مقدّمة للكتاب « بقلم الحسن السائح ».

إنّ الحسنَ السائحَ قد حقّق «رِحْلة البَلَويّ» (ص: هـ)، ثمّ آختارَ أنْ ينشُرَ المقدّمةَ التي صَنَعَها للرِحلة المُحَقّقة نشْراً مستقلًّا (ولا أعلَمُ فائدةَ ذلك)، غيرَ أنَّ هذه المقدّمة (المطبوعةَ وحدَها مستقلّةً في الكتاب الذي تناولتُه) - في الحقيقة - محاولةٌ لجمع ما تفرّق في عَدَدٍ من الكتب مِمّا يتعلّق بالبَلَوي. وبعض ما جَمَعَه الحسنُ السائحُ من الكتب قليلُ الصِلةِ بتحقيق «رحلة البَلَويّ».

ومنذ مطلعِ هذه المقدّمة يبدأ صاحبُها بآستطرادٍ، هو: «آشْتَهَرَ المغاربةُ والأندلسيّون بتأليف الرِحلات.....» (ص ١). ثمّ يتكلّم على المنهاج الذي آتّبعه في التحقيق وعلى أصول (يقصد: مخطوطات) الرِحلة كلاماً في صُلْب الموضوع. فإذا جاء إلى حياة البلويّ بدأ بعنوانٍ هو «قبيلة البلويّين» فيتكلّمُ على نَفَرٍ من المعروفين بالآنتساب إلى هذه القبيلة (ص ٣ - ٤). غير أنّه لا يذكُرُ آسْمَ القبيلة (وآسمها: بَلِيٌّ مثلَ عليّ، راجع القاموس ٤: ٣٠٥). ولكنّه يُلْحِقُ بكلمةِ «بلوي» حاشيةً يقولُ فيها: «البَلَويّ مفرد بلى (كذا) كعلي. والبليّة الناقة يموت صاحبُها فتُشَدُّ إلى قبرِه حتّى تموتَ» (ص ٣).

وبعدَ كلامٍ على حياةِ البلويّ ينتقلُ الحسنُ السائحُ إلى «فنّ الرِحلات ودواعيه: الرحلات العربية الإسلامية في المشرق والمغرب» (ص ٦١ - ٧١). ثمّ ينتقل إلى الكلام على الجغرافية في رحلة البلوي، فيتكلّم على الجغرافية عند العرب (ص ٧٣ - ٨٦) وعلى أدب الرحلات والأسلوبِ الأدبي في رحلة البلويّ (ص ٨٨ - ٩١)، ولكنّ لا نرى في هذا الفصل الطويل «الأسلوبِ الأدبيّ في رحلة البلويّ» (ثلاثَ صَفَحاتٍ كاملةً) شيئاً يتعلّق بالبَلَوي من قُرْبٍ أو من بُعْد.

- إنّ هذه المقدّمةَ، في الحقيقة، مُتّكأٌ لتعليقٍ حُرٍّ يدورُ حول البَلَويّ.

- لا اعتراض لي الآنَ على الحَسَنِ السائح: إنّ ما فَعَلَهُ في رِحلة البلوي يَفْعَلُه كثيرون من أولئك الذين يَظنّون أنّ كلَّ مَنْ تناولَ كتاباً لهم يجهل كُلَّ شيءٍ من التاريخ ومن الأدب ومن العلم فيُحاولون أن يَحْشُروا كُلَّ ما يَعْرِفونَه في كلِّ مُناسبةٍ.

- ليس معنى ما تَقَدّمَ أنّ هذه «المقدّمة» التي صَنَعَها الحسنُ السائحُ للتحقيقِ الذي قام به لرِحلة البَلَويّ لا جُهْدَ فيها أو لا فائدةَ منها. إنّني أحْبَبْتُ بهذا العَرْضِ

الذي طال فوق ما يَجِبُ أنْ أكْشِفَ عن عددٍ من المصاعب التي يلاقيها مؤلّفو الكُتُب الواسعة حينما يُريدونَ أن يُقدّموا للقارىء أكْثَرَ ما يمكن مِنَ المعارف في أقلّ ما يمكن من اللفظ وعلى أوضحِ ما يكونُ من العَرْض.

- ولقد أحسَنَ العلاّمةُ الحسنُ بنُ محمّدٍ السائح صُنْعاً فنَشَرَ « تاج المفرق » لخالدِ بن عيسى البَلَوِيّ (بإشراف اللّجنة المُشتركة لنشر التُّراث الإسلامي بينَ المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتّحدة. - مطبعة فضالة في المحمّدية، بالمغرب - بلا تاريخ للطبع).

ومن مشاكل الفهارس ما يلي:

أنّ نفراً من المؤلّفين ومن المُحقّقين للكُتُبِ لا يَضَعون الفهارس بأنفسِهم، بل يعهَدون بوضعها إلى آخرين. وهؤلاء الآخرون (وخصوصاً إذا كانوا أكثر من واحد) يتّبعون مَنْهجاً شَكليًّا في وضع الفهارس الهِجائية لأعلام الأشخاص: يُثبتون رقمَ كلِّ صفحةٍ يَردَ فيها الآسْمُ المقصودُ وُروداً ظاهراً، من غير نظَرٍ في قيمة وُرودِه في كلّ صفحةٍ. فلْآخُذْ مَثَلاً واحداً لم أتَخيَّرْهُ، بل وَقَعَ نظري عليه آتفاقاً:

في « فهرست الأعلام » (ص ٨): أثيرُ الدين أبو حيّانَ النحويُّ الغَرْناطيّ (٢) ٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨ - ٢٣٠، ٢٤٢ الخ.

وبالرجوع إلى الصَّفَحات المذكورة نجدُ أنّ الكلامَ على أثير الدين قد وَرَدَ عَرَضاً في الصفحات ٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ثم وَرَدَ مُتّصِلاً على الصفحتين ٢٣٠ و ٢٣١. فالترقيم، إذَنْ، يجب أن يكون ٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠ - ٢٣١، الخ. إن الذي صنع هذا الفهرسَ جعل الآستمرارَ في الكلام على أثير الدين في الصَّفَحات ٢٢٨ إلى ٢٣٠، مَعَ أن الكلام المتّصل على أثير الدين جاء على الصفحتين ٢٣٠ و ٢٣١ (وقد أهمل صانعُ الفهرس الصفحة ٢٣١، لأن آسْمَ أثير الدين أبي حيّانَ لم يَرِدْ فيها صَراحةً، مَعَ أنّ النصّ في تلك الصفحة متعلّق بأبي حيّان).

ومن المشاكل أيضاً الوصولُ إلى بحوث وتراجمَ مفصّلةٍ ودقيقةٍ في المجلّاتِ:

لا شكّ في أنّ قارىء هذه السلسلةِ قد رأى منذ مطلَعِ الجزء الأولِ أن كلَّ ترجمةٍ

مقسومةٌ أربعةَ أقسام : ١ - الترجمةَ الشخصية، ٢ - خصائص صاحب الترجمة، ٣ - مختارات من آثار (صاحب الترجمة) ٤ - ** المصادر والمراجع.

ويرى القارئُ أيضاً أني أوردُ في هذا القسم الرابع تلك الكتب التي أُلّفت في صاحب الترجمة المقصودِ ثم ما وَرَدَ عنه في عددٍ من المصادر العامّة. وأنا لا أستطيع، معَ الأسف، أنْ أستَنفِدَ كلَّ ما قيل عنه في كلّ مصدرٍ عامٍّ أو مرجعٍ عامّ. وممّا يَزيدُ في أسفي أنّي لا أستطيع أنْ أستَشْهدَ بمقالاتٍ واسعةٍ دقيقةٍ جليلةٍ تصدُرُ في المجلاّت (ابتداءً بمجلّةِ المجمعِ العِلمي العربي بدِمَشْقَ مَثلاً، مُروراً بمجلّةِ «العربيّ» في الكويت وانتهاءً بعددٍ من المجلاّت المُتَخَصِّصة التي تكثُرُ اليومَ، كمجلّة معهدِ المخطوطات العربية التي تُصْدِرُها جامعةُ الدول العربية والتي تَتَضَمَّنُ أعدادُها أحياناً كُتُباً برُمَّتِها حتّى ليَتألّفُ من كلّ عددٍ من أعدادِ هذه المجلّة كتابٌ كامل).

غيرَ أنّ وصولَ المؤلّفِ إلى بُحوثِ هذه المجلاّتِ طويلُ الطريقِ وشاقٌّ أيضاً. أمّا وصولُ القارىء إليها فيُمْكِنُ أن يكونَ من باب المستحيل.

وهذا الذي يَنْطَبِقُ على المجلاّتِ العربية ينطبقُ أيضاً على المجلاّت في اللُّغاتِ الأخرى، وخصوصاً تلك المجلاّتِ التي تنشُرُ مقالاتِها وبحوثَها بلغاتٍ مُختلفة.

ولكن ما الطريقُ إلى استخدامِ هذه المجلاّتِ (بعدَ أنْ يكونَ القارئُ العالِمُ أوِ القارئُ المؤلّفُ قدِ اطّلَعَ على ما نُشِرَ فيها)؟

لقد حاولَ نَفَرٌ من القائمين على عددٍ من هذه المجلاّت أنْ يُوجِدوا حَلاًّ لهذه المُشكلةِ فحَرَصوا - في أحيانٍ مُعيَّنَةٍ - على أن يجعَلوا بُحوثَ جُزْءٍ من أجزاء مَجلّتِهم في شهرٍ ما (أو فصلٍ ما) تُعالجُ موضوعاً واحداً (فيكاد ذلك الجُزء يكونُ كتاباً مُستقلاًّ). غيرَ أنّ هذا الحَلَّ ظلَّ حلاًّ جُزئيًّا قاصراً. وكذلك حَرَصت مجلاتٌ عِدّةٌ على إصدار فهارس عامة (مرةً في كُلّ عَشْرِ سنواتٍ مثلاً). ولكنّ هذه الفهارس أيضاً حلّ جزئي.

هنالك، إذَنْ، ثَروَاتٌ أدبيةٌ وعلميةٌ وتاريخيةٌ مُفرّقةٌ في أعدادِ المجلاّت الخاصّةِ والعامّةِ لا سبيلَ سَهْلاً إلى الوُصولِ إليها. ولكنْ لا أُريدُ من قارئِ هذهِ الكلمةِ أنْ يذهَبَ به الظنُّ إلى أنّي أقْصِدُ أن تَقِفَ هذهِ المجلاّتُ عن الصُّدور، ولكنّي أقْصِدُ أنّ

الفائدةَ العَمَلية من أجزاء هذه المجلاّتِ - بعدَ زَمَنٍ طويلٍ أو قصيرٍ من صُدورِها - تُصْبحُ فائدةً ضَئيلةً في أكثر الأحيان.

ومُعْظَمُ المصادرِ والمراجعِ مَمّا رَجَعتُ إليه في هذا الجزء الخامسِ كنتُ قد رَجَعتُ إليه في الجزء الرابع. وفي الجزء الرابع ثَبَتٌ به. أما ما رَجَعت إليه في هذا الجزء مَمّا لم أكُنْ قد رَجَعت إليه من قبلُ فَيَرِدُ فيما يلي:

- اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى لآبن سعيدٍ أبي الحسن عليّ بن موسى: آختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل (تحقيق إبراهيم الابياري)، القاهرة (الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية) ١٩٥٩ م.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصري السلاوي، القاهرة (المطبعة المصرية) ١٣١٢ هـ.
- الأصالة (مجلّة تصدرها إدارة الشؤون الدينية في الجزائر).
- أعلام الجزائر.
- البحث العلمي (مجلّة يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي: جامعة محمّد الخامس - الرباط).
- البلغة في أئمّة اللغة
- تاريخ الجزائر العامّ، تأليف عبد الرحمن محمّد الجيلاني، الجزائر (المطبعة العربية) ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م.
- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، تأليف محمّد رضوان الداية، بيروت (دار الأنوار) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م.
- تحفة القادم = المقتضب من تحفة القادم.
- التشوّف إلى رجال التصوّف، تأليف يوسف بن يحيى التادلي (ابن الزيات) - (اعتنى بتصحيحه أدولف فور)، الرباط (معهد الأبحاث العليا المغربية) ١٩٥٨ م.
- جذوة الاقتباس.
- الخريدة: خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب الأصفهاني:

قسم شعراء الشام (عني بتحقيقه شكري فيصل): مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.

قسم شعراء مصر (نشره أحمد أمين، شوقي ضيف، احسان عباس)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٢ م.

قسم شعراء المغرب (تحقيق محمّد المرزوقي، محمّد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاجّ يحيى)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٦ م وما بعد (ثلاثة أجزاء).

الداية = تاريخ النقد الأدبي في الأندلس.
رحلة التجاني لأبي محمّد عبد الله بن محمّد بن أحمد التجاني (قدّم لها حسن حسني عبد الوهاب)، تونس (المطبعة الرسمية) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م.
زاد المسافر لأبي بحر صفوان ابن ادريس التجيبي المرسي، بيروت (دار الرائد العربي) ١٩٧٠ م.
طبقات السبكي: طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٢٤ هـ.
الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة لابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى، (بتحقيق ابراهيم الابياري)، الطبعة الثانية، القاهرة (دار المعارف بمصر)، مصر (مطابع دار المعارف) ١٩٦٧ م (تاريخ تقديم الطبعة الثانية).
مجلّة البحث العلمي = البحث العلمي.
القدح المعلّى = اختصار القدح المعلّى.
مجلّة المقتبس لصاحبها محمّد كرد علي، القاهرة ثم دمشق.
المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية أبي الخطاب عمر بن حسن (بتحقيق ابراهيم الابياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٤ م.
المطرب (الخرطوم): المطرب من أشعار هلال المغرب لابن دحية أبي الخطاب عمر بن حسن.
المعجم لابن الابار: المعجم في أصحاب أبي عليّ الصدفي، تأليف محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (بتحرير فرنشيسكو كوديرا أي زايدين)، مجريط (مطبع روخس) ١٨٨٥ م.
معجم أعلام الجزائر.
معجم الصدفي = المعجم لابن الأبار.
معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، جمعه ورتّبه يوسف اليان سركيس (منشورات مكتبة يوسف اليان سركيس)، مصر (مطبعة سركيس) ١٣٤٦ - ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م.
معجم المؤلّفين، تأليف عمر رضا كحالة، دمشق (مطبعة الترقي) ١٩٥٧ - ٩٦١ م.
المقتضب من تحفة القادم لابن الابار أبي عبد الله محمّد بن عبد الله القضاعي الأندلسي (اختيار وتقييد أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم البلفيقي) - (بتحقيق ابراهيم الابياري)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٧ م.
المكتبة العربية الصقليّة: نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم جمعها ميخائيل أماري)، ليبسك (مطبعة بروكهاوس) ١٨٥٧ م؛ نشرت بالتصوير، بغداد (مكتبة المثنّى (بلا تاريخ).

- منهاج الرعيني = برنامج الرعيني.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (تحرير أحمد يوسف نجاتي)، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٦ م.
- النباهي = قضاة الأندلس (راجع الجزء الرابع).
- نويهض.

إنَّ تحريرَ المخطوطات (نشرَ نصوصها مضبوطةً بحسْبِ الأصلِ المأخوذةِ عنه) وتحقيقَها (تحرّي صِحّة كَلِماتها وجُمَلِها وٱخْتِلاف ألفاظها) منهجٌ قام به المستشرقون لَمّا بدأوا طبعَ كتب التُّراث العَرَبيّ (دواوين الشعر القديم وكتبِ التاريخ ومجاميع الأدب وكتب الفِقه وغير ذلك. ذلك هو التاريخ، لِأن المطبعة ظهرَتْ في أوروبّة قبلَ أن تَنْتَقل إلى بلاد العرب والاسلام.

ولكنّ لا بُدّ من كَلِمَةٍ في « تَصحيحِ الكتب » العربية التي صَدَرَتْ في أوّل عهدِ البلاد العربية بالِمطْبعة، مِطْبعة بولاق (من أحياء القاهرة - ولَعلّها المِطبعة التي كان نابليون قد جاء بها). كان يُصَحِّحُ تلك الكتب في المَطْبعة الأميرية (بولاق) أديبٌ آسمُه نَصْرٌ الهورينيّ .

هو أبو الوفاء نَصْرُ بنُ الشيخ نصرِ يونسَ الهورينيُّ المِصري الأزهريّ، كان عارفاً بالفِقه واللُّغة والأدب والتاريخ. وقد أرسلته الحكومةُ المِصرية (الأميرية: في أيام مُحَمد عليّ مؤسِّس الأسرة العَلَويّة) إماماً للبعثة المِصرية التي كان أفرادُها يدرُسون في فَرَنسةَ[1]. ويبدو أنّه قد بَقِيَ في فرنسةَ مُدّةً مَكّنَتْه من أنْ يَتَعلَّمَ اللُّغةَ الفرنسية.

---

(١) كان محمّد عليّ باشا مؤسّس الأسرة العلوية في مصر قد أرسل نفراً من نبهاء الطلاّب لمتابعة الدراسة في أوروبة (فرنسه وانكلترة وفي الروسية؟) في العلوم النظرية وفي الفنون العملية. ولم يكن في الشرق العربي قبل محمّد علي نهضة عصرية في الدولة، ولكنّ احتكاك العرب بأوروبة بعد حملة نابليون على مصر والشام، من ١٧٩٩ إلى ١٨٠١ للميلاد (١٢١٥ - ١٢١٧ هـ) دفعت محمّد عليّ باشا إلى تناول أسباب الحضارة المادّية من الغرب الأوروبّي. ويحسن أن نعلم هنا أنّ البعثات التي أرسلها محمّد علي باشا إلى أوروبّة قد ساعدت على تطوّر الحياة العلمية والحياة الأدبية بين العرب. وقد انتقل أثر هذا التطوّر من مصر إلى سائر البلاد العربية. أمّا ما درج عليه نفر من المتأدّبين من نسبة بوادر النهضة =

ولمّا عاد نَصْرٌ الهورينيُّ من فرنسةَ إلى القاهرة تولى رِئاسةَ التصحيح (تصحيح الكتب المطبوعة) في المَطْبعة الأميرية (مطبعة بولاق). وقد صَحّحَ عدداً كبيراً من الكتب. ولا شكَّ في أنّه كانَ له مُعاونونَ في التصحيح، ولكنّ هذا لا يمنعُ من أن يكون هو المسؤولَ عن الكُتُبِ التي صَحّحها هُوَ وعن الكتب التي قد صحّحها أعوانُه أيضاً. ونحن نَعْرفُ أن الكتبَ التي خَرَجَتْ من المَطْبعة الأميرية في بولاقَ كانتْ مضبوطةً ضبطاً يدعو الى الإعجاب (يزيد في الدِقّة كثيراً على بعض ما يُسمّى اليوم «تحقيقاً»). ومن المُنْتَظَر أن يكونَ أعوانُ الهورينيِّ في تَصحيحِ الكتب بارعينَ مِثْلَه في أمر اللُّغة. غيرَ أنّنا لا يجوزُ أن نَنْسى أن كثيراً من الضَّبْطِ لِنَصِّ الكتب المطبوعة في المَطْبعة الأميرية كان يَرْجِعُ إلى التأنّي الذي آمتازَ به القرنُ الماضي - إذا قُورِنَ ذلك التأنّي بالسُّرعة الطاغيةِ على الناسِ في القرن الحاضر.

وكانتْ وفاةُ نَصْرِ الهورينيِّ سَنَةَ ١٢٩١ للهجرة (١٨٧٤ م)[١]

إنّ نصراً الهورينيَّ يستحقّ دِراسةً تُنْصِفه وتضعُ جُهودَه في ضبْطِ الكُتُبِ التي صحَحَ «ملازمَها» (كما نقولُ في عالم الطِّباعة) في إطارها الصحيح بالكشْف عن أمانةِ هذا الرجل ومَقْدِرته وفي العمل الذي قام به في تصحيح الكتب. وقد كنتُ آقترحتُ على الدكتور إبراهيم مدكور - رئيسِ مجمعِ اللُّغة العربية في القاهرة - أنْ يتولّى أحدُ أعضاء المجمع من الإخوة المِصريّين هذا العملَ (وأهلُ مَكّةَ أدْرى بِشعابها). ولعلّه فاعلٌ - إنّ شاءَ الله.

ونعودُ إلى المستشرقين وتحقيق الكتب.

كانتِ الغايةُ من تحقيقِ الكُتُب العربيّة - لَمّا بدأ المستشرقون يَنْشُرون تلك الكتبَ - إخراجَ كُتُبِ التُّراثِ العربيِّ بالنّصّ الذي جاءَ على أقلامِ مُؤلّفيها. كان من المُنْتَظَر أنْ نرى كُتُباً نُشِرَتْ بالتصوير ثمّ كُتُباً نُشِرَتْ بالحُروفِ مجرّدةً من الشكل

الأدبية إلى نفر من الأدباء والصحافيين في لبنان فيجب أن نصحّحه بأن هذا الذي كان في لبنان جاء بعد التفتّح العربي في مصر بنحو جيل من الدهر أو يزيد. ولهذه القصة حديث طويل سيأتي.

(١) بروكلمن، الملحق ٢: ٧٢٦؛ الأعلام للزركلي ٨: ٣٥١ (٢٩)؛ معجم المطبوعات العربية لسركيس، الصفحات ١٩٠٢ - ١٩٠٤.

(ضبطِ الكلِمات بالحَرَكات) ومن علاماتِ الوقف (إشاراتِ التنقيط) كَيْ يترُكَ مُحقّقُ الكتاب للقارىء حرّيّةَ آختيار « القِراءة » الموافقةِ بحَسْب آجتهاد القارىء.

وكانت الكتبُ الكبيرة (العديدةُ الأجزاءِ) يتولّى نشْرَها في العادة بِضعةُ نفرٍ. فكتابُ الطَبَريّ في التاريخ: « تاريخُ الرُسُل (أوِ الأُمم) والملوك »، مثلاً، أشْرَفَ على تحقيقِه المُستشرقُ ده خويه الهُولنديُّ (فهو مُحَرِّر الكتاب أوِ المُشرفُ على تحقيقه). وقد عاونه في هذا التحقيق نفرٌ من المستشرقين منهم نولدكه الألمانيُّ وغويدي الإيطالي وهوتْسْما الهولنديُّ وغيرُهم.

ومحقّقو « تاريخ الطبريِّ » لم يكتَفوا بإبرازِ النصّ، بلِ آستعرضوا القِراءاتِ المُختلفة في المخطوطات العديدة. ثمّ إنهم تَوَلَّوْا ضبطَ كثيرٍ من الكَلِمات (وخصوصاً في الأشعار) بالحَرَكات. فليس من الحِكمة أن نترُكَ الحُرِيّة المُطلقةَ لكلِّ قارئٍ في آختيار القِراءة التي يُريدها (وإن كانَ الفردُ بعدَ الفردِ من القرّاء العلماء لا يحتاج الى هذا الضبط. وربما كان مثل هذا الضبط لمثلِ هذا الفردِ حَجْراً على عِلمه ودِرايته). غيرَ أنّ مُحَقّقي تاريخِ الطبريّ كانوا يَسْتَحِقّون الشُكْر على تلك التَّبِعة التي حَمَلوها في ضَبْطِ أقسامٍ من نص الكتاب بالحَرَكات.

ولقد أطلتُ الكلامَ - من قبلُ في هذه المُقدِّمةِ - على الأخطاء العارضة في نشر كتب التُراث العربيّ، ولكنْ لا بُدَّ من التَنْبيه على نُقطة أُخرى هنا. لم يَبْقَ هنالك ريبٌ في حملة الآستعمار على المُسلمين في كلّ وجهٍ من وجوه حياتهم حتّى وَصَلوا إلى « الشهادات » يُعطونها لِنَفَرٍ مِنّا ثمّ يُطْلِقون أيدِيَهُمْ في حَضارتنا وثقافتنا ليخربوا حضارة قومنا وثقافة قومنا بأيديهم. ويَتَولّى « تخريجَ » هؤلاء النفرِ مستشرقون نَعْرِفُ كُتُبَهم فلا يستحقّون بها شهادةً عاديّة.

حضرتُ مؤتمراً في أوروبّة (عام ١٩٧٩) فألقى بَعْضُ المستشرقين مقالاً في « العلوم عند العربِ ». لم يكنْ في هذا المقالِ شيءٌ من العِلم (إذ يبدو أن ذلك المستشرق لم يكن « حِصاناً » في الرياضيّات)، ولكنْ كان فيهِ كثيرٌ من الحِقد والتحامُل. ولقد رَدَدتُ على هذا المستشرق بجُملة واحدةٍ، فقلتُ له: أنا أُعلّم تاريخَ العلوم عند العرب لطلّاب البكالوريا اللُّبنانيّة. ولوْ أنّ طالباً عِندي كَتَبَ مثلَ هذا المقال الذي قرأته

أنتَ علينا ٱلآنَ لِمَا ٱستحقَّ عليه ثمانيةً من عشرين (مَعَ نظرةٍ من الرحمة إلى الطالب).

ويبدو أن هذا السوءَ ليس خاصًّا بالعرب.

فيما يلي قِصّة لعَلّها واقعةٌ أوْ لعَلّها كانتْ مثَلاً مضروباً.

قيل إنَ ألكساندر دوماس الصغيرَ (الآبنَ) سألَ ٱبنَتَهُ مرّةً فقال لها: أقرأتِ روايتي الأخيرةَ؟ فأجابته على ذلك بقَوْلِها: وهل قرأتَها أنتَ؟

ولا شكّ في أن نَفَراً كثيرين يضعون أسماءهم على كُتُبٍ وهم لا يَدْرون ما فيها. جرَتْ عادةٌ منذُ زمنٍ قريب في بعضِ البلاد العربية أنَ يَضَعَ نَفَرٌ كثيرون (ثمانيةٌ أو تِسعةٌ) - مِمّنْ كانتْ أسماؤهم من ألمعِ الأسماء في ذلك الحين - أسماءهم، مثلاً، على كتابٍ لتعليم النحو العربي في المرحلة الابتدائية. وكانتِ الأسماءُ تُسْرَدُ على غِلاف الكتاب بحَسْب شُهرة تلك الأسماء عندَ أنصافِ المتعلمين. ولا ريبَ في أنّ الكتابَ كان من تأليفِ صاحبِ الآسمِ الأخيرِ في القائمة الطويلة. أمّا صاحب الآسْمُ الذي ظهر مِراراً أولاً في تلك القائمةِ فلم يكن صاحبه يَعْرِف من الكتاب إلاّ أنّ ٱسمَه وُضِعَ على غِلافه وإلاّ نصيبَه السمينَ من حُقوق التأليف.

وأحبّ أن أعودَ قليلاً إلى أولئك الذين يعهَدون إلى غيرِهم بتحقيق أقسامٍ من الكتب التي ينشُرونها فيقومُ غيرُهم بتَشْويهِ هذا التحقيق قصْداً، ٱنتقاماً من أولئك المُحقّقين لأسبابٍ كثيرة.

ليس من المعقول أن يكونَ محقّقُ العددِ الكبيرِ من الكتب والمؤلفُ في فنونِ الأدب والشعر والبلاغة جاهلاً حقائقَ النحو المشهورة، ولا أنْ يعهَدَ بتحقيقِ جزءٍ من كتابٍ ينشُره إلى رجلٍ جاهلٍ بتلك القواعد. وليس لهذه الأخطاء النحويّة العاديّة إلاّ تفسيرٌ واحدٌ: إنّ هؤلاء الذين أُجبروا على معاونةِ المُحقّق قد أرادوا أن يَنْتَقموا من المُحقّق فدسّوا هذه الأخطاء في كتبه.

جاء في كتاب.... (٣: ٣٢٥ ثم ٦: ٢٣٠) هذان البيتان:

أمـا في الدهر من أُفشي إليـه ... بأسراري فيؤنس بالجواب؟
أَنِلْـني، يـا خير البريّة خطّـة ... ترفَعُـني قـدراً وتكسبـني عزّا،

فأعتزّ في أهلي كما آعتزّ بيدق على سفرة الشطرنج لمّا أنثنى فرزاً.

وقد جاءت كَلِمة « فيوُنس » في البيت الأول ثمّ كلمة « فأعتز » في البيت الثالث محركتين بالرفع (بالضمة) وحقّها النصب (بالفتحة) لأنّها بعد فاء السببية (وقد جاءت الأولى بعد آستفهام وجاءتِ الثانيةُ بعد فعل الطَّلَب - أي بعدَ فعلِ أمرٍ). فهل يُعْقَلُ أنْ يُخطِىء اسْتاذٌ كبير مثل هذا الخطأ. أليس قولي: « إنّ الذين ساعدوه في التحقيق قد دسّوا عليه هذا الخطأ » دِفاعاً عنه.

ومثل ذلك (وأهونُ منه في كتب النحو) جزمُ الفعلِ المضارعِ بعدَ آسْمِ الشرط. هنالك مثلاً بيتٌ (٥ : ٥٩٢):

من يبتغي اليوم صديقـــاً كما يرضى فقـد زلّـت بـه بغيتـه.

يجب أن نقول « يبتغ » (مجزومة لأنّها آسم الشرط، وعلامة جزمها حذف حرف العلّة). والفاء في « فقد » (في الشطر الثاني) رابطة لجواب الشرط. وجواب الشرط « قد زلّت به بغيته » (في محل جزم جواب الشرط).

وأسهل من ذلك البيت التالي: (٥ : ٥٩١):

كن وحيداً ما عشت تحيا بخير سالمـاً من شرور كـلّ البريّـة.

يجب أن يقال « تحي » (مجزومة في جواب الطلب). وعلامة جزمها حذف حرف العلّة من « تحيا ».

ولا نزال في النحو. هنالك مقطوعة (٢ : ٣٩٠) في صدرها:

بجامـع جلّـق ربّ الزعامـه أقم تلـق العنايـة والكرامـه

ويمّم نحوه في كـلّ وقـت وصـلّ بـه تصل دار الاقامـه

فإنّ كلمة « ربّ » محرّكة بالجرّ (بالكسر)، ظنّاً من الذي حرّكها بالكسر أنّها بدل من « جامع ». وحقّ « ربّ » أن تحرّك بالنصب (بالفتح) لأنّها منادى مضاف (يا ربّ الكرامة). والبيتان يجب أن ينقّطا كما يلي:

بجامـعِ جِلّـقٍ، ربَّ الزعامـهْ، أقمْ تَلْـقَ العِنايـة والكَرامـهْ؛

وَيَمَّمْ نحوَه في كـــلّ وقـــتٍ وصَـلٌ بـه تَصِلْ دارَ الإقامـةْ.

(ولم ينس الناشر هنا أنّ « تَلْقَ » و « تَصِلْ » مجزومتان في جواب الطلب بعد « أقِمْ » و « صَلِّ ». وننتقل قليلاً إلى فهم معاني الشعر.

هنالك بيتٌ يَرِدُ في مكانين (٤ : ٣٨١ و ٤٦٥) هو:

فـلا صدرَ إلاّ فيه صدر مثقّف وحول الوريـــد للحسام ورود.

إنّ كلمة صدر (الثانية) مضبوطة مرّة بضمّة واحدة (صدرُ مُثقّفٍ: أعلى الرمح)، وهذا صحيحٌ. و في المكان الآخر ضُبِطَ التعبيرُ بضمتّين في جُزئيه: صدرٌ مُثقّفٌ (ولا معنى له). فهل من الممكن أن يكون ضابطُ هذا التعبير الواحدِ ضبطينِ مختلفينِ (أحدهُما صواب والثاني منها خطأ) رجلاً واحداً؟

وهذا البيت (٤ : ٦٨):

لكن معـــاني حسنـــه تمّت كما قـد تمّ عن صدأ الحديد فرنده.

يجوز أن تكون تمّت (في الشطر الأوّل) بالتاء. ولكّن الشطرَ الثاني يحتاج إلى « نمّ » (بالنون): ظهر (إنّ اللمعان من خلال الصدأ يدلّ على جودة حديد هذا السيف).

وبيت آخر (٣ : ٣٩٣):

أقـــلَّ عتابَـــك انّ الكريم يجـــازِي عــلى حبّــه بالقِــلى

القِلى (بالكسر): البغض. وكلمة « يجازِي » مضبوطة بكسرة تحت الزاي وبنقطتين تحت الياء.

والحق أن يقال: يُجازَى (بالبناء للمجهول، كما تدلّ الأبيات التالية لهذا البيت).

وبيت أخير هنا (٤ : ١٨٤):

– ولأبي جعفر بن سعيد في قوّادة:

منّاعـــة للنعـــل من كيسهـــا موسرة في حـــــــال اعسار.

إنّ الكلمة الأولى في البيت يجب أن تكون « مبتاعة ». والكلمة الثانية يمكن أن

تكون « النعل »، والنعل: الزوجة (أصبح المعنى مفهوماً).

وأخيراً هنا جُملةٌ من النثر (٣: ١٢٣) في الكلام على صُنع أوتارٍ للعود (آلة الطرب المعروفة). يقول زِريابُ المغنّي العازف المشهور والذي ذهب إلى الأندلس ثمّ أدخل تطوّراً على العود...: « وأوتاري من حرير لم يغزل (؟) بماء سخن ». يجب أن نقرأ: لم يُغْسَل أو لم يُغْمَسْ (وهذا أمر معروفٌ عن زِريابَ في تاريخ الموسيقى).

ثم شيءٌ يسيرٌ من البلاغة. في كتابٍ آخرَ (٧: ١٣ - ١٤) يَرِدُ هذانِ البيتان:

كلـــف بالغيـــد مـــا عَقَلَـــتْ نفسه السلوان مـــــذ عقـــلا.

......

أضمنتم أمن جيرتـــــــــــكم ثمّ مـــــا آمنتم السبـــــلا؟

إنّ اللغة والمعنى والبلاغة تقضي أن يقولَ الشاعرَ ما « عَلِقَتْ »، وإلاّ فَسَدَ « الجناسُ » الذي أراده الشاعر. إنّ « عقلت » و « عَقَلا » لا جِناسَ فيها. ثمّ لا وجهَ هُنالك لقول الشاعرِ « آمنتم » (بمدّة على الهمزة) ولا ظلَّ للمعنى. والصواب « أمّنْتم » (بشدّة على الميم). ومراجعة الأبيات بين هذين البيتين تدلّ على ذلك بوضوح.

وكذلك جاء في هذا الكتاب (١ : ١٦٩) تلك المقطوعة المشهورة:

شدّوا المطيّ، وقد نالوا المُنى بِمَنى

وقد تكلّفَ المحقّقُ وَضْعَ فَتْحَتَيْن على كَلمة « بِمِنىً » فأفسد على الشاعر « مُحاولةِ تَمام التجنيس » بين « المُنى » و « بِمِنَى ». ومِنَى في الأصل ممنوعةٌ من الصرف (للعَلَمِيّة والتأنيث).

ومعَ أن القاموس المُحيط (٤ : ٣٩٢) يقول: مِنَى مثل إلَى.... وتُصْرَفُ (فإنّ مَنْعَها من الصَّرْف - وَهُوَ أعلى طَبَقةً في اللغة - يدُلّ، في هذا البيتِ على رِقّةِ الحِسّ في الشاعر.

يقول المقّري (نفح الطيب ٤ : ٥٠٠): « وقد عرّفتُ بآبن الأبار في أزهار الرياض بما لا مزيد عليه... »

ونأتي إلى كتاب المقّري « أزهار الرياض » فَنَجِدُ على صفحة الغلاف منه:

« ضبطه وحقّقه وعلّق عليه مصطفى السقّا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي »
ونبحث عن ابن الأبار في « أزهار الرياض » فيردّنا الفهرس المجانيّ إلى الصَّفَحات
٢٣، ٢٤، ٢٥ من الجزء الأوّل (ص ٣٤٠، تحت « ابن الأبار »)، ثمّ إلى الصفحة
٣٧٩ من الجزء الثاني (ص ٣٩٩، تحت « أبو عبد الله بن الأبّار »)، ثمّ إلى الصفحة
٦٣ من الجزء الثالث (ص ٣٣١، تحت « أبو عبد الله بن الأبّار محمّد بن عبد الله
القضاعي »).

فأين يتكلّم المقّري، إذن، في « أزهار الرياض » على ابن الأبار بما لا مزيدَ
عليه... (من التفصيل)؟

إنّ المقّري، يخُصُّ ابنَ الأبار بأربعٍ وعِشرين صفحةً من الجزء الثاني من كتابه
« أزهار الرياض » (٢: ٢٠٤ – ٢٢٧). ولكنّ الفهارسَ المجانية لا تُشير إلى هذه
الصَّفَحات أبداً.

فهل من المعقول أن يكونَ الأفاضلُ الذين ضبطوا نصَّ « أزهار الرياض »
وحقّقوه وعلّقوا عليه – كما قالوا هم أنفسهم – هم الذين صنعوا هذه الفهارس
الناقصة (فيما يتعلّق بابن الأبار) نقصاً مَعيباً؟

٢٢ من ذي القعدة ١٤٠١
١٩/ ٩/ ١٩٨١.

ع. ف.

المرابطون في الأندلس

معركة الزلّاقة

كانَ الإسبانُ يُلِحُّونَ على مَمالِكِ الطوائفِ، يَسْتَوْلونَ عليها أوْ على أقسامٍ منها حتّى كادتْ تَنْقَرِض. وكانَ ألفونسُ السادسُ (١٠٦٥ - ١١٠٩ م) يقودُ جيوشاً كَثيفةً من البُشْكَنْس والجَلالقة والإفْرِنج (من مُعْظَمِ أنحاءِ أوروبّة) ويطوفُ بدويلات ملوكِ الطوائف يُفْسِدُ ويقتُلُ ويَسْبي.

اسْتَنْجَدَ ملوكُ الطوائفِ بيوسفَ بنِ تاشفينَ، فجاز يوسفُ بنُ تاشفين إلى الأندلسِ وٱلْتَقى ألفونسَ السادسِ في الزلّاقة (ساقرلياس)، إلى الشّمال الشرقيّ من مدينة بَطَلْيَوْسَ، على الحدود بين إسبانيةَ والبُرتغال اليومَ، في ١٢ رَمَضانَ من سَنَةِ ٤٧٩ (٢٢/١٠/١٠٨٦ م). وقدِ انتصرَ يوسفُ بنُ تاشفين على ألفونسَ السادسِ وردَّ خَطَرَهُ عن مُلوكِ الطوائف. ثمّ إن يوسفَ بنَ تاشفينَ ترك جميعَ الغنائم لملوكِ الطوائفِ وترك لهم أربعةَ آلافِ جُنْديٍّ من جُنوده البربر وعاد إلى مَرّاكُشَ. وتَسمّى يوسفُ بنُ تاشفين بعدَ مَعْرَكةِ الزلّاقةِ باسم «أميرِ المسلمين».

غيرَ أنَّ ملوكَ الطوائف عادوا إلى التنازعِ وإلى ٱسْتِنْجادِ بعضِهِمْ بملوكِ الفِرِنْجة على بَعْضٍ. ولمّا جاز يوسف إلى الأندلس للمرّة الثانية جعل ملوكُ الطوائف يتآمرون مَعَ الإسبانِ عليه. رَجَع يوسفُ عنِ الأندلسِ ثمّ عادَ إليها مرّةً ثالثة (٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م) وجَعَل يستولي على دُويلاتِ الطوائفِ واحدةً واحدةً. وفي مدى عَشْرِ سَنَواتٍ دخلتْ جميعُ الأندلس في حُكْمِ المُرابطين وٱنجابَ عنها الخَطَر. وٱمتدّ عُمُرُ الحُكْمِ الإسلاميّ- بفضلِ يوسُفَ بنِ تاشفينَ- مِائَةَ عامٍ. غيرَ أن نفراً من مؤرّخي السياسة والأدب يَحْمِلُون على يوسفَ بنِ تاشفينَ ويتّهمونه بالاَسْتِبْداد وبِحُبِّ ٱلِاَستيلاءِ على الدويلاتِ الأندلسيةِ الصغيرةِ. والواقع أنّ يُوسُفَ بنَ تاشفينَ قد أحْسَنَ

صُنْعاً لأنّه حَفِظَ العربَ والعُروبةَ والإسْلام في الأندلس. أمّا الذين ذمّوا يوسُفَ بنَ تاشفين فكانوا نَفَراً من الأدباء والشُعراء الذين كانوا يتكسّبون شيئاً من المالِ من البَلاطاتِ الكَثيرة.

وبعدَ مَعْركة الزلّاقة أدركتِ البابويةُ وأوروبةُ أنْ لا قُدْرَةَ لها على مُجابهة يوسفَ ابنِ تاشفين فتركوا الأندلُسَ وشأنَها إلى حينٍ ثمّ وجّهوا قُواهُمْ إلى المشرق وقاموا بالحُروب الصليبيّة (٤٨٩ هـ = ١٠٩٦ م)، بَعْدَ عَشْرِ سَنَواتٍ من معركة الزلّاقة.

ويُعَدُّ يوسُفُ بنُ تاشفينَ من عُظماءِ الملوك؛ ومن حُسْنِ حظّ العربِ والإسلامِ أنّه عاشَ خَمسينَ سَنَةً في الحكم (٤٥٠ - ٥٠٠ هـ). ثمّ تَعاقَبَ على عرشِ المرابطين أربعةُ سَلاطينَ لم يكن في أيّامِهِمْ ما يُذْكَر.

المغرب وصقلّية

لم تَسْتَطِعْ دولةُ المُرابطينَ من قبلُ أن تَسْتَوْلِيَ على المغرب كلّه، فقدِ آستمرّتْ دولةُ بني زيري الصِنْهاجية في المغرب الأدنى (القُطْر التونسيّ)؛ وظلّت ليبيا تابعةً للدولةِ الفاطميّة في مِصْر. أمّا في المغرب الأوْسَط (القُطْر الجزائري) فقد نشأتْ دولةُ بني حَمّادٍ (٤٠٥ - ٥٤٧ هـ) في مِنْطَقَتَيْ مدينةِ الجزائرِ ومدينة قُسَنْطينة (قسطنطينة)، وكانت تُقاتِلُ أحياناً دولةَ المرابطين.

ويَعُمُّ المَغربَ كلَّه، في أثناء هذهِ الحِقْبة أمرانِ: زَحْفُ العَرَبِ (البَدْوِ) على المغرب ثمّ استيلاءُ النورمان على جانبٍ من الساحل الإفريقي.

١ - لمّا قَطَعَ المُعِزُّ بنُ باديسَ الدعوةَ للفاطميِّين، سرّحَ الفاطميّون (٤٤٣ هـ) جُموعاً من عَرَبِ بني هِلالٍ وبني سُلَيمٍ كانوا يَنْزِلون في صَعيدِ مِصْر. وقدِ آنتشرتْ هاتانِ القبيلتان في المَغرب، من طرابُلُسِ الغربِ إلى أواسط الجزائر، تَعيثُ فساداً بالقتل والتدمير. وحينما يَذكُرُ ابنُ خَلْدونِ العربَ بالسوء وبأنّهم أبعدُ الناسِ عن العُمْران وأنّهم يَخرُبون القصرَ حتّى يأخذوا أخشابَه لنارِهِمْ ولبناء خِيامِهِمْ فإنّما يَعْني البَدْوَ، قياساً على ما فَعَله بنو هِلالٍ وبنو سُلَيمٍ في المغرب (وفي القَيْروان من القطر التونسي، خاصّةً).

٢ – في سَنَةِ ٤٨٤ هـ اسْتَوْلى النُورمانُ على جزيرةِ صِقِلّيَةَ من أيْدي العَرَب. ومَعَ أنَّ النورمانَ أحْسنوا السِيرة مَعَ عرَبِ صِقِلِّيَةَ واتّخذوا الحَضارَةَ العربيةَ حضارةً لهم ولم يَقْبلوا أنْ يَشْتَركوا في الحُروب الصليبيةِ مُحافظةً على صِلاتِهِمُ الحسنة بمُسْلمي الجزيرة، فإنّهم كانوا طامِحينَ إلى تَوْسيع نفوذِهِمُ السياسيِّ والاَقتصادي. ففي سَنَةِ ٥٤٣ هـ اَستولى النورمانُ على طرابُلُس الغربِ، بعدَ أنْ كانوا، سَنَةَ ٥٣٩ هـ، قدِ اَستَوْلَوْا على جانبٍ كبيرٍ من الساحل الإفريقي. وزادَ بُؤسُ المَغرب حينَما اَجتمعَ عليهِ الدّمارُ على يدِ البَدْوِ من بني هِلالٍ وبني سُليمٍ وعلى يدِ النورمان في وَقْتٍ واحدٍ.

الحياة السياسيّة في الأندلس...

امتدّ حُكْمُ المرابطين على الأندلس نصفَ قَرْنٍ من الزمن أو يزيدُ قليلاً، من سَنَةِ ٤٨٤ إلى سَنَةِ ٥٣٩ للهجرة (١٠٩١ – ١١٤٤ م). وقد كان أميرُ المسلمين (سُلطانُ المرابطين)، في أثناء تلك الحِقبة، يُعيّنُ أحدَ أبنائه على الأندلس والياً ثمّ يجعَلُ معَهُ وُلاةً آخرينَ في قواعدِ البلادِ (المدنِ الكبيرة). وحُكْمُ المرابطين في الأندلس كانَ – مثلَ كلِّ حُكمٍ في كلِّ مكانٍ آخرَ وكُلِّ زمانٍ آخرَ – أمناً وعدلاً واَزدهاراً في أيامِ قُوّتِهم ثمّ ضَعْفاً واَضطراباً عامًّا في أيام ضَعْفِهم، حينَما مالَ أمرُهم إلى الزَوال.

استطاع المرابطون أن يُوحِّدوا البلادَ التي كانوا يسيطرون عليها: المغربَ والأندلسَ والسُودانَ الغربيَّ. ثمّ إنّهم نَشَروا الأمْنَ في هذه الأقطار وأبعدوا العُدْوانَ المسيحيَّ عن الأندلس – ذلك العدوانَ الذي كان قد أذلّ الأندلسيّين في أيامِ ملوك الطوائف – ثم قطعوا دابِرَ الفِتَن. وحَكَمَ المرابطون بالشرع الإسلاميّ فألْغَوْا الضرائبَ الكثيرةَ والجائرةَ من تلك التي كان ملوكُ الطوائف يجمعونها بأسماءٍ مختلفةٍ وبوسائلَ مختلفةٍ وبتسليطِ الجُباةِ اليهودِ على الرعيّة. إنّ المرابطين لم يَفرِضوا من الجبايات إلّا ما أوجَبَهُ القُرآنُ الكريمُ أو جاء فيه حُكْمٌ في الحديث أو السنّة.

تلك عواملُ ساعدتْ على الأمنِ فعادَ كثيرون من الذين كانوا قد هَجَروا أراضِيَهم إلى أراضِيهم فاَنتشرتِ الزراعة واَزدهرتِ الصِناعة واَتّسعتِ التجارةُ الداخليةُ والتجارةُ الخارجية حتّى أن أُوروبّة المسيحيةَ كانتْ تعتمدُ، في تجارتها – في

الصادرِ والوارد - أسواقَ الأندلسِ وطُرُقَ مُواصلاتها. ويحسُنُ أن نُشيرَ هنا إلى بلدةِ آلْمَرِيَّة (وهي مرفأ في جَنوبيِّ الأندلس)، وقد أصبحتْ في تلك الفَتْرةِ مركزاً صِناعياً وتجارياً زاهراً لصناعة الحرير وصناعة النحاس.

... والحياة الاجتماعية

وكان لآختلاطِ المغاربةِ بالأندلسيّين حَسَناتٌ وسيّئات. إنّ آختلاطَ الشعبِ القويّ بالشعب الضعيف (إذا اتّفقا في الحَضارة والثقافة) يزيدُ في قُوّتَيْهما. فآزديادُ السُكّان في الأندلس ثمّ قيامُ المرابطين بالدفاع عن الأندلس والأندلسيّين في وَجْهِ العُدوان الإسباني الأُوروبيّ المسيحيّ كانتْ لهما نتائجُ حميدةٌ. ولكنْ لمّا ضَعُفَتِ السُلطةُ قليلاً ثمّ زاد العُنصرُ المغربي حدث شيء من الآضطراب: إنّ المرابطين المغاربةَ البربرَ كانوا أقربَ في طِباعهم إلى البداوة والجفاء، فكانوا يعيشون في الأكثر في شِبْهِ عُزْلةٍ عن سكّان الأندلس، ثمّ إنّهُمْ آستطاعوا لِمكانِ قوّتهم السياسية والحربية أن يتسلّطوا على الأندلسيّين فنشأ شيء من النُّفور بين المرابطين والأندلسيّين، وخصوصاً حينما كانتْ جماعاتٌ من المرابطين يتجوّلون في البلاد ويَحْمِلون أسْلحتَهم، وربّما آعْتَدَوْا في أثناء ذلك على الناس.

ولقد شَجّعَ ذلك نفراً من سُفهاء الأندلس فَتَلَثّموا - تقليداً للمرابطين - وحَملوا السِلاحَ مِثْلَهم وطافوا في البلاد يَعيثون في الأرض فساداً. ذلك كان بطبيعةِ الحال في زَمَنِ ضَعْفِ السُلطةِ المركزية في أعقابِ الحُكم المُرابطي في الأندلس.

والمرأةُ الأندلسية بَرْزَةٌ من أوّلِ أمْرِها. ولكنّ بروزَها في المجتمعاتِ زادَ مَعَ مجيء المرابطين. من المعروف أنّ رجالَ المُرابطين يَتَلَثّمون - من أجلِ ذلك يُعْرَفُ المُرابطون أيضاً باسم المُلَثّمين - ولكنّ نساء المرابطين لا يَتَلَثّمْنَ. فآزدادَ ظهورُ المرأة - المرابطية والأندلسية - في المجتمع وقَصَدَها الشُعراء للمديحِ وأصحابُ الحاجاتِ في الدولة.

ولقد قلّ، في أيامِ دولة المرابطين في الأندلس، تسلُّطُ النصارى واليهود في الأمور، ذلك التسلّطُ الذي كان يُشَجّعُ عليه من قبلُ ضَعْفُ ملوكِ الطوائف وعُدْوانُ

ملوكِ الإسبان.

وعظُمَ نفوذُ الفقهاء في الأندلس حتّى شاركوا الوُلاةَ في الحُكم وحتّى آنغمسَ نَفَرٌ كثيرون منهم في آنتهاز الفُرَص لِجَمْعِ المال من وجوهٍ مختلفة. وقد كان من أثَرِ ذلك أن نَقَمَ الناسُ من الفُقَهاء ومن الوُلاةِ المرابطينَ معاً.

الحياة الثقافيّة خاصّة

وإذا نحن أتَيْنا إلى التفصيلِ في المظاهرِ الأدبيةِ والثقافية خاصةً عَسُرَ علينا الفَصْلُ الباتُّ بين عصرِ ملوكِ الطوائف وعصرِ المرابطين، فإنّ نفراً كثيرين من العلماء والأدباء عاشوا في العَصْرَيْنِ معاً. ويزيدُ هذا العُسْرُ إذا نحن جئنا إلى شاعرٍ مثلِ ابنِ عَبْدونٍ (ت ٥٢٩)، فإنّه أدرك خمسةً وأربعين سنةً من عَهْدِ المرابطين في الأندلسِ، ولكنّ شُهرتَه تقومُ على قصيدتهِ «البَسّامة»: الدَهْرُ يفجَعُ بعدَ العينِ بالأثرِ. وهذه القصيدةَ من نِتاجِ عصرِ ملوكِ الطوائف.

ونحن نستطيعُ أنْ نقولَ إنّ الثقافةَ عامةً والأدبَ خصوصاً قدِ آنحطّا في عهدِ المرابطين عمّا كانا عليه في عصرِ ملوكِ الطوائف. إنّ دولةَ المرابطين كانتْ دولةً بَدْوِيَّةً في الأكثرِ، وكان همُّها الأولُ تثبيتَ أركانِ الحُكم. ثم إنها كانتْ أيضاً دولةً دينيةً سَلَفِيّةً لم تنظُرْ بعينِ الرِضا إلى الثقافة النظرية - والفلسفةِ منها خصوصاً - إلى جانب أن الولاةَ المرابطين (والسلاطين أو الخلفاء المرابطين أيضاً) لم يكونوا ذوي دِرايةٍ وافيةٍ باللغةِ العربية. من أجْل ذلك بارَ الشِّعْرُ في بَلاطاتِ المرابطين في المغرب والأندلس، ونَفَرَ الشعراءُ الذين كانوا يرتزقون في بَلاطات ملوكِ الطوائفِ رِزقاً كبيراً من حُكمِ المرابطين ثم حَمَلوا على الحكّام كلِّهم حتى على أميرِ المسلمين يوسفَ بنِ تاشفينَ، وهُوَ الذي مدّ عُمُرَ العُروبةِ والإسلامِ في الأندلس - بآنتصارِه الباهرِ في معركة الزلّاقة على الجيوش الأوروبية - مِائَةَ عامٍ.

* * *

من أشهرِ الذين اشتغلوا بتفسيرِ القُرآنِ وبالحديثِ عبدُ الحقّ بنُ غالبِ بنِ عطيّةَ

(٤٨١ - ٥٤٢ هـ) من أهل غَرْناطةَ، تولّى القضاءَ في المَرِيّة وفي غرناطة. وقد كان عارفاً بتفسير القرآن حافظاً للحديث وأديباً وشاعراً ونَحْويًّا. ألّفَ تفسيراً (للقرآن) وافياً زادَ فيه على جميع الذين تقدّموه (في الأندلس) وأدْرَكَ به شُهْرةً واسعة[1]. ثمّ نَجدُ في علماءِ الحديث أبا الحسن رزينَ بنَ مُعاويةَ بن عمّارٍ العَبْدريَّ (ت ٥٢٤ هـ)، له في الحديث تصانيفُ منها: تجريدُ الصِحاح السنّة[2] - أخبارُ مكّةَ والمدينةِ وفضلُها - (تجريد) ما يتضمّنه صحيحا مُسلمٍ والبخاريُّ والموطأُ والسننُ للنّسائيِّ والترمذي[3]. ثمّ نجدُ أيضاً أبا محمّدٍ عبدَ الله بنَ عليٍّ اللَّخْميَّ الرُّشاطيَّ (٤٦٧ - ٥٤١ هـ) من أهل المَرِيّة، وله من الكُتُب: الإعلام بما في كتاب المؤتلف والمختلف للدارقُطني من الأوهام[4] - اقتباسُ الأنوار والْتماسُ الأزهار في أنساب الصَحابة ورُواةِ الآثار.

وكذلك نجدُ أبا بكر محمّدَ بنَ خَلَفِ بنِ سُليمانَ المعروفَ بابنِ فتحون الأُوريولي (ت ٥١٩ هـ)، وله ذيلٌ على كتابِ «الآستيعاب»[5]، كما أنّ له كُتُباً في الحديث.

وراجَ الكلامُ - في عصر المرابطين - على الفِقه الخالص، على فُروعِ الفِقه (من العبادات والمعاملات) من المذهب المالكيّ، ولم يكنْ ثمة عِنايةٌ بالتخريج العقلي للأحكام الفقهية، بل كان ذلك ممقوتاً حتى أن كتبَ الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)، وهي التي كانتْ تنحو نحوَ التصوّفِ المعتدل في تفسير الأحكام، قد أُحرِقتْ علَناً في المغرب.

---

(١) لابن عطية هذا ترجمة مفردة.

(٢) الصِحاح الستة (في أحاديث رسول الله) هي: الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ = ٨٧٠ م) والجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ = ٨٧٥ م) ثم كتب السنن الأربعة لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة (ت ٢٧٣ هـ = ٨٩٢ م) ولأبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ = ٧٨٩ م) ولأبي عيسى بن محمد بن عيسى الترمذي - ويعرف كتابه في السنن أيضاً باسم «الجامع الصحيح» (ت ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م) ولأبي عبد الرحمن أحمد بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ = ٩١٥ م).

(٣) في بروكلمن، الملحق ١: ٦٣٠، له: كتاب التجريد في الجمع بين الموطأ والسنن الخمس. أما الموطأ فهو لأبي عبد الله مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ = ٧٩٥ م). راجع فيما بقي الحاشية السابقة.

(٤) الدارقطني هو أبو الحسن عليّ بن عمر الشافعي إمام أهل عصره في الحديث (ت ٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م)، من أهل بغداد

(٥) لابن عبد البرّ (ت ٤٦٣ هـ).

وآشتهرَ في هذا العصرِ الفقيهُ أبو الوليدِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ رُشْدٍ (٤٥٠ - ٥٢٠ هـ) جَدُّ الفيلسوفِ أبي الوليدِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ رشدٍ (ت ٥٩٥ هـ) فقد كان من أهلِ الدِراية في الفِقه ومن المؤلفين فيه.

ومَعَ أن القاضيَ عِياضَ بنَ موسى اليَحْصُبيَّ السَبتيَّ (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ) - وحياتُه تنطبقُ على عصرِ المرابطين في الأندلس آنطباقاً كاملاً - كان فقيهاً في الدَرَجةِ الأولى، فإنه كان أيضاً من علماء الحديث واللغة والنحو والتاريخ (راجع ترجمته).

ومن أعلامِ النحو في القرنِ السادسِ أحمدُ بنُ خَلَفٍ الأنصاريُّ المعروفُ بابنِ البـاذشِ الغَرْناطيّ (ت ٥٤٠ هـ). وأشهرُ منه في ذلك آبنُ السِّيد البَطَلْيَوْسِيُّ (ت ٥٢١ هـ).

وفي هذا العصر نفرٌ من المؤرّخين منهم أبو عامرِ بنِ مَسْلَمَةَ (٤٣٢ - ٥١٠ هـ)، كان وزيراً في إشبيلِيَةَ وكانت له عِنايةٌ بالتاريخ، ألّف « حديقةَ الآرتياح في وصف حقيقة الراح » وغيرَه.

ويلمَعُ في هذا العصرِ - في فلسفةِ التاريخ - أبو بكرٍ الطُرْطوشيُّ (٤٥١ - ٥٢٠ هـ) صاحبُ كتاب « سِراج الملوك »، وقد أشارَ الطُرطوشيُّ في هذا الكتابِ إلى أشياءَ سيُوَفّيها ابنُ خَلْدونٍ (ت ٨٠٨ هـ) حقَّها في مُقَدَّمته.

وفي نِطاقِ تراجمِ الأدباء خاصّةً، وما يتعلّقُ بها من النقد كثيراً أو قليلاً، هنالك الفَتْحُ بنُ خاقانَ (ت ٥٢٩ هـ) وابنُ بَسّامٍ الشَنْتَرينيّ (ت ٥٤٢ هـ) وأبو عامرٍ محمّدُ بنُ يحيى بنِ يَنَّـقٍ (ت ٥٤٧ هـ). وهنالك الحِجاري صاحب كتاب « المُسْهِب » (ت نحو ٥٥٠ هـ) وله في هذا الجزء ترجمةٌ وافية. ومَعَ أن أبا بكرٍ يحيى بنَ محمّدٍ الأنصاريَّ الغَرْناطيَّ المعروفَ بابنِ الصَّيْرفيّ (ت ٥٥٧ هـ) قد أدركَ حِقبةً طيّبةً من عصر المُوَحّدين، فإنّنا نذكُرُه هنا لأنّه كان كاتباً للأميرِ المُرابطي أبي حامدِ بنِ تاشفينَ، وقد ألّفَ ابنُ الصيرفيُّ لأبي حامدٍ هذا كتاباً عُنوانُه « أخبار دولة لَمْتونةَ ».

ومن المُتَصَوِّفة في هذا العصرِ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ محمّدٍ المعروفُ بابن العَريف الصِنهاجيُّ الأندلسي (ت في مَرّاكُش ٥٣٦ هـ) له كتاب « محاسنُ المجالس » (بروكلمن،

الملحق ١ : ٧٧٦) وعبدُ السلام بنُ عبدِ الرحمن بنِ برّاجان اللَّخْميُّ الإشبيلي (ت ٥٣٦) له كُتُبٌ منها: « شرح معاني أسماء الله الحُسنى » (بروكلمن ١ : ٥٥٩) ثمّ أبو القاسمِ أحمدُ بنُ قسِي الشِلْبي (ت ٥٤٦ هـ) له: « شَرْحُ حديثِ خَلْعِ النَعْلينِ واقتباسُ الأنوار من مَوْضِعِ القَدَمَيْن » (بروكلمن ١ : ٥٥٩ ، الملحق ١ : ٧٧٦).

- في العلوم الرياضيّة والطبيعية:

وقلّ علماءُ الرياضيّاتِ والطبيعيّات في هذا العصر عمّا كنّا قد عرَفْنا منهم في العصر السابق. ومعَ ذلك فإنّنا نذكُرُ من هؤلاء ابنَ مسعودِ الإشبيليَّ (ت ٥٢٦ هـ) وكانت له مشاركةٌ في الفلك وفي حسابِ الأنساب (المُثلّثات). ثمّ هنالك جابرُ بنُ أفلحَ (ت ٥٤٠ هـ)، وكانت له مَعْرفةٌ بالجبْر والفَلَك وعلم الحِيَل (الميكانيك)، كما كان له عددٌ من الكتب في الفَلَكِ خاصّةً. وهنالك أيضاً من هؤلاء أبو الصَّلْتِ أُميّةُ بنُ عبد العزيز الدانيُّ الأندلسيُّ (ت ٥٢٩ هـ)، وكان بارعاً في علم الحِيَل (من الفيزياء) كما كان أديباً شاعراً. ثمّ هنالك ابنُ باجّه (ت ٥٣٣ هـ)، ولهما في هذا الجزء ترْجَمتان مُستقلّتان.

- في الطبّ خاصّة: آلُ زُهْرٍ:

والطِبّ من العلوم الطبيعية، وقلّ مِنَ العلماءِ بالرياضيّات والطبيعيّات مَنْ لم يشتغلْ بالطبّ.

وتجدُرُ الإشارةُ في عصر المرابطين إلى آل زُهْرٍ، وهم أُسرةٌ كان لها وَجاهةٌ، في الأندلس وفي المغربِ معاً، كما كان لها مكانةٌ في الفِقه والعِلم والأدب ثمّ في التطبيب خاصّة. وأصل آل زُهْرٍ من شاطبة (في شرقيّ الأندلس) ثمّ انتقلوا إلى إشبيليةَ. واتّسعتْ شُهرةُ آل زُهر في الأندلس والمَغْرب وفي المَشْرق وفي أُوروبّةَ المسيحيّةِ أيضاً. وكان أوّلهم أبو العلاء زهرُ بنُ عبدِ الملك (ت ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م)، وقد كان له رفقٌ وعِنايةٌ بالمَرْضى يَحتالُ في مُعالجةِ الذين يكرَهون تناوُلَ الأدويةِ بأنواعٍ من الأغذية. وأمّا أشْهرُ آل زهرٍ وأعظمُهم في الطِبّ والتطبيب فهو أبو مروانَ عبدُ الملك بنُ زُهْرٍ (٤٦٤ - ٥٥٧ هـ)- وهو ابنُ أبي العلاءِ زُهْرٍ- له تشخيصٌ سريريٌّ (بالمُراقبة اليَوْمية) ومعرفةٌ بالأوْرام الخبيثة (السَرَطان) وبالسِلِّ المَعَويّ. وكان يلجأ إلى

التغذيةِ الصناعية في معالجة الذين يَعْجزون عنِ البلع، وذلك بإدْخال الطعام من شِقٍّ يُحْدِثُه في المَريء (أُنبوبِ الطَعام) أو مِنَ المستقيم (بالحَقْنِ الشَرَجِيّ: من باب البَدَن).

وكذلك بَرَعَ في الطِبِّ ابنُ باجّه (ت ٥٣٣ هـ) مُعاصرُ آلِ زُهْرٍ ومُنافِسُهم. وقد كانَ آلُ زُهْرٍ مُتسلّطين في مُجْتَمَعِهم فيُقال إنّهم دَسّوا له السُّمَّ لأنَّ مقدرتَه في التطبيب كانتْ تُزاحِمُهم على مَكانتهم وعلى مَكاسبهم. ولقد لَحِقَتْ أبا مروانَ بنَ زُهْرٍ مِحنةٌ، إذِ اتُّهِمَ بشيءٍ من الزَيْغ في أمورِ الدين فسُجِنَ مُدّةً في مدينةِ مَرّاكُش.

ثمّ جاء الحفيدُ ابنُ زُهْرٍ (٥٠٧ - ٥٩٥ هـ) - وهو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عبدِ الملك (ابنُ أبي مَروانَ عبدِ الملكِ وحفيدُ أبي العَلاءِ زُهْرِ بنِ عبد الملك)، وقد كان نجماً لامعاً في أُسرته وزمانه. ولكنّ حياتَه تقع في أيامِ المُوحِّدين بعدَ انقضاءِ حُكمِ المُرابطين.

وبَرَزَ أبو جَعْفرٍ أحمدُ بنُ محمّدٍ الغافِقيّ (ت ٥٦٠ هـ) في معرفةِ الأدوية، له كتابُ «الأدويةِ المُفْرَدة» لا نظيرَ له في الجَوْدة (طبقات الأطبّاء ٢ : ٥٢).

- الفلسفة:

ولم يكنْ حظُّ الفلسفة قليلاً في أيام المرابطين، فقد عاش في ذلك العصر ابن السِيد البَطَلْيَوْسِيُّ (ت ٥٢١ هـ) فهو - بالإضافةِ إلى براعتهِ في اللغةِ والنحو ثمّ في الفِقه - قد مدّ بَصَرَهُ إلى الفلسفة اليونانية في أثناء مُعالجته عدداً من المُشكلات في الفكر الإسلاميّ. وله من التصانيفِ «شرحُ الخمسِ المقالاتِ الفلسفيةِ» (بروكلمن، الملحق ١ : ٧٥٨).

ثم نجد هنا أيضاً أبا الصَلْتِ أُميّةَ بنَ عبد العزيز الدانيَّ (ت ٥٢٩ هـ) فقد كان مشاركاً في عدد من العلوم كعلم الحيل (الميكانيك) والطب والفلسفة، إلى جانب براعته في النظم.

ثم هنالك ابن باجه (ت ٥٣٣ هـ) أولُ الفلاسفة العقليين على الحصر. لقد أقام ابن باجه الفلسفة العقلية على أسس من الرياضيات والطبيعيات قبل أن يفعل أحد غيره ذلك - وإن كان أفلاطون وأرسطو قد عُنِيا بالمنطق، معَ الإيقان بأن أفلاطون قد خلط المنطق بأشياء كثيرة من الخيال.

ثمّ هنالك أيضاً أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمّدِ بنِ خَلَفٍ الأنصاريُّ الإشبيليّ (ت ٥٣٧ هـ) له: كتاب «النُكَتِ والأمالي في النَقْضِ على الغزّالي» (بروكلمن، الملحق ١ : ٧٦٢).

- الأدب

قيل إنّ الأدب لم يَزْدَهِرْ في أيام المرابطين لأنّ المرابطين كانوا لا يفهمون الشعر (ولا يتقنون اللغة العربية). وهنا موضع ملاحظات:

★ إنّ يوسفَ بنَ تاشفينَ وحدَه كان لا يقرّب الشعراء:

- لم تكن معرفته بالعربية واسعة.

- كان في سبيلِ إنشاء دولةٍ. وحينما تكون الدُوَلُ في عُنفوان قوّتها في دور التأسيس، فقلّما يلتفتُ القائمون بذلك عادة إلى الشعر (كما اتّفق مثلاً للمنصور العبّاسي مَعَ بشارِ بن بُرْدٍ).

- إنّ الشعراء الذين كانوا يتكسبّون من مُلوكِ الطوائف (بحقٍّ وبلا حقٍّ) لمّا أهملهم يوسفُ بنُ تاشفينَ تقوّلوا عليه مثلَ تلك الأشياء.

★ ولكنّ عليَّ بنَ يوسفَ بنِ تاشفينَ ونفراً ممّن جاءوا بعدَه إلى إمارة المسلمين وإلى الولاية على المُدن الأندلسية آستمعوا إلى الشعراء وأجازوهم على القصائد.

فمن كبارِ الشعراء ومَشاهيرهم في أيامِ المرابطين في الأندلس الأعمى التُطيلي (ت ٥٢٠ هـ) وابن الزقّاق وابن عَبْدونٍ وابن خَفاجةَ وابن بَقِيٍّ (ت ٥٤٠ هـ).

أمّا الصورةُ الأدبية في هذا العصر فيجبُ أن نبدأ فيها بالكلام على المعتمدِ بن عبّادٍ الإشبيلي (ت ٤٨٨ هـ)، ونحن نشير إلى شعره الذي قاله في أسره في أغمات (قرب مدينة مَرّاكُش). إنّ هذا الشعرَ من نِتاج عصر المرابطين. ولا غَرابةَ إذا قُلنا إن شعرَه هذا كان أصدقَ أشعارِه عاطفةً وتعبيراً عن حاله معاً. من ذلك مثلاً قولُه يتذكّرُ أيامَه الناعمةَ الخواليَ في قصور إشبيلية:

كنتُ حِلْفَ النّدى وربَّ السَّماحِ   وحبيبَ النفوسِ والأرواحِ؛

إذْ يميني للبَذْل يومَ العطايا، ولقَبْض الأرواح يومَ الكِفاح،
وشمالي لقبض كُلِّ عِنانٍ يُقحِمُ الخيلَ في مَجالِ الرماح[1].
وأنا اليومَ رهنُ أسْرٍ وفقرٍ مُستباحُ الحِمى مَهيضُ الجَناح[2]:
لا أُجيبُ الصريخَ إن حَضَرَ النا سُ، ولا المُعتفينَ يوم السماح[3].
عاد بِشْري الذي عَهدتُ عُبوساً: شَغَلَتْني الأشجانُ عن أفراحي[4].
فٱلتّاحي إلى العيون كريهٌ؛ ولقد كان نُزهةَ اللُّمّاح[5]!

وبعد أن كانتْ حركةُ التوشيح قد قَوِيَ ساعِدُها منذ مطلَعِ عصر ملوك الطوائف (ومنذ مطلع القرن الخامس)، عاد الشعراء إلى ٱصطناع الجزالة (سِياقةِ الألفاظِ الدقيقة الدّلالةِ في التركيب المتين). ولكنّ التقليدَ ظلّ بادياً على قصائدِ هؤلاء الشعراء وخصوصاً من أثر ديوان المتنبي وديوان المَعَرّيّ المَشْرقيَّيْن. ولم تكتسب القصائدُ المُقلَّدةُ كثيراً من صِحّة الشعر المَشْرقي ومَتانته.

غيرَ أن هذا كلَّه لم يمنعْ جانباً من الشعر الأندلسي مِنَ الآستمرار على سَمْتِه الأول من حيث الرِقّةُ والبراعةُ في وصف الطبيعة، كما نرى عند ابن الزّقاق (ت ٥٣٠ هـ) وعند خالِه ٱبنِ خَفاجةَ (ت ٥٣٣ هـ)؛ ولا مَنَعَ هذا أيضاً من بقاء الموشَّح الجميل، كما نرى عند ابن بَقِيٍّ القُرطُبي (ت ٥٤٠ هـ).

ولكنّ المستغربَ في هذا الباب أنّ الغناء كان في هذا العصر ملتصقاً بالقصيد لا بالموشحات، مَعَ أنَّ المُوَشَّحات كانتْ قد نُظمت في الأصل لمواكبةِ الغناء. لقد كان الفيلسوف ٱبن باجّه (ت ٥٣٣ هـ) - وٱبنُ باجه كان عالماً وشاعراً وموسيقيًّا أيضاً - يعلِّم الموسيقى، وكانتْ عنده قِيانٌ (جَوارٍ مُغَنِّياتٌ) يصنعُ لهنّ التلاحينَ، ويعلمهنّ الغناء.

---

(١) عنان الفرس: زمامه، لجامه، رسنه. اقحم (أدخل) الخيل في مجال الرماح (في المعركة).
(٢) مستباح الحمى (غير قادر عن الدفاع عن ملكي). مهيض: مكسور.
(٣) الصريخ: نداء الحرب. المعتفي: طالب الإحسان. السماح: الكرم.
(٤) البشر (بالكسر): طلاقة الوجه. السرور. الشجن (بفتح ففتح): الحزن.
(٥) والتاحي (النظر إلي).

لا يغيبُ في هذا العصر تقليدُ الناثرين في الأندلس للناثرين المشارقة في الأسلوب (مع التقصير) وفي الأغراض (مع عدد من أوجه البراعة). أما في الأسلوب فقد طَغَتِ الصناعة والسَّجْع منها خاصةً على مُعظَم أبواب النثر، وإن لَمَعَ فيها أحياناً جُمَلٌ مُغْرِبةٌ في الخيال الجميل قليلاً أو كثيراً، كقولِ أبي الفضل بن شَرَفٍ (ت ٥٣٤ هـ) مثلاً[1] (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين لإحسان عباس، ص ٢٨٣): « العالِمُ مَعَ العِلم كالناظر للبحر يستعظمُ منه ما يرى، وما غاب عنه أكثر - التعليم فِلاحة الأذهان، وليست كلّ أرض مُنبتةً - الفاضلُ في الزمنِ السوءِ كالمِصباح في البَراح[2]، قد يُضيء لو تركته الرِّياح ».

وفي تقليدِ المشارقة نجد أبا عبد الله بن أبي الخِصال (ت ٥٤٠ هـ) يجري على خُطى ٱبن نُباتةَ الفارقيّ الخطيب (ت ٣٧٤ هـ) وأبي العَلاء المَعَرِيّ (ت ٤٤٩ هـ) والحريريّ صاحب المقامات (ت ٥١٦ هـ). وأمّا محمّد بن عبدِ الغَفور الكِلاعيّ (ت ٥٤٢ هـ) فقدِ ٱشتدّ إعجابه بالمَعَرِيّ ولم يُقَلِّدْهُ فقطْ في أسلوب رسائله، ولكنْ في معاني عناوين تلك الرسائل أيضاً، فقد كتب[3] رسالة « الساجعة والغربيب » مُعارضة لرسالة « الصاهل والشاحج »[4] لأبي العلاء (المعريّ). ثم عارضه بتأليف سمّاه « ثمرةَ الألباب » مُضاهياً بذلك « سَقط الزَّند »[5].

ومن الممكن أن نضمَّ أبا الحسين سِراجَ بنَ عبد الملك بنِ سراجٍ (ت ٥٠٨ هـ) إلى هذا العصر في هذا الباب، فإنه ٱبتدأ نوعاً من الرسائل جرى فيها مجرى التفكّه والسُّخرية حينما أنشأ رسالة يشفع فيها لرجل يُعرف بالزُّرَيْزِير، فنشأ بعدَ ذلك نهجٌ في رسائل عُرفت بالزُّرْزوريات لأنّ ٱبنْ سِراجٍ كان قد تكلم على صاحبه الزُّرَيْزِير مُوازناً بين هذا الرجل وبين الصفات المتصلة بهذا الطائر.

---

(١) لابن شرف هذا (ت ٥٣٤ هـ) ترجمة مفردة.

(٢) البراح: الأرض الواسعة لا نبات فيها.

(٣) ابن عبد الغفور (ت ٥٤٢ هـ) له ترجمة مفردة.

(٤) الساجعة: الحمامة. الغربيب الشديد السواد (الغراب). الصاهل: الحصان. الشاحج: الحمار. والشحيج يقال أيضاً لصوت البغل والغراب.

(٥) سقط الزند (ديوان شعر أبي العلاء المعرّي).

ونجد في هذا العصر نوعاً غريباً من الرسائل. إن نفَراً من أهلِ الأندلس لم يُكْتَبْ لهم حظٌّ بالذهاب إلى الحج، فكانوا يكتبون رسائلَ «مُوَجَّهةً إلى حضرة رسول الله ومطويةً على كثير من التشوُّق والتوسُّل» ثم يبعثون بها مَعَ نفرٍ ذاهبين إلى الحج ليضعوها لهم على قبر الرسول في المدينة. وربما جعلوا مكانَ الرسائلِ قصيدةً. ونشير هنا إلى أبي عبد الله بن أبي الخصال (ت ٥٤٠ هـ) فقد أنشأ لهذا الغَرَض رسائلَ ونظم قصائدَ.

والمقامةُ تلحَقُ بالرسالة. كَثُرَ اهتمامُ الأندلسيين في هذا العصر بالمقامات - وبمقامات الحريري خاصةً - فتدارسها الأدباء وشرحوها وحاولوا النَّسْجَ على مِنْوالها. من ذلك مثلاً مقامةٌ للفَتْحِ بن خاقانٍ (ت ٥٢٩ هـ) ومقامةٌ لأبي إسحاق بن خَفاجةَ (ت ٥٣٣ هـ) ومقامةٌ لأبي عبد الله بن أبي الخصال (ت ٥٤٠ هـ) ثم المقامات اللُّزومية للسَرَقُسْطي الأشتركوني (ت ٥٣٨ هـ) - راجع ترجمته.

غيرَ أن بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ) كان قد ذَهَبَ بالبراعةِ في مادّة المقامةِ (في القصة والموضوعات) كما كان الحريريُّ (ت ٥١٦ هـ) قد ذهب فيما بعدُ بالأسلوب فيها (الصناعة اللفظية والمعنوية). وجميع المقامات التي أُنشئَتْ بعد ذلك كانت تقليداً نازلاً عن المرتبة التي ٱرتفعتْ إليها مقاماتُ البديعِ ومقاماتُ الحريري.

- فمن أصحاب المقامات الوزيرُ أبو الوليدِ محمّدُ بنُ عبدِ العزيز المعلّم، وَرَدَ في مقامة له (الذخيرة ٢: ١١٤):

.... وكان لي أليفٌ، وعقيدٌ شريف، من صرحاء الإخوان، وصُيّابة الفِتيان، ومُصاص[1] أعيان الزمان. وحين سوّلتْ لي هِمّتي ما سوّلتْ[2] وخيّلتْ لي أُمْنيّتي ما خيّلتْ، أجَلْنا قداحَ الرأي وأسْهَمْنا بين القُرب والنأي[3]: شاوَرَ في أمري قَريحته

---

(١) الأليف: الذي تعوّد صحبتك. العقيد: الكريم. صيّابة (سادة) الفتيان (الرجال الشجعان البارزين في قومهم اللبقين في سلوكهم). المصاص: الخلاصة.

(٢) سوّل فلان لفلان أمراً: زيّنه له وحبّبه إليه وأغراه به.

(٣) أجال: أدار. القدح (بالكسر): قطعة من خشب عليها رقم أو علامة تستخدم في لعب الميسر (القمر). أجلنا قداح الرأي: تبادلنا الرأي وقلّبناه على وجوهه. النأي: البعاد، الفراق.

ونَخَلَ لي نصيحته، وقال: أرى ألّا تَرِيمَ بَيْضَتَكَ وأُرومَتَكَ(١)، وأن تُوطِنَ أرضَك ولا تُفارِقَ عشيرتك. وأرْبأُ بك عن مَضلّات المُنى، وأُعيذُك من تُرّهات لعلّ وعسى(٢)، فتَحْسَبَ كلَّ بيضاءَ شحمةً وتظنّ كلَّ سوداءَ تمرةً(٣). وربّما سَقَطَ العَشاء بك على سِرْحان، وكلُّ الناس بكْرٌ، وفي كلّ وادٍ بنو سعدٍ(٤).....

- ومن المترَسّلين الذين يقلّدون أُسلوبُ المقامات في رسائِلهمُ الوزيرُ الكاتبُ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ مسلمٍ، قال (الذخيرة ٣: ٤٣١ - ٤٣٢.):

.... حتّى وَصَلْنا إلى دارٍ منفرجةِ الأقطار، مُسْتَوْفِزَةِ الأنوار(٥) مُتدفّقة الأنهار، هواؤها جلاءٌ للغمّ وزيادةٌ في العُمر، وضياؤها شفاء للكَظْم(٦) وانشراح للصدر. وكأنّ مياهَها تنبعثُ من بَنان سَيّدها فصارت عيناً سَلْسبيلاً وكان مِزاجُها زَنْجبيلاً(٧)؛ أو كأنّما مَسّتْ عيناً حَيَواناً فأنبتتْ من الزَبَرْجَدِ رَيْحاناً ومن الزُمُرُّدِ شجَراً فَيْناناً(٨)، وجعلتْ من النارَنْج عُقياناً ومن الآس لُؤلؤاً ومَرْجاناً(٩). ومِيلَ بنا إلى التاج - وهو مصنَعٌ على مَفْرقِ القصر من جانب البحر - مُرَّدَ من قوارير(١٠)

---

(١) نخل لي نصيحته: منحني خلاصة تفكيره في نصحي (إرادة الخير لي). رام يريم: ترك، هجر. البيضة: الحمى (المسكن، دار القوم) ما يجب على المرء حمايته (الوطن). الأُرومة: الأصل.

(٢) أربأ بك (أرفع، أنزّهك، لا أرضى لك). مضلّات المنى (الأمانيّ الباطلة). التّرهة: الفلاة الواسعة، التمنّي الكاذب. لعلّ وعسى (كناية عن تمنّي ما لا يكون).

(٣) أي تخدع بظواهر الأمور.

(٤) سقط العشاء بك على سرحان (ذئب): مثل، أصله: خرج رجل يطلب شيئاً يتعشّاه (يأكله في المساء)، فلقي في طريقه ذئباً فأكله الذئب. كلّ الناس بكر - في كلّ واد بنو سعد، مثلان معناهما أن الناس يشبه بعضهم بعضاً.

(٥) مستوفزة الأنوار: (ليس في القاموس معنى موافق لها - لعلّ المقصود: منتشرة الأنوار).

(٦) الكظم: ذهاب الغضب.

(٧) بنان: رؤوس الأصابع. تنبعث من بنان سيّدها (الكريم): بكثرة. عيناً سلسبيلاً (ماؤها سائغ، سهل في الحلق). مزاجها زنجبيلا ممزوجة بشيء طيّب - (الزنجبيل نبت حرّيف الطعم طيّب الرائحة).

(٨) عيناً حيواناً: شيئاً حيًّا (؟). الزبرجد والزمرّد (حجران كريمان أخضران). الريحان نبت طيّب الرائحة. الفينان (الواسع)، واسع الظلّ.

(٩) النارنج: نوع من الليمون. العقيق والمرجان: (أحمران).

(١٠) ميل المجهول من مال. ميل بنا: ذهبوا بنا، قادونا المصنع: البناء العظيم. ممرّد: مصقول، أملس. قوارير: زجاج

وأُلبسَ الصُبحَ المُستنيرَ، وقُلّدَ قِلادةَ الطاووسِ ونُقّطَ نَقطَ العَروس[1] .....

- وكان للجدّ والهزل دَوْرٌ في هذا العصر، وفي النثر والشعر. فمن الذين سلَكوا هذا المسلَكَ الأديبُ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ مسعودٍ، قال من رُقعة كتبها إلى ابنهِ لمّا توجّهَ آبنُه إلى الغرب (غرب الأندلس) - وقد بلَغه عنه أنّه آنغمسَ في اللهو والشّراب - قال:

.... فازَ، يا بُنيَّ، مَن آستَشْعَرَ البِرَّ والتقوى واستمسكَ بالعُروة الوُثقى[2] واعتصم بحبل القناعة والرِضا، وتحصّن بالعَفاف وتبلّغ بالكَفاف[3]، فلم يزاحِمِ الأقدارَ ولا غالَبَ الليلَ والنهار[4].... فأخْبِرْني، يا تاجرَ البحرينِ وسِمسارَ العِراقين ودليلَ الحِجازَيْنِ وخِرّيتَ الفَلاتين وابنَ عظيمِ القريتَين[5]، أنْعِسْ بِكَ من خَرّاجٍ ولّاجٍ ماضٍ على السُرى والإدلاج[6]، جَريءٍ على الليل الداج، كالسِراج الوهّاج

---

(١) قلادة الطاووس (كناية عن تنوع الألوان وجمالها). نقط العروس: صبغ أصابع يد العروس بالحنّاء (؟).

(٢) استشعر: لبس (لباس) البرّ والتقوى. العروة الوثقى (المتينة): الرباط المكين (كناية عن الاتّحاد).

(٣) تبلّغ: اقتصر على، اكتفى. الكفاف (ما يكفي لحفظ الحياة) الحدّ الأدنى مّا يحتاج إليه الإنسان.

(٤) لم يزاحم الأقدار (لم يحاول أن يتغلّب على مجرى الأيام). ولا غالب الليل والنهار (الزمن وما يأتي به من خير أو شرّ).

(٥) تاجر البحرين (المتاجر باللؤلؤ). وسمسار العراقين (البصرة والكوفة: طريق التجارة من الهند والصين). ودليل الحجازين: مكّة والمدينة (؟) لشرف الزيارة إليهما. الخرّيت: الدليل الحاذق الخبير. الفلاتان (الفلاة: الأرض الواسعة الخالية. الفلاتان للتقفية؟) ابن عظيم القريتين - الصواب «أحد ابني عظيمي القريتين» (مكّة والطائف). في القرآن الكريم ٣٤: ٣١، وقالوا: «لولا نُزّل (بالبناء للمجهول مع تشديد الزاي) هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»، أي الوليد بن المغيرة (ت ١ هـ = ٦٢٢ م) زعيم قريش في الجاهليّة وأحد أغنيائها الكبار، (من أهل مكّة) ثمّ عروة بن مسعود الثقفي (ت ٩ هـ = ٦٣٠ م) من أهل الطائف، وكان أيضاً عظيماً في قومه (وقد أسلم، ولكنّ قومه قتلوه).

(٦) خرّاج: كثير الخروج. ولّاج: كثير الولوج (الدخول). وفي تاج العروس (الكويت ٦: ٢٦٤): «ورجل خرّاج ولّاج (بتشديد الراء واللام) أو خروج ولوج (بتسهيل الراء واللام) أو خرجة ولجة (بضمّ ففتح ففتح فيهما): كثير الدخول والخروج (عظيم النشاط، له مقدرة في معالجة الأمور). ماض (صاحب عزم) على السُرى (السفر في الليل) جريء على الإدلاج: سير الليل كلّه (بلا توقّف).

والعارض الثّجاج[١].....

صحّ عِندي أنّ العسل في تلك الجهةِ مُمْكِنٌ غيرُ غالٍ ومُنحَطّ غيرُ عالٍ، فتناوَلْ إقامتَه وتركيبَهُ، وأتقِنْ صِناعته وتربيبَه. لقد نَسِيتُ، يا بُنَيَّ، أن أبعثَ إليك بنسخةٍ في تربيب العسل المشروبِ مُطابِقةً للمرغوب التَقَطْتها مُفتناً عن فلانٍ اليهوديّ كان انْتَخَبَها للمنصورِ بنِ أبي عامرٍ وأصحابه....[٢]

- ولأبي عبدِ اللهِ محمّدِ بنِ مسعودٍ هذا أُرجوزةٌ خاطبَ بها الوزيرَ ابنَ بقنّه[٣] على لسان جاريةٍ كان الوزيرُ قد أهداها إليه وضاعتْ حالُها بينَ يديه، فقال (الذخيرة ١ : ٥٥٣ - ٥٥٤) على لسانِ الجاريةِ تشكو إلى الوزير ما تُلاقيهِ في دارِ ابنِ مسعودٍ:

وَهَبْتَني لأَوْحَدٍ مُنقطِعِ ... في القُبْح والفقر خَفِيِّ الموضعِ.
جعلتَني أسيرةً مملوكَهْ ... لطَلْعةٍ حائلةٍ صُعلوكَهْ[٤]،
يُعزى، على الفألِ، إلى مسعودِ، ... وهْو شقيٌّ ليس بالمحمود[٥].
كما يُكَنّى بأبي البيضاءِ ... أسودُ كالسَّرْوةِ في الظلماءِ[٦].
ألا وهَبْتَني لشخصٍ تاجرٍ، ... ولم أكنْ عند فقيرٍ فاجرِ.
أو ليتَني كُنتُ لبعضِ الجُنْدِ ... فربّما حازَ نفيسَ المجدِ،
يَضْرِب بالسيفِ ولا يُقاسي ... خُطّةَ خَسْفٍ بسؤال الناس[٧].
قد كسدَتْ آدابُه والشِعرُ، ... فما له عند البرايا قَدْرُ.
ولو تراه سائراً للسوقِ، ... إذا بدا في كُسوةِ الغُرنوقِ[٨]،

---

(١) الداجي: المظلم. العارض: الغيم المقبل بمطر. الثّجّاج: الكثير الماء (غزير المطر).

(٢) المنصور بن أبي عامر: الحاجب (كبير الوزراء بالأمور في آخر الخلافة المروانية في الاندلس (ت ٣٩٢ هـ).

(٣) قراءة هذا الاسم محيّرة (راجع الذخيرة ١ : ٥٥٢، الحاشية ٥).

(٤) الطلعة: الوجه. حائل: متحوّل (متغيّر)، لا يعرف له لون ثابت. صعلوك: فقير.

(٥) يعزى: ينسب. على الفأل: إذا تفاءلنا به (ظننا فيه خيراً).

(٦) السروة شجرة طويلة مائلة في خضرتها إلى السواد (... لشدّة سواده لا يرى).

(٧) خطّة (طريقة) خسف (ذلّ).

(٨) الغرنوق: طائر طويل الساق. إذا بدا في كسوة الغرنوق (عارياً أو كالعاري).

مشمِّرًا في الوحْــل عن ساقَيْـهِ　　مُــداوِلاً عَصــاه في كَفَّيــه.
فمرّةً يُعطي وألفــــاً يمنَــعُ،　　ومرّةً يمشي وعشْراً يَقَــــــعُ.

ونشأت في هذا العصر « مجاميع الشعر »، بدأها الفتحُ بنُ خاقانَ (ت ٥٢٩ هـ) بكتابين: « مطمح الأنفس ومسرح التأنُّس في مُلَح أهل الأندلس » جمع فيه نماذجَ لثلاثِ طوائفَ من الذين قالوا الشعرَ قبل أيامه[١]: ثمانيةَ عَشَرَ من الوزراء وتسعةَ عَشَرَ من الفقهاء وأربعة عَشَرَ من الأدباء، ذكر في مقدمة « المطمح » أن الذي ندبه إلى جمعها الوزيرُ أبو العاصي حَكَمُ بنُ الوليد[٢]. والذي يبدو أن الفتحَ بنَ خاقانَ قد جمع هذه النماذجَ هَوْناً وعَفْوَ يدهِ لِمُلْحةٍ في كل نموذجٍ عدّها أهلاً لأن تُذْكَرَ في كتابه. ولستُ أدري بأيِّ شيءٍ آستحقَّ « الفقيهُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ عبدِ الله بن مَسَرّةَ » (ت ٣١٨ هـ) مكاناً في « المطمح » (ص ٥٨) بهذين البيْتين وحدَها:

أقْبِــلْ فــإنّ اليومَ يومٌ دَجْن　　إلى مكــانٍ كالضمــير مَكْــني[٣]
لنــا بحُــكمٍ فيــه أشهـى فنّ　　فأنت في ذا اليومِ أمْشى مِنّي[٤].

مع أن الفتح بن خاقان قد ذمّه وكشف عن إلحاده.

وأما « قلائد العقيان ومحاسن الأعيان » فهو أكبرُ حجماً من « المطمح » وأوفى اختياراً. ولكنْ يبدو أن الفتح قد قَصَره على المعاصرين له وزاد في مدحهم على حسب ما نال من عطائهم.

وللنماذج التي اختارها الفتحُ في كِتابَيْهِ « المطمحِ » و « القلائدِ » مقدماتٌ إنشائيةٌ لَفظية ليس فيها فائدةٌ تاريخية ولا هي صالحة لأن تكون أساساً لمعرفة خصائص الشاعر. ولا ريبَ في أن الصفات التي كان يخلَعُها الفتحُ على كل شاعرٍ كانتْ تستند إلى رضا الفتح عنه. فالغالب أن الفتحَ قد أرادَ التكسُّب في « القلائد »

---

(١) راجع بالنشبا ٢٩٨.
(٢) راجع مقدّمة المطمح (منقول بعضها في نفح الطيب ٧: ٦٠).
(٣) دجن: غيم. مكني (مستور عن عيون الناس).
(٤) لنا بحكم فيه (نحن نحكم فيه بما نشاء: نفعل ما نشاء من لهو). أمشى منّي: أقدر على المشي منّي (أبرع منّي في ذلك اللون من اللهو).

من الشعراء الذين سلكهم في كتابه.

قال الفتح بن خاقان في مطلع «ترجمة» الحاجب جعفر بنِ عُثمانَ المُصْحفيّ[1] في «المطمح» (ص ٤): «تجرّد للعُليا وعرّد في طلب الدُّنيا حتى بلغ المنى وتسوّغ ذلك الجنى[2]. فسما دون سابقةٍ وارتقى إلى رتبة لم تكن للَبينَتِهِ بمطابقة[3]. فالْتاح في أفياء الخلافة وارْتاح إليها بعِطْفِه كنَشْوان السُّلافة[4]. واستَوْزَرَهُ المُستنصرُ، وعنه كان يسمعُ وبه يُبْصِرُ.....[5]».

هذا كلام قد يكون حُلْواً في الخيال، وهو منطوٍ على شيء من الحقيقة. ولكنْ لا يستطيعُ أحَدٌ أن يَصِلَ إلى هذا الشيء من الحقيقة إلاّ إذا كان عارفاً بالمصحفي وبأحواله معرفة تامّة. وإنّ ممّا يُؤسَف له أنّ هذه الخُطّةَ الرديئةَ قد تركتْ أثرها ظاهراً على كثيرين من الذين جمعوا مختارات من الشعر كابنِ بسّام (ت ٥٤٢ هـ) في «الذخيرة» حتى نَصِلَ إلى لسانِ الدين بنِ الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) في «الكتيبة الكامنة» وسواها. وكذلك فعل الحِجاري (ت ٥٥٠ هـ) لما وضع كتابه «المُسْهِب». ثم انتقل هذا السوء (مع الإيجاز) إلى «المُغرب» لابن سعيدٍ العَنْسيّ (ت ٦٨٥ هـ).

- النقد:

نبدأ في النقد الأدبي في هذا العصر بالفتح بنِ خاقانَ (ت ٥٢٩ هـ) مَعَ أنّ نقدَه، يتعلّق في الأكثر بالشاعر لا بشِعره. ثم إن أحكامَه شخصيةٌ قاصرةٌ في جملٍ عاطفية مسجوعة. ومعَ ذلك ففيها بذور من النقد مفيدة في عدد من الأحيان. فمن أحكامه التي لا فائدة فيها قوله في أبي عامر بن شُهيد (المطمح ١٦): «عالم بأقسام البلاغة ومعانيها، حائز قَصَبَ السبق فيها. لا يُشبِهُه أحدٌ من أهل زمانه، ولا يُنسق في نسق

(١) للمصحفي هذا ترجمة مستقلّة (ت ٣٧٢ هـ).

(٢) الجنى: الثمر. تسوّغ (ليست في القاموس): أجاز الأمر لنفسه، وجد ذلك الأمر سائغاً.

(٣) اللبينة: (؟) اللبين (الذي يربّى على لبن الحيوان- البقر، مثلا).

(٤) التاح: عطش، تغيّر (لا معنى لها هنا)- لعلّه يقصد رؤى. النشوان: السكران. السلافة: الخمر.

(٥) المستنصر: الحكم (مكث في الخلافة في الأندلس من ٣٥٠ إلى ٣٦٦ هـ) ابن عبد الرحمن الناصر. عنه يسمع وبه يبصر (يعتمد عليه في أعماله).

من درّ البيان وجُمانه. توغّل في شِعاب البلاغة وطُرُقها، وأخذ على مُتعاطيها ما بين مَغْربها ومَشرقها. لا يقاومه عمْرو بن بحرٍ ولا تراه يغترف إلا من بحرٍ...... »، وأمّا أحكامه التي تنطوي على شيء من الفائدة فقوله في أبي حفصٍ احمدَ بنِ بُردٍ (المطمح ٢٤): «وأبو حفصٍ هذا بديعُ الإحسان بليغ القلم واللسان، مليحُ الكتابة فصيح الخطابة. وله رسالة السيف والقلم وهو أول من قال بالفَرْقِ بَيْنَهما. وشعره مُثَقَّف المباني.... ».

وعَرَضَ ابنُ خَفاجةَ (ت ٥٣٣ هـ) في مقدمة ديوانه لشيءٍ من النقد المنظّم فاعتمد في تقديم الشاعر على ما في شعرهِ من جَزالةٍ ورِقّة. ثم هو يرى أنّ الشعرَ قائمٌ في الأصل على التخييل (على الزيادة فيما يرى الشاعر في الواقع) وليس في ذلك شيءٌ من الكَذِبِ ضرورةً. وابنُ خفاجةَ أميلُ إلى الأخذ بالجانب الفنّي (جمالِ التعبير وغرابته) منه إلى الجانب الأخلاقي (موافقةِ الشاعرِ في أقوالِه لعاداتِ زمانه ومكانه) لأنه يذهب إلى أن الشعرَ تعبيرٌ عن الواقع الشخصي للشاعر نفسِه.

ولأبي الطاهر الاشتركوي (ت ٥٣٨ هـ) أحكامٌ ساقَها في مَقامتين له: أحكامٌ عامّةٌ قليلةُ الفائدة جَمَعَ أكثرَها من أقوالِ الذين سبقوه (راجع ترجمته).

ومَعَ أن ابنَ بسّامٍ (ت ٥٤٢ هـ) صاحبَ «الذخيرة» قد سار في تعريف الشعراء على خُطى الفتح بنِ خاقانَ أو قريباً من ذلك في النثر الأنيق المسجوع، فإن في كتابه «الذخيرة» أُسُساً للنقد متفرقةً لا نَجِدَ فيها شيئاً من الآبتكار. كان آبنُ بسّامٍ يُريد إبرازَ بدائعِ الأدب الأندلسي لَوْماً لأولئك الذين يَرَوْنَ الإحسانَ في شعرِ المَشارقة وحدَهم. ثم إنه يَميلُ إلى الجانب الأخلاقي في الشعر فَيَحْمِلُ على الهِجاء ويُهْمِلُ إيراد ما قَبُحَ منه. وأما كُرْهُ آبنِ بسّامٍ للإكثار من المعاني الفلسفية في الشعر ونُفورُه من الآستعارات البعيدة ثم آستحسانُه الإشارةَ إلى الأحوال دون التفصيلِ فيها إلى جانبِ مَدْحِهِ للبديهة والآرتجال فأشياءُ مشهورةٌ عند ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ). وابن بسامٍ لا يَفْسَحُ في كتابه الواسعِ مكاناً للموشّحات.

أما الذي قَصَدَ إلى النقد في هذا العصر ثم توفّرَ عليه فكان ابنَ عبدِ الغَفور الكِلاعي (ت ٥٤٣ هـ) في كتابه إحكام صنعة الكلام »، مَعَ العلم بأنّ هذا الكتابَ

أَلْصَقُ بعلم البلاغة عامةً منه بفنّ النقد خاصةً. وأكثرُ آهتمامِه في هذا الكتاب بالنثر، وقد وفّاه حقه من جَمْلهِ أنواعاً ومن تعريفِ تلك الأنواع. وهو يُفَضِّلُ النثرَ على الشعر.

ومَعَ تأخُّرِ ابن خِيرةَ المواعيني (ت ٥٦٤ هـ) في الزمن فإننا نستطيعُ أن نسلُكَهُ في عصر المرابطين. لابن خيرة كتبٌ في النقد منها «الرَّيْحان والرَّيْعان» آعتمد فيه كثيراً من كتب المشارقة. فهو يرى حُسْنَ مخارج اللفظة المُفْرَدَةِ (بتباعد مخارج حروفها طلباً للوضوح في اللفظ) وحسن تأليفها (تركيبها في الجملة) مَعَ الموافقة بين اللفظ والمعنى. ويرى أيضاً الآبتعادَ (في الشعر) عن الضَّروراتِ (الجوازات الشاذّة) وعن الحَشْو والإخلال (زيادة الألفاظ أو نقصها عما يجب). ولكنْ لا بأسَ بالكَذِب (المبالغة) في الشعر. أمّا الخَطابة فيجب أن تكونَ أقربَ إلى الواقع.

صورة الحياة العامّة

كانتِ الصلاتُ بين العُدوتين: العدوة الأوروبيّة (الأندلس) والعُدوة الإفريقية (المَغرب) وثيقةً دائماً، وكان التبادل الاجتماعيّ والثقافيّ كثيراً. ولما بسط المرابطون نفوذَهم السياسيَّ على الأندلس كَثُرت تلك الصِلاتُ وتوثّقت. وقبل مجيء المُرابطين إلى الأندلس كانتِ الأندلس من الناحية السياسة في دَرْكِ انحطاطها. فلما انتصر يوسفُ بنُ تاشفينَ على الإسبان وحَطّم مقاومتَهم العسكرية، إلى حينٍ، استروَحَ المسلمون في الأندلس رِيحَ القوة وتجدد أملُهم في البقاء. وأدرك نصارى الأندلس أنهم قد هُزموا في مَعْرَكةٍ فاصلة (معركة الزَّلاقة) ولكنهم لم يَتْركوا القتال. ثم إن نصارى أوروبة (بزَعامة البابوية) زادتْ في عزيمتها على الحرب. ولما أيقنتِ البابوية أنها لن تقوى على مُجابهة يوسفَ بنِ تاشفينَ وجّهتْ وجهها نحوَ الشرق ونقلت حربَها الصليبيةَ مِنَ الأندلس إلى فِلَسْطين.

بعدَ القضاء على ملوكِ الطوائفِ أصبحَ للأندلسِ حاكمٌ واحد، كان أميراً من المرابطين. وكان هذا الأمير المُرابطي يُعيّنُ على قواعدِ الأندلس (المُدُنِ الكبيرة فيها) وُلاةً. ويبدو أن الولاةَ كانوا دائماً من المُرابطين (أهل المغرب) ولكنّ الوُزراءَ كان

بالإمكان أن يكونوا من الأندلسيين، فلقد وَزَرَ ابنُ باجُّه مَثَلاً لأبي بكرِ بنِ إبراهيمَ اللمتوني في غَرْناطة. وكذلك لم تكُنْ مُدَدُ الوُلاةِ على الأندلس تطولُ في العادة - وإنْ كان سِيرُ بنُ أبي بكرٍ قد ظَلّ في وَلايته إشْبيليَةَ سبعاً وعِشرينَ سَنَة - كيلا يُحاولَ أحدٌ منهمُ الاستبدادَ بالبَلَدِ الذي تحتَ يَدِهِ.

ثمّ إن المرابطين حَرَصوا على دَوام العَدْل في الرَعيّة، فقد كتب أبو القاسمِ بنُ الجَدّ (على لسانِ يوسُفَ بنِ تاشفين) رسالةً إلى أبي محمدِ بنِ فاطمةَ (أحَدِ عُمّاله - ولا رَيْبَ في أنّ فَحْوى هذه الرسالةِ يُمكِنُ أن يَنْطبقَ على أهلِ المغرب وعلى أهل الأندلس) يقولُ:

« .... فاتّخِذِ الحقَّ إمامَك ومَلِّكْ يَدَكَ زِمامَه، وأجْرِ عليه في القَويّ والضعيف أحكامَك. وارْفَعْ لِدَعْوةِ المظلومِ حِجابَك ولا تَسُدَّ في وَجْهِ المُضْطَهَدِ بابَك. ووَطِّئْ للرعية - حاطَها اللهُ - أكنافَك. وابْذُلْ لها إنصافَك. واستعملْ عليها مَنْ يَرْفِقُ بها ويَعْدِلُ فيها، واطَّرِحْ كلَّ من يَحيف[1] عليها ويُؤذيها. ومن سَبّب عليها من عُمّالك زِيادةً أو خَرَقَ في أمرها عادة، أو غيّرَ رسماً أو بدّل حُكْماً، أو أخذ لنفسِه منها دِرْهماً ظُلماً، فاعْزِلْهُ عن عمَلِه وعاقِبْهُ في بَدَنِه، وألْزِمْه رَدَّ ما أخذ - تَعَدّياً - إلى أهلِه واجْعَلْهُ نَكالاً[2] لغيرِه حتى لا يُقْدِمَ منهم أحدٌ على مِثْلِ فعلِه.... » (قلائد العقيان ١٢٧ - ١٢٨).

وكان لوزراء المرابطين سُلطةٌ واسعة لا تقتصر على المغرب فقط بل تتناول الأندلس أيضاً، كما كان للقُضاة مثلُ تلك السلطة، ذلك لأنه كان للفقهاء أثرٌ كبير في نُصرة المرابطين، فقد كانوا حَبّبوا حُكْمَ المرابطين إلى الناس - بعد أن كان حكمُ ملوكِ الطوائف قد أمَلّ الناس لكَثْرة ما كان في عهدهم من الترف ومن الحُروب التي ضيّعتْ بلاداً كثيرة فنقلتها من حُكْمِ ملوكِ الطوائفِ المسلمين إلى حكمِ ملوكِ الإسبان النصارى.

---

(١) حاف: جار وظلم.

(٢) النكال: العقاب (بشدّة تردع الآخرين من الوقوع في الذنوب).

وهؤلاء القُضاةُ الذين أصبحتْ لَهُمُ السلطةُ الواسعة على الناس في المَغرب والأندلس معاً، بما كان المرابطون قد خَوّلوهم من المكانة لم يَتْرُكْهُمْ سلاطين المرابطين بلا نُصْح أو تذكيرٍ بلزومِ العَدْلِ في الناسِ والرِفْق بهم. إن القاضيَ لما أصبحتْ له السُلطةُ والرَقابة على القضاء والفُتْيا والشُورى والخُطبة (يوم الجمعة) وعلى أحكام السوق كُلّها (رَقابة سُلوك الناس ثم الفَصْل في مُنازعاتهم)، مما كاد يجعَلُه حاكماً فَرْداً، مالَ في عددٍ من الأحوال إلى شيءٍ مِنَ الاستبداد وإساءةِ التصرُّف. من أجل ذلك كَتَبَ ابن القصيرة الإشبيليُّ (ت ٥٠٨ هـ) إلى قاضي الجماعة بقُرْطُبَةَ ابنِ حَمْدين (تولّى القضاءَ من سَنَةِ ٤٩٠ إلى وفاتِهِ في المُحَرَّم من سَنَةِ ٥٠٨) - على لسانِ أميرِ المسلمين يوسفَ بنِ تاشفينَ - (الذخيرة ٢ : ٢٦١):

« .... اسْتَهْدِ اللهَ يَهْدِكَ، واسْتَعِنْ به يُعِنْكَ في صَدْرك ووِرْدِك[1]. وتَوَلَّ القضاءَ الذي وَلّاكَهُ اللهُ بجدّ وحَزْم وجَلَدٍ وعَزْم. وأمْضِ القضايا على ما أمضاها اللهُ تعالى في كِتابه وسُنّة نبيّه.. وآسِ[2] بينَ الناسِ في وَجْهِكَ وعَدْلكَ ومجلسكَ حتى لا يطمَعَ قويٌّ في حَيْفِكَ ولا يَيْأسَ ضعيف من عدلك. ولا يكُنْ عندك أقوى من الضعيف حتى تأخُذَ الحقَّ له، ولا أضعفُ من القوي حتى تأخُذَ الحقَّ منه...... » (إن هذه الرسالة - والجُمَلَ الأخيرةَ منها خاصةً - مأخوذةٌ من رسالة عمرَ بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعريّ في القضاء).

ومَعَ هذا كُلّهِ فقد أساء نفرٌ من القضاة تَصَرُّفَهم في الرعية وأموالِ الرعية، حتى قال الشاعر الأندلسي ابنُ البُنّيّ يهجو قاضيَ قُضاةِ قُرطُبَةَ ابنَ حَمْدين نفسَه (المعجب ١٢٢ : راجع نفح ٣ : ٤٤٨ - هي للأبيض).

أهلَ القضاء، لَبِسْتُموا ناموسَكم ... كالذِئبِ أدْلج في الزمانِ العاتِم[3]

---

(١) الصدر (الرجوع عن الماء بعد الشرب) والورد (بالكسر) والورود (الذهاب إلى الماء للشرب): في جميع اعمالك.

(٢) آسى بين الشخصين: سوّى بينهما.

(٣) عتم (بفتح ففتح) الليل: بدأ ظلامه. أدلج: سار في أوّل الليل. الناموس: الشريعة (القانون) - لبستم ناموسكم (تخذتم عملكم في القضاء ستاراً على استغلال القضاء وظلم الناس).

فَمَلَكْتُمو الدُنيا بمذهبِ مالكٍ[١]، وقَسَمْتُمو الأموالَ بابنِ القاسم[٢].
وركِبْتمو شُهْبَ الدَوابِ باشْهَبٍ[٣]، وبأصْبغٍ صُبِغَتْ لكم في العالم[٤].

* * *

والمغاربة كانوا دائماً كِثاراً في الأندلس، ولكنهم الآن أصبحوا أهلَ طَبَقةٍ سائدةٍ وأخذَ كثيرون من الأندلسيين يقلدونهم في اللثام[٥] خاصة ويسيئون التصرف في الأمور أيضاً، بالإضافة إلى حياة الترف البالغ التي كانوا يَحْيَوْنَها. وبرزت المرأة في الأندلس- تشبها بالمرأة الصنهاجية من الملثمين[٦]- فوق ما كان لها من البروز قبل الحكم المرابطي في الأندلس. ثم لم يَخْلُ عصر المرابطين في الأندلس من مثل رجل شُعوبيّ كأبي عامر بن غرسيه (راجع أخباره المفصلة في الجزء الرابع).

الحياة الثقافية

إنّ الاتجاهَ الدينيَّ الواضحَ في نشأة دولة المرابطين ظَهَرَ بارزاً جدًّا في الحديث. غيرَ أن جُهد المُحَدّثين آنصرفَ إلى أمورٍ جانبية في الأكثر: في مختاراتٍ مُعَيّنة من كتب الحديث وفي تعريفِ رِجالِ السَنَد في الحديث وفي أشياءَ من أصول التَحْديث،

---

(١) مذهب مالك (بن أنس): المذهب الرسمي في المغرب والأندلس- ملكتم الدنيا بمذهب مالك: استغللتم انتاؤكم إلى المذهب الرسمي للحصول على المغانم الشخصية.

(٢) وقسَموا (اقتسمتم) الأموال (بينكم) بابن القاسم= أبو عبد الله عبد الرحمن بن قاسم العتقي (بضم ففتح) فقيه مصري ١٣٢- ١٩١ هـ) تفقّه على الإمام مالك وصحبه عشرين سنة. وانتفع به أصحاب مالك بعد موت مالك. وهو صاحب «المدونة» (المصدر الرئيس في الفقه المالكي)، وعنه أخذها سحنون (ت ٢٤٠ هـ).

(٣) ركبتم شهب الدوابّ (البغال): نلتم المناصب العالية وتنعّمتم بالحياة الناعمة. وأشهب بن عبد العزيز القيسي (١٤٥- ٢٠٤ هـ) فقيه مصر في زمانه صحب الإمام مالك زماناً.

(٤) أبو عبد الله أصبغ بن الفرج المصري (ت ٢٢٥ هـ) كان تلميذ ابن القاسم. صبغت لكم (اللقمة) بأدم (بفتح ففتح): وضع لكم دسم على خبزكم (تنعّمتم في الحياة).

(٥) اللثام: القناع- جعل الأندلسيون يضعون اللثام على وجوههم (تقليداً للمرابطين ليتصرفوا كأنهم حكام أو أعيان).

(٦) كانت المرأة من المرابطين برزة (تكشف عن وجهها- بخلاف الرجال من قومها).

نذكُر من هؤلاء: الحُسينَ بنَ محمدِ الغَسّاني الجَيّانيّ (ت ٤٩٨ هـ) له «تقييدُ المُهْمَلِ وتَمْييزُ المُشْكِل من رِجال الصَّحيحين»، وله «الكُنى والألقاب». وقد كان بارعاً في التحديث، رَحَلَ الناسُ إليه وأخذوا عنه. وهناك رَزِينُ بنُ مُعاويةَ العَبْدَريّ (ت ٥٢٤ هـ) له «التجريدُ في الجَمْعِ بين المُوَطَّأ والصِحاحِ الخمس»، وله «أخبارُ مكّةَ والمدينةِ وفضائلُها». ولعبدِ اللهِ بنِ عليٍّ الرُشاطيّ (ت ٥٤١ هـ) تصانيفُ في تصحيحِ كُتُبِ الحديث وفي أنسابِ الصَّحابة. وكذلك لابنِ وكيلِ الإقليشيّ (ت ٥٤٩ هـ) مُختاراتٌ من كتب الحديث وشيءٌ من التأكيد على الجانب الصوفي منها. ومثلُه في المَيْلِ إلى الجانبِ الصوفيّ عبدُ المجيد بنُ عُمَرَ الميانِشيّ (ت ٥٧٩). وكان لمحمدِ بنِ عليٍ بن ياسينَ الأنصاريّ الجَيانيّ مُختاراتٌ من رواياتِ مَن آسْمُ كلّ واحدٍ منهم محمدٌ. واشهَرُ هؤلاء في العصرِ الذي نُعالجه أبو بكرِ بنِ العربي (ت ٥٤٣ هـ) والقاضي عِياضُ بنُ موسى (ت ٥٤٤ هـ).

وكان المَيْلُ في هذا العصر إلى الفِقه السَلَفيّ مَعَ التشدّد في الجوانب النظريّة منه وفي الفروع أيضاً. لقد رَفَعَ المُرابطون (في المغرب وفي الأندلس) لِوَاءَ السُنّة ورَفَضوا الرأيَ والفَلْسفة، وبَلَغ من تَشَدّدهم أن أحرقوا كُتب الإمامِ أبي حامدٍ الغزّالي (ت ٥٠٥ هـ) مَعَ العِلمِ بأن الصِلاتِ بين الغزّاليّ ويوسفَ بنِ تاشفينَ كانتْ حسنةً، وكان مِنَ المنتظر أنْ يستجيب الغزاليُّ لدعوةِ يوسفَ بنِ تاشفين في المجيء إلى المَغرِب لولا وفاةُ ابنِ تاشفينَ في سَنَةِ ٥٠٠ هـ. غير أن هذا التشدُّدَ لم يمنَعْ مِنَ الجَدَلِ ومِنَ اتجاه نَفَرٍ مِنَ الفقهاء نحوَ عِلْمَ الكلام من أمثال ابنِ السِيدِ البَطَلْيَوْسِيّ (ت ٥٢١ هـ) ويَحْيى ابنِ عُمَرَ بنِ سعدونِ القُرطبيّ (ت ٥٦٧ هـ). ولقد ذَهَبَ بالشُهرة في أصول الفِقه والكلام وفي فُروع الفِقه أيضاً أبو بكرِ بنِ العربي والقاضي عِياض.

ثم يحسُنُ أن نذكُرَ من فقهاء هذا العصرِ أبا الوليدِ بنَ رُشْدِ الجَدّ (ت ٥٢٠ هـ) ومحمدَ بنَ عليٍّ المازَرِيُّ الصِقِلّيّ (ت ٥٣٦ هـ) ثم أبا بكرِ بن العربيّ والقاضيَ عِياضاً أيضاً.

ثم نَنْتَقِلُ إلى العلومِ الرِياضية والعلوم الطبيعية.

كان إبراهيمُ بنُ يحيى المعروفُ بابن النقّاش الزرقالي (ت ٤٩٣ هـ) بارعاً في علوم

الفَلَكِ النَظَرية والعَمَلية له كتاب العَمَلِ بالصَحيفة الزيجية (للاستدلال على حركات النجوم) وكتاب حركات النجوم الثابتةِ (الثابتةِ بالإضافة إلى الأرض)، وله أيضاً «المُدخِلُ إلى علمِ النجوم». ثم هو أبرعُ أهلِ زمانه في رَصْد النجوم.

ولأبي الصَلْتِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ العزيز (ت ٥٢٩ هـ) براعةٌ في الطِب والأدب وغيرها، ولكنّ براعتَهُ البارزةَ كانت في الفيزياء وفي عِلْم الحِيَل (الميكانيك) خاصة.

واشتهرَ في هذا العصرِ عالمانِ في الجغرافية أحدُهما الشريفُ الإدريسيّ (ت ٥٦٠ هـ) صاحبُ كتاب «نُزْهَة المُشتاق في اختراق الآفاق» ألّفه حينما انتقلَ إلى جزيرةِ صِقِلّيَةَ لِمَلكِها رُجّارَ (روجر) الثاني النورماني، ولذلك يُعْرَف كتابُه أيضاً بعُنوان «الكِتاب الرُجاريّ». ولقدِ استعانَ الشريفُ الإدريسي في تأليفِ هذا الكتاب بنَفَرٍ من العُلماء كان يَبْعَثُ بهم إلى الأقطار المختلفة (والقريبة منه) مَعَ المسّاحين والرسامين لدراسة طبيعة البلاد التي يذهبون إليها. ولقد وضعَ الشريفُ الإدريسي للعالمِ المعروفِ في زمانه خارطةً على شيءٍ كثير من الدِقّة واصطلح فيها على أن يكونَ الجَنوبُ في جانبها الأعلى (بِخلاف ما عليه الاصطلاحُ اليومَ من أن الشّمال هو الجانبُ الأعلى). ثم إنه رَسَمَ العالمَ على كُرَةٍ من الفِضة. ثم يأتي هنا أبو حامدٍ محمدُ بنُ عبدِ الرحيم المازنيُّ (ت ٥٦٥ هـ)، وكان رحّالةً كثيرَ الأسفار بعيدَها زار بلادَ البُلغار والروس والخَزَر وخَوارَزْمَ (في الجانب الشرقيّ من أوروبة خاصة). وللمازنيّ كتبٌ منها: المُغرِب في عجائب المَغْرب - تُحفة الكِبار في أسفار البحار.

واشتهر في هذا العصر يَحْيى بنُ محمدِ بنِ العَوّام (ت نحو ٥٨٠ هـ) صاحبُ كتاب «الفِلاحة النبطية» جَمَعَهُ من مَصادرَ مختلفةٍ يونانيةٍ في الأكثر ثم أضاف إليه ملاحظاتهِ الكثيرة.

ولَمَعَ الطِبّ في هذه الحِقبة من التاريخ لَمَعاناً شديداً. لقدِ ازْدانَ هذا العصرُ باثنينِ من بني زُهْرٍ أوّلُهما أبو العَلاء زُهْرُ بنُ عبدِ الملك (ت ٥٢٥ هـ) وكان بارعاً جدًّا في التطبيب فنال منزلةً ساميةً عند المرابطين، ولكنه كان أيضاً بَذيءَ اللسان كثيرَ التكَبُّرِ. أهْدى إليه رجلٌ نُسخةً من كِتاب «القانون» لابنِ سينا (ولم يكُنْ كتابُ القانون قد وَصَلَ بعدُ إلى الأندلس) فازْدرى الكتابَ وجعَلَ يَقْطَعُ منه طُرَراً (قِطعاً)

يكتُبُ عليها وَصَفاتِه. وإذا كان هذا العملُ في نفسِه يدُلُّ على شيءٍ مِنَ الثِقة بالنفس وعلى شيءٍ من البراعة، فإنه- في الوقتِ نفسِه- يدُلُّ على كثيرٍ من الجَهْل وقِلّة التهذيب. وكذلك بَرَعَ أبو مروانَ عبدُ الملك بنُ زُهْرٍ (ت ٥٥٧ هـ) في التطبيب واشتهر به وكان ناجحاً جَمَعَ من صِناعته ثروةً عظيمة. ولكنْ كانتْ له آراءٌ شاذّةٌ منها أنه مَنَعَ الحمّامَ (الاغتسال بالماء) ظنًّا منه أن الماء يُدْخِلُ على الجسم عُفونةً تَضُرُّ به. ولعلَّ ابنَ زُهْرٍ هذا كان مُتأثِّراً بسُلوكه في ذلك بنصارى أوروبةَ الذين كانوا يمنَعون الاغتسال، لأنّ الاغتسالَ يُزيلُ أثر ماء «التعميد» الذي كان طِفلُهم يُغمَسُ فيه لإدخاله في النصرانية.

ومن البارعين في المُداواة أحمدُ بنُ محمدٍ الغافقيُّ (ت ٥٦٠ هـ) كان عارفاً بالأدوية المُفردة جامعاً لِمَا عَرَفَ الأوائلُ (القدماء: اليونان) منها (طبقات الأطباء ٢: ٥٢). وكانت له كُتُبٌ منها: «دَفْعُ المَضارّ الكُلية للأبدان الإنسانية» (؟)…. (بروكلمن ١: ٦٤٣). وفي تلك الحِقبة نفسِها عاش محمدُ بنُ القاسمِ بنِ أسلمَ الغافقيُّ الذي بَلَغَ أشُدَّه في القرن الهِجْري السادسِ، وكان كحّالاً (طبيباً للعيون)، وله كتابٌ مطبوع (بروكلمن، الملحق ١: ٨٩١).

* * *

ونَضِجَتْ الفلسفةُ في الأندلس في هذه الحِقبة بظهورِ ابنِ باجّه (ت ٥٣٣ هـ) خاصةً. كان ابنُ باجّه عالماً وأديباً وموسيقيًّا وفيلسوفاً وطبيباً. غيرَ أن شُهرتَه بالفلسفةِ غَطّتْ على كلّ فنٍّ آخرَ له، فَهُوَ الذي بنى التفكيرَ الفلسفيَّ على الرياضيات والطبيعيات واقترب بالفلسفةِ من أنْ تكونَ علماً ثم قال إن التَصَوُّفَ يُميت الحِسَّ ويمنعُ التفكيرَ السَويَّ في المُتصوّفْ. ويحسُنُ أنْ نذكُرَ في هذه التَوْطِئة ابنَ السِيد البَطَلْيَوْسِيَّ (ت ٥٢١ هـ) فلقد كان هو أيضاً أديباً ولُغَوِيًّا وفقيهاً وفيلسوفاً. وتجدُرُ الإشارة هنا إلى كِتابه «الحدائق» وهو خَمْسُ مقالاتٍ فلسفيةٌ سهلةُ الأُسلوب مُوجزةُ البحثِ تتناول عدداً من الآراء اليونانية عندَ أفلاطون خاصةً- لا تَتّفقُ دائماً مَعَ آراء أفلاطون، وتلك مُشْكلةٌ معروفة في الفلسفة الإسلامية لا مَجالَ للتبسّط فيها في هذه الأسطر.

ويبرزُ في هذا الدَوْرِ أبو بكرٍ الطُرطوشيُّ (ت ٥٢٥ هـ) فيلسوفاً اجتماعياً سابقاً في تعليل التاريخ على ابنِ خَلْدونٍ. وابنُ خَلْدونٍ يُشير إلى ذلك صَراحةً ويرى أن كثيراً من آرائهِ التاريخية قد وَرَدَتْ عند الطُرطوشيّ هذا، ولكنّ آبْنَ خَلْدونٍ - كما يقولُ آبنُ خَلْدونٍ نفسُه - قد زادَ على الطُرطوشيّ في تنظيم هذه الآراء وفي التبسُّط فيها وضَرَبَ الأمثلة عليها - راجع ترجمة الطرطوشي (في هذا الجزء) وترجمة عبد الرحمن ابن خلدون في الجزء التالي).

وبينما كان ابنُ باجَّه يرفُضُ التصوفَ كان أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ العَريف (ت نحو ٥٣٦ هـ) يشُقُّ في التصوّفِ طريقاً جديداً هو الزُهْدُ في كلّ شيءٍ إلا في الله، وذلك هُوَ التخلّي الكاملُ عن كلّ أمرٍ من أمور الدنيا. ونحنُ نَشُمّ في ذلك شيئاً من رائحةِ الهِنْدوكية. ولابنِ العَريفِ هذا كتاب «مَحاسنِ المجالس» ذَكَرَ فيه الصِفاتِ التي رآها هو ضَرورِيةً في المتصوف. وكانتْ له أيضاً قصيدةٌ صوفية. ويبدو أنّ التصوفَ قدِ آنْحَرَفَ آنحرافاً أكبرَ مَعَ أبي القاسمِ أحمدِ بنِ القيسي (؟) الذي قَتَلَهُ المُرابطون سَنَةَ ٥٤٦، فإنه كان قدْ أقام للمُريدين من أتباعه رِباطاً في غربيّ الأندلس (البرتغال اليوم)، وله كتابُ «شَرْحِ حديثِ خَلْعِ النَعْلَيْنِ» (صاحبُ هذين النعلين: رسولُ الله) وآقتباسُ الأنوار من موضع (؟ موطىء) القَدَمَيْنِ (بروكلمان، الملحق ١: ٧٧٦).

ويبدو أن آهتمامَ المؤرّخين في هذا الدَّوْرِ كان مُنصرفاً إلى كُتُب التراجم وكتب الخصائص الجانبية، فمن هؤلاء المؤرّخين: ابنُ مُدَيْرٍ (ت ٤٩٥ هـ) ومحمّدُ بنُ عَلْقَمَةَ الصَدَفِيّ (ت ٥٠٩ هـ) له «البَيانُ الواضحُ في المُلِمِّ الفادِح» (في تاريخِ مدينة بَلَنْسِيَةَ وتغلُّب الإسبان عليها ومِحْنتها). ثم هنالك عبدُ الجبار بنُ عبدِ الله بنِ أصبغَ (ت ٥١٦ هـ) له «عيون الإمامة ونواظر السياسة» ومحمدُ بنُ فِيرُه بنُ سُكّرةَ الصَدَفيّ (تُوُفيَ ٥١٦ أيضاً) ثمّ محمدُ بنُ يَحْيى بنُ يَنّقَ (ت ٥٤٧ هـ) له كتابُ «ملوكِ الأندلس والأعيان والشعراء» ثمّ أبو بكرٍ يحيى بنُ مُحمدِ بنِ يوسُفَ الأنصاريُّ الغَرْناطِيّ له «أخبار دولة لَمْتونةَ» (المرابطين) ثم محمدُ بنُ أحمدَ الطُرطوشي البَلَويّ (ت ٥٥٩ هـ)- وهو مؤلّف مُوسِعِيّ- له من الكتب: كتابُ «أُنموذَجُ العُلوم»

وكتاب « دُرَرُ القلائِد وغُرَرُ الفوائد » وكتاب « أخبارُ الأندلس وأُمرائها وطَبَقات عُلمائها وشُعرائها ». ثم هنالك ٱلْيَسَعُ بنُ عيسى بنُ حَزْمٍ الغافقيُّ (ت ٥٧٥ هـ) له: كتابُ « فضائل أهلِ المَغرب » وكتاب « المُعرب في محاسن أهل المَغْرب ». وأشهَرُ هؤلاء كُلِّهمُ ابنُ بشكوالَ (ت ٥٧٨ هـ) صاحبُ كتابِ « الصلة ».

تاريخ الفكر

ما دامتْ حركةُ المرابطين قدْ بدأتْ دينيةً وردّةَ فعلٍ على ما انتشر من الترف وتوابعه في عصر ملوك الطوائف، فقد كان من المنتظر ألّا تَلْقى الفلسفةُ في أيام المرابطين أرضاً صالحةً وخصوصاً إذا نحن عَلِمْنا أن الفلسفةَ في الأصل نتاجٌ يونانيٌّ غريبٌ وَوَثَنِيٌّ. من أجل ذلك يقولُ عبدُ الواحدِ المَرّاكُشي (المعجب ١٢٣، راجع ١٢٨): « ولم يكُن يقرُبُ من أميرِ المسلمين ويَحْظى عِنْدَه إلا مَنْ عَلمَ عِلْمَ الفُروع - أعْني فروعَ مذهبِ مالكٍ- فَنَفَقَتْ في ذلك الزمان كُتُبُ المذهبِ وعُمِلَ بمُقتضاها ونُبِذَ ما سِواها، وكثُرَ ذلك، حتّى نُسيَ النظَرُ (أيِ التفكيرُ بالتأويل) في كتابِ اللهِ وحديثِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فلم يكن أحَدٌ من أهلِ ذلك الزمان يَعْتني بها كلَّ الاَعتناء. ودانَ أهلُ ذلك الزمانِ بتكْفِير كلِّ مَنْ ظَهَرَ منه الخَوْضُ في شيءٍ مِنْ عِلْمِ الكلام. وقرَّرَ الفقهاءُ عند أميرِ المسلمين تَقْبيحَ علمِ الكلام وكراهةَ السلَفِ له وهجْرَهُمْ من ظَهَرَ عليه شيءٌ منه وأنّه بِدْعةٌ في الدين، وربّما أدّى أكثَرُه إلى اَختلال في العقائد.... فكان (أميرُ المسلمين) يُكْتَبُ عنه في كل وقتٍ إلى البلاد بالتشديد في نَبْذِ الخَوْض في شيءٍ منه؛ وتَوَعَّدَ مَنْ وُجِدَ عنده شيءٌ من كُتُبه. ولمّا دخلتْ كتُبُ أبي حامدٍ الغزّالي- رَحِمَهُ اللهُ- المَغربَ أمَرَ أميرُ المسلمين بإحراقِها وتَقَدَّمَ بالوعيدِ الشديد مِنْ سَفْكِ الدَّمِ واستئصالِ المالِ إلى مَنْ وُجِدَ عندَه شيءٌ منها. واَشتدّ الأمرُ في ذلك ».

ثمّ « اسْتُفْتِيَ في ذلك الأمرِ الفقيهُ أبو الحسن البَرْجيُّ فأفْتى بتأديبِ مُحْرِقِها وتَضْمينِهِ ثَمَنَها. وتابَعَهُ على ذلك اَثنان آخرانِ من الفُقهاء » (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ٥٨ - ٥٩). ومَعَ ذلك فلم يَمْنَعْ هذا كلُّه من أن

ينصرفَ نَفَرٌ إلى الفلسفة كابنِ السِيدِ البَطَلْيَوْسِيِّ (ت ٥٢١ هـ) الأديب الذي ألّفَ أيضاً في الفلسفة. غيرَ أن كِتابه «الحدائق» مزيجٌ من الآراء الإسلامية والآراء اليونانية والآراء الهندية وشيءٌ من علم الكلام. وقد سَمّى ابنُ السِيدِ البطليوسيّ كتابَه هذا «كتابَ الحدائقِ في المطالب العالية الفلسفية العويصة» (القاهرة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م). وهذا الكتاب في الحقيقة نُتَفٌ من آراءٍ مختلفة: ففي أصلِ العالَمِ يأخُذُ من أفلاطونَ فيما يتعلق بالمادة والصورة وبترتيب الفَيْض، كما يأخُذُ عن نيقوماخوسَ الجَرَشِي أنّ العددَ هو أوّلُ الموجودات. ويأخذ من أرسطو كلاماً في طَبَقاتِ النفوسِ: النفسِ النباتيةِ والنفسِ الحَيَوانية (البهيمية) والنفس الإنسانية، ويُعرِّجُ في أثناء ذلك على آراء الفارابي في صِلة العُقول (في أثناء الفيض عن الموجود الأول: الله) بالأفلاك.

أما فيلسوفُ هذا العصر والفيلسوفُ الأوّلُ في ترتيب الزمن فهو ابنُ باجّه صاحبُ كتاب «تدبير المتوحد». ولقد كان في عِداءِ المرابطين للتفلسُفِ أثرٌ في اتجاهِ ابنِ باجّه نحوَ القولِ بأن «المُتَوَحِّدَ» هو الرجلُ ذو الفطرةِ الفائقة الذي يُضْطَرُّ إلى أن يعيشَ بين عوامِّ الناس.

ويذكُرُ بروكلمن (الملحق ١: ٤٨١) أن لأبي الحَسَنِ سَلّامِ بنِ سلّامِ الباهليّ (ت ٥٤٤ هـ) كتاباً في الأخلاق (القاهرة ١٢٩٨ هـ). أما الشاعرُ أبو عامرٍ الشَنْتريني (ت ٥٤٥ هـ) ففي أبياته آراءٌ في الموت والحياة (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٢٨ - ١٢٩) لا تبلُغُ إلى أنْ تكونَ تفلسُفاً (ولم أعثَرْ على الشنتريني هذا في فَهارس كتاب «الذخيرة» (بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م).

اللغة

وفي أيام المرابطين اتسعتِ الدراسات اللغوية، ففي باب المُحمدينَ من «بغية الوعاة» للسيوطي، ومن الذين وقعتْ وَفَياتُهم بين ٥١٦ و ٥٤٠ للهجرة (١١٢٥ - ١١٤٥ م) جماعة منهم (على ترتيب الوَفَيات): أبو عبد الله محمد بن الفَرَج الكَتّاني الصِقِلّيّ المعروف بالذكي (ص ٩٠) وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خَلْصة الأندلسي

(ص ٥٢) وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أيمن السعدي الغَرْناطيّ (ص ١٧) وأبو جعفر محمد بن حكيم بن باقي الجُذاميّ السَرَقَسْطي المقتول في تِلِمْسان سَنَةَ ٥٣٨ (ص ٣٨) وأبو الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي المعروف بابن الأشتركوني والمُتوَفّى في قرطبة سَنَةَ ٥٣٨ أيضاً (ص ١٢٠) وأبو الحسن محمد بن أحمد بن خَيْثَمَةَ القيسي (ص ١٧) وأبو عبد الله محمد بن مسعود بن خَلْصة بن أبي الخصال الغافقي (ص ١٠٤). كلُّ هؤلاء كانوا بارعين وجامعين لفنون كثيرة من اللغة ومن العربية (النحو) وغيرها. ويحسُنُ أن نُشيرَ إشارة خاصة إلى ابن القطّاع الصِقِلّيّ عليِّ بنِ جعفرِ السعدي (٣٣ - ٥١٤ هـ) وإلى ابن السِيد البَطَلْيَوْسيّ (ت ٥٢١ هـ). ثم هنالك أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ الملك بن السرّاج الشنتريني (ت ٥٤٩) النَحْوي أحدُ أئمّة العربية المُبَرّزين فيها (ويكفيه فخراً أنه أستاذ أبي محمدٍ عبد الله بن بَرّيّ المِصْريّ اللُغويّ النَحْويّ) قرأ العربية بالأندلس وقَدِمَ مِصْرَ سَنَةَ ٥١٥ وأقام بها وأقرأ الناسَ العربيةَ. ثم انتقل إلى اليمن. ثم إنه عاد إلى مِصْرَ فكان له في جامعها (بالفُسطاط) حَلْقةٌ لإقراء النحو. وكانت وفاته في مِصْرَ (نفح الطيب ٢: ٢٣٨؛ راجع الوافي بالوفيات ٤: ٤٦، بغية الوعاة ٦٨ - ووفاته هنا ٥٥٠؛ راجع بروكلمن ١: ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٣).

النثر

وإذا نحن نظَرْنا إلى النثر على أنه أسلوبٌ للتعبير - في هذه الحِقبة أيضاً - وجدنا أن التقليد فيه للمشارقة كان أكثرَ من تقليد الأندلسيين للمشارقة في الشعر. ولقد غَلَبَ السجعُ والاقتباس (من القُرآن الكريم والشعر والأمثال وغيرها) ولُزوم ما لا يَلْزَمُ خاصةً غَلَبَةً ظاهرة على نثرهم. ولكن النثرَ الأندلسي ظل في جميع فنونهِ أقلَّ متانةً من النثر المشرقي وأقلَّ ابتكاراً. أما المِثالان العظيمانِ اللذان كانا يُحْتَذَيانِ في النثر فكانا الجاحظ وأبا العَلاء المعريّ. وأُغرمَ السَرَقسطيُّ (ت ٥٣٨) وابن عبدِ الغَفور (ت ٥٤٢) بتقليد المعريّ في لُزوم ما لا يلزم خاصةً ثم في فنونٍ كثيرةٍ أيضاً.

وكذلك كان تقليد الأندلسيين، في هذا الدورِ أيضاً، للرسائل الديوانية وللمقاماتِ التي ابتكرها المشارقة تقليداً كبيراً.

وَمَعَ أن الذين نقدوا الفنونَ المختلفة (من النثر والشعر والفلسفة) كانوا كثيرين، فإنّ النقدَ عندهم كان فِطريًّا لفظيًّا. إنه كان أحكاماً مُفْرَدَةً لا تَرْجِعُ إلى منهجٍ مُقنَّنٍ ولا إلى قواعدَ مُحْكَمة، ولكنْ كان فيه أحياناً عصبيةٌ أندلسية وَلّدَتْها في نفوس هؤلاءِ الناقدينَ نفورٌ على أولئك الذين كانوا يُغْرِقون في الإعجاب بالأدب المَشْرقيّ وبالأدباء المشارقة. ويبدو لنا أنَ ابنَ بسّامٍ الشَنْتَرينيّ قد ألّف كتابه الواسعَ القيِّمَ «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لمقاومة تلك النزعةِ المُتطرفة في الإعجاب بالأدب المشرقي. وفي مقدمة «الذخيرة» زفرةٌ من أثر هذه النزعة. يقول ابن بسّام مثلاً (الذخيرة ١ : ١٢):

« .... إن أهل هذا الأُفُق (أي أهلَ الأندلس) أبَوْا إلّا مُتابعةَ أهلِ المشرق، يَرْجِعون إلى أخبارهم المُعتادة رُجوعَ الحديث إلى قَتادةَ[١]، حتى لو نَعَقَ بتلك الآفاق غُرابٌ أو طَنّ بأقصى الشام والعِراق ذُبابٌ، لَجَثَوْا على هذا صَنَماً وتَلَوْا ذلك كِتاباً مُحْكَماً[٢]. (هذا) وأخبارُهم (أي أخبارُ أهل الأندلس) الباهرةُ وأشعارهم السائرة مرمى القَصِيّة ومُناخ الرَذِية[٣]، لا يُعْمَرُ بها جَنانٌ ولا خَلَدٌ[٤]، ولا يُصرّف فيها لسانٌ ولا يَد. فغاظني منهم ذلك وأنِفتُ مِمّا هنالك. وأخذتُ نَفْسيَ بجمع ما وجدتُ من حَسَناتِ دهري وتتبُّع محاسن أهلِ بلدي وعَصْري.... وقد مَجّتِ الأسماعُ «يا دارَ مَيّةَ بالعَلْياءِ والسَنَدِ»، ومَلّتِ الطِباع «لخَوْلَةَ أطلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ.... »[٥].

---

(١) قتادة بن دعامة (بكسر الدال) البصري (٦١ - ١١٨ هـ) مفسّر للقرآن وحافظ للحديث.

(٢) جثا: اعتمد على ركبتيه. كتاب محكم: لا خطأ فيه.

(٣) في القاموس المحيط (٤ : ٣٧٨): القصيّة الناقة الكريمة النجيبة المُبعَدة (بالبناء للمجهول) عن الاستعمال. والرذلة (بفتح فسكون) ضدّها. والرذيّة: الناقة المريضة أو الضعيفة. مرمى القصيّة ومناخ (مسكن، منزل) الرذيّة (لا تنتشر أخبارهم وأشعارهم كالناقة القصيّة التي يضنّ أهلها بها عن السفر عليها وكالناقة الرذيّة التي لا تستطيع السفر).

(٤) لا يعمر بها جنان (بالفتح: قلب) ولا خلد (بفتح ففتح: البال، الذاكرة) - لا يحبّها أحد ولا يحفظها أحد.

(٥) مجّ: قذف (الماء) من فمه، كره (الشيء). «يا دار ميّة» مطلع معلّقة النابغة الذبياني. و «لخولة أطلال» مطلع معلّقة طرفة بن العبد.

وأما النقدُ (رُؤيةُ الحَسَناتِ والسيئات في القطعة المنقودة) فكان أحكاماً في جُمَل يُمْكِنُ أنْ تَغْنِيَ أشياءَ كثيرةً ويمكن أيضاً ألّا تَغْنِيَ شيئاً أبداً. وربما كان لها صِلةٌ بالأديب الذي تنقُد نِتاجَه وربّما لم يكن لها صلةٌ بذلك كُلّه. بدأ ابنُ بسّامٍ كلامَه على أبي عامرٍ أحمدَ بنِ عبدِ الملك بنِ شُهيد بالمقطع التالي (الذخيرة ١: ١٩١ - ١٩٢):

«وكان أبو عامرٍ شيخَ الحَضْرة العُظمى[١] وفَتاها، ومبدأ الغاية القُصوى ومُنتهاها. ويَنبوعَ آياتها ومادّة حياتِها وحقيقةَ ذاتِها وابنَ ساستِها وأُساتِها[٢] ومَعنى أسمائها ومُسَمَّياتها: نادرةَ الفَلَكِ الدوّار وأُعجوبةَ الليل والنهار. إنْ هَزَلَ فسَجْعُ الحمام، أو جدّ فزئيرُ الأسد الضَرغام. نَظَمَ كما اتّسق الدُرُّ على النحور، ونَثَر كما خُلِطَ المسك بالكافور، إلى نوادِرَ كأطرافِ القَنا الأملود[٣] تشُقُّ القلوبَ قبلَ الجُلودِ، و(إلى) جَوابٍ يَجْري مجرى النَفَس ويَسْبِقُ الطَرْفَ المُخْتَلَس[٤]».

وبعدَ أن كان ابنُ بسام قد نَقَمَ من الأندلسيّين تقليدَهُمُ المشارقةَ واقتباسَهُمْ منهم، رأينا عنده هو مثلَ ذلك كُلّه. ولا يَغْفُلُ أحدٌ في هذا النص لابن بسّامٍ عن اقتباس ابنِ بسّامٍ من بيت أبي الطَيّب المُتنبي:

راميـــاتٍ بأسْهُمٍ ريشُهـــا الهُـدْ   بَ تشُقُّ القلوبَ قبلَ الجُلودِ[٥].

ومَعَ أنّ ابنَ بسامٍ كان أحياناً كثيرةً يَرْجِعُ إلى الكلامِ الواضحِ الدقيق في دِراسة الشعر والشعراء، فإنّ جماعةً غيرَ ابنِ بسامٍ، من أهل عصرِه، كالفتح بنِ

---

(١) فتى (الرجل ذو النجدة والقدرة) الحضرة العظمى (عاصمة الدولة: قرطبة) - كان مشهوراً في قرطبة يرجع الناس في القول إليه.

(٢) الأساة جمع آسٍ (طبيب).

(٣) القنا جمع قناة: قصبة، رمح. الأملود أو الأملد: اللّين الناعم من الغصون (يمدح الرمح إذا كان ينثني من غير أن ينقصف).

(٤) الطرف: البصر. المختلس (النظرة السريعة). ويجوز أن تكون «المختلس» بكسر اللام (أي النظر السريع الخاطف).

(٥) الهدب (بالضم) جمع هدبة (بالضم): شعرة الجفن. ريشها الهدب (يوضع عادة في أسفل السهم ريش ليساعده على المرور باستقامة وسهولة في الهواء) والمتنبّي يشبّه أهداب عيون المحبوبة بريش السهام (وعيون المحبوبة بالسهام).

خاقان مثلاً، كانوا لا ينتقلون عنِ الألفاظ القليلة الجَدْوى في نقد الشعر والنثر. ولعلّك تعجَبُ إذا عَلِمتَ أن ابنَ بسامٍ وأندادَه في هذا المِضمار لا يُشيرون، في مُعْظَمِ الأحيان، إلى سَنَةِ المَوْلد أوِ الوفاة ولا يُعَرِّجون على حادثٍ مُعَيّن في حياة الأديب. قال الفتحُ بنُ خاقانَ (قلائد العقيان ١٤٤) في الوزير الكاتب أبي محمدِ بنِ القاسم[١]:

« رَجُلٌ زَهَتْ به السِياسةُ والتدبير، وجَبَلٌ دونَه يَلَمْلَمٌ وثَبيرٌ[٢]، ووَقارٌ لا يُسْتَفَزُّ ولو دارتْ عليه العُقار[٣]. إذا كَتَبَ باهَتِ البُدورَ رُقْعَتُه، وقرطستْ أفئدةَ المعاني نَزْعَتُه[٤]. وضعتْه الدولةُ في مَفْرِقِها، وأطلعتْه في مَشْرِقها، فأظهر جمالَها وعطّر صَباها وشَمالَها[٥]. ... »

ويلحَقُ بالنقد الأدبي تأريخُ الأدب، ومُمَثِّلا عصرِ المرابطين في ذلك ابنُ بسامٍ والفتحُ بن خاقانَ نَفْسُهما. ومن المُؤلم أن كتابَ ابنِ القَطّاع الصِقِلّي (ت ٥١٤) « الدُّرْةَ الخطيرةَ في شُعراء الجزيرةِ (صقلية) » لم يَصِلْ إلينا.

الشعر خاصّة

لقد أُصِيبَ الشعرُ في عصر المرابطين بالكَساد.

ولكن « للكسادِ » في هذا الموضعِ مَعْنَيانِ.

---

(١) ....

(٢) يلملم وثبير جبلان.

(٣) العقار (بالضم): الخمر.

(٤) الرقعة التي يكتب عليها (بأسلوبه أو بخطّه) تزيد (في البهاء: الجمال) على القمر ليلة البدر. فرطست أفئدة المعا فينزعته (؟)- ..... إذا نزع (مدّ قلمه إلى الدواة ثم أخرجه وبدأ يكتب به أتى بمعان صائبة كل الصواب (الأصل الاستعارة أن الرجل ينزع (بكسر الزاي) السهم في وتر القوس ثم يرسلها فتصيب الهدف.

(٥) المفرق: مكان افتراق الشعر في مقدم الرأس (أكرم موضع في الإنسان). الصبا (بالفتح) ريح الشرق. والشمال (بالفتح) ريح الشمال (والصبا والشمال، في نجد، محبوبتان للرطوبة وللبرودة التي فيهما (بخلاف ما يعرف في الشام أو غربي آسية، مثلاً، حيث يكون الصبا شديدة الحرارة والجفاف، والشمال شديدة البرد والجفاف).

ذكر المستشرق نيكل[1] كَسادَ الشعر فقال: « بعدَ سقوط ملوك الطوائف في أثناء عصر المرابطين انحطَّ نَظْمُ الشعر المألوف (الفصيح) انحطاطاً كبيراً. وكان يوسفُ (ابن تاشفينَ) - كما كنا قد رأينا - لا يكادُ يفهم الكلامَ العربي السائر، دَعْكَ من الأسلوب الأدبيِّ الكثيرِ الصَنْعة. أما ابنُه عَليٌّ فكانَ أحسَنَ معرفةً باللغة العربية، ولكنّ تفكيرَه كان مُتَّجِهاً إلى الأمور الدينية وإلى الرصانة (في أحوال الحياة). وقد كان ثَمّةَ قلةٌ من أحياء ذلك العصر الجيد (عصر ملوك الطوائف) لا يزالون على قَيْدِ الحياة ثم استطاعوا أن يَجدوا مَلْجَأً لهم في بلاطيْ شاطِبَةَ وسَرَقسْطة حيثُ كان الأمراءُ المرابطون من الشبان يُحاولون أن يُنافسوا أسلافَهم (ملوكَ الطوائف) أو يَزيدوا عليهم (في تشجيع الشعر). ثم إن المُوَشَّحَ والزَجَلَ على الأخص، وقد كانا أقربَ إلى أفهام الناس - لِقُربهما من مُستواهُمُ الفكري والخُلُقيّ - أصبحا زيّاً شائعاً، وكان ابنُ قُزمانَ (في الزجل) سيّدَ الجماعة »[2].

أما انخل جنثالث بالنثيا (تاريخ الفكر الأندلسي ١٢٣) فقد كان أكثرَ تشاؤماً، إذ قال: كان « عصرُ سِيادةِ المرابطين على الأندلس عصرَ تأخرٍ وانكماش للثقافة الأندلسية، وكان يوسفُ بن تاشفين - أولُ أمراءِ هذه الدولة - لا يكاد يفقَهُ العربية ».

وأحَبّ إحسانُ عباسٍ (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ٩٠) أن يلزَمَ جانب الشعراء، فقال: « حتى إذا حلّ عصرُ المرابطين تراجعتْ منزلة الشاعر أكثرَ من ذي قبلٍ، وأصبحَ التصريحُ بكَساد الشعر أشدَّ وأوضحَ - ذلك أن الشاعر، حتى في أسمى ما غدا يستطيع بلوغه من مكانة، لم (يبق) في طَوْقِهِ منافسةُ رَجُلِ السيف (وهو من المُلثّمين) والفقيهِ والكاتب (وهما في الغالب من الأندلسيين). ولعَلَّ الأعمىَ التُطيليَّ قد عبّر في بعضِ لَحَظاتِ الإحساس (بالتَعَسِ) عن هذا المعنى

---

(١) عبد الرحمن (ا. ر.) نيكل مستشرق أصله من بوهيمية (إحدى مقاطعات تشيكوسلوفاكية) أميركي الجنسية (مولده عام ١٨٨٥ ووفاته نحو ١٩٦٠ م. هو صاحب النظرية العربية للشعر البروفنسا c (الفرنسي القديم) وأكثر اختصاصه في أدب العرب في الأندلس (الزجل والموشحات على الأخص).

(2) A. . Nykl, Hispane-Arabic Poetry 219

بأجلى عِبارة حين قال:

أيا رَحْمتا للشعر أَقْوَتْ رُبوعه، على أنها للمَكْرُمات مناسكُ[1]؛
وللشُعَراء اليومَ ثُلَّتْ عُروشُهم: فلا الفخرُ مُختالٌ ولا العِز تامكُ[2].
ويـا «قـامَ زيـدٌ»، أعْرِضي أوْ تعارضي؛
فقـد حـالَ من دونِ المُنـى «قـال مالكٌ»[3].

وكان حَسَنُ أحمدَ مَحْمود (قيام دولة المرابطين ص ٤٤٤) حسَنَ التعليل لكسادِ الشعر لما قال: «لا نُنْكِرُ أنْ مجيءَ المرابطين إلى شِبهِ الجزيرة (إلى الأندلس) قد صَحِبَه كسادٌ في سوق الشعر إلى حدٍّ كبير، فقد كان عهدُ يوسفَ (بن تاشفين) في الأندلس عهدَ جِهادٍ وكِفاح وحربٍ، وليس بعهدِ تَرَفٍ ورَفاهِيَةٍ وإقبالٍ على المَلَذّات...، صَوَّرَ ذلك كُلَّه صاحبُ «الذخيرة» أبلغَ تصويرٍ إذ قال (٢: ٦٦٩): فلمّا صَمَتَ ذِكْرُ ملوك الطوائف بالأندلس طُوِيَ الشعرُ على غَرِّه[4] وبَرِئَ من حُلْوِه ومُرِّه، إلّا نفثَةَ مَصْدورٍ أو ٱلتفاتةَ مذعور. وهو (يَقْصِدُ: عبد المجيد بن عبدونٍ) اليومَ ببلدةِ يابُرَةَ يرتشفُ فضلَ ثِمادِه[5]، ويأكلُ من بَقِيَّة زادِه» (مِمّا كان قد ناله في أيّام ملوك الطوائف).

إنّ الشعرَ الذي كَسَدَتْ سُوقُه كان شعرَ التكسّب؛ وإنّ تلك العاصفةَ التي أثارها نفرٌ من الشعراء والمُشايعين للشعراءِ على يوسفَ بنِ تاشفينَ خاصّةً كان سبَبُها كثرةَ ما

---

(١) أقوت الدار: خلت (من سكانها). الربع (بالفتح): المكان المسكون. المنسك (هنا): المكان الذي يقوم به الإنسان بعبادة مفروضة (كالطواف حول الكعبة).

(٢) ثل فلان الدار (هدمها)؛ وثل العرش (أبطله، أذهب سلطانه وأهله). التامك: السنام (كناية عن العلو).

(٣) «قام زيد» كناية عن الاشتغال بالنحو (واللغة والأدب). أعرض: صد، انصرف (ترك المجال لغيره). تعارض الأمران: (هنا)؟ استعدّ للمقاومة وللنزاع. «قام مالك» (صاحب المذهب المالكي) كناية عن سيادة الفقه.

(٤) طوي الشعر على غرّه (كناية عن رضا الشعراء بالحال السيئة التي وصلوا إليها). الغر: الثني في الثوب، مكان الطيّ منه).

(٥) الثماد جمع ثمد (بفتح فسكون: الماء القليل).

كان ينالُه الشعراء من أمراء الطوائف ثـمّ ضَـاعَ تلك المغانم في أيام السُلطان يوسفَ ابن تاشفين. ونحن نعلم، من تاريخ الحضارة، أن الدُّوَل في أيامِ قيامها قلّما تَحْفِلُ بالشعر وبسائر الفنون، إذ نراها مُهْتَمَّةً بالفِكر وبالعِلم- رأينا ذلك في دولة الخلفاء الراشدين وفي مطلَعِ الدولة الأُموية وفي مطلع الدولة العبّاسية أيضاً. ثم إذا نحنُ استعرضنا العِلم والثقافة والشعر نفسَه أيضاً في عصر المرابطين لم نَجِدْها أدنى مما كانتْ من قبلُ. وكان بعضُها أحْسَنَ حالاً، إلاّ شعرَ التكَسُّبِ. وكتاب «الذخيرة» (وهو من نتاجِ عصر المرابطين) أحسنُ الأدلّة على كَثْرة الشِعر وكثرة الشعراء في ذلك الحين.

ثم إن الشعراء قد مدحوا سلاطين المرابطين (بعد يوسفَ بن تاشفين) ومدحوا أمراءَ المرابطين على المدن الأندلسية كثيراً. إن الأعمى التُطليلي (ت ٥٢٠ هـ) قد قَصَرَ ديواناً برُمّته على السلطان الثاني من المرابطين- عليِّ بنِ يوسفَ بنِ تاشفين- بعد الحملةِ التي قادها عليٌّ على ألفونسو صاحبِ طليطلة (وكان الإسبان قدِ آستردوا طُليطلة منذُ عام ٤٨٥ هـ = ١٠٨٥ م) وآستنقاذِ طَلَبيرة (راجع بروكلمن ١ : ٣٢٠). وكذلك مَدَحَهُمُ آبنُ خَفاجةَ (ت ٥٣٣ هـ) وأكْثَرَ.

وأما سائرُ الشعراء الكِبار الذين امتلأ بهم عصر المرابطين في الأندلس فمنهم ابن صارةَ الشَنْتريني (ت ٥١٧ هـ) ثم بنو القَبْطُرنوهْ ثم عبدُ الجبار المعروف بالمُتنبي الجَزيري وابن الزقّاق وابن عَبْدونٍ وابن حَمْديس وابن خَفاجةَ وابنُ شَرَفٍ أبو الفضل جعفرُ بنُ محمدٍ (ت ٥٣٤ هـ) وابن بَقِيّ (ت بعيد ٥٤٠ هـ).

ومَعَ أنّ فنون الشعر الكبرى لا تختلف كثيراً بين عصرٍ وعصر، فإنَّ الأغراض (الموضوعات الجزئية) تتبدل. فمن الأغراضِ التي برزتْ في هذا العصر النقدُ الاجتماعي الذي نشأ من كُرْه الأندلسيين للجُند الصِنهاجيين (البربر من جيوش المرابطين) كما نرى عند أبي بكرِ الأبيضِ (ت ٥٤٤ هـ) وأبي بكرِ اليَكيّ (ت نحو ٥٦٠ هـ) وعند ابن خَفاجةَ نفسِه (راجع تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٤٣ وما بعد). ولا غَرابةَ في أن يكثُرَ رِثاءُ المُدُن التي كانت تتساقط في عهد ملوك الطوائف في يد الإسبان أو بعدَ مطلَعِ عهدِ المرابطين، كما نَرى عند

الأعمى التُطيلي ثم عند ابنِ عبدونِ خاصّةً (ت ٥٢٩ هـ) ثم عند ابن خَفاجةَ أيضاً. ومَعَ هذا فقد وَجَدَ ابنُ خَفاجةَ نفسُه مَندوحةً مِنَ اطمئنان النفس فَتَوَفَّرَ في أثنائها على وصف الجنائن.

وكان مِنَ المنتظر أن نَجِدَ- لَمّا اضطربتْ أحوالُ هذا العصر- اتجاهَيْنِ متناقضينِ في الشعر: مَدْحاً للرسول وآله، كما نَجِدُ عند أبي عبد الله محمدِ بنِ مسعودِ بن خَلْصَةَ بن أبي الخِصال المُتوَفّى نحو ٥٤٠ للهجرة وعند أبي عبد الله أحمد بن ابراهيمَ النُميري من أحياء النصف الأول من القرن السادس (راجع تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٦٩ وما بعد، ثم بروكلمن ١ : ٥٤٥). وكذلك نجدُ عند ابن خفاجة، في مثل هذا الباب، ذِكْرا للحجاز وللأماكن المقدسة، تقليداً للشريف الرضي. أما الاتجاه الآخرُ فَهُوَ الميلُ نحو الهَزْل والخَلاعة، كما نرى عند أبي الحَكَمِ عُبيد الله بن المُظَفَّرِ الباهلي المُرْسِيَ المَرِيِّ (من أهل المَرِيّة) والمُتَوَفّى في دِمَشْقَ سَنَةَ ٥٤٩، وكان له «نهجُ الرَضاعة لأولي الخَلاعة»-ويبدو أن شِعره قد ضاع-، ولكنّا نجد له في «نفح الطيب» أبياتاً في هذا المعنى، منها (٢: ١٣٤ - ١٣٥) في أحدِ مُعاصريه:

... وهو عـلى خِفّـةٍ به أبـداً معـترفٌ أنـه مِنَ الثُقـلا،
يـمُتّ بالثَلْـبِ والرَقاعـة والسُـخْـف، وأما بغيرِ ذاك فلا[١].
إنْ أنـتَ فاتَحْتَـه لِتَخْبُرَ مـا يصدُرُ عنه فَتَحْتَ منه خَلا[٢].

وله أيضاً مُعارضةٌ لمقصورة ابنِ دُريدٍ منها:

وكـلُّ ملومٍ فـلا بُـدّ لـه من فُرقـةٍ لو ألزقوه بالغِرا.

وفي «قلائدِ العِقيان» للفتح بن خاقانَ (ت ٥٢٩ هـ) أشياءُ من الهزل والتَجنّي والسَفَهِ على الأعيان تدخل في هذا الباب ويمكن تأويلها بهذا السبب مِنَ اضطراب

(١) الثلب: الانتقاص من قدر الناس وذكر معايبهم (أو نسبة المعايب أو العيوب إليهم).
(٢) إذا أنت فاتحته (خاطبته) لتخبر (تعرف) ما يصدر عنه (عمّا له من القيمة الذاتية التي تمكنه من الكلام المفيد) فتحت منه (كشفت منه) خلا = خلاء: فراغاً).

الأحوالِ وضَياعِ المُثُلِ العُليا في زمن تُصبح أسبابُ الحياة المادّيّةُ مقياساً للمعاملة. فقد قال في الوزير أبي محمدِ بن عبد الغفور (ص ١٨٢) - نثراً:

« قد كنتُ نَوَيْتُ ألّا أُثبتَ له ذِكراً ولا أُعمِلَ فيه فِكراً[١]، وأدَعَهُ مُطَّرَحاً وأُقطِعَه الإهمالَ مَسْرَحاً[٢]، لِتَهوُّرِه وكَثْرة تَقَعُّرِه[٣]. فإنه بادي الهَوَجِ واعِرُ المنهجِ[٤]، له ألفاظٌ مُتَعَقِّدة وأغراضٌ غيرُ مُتَوَقِّدة لا يُفَكُّ مُعَمّاها[٥] ولا يُعْلَمُ مَرْماها، مَعَ نفسٍ فاسدةِ الاعتقادِ[٦] ثابتةٍ على الأحقاد.... »

ابن الملح

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ إسحاقَ بنِ المِلحِ أو ابنِ المَلّاحِ اللَخْميّ، أصلُه من شِلْبَ، كانتْ له مدائحُ في المُعتضدِ العبّاديّ وابنِه المعتمد. وكانت وفاةُ ابنِ الملحِ في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٠٠ (ربيعِ عامِ ١١٠٧ م)، وقد أسنّ كثيراً.

٢ - كان أبو بكر بنُ الملح في أول حياته مُشتغلًا بالفُتُوّة والبَطالة ثم أنابَ (تاب) في أواخرِ أيامه وزَهِد. وكان إلى جانبِ مَعْرفته بالفِقه شاعراً وخطيباً. ومن خصائصِ شعرِه أنّه كان يُغرِقُ أحياناً في الصِناعة من تشابيهَ واستعاراتٍ خاصةٍ. ومن أغراضِ شعرِه الفخرُ والمدح والعِتاب والغزل والنسيب والوصف. وشعرُه مقاطعُ ومطوّلاتٌ.

---

(١) ألاّ أذكره في كتابي « قلائد العقيان » ولا أفكر في أمره.

(٢) أتركه ملقى جانباً، مرمياً، مهملاً. أقطعه (أمنحه قطعة من الأرض) الإهمال (قلة المبالاة أو الاهتمام به) مسرحاً (يفعل ما يشاء، يسرح كالبهائم).

(٣) التهور: السقوط في الأخطاء والمخاطر لقلة التفكير وللطيش. التقعر: التشدّق (الكلام من أقصى الفم وتكلّف الكلام الغريب مع قلة فائدة).

(٤) بادي (ظاهر) الهوج (بفتح ففتح): الحمق (بالضم) والطيش. واعر (صلب، صعب) المنهج (الطريقة، السلوك).

(٥) المعمّى: الأحجية، اللغز.

(٦) المرمى: الغاية، المقصد. فاسد الاعتقاد (سيء العقيدة) لا يؤمن بالحق.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو بكرِ بنُ المِلح في الغزل:

ظَبْيٌ يموجُ الهوى بناظرِه حتّى إذا ما رَنا به انبَعَثا[١].
مُبتـدِعُ البُخـلِ، لا كَفاءَ لـه: يعُـدّ شكوى صَبابـتي رَفَثا[٢].
أنكَرَ سُقْمي، وما قَصَدتُ لـه، ولا تَعرَّضْتُ للهوى عَبَثـا[٣].
أقْسمَ في الحبّ أنْ أموتَ بـه، فما قَضى بِرّه ومـا حَنَثـا[٤].

- وقال في النسيب:

لا حدَّ للوَجْدِ إلا أنتَ عارفُه[٥]، كـأن قلبـكَ للأشواق مـيزانُ.
ولا صَبابـةَ إلاّ أنـت واسعُها، كأنَّ صدرَكَ للأشْجانِ ميدان[٦].
سِرنـا نُراقِبُ إعلانَ الصَباح به، كأنّنـا في ضميرِ الليل كِتْمان[٧].

- وقال يمدح المعتمدَ بنَ عبّادٍ بقصيدة فيها مدحٌ ووصف وفخر، منها:

والروضُ يبعَـثُ بالنسيمِ كأنّما أهداهُ يَضربُ لاصْطباحِكَ موعدا[٨].
سكرانُ من مـاء النعـيم، وكلّما غنّـاه طائرُه وأطرَبَ ردّدا.
يـأوي إلى زَهْرٍ كـأنّ عُيونَـه رُقَبـاءُ تقعُدُ للأحِبّة مرصَدا[٩].
زَهْرٌ يفوحُ بـه اخضرارُ نَباتِـه كالزُهْرِ أسْرَجَها الظلامُ وأوقدا[١٠].

---

(١) رنا: نظر (إليّ). انبعث: ثار (الهوى فيّ).
(٢) الصبابة: الحبّ،الشوق. الرفث: الكلام القبيح.
(٣) ما أحببته عبثاً (لعباً ولهواً)، ولكن جدّا (لأنّه مستحقّ أن يكون محبوباً).
(٤) أقسمَ أن أموت بحبّه. لم يفِ بوعده (لم يحبّني)، وما حنث: ما أخلف وعده (لأنّني متّ من هجره).
(٥) الوجد: شدّة الحبّ.
(٦) الصبابة: الشوق. الشجن (بفتح لفتح): الحزن.
(٧) .... كان الليل شديد الظلمة فلم يرنا أحد.
(٨) الاصطباح: شرب الخمر صباحاً.
(٩) المرصد: الكمين.
(١٠) الزهر (بالضمّ): النجوم.

قــد خفـتَّ مَوْقِعُـه لَدَيْـهِ، وربمـا سَمَـحَ النسيمُ بعِطْفه فتـأوّدا[1].
أغلى مَحَلَّ الشِعرِ أنّ قصائدي جعلتْ مديحَك بالمعاني مَقْصِدا.
خطبتـه تركب بطن كفّي منبرا، ودعتك تعمُر ظهر كفّك مسجدا[2]
أبْغي لَدَيْـكَ العيشَ أخضرَ يانِعاً فأجوبُ جُنْحَ الليلِ أسْفَعَ أسودا[3]،
يقظـانَ تحسَبُـني الكواكبُ ناظراً فيهـا أُراقبُ للغزالةِ موردا[4].
وإذا تكنّفَــني النهــارُ لَبِسْتُـه وهْجاً لَفوحاً أو سَراباً مُزْبِدا[5].

– وكان لأبي بكرِ بنِ المِلح ابنانِ شاعرانِ. وكان أحدُهما أبو القاسمِ أحمدُ قدِ اشتغل مُنذُ مطلَعِ شبابهِ بالزُهد وكُتُبِ التصوّف. فقال له أبوه: يا بُنيَّ، هذا الأمرُ ينبغي أن يكونَ في أواخرِ العُمُرِ. أمّا الآنَ فينبغي أن تعاشِرَ الأُدَباءَ والظُرفاء وتأخذَ نفسَك بقولِ الشِعر ومُطالعةِ كُتبِ الأدب. فلمّا عاشرَ نفراً من الظُرّافِ زَيّنوا له شُرْبَ الخمر، فتَهتّكَ في الخلاعة ثمّ فَرّ إلى إشبيلية وتزوّجَ امرأةً لا تليق به – كانتْ تَضْرِبُ الدُفَّ في الأعراس – فصارَ يَضْرِبُ معَها بالدُفّ. فكتب إليه أبوه:

يــا سخنــةَ العــين يا بُنَيّا ليتَـكَ مـا كُنـتَ لي بُنيّـا[6].
أبكيـتَ عيـني، أطَلْتَ حُزني، أمَــتَّ ذِكْري وكــان حيّــا.
حَطَطْـتَ قَـدْري وكـان أعـلى – في كـلّ حـالٍ – مِنَ الثُريّا.
أمــا كَفــاك الزنــا ارتكابـاً وشُرْبُ مَشْمولةِ الحُمَيّا[7]،

(١) العِطف: الجانب الأعلى من الجسم (الكتف). تأوّد: ماس، تمايل.
(٢) قصائدي (التي ألقيها من ورقة أحملها في كفّي) تخطب (تتكلم) في فضائلك (مدحك). وقصائدي (حينما تذكر أنت فيها) تملأ ظهر كفّك بالتقبيل؟).
(٣) اليانع: (الثمر) الناضج. الأسفع: الأسود.
(٤) الغزالة الشمس. المورد (المطلع). أنا سهران في نظم مديحك طول الليل (حتّى ليظنّ الناس أنّني أريد أن أرى الشمس كيف تطلع).
(٥) تكنّفني: أحاط بي (وفي أثناء النهار) أسير إليك، سواء أكان اليوم وهجاً لفوحاً (حارّاً يلفح الوجه) أو سراباً مُزبداً: ماء كثيراً بارداً (؟).
(٦) سخنة العين: دامعة العين (حزينة). يا بنيّا: يا ابني الصغير – ليتك لم تولد لي (لم تكن ابنا لي).
(٧) الحميّا: الخمر.

حتّـــى ضَرَبْــتَ الدُفوفَ جهْرًا وقُلْـــتَ للشرِّ: جِئْ إلَيّـــا؟
فاليومَ أبكيــكَ مِــلْءَ عَيْــنِي، إن كــان يُغْــني البُكــاءُ شيّا.

٤-*** القلائد ٢١٤ - ٢١٥؛ الذخيرة ٢: ٤٥٢ وما بعد؛ المغرب ١: ٣٨٣ - ٣٨٤؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٤٦٦ - ٤٦٧؛ نفح الطيب ٤: ٧٠ - ٧١، ١٤٨ - ١٤٩، ٢٦٣؛ الخريدة (الاندلس ٢: ٤٨٨ - ٤٩٠.

تميم بن المعزّ الصنهاجي

١ - هو أبو يحيى تَمِيمُ بنُ المُعِزِّ(١) بنِ باديسَ بنِ المنصورِ(٢) بن زِيري بن مَنادٍ الصِنْهاجيُّ ولِـد في المنصـورة(٣)، في ثالـثَ عشَرَ رَجَـبَ من سَنَـةِ ٤٢٢ (٦/٧/١٠٣١ م).

كانتْ عاصمةُ بني زيري القيروانَ. ففي صَفَرَ من سَنَةِ ٤٤٥ (ربيع ١٠٥٣ م) عَهِدَ المُعِزُّ إلى ابنهِ تميمٍ بالوِلايةِ على مَدينةِ المَهْدِيّةِ. ولمّا تُوُفِّيَ المُعِزُّ(٤) ظَفِرَ تميمٌ بالمُلكِ. وقد كانتْ في أيامه أحداثٌ كثيرة: لم تَكَدْ تخلو سَنَةٌ من ثورةٍ داخليةٍ أو هُجومٍ خارجيٍ برًّا أو بحرًا. وقد تغلّبَ تميمٌ على جميع القائمين بهذه الحركات. ولكنّ عهدَ تميمٍ اضْطَرَبَ بثلاثةِ أحداثٍ كبيرةٍ: هجومُ قبائلِ بني هلالٍ وبني سُلَيمٍ على القيروانِ وما حَوْلَها، في أيامِ أبيهِ المُعزِّ واستمرارُ آثارِ تلك الهجمة إلى أيامه. ثم احتلالُ الجَنَوِيّين الإيطاليّين

(١ و٢) المعزّ اسم وليس في الأرجح لقباً (راجع وفيات الأعيان ٥: ٢٣٥). والمنصور مثل ذلك.

(٣) المنصورية التي يقال لها صبرة من بلاد إفريقية (وفيات الأعيان ١: ٣٠٥)، وهي المنصورة (ويقال لها المنصورية) بلد قرب القيروان (تاج العروس - الكويت - ١٤: ٢٣٢).

(٤) هنالك اختلاف يسير في تاريخ وفاة المعزّ. ذكر ابن الأثير (١٠: ١٥) وفاة المعزّ في أخبار سنة ٤٥٣. وفي الحلّة السيراء (٢: ٢١) كانت وفاته ٤٥٤؛ وفي وفيات الأعيان (١: ٣٠٥ و٥: ٢٣٤) أنها كانت في رابع شعبان من سنة ٤٥٤ (١٢/٨/١٠٦٢ م). أمّا البيان المغرب فيجعل وفاة المعزّ سنة ٤٥٤ (١: ٢٩٥ راجع السطرين الخامس والسادس)، ولكنّ سنة وفاته ترد (في المكان نفسه، السطر الرابع من أسفل) هكذا «٤٥٥». ولكنّ في هذا التاريخ غلطة مطبعية تظهر من مراجعة الجملة كلّها: «مولده سنة ٣٩٩، وولي الملك سنة ٤٠٧..... وتوفي سنة ٤٥٥ وعمره ثمان وخمسون سنة، فكانت مملكته سبعاً وأربعين سنة» (فتكون وفاته عند ابن عِذاري أيضاً سنة ٤٥٤ هـ).

لمدينتي المَهْدية وزَوِيلةَ (سنة ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م)، ثم استيلاءُ النورمان على صِقِلّيَة (سنة ٤٨٤ هـ). وكانت صقلّيةُ تابعةً، منذ القرنِ الثالثِ للهِجْرة، للدُوَلِ التي تقومُ في القيروان.

وكانت وفاةُ تميمِ بنِ المُعزِّ في رَجَبَ من سَنَةِ ٥٠١ (أواخر الشِتاء من عام ١١٠٨ م).

٢ - كان تميمُ بنُ المُعزِّ شُجاعاً حازماً حَسَنَ السِيرة كريماً مُحِبًا للعلماء. وهُوَ شاعرٌ مُكثِرٌ من فُحولِ الشعراء من الملوك. وأكثرُ شِعره الحَماسةُ والغَزَلُ والخمر. وكان ناقداً يعترضُ الذينَ يَمْدحونه أو يُناشدونه فينتقدُ ألفاظَهم فلا يتخلّص منه إلّا الماهرُ منهم. غير أنّنا نَجِد في شِعره، على جَماله وعُذوبته، مآخذَ لغويةً ونَحْويةً.

٣ - مختارات من شعره:

- قال تميمُ بنُ المُعزِّ الصِنْهاجيُّ في الحماسة:

★ فإمّـــا المُلـــكُ في شَرَفٍ وعِزٍّ — عـلَيَّ التـاجُ في أعـلى السَريرِ،
وإمّا الموتُ بـينَ ظُبـا العوالي، — فلستُ بخالـدٍ أبَـدَ الدهور[1].

★ وذي عَجَبٍ من طول صَبْري على الـذي — أُلاقي من الأرْزاء، وهْوَ جَليلُ[2]
يقولُ: ألا تشكو؟ فقُلْـتُ: متى شَكا — شَبا السيفِ عَضْبُ الشَفْرتَيْنِ صَقيلُ[3]
وإنّ امْرَأً يشكو إلى غيرِ نافعٍ — ويسخو بما في نفسه لَجَهولُ[4].
عَدانِيَ أنْ أشْكو إلى الناسِ أنّني — عليـلٌ ومَنْ أشْكو إليه عليلُ[5].

---

(١) الظبا جمع ظبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. والعوالي: صدور الرماح. وكان بإمكان الشاعر أن يقول: «ظبا المواضي» (فلا يختل الوزن ويصحّ المعنى).

(٢) العجب: الاستغراب: الرزء (بالضمّ): المصيبة الكبيرة. الجليل: العظيم.

(٣) الشباة (بالفتح): حدّ السيف. العضب: القاطع، الحادّ. من حقّ «صقيل» (هي نكرة) أن تكون منصوبة على الحال.

(٤) سخا: جاد. بما في نفسه (بأسراره وحقيقة أمره).

(٥) عداني: صرفني.

سأسْكُتُ صَبْرًا واحْتِساباً فإنّني أرى الصبرَ سيفاً ليس فيه فُلول[١]

- وقال يَصِفُ مُنافقاً:

رأيتُك قاعداً عن كلّ خيرٍ وأنتَ الشَّهْمُ في «قالوا وقلتُ»[٢]

وطَرّاراً لـه لُطْفٌ وحِذقٌ وألفاظٌ يُنَمّقُها وسَمْتُ[٣]

وَثِقْتُ إليه مِنْ حَسَبٍ وبَيْتٍ، ولولا ذاك منه لَما وَثِقْتُ[٤].

وقد يَعِدُ الوعود وليسَ يُوفي وليس بقائلٍ يوماً: «فعلتُ»[٥].

كخزّ الماءِ فوق الماءِ طافٍ يَروقُ وما لـه أصلٌ ونبتُ[٦]

- ومن شعرِه الوُجدانيّ في الخمرِ والغزَل:

★ مُدامٌ يَطوفُ بكأسِ المُدامِ فَلَمْ أدْرِ أيّهما أشْرَبُ[٧]!

فهذا الصديقُ، وهذا الرحيقُ، وهذا الهِلالُ، وذي الكَوْكَبُ[٨].

وهذا يَمُدُّ بألحاظِه، وهذي بألْبابِنا تلعَبُ[٩].

وما البدرُ والنَّجْمُ مِنْ ذا وذاك ولكنّهُ مَثَلٌ يُضْرَبُ[١٠]!

---

(١) الاحتساب: طلب الأجر من الله. فلول جمع فلّ (بالفتح): الكسر في حدّ السيف.

(٢) الشهم: الذكي، السديد الرأي، الصبور.

(٣) الطرّار: النشّال الذي يشقّ الجيوب عمّا فيها ويختطفه. السمت: الهيئة، الوقار.

(٤) الحسب: الفعل الحميد (والشاعر يقصد النسب: الأسرة المشهورة). البيت (البيت المشهور بالزعامة أو الغنى، الخ).

(٥) وفى وأوفى بعهده: برّ به ونفّذه.

(٦) خزّ الماء: ما يعلو وجه الماء من الطحلب (تعليق من خريدة المغرب ١: ١٤٤).

(٧) مدام الأولى اسم غلام. مدام الثانية: خمر.

(٨) الرحيق: الشراب الحلو. في البيت تشابيه بليغة: مدام (الغلام) صديق وهلال، ومدام (الخمر) رحيق وكوكب.

(٩) يمدّ بألحاظنا: يجعلنا ننظر إلى بعيد (إلى ما لا يجوز لنا أن ننظر إليه - لا يجوز لنا أن نشتهيه). اللبّ (بالضمّ): العقل.

(١٠) البدر ليس مثل مدام (الغلام)، والنجم (الكوكب) ليس خمراً، ولكن جرت العادة بتشبيه بعض هذه الأشياء ببعض.

* هُمُ عرّضوني للصَبابـــةِ والهوى — وهُمْ قطعوا حَبْلي وهم صَرَفوا رُسْلي[1]
جُفوني جَنَتْ قَتْلي عَليّ صَبابةً؛ — ولم أرَ مقتولاً بألحاظِه قَبْلي!
* وجاهلةٍ بالحُبِّ لم تَدْرِ طَعْمَهُ، — وقد تركَتْني أعلَمَ الناسِ بالحُبِّ.
أقامتْ على قلبي رقيباً وحارساً — فليس لِدانٍ من سواها إلى قلبي[2].
أدَرْتُ الهوى، حتّى إذا صار كالرَّحا — جعلتُ له قلبي بمَنْزِلةِ القُطْبِ[3].
* ألَمّـتْ بوجـهٍ كَبَـدْرِ الدُجـى — تَقَنّـــــعَ بالمِعْجَرِ الأزْرقِ[4]؛
كَبَـــدْرِ السماء بَـــدا طالعـــاً — تَحِـــفُّ بـــه زُرقَـــةُ المَشرقِ.
* وإذا حَرّكَ المثـــاني عنيـــدٌ — وسَمِعْنـا زَمْراً ولَحْنـاً شَجِيّاً[5]،
وسَعـــى بالكُؤوسِ بَـدْرٌ مُنـيرٌ — وسَقانا الرحيقَ صِرْفاً وحَيّا[6]،
مـــا أُبـالي إذا شَرِبتُ ثلاثـاً — أيُّ قاضٍ بالجَوْرِ يَقْضي عَلَيّا[7]!

- ومن أبياتٍ له في دلائلِ التقوى:

* مـــا اختلـفَ الصُبـحُ والمساءْ — وأنفذَ الحُكْمُ والقضاءْ،
إلاّ وللهِ فيه سِرٌّ — يحكُمُ في الخَلْـــقِ مـــا يشاء.
* فكّرتُ في نـارِ الجحيمِ وهَوْلِها، — يا وَيْلَتاهُ، ولاتَ حينَ مَناصِ[8].

---

(1) الصبابة: الشوق. صرفوا رسلي: ردّوهم (لم يقبلوا دعوتي).
(2) دانٍ: قريب (مقترب) - رقيبها وحارسها يمنعان غيرها من الدنوّ إلى قلبي (لا أستطيع أن أحبّ سواها).
(3) الرحا والرحى: الطاحون من حجرين يدور أعلاهما على أسفلهما حول قطب (أسطوانة قصيرة) في نصف الرحا الأسفل. - جميع المحبّين جعلتهم من مذهبي.
(4) المعجر ثوب أصغر من الرداء وأكبر من المقنعة تلفّه المرأة على رأسها ثمّ تلبس فوقه جلبابها.
(5) المثاني (هنا): الآلات الموسيقية. عنيد(؟). الشجيّ: الحزين (المؤثر في العاطفة).
(6) الرحيق: الشراب الحلو (هنا) الخمر. صرفا: غير ممزوجة بماء. حيّا: ألقى (علينا) السلام، (أشار إلينا بالكأس).
(7) الجور: الظلم.
(8) لات حين مناص: ليس (لي يوم القيامة) مناص (مفرّ من الناس، لسوء أعمالي في الدنيا).

فَدَعَوْتُ ربّي أنّ خيرَ وسائلي، يومَ المَعادِ، شَهادةُ الإخلاص[1].

★ فَلَئِنْ صَبَوْتُ لقد صَبا أهلُ النهى، ولئن هَفَوْتُ فلستُ بالمعصوم[2]!

٤ - ديوان تميم بن المعزّ لدين الله الفاطمي، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٧ م.

٤ - ★★ البيان المغرب ١: ٢٩٨ - ٣٠٤؛ الحلّة السيراء (مع ترجمة أبيه) ٢: ٢١ - ٢٦؛ ابن الأثير ١٠: ١٥ - ١٦؛ وفيات الأعيان ١: ٣٠٤ - ٣٠٦؛ الخريدة (المغرب) ١: ١٤١ - ١٦٠؛ الأعلام للزركلي ٢: ٧١ - ٧٢ (٨٢).

عز الدولة الصُّمادِحيّ

١ - هو عزُّ الدولةِ أبو مروانَ عبدُ الله[3] بنُ محمّدِ المعتصمِ بنِ مَعْنِ بنِ صُمادِح.

في سَنةِ ٤٨٣ هـ جاز يوسفُ بنُ تاشفينَ إلى الأندلس جَوازَه الثالثَ وهو يُضمِرُ الاستيلاءَ على الأندلس فبدأ بغَرناطة. وكان المعتصمُ بنُ صُمادحَ ماكراً بعيدَ التفكيرِ فأرادَ تألُّفَ يوسفَ بن تاشفينَ لعلّهُ يترُكُ الاستيلاءَ على المَرِيَّة، فأرْسَلَ ابنَه عِزَّ الدولةِ ليُهَنِّئَ يوسفَ بنَ تاشفينَ بالفتح. ولم يَخفَ على يوسفَ مَقْصِدَ المعتصمِ فاعتقلَ عزَّ الدولة وسجَنَهُ مُقَيَّداً. ولكنّ المعتصمَ ٱحْتالَ في إنقاذ عزِّ الدولة ونَقَلَه من طريقِ ثَغرِ مالقَةَ إلى المَرِيَّة. حينَئِذٍ أسْرَعَ يوسفُ بنُ تاشفينَ فأرسلَ جيشاً ٱحْتَلَّ المرِيةَ (٤٨٤ هـ).

وانتقل عِزُّ الدولةِ وشيكاً إلى شَمالِيِّ إفريقِيَةَ ولجأ إلى أحدِ المُرابطين في بجاية لصِلةٍ كانتْ له به من قبلُ ولازمه آمناً عنده يُنادمه، وقد صَرَفَ ٱهتمامُه عن الكفاحِ واكتفى بشُرْبِ الخَمْرِ ومُعاشرةِ الملاح.

وفي سَنةِ ٤٨٤ هـ، أو في السنَةِ التي تَليها، أرسلَ الشاعرُ ابنُ اللبّانةِ إلى عزّ

---

(١) المعاد: يوم القيامة. شهادة الإخلاص: شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله.

(٢) صبا: مال (إلى اللهو والغزل). النهى: العقل. هفا: أخطأ، أذنب.

(٣) في المغرب (٢: ٢٠١): هو الواثق عزّ الدولة أبو محمّد عبد الله. وفي الحلّة السيراء (٢: ٨٨): هو عزّ الدولة أبو مروان عبيد الله (عبيد بالتصغير). وفي نفح الطيب (٧: ٤٠): هو عزّ الدولة أبو مروان عبد الله.

الدولةِ بيْتَيْنِ من الشِعْرِ يَذْكُرُ فيهما أنّه كان ينالُ من عطايا بني صُمادِحَ من قبلُ، فأرسلَ عزُّ الدولة إليه مبلغاً يسيراً قَطْعاً للسانه.

ولمّا سار يَحْيى بنُ أبي بكرٍ، سَنَةَ ٥٠٤ هـ (١١١٠ - ١١١١ م)، لفتْحِ طُلَيْطُلَةَ كان عزُّ الدولةِ مَعَه. ولعلَّ عزَّ الدولةِ لم يَعِشْ بعدَ ذلك طويلاً.

٢ - قال الشُقُنْدي: إنّ عِزَّ الدولة أشعرُ من أبيه (نفح ٣: ٣٦٩). ومُعْظَمُ ما وَصَلَ إلينا من شعرِ عزِّ الدولةِ الشكوى والعِتابُ والنسيب. كان نَسيبُه يَحْمِلُ خصائصَ مُوَلَّدةً، أمّا عِتابهُ فجَزْلُ الألفاظ على عَمودِ الشعر. ويشكو عزُّ الدولةِ مِنْ أنّه، في اعتقالِه في أيامِ أبيهِ ثمّ في اعتزاله بعدِ سُقوط دُوَلِ الطوائفِ، لا يُحارِبُ ولا يقاتل، مَعَ أنّه في أيامِ دولةِ أبيه كان مُنْصَرِفاً إلى اللهو وَحْده، وقد زادَ انهماكه في الملاذّ بعد ذلك.

٣ - مختارات من شعره:

- لمّا اعْتُقِلَ عِزُّ الدولة الصُمادِحِيُّ في غَرْناطةَ وثُقِّفَ (قُيِّدَ) كَتَبَ إلى أبيه:

أبَعْـدَ السَنـا والمعـالي خُمولُ؟ ... وبعـدَ رُكوبِ المَذاكي كُبولُ[1]؟
ومن بعدِ ما كُنتُ حُرًّا عزيزاً ... أنا اليومَ عبدٌ أسيرٌ ذليل؟
حَلَلْـتُ رسولاً بغَـرْنـاطَـةٍ ... فحَلَّ بها بي خَطْبٌ جليل[2].
وثُقِّفْتُ إذْ جِئْتُها مُرْسَلًا، ... وقد كان يُكْرَمُ قَبْلي الرسول[3].
فَقَدتُ المَرِيَّةَ - أكْرِمْ بها! - ... فما للوُصول إليهـا سبيـل[4].

- قاد الأميرُ يحيى بن أبي بكرٍ غَزْوةً إلى طُلَيْطُلة، وكان مَعَهُ عِزُّ الدولة، فلمّا وَصَلَ الجيشُ إليها ونَصَبَ الخِيامَ في ساحتها اتّفق أن سَقَطَ لواءٌ من يدِ حاملِه.

---

(١) السنا: الضوء، ضوء القمر (الشهرة). المذاكي: الخيل (القاموس ٤: ٣٣٠) لا مفرد لها. الكبول جمع كبل (بالفتح): قيد.

(٢) خطب: مصيبة. جليل: عظيم.

(٣) ثقّف الرجل: وضع في رجليه أو يديه الثقاف (القيود).

(٤) المريّة: مدينة ساحلية في جنوبي الأندلس.

فانكسرَ عودُهُ. فتَشاءمَ قومٌ من ذلك فقال عِزُّ الدولة:

لم يَنْكَسِرْ عُودُ اللواءِ لِطِيــرَةٍ يُخْشى عليـكَ بها، وإن تَتَأوّلا
لكنْ تَحقَّـــقَ أنّـــه يَنْــدَقُّ في نَحْرِ العَدُوِّ، لدى الوغى، فتَعَجّلا.

- لمّا لجأ عِزّ الدولةِ إلى صديقهِ المُرابطيّ في بِجايةَ (الجزائرِ اليومَ) تذكّرَ عِزَّه القديمَ فقال يشكو:

لـكَ الحمدُ؛ بعدَ المُلْكِ أُصْبِحُ خاملًا بأرضِ اغترابٍ لا أُمِرُّ ولا أُحْلي[1]
وقـد أصْدأتْ فيه الهُوادةُ مُنْصُلي، كما نَسِيَتْ رَكْضَ الجِيادِ بها رِجْلي[2]
ولا مِسْمَعي يُصغي لِنَغْمةِ شاعرٍ، وكَفِّيَ لا تَمْتَـدُّ يوماً إلى بَـذْلِ؛
طريـداً شريـداً لا أُؤمِّلُ رَجْعةً إلى موطنٍ بُوعدتُ عنهُ وعن أهلي.
وقـد كُنتُ متبوعاً فأصبحتُ تابعاً لدى مَعْشرٍ ليسوا بجِنْسي ولا شَكْلي؛
وقولِيَ مَسْمُوعٌ وفِعْلِيَ مُحْكَمٌ، وهـا أنا لا قَوْلي يَجوزُ ولا فِعْلي.
وقـد كُنْـتُ غِرًّا بالزمان وصَرْفِه، فقد بَانَ قَدْرُ العِزّ عِنْدِيَ والذُلِّ[3]

- وقال في مثلِ ذلك:

إن يَسْلَمِ النـاسُ من هَمٍّ ومن كَمَدٍ فإنّني قد جَمَعتُ الهمَّ والكَمَدا[4]؛
لم أُبْـقِ منه لغَيْري ما يُحاذِرُه، فليسَ يَقْصِدُ دوني في الوَرى أحَدا[5]

- ومن شعره في النسيب:

أهوى قَضيــــبَ لُجـــينٍ قـد أُطْلِعَ البـدرُ فيـه[6].
إن كــان مَوْتي بلَحْـــظٍ منـــــه فَعَيْشِي بِلَيــه.

---

(١) لا أمر ولا أحلي (لا أضر ولا أنفع).

(٢) الهوادة (السكون: البقاء بلا عمل) أصدأت منصلي (سيفي): جعلت الصدأ يعلوه.

(٣) غرّ: قليل الاختبار، جاهل. صرف الزمان: تقلّبه (مصائبه). بان: ظهر.

(٤) الكمد: الحزن والغمّ.

(٥) الورى: الناس، البشر كلّهم. - اجتمع الكمد كله عليّ حتّى لم يبق أحد يخاف أن يحلّ به شيء منه.

(٦) لجين: فضّة. قضيب لجين: كناية عن القامة الرشيقة الجميلة. البدر (كناية عن الوجه الجميل).

يـــا ربِّ، كم أتمنّـــى لُقيـــاهُ، كم أشتهيـــه!
ولا أرى منـــه شيئـــاً سِوى جَفـــاءٍ وتِيـــه[1].
طُوبـــى لـــدارٍ حَوَتْـــهُ وأمّـــــهِ وأبيـــــهِ،
بـلْ ألـفُ طوبـى لعبـدٍ في مَوْضـــعٍ يَلْتَقيـــه.

٤-★★ المغرب ٢: ٢٠١ - ٢٠٢؛ الحلّة السيراء ٢: ٨٩ - ٩٢؛ نفح الطيب ٧: ٤٠ - ١٤٣؛ نيكل ١٨٤ - ١٨٥.

ابن اللّبّانة

١ - هُوَ أبو بكرٍ مُحمّدُ بنُ عيسى بنِ محمّدٍ اللَّخْميُّ الدانيُّ، وُلِدَ في مدينة دانِيَةَ ونُسِبَ إلى أُمّهِ التي كانتْ، فيما يبدو، تَبيعُ اللَّبَنَ؛ ولا نَعْرِفُ شيئاً عن أبيهِ عيسى. وكذلك لا نَعْرِفُ شيئاً عن حياتهِ الأُولى.

بدأ ابنُ اللّبّانةِ حياتَه العامّةَ بالدَّوَرانِ على بَلاطاتِ ملوكِ الطوائفِ للتكسّب بشعرهِ. اختار أن يذهب إلى المَرِيَّة لِيَمْدَحَ أبا يحيى محمّدَ بنَ مَعْنٍ المعروفَ باسمِ المُعْتَصِمِ بنِ صُمادِحٍ (٤٤٤ - ٤٨٤ هـ)، سَنَةَ ٤٦٠ هـ أو قبلَ ذلك بقليل. ويبدو أنه لم يستطعْ في أول الأمر أن يَتّصِلَ به، ثمّ اتّصَلَ بهِ ومدحه. ولكنّ هذا الاتّصال لم يَطُلْ لأنّ شاعراً آخرَ اسمهُ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ الحدّادِ الوادي آشي - كانَ قد نال حظْوةً عند المعتصم بن صُمادحٍ وأصبحَ وزيراً له - سَرْعانَ ما أفسد ما بين المعتصم بن صمادح ابن اللبانة. فغادر ابن اللبّانة المَرِيَّة وذَهَبَ إلى بَطَلْيَوْسَ ليمدح أميرَها المتوكّلَ على الله أبا حفصٍ عُمَرَ. ولكنّ المتوكّلَ على الله كان، فيما يبدو، قليل الاحتفال بالشعر في ذلك الحين لأنّه كان يَحْكُمُ بَطَلْيَوْس بالاشتراك مع أخيه المنصورِ يحيى (٤٦٠ - ٤٧٣ هـ). وفي سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) توفّي يحيى وانفرد المتوكّلُ بالحُكْمِ.

وبارحَ ابنُ اللبّانة بَطَلْيَوْسَ إلى قُرطُبةَ. وأغلَبُ الظنّ أنه جاء إلى قرطبة سَنَةَ

(١) الجفاء: البعد. التيه: التكبّر.

٤٦٩ هـ لِيُهَنّيءَ المعتمدَ بن عبّادٍ بفتحه قرطبة للمرّة الثانية. ثمّ انتقل إلى بلاط المعتمد في إشبيلية ونال فيه حُظْوةً أنْسَتْهُ مَرارةَ الأيّامِ الخالية.

وفي سنة ٤٨٤ هـ استولى المرابطون على إشبيلية وحملوا المعتمدَ بنَ عبّادٍ أسيراً وحبسوه في سجن أغماتَ (قرب مرّاكش)، فظلّ ابنُ اللبّانة وَفِيًّا للمعتمد يزورُه بين الفَيْنة والفينة ويمدَحهُ. ولم يَمِلِ ابنُ اللبّانة إلى المرابطين، بل كان منحرفاً عنهم كمُعْظَمِ الشعراءِ في ذلك الحين، لأنّ يوسفَ بنَ تاشفينَ كان يبني دولةً ومُلْكاً ولم يَكُنْ يُلْقي بالاً إلى المَدائح والأهاجي.

ثم أنّ ابنَ اللبّانة جاء إلى جزيرةِ مَيُورِقَةَ في آخرِ شَعْبانَ من سَنَةِ ٤٨٥، قبلَ وفاةِ المعتمد بن عبّاد، لِيَمْدَحَ، فيما يبدو، أميرَها ناصرَ الدولة مبشّرَ بنَ سُليمانَ الذي كان قد جاء إلى حكم الجزيرةِ في تلك السنة نفسِها. وبعد وفاةِ المعتمدِ في أغمات (٤٨٨ هـ) عاد ابن اللبانة إلى ميورقة ومدح ناصر الدولة بقصائدَ كثارٍ. غير أن ناصر الدولة غَضِبَ من ابن اللبانة، فغادر ابنُ اللبانة جزيرة ميورقة وانتقل إلى بِجاية (في المغرب الأوسط) لاجئاً إلى بني حمّود، في أواخر أيام المنصور (بجاية ٤٨٣ - ٤٩٨ هـ) أو في أيام ابنه باديس (٤٩٨ - ٥٠٠ هـ).

وذهب ابن اللّبانة إلى تِلِمْسانَ ثمّ عادَ ثالثةً إلى ميورقة وتوفّي فيها سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) قبلَ وفاة أميرها مُبَشّرٍ بنحو سَنَةٍ واحدة.

٢ - كان أبو بكرِ بنِ اللّبّانة أديباً كاتباً شاعراً مُكْثِراً ومُجيداً في الشِعر وفي النَثْر. وله قصيدٌ ومُوَشّحٌ وقصائدُ طوالٌ ومُقَطَّعاتٌ. وَهُوَ مُتَصَرِّفٌ في المعاني قليلُ التَكلُّفِ قد جَمَعَ بينَ سُهولة التركيبِ ورَشاقةِ التعبير، يعتمدُ في ذلك جَوْدَةَ طبعهِ وقوّةَ قريحتهِ، ولا يَعْرِفُ عِلَلَ الشِعْرِ وعُلومَه. وله مديح كثير أحسنه في بني عبّادٍ. ومن فنونهِ أيضاً الشكوى والعِتابُ والرثاء والهجاء والغَزَلان المذكّر والمؤنّث، وله أيضاً وَصْفٌ للطبيعة. ثمّ هو مؤلّف، له: كتاب مناقل الفِتْنة - نَظْم السلوك في وعظ الملوك - سَقِيطُ الدُرَرِ ولَقيطُ الزَّهَرِ (في شعر بني عبّاد).

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو بكرِ بنُ اللبّانةِ يَصِفُ جزيرةَ مَيورِقَةَ (المغرب ٢ : ٤٦٦):

بَلَدٌ أعارَتْهُ الحمامَةُ طَوْقَها، وكساهُ حُلَّةَ رِيشِه الطاووسُ[١].
وكأنّما تِلْكَ المياهُ مُدامَةٌ، وكأنّ قيعانَ الديارِ كُؤوس[٢]!

- وقال يهجو رجلاً اسمُه ابنُ السيِّد:

يَروقُكَ في أهلِ الجَمالِ ابنُ سَيِّدٍ كَتَرْجَمَةٍ راقَتْ وليسَ لَها مَعْنى[٣].
حَكى شَجَرَ الدِفْلاءِ حُسْناً ومَنْظَرا؛ فما أحْسَنَ المَجْلى وما أقْبَحَ المَجْنى[٤]!

- وقال يَمْدَحُ[٥]:

بَكَتْ عندَ تَوْديعي، فما عَلِمَ الرَّكْبُ أذاكَ سَقيطُ الطَلِّ أمْ لُؤلُؤٌ رَطْبُ[٦]!
وتابَعَها سِرْبٌ؛ وإنّي لَمُخطِئٌ، نُجومُ الدَياجي لا يُقالُ لَها: سِرْبُ[٧]!
لَئِنْ وَقَفَتْ شمسُ النَّهارِ لِيُوشَعٍ، لقد وَقَفَتْ شَمْسُ الهَوى لِيَ والشُّهْبُ[٨]

(١) طوق الحمامة: الريش الملوّن حول عنق الحمامة (ويكون عادة كثير الألوان). الحلّة: الثوب من الحرير. - كناية عن أن أرض جزيرة ميورقة كثيرة المروج كثيرة الأزهار.

(٢) المدامة: الخمر. القيعان جمع قاع: بقعة منخفضة تتجمّع فيها المياه.

(٣) يروقك: يعجبك، يسرّك. الترجمة: فاتحة الكتاب (مقدّمته).

(٤) الدفلى والدفلاء: شجيرة لها زهر حسن ولكن لا رائحة له ولا ثمر لها. المجلى: المظهر، المنظر. المجنى: قطع (الزهر) أو قطفه قبيح إذ لا رائحة له.

(٥) في فوات الوفيات (٢: ٣٢٥) أن هذه الأبيات من قصيدة في مديح المعتمد بن عبّاد؛ وفي قلائد العقيان (ص ٢٨٥ - ٢٨٦) بيت فيه ذكر ميورق (ميورقة؟) ثمّ ذكر ناصر الدولة (بن سليمان صاحب ميورقة من سنة ٤٨٥ - ٥٠٨ هـ). وفي المغرب (٢: ٤١٠) قصيدة من هذا البحر وعلى هذا الرويّ في المتوكّل بن الأفطس.

(٦) الركب: الجماعة يركبون الخيل أو الإبل ويسيرون معاً. سقيط الطلّ: قطرات الندى التي تتكوّن ليلاً على أوراق الشجر. الرطب (صفة للؤلؤ): الذي له بريق (؟). - لمّا بكت المحبوبة وتساقطت دموعها على خدّيها ظنّ الذين يرافقونني أن دموعها ندى أو لؤلؤ.

(٧) وتابعها سرب: بكى معها لبكائها سرب (السرب في الأصل القطيع من بقر الوحش= الغزلان، الظباء). نجوم الدياجي (جمع دجى: الليل المظلم)= كناية عن النساء الحسان.

(٨) إذا كانت الشمس قد توقفت فوق الأفق ليوشع ولم تغب حتّى استمّر يوشع في خوض المعركة، فإن =

عَقيلةُ بيتِ المجدِ؛ لم تَرَها الدُّجى، ولا لَمَحَتْها الشَّمْسُ وَهْيَ لَها تِرْب[١]
وبَحْرٍ - سِوى بحرِ الهوى - قد رَكِبْتُـهُ لأَمْرٍ؛ كِلا البحرَيْنِ مَرْكَبُه صَعْب[٢]
ولَمّـا رأتْ عَيْـني جَنـابَ مَيورقَى أَمِنْتُ وحَسْبُ المَرءِ بُغْيَتُه حَسْب[٣]
نزلـــتَ بكافورٍ وتِبْرٍ وجَوْهَرٍ يُقالُ لَه الحَصْباءُ والرَّمْلُ والتُّرْب[٤]
وقُلْتُ: المكانُ الرَّحْبُ فيه؛ فقيلَ لي: ذُرى ناصِرِ العَلْياءِ أَجْمَعُهُ رَحْب[٥]
حَوى قَصَباتِ السَّبْقِ عَفْواً، ولو سَعى لها البَرْقُ خَطْفاً جاء من دونها يَكْبو[٦]
ويَرْتـاحُ عنـد الجودِ حتّـى كأنّه - وحاشاهُ - نَشْوانٌ يَلَذُّ له الشُّرْب[٧]
سأَلتُ أخاهُ البحرَ عنه فقال لي: شَقيقِيَ إلاّ أنّـه البـاردُ العَذْب!

- ومن موشّحاتِ أبي بكرِ بنِ اللَّبّانةِ هذه الموشَّحةُ التي يَمدَحُ بها باديسَ بنَ المنصورِ (٤٩٨ - ٥٠٠ هـ) من بني حَمّادٍ أصحابِ قَلْعة بني حَمّادٍ وبجايةَ وغيرِهما في المَغْرب الأوسطِ:

في نَرْجِسِ الأَحْداقْ وسَوْسَنِ الأجيـادْ نَبْتُ الهَوى مَغْروسْ بَيْنَ القَنا المَيّادْ[٨]

* * *

= اللواتي وقفن لوداعي شمس الهوى (المحبوبة) والشهب (الفتيات الجميلات المرافقات لها). يقصد أن الشمس وحدها وقفت ليوشع، أمّا هو فوقفت له الشمس والنجوم.

(١) العقيلة: الكريمة المخدّرة، المصونة. الدجى: الليل، ظلام الليل. الترب: المماثل لغيره في العمر. - هي مكرَّمة مصونة لا تبتذل في الأعمال لا نهاراً ولا ليلاً.

(٢) بحر: هو البحر الذي تجري فيه السفن. لأمر: لبلوغ أمر عظيم. كلا البحرين: البحر والهوى (الحبّ).

(٣) الجناب: الجانب. حسب المرء بغيته: يكفي الإنسان أن ينال بغيته (ما يبغي، ما يطلب).

(٤) نزلت في جزيرة حجارتها ورملها وترابها تشبه الكافور والذهب واللؤلؤ.

(٥) الرحب: الواسع، المتّسع للضيوف. الذرى: المكان المرتفع كالذروة.

(٦) حوى قصبات السبق: سبق الناس أجمعين. عفوًا: على مهل ومن غير استعداد لذلك. ومن غير أن يجهد (يتعب). ولو أن البرق أسرع ليفعل فعل (الممدوح) لجاء البرق وراءه تَعِباً أيضاً. يكبو: يسقط على وجهه.

(٧) يرتاح: يطرب، يسرّ.

(٨) نرجس الأحداق: العيون التي تشبه النرجس. سوسن الأجياد: الأعناق التي تشبه السوسن (الزنبق) ببياضها. القنا: الرماح. الميّاد: الذي يهتز (كناية عن قامات النساء الحسان).

وفي نَقـا الكافورْ والمَنْـدَلِ الرَّطْبِ
والهَوْدَجِ المَزرورْ بالوَشْي والعَصْبِ
نـادَى بهـا المَهْجور مِنْ شِدَّةِ الحُبِّ:
قُضْبٌ من البَلّوْر حُمِـينَ بالقُضْبِ.
أذابَـتِ الأشواقْ روحي على أجسادْ أعارَها الطاوُوسْ من ريشهِ أبْرادْ[1]

★ ★ ★

كواكِـبٌ أترابْ تَشابَهَتْ قَـدّا
عَضّتْ على العُنّابْ بالبَـرَدِ الأنْـدى؛
أوْصَتْ بِيَ الأوْصابْ وأغْرَتِ الوَجْدا.
وأكـثرُ الأحبابْ أعْدى من الأعْدا.
تَفْتَرُّ عن أعْـلاقْ لآلِـىءْ أفْرادْ فيه اللَّمَى مَحْروسْ بألْسُنِ الأغْمادْ[2].

★ ★ ★

خَرَجْتُ مُحتـالا أبْغي سَنـا البَرْقِ
أقْطَـعُ أمْيـالا غَرْبـاً إلى شَرْقِ،

---

(١) النقا: الرمل الأبيض. نقا الكافور: أبيض كلون الكافور. والمندل (أجود أنواع العود = نبت طيّب الرائحة) الرطب (الجديد الذي تفوح منه رائحة قويّة). الهودج: شبه غرفة تحمل على الجمل وتركب فيها النساء. المزرور: المربوط، المغلق، المستور. الوشي: نسيج فيه نقوش. العصب: نوع من الثياب الحريرية. قضب من البلّور: نساء بيض (جميلات) طويلات القامة حمين: حماهن، قام حولهن سور من الرجال الشجعان القضب: السيوف. الأشواق (فاعل)، روحي (مفعول به). الأبراد جمع بُرد: ثوب من حرير.

(٢) كواكب أتراب: فتيات جميلات متماثلات في الأعمار. القدّ: القامة. عضّت على العنّاب بالبرد الأندى: لهن شفاه شديدة الحمرة وأسنان شديدة البياض. أوصت....: سبّبت (تلك الشفاه والأسنان) لي الآلام وجعلتني شديد الحبّ لها (لصاحباتها). تفتر (تنفتح، تنكشف) عن أعلاق (جمع علق بكسر العين: الشيء النفيس) لآلىء أفراد (مثل اللآلي الفريدة، الكبيرة، الثمينة: الأسنان) اللمى: السمرة في الشفاه (الشفاه). الغمد: قراب (بيت) السيف. ألسن الأغماد: رموش العيون.

مُؤَمِّـــلًا حـــالا تكونُ من وَفْقي.
فقـــالَ مَنْ قـــالا وفـــاهَ بالصِـــدْق:
دعْ قَطْعَكَ الآفاقَ، يا أيُّها المرتادُ واقْصِدْ إلى باديسْ خَيرِ بني حَمّادْ[1].

– وقال أبو بكرِ بن اللَّبّانةِ، لما استولى المرابطون على إشبيليةَ وخلعوا المعتمدَ بنَ عبادٍ وحملوه معَ أهلِهِ الباقين على قيدِ الحياة أسرى إلى المغرب:

تبكي السماءُ بمُزنٍ رائحٍ غادي ... على البهاليل مِن أبناء عبَّاد[2]،
على الجبال التي هُدَّتْ قواعدُها، ... وكانت الأرضُ منهم ذاتَ أوتاد[3]
وكعبةٍ كانت الآمال تَخدِمها، ... فاليومَ لا عاكفٌ فيها ولا باد[4].
يا ضيفُ،أقْفَرَ بيتُ المكرُمات فخُذْ ... في ضمّ رَحْلِكَ واجمعْ فَضْلَةَ الزاد.
ويـا مؤمِّـلَ واديهم ليسكُنَـهُ، ... خفَّ القطينُ وجفَّ الزرعُ بالوادي[5].
وأنتَ يا فارسَ الخيل التي جَعَلَتْ ... تختال في عُدَدٍ منهم وأعداد[6]،
ألقِ السِلاحَ وخلِّ المَشْرَفيَّ فقد ... أصبحْتَ في لَهَواتِ الضَيْغَمِ العادي[7].
لمَّا دنا الوقتُ لم تُخلِفْ به عِدَةً؛ ... وكلّ شيءٍ لميقاتٍ وميعاد[8].
كم مِن دراريِّ سعدٍ قد هَوَتْ،ووَهَـتْ ... هنـاك مِن دُررٍ للمجد أفراد[9].

---

(١) خرجت محتالا (لكسب الرزق) أبغي (أطلب) سنا البرق (لمعان البرق: الخير). من وفقي: توافقني، تنطبق على ما أريد. المرتاد: الذي يذهب أمام القوم ليكشف لهم مكاناً فيه مرعى وماء.
(٢) المزن (المطر) رائح (في المساء) غاد (في الصباح). البهلول: السيِّد الجامع لصفات الخير.
(٣) .... ذات أوتاد (ثابتة، راسخة).
(٤) العاكف: المقيم (في البلد)، المتوطِّن. البادي: الطارىء على البلد (الزائر) راجع القرآن الكريم ٢٢: ٢٥، سورة الحجّ.
(٥) القطين: الساكن خفَّ: رحل.
(٦) العدّة: الآلات، الأدوات. الأعداد (العدد)، الكثرة من الناس.
(٧) المشرفي: السيف. اللهوات (جمع اللهاة): اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم). الضيغم: الأسد. العادي: الهاجم، الجريء الوثّاب.
(٨) لم تخلف (أنت) عدة (وعدا)– صبرت على ما جاء به القدر.
(٩) الدراري: النجوم.– نجوم السعد غابت (فانتشر الشؤم في العالم). وهى: ضعف وانقطع (سلك العقد). الدرر: حبّات اللؤلؤ. أفراد (يقصد فراد أو فرائد جمع فريدة: اللؤلؤة الكبيرة النادرة الثمينة).

إن يُخلَعوا فبنو العباس قد خُلِعوا ،   وقد خلتْ قبلَ حمصٍ أرض بغداد [١] .
حَمَوْا حَرِيمَهُم حتى إذا غُلِبوا   سِيقوا على نَسَقٍ في حَبْلِ مُقتاد [٢] .
حانَ الوَدَاع فضجَّتْ كلُّ صارخةٍ   وصارخٍ مِن مُفَدَّاةٍ ومن فاد [٣] .
سارَتْ سفائِنُهم والنَوح يَصْحَبُهـا   كأنَّهـا إبِلٌ يَحْدو بها الحادي [٤] .
كَمْ سال في الملكِ من دمع ، وكَمْ حَمَلَتْ   تلك القطائعُ من قِطْعات أكبـاد [٥] .
من لي بكم ، يا بني ماء السماء ، إذا   ماءُ السماءِ أبى سُقْيا حَشَى الصادي [٦] .

– وقال في مثل ذلك:

لِكلّ شيءٍ من الأشياءِ ميقاتُ   وللمُنـى مِن مناياهنَّ غاياتُ [٧] .
والدهر في صِبغةِ الحِرباءِ مُنْغَمِسٌ ،   ألوانُ حالاته فيها آستحالاتُ [٨] .
ونحن مِن لُعَبِ الشِطرنج في يده ،   وربّما قُمِرَتْ بالبيـذق الشاةُ [٩] .
فآنْفُضْ يديك من الدنيا وساكنها ،   فالأرض قد أُقْفِرَتْ والناس قد ماتوا .
وقل لعالَمِها السُفليّ قد كَتَمتْ   سريرةَ العالَم العُلْويّ أغماتُ [١٠] .

---

(١) قبل سقوط المعتمد بن عبّاد عن عرش حمص (أشبيلية) سقط بنو العبّاس عن عرش بغداد .
(٢) .... سيقوا أسرى متتابعين في حبل واحد (بعد العزّ ذلّوا) .
(٣) حان: قرب . ضجّت: بكت . المفدّاة: التي يفدّيها الناس (يحبّونها) والفادي: الذي يفدّي (يحب) الناس . جميع الناس حزنوا .
(٤) يحدو بها: يسوقها . ساروا مقودين (بعد أن كانوا قوّاداً) .
(٥) القطائع جمع قطيعة: قطعة من الأرض . والملموح (هنا) أنّها السفينة .
(٦) بنو عبّاد أصلهم من المناذرة أبناء ماء السماء (وماء السماء هي أمّ المنذر بن امرىء القيس ، ملك الحيرة) (ت ٦٠ قبل الهجرة = ٥٦٢ م) . ماء السماء (الثانية): المطر . الحشى: القلب . الصادي: العطشان .
(٧) وللمنى (جمع أمنيّة: رغبة) من مناياهنّ غايات (جمع غاية: نهاية) . – لكلّ أمنيّة (نعمة ، حال حسنة) نهاية (موت ، كما يكون للبشر) .
(٨) الاستحالة: التبدّل ، التغيّر . أحوال الدهر لا تبقى على وتيرة واحدة .
(٩) الشاة (يقصد الشاه – الملك – أعظم قطع الشطرنج) فإذا مات الشاه انتهت دورة اللعب بالشطرنج ، ولو بقيت جميع الحجارة الباقية سليمة . البيذق: الجندي: أصغر حجارة الشطرنج .
(١٠) سريرة العالم العلويّ (المعتمد بن عبّاد): خلاصة الوجود الإنساني . أغمات قرب مدينة مرّاكش سجن فيها المعتمد بن عبّاد .

طوَتْ مظلّتُها لا بـل مَذَلّتـهـا | مَنْ لم تَزَلْ فوقَه للعزّ رايات[١]؛
مَن كـان بينَ الندى والبأس أنْصُله | هِنديّةٌ، وعطاياه هُنَيدات[٢].
رماه من حيث لم تَسْتُرْهُ سابغَةٌ | دهرٌ مُصيباتُـه نُبْلٌ مُصيبات[٣].
وكـان ملءٌ عِيـانِ العينِ تُبصره | وللأمـانيّ في مَرْعـاه مرعـاة[٤].
انكرتُ إلّا التواءاتِ القيود به؛ | وكيف تُنْكَر في الرَوْضات حيات[٥].
حَسِبْتُهـا من قَنـاهُ أو أعِنَّتـهِ، | إذا بها لثِقافِ المجد آلات[٦].
دَرَوْه ليثـاً فخافوا منـه عاديةً، | عذرتُهم فلعُدْوى الليث عادات[٧].

- وقال يَصِفُ الروضَ ونسيمَ الروض:

والرَّوْضُ إن بَعُدَتْ عليك قُطوفُه | وافَتْكَ عنهُ الرّيحُ وَهْيَ بَليلُ[٨].
حَسْبُ النّسيمِ مِنَ اللّطافَـةِ أنّـهُ | صَحّتْ بهِ الأجسامُ وَهْوَ عَليلُ[٩].

٤ - ★★ قلائد العقيان ٢٨٣ - ٢٩٠؛ المغرب ٢: ٤٠٩ - ٤١٦؛ فوات الوفيات ٢: ٣٢٤ - ٣٢٧؛ الوافي بالوفيات ٤: ٢٩٧؛ ابن الأثير ١٠: ١٨٨ - ١٩٢، ٢٤٩ -

---

(١) المظلّة: الغطاء السقف. المذلّة (كناية عن سقف السجن). - كانت تخفق فوق رأسه رايات العزّ (في الملك والحرب) فأصبح فوق رأسه سقف السجن.

(٢) الندى: الكرم. البأس: القوّة (الحرب). النصل: حدّ السيف. هندي: (سيف) من صنع الهند. الهنيدة: المائة من الإبل.

(٣) السابغة: الدرع. مصيبات (الأولى) مصائب، نوائب. النبلة: السهم. مصيبات (الثانية): اسم فاعل من أصاب (أصاب مقتلاً من الإنسان).

(٤) المرعى (مكان الرعي). مرعاه: رعاية (المعتمد بن عبّاد للناس). مرعاة: مرعى (كان الناس يجدون في حكم المعتمد بن عبّاد أمناً وازدهاراً).

(٥) رأيت المعتمد بن عبّاد في سجنه (في حال نفسية سامية، كما كنت أراه في قصره) لولا القيود التي كانت في رجليه. ثمّ إنّ الشاعر يشبّه المعتمد بن عبّاد بالروض وما فيه من أزهار وثمار، ويشبّه قيوده بالأفاعي. وكلّ إنسان يستطيع أن يرى الفرق بين الأفعى وبين النبات.

(٦) القنا جمع قناة: رمح. أعنّة (جمع عنان بالكسر): لجام، رسن. ولكن كانت في الحقيقة ثقافاً (قيوداً) للمجد (للمعتمد بن عبّاد).

(٧) دروه (عرفوه) ليثاً (أسداً). عادية: اعتداء. ومن عادة الأسد العدوى (الاعتداء) على غيره.

(٨) إذا لم يكن للبستان قطوف (أثمار) تأكلها وافاك (جاءك منه) هواء بليل (رطب).

(٩) عليل: مريض. والهواء العليل (إذا كان هبوبه خفيفاً لطيفاً منعشاً).

٢٥٠؛ المطرب ١٧٨ - ١٧٩؛ المعجب ١٤٧، ١٤٩ - ١٥٠؛ جيش التوشيح ٥٩ - ٧٢، راجع ١٢٤؛ نفح الطيب ١: ٦٦٢، ٣: ١٩٩، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٦٨ - ٣٦٩، ٦١٢، ٤: ٩٤ - ٩٨، ١٠٢ - ١٠٣، ١٥٦، ٢١٤ - ٢١٨، ٢٢٢ - ٢٢٣، ٢٤١ - ٢٤٢، ٢٤٦ - ٢٤٨، ٢٥٥ - ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٧٤ - ٢٧٥، ٢٧٩ - ٢٨٠، ٧: ٤٢ - ٤٣؛ شذرات الذهب ٤: ٢٠؛ نيكل ١٦٣؛ مختارات نيكل ١١٣ - ١١٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٥٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢١٤ (٦: ٣٢٢)؛ بالنثيا ١٥٧.

ابن طاهر القيسيّ

١ - أسرةُ ابنِ طاهرٍ هذا أسرةٌ عربيةٌ كبيرةُ العدد واسعةُ الثروة عالية المكانة تَرْجعُ بنسبها إلى قَيْس عَيْلانَ. وكان مسكنها في مُرسِية من كورة تُدْمير (في الطَرَفِ الجَنوبيّ الشرقيّ من الأندلس). ونشأ في هذه الأسرة «أعلامٌ وحَمَلَةُ سُيوفٍ وأقلام»، كما يقول لسان الدين بن الخطيب (أعمال الأعلام ٢٠١) ثمّ صارتْ لهم - في مطلع الفِتنة - الرئاسةُ على مرسية.

وكان أبو بكر أحمدُ بنُ طاهرٍ (والدُ صاحب هذه الترجمة) قدِ استبدّ بأمرِ كورة تدمير كلّها، وكان حُكمه صالحاً على الناس فاجتمعوا على طاعته والاعتراف بحقّه.

أمّا صاحبُ الترجمة نفسُه فهو أبو عبدِ الرحمنِ محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ إسحاقَ بنِ طاهرٍ، كان مَوْلدُه نحوَ سَنَةِ ٤١٥ هـ (١٠٢٤ م). واتّفق أن أحمدَ بن طاهرٍ فُلِجَ في أواخرِ أيامه فقام ابنُه أبو عبدِ الرحمن محمّدٌ مكانَه وسَدَّ مسدّه. فلمّا تُوُفّي ابن طاهرٍ الكبير، (سَنَةَ ٤٥٥ هـ)، خَلَفَه ابنُه أبو عبد الرحمن.

طَمِعَ المعتمدُ بن عَبّادٍ مَلِكُ إشبيلية (٤٦١ - ٤٨٤ هـ) بالاستيلاء على مُرسية، فواطأَ (سَنَةَ ٤٧٤) رايموندو الثانيَ صاحبَ (حاكمَ) برشلونة، وحاصرَ المَلِكُ المُسْلمُ والملكُ النصرانيُّ مرسيةَ المُسلمة - وتلك عادةٌ كانتْ، مَعَ الأسف، مألوفةً في أيامِ ملوكِ الطوائف - ولكنّ المَلِكَيْن لم ينجحا في الاستيلاء على مرسية.

ثمّ استطاعَ المعتمدُ - في حديثٍ طويل - أن يستوليَ على مُرسية (بقيادة عامله على «حصن بَلْجِ» - على مقرُبَةٍ من جَيّانَ -، عبدِ الرحمن بنِ رشيق). ودخل ابنُ

رشيقٍ مدينةَ مرسية وأخذَ صاحبَها ابنَ طاهرٍ واعتقله. ثمّ إنّ المعتمدَ أمر بإطلاق سَراح ابنِ طاهرٍ، فانتقل ابنُ طاهرٍ إلى شاطبةَ، ثمّ ذهبَ إلى بَلَنْسِية وبَقِيَ فيها إلى أن تُوُفّيَ سَنَةَ ٥٠٧ هـ (١١١٣ م). وفي العام التالي نُقِلَ رُفاتُه إلى مرسية.

٢ - أبو عبدِ الرحمنِ بنُ طاهرٍ القَيْسيُّ أديبٌ ناثرٌ يُجيدُ النثرَ المسجوعَ جِدًّا وهَزْلاً، ورَوِيَّةً وارتجالا، ومحلُّه من الأدب معروفٌ، إذ هو المثلُ السائر في البلاغة والبيان. ثمّ هو ظريفُ التوقيع[1] خفيفُ الروح عَذْبُ النادرة والفكاهة. وكانت به دُعابة غَلَبَتْ عليه لا يتركها بحال. وهُوَ معَ ذلك قد رَوَى الحديثَ وروى الحديثَ عنه آخَرون. وكذلك كان جواداً مُمَدّحاً مَدَحَهُ أبو بكرِ بنِ عمّارٍ (قُتل ٤٧٧ هـ) يوم كان أبو بكر بن عمّارٍ لا يزالِ ناشئاً في الأدب خاملًا. وأغراضُه في رسائله كثيرة. وهو يُكْثِرُ الاستشهادَ بالشعر ولكنْ لا يقوله. وقد ألّف ابن بسّام صاحب « الذخيرة » كتاباً في رسائل ابن طاهر عنوانه: « سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر » (الذخيرة ٣: ٢٥).

٣ - مختارات من نثره:

- من كتابٍ لابن طاهرٍ القَيسيّ خاطبَ به أبا الحسن يحيى بن إسماعيل المأمونَ بنَ ذِي النون صاحبَ طُلَيْطُلَة[2]:

....الآنَ عادَ الشبابُ خيرَ مَعادِه، وابْيَضّ الزمانُ بعدَ سَوادِه، وترك الزمان فضل عِنانه[3]، فله الشُكر المُرَدَّد بإحسانه. ووافاني - أيّدكَ اللهُ - كتابٌ كريمٌ كما طرّزَ البدرُ النَهَرَ، أو كما بَلّل الغَيْثُ المطر، وطوّقني طَوْقَ الحمامة[4] وألْبسني ظِلَّ

---

(١) التوقيع: تعليق جملة في آخر الرقعة التي تقدّم إلى الحكومة بطلب ما (يصرف - لا يصرف - إنّ الله مع الصابرين - كما تدين تدان....الخ ممّا يعرف منه ماذا يراد أن يفعل بطلب الطالب).

(٢) يحيى بن اسماعيل المأمون بن ذي النون حكم في طليطلة (جنوب مدريد) من ٤٦٧ إلى ٤٧٨ هـ.

(٣) العنان (بالكسر) اللجام. ترك (له) الزمان فضل (زيادة أو بقية عنانه): تركه يفعل ما يشاء.

(٤) وطوّقني (جعل حول عنقي طوقاً: عِقداً) طوق الحمامة (مثل طوق الحمامة: ثابتاً). وطوق الحمامة ريش مخالف في لونه لون الريش في سائر جسم الحمامة.

الغَمامة[١]، وأثبتَ لي فوقَ النجم منزِلةً وأراني الخطوبَ نائيةً عنّي ومعتزلة. فوضعتُه على رأسي إجلالاً ولَثَمْتُ كلّ سطورِه احتفاءً واحتفالا.

- وله من رسالة يجري فيها مجرى الهَزْل:

.... مَثَلي ومَثَلُك مَثَلُ رجلٍ من العرب[٢] اسْتقرى عَقيلةَ رَبْرَب[٣]، بل سليلةَ فضل وحَسَب. فأجْزَلَتْ قِراه وأكرمت مَثْواه[٤]. فلمّا اطمأنّ به المجلسُ وانتظم التأنُّس، سَمَتْ إلى بعض أوْطارها فراقَه ما تحت إزارِها[٥]. فجعل يُنْشِد:

يا أختَ خيرِ البَدْوِ والحَضارهْ، ماذا تَرَيْنَ في فَتى فَزارهْ[٦]،
أصبح يَهْوى حُرَّةً مِعْطاره؟ إيّاكِ أعْني واسْمَعي، يا جارهْ[٧].

وكذلك غَيْرُكَ المُخاطَبُ في شؤوني وأنتَ المُراد، وإليه الإيماءُ[٨] وفيك يبدأ القولُ ويُعاد. ولله أنتَ ما أعطَرَ خِلالَك وأكثرَ اهتبالَك[٩]. لا زالتْ أياديك كالأطواق ومعاليك مُعَطِّرَةَ الآفاق.

- وله من رسالة في التعزية (الذخيرة ٣: ٨٤ - ٨٥):

الدنيا - أعزّكَ اللهُ - ليستْ بدارِ قَرارٍ. والمرء منها على شَفا جُرُفٍ هارٍ[١٠]. وإنّما

---

(١) وألبسني ظلّ الغمامة (ما يدفع عنّي حرّ الشمس من غير أن يؤذيني البرد): تفضّل عليّ بنعمة بعد نعمة.

(٢) العرب: البدو.

(٣) استقرى: طلب القرى (بكسر القاف) الضيافة. العقيلة: السيّدة المخدّرة، الزوجة الكريمة، سيّد القوم. الربرب: القطيع من الماشية. عقيلة ربرب (؟): اجمل بنات قومها.

(٤) أجزلت: أكثرت. أكرمت مثواه (مقامه، بالضمّ): أقامته عندها.

(٥) أوطارها: أغراضها، غاياتها. راقه: أعجبه. الإزار: ما تلقيه المرأة على جسمها (يبدو أن إزارها انكشف عن بعض جسمها).

(٦) فزارة: قبيلة من العرب.

(٧) معطارة: تستخدم العطر بكثرة. ذات رائحة عطرة. «اياك أعني....» مثل (أنا أتكلّم عن غيرك وأعنيك).

(٨) الإيماء: الإشارة.

(٩) الاهتبال: اغتنام الفرصة (هنا: الذي يدرك حاجة السائل من التلميح).

(١٠) على شفا (طرف) جرف (شقّ الوادي إذا حفر الماء في أسفله) هار (الرمل المتساقط المنهار) - مكان فيه خطر (يخشى منه السقوط).

هي جِسْرٌ على الطريق وعَدُوٌّ في ثِياب صديق[1]. ولمّا بلغتني وفاةُ فلان - رَحِمَه الله ونَضّرَ وجهَه وبرّدَ مَثْواه[2] - عَلمتُ أنّك الجبلُ الذي لا يرتقي الجَزَعُ ذُراه[3]. وإن كان سَهْمُ المنايا قد أصابَ حمياً واستَلَبَ كريماً[4]، فقد أبقى اللهُ بك الصَدْعَ مَرْؤوباً[5] والجَزَعَ مغلوبا.

٤ - ★★ قلائد العقيان ٦٤ - ٧٩؛ المغرب ٢: ٢٤٧؛ الذخيرة ٣: ٢٤ وما بعد؛ الحلّة ٢: ١١٦ وما بعد؛ أعمال الأعلام ٢٠١ - ٢٠٢ الخريدة (الاندلس) ٢: ٣١٣ - ٣٣٠؛ الاعلام للزركلي ٦: ٢٠٧ (٥: ٣١٥) ووفاته فيه نحو ٤٨٠ هـ (وهو تقدير خاطىء).

أبو العرب مصعب بن محمّد

١ - هو أبو العربِ مُصْعَبُ بنُ مُحمّدِ بنِ أبي الفُراتِ القُرَشيّ العَبْدري الزُبيريّ الصِقِلّيّ، وُلِدَ في صِقِلّيةَ سَنَةَ ٤٢٣ (١٠٣٢ م). وقد تَرَكَها بعدَ أنِ استَوْلى عليها النورمانيونَ، سَنَةَ ٤٦٤، وانتقل إلى إشبيليَةَ (في الأندلس) - بدَعوةٍ مِنَ المُعتمدِ بنِ عبّادٍ (وفيات الأعيان ٣: ٣٣٣) - وكان المُعتمدُ يَعرِفُ له قدرَهُ ويُبالغُ في إكرامه. وقد حَظِيَ كذلك عندَ عددٍ من مُلوكِ الطوائف وتردّد إليهم. وانتقلَ أخيراً إلى بَلاطِ ناصرِ الدَوْلة مبشر بن سُليمانَ في ميورقةَ (٤٨٥ - ٥٠٨ هـ) فتُوُفّيَ في (جزيرة) ميورقةَ بُعيد سَنَةِ ٥٠٧ (١١١٣ م).

٢ - أبو العربِ مُصْعَبُ بنُ محمّدٍ عالمٌ بالأدبِ وأديبٌ شاعرٌ متينُ الأسلوبِ عالي

---

(١) يقول أبو نواس:
إذا امتحن الدنيــا لبيـب تكشّفـت ... لــه عن عــدوّ في ثيـاب صديــق.

(٢) نضّر (بيّض ونوّر) وجهه (يوم القيامة) وبرّد مثواه (إقامته في الجنّة).

(٣) الجزع: الحزن مع الخوف. الذرى: أعلى الشيء.

(٤) استلب (الموت): أخذ.

(٥) الصدع: الشقّ. مرؤوب: مضموم، مجموع (إنّ موت ذلك الميت لم يفرّق قومه لأنّهم وجدوا سيّداً لهم بعده لا يقلّ عنه).

النفَس، ولكنّ أثَرَ أبي تمّام وأثَرَ المتنبّي يَظْهرانِ في شِعره واضحَيْنِ. وأبرزُ فنونه المدحُ والوصف والخمر والحِكمة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو العرب مُصْعَبُ بنُ محمّدٍ في الخمر وفي الساقي:

★ أبهى المناظرِ في عَيْني وأحسَنُها ... كأسٌ بكفّ رَخيمِ الدَلِّ سَمّارِ[١].
كأنّـــه إذ يُسَقّي سادةً زُهُراً ... نجمٌ يُوزّعُ نَجْماً بـــين أقْمارِ[٢].
★ بِكْرٌ حَصانٌ إذا ما الماء واقَعَها ... أبْدَتْ لَنا زَبَداً في سَوْرَةِ الغَضَبِ[٣].
كادتْ تَطيرُ نفاراً حين نافَسَها، ... لولا الشِباكُ التي صِيغَتْ من الحَبَبِ.

- وله من قصيدة يمدح بها المُعتمدَ بن عبّادٍ:

يُشاهِـدُ أسرارَ الزمـانِ جَلِيَّـةً ... بفِطْنَـةِ مدلولِ البصـيرةِ مُلْهَمِ.
أيادٍ أبانتْ عنه وهي صوامتٌ؛ ... وربَّ مُبـــــينٍ ليس بالمتكلّمِ:
فلا الغَرَضُ الأقصى عليه بعازِبٍ ... بعيدٍ، ولا المُعْتاصُ عنه بمُبْهَمِ[٤].

- وقال يمدح رجلاً بالقُدرة على الظَفَرِ بكلّ هاربٍ من سُلطانه:

كأنّ فِجاجَ الأرضِ يُمناكَ، إنْ يَسِرْ ... بها خائفٌ تجمعْ عليه الأناملا.
فأنّـى يَفِرُّ المرءُ عنـك بجُرْمـه، ... إذا كان يَطْوِي في يَدَيْكَ المَراحلا؟

- وقال في الحنين إلى وَطَنِه صِقِلِّيَةَ:

إلامَ اتّباعي للأمـاني الكواذبِ، ... وهذا طريقُ المجدِ بادي المذاهب!
أهُمّ ولِي عَزْمـــانِ: عزمٌ مُشرّقٌ ... وآخَرُ يُغري هِمّــتي بالمغـــارب.

---

(١) رخيم: عذب (مطرب). الدل: إظهار الجرأة (على الحبّ). سمّار: كثير (حسن) السهر مع الندمان.
(٢) سادة زهر: بيض (كناية عن شرفهم ومكانتهم).
(٣) بكر (خمر لم يشرب من إنائها أحد بعد) حصان (لم تلمسها كفّ إنسان). واقعها: جامعها (مزجت بالماء).
(٤) العازب: البعيد. المعتاص: الصعب.

ولا بُدّ لي أن أسألَ العِيسَ حاجةً تَشُقُّ على أخفافِها والغوارب[1].
عَلَيّ لآمالي اضْطرابُ مُؤَمِّلٍ، ولكن على الأقْدارِ نُجْحُ المطالب[2].
فيا نَفْسُ، لا تَسْتَضْحِي الهُونَ إنّه - وإنْ خَدَعَتْ أسبابُه - شَرٌّ صاحب[3]
ويا وَطَني، إنْ بِنْتُ عنكَ فإنّني سأُوطِن أوكارَ العِتاق النَجائب[4].
(إذا كان أصلي من تُرابٍ فكلُّها بلادي، وكُلّ العالمين أقاربي)[5].
وما ضاق عنّي في البسيطة جانبٌ - وإنْ جَلّ إلاّ اعْتَضْتُ عنه بجانب.
إذا كنتَ ذا هَمٍّ فكن ذا عزيمةٍ، فما غائبٌ نال النجاحَ بغائب[6]!

٤ - ★★ التكملة ٣٨٦ (رقم ١٠٩٩ خريدة القصر (الأندلس) ٢: ١٠٢ - ١٠٨؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٣٣، ٣٣٤، نفح الطيب ٣: ٥٦٩ - ٥٧٠، ٤: ٢٦٠ - ٢٦١ الأعلام للزركلي ٨: ١٥١ (٧: ٢٤٩).

ابن القصيرة الوليّ

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ سُليمانَ الكِلاعيُّ الإشبيلي الوَلْبيّ الأندلسيّ، لَعلَّ مَوْلِدَه كان نحوَ ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م). نشأ ابنُ القَصيرةِ في دولةِ المُعْتَضِدِ بن عبّادٍ (٤٣٤ - ٤٦١ هـ) ثمّ بَقِيَ عند المعتمدِ ونُكِبَ مَعَه، سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م). ولكنّ يوسفَ بنَ تاشفينَ عادَ فقرّبه وضَمّه إلى كُتّابه. فانتقل ابنُ القصيرة إلى مَرّاكُشَ وبَقِيَ فيها إلى أنْ تُوُفّي، سَنَةَ ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م).

٢ - كان ابنُ القَصيرةِ كاتباً مُتَرَسِّلاً مُجيداً. وكان له نَظْمٌ.

---

(١) العيس: النياق. الخفّ (بالضمّ) للبعير كالقدم للإنسان. الغارب: أعلى الكتف. تشقّ على أخفافها الخ: حاجة في مكان بعيد لا تستطيع أن تصل إليه النياق.

(٢) اضطرب: تحرّك (تنقّل في البلاد).

(٣) الهون: الهوان، الذلّ.

(٤) بان: ابتعد. العتاق النجائب: الإبل الأصيلة (القادرة على السير).

(٥) راجع ص ١٨٥.

(٦) يقول أبو تمّام (ت ٢٣٢):

ما آب من آب لم يظفر بحاجته ولم يغب طالب بالنجح لم يغب.

٣- مختارات من آثاره:

- كتبَ ابنُ القصيرةِ رسالةً إلى الفتح بنِ خاقانَ منها:

وافتْني- أطالَ اللهُ بقاءك- أحرُفٌ كأنّها الوَشْمُ في الخُدودِ تَميسُ في حُلَلِ إبداعِها(١)، وإنّك لَسابقُ الحَلْبة لا يُدرَكُ غُبارُكَ في مِضمارِها ولا يُضافُ سِرارُكَ إلى إبدارِها(٢).... وما أنتَ في البلاغة إلّا نُكتَةُ فَلَكِها(٣) ومُعجِزَةٌ تَشرُفُ الدُّوَلُ بتَملُّكِها. وما كان أخلَقَكَ بمُلْكٍ يُدنيكَ ومَلِكٍ يَقتَنِيكَ(٤). ولكنّها الحظوظُ لا تَعتَمِدُ مَنْ تَتَجمّلُ به وتَتَشرَّفُ ولا تَقِفُ إلّا على من تَوَقَّف(٥). ولو أنفقَتْ بحَسْبِ الرُّتَبِ لما ضَرَبَتْ إلّا عليك قِبابَها ولا عَطَفَتْ إلّا عليك أثوابَها(٦).

- وكتب عن أمير المسلمين يوسفَ بنِ تاشِفينَ إلى طائفةٍ مُتَعَدِّيةٍ (لعلّ الرسالةَ إلى بَعضِ ملوكِ الأندلسِ بعدَ معركة الزلّاقة):

أمّا بعدُ، يا أُمّةً لا تَعقِلُ رُشْدَها ولا تَجْري إلى ما تَقْتَضيه نِعَمُ اللهِ عندَها ولا تُقلِعُ عن أذَى تُفَشِّيهِ قُرْباً وبُعْداً جُهْدَها(٧). فإنّكم لا تَرْعَوْنَ لجارٍ ولا لغيره حُرْمةً ولا تُراقبون في مُؤمنٍ إلّاً ولا ذِمّةً(٨). قد أعماكُمْ عن مَصالحكم الأَشَرُ(٩)، وأضَلّكم ضَلالاً بعيداً البَطَر، ونَبَذْتُمُ المعروفَ وراءَ ظُهورِكم....ليس فيكم زاجرٌ، ولا منكم إلّا غَوِيٌّ فاجر.

---

(١) الوشم: علامات ترسم على الجسم طلباً للجمال في الأكثر. تميس تمايل، تتخايل، تعتزّ وتفتخر.

(٢) سابق الحلبة: الحصان الذي يأتي أوّلاً. السرار: حال القمر في آخر الشهر. الإبدار: امتلاءالقمر في نصف الشهر.- ظلامك خير من نورهم.

(٣) النكتة: النقطة البارزة. الفلك: مدار النجوم. نكتة فلك البلاغة: أبرز رجالها.

(٤) ما أخلقك: ما أحقّك. يدنيك: يقرّبك. يقتنيك: يخّص نفسه بك.

(٥) لا تعتمد من تتجمّل به: لا تحسب حساب الذي يريدك قيمة، لا تطلبه وتقرّبه ابتداء. من توقّف: من طلب هو (التقرّب من الملوك).

(٦) ولو أنّ الدنيا عاملت الناس بحسب أقدارهم لقربتك (يا فتح بن خاقان). ضربت عليك قبابها، الخ: آونك، اعتزّت بك.

(٧) تفشّيه: تنشره. جهدها: أكثر ما تستطيع.

(٨) رعى حرمته: حافظ على كرامته. ولا تراقبون... الخ: لا تحفظون له عهداً ولا حقّاً.

(٩) الأشر: النشاط (الاعتداد بالقوّة).

٤ - ★★ خريدة (الأندلس) ٢: ٣٤٢ - ٣٤٨؛ أعتاب الكتّاب ٢٢٢ - ٢٢٤؛ قلائد العقيان ١١٧ - ١٢٠؛ المغرب ١: ٣٥٠ - ٣٥١؛ المحمّدون ٣٥٨؛ الوافي بالوفيات ٣: ١٢٨ - ١٢٩؛ الصلة ٥٠٢ المعجب ١١٥ - ١٢١ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠ (٦: ١٤٩ - ١٥٠).

سراج بن عبد الملك بن سراج

١ - أبو الحسينِ سِراجُ بنُ عبدِ الملكِ بن سِراجٍ (ت ٤٥٦ هـ) بن عبدِ اللهِ بنِ مُحمّدِ بنِ سِراجٍ، وُلِدَ في قُرْطبةَ سَنَةَ ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ - ١٠٤٨ م) واقتصرَ في تَلَقّي العلمِ على أبيه عبدِ الملكِ (ت ٤٨٩ هـ) ثمّ تَصدّرَ للتدريس. ويبدو أنّه وَزَرَ للمُعْتَمدِ ابنِ عبّادٍ في إشبيلية. وكانتْ وفاةُ ابنِ سِراجٍ في ثاني عِشْرِي جُمادَى الثانيةِ من سَنَةِ ٥٠٨ (٢٣/١١/١١١٤ م).

٢ - كان أبو الحسينِ بنُ سِراجٍ عالِمَ زمانه في الحديثِ والفِقْه، كما كان بارعاً في اللُّغة والنحو مُلِمّاً بالتاريخ والأدب. وكان شاعراً أكثرُ شِعْرِه الغزلُ والنسيب والحِكمة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحسينِ بنُ سِراجٍ في الحِكمة:

بُثَّ الصنائعَ لا تَحْفِلْ بمَوْقِعها: في مَنْ نأى أو دَنا، ما كُنتَ مُقْتَدِرا[1]؛
كالغيثِ ليس يُبالي حَيثُما انْسَكَبَتْ، منه الغمائمُ، تُرْباً كان أو حَجَرا.

- وقال في النسيب:

لمّا تَبَوأَ مِنْ فُؤادي مَنْزِلاً وغدا يُسَلِّطُ مُقلتيه عليه[2]،
نادَيْتُه مُسْتَرْحِماً من زَفْرةٍ أفضَتْ بأسرارِ الضميرِ إليه:

(١) بثّ: نشر، فرّق. الصنائع جمع صنيعة: عمل المعروف. نأى: بعد.
(٢) تبوّأ: نزل، سكن في منزل الخ.

رِفقــاً بمنزلــكَ الــذي تَخْتلُّــه،   يــا من يُخَرِّبُ بيتَــه بيَدَيْــهِ!

٤ - ** قلائد العقبان ٢٣١ - ٢٣٢؛ معجم الأدباء ١١: ١٨١ - ١٨٢؛ بغية الملتمس ٢٩٠ - ٢٩١ (رقم ٧٨١)؛ المغرب ١: ١١٦ - ١١٧؛ معجم ابن الأبّار ٣٠٥ - ٣٠٧؛ خريدة (الأندلس) ٢: ٥١٩ - ٥٢١؛ المحمّدون من الشعراء ٤٨٩ - ٤٩٠؛ الخريدة (الاندلس) ٢: ٤: ٥١٩ - ٥١٢؛ بغية الوعاة ٢٥١ - ٢٥٢؛ الديباج المذهب ١٢٦.

ابنُ قُزمانَ الكبيرُ

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عبدِ الملك بنِ عيسى بن قُزمانَ - يُعْرَفُ بابن قُزمان الكبيرِ، تمييزاً له من من ابنِ أخيه أبي بكرٍ محمّدِ بنِ عيسى بنِ عبد الملك بن عيسى بن قزمان الزجّالِ المُتوفَّى سَنَةَ ٥٥٥ (١١٦٠ م) - وَزَرَ أوّلَ ما وَزَرَ لأبي حفصٍ عُمَرَ بنِ محمّدٍ المُتوكّلِ صاحبِ بَطَلْيَوْسَ (٤٦٠ - ٤٨٧ هـ)، ولكنْ لعلّه لم يَزِرْ للمتوكّل إلّا بعد أنِ انفردَ المتوكّل بالحكم، سَنَةَ ٤٧٣ (١٠٨٠ م). نالَ ابنُ قزمان هذا في أوّلِ الأمر مكانَةً ساميةً وحياةً ناعمة. ولكنّ الدهرَ عاد فقَسا عليه قسوةً شديدة؛ - جاء في قلائدِ العُقيان (ص ٢١٣) أنّ القاضيَ ابنَ حَمْدينَ تعمّدَ الإساءةَ إليه. ولكنْ لا أُعلَمُ مَنْ كان ابنُ حمدينَ هذا. هنالك ابنُ حمدين تولّى القضاءَ سَنَةَ ٥٢٩ (قضاة الأندلس ١٠٣)، في أيامِ ولاية يحيى بنِ عليٍّ بن غانيةَ (ت ٥٤٣) والي غَرْناطةَ (راجع نفح الطيب ٤: ٧٦)، ومِنَ البعيدِ أن يكونَ ابنُ حمدين هذا مقصوداً بروايةِ صاحبِ القلائد[1]. وكانتْ وَفاةُ ابنِ قُزمان الكبيرِ في سادسِ رَجَبَ مِنْ سَنَةَ ٥٠٨ (١١١٤/٧/٣ م).

٢ - كانَ ابنُ قُزمانَ الكبيرُ وزيراً جليلًا من أُسْرَةٍ كان لها تقدُّمٌ في مناصبِ الدولة، إلّا أنه هو كان ضيِّقَ الصَدْرِ قليلَ الأنس بالناس. ثمّ إنّه كان من أهلِ البلاغةِ والبيانِ، كاتباً مترسّلًا وشاعراً مُجيداً. وفي شعره ونثره دُعابة ومُجونٌ

(١) في دائرة المعارف الإسلامية (٣: ٨٤٩) أن ابن قزمان ذلك كان في خدمة ابن حمدين هذا.

أحياناً، ولكنه مُجون مستور كما ترى في قطعتهِ النثريّة في المختارات. وهو بارعٌ في الوصفِ والغزل.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابنُ قُزمانَ الكبيرُ في وصفِ جيشٍ ذاهبٍ إلى المعركة:

رَكِبوا السُيولَ من الخيولِ وركّبوا ... فوق العَوالي السُمْرِ زُرْقَ نطافِ[١].
واستَوْدعوا الخلل الجداول واصطفَوْا ... بيضَ الرؤوس من الحَبابِ الطافي[٢].
وتَجَللوا الغُـدرانَ مِنْ ماذِيِّـهِمْ ... مُرتجّـةً إلّا عـلى الأكتـاف[٣].

- وقال بين الوصف والغزل:

قُلْتُ للعينِ حين أذْرَتْ على الخَدْ ... ـدِ دُموعاً لا تَستفيقُ انهِمالا[٤]،
جَزَعاً من صُدودِ أحْوَرَ قد حَيْـ ... ـيَرَ بالاً، وكم جَنى بَلْبالا[٥]:
لا تَرومي مِثالَ ما لم تَنالي ... والْمَحِيهِ كما رأيتِ الهِلالا.
فأجابتْ: لقد أحَلْتَ مِثالاً ... هو أنأى مِنَ الهِلال مَنالا.
إنّ بدرَ السماء يطلُعُ للأبْـ ... ـصارِ مُمْسًى ومُصْبَحاً وزَوالا[٦].

---

(١) ركبوا خيولاً كثيرة (كأنّها سيول). العوالي صدور الرماح. الأسمر: الجافّ الذي خرج بلونه عن لون النبات (لأنّ الرماح تعمل من القصب الفارسيّ). نطاف (بالكسر) جمع نطفة (بالضمّ): الماء الصافي (كناية عن النصل الحديد في أعلى الرمح). زرق جمع أزرق (حينا يكون الماء في الحوض العظيم صافياً يبدو أزرق اللون (لانعكاس لون السماء فيه).

(٢) الخلة (بالكسر): غمد (بالكسر) السيف، بيته. الجدول (كناية عن السيف) لأنه ببياضه واهتزازه يشبه الجدول (مجري الماء في السهل). اصطفى: اختار. البيضة: الخوذة يضعها المحارف(؟)على رأسه. حباب الماء: فقاقيع مكورة بيضاء. وضعوا سيوفهم في أغمادها ولبسوا الخوذ (بضم ففتح) على رؤوسهم (لأنهم قاصدون الى الحرب في مكان بعيد).

(٣) تجلّلوا: لبسوا. الماذيّ: الدرع اللينة. الغدران: مجرى من الماء يغادر النهر (؟). مرتجّة: الدروع ليّنة تهتزّ على أبدانهم (لأنّها مصنوعة من الزرد: حلق من حديد). إلّا على الأكتاف فإنّها ثابتة لأنه يكون على الأكتاف صفائح من حديد (؟).

(٤) أذرى: نثر.

(٥) جزعاً: خوفاً. أحور: من كان في عينيه حور (بفتح ففتح: شدّة بياض العين وشدّة سوادها). جنى: ارتكب (سبب). البلبال: اضطراب الفكر.

(٦) الزوال: وقت مرور الشمس فوق الرؤوس (نصف النهار، الظهر).

وإذا ما اسْتَسَرَّ آبَ وقد ذا … بَ اكتئاباً مِنْ أنْ يُغِبَّ وِصالا[1].
وَهُوَ البدرُ قد أجدَّ مَلالاً … واجتناباً كما أجدَّ كمالا[2].
يتوارى مِنَ العُيون نهاراً، … ومَعَ الليل لا يزورُ خَيالا[3].

- وله في الحِكمة بيتان فيهما تشاؤمٌ وقَسْوة:

لا تطمَئِنَّ إلى أحدْ … واحذَرْ وشَمِّرْ واسْتَعِدْ.
فالكلُّ كلبٌ مُوسَدٌ … إلّا إذا وَجَدوا أسدْ.

- وكتب رسالةَ تَهنِئةٍ ومُداعبةٍ إلى عَروس[4]:

الكُلفةُ بينَنا - أعزّكَ الله - جِدُّ ساقطةٍ، والحالُ الجامعةُ لنا في أقصى حَدِّ المُؤانسة والمُباسطة[5]. فلا نُكْرَ أن نَتَباثَّ السِرَّ المُحَجَّبَ، ولا غَرْوَ أنْ نَتكاشَفَ المُغَيَّب[6]. واتّصلَ بي دُخولُك بعَقيلةِ أتْرابها وبَيْضة خِدْرِها ورَبّة مِحْرابها[7]، تُشاطِرُك نَسْلَكَ كما شاطَرَتْك أصْلَكَ[8]، (وَهِيَ) التي لم تكن تصلُح إلاّ لها ولم تكن تصلُح إلاّ لك[9]. فخَدَمَتْكَ بالنيّة وحَضَرَتْك على بُعْدِ المَشقّةِ وتقاذُفِ الطِيّة[10].

(١) استسرّ: خفي (في آخر الشهر). آب: رجع (في أول الشهر). غبّ الزيارة: جاء يوماً وترك يوماً.
(٢) البدر أيضاً يملّ من الطلوع على الدنيا فيغيب عنها حيناً. هو دائماً يجدّد كماله (طلوعه بدراً) ويجدّد ملاله (غيبته عن سماء الدنيا بدراً).
(٣) يوازن الشاعر هنا بين حبيبه والبدر (حبيبه يخالف البدر: لا يأتي لزيارتي نهاراً ولا أراه في منامي ليلاً).
(٤) العروس تقال على المرأة وعلى الرجل (وليس في القاموس عريس).
(٥) الحال الجامعة: (المؤانسة والمباسطة).
(٦) نتحدّث في الأمور التي لا يبوح بها المتزوجون للعزّاب.
(٧) الدخول (اجتماع الرجل بالمرأة ليلة العرس). عقيلة (سيّدة) أترابها (مثيلاتها). وبيضة خدرها (المصونة التي لا يطلع أحد على أحوالها). وربّة (صاحبة) محرابها (كناية عن كثرة صلاتها وتقواها).
(٨) ستشترك معك في الاتيان بنسل كما قد جئتما من أصل واحد (من أسرة كبيرة واحدة).
(٩) قال الشاعر العبّاسي أبو العتاهية (ت ٢١١) يمدح الخليفة المهدي:

أتته الخلافة منقادة … إليه تجرّر أذيالها.
فلم تك تصلح إلاّ له … ولم يك يصلح إلاّ لها.

(١٠) بعد المشقّة (كذا في الأصل: بالميم) والصواب: الشقّة (بالضمّ): السفر البعيد، المسافة الطويلة. وتقاذف =

وسألتُ اللهَ أن يُباركَ لك ويبارك عليك، ويجمع بينكما في خيرٍ وعافيةٍ على أسعدِ الجَدّ وأيمنِ الطيرِ إلى آخرِ القافية[1]. ثمّ ترقّبتُ كِتابك مُودَعاً من وصفِ حالكَ ما يُنْبيء فحواهُ عنِ اجتماع شَمْلكَ ونعمة بالك. فرابني التِواؤه وقَدَحَ في نَشاطي توقّفه وإبطاؤه[2]. وتسلّطتْ عليّ الظُنونُ وخِفْتُ ما عسى ألّا يكون. وساءني أنْ أسْتَمْطِرَ مِنَ الأمل جَهاما، وأستنصرَ لدى ذلك العمل كَهاماً[3]، ويَحيدَ صاحِبُك مُعرّداً عن المُناجزة لائِذاً بالمحاجزة[4]، منقطعاً عن موضعِ الحجج، مبدعاً به عن مستقبل مَفْرَقِ الطريق ولَقَمِ المنهج[5]:

تريـــــدُ جَوًّا ويُريـــــدُ بَرًّا   كأنّما أُسْعِـــطَ شيئـــاً مُرًّا[6].

ثمّ قُلْتُ: لَعلّه قد حَظِيَ بما جُنِيَ له فافتتحَ الحِصنَ الذي نازَلَه قسْراً، وتخلّله كيف شاء مَجالاً ومَكَرًّا، وأفضى به انصداعُ ما صَدَعَه إلى الْتِئامٍ، وانْشِعابُ ما شَعَبَه إلى انتظامٍ والتحامٍ. ولُهِي بتوابعِ هذه الحالِ التي هي أُختُ الإِمْرة وجامعةُ أفانينِ[7] المسرّة عن صديقٍ يَصِلُه بكتابٍ إليه يُعلمه[8]. وإنْ يكن ذلك فهناك وظَفِرَتْ يداك، وإن يكن ما عداه- ويكفي اللهُ- فَمَعَ اليومِ غدٌ[9]، وفي اللّمَمِ خِلالَ ذلك

= الطيّة: التردّد في الجهات (مناطق البلاد) لعلّ الزوج كان قد قضى وقتاً طويلاً في البحث عن زوجة له.

(١) الجدّ: الحظّ. أيمن الطير (في أحسن الساعات الميمونة: المباركة). إلى آخر القافية: إلى آخر الجمل التي تعبّر عن هذا المعنى.

(٢) التواء الكتاب (ترك إرساله). قدح في نشاطي (جعل رغبتي في صداقتك فاترة؟).

(٣) الجهام (بالفتح): السحاب لا ماء فيه. الكهام (بالفتح): (السيف) المفلول (الذي لا يقطع).

(٤) صاحبك (كناية عمّا لا يجوز ذكره). عرّد: أحجم، تأخّر. المناجزة: القتال. لاذ: لجأ. المحاجزة: الفصل بين المتقاتلين.

(٥) مبدع به: مخذول، منقطع. اللقم: الطريق الواضح.

(٦) جوّا (في الداخل). برّا (في الخارج). أسعط: أعطي سعوطاً (بالفتح): دواء يستنشق فيعطس منه.

(٧) لهي (مثل فرح) ولهي (بالبناء للمجهول): تلهّى، استعاض بالمزح عن الجد (بالكسر). أفانين (جمع فنون جمع فنّ): أنواع. أخت الإمرة (الإمارة) - لذّة الزواج مثل السرور بتوليّ الإمارة والملك.

(٨) كأنّ الجملة هنا ناقصة كلمة أو أكثر.

(٩) ....فمع اليوم غد: إن لم تنجح الآن فيمكن أن تنجح في مرة قادمة.

مُتعلَّلٌ[١] . ثمّ لا يَشغَلَ عنِ الكتابِ جَذَلٌ ولا يحول دونَه خَلَل[٢] .

٤ - ** قلائد العقيان ٢١٣ - ٢١٤؛ الذخيرة ٢ : ٧٧٤ - ٧٨٦؛ خريدة (الأندلس) ٢ : ٢٨٧؛ المغرب ١ : ٩٩ - ١٠٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٨٤٩؛ نيكل ٣٠٢ ، مختارات نيكل ١٧٨ - ١٧٩؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٢٧ (٦ : ٢٤٨).

أبو الحسن بن الحاجّ(*)

١ - هو أبو الحسنِ جعفرُ بنُ إبراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ حسنِ بنِ سعيدِ بنِ أحمدَ بنِ سعيدٍ المُعافري من أهلِ لُورِقَةَ؛ سَمِعَ من أبي عليٍّ حُسينِ بنِ محمّدٍ الصَدَفيِّ (ت ٥١٤ هـ).

اتّصلَ أبو الحسنِ بنُ الحاجّ ببني عَبّادٍ ليتكسّبَ عندهم بالشِعر فلم يَنَلْ عندَهم حظوةً لأنّ أحوالَهُمُ السياسيةَ كانت قد ساءت. ويبدو أنّه كان في أول حياتهِ مُنْدَفِعاً في اللهو ثمّ مالَ إلى الزُهْدِ والنسك. ولعلّ وفاتَه كانتْ نحو سَنَةِ ٥١٠ هـ (١١١٦ م).

٢ - كان أبو الحسن بنُ الحاجّ شاعراً مُجيداً مُحْسِناً جيّدَ المعاني فصيحَ الألفاظ متينَ السَبْك، وفنونُ شعره المديحُ، مَدَحَ بني عبّادٍ وبني رُحيم ، والعتابُ والهجاءُ والغزلُ والنسيب والوصف البارعُ، يُلِمُّ في أثناء ذلك كلّهِ بالحِكمة. وهو عظيمُ الإجادة في المُقطّعاتِ له في كلّ مقطوعةٍ لَفْتَةٌ بارعة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحسن بن الحاجّ يُعَرِّضُ بالبخلاء :

عَجَبــاً لمن طَلَــبَ المحــا ... مِــدَ وهو يَمْنَــعُ مــا لَدَيْــهِ،

---

(١) اللمم: الذنوب الصغار (هنا: التقبيل وما يشبهه). خلال: في أثناء. متعلّل: شيء من التعويض.

(٢) ثمّ لا يشغل عن .... (ومع ذلك فكل ما اتفق لك لا يجب أن يمنعك عن أن تكتب إليّ رسالة قصيرة). الجذل: الفرح. الخلل: نقصان الحال أو فساده.

(*) وصفه الفتح بن خاقان (القلائد ١٥٨) بذي الوزارتين، كما ذكر ابنه محمداً (القلائد ١٦٣) بأنه ذو الوزارتين أيضاً.

ولباسطِ آمالَــــــــــه في المجــــدِ لم يَبْسُطْ يَدَيْــــهِ
لِمَ لا أُحِبُّ الضيفَ أو أرتـــاحُ من طَرَبٍ إليـــه،
والضيـــفُ يأكُــلُ رِزْقَــهُ عِنـــدي ويَحْمَـــدُني عليــه[١]!

- وله في صديقٍ سيّىءِ الظُّنون يُسوِّغُ احتمالَه إياه على ما فيه:

لي صاحبٌ عَمِيَتْ عليّ شُؤونُهُ: حركاتُـــه مجهولـــةٌ وسُكونُـــهُ.
يرتـــابُ بالأمر الجَلِيّ تَوَهُّماً، وإذا تَيَقَّنَ نازعَتْـــهُ ظُنونُـــهُ.
ما زِلْتُ أحْفَظُه على شَرَقي بهِ كالشَّيْبِ تكرَهُهُ وأنت تَصونه[٢]!

- وقال في الأصدقاء عند الرخاء لا عند الحاجة إليهم:

كـلُّ من تَهوى صديـقٌ مُمْحِضٌ لـك مـا لا تَتّقي أو تَرْتجي[٣].
فـإذا حاولـتَ نصراً أو جَـداً لم تَقِـفْ إلاّ ببـاب مُرْتَجِ[٤]!

- وله في معنًى قريبٍ من ذلك:

كَفــى حَزَنــاً أنّ المشارِعَ جَمّةٌ وعِنــدي إليهـا غُلّــةٌ وأُوامُ[٥].
ومن نَكَدِ الأيّامِ أن يَعْدَمَ الغِنى كريمٌ، وأنّ المُكْـثِرين لِئـامُ[٦]!

- وقال يعرّض ببني عبّاد:

تَعَزَّ عن الدنيا ومعروفِ أهلِها إذا عُـدِمَ المعروفُ في آلِ عَبّادِ.
أقمــتُ بهم ضَيْفــاً ثلاثــةَ أشهُرٍ بغيرِ قرًى، ثمّ انصرفتُ بلا زادِ[٧].

---

(١) إنّ الله تعالى يرسل رزق الضيف إليّ ثم يأتي الضيف فيأكل ما أرسله الله إليه ويحمدني (يشكرني) أنا.
(٢) يصونه: يحافظ عليه (لأنّ ذهاب الشيب هو الموت) شرق (بفتح فكسر) فلان بالماء: عصّ.
(٣) محض إنسان إنساناً النصيحة: كان مخلصاً في النصح. تتّقي: تخاف. ترتجي: تأمل، تنتظر، تريد لنفسك.
(٤) الجدا: العطاء. مرتج: مغلق.
(٥) المشرع: مكان الشرب. جمّة: كثيرة. غلّة: شدّة العطش وحرارة الجوف. الأوام: اشتداد العطش حتّى يضجّ منه الإنسان.
(٦) المكثر: الذي عنده مال كثير.
(٧) قرى: ضيافة.

٤ - ** قلائد العقيان ١٥٨ - ١٦٣ ؛ بغية الملتمس ٢٤١ - ٢٤٢ (رقم ٦١٦)؛ المغرب ٢ : ٢٧٧ - ٢٨١ ؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢ : ١٣٩ - ١٤٧ ؛ المطرب ١٧٥ - ١٧٧ : معجم ابن الأبار ٦٩ - ٧٠ ؛ بغية الوعاة ٢٤١ ؛ نفح الطيب ٢ : ١٠٨ ، ٣ : ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٤٦٢ - ٤٦٣ ، ٥٩٦ - ٥٩٧ ، ٤ : ٢٢٦ .

الجزّار السرقسطي

١ - هو أبو بكر يحيى السَّرَقسطيّ (من سَرَقُسْطَةَ، في شَمالِيّ الأندلس) كانت حِرفته الجِزارةُ أوِ القِصابة - وهي بيعُ اللحم - . ويبدو أنّه ترك الجِزارةَ مدّةً وأرادَ أن يتكسبَ بالشعر فلم يُوَفَّق، فعاد إلى القِصابة. ثمّ إنّ الأبياتَ الثلاثةَ في المختارات تدُلّ على أنّه عُيِّن مدّةً في ديوان الخَراج (لجمع الضرائب)، معَ أنّه كان في أوّل حياته يشكو العُمّال (جامعي الضرائب)، ثمّ رأيناه يدافعُ عنهم في الأبياتِ الثلاثة المذكورةِ. ولعلّ وفاتَه كانت نحو سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م). ويبدو أنّه كان صديقاً لابنِ حَسْداي الذي غادر الأندلس إلى القاهرة سَنَةَ ٤٩٥ هـ (راجع القطعة الأولى في المختارات).

٢ - كان الجزّار السَرَقُسطيُّ شاعراً مُقَصِّداً ووشّاحاً جيِّدَ الطَبْع (قليل التكلّف) سهلَ الشِعر إلى حدّ الضَعْف أحياناً. والهزل يَغْلِبُ على شعرِه. وفنونُه المدحُ والاستعطافُ، وهُوَ فيها كثيرُ الشكوى. وله خمرياتٌ وشيءٌ من الحِكمة ومن القَصَص، ومن الهجاء مَعَ التهكّم.

٣ - **مختارات من شعره:**

- كتب الوزيرُ أبو الفضلِ بنُ حسداي[1] إلى ابن الجزّارِ السَرَقسطيّ:

تركتَ الشعرَ من ضَعْفِ الإصابهْ   وعُدتَّ إلى التِجارةِ والقِصابهْ[2].

فردّ ابنُ الجزّار على هذا البيتِ بقصيدةٍ منها:

---

(١) أبو الفضل يوسف بن أحمد حسداي طبيب أصله من الأندلس ثمّ انتقل إلى مصر سنة ٤٩٥ هـ أو بعد ذلك بقليل (عيون الأنباء ٢ : ٥١).

(٢) الإصابة: الصواب (التوفيق في العمل). القصابة: القطع (مهنة القصّاب: الجزّار، بائع اللحم).

تَعيــبُ عــليَّ مألوفَ القصابــهْ. ومَنْ لم يَدْرِ قَدْرَ الشَّيْءِ عابَهْ.
ولو أحكمــتَ منهــا بعضَ فَنٍّ لَمَا اسْتَبْدَلْتَ منها بالحِجابه[1].
فإنَّـــكَ لو نظرتَ إليّ فيهـــا وحَوْلي من بَني كلبٍ عِصابه[2]،
لَهالَــكَ منظري؛ ولَقُلْــتَ: هــذا هِزَبْرٌ صَيّرَ الأوضــامَ غابــه[3].
فَتَكْنــا في بــني العَنزيّ فتكــاً أقرّ الذُّعْرَ فيهم والمَهابـــه[4]
ولم نُقْلــعْ عن الثَّوْريّ حتّـــى مزجنا بالدّمِ القاني لُعابه[5].
وقــد شَهِــدت لنــا كلــبٌ وهِرٌّ بأنّ الجدَ قد حُزنا لُبابه[6].
ومن يغـــترَّ منهم بامتنـــاع، فــإنّ إلى صوارمنــا إيابــه[7].
ويـــبرُزُ واحــدٌ منـــا لألْـــفٍ فَيَغْلِبُهم، وتلــك مِنَ الغرابــه.
أبا الفضلِ الوزيرَ، أجِبْ ندائي، وفضلُكَ ضامِنٌ عنكَ الإجابه،
وإصغـــاءً إلى شكوى شَكورٍ أطلــتَ عــلى صِناعتهِ عِتابــه
وحقِّكَ، ما تركتُ الشعرَ حتّى رأيتُ البُخْلَ قد أوصى صِحابه[8]؛
وحتّــى زُرتُ مُشتاقــاً خليــلي فأبدى لي التَحيُّلَ والكآبه[9].

---

(١) الحجابة (في الأندلس): رئاسة الوزارة.

(٢) عصابة: جماعة. من بني كلب= من الكلاب (في هذا تورية: بين بنيْ كلب القبيلة الجاهلية وبني الكلب، أي الكلاب).

(٣) هال: أخاف. الهزبر: الأسد. الوضم (بفتح ففتح): الخشبة أو الدفّ الذي يقطّع الجزّار عليه اللحم. الغاب في الأصل جمع غابة. صيّر الأوضام غابه (يفترس الغنم على الوضم كما يفترس الأسد فرائسه في الغابة).

(٤) بني العنزي: المعزى.

(٥) الثوري (هنا) الثور (ذكر البقر) تورية مع الثوري المنسوب إلى قبيلة ثور (راجع القاموس ١ : ٣٨٤). القاني (من الفارسية، قان: دم): الشديد الحمرة. اللعاب: الريق في الفم.

(٦) كلب (أي الكلاب) وهرّ (أي الهررة) تُقرّ لنا (الجماعة الجزارين) بأن خلاصة المجد لنا نحن (لأنها تأكل من فضلات اللحم التي نلقيها إليها).

(٧) والذي لا يأبه بنا (من الغنم والبقر) إذا مرّ بنا (اغتراراً منه بأنه ناجٍ) فسيأتي دوره في الذبح يوماً ما.

(٨) كان الجزّار السرقسطي قد ترك الجزارة وجعل يمدح الوجهاء فلم يعطوه على المديح بالشعر. البخل أوصى صحابه (أصحاب المال) بمنع مالهم عن الناس.

(٩) التحيّل (كيلا يقابلني) والكآبة (الحزن).

وظنّ زيــارتي لطِــلابِ شيءٍ، فنافَرَني وغلّــظَ لي حِجابــه[1].

- كان والدُ الجزّارِ يحيى السَرَقُسطيُّ قد تقبّلَ أرضاً للأحباس (ضَمِنَ قطعة من أراضي الأوقاف) ليزرعَها ثم يؤدّي عنها خَراجَها فضاع (خَسِرَ) واجتمع عليه خَراجُ الأرض (تراكمتْ عليه الضرائب) فكتب (يحيى عن والده) إلى العاملِ (جامع الضرائب) يَستقيلُه (يطلُب منه إعفاءه من ضَمان الأرض معَ إسقاط الضرائب عنه):

يـا أبـا جعفرٍ، لَعاً من عِثارِ وغِياثـــاً فما يَقَرُّ قَراري[2].
سيّدي، اسْمَعْ لعبدك القِنِّ يحيى خبراً مُضحِكاً من الأخبار[3]:
كـان لي والدٌ، وكان- لَعَمْري- في بني العصر بالفلاحة دار[4].
كامـلُ الرأيِ تاجرُ البرِ والبحـ ـر، وناهيكَ، فارسٌ في التِجّار[5]،
مِثْـلَ مـا سُمّيَ اللّديـغُ سليماً؛ وأنـا بعدَه على ذاك جار[6].
وكــذا يسلُـكُ النجيـبُ ويَقفو نَهْـجَ آبائـه عــلى آثــار[7]:
لو وردتُ البحـارَ أطلُـبُ مـاءً جـفَّ قبلَ الورودِ ماءُ البحار[8]؛
أو لَمَسْتُ العودَ النضـيرَ بكفّي لَـذَوَى بعـدَ نَضْرةٍ واخضرار.
فاكتراهـا- ولم يكنْ مستخيراً- وقــتَ شُؤمٍ بطالعِ الإدْبار[9].

(١) الحجاب: الستر (منع العامّة من الدخول على الملوك).

(٢) أبو جعفر (هنا) اسم العامل الذي كان يجمع الضرائب على الأراضي في أيام الجزّار السرقسطي. لعاً: رفعاً لك من عثرتك. غياثاً: أغثني، أنقذني. لا يقرّ قراري: لا أستطيع الهدوء والاطمئنان (لكثرة الضرائب التي تطالبني بها).

(٣) القنّ: العبد الدائم أو المرتبط بالأرض.

(٤) دار (حقّها أن تكون دارياً- هي خبر كان).- من هذا البيت وما بعد يبدأ الشاعر بالتهكّم بأبيه: دارٍ بالفلاحة (يقصد: غير دارٍ بها) كامل العقل (يقصد: ناقص العقل) الخ.

(٥) ناهيك: يكفيك. التجار (بتسهيل الجيم) كالتجّار (بتشديد الجيم).

(٦) اللديغ: الذي لدغته الحيّة (يسمّى سليماً تفاؤلاً بأنّه سيشفى من اللدغة). وأنا سائر على خطى والدي (جاهل مثله في هذه الأمور).

(٧) النجيب: الولد الذكيّ. يقفو: يتبع. نهج: طريق.

(٨) الورد (بالكسر: الذهاب إلى الماء).

(٩) اكترى (ضمن، استأجر) هذه الأرض من غير أن يستخير الله (أن يطلب من الله أن يكون في عمله

جَذْبةٌ، بعضُها مِنَ الشؤمِ أضحى في عُلُوٍّ وبعضُهسا في انحدار[1].
لم يَزلْ زارِعاً بها جِملَ بغلٍ رافعاً منه نصفَ حِملِ حِمار.
ساءني ما أصبتُ فيها، ولكنْ سرّني منــه خَيبــةُ العَشّار[2].
ما أُبالي؛ وقد غدا لِيَ رُكناً صاحبُ الشرطةِ الكريمُ النِجّار[3].

- وقال أبو بكر بن الجزّار السرقسطي في الحكمة (نفح الطيب ٣ : ٥١٨):

إيّـاكَ من زَلَـلِ اللسانِ، فإنّما عقلُ الفتى في لفظهِ المسموع.
والمرءُ يختــبرُ الإنــاءَ بنَقْرِه لِيرى الصحيحَ به من المصدوعِ[4].

- وقال في بقاء الذكر الحَسَنِ بعدَ ذهاب المال وذهاب أصحاب المال الموهوب (نفح الطيب ٣ : ٤٦٤):

ثناءُ الفتى يبقى، ويَفْنى ثَراؤهُ. فلا تَكْتَسِبْ بالمال شيئاً سِوى الذِكْرِ.
فقد أبْلَتِ الأيامُ كَعْباً وحاتماً، وذِكْرُهُما غضٌّ جديدٌ إلى الحشر[5].

- وله من موشّحة:

وهِمْ باقتضاحْ في الغيـد المِلاحْ وقُمْ لاصْطِباحْ[6]
بكأسِ المُدامْ ثمّ اشْرَبْ هَنيّــا واسْقِ النّدام[7]

* * *

خير). بل اتّفق أنْ كان الوقت وقت شؤم وأن الكواكب كانت في الإدبار، أي في الرجوع (كواكب نحس).

(١) جدبة (مؤنّث جدب: مجدب، قليل الخصب بالكسر).

(٢) سرّني خيبة العشّار (جامع العشور: الضرائب). ومنذ الزمن الأقدم كان الناس يكرهون دفع الضرائب.

(٣) النّجار: الأصل والحسب.

(٤) المصدوع: المشقوق.

(٥) كعب بن مامة وحاتم الطائي من الأجواد (الكرماء) في الجاهلية.

(٦) هِمْ (بكسر فسكون) فعل أمر من هام يهيم (أحبَّ حبًّا شديداً). الافتضاح: اشتهار الإنسان بما لا يليق. الغيد جمع غيداء (المرأة الجميلة) التي تتمايل في مشيها. المليحة: الحسنة المنظر (في اللون خاصّة؟). قم (انهض باكراً) الاصطباح: شرب الخمر صباحاً.

(٧) المدام: الخمر. ندام (بالكسر) وندماء (بالضمّ) جمع نديم: المصاحب على شرب الخمر والمسامر (الشريك في الحديث في الليالي).

فتاةٌ كَعابْ نعيمُ الشبابْ عليها مُذابْ[1]
كرَوْضِ الغَمامْ لها المِسْكُ ريّا والدرُّ ابتسامْ

- وشكا جماعةٌ من الناس عُمّالهم (جامعي الضرائب) فوقّع على كتابِ شَكْواهم:

نَسَبْتُمُ الجَوْرَ لِعُمّالِكُمْ ونِمْتُمُ عن سوءِ أفعالِكم[2].
لا تَنْسِبوا الجَوْرَ إليهم، فما عُمّالُكم إلاّ كأعمالِكم.
تاللهِ، لو مُلّكْتُمُ ساعةً ما خطَرَ العَدْلُ على بالِكم!

٤ - * * الذخيرة ٣: ٩٠٥ - ٩٠٨؛ المغرب ٢: ٤٤٤ - ٤٤٥؛ زاد المسافر ١٤٠ - ١٤١؛ جيش التوشيح ١٤٧ - ١٥٧ (راجع ٢٥٩ - ٢٦١)؛ نفح الطيب ٣: ٤٦٤، ٥٩٨، ٦٠٩.

ابن النحوي التوزري(*)

١ - هو أبو الفضلِ يوسُفُ بنُ محمّدِ بنِ يوسفَ المشهورُ بابنِ النَحْويِّ التَوْزَريُّ وُلِدَ في القَيْروان، سَنَةَ ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) وقرأ العِلْم في بَلَدِهِ ثمّ دَخَلَ المَغْربَ وتطوّفَ فيه واستقرّ في قلعة بني حَمّادٍ قرب بِجايَةَ. وقد حَجّ وزارَ مِصْرَ.

تصدّرَ ابنُ النَحْويِّ التَوْزريُّ للتدريسِ وأقرأ النحوَ خاصّةً، وكان لا يَقْبَلُ على التدريس شيئاً، بل كان يعيشُ من ضَيْعةٍ له في تَوْزَرَ. وكانت وفاتُه في قلعةِ بني حَمّاد سَنَةَ ٥١٣ هـ (١١١٩ م) في الأغلب.

٢ - ابن النحويِّ التوزريُّ عالم قَصَرَ حياتَه على طلبِ العِلم ونَشْرِه، وكان فقيهاً يَميل إلى الاجتهاد. ثمّ هو شاعرٌ ومُصنِّفٌ، له الوصيةُ، وتُنْسَبُ إليه قصيدةُ «المُنْفَرِجةِ» (وتسمّى أيضاً: الفرجَ بَعْدَ الشِدّة) نَظَمها شُكْراً لله، فقد كان ضاع له مالٌ ثمّ رُدّ إليه. وقد نالتْ هذه القصيدةُ شُهرةً كبيرةً فشَرَحها كثيرون وخَمّسها

* تورر في القطر التونسي

(١) الفتاة الكاعب: التي كعب أو استدار ثدياها (في أوّل شبابها).

(٢) الجور: الظلم.

آخَرونَ، وقد كَثُرَ اعتقادُ الناسِ فيها وجَعَلوا قراءتها وسيلةً إلى تفريج كُروبِهم ونَيْلِ أمانيِّهم. وقد نُسِبَتْ هذه القصيدةُ إلى محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ العطّارِ القُرشيِّ الأندلسيِّ المتوفَّى سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م)، كما نُسِبَتْ إلى الغزّالي (بروكلمان ١: ٣١٦؛ راجع أيضاً طبقات السبكي ٥: ٢٤ - ٢٥). وقصيدةُ «المنفرجة» خاصّةً قريبةُ المعاني جدًّا تلائم أذواقَ عامّةِ الناس وهي منظومةٌ على بحر الخَبَب المُرْقص القليلِ في الشعر. وتراكيبُها سهلةٌ جدًّا أيضاً تَضْعُفُ أحياناً كثيرةً.

٣- مختارات من شعره:

- مختارات من قصيدة «المنفرجة»:

اشْتَـــدّي، أزْمَـــةُ، تَنْفرجي؛	قــد آذَنَ لَيْلُــكَ بالبَلَـجِ[١].
وظَــلامُ الليــلِ لــه سُرُجٌ	حتّـــى يَغْشاه أبو السُّرُجِ[٢].
وسَحــابُ الخَيــرِ لــه مَطَرٌ،	فـإذا جـاء الإبّـانُ تَجي[٣].
وفوائـــدُ مولانــا جُمَـــلٌ	لِسروجِ الأنفسِ والمُـهَـجِ[٤]؛
ولهـــا أرَجٌ مُحْيٍ أبـــداً،	فاقْصِـدْ مُحْيي ذاك الأرَجِ[٥].
والخَلْـــقُ جميعـــاً في يَـدِهِ:	فــذَوُو سَعَــةٍ وذَوُو حَرَجٍ[٦]؛
ونزولُهُمُ وطُلوعُهُمُ	فــإلى دَرَكٍ وعــلى دَرَجٍ[٧]،
ومعايِشُهم وعواقِبُهم	ليست في المَشْي عــلى عِوَجٍ[٨].

---

(١) الأزمة: الضيق والشدّة. البلج: الضوء. - آذن ليلك بالبلج (البياض): قرب طلوع النهار.

(٢) سرج (هنا): نجوم. أبو السرج: الشمس.

(٣) الإبّان (بكسر الهمزة وتشديد الباء): الزمن، الموسم.

(٤) مولانا: ربّنا (الله). جمل: كثيرة. سروج (جمع سرج) وسروح (بفتح السين): السريع من الخيل والإبل، والشروح (لم يتضح لي معنى البيت معها).

(٥) أرج: رائحة طيّبة. أبداً: دائماً. محي ذاك الأرج: الله. - لا تحاول أن تستميد نشاطك بشمّ الرائحة الطيّبة، بل الجأ إلى خالق هذه الرائحة.

(٦) ... - من الخلق (الناس) من هو في سَعة من العيش ومن هو في ضيق.

(٧) الدرك: للنزول (إلى أسفل) والدرج: للصعود (إلى أعلى). - كلّ أعمال البشر مقدّرة عليهم.

(٨) لا يستطيع الناس أن يحتالوا (بالسير الأعوج: خلافاً للقانون الإلهي) لبلوغ ما يريدون بإرادتهم.

حِكَمٌ نُسِجَتْ بيدٍ حَكَمَتْ ثمّ انتسجت بالمُنْتَسِج[١]:
فإذا اقتصدت ثمّ انعرجت فبِمُقْتَصِد وبِمُنْعَرِج[٢].
شَهِدَتْ بعجائبِها حِجَجٌ قامت بالأمر على الحِجَج[٣].
مُدِحَ العَقلُ الآتيهِ هُدًى، وهَوَى مُتَوَلٍّ عنه هُجي[٤].
وخيارُ القومِ هُداتُهُمُ، وسِواهم من هَمَجِ الهَمَج[٥].
وإذا كنتَ المِقْدامَ فلا تَجْزَعْ في الحرب من الرَّهَج[٦].
وإذا أبْصَرْتَ مَنارَ هُدًى فاظْهَرْ فرداً فوق الثَّبَج[٧].
والرِفْقُ يدومُ لصاحبه، والخُرْقُ يَصيرُ إلى الهَرَج[٨].

- ولأبي الفضل النحويّ التوزريّ أبيات يتشوّق فيها إلى مصر:

أينَ مِصرٌ، وأينَ سُكّانُ مِصرٍ! بيْنَنَا شُقَّةُ النَوى والبُعادِ[٩].
حَدِّثاني عن نيلِ مِصْرَ، فإنّي مُنْذُ فارقتُه إلى الماءِ صادِ[١٠]،
والرياضِ التي على جانِبَيْه؛ واجعلاه مِنَ الأحاديثِ زادي.
رَقَّ قلبي حتّى لقد خِلْتُ أنّي بين أيدِي الزُّوّارِ والعُوّاد[١١].

---

(١) للأمور الجارية في عالمنا حكمة أرادها الله ثم هي تنفذ بسعي الإنسان (المنتسج).

(٢) اقتصدت: اعتدلت، استقامت (صلحت).

(٣) عجائب الحكمة الإلهية قامت الحجج (السنوات الكثيرة المتوالية) دليلاً عليها. قامت بالأمر على الحجج (؟) جمع حجة (بالضم).

(٤) من عمل الأمور بمقل مدح (كان ممدوحاً، محموداً). ومن تولّى (مال، انحرف) عن العقل في أعماله هُجي (كان مهجوًّا، مذموماً).

(٥) الهمج: الرُّعَاع من الناس لا نظام لهم.

(٦) الرهج: غبار الحرب (لا تخف من غبار الحرب، فإن الغبار لا يقتل. ولكن أقدم على القتال لأنّ الأعمار بيد الله).

(٧) أظهر (ارتفع، تسلّق) فرداً (وحدك) فوق الثبج (ما بين الكاهل إلى الظهر: المكان العالي).

(٨) الخُرق: الجهل والحمق (قلّة العقل). الهرج: (بفتح الراء): الحيرة واضطراب الأمور.

(٩) الشقّة: المسافة. النوى: البعاد، البعد.

(١٠) صاد: عطشان.

(١١)... - خلت (ظننت) أني ... مريض.

ما تراني أبكي على كلّ رَبْعٍ!	ما تراني أهيمُ في كلّ واد[1]!
رَوْشَنٌ من رواشنِ النيلِ خيرٌ	- بعدُ- مِنْ دِجْلَةٍ ومن بَغْداد[2].
إنّ مِصْراً لها مَعانٍ، لَعَمْري،	قد تأبّتْ على جميعِ البلاد[3].
هذه الأرض إنّما هي نادٍ؛	مِصْرُ من بَيْنِها سِراجُ النادي[4].

٤ - قصيدة «المنفرجة»، الاسكندرية (طبع حجر) ١٣٠٤ هـ (مع تخميس لها)؛ مطبوعة مع «منبّهات ابن حجر - ص ٥٥ - ٥٧)، الاستانة (دار الطباعة العامرة) ١٣١٥ هـ؛ مكّة ١٣١٧ هـ؛ ذيل «جالية الكدر» للبرزنجي؛ القاهرة (مطبعة التقدم) ١٣٢١ هـ.

** الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة، لأبي يحيى زكريّا الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)، القاهرة ١٣٢٣ هـ.

- المنفرجة على المنفرجة لعبد الله بن عبد العزيز الصوفي، مصر ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م).

المغرب ١: ٣٢٥؛ طبقات السبكي ٥: ٢٤ - ٢٥؛ الخريدة (المغرب) ١: ٣٢٥ - ٣٢٦؛ التشوّف ٧٢؛ نيل الابتهاج ٣٤٩؛ بغية الوعاة ٤٢٤؛ بروكلمن ١: ٣١٦، الملحق ١: ٤٧٣ - ٤٧٤؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٥ - ٣٢٦ (٨: ٢٤٧)؛ مجمل الأدب التونسي ١٧٢؛ نويهض ٢٠٧ - ٢٠٨؛ راجع تخميساً لها في «عنوان الدراية» ٢٧٢ وما بعد؛ سركيس ٢٦٦ - ٢٦٧.

أبو القاسم بن الجَدّ

١ - هو أبو القاسمِ محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ يحيى بنِ فرحٍ بنِ الجَدِّ الفِهريُّ - ويُعْرَفُ بلقبِ «الأحدَبِ» أصلُه من مدينةِ لَبْلَةَ، في الجَنوب الغربيّ من الأندلس (وقيل من شِلبَ المجاورةِ لِلَبلةَ).

وسكنَ أبو القاسم بنُ الجَدّ مدينةَ إشبيليةَ، فلمّا ولّى المعتمدُ بنُ عبّادٍ ٱبنَه يزيدَ الراضيَ على الجزيرةِ الخضراءِ (في جَنوبيّ الأندلس) جَعَل أبا القاسمِ بنَ الجَدّ وزيراً

---

(١) ألا تراني بعد مفارقة مصر أبكي في كلّ مكان (حزيناً) وأمضي هائماً (حيران).
(٢) الروشن: الشرفة (المعجم الوسيط ١ : ٣٤٨).
(٣) تأبّت على: استعصت، صعب وجودها.
(٤) النادي: مجتمع الناس، مجلس الأشراف.

معَه. ثمّ انتقل الراضي إلى الوِلاية على رُنْدةَ فانتقلَ أبو القاسم معَه أيضاً. وبَقِيَ أبو القاسمِ معَ الراضي إلى أن قُتل الراضي (٤٨٤ هـ) في حَمْلة يوسفَ بنِ تاشِفينَ للقضاء على ملوكِ الطوائف.

ثمّ إنّ أبا القاسم بنَ الجَدّ اعتزل الحياةَ السياسيّةَ واستقرّ في بلدهِ لَبْلةَ فولّاه أهلُها خِطّة الشُورى فيها (المغرب ١: ٢٤١) فكان يُفتي في لَبْلة.

وبعدَ أنِ استولى المرابطون على الأندلس اتصل بهم أبو القاسم بنُ الجَدّ فدعاه أميرُ المسلمين يوسُف بنُ تاشِفينَ إلى مَرّاكُشَ فانتقل أبو القاسم إليها ثمّ استمرّ يعيشُ فيها. وقد تولّى الكِتابة لعَلّيِ بنِ يوسفَ بنِ تاشفينَ وكَتَب عنه رسالةً (سَنَةَ ٥١٢ هـ)، ولعلّه كان في هذا المَنْصِب من قبلِ عليّ بنِ تاشفينَ أيضاً.

وكانت وفاةُ أبي القاسمِ بنِ الجَدّ، سَنَةَ ٥١٥ هـ (١١٢١ م)، في مدينة مَرّاكُشَ.

٢ - كان أبو القاسمِ بنُ الجَدّ من أهلِ التَفَنُّنِ في المعارف، بارعاً في الحديث والفِقه خاصّةً، ثمّ كان أديباً كاتباً: مُنشِئاً بارعاً ومُتَرَسِّلاً قديراً وشاعراً أيضاً. وكانتْ بينَه وبينَ الفتحِ بنِ خاقانَ (ت ٥٢٩ هـ) مراسلةٌ. وشِعْره وُجْدانيٌّ يدورُ على الوصفِ والعِتاب في الأكثرِ ثمّ إخوانيّات. ويبدو أن نثرَه أكثرُ من شِعره وأعلى مكانةً[1].

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو القاسم بنُ الجَدّ (يَصِفُ قصيدةً):

لَئِنْ راقَ مَرأى للحِسانِ ومَسْمَعُ، ... فحَسناؤكَ الغَرّاءُ أبهى وأمْتَعُ.
عروسٌ جَلاها مطلَعُ الشمسِ فانجَلَتْ ... إليها النجومُ الزاهراتُ تَطَلَّع.
زَفَفْت بها بِكْراً تَضوَّعَ طِيبُها؛ ... وما طيبُها إلّا الثناءُ المُضوَّع.

---

(١) في المطرب (ص ١٩٠) لأبي القاسم بن الجدّ ابنُ عمّ أديبٌ شاعرٌ هو أبو بكر محمّد بن عبد الله بن يحيى ابن الجدّ، ولد سنة ٤٩٦ وتوفيَ سنة ٥٨٦ هـ.

لها من طِرازِ الحُسْنِ وَشْيٌ مُهَلْهَلٌ، ومن صيغةِ الإحسانِ تاجٌ مُرَصَّعُ[1].

- وكتب عن أميرِ المسلمين عليِّ بنِ يوسفَ بنِ تاشفينَ إلى أهلِ غَرْناطة مُهَدِّداً:

كتابُنا - عَصَمَكُمُ اللهُ بتَقْواه ويَسَّرَكم لِما يَرْضاه، وجَنَّبكم ما يُسْخِطُكم ويَنْعاه[2] - مِنْ حَضْرَةِ مرّاكُش[3] حرَسَها الله يومَ الجُمُعة التاسعَ عَشَرَ منْ شَهْرِ الصَوْمِ المُعَظَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وخَمْسِمِائَةٍ، وقدِ اتّصلَ بنا أنّكم من مُطالَبَةِ فلانٍ على أَوَّلِكُم وفي عُنْفُوانِ عَمَلِكم[4]، وأنّه لا يَعْدَمُ تَشْغيباً وتأليباً من قِبَلِكُمْ[5]. فإلى متى تُلِحّون في الطلب وتَجِدّون في الغَلَبِ وتَقْرعون النَبْعَ بالغَرَبِ[6]... لقد آنَ[7] لحَرَكَتِكم في أمرِه أن تَهْدى وللنائرة بَيْنَكم أن تُطْفى ولِذاتِ بَيْنِكم أن تَنْصَلِحَ ولوُجوهِ المراشِدِ قِبَلَكم أن تَتَّضِح[8]. وإذا وَصَلَ إليكم خِطابُنا هذا فاتركوا مُتابعة الهوى واسْلُكوا مَعَه الطريقةَ المُثْلى ودَعُوا التنافسَ على حُطامِ الدنيا. ولْيُقْبِلْ كلُّ واحدٍ منكم على ما يَعْنيه ولا يشتغلْ بما يُنْصِبُه ويُعَنّيه[9]. فلا بدَّ لكلِّ عملٍ من أجلٍ ولكلِّ وِلايةٍ من غايةٍ[10]. ولن يَسْبِقَ شيءٌ أناه، وإذا أرادَ اللهُ أمراً سَنّاهُ[11]. وعسى أن تَكْرَهوا شيئاً وهُوَ خيرٌ

---

(١) مهلهل: رقيق (نفيس، ثمين، جميل).

(٢) تقواه: طاعته والخوف منه. جنّبكم: أبعد عنكم. يسخطكم: يغضبكم (إذا عوقبتم على سوء تأتونه). ينعاه (عليكم): يعيبكم به، يؤاخذكم عليه.

(٣) الحضرة: المكان الذي يوجد فيه كبير القوم. حضرة مرّاكش: عاصمة المغرب الأقصى.

(٤) مطالبة فلان: ما يطلبه منكم (الثائر، العاصي، الخارج على الدولة). على أوّلكم: كما كنتم من قبل في أول الأمر (على المعصية). العنفوان: الشدّة.

(٥) لا يزال يجد فيكم من يقوم له بالفتنة ويجمع حوله الأنصار منكم.

(٦) تصرّون على محاربة الدولة وتجدون حتّى تنتصروا، وتقرعون (تدقّون، تقاتلون) النبع (أغصان الشجر المتين، الرماح، قوّة الدولة) بالغرب (بأغصان الشجر الضعيف، بقوّة يسيرة).

(٧) آن: قرب الوقت.

(٨) النائرة: الهائجة، الفتنة، الثورة. ذات البين: ما بين قومين، الصلة. قبلكم: عندكم.

(٩) الحطام: ما يتكسّر من أطراف الأشياء اليابسة، قشر البيض (أشياء لا قيمة لها). أنْصَبَهُ الأمر: أتعبه. عنّاه: أتعبَهُ جدًّا (من غير أن يستطيع التغلّب عليه).

(١٠) لكلّ عمل أجل: مدّة (إشارة إلى انقراض دويلات الطوائف). ولاية: حكم. غاية: نهاية.

(١١) أناه: حينه، زمنه (لا يأتي شيء قبل أوانه). سنّاه: سهّله (القاموس ٤ : ٣٤٥). - الأنى (بالفتح أو بالكسر: الحين.

لكم[1] . والله يعلَمُ وأنتم لا تعلمون[2] . وَفَّقَكُمُ اللهُ لما فيه صَوْنُ أديانِكم وتسديدُ أنحائكم وأغراضِكم، بَمنّه[3] .

٤ - ** قلائد العقيان ١٢٣ - ١٢٩؛ الصلة ٥٤٤؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٢٥٧ - ٢٦٨؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣ : ٣٩٣ - ٤٠١؛ الذخيرة ٢ : ٢٨٥ - ٣٢٢؛ المغرب ١ : ٣٤١ - ٣٤٢؛ المطرب ١٩٠ - ١٩٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٤٨؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٠٣ - ١٠٤ (٦ : ٢٢٨).

ابن القطّاع

١ - هُوَ أبو القاسمِ عليُّ بنُ جعفرِ بنِ عليِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الله بنِ الحسينِ بنِ أحمدَ ابنِ محمّدِ بن زِيادةِ الله بنِ الأغلب السَّعْديِّ بنِ ابراهيمَ بنِ الأغلبِ؛ ويُعْرَفُ بابنِ القطّاعِ السعديِّ الصِقِلّيِّ.

وُلِدَ ابنُ القَطّاعِ الصِقِلّيُّ في صِقِلِّيَةَ، في العاشرِ من صَفَرَ من سَنَةِ ٤٣٣ (١٠٤١/٩/٩م). وقرأ ابنُ القطاع في بلدهِ على نَفَرٍ منهم العالِمُ اللغويّ أبو بكرٍ محمّدُ ابنُ عبد البرِّ الصقلّيّ.

ولـمّا أشرفَ الإفرنجُ (النورمانديون) على احتلالِ صقلّية، في حدودِ ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) رَحَلَ ابنُ القطّاع إلى مِصْرَ واشتغل فيها بإقراء كِتاب الصِحاحِ للجَوْهريّ وبتعليم أولادِ الأفضلِ بن بدر الجمّالّي.

وكانتْ وفاةُ ابنِ القطّاعِ في الفُسطاطِ (مِصْرَ القديمةِ)، سَنَةَ ٥١٥ هـ (١١٢١ - ١١٢٢ م) في الأغلب.

٢ - كانَ ابنُ القَطّاعِ الصقلّي إماماً في اللُّغة خاصّةً وفي الأدبِ واسعَ الاطّلاع؛ وكان له شِعْرٌ كثيرٌ حَسَنٌ. وكانتْ له أيضاً مؤلّفاتٌ منها: الجوهرة الخطيرة في شعراء

(١) قرآن كريم (٢ : ٢١٦)، البقرة.
(٢) قرآن كريم (٢ : ٢١٦).
(٣) الصون: الصيانة والحفظ. النحو: القصد. الغرض: الغاية، الهدف. المنّة: الإنعام.

الجزيرة (أي صقلّية، وقد اشتمل هذا الكتاب على مِائَةٍ وسَبْعين شاعراً وعِشْرينَ ألفَ بيتٍ من الشعر)- كتاب الأفعال (هذّب فيه كتباً في الأفعال لابن القُوطية وابن طريف وغيرها)- كتاب الأسماء أو أبنية الأسماء (جمع فيه أبنية الأسماء كلّها)- فرائدُ الشُّذور وقلائد النحور (في الأشعار)- كتاب العَروض والقوافي- لُمَحُ المِلَحِ (في شعراء الأندلس)- كتاب ذكر تاريخ صقلّية.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابنُ القطّاعِ الصِقِلّيُّ يَفْتَخِرُ بشِعْرِهِ:

يا رُبَّ قافِيَةٍ بِكْرٍ نَظَمْتُ بها ... في الجِيد عِقْداً بِدُرِّ المَجْدِ قد رُصِفا؛
يَوَدُّ سامِعُها لو كان يَسْمَعُها ... بِكُلِّ أعضائِهِ- مِنْ حُسْنِها- شَغَفَا!

- وقال يتغزّل:

إيّاكَ أن تَدْنُوَ من رَوْضَةٍ ... بوَجْنَتَيْهِ تُنْبِتُ الوَرْدا؛
واحْذَرْ على نَفْسِكَ من قُرْبِها ... فإنّ فيها أسداً وَرْدا!

- وقال في الزُّهْدِ والحِكْمة:

فلا تُنْفِدَنَّ العُمْرَ في طَلَبِ الصبا ... ولا تَشْقَيَنْ يَوْماً بسُعْدَى ولا نُعْمِ؛
ولا تَنْدُبَنْ أطلالَ مَيَّةَ باللِّوَى ... ولا تَسْفَحَنْ ماءَ الشُّؤون على رَسْمِ.
فإنّ قُصارى المَرْءِ إدراكُ حاجَةٍ؛ ... وتَبْقى مَذمّاتُ الأحاديثِ والإثْمِ!

- من مقدّمة «كتاب الأفعال»:

.... اعلَمْ أنّ أفضلَ ما رَغِبَ فيه الراغبُ وتعلّقَ به الطالبُ معرفةُ لغةِ العربِ التي نَزَلَ بها القرآنُ ووَرَدَ بها حديثُ النبيِّ عليه السلامُ لِتُعْلَمَ بها حقيقةُ مَعانيها ولئلّا يَضِلَّ مَنْ أخذ بظاهِرِها. وقد قال بعضُ الحُكماء: اللغةُ أركانُ الأدبِ والشعرُ ديوانُ العرب. بالشعرِ نُظِمَتِ المآثرُ وباللغةِ نُثِرَت الجواهرُ[1]. لولا اللغةُ لذهبتِ الآدابُ،

(١) الجوهرة: اللؤلؤة (نثرت الجواهر: كتبت المقاطع النفيسة). المأثرة (بضمّ الثاء): العمل الحميد.

ولولا الشعرُ لَبَطَلَتِ الأحسابُ. بلغةِ العربِ نَزَلَ القرآنُ، وبشِعْرِهم مُيِّزَ الفُرقانُ[1]. من ذمّ شِعرَهم فَجَرَ، ومن طَعَنَ على لُغتِهم كَفَر[2]. سألتَني - أراكَ الله السُّول[3] وبلّغكَ المأمولَ - أن أُلَخِّصَ لك ما انغَلَقَ وبَعِدَ، وأُخلِّصَ لك ما عَسِرَ وانعَقَدَ من كتابِ «أبْنِيَةِ الأفعال» لأبي بكرٍ محمّدِ بنِ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيز المعروفِ بابنِ القوطيّة.[4]. وهذا الكتابُ في غايةِ الجودةِ والإحسان، لو كان ذا ترتيبٍ وبيان، لأنّه قد أربى[5] فيه على كُلِّ من ألّفَ في مَعانيه. إلّا أنّه لم يذكُرْ فيه سِوى الأفعالِ الثلاثيةِ وما دَخَلَ عليها من الهَمْز. ولم يَسْتَوْعِبْ ذلك. وتَرَكَ نحواً ممّا ذكر[6]، وخَلَطَ في التَبْويب وقدّمَ وأخّرَ في التَرتيب. وجعَلَ الثُلاثيَّ في اتّفاقِ معنىً في أبوابٍ، وباختلافِ معنًى في أبوابٍ، والثُنائي المُضاعَفَ في أبوابٍ، والمُتّفِق والمُختلف منه في أبواب. فأتْعَبَ الناظرَ وأنصَبَ الخاطر[7]. وصار الطالبُ للحرفِ يَجِدُهُ مُتَفرّقاً في الكتابِ في عدّةِ أبواب. ولم يذكُرْ فيه الأفعالَ الرُباعيّة الصحيحةَ والسُداسية المَزيدَةَ ولا الثُنائية المُكَرَّرة. فأجَبْتُك إلى ما سألتَ وأسْعَفْتُك[8] بما أردتَّ، على ما في ذلك من التَعَبِ الطويل والنَصَبِ الجزيل، لأنّي أحْتاج (إلى) أن أعْرِضَ الكتبَ لِكُلِّ حرفٍ عرضةً[9]، وألْحِقَ به ما تَرَكَ من عدّةِ دواوينَ...... فرَدَدْتُ كلَّ فعلٍ إلى مِثْلِه، وقرَنْتُ كلّ شَكْلٍ بشكلِهِ. ورَتّبتُه خِلافَ ترتيبِهِ وهذّبتُه خِلافَ تهذيبه.

---

(١) بشعرهم... بمقارنة شعرهم بلغة القرآن الكريم، ظهر أنّ أسلوب الفرقان (القرآن) ميّز (مختلف، فوق) الشعر.

(٢) فجر: استهتر في ارتكاب المعاصي. طعن على لغتهم: عابها، ذمّها.

(٣) السول = السؤل = السؤال: ما يطلبه الإنسان، الحاجة (أراك الله:...)

(٤) راجع ترجمة ابن القوطية (ت ٣٦٧).

(٥) أربى: زاد.

(٦) استوعب: استوفى (ذكر جميع ما أراده). ترك نحواً (مقداراً مساوياً للذي أثبته في كتابه) ممّا ذكر (أنّه سيعالجه). الأفعال الثلاثية (صيغة فعل: علم، أخذ، سعى). وما دخلها من الهمز (صيغة أفعل: أعلم، آخذ، ألقى).

(٧) أنصب: أجهد، أتعب.

(٨) الفعل الرباعي الصحيح (فعلل: دحرج). السداسية المزيدة (استفعل وافعوعل: استعلم، استعبر ثمّ اخضوضر، احلولى). المكرّرة الثنائية (تلقل، جمجم). أسعف: ساعد.

(٩) عرضة: استعراض الكتاب مرّة جديدة.

وذكرتُ ما أغْفَلَهُ من الأفعال الثُلاثيةِ والمَزِيدة بالهَمْزة والثُنائية المكرَّرَة. وأوْرَدتُ الأفعالَ الرُباعية الصحيحةَ والأفعال الخُماسية والسداسية المَزِيدة. وأثْبَتُّها على حروفِ المُعْجَم حتّى لا يحتاجَ الناظرُ (إلى) أن يَخْرُجَ من بابٍ إلّا وقدِ اسْتَوْعَبَ جميعَ الأفعال. وأعْلَمْتُ ما أوْرَدَهُ (ابنُ القوطية) بحرف « القاف » وعلى ما أوْرَدتُه أنا بحرف « العين »، لِيُعْرَفَ بذلك ما أوْرَدَهُ وما أوْرَدتُه، وما تَرِكَ وما زِدتُ.....

٤- كتاب الأفعال (رتّبه سالم الكرنكوي)، حيدر أباد الدكن (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣٦٠ - ١٣٦٤ هـ.

** معجم الأدباء ١٢: ٢٧٩ - ٢٨٣؛ خريدة (المغرب) ١: ٥١ - ٥٥؛ إنباه الرواة ٢: ٢٣٦ - ٢٣٩؛ المحمّدون ٦٣ - ٦٤؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٢٢ - ٣٢٣؛ بغية الوعاة ٣٣١ - ٣٣٢؛ شذرات الذهب ٤: ٤٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨١٨ - ٨١٩؛ بروكلمن ١: ٣٧٥، الملحق ١: ٥٤٠؛ الأعلام للزركلي ٥: ٧٦ (٤: ٢٦٩).

ابن صارة الشنتريني

١ - هو الأُستاذُ الأديبُ الكبيرُ الشهيرُ (نفح الطيب ٤: ٣٠١، ٣٢٥، ٣٤٤) أبو محمّدٍ عبدُ الله بنُ محمّدِ بن عبدِ البَرِّ بنِ صارةَ (أو سارة) الشَنْتَرِينيُّ، من أهلِ شنترينِ الغربِ (في البرتغال اليومَ).

كان ابنُ صارةَ « قليلَ الحظِّ إلّا من الحِرمانِ »: كان رجلًا « أعانَ الدهرَ على نفسهِ » فما رَفِقَ في مُعاشرةِ أحدٍ ولا صَبَرَ على عملٍ. من أجل ذلك كان يَتَكَسَّب ببَيْعِ المُحقَّراتِ (الأشياء التافهة)، كما اشتغل حيناً بالتأديبِ والتعليمِ. ولقد تطوّفَ في الأندلسِ شرقاً وغرباً وراءَ الرزقِ ومدح نفراً من الأمراء وكَتَبَ لِبَعْضِهِم (كان كاتباً عندهم). ثمّ استقرّ في بَطَلْيَوْسَ وعاش في بَلاطِ بني الأفطسِ أيامَ المُتوكّل أبي حَفْصٍ عُمَرَ الذي جاء إلى الحكم سَنَةَ ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) شريكاً فيه مَعَ أخيه يحيى. فلمّا مات يحيى، سَنَةَ ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) انفرد هو بالحكم.

لـمّا استولى المرابطون على بَطَلْيَوْسَ (٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م) وقتلوا المتوكّل انتقلَ ابن صارةَ إلى إشْبيليَةَ (وكانت إشْبيليةُ أيضاً في يد المرابطين) واشتغل في الوِراقة

(نَسْخِ الكتب وتجليدِها) وعاش عيشةَ بؤسٍ. ولـمّا رَجَعَ القاضي أبو بكرٍ بنُ العربيّ من المشرقِ، سنة ٤٩٣ هـ، سكن إشبيليةَ فمدحه ابنُ صارةَ. ولـمّا جاء أبو بكرٍ بنُ إبراهيمَ والياً على غَرْناطةَ من قِبَلِ المرابطين ذَهَبَ ابنُ صارةَ إلى غَرْناطةَ ودخل عليه مَعَ الشعراء ومدحه. ثمّ مدحه أيضاً في نَوْروزِ سَنَةِ ٤٩٩ هـ (رَجَبَ ٤٩٩ هـ = آذار - مارس ١١٠٦ م). وكذلك مدح أبا العلاء بنَ زُهْرٍ (ت ٥٢٥ هـ) وأبا أُمَيّةَ بنَ عصامٍ قاضي الشرق (شرق الأندلس)، ولا أعلم متى فعل ذلك.

ولا يبدو أنْ ابنَ صارةَ تكسّبَ بالشعرِ ما يَذْهَبُ بشقائه فاعتزلَ الحياةَ العامّةَ في أواخرِ أيامِهِ - وكانت وفاتُه بالمَرِيّةِ، سَنَةَ ٥١٧ هـ (١١٢٣ م).

٢ - ابنُ صارةَ الشنتريني أديبٌ ناثرٌ ناظمٌ: كان شاعراً بارعاً مُقْتدراً صحيحَ اللغةِ متينَ الأسلوب يُحِبُّ المعانيَ الغريبةَ والتلاعبَ بالألفاظِ مَعَ قُدْرة على التَوْليد والاختراع. وقد أُولِعَ بالمُقَطّعات القِصارِ فأرْسَلَها أمثالاً. وكذلك كانت له براعةٌ وقدرة في القصائدِ الطِوال.

أما فنونُه فهي المديحُ والرثاء (فقد رثى ابنتَه رثاءً فيه زُهدٌ فيها وفي الدنيا) والهجاء (وقد أكثرَ منه وخصوصاً في أيام شقائهِ الأولى) والوصفُ (وصفُ الطبيعةِ، وله أوصافٌ مُستجادةٌ في النارِ وَوَصْفٌ للشهاب). وتكثُرُ الشكوى في شعره. وله حكمة وزهد وغَزَلانِ، مذكّرٌ ومؤنّث.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابن صارة الشنتريني يمدح الأميرَ أبا بكرِ بنَ إبراهيم لما جاء أبو بكر إلى غَرْناطَةَ والياً عليها:

اليومَ أخْمـدتِ الضلالةُ نارَها، واسْتَرجَعَتْ دارُ الهُدى عُمّارَها[1]؛
واستقبلت حَدَقَ الورى غَرْناطةٌ وَهْيَ الحديقةُ فَوّفَتْ أزهارَها[2].

---

(١) استرجع (قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون)، المقصود: استردّ. العمّار: الساكنون.
(٢) فوّفت: أزهارها: جعلت ألوانها كثيرة.

فكـأنّ تَشْرينـاً بهـا نَيْسانُـه يكسو رُباها وَرْدَها وبَهارَها[١].

ما شِئْتَ من نَهَرٍ كصَدْرِ عَقيلةٍ شَقّتْ أناملُها عليه صِدارَها[٢]،

أو جَدْوَلٍ كالنَّصْلِ في يدِ ثائرٍ أمْهى صَحيفتَه وهزّ غِرارَها[٣].

لله أرْوعُ من ذُوائِبِ حِمْيَرٍ راعَ العُداةَ فما تَقرُّ قرارَها[٤].

مـا هالَـهُ بِيـدٌ تَعَسّفَهـا، ولا لُجَجٌ بجِنْحِ اللّيْلِ خاض بحارَها[٥].

في فِتْيَةٍ تَسري إلى قَصْرِ الهُدى فتَظُنُّهم سدّوا الدُجى أقمارَها[٦]؛

خَضَبوا السواعِدَ بالرقاق تَفاؤلاً أنْ سَوْفَ تَخْضُبُ بالنَجيع شِفارَها[٧]

غرسوا الأيادِيَ في ثَرى مَعْروفِهم فجَنَوْا بألْسِنَةِ الثَناء ثِمارَها.

ضربوا سُرادُقَ بأسِهِمْ مِنْ دُونِها وقدِ اشْرَأبّ الكفرُ يَهْدِمُ دارَها[٨].

لَبِسوا القلوبَ على الدروعِ فدوّخوا أرضَ العِدى واسْتأصلوا كُفّارَها[٩].

شُهُبٌ إذا أوْفَتْ على أُفُقِ الوَغى جَعَلَتْ أبا يَحْيى الأميرَ مَدارَها[١٠].

---

(١) تشرين (الشهر العاشر في التقويم الميلادي) يبدأ فيه الخريف وتساقط ورق الشجر. نيسان (الشهر الرابع) فيه يبدأ الربيع واكتساء الأشجار بالورق وتفتّح الأزهار في الحقول. البهار: الزهر الأصفر أو زهر الربيع عامّة.

(٢) الشاعر هنا يشبّه مجرى النهر في المرج الأخضر بعقيلة (سيّدة كريمة) تكشف بأطراف أصابعها ثيابها (الخضراء) عن (صدرها الأبيض). الصدار (ثوب قصير يغطّي الصدر).

(٣) النصل (السيف). أمهى (رقّق السيف وجلاه). الغرار: حدّ السيف، والمقصود السيف كلّه.

(٤) الأروع: الشجاع. الذؤابة: ضفيرة من الشعر (رئيس القوم). حمير: عرب الجنوب (اليمن) أي الملوك. راع: أخاف.

(٥) ما هاله (لم تخفه) بيد (أي الصحارى) تَعَسّفَها (قاسى المشقّة في قطعها) ولا لجج (أمواج) بجنح الليل (في الوقت الذي يشتد فيه الظلام).

(٦) فتية (أقارب الأمير الممدوح؟). سدّوا الدجى أقمارها (أقمارها بدل من الدجى): سدّوا (غطّوا - بفتح الطاء) الأقمار (لأنهم أجمل من الأقمار).

(٧) خضبوا (صبغوا) السواعد (جمع ساعد: ما بين المرفق إلى الكف) بالرقاق (؟). النجيع: الدم. الشفرة (حديدة السيف).

(٨) السرادق (الخيمة الكبيرة) البأس (القوّة، الحرب) من دونها (دفاعاً عن بلادهم). اشرأبّ: مدّ عنقه (رغب في، أراد).

(٩) لبسوا القلوب على الدروع (استهانوا بالموت). دوّخ البلاد: جال فيها وعرف جميع نواحيها (استولى عليها). استأصل (اقتلع، قضى على).

(١٠) شهب (جمع شهاب: نجم). أوفى على أفق الوغى (اقترب من ميدان المعركة) جعلت أبا يحيى مدارها =

حاشا لِأَزْنُدِ شِرْعِنا من كَبْوَةٍ ويدُ ابنِ ابراهيمَ تُوري نارَها[1].

أَوَلِيَّ أُمّةِ أحْمَدٍ، أَبْهَجْتَها مُذْ صِرْتَ مِنْ جَوْرِ الحوادِثِ جارَها[2]

فَحُطِ الرَّعيّةَ في مَريعِ جَنابِها وَارْأَبْ ثَأَها واصْطَنِعْ أحرارَها[3]

واقْذِفْ نُحورَ المُشركينَ بجَحْفَلٍ يمحو مَعالِمَ أرضِها ومنارَها[4].

واحْلُلْ عُرى تلك الجَماجِمِ، إنّها عَقَدَتْ على بُغْضِ الهُدى زُنّارَها[5].

وكأنّني بِكَ قد ثَلَلْتَ عُروشَهم وسَلَبْتَ بَيْضَةَ مُلْكِهِ جبّارَها[6]!

لا تَرْضَ مِنْهُمْ بالنفوسِ تَحوزُها سُمْرُ القَنا حتّى تحوزَ دِيارَها[7]!

صَمَتَتْ سُيوفُكَ في الغُمودِ وجُرِّدَتْ يومَ النِزالِ فحَدَّثَتْ أخبارَها.

لما احْتَسَتْ خَمْرَ الهِياجِ نِصالُها أهْدت إلى هام الطُغاةِ خُمارَها[8]

- وقال في الغزل:

ومهفهفٍ أبصرتُ في أطواقه قَمَراً بآفاق المحاسن يُشْرِقُ[9].

= (دارت حوله لتحميه أو اقتدت به في الدوران معه في ميدان القتال).

(١) الزند (قطعة من حديد تقدح بها النار من الحجر الصوان). شرعنا (الإسلام). الكبوة: العثرة، السقوط. أورى: أوقد.

(٢) أَوَلِيُّ = يا وليَّ (الوالي، الأمير). أحمد (محمّد رسول الله). أبهج فلانٌ فلاناً (أفرحه، سرّه). الجور: الظلم. الجار (المجير، المنقذ، الحامي، المدافع).

(٣) حاط يحوط (حفظ). المريع: الخصب. الجناب (الجانب من الأرض). رأب فلان الصدع: جمع شقّيه وأصلحه. الثأى: الخرم (بالفتح)، الشقّ. اصطنع أحرارها (قرّب إليك الأحرار لا الأشرار).

(٤) الجحفل: الجيش العظيم.

(٥) احلل عرى الجماجم (الرؤوس): اخلع رؤوس هؤلاء القوم عن أجسادهم (؟). الهدى: دين الهدى (الإسلام). الزنّار: شعار النصارى يلفّونه على أوساطهم.

(٦) ثلّ: هدم. بيضة الملك: ما يدافع الملك عنه (العاصمة). الجبّار: الملك. = سلبت الجبّار (مفعول به أوّل) بيضة ملكه (مفعول به ثان مقدم).

(٧) لا تقنع بأن تأخذ سمر القنا (الرماح) أرواحهم، بل يجب أن تستولي أنت على بلادهم.

(٨) احتسى: شرب. خمر الهياج (القتال، الحرب): الدم. الطاغية: المستبدّ الظالم. الخمار: السكر. إكثارك القتل فيهم جعل ملوكهم كأنّما أصابهم صداع (بالضمّ: وجع في الرأس).

(٩) المهفهف: الدقيق الخصر. الطوق: العقد، قبّة القميص. قمر (كناية عن الوجه).

يُفضي إلى المُهجات منه صعدة   متألّقٌ فيها سِنانٌ أزرقُ[1].

– وقال يرثي ابنةً له ماتتْ (ونجد في هذا الرثاء شيئاً من الاستخفاف بالأنثى إذا ماتت):

ألا يا موتُ، كنتَ بنا رؤوفاً   فجدّدتَ الحياة لنا بزَوْرَهْ.
حَمادِ لفِعْلِكَ المشكورِ لمّا   كَفَفْتَ مؤونةً وسترتَ عَوْره[2]؛
فأنكحنا الضريحَ بلا صِداقٍ،   وجهّزنا الفتاةَ بغير شَوْره!

– وقال يصف شِهاباً ترك وراءه خطًّا طويلًا من النُور:

وكوكبٍ أبصرَ العِفْريتَ مُسْتَرِقاً   فانقضّ يذكي على آثاره لَهَبَهْ[3].
كفارسٍ حلّ إحضارٌ عِمامتَهُ   فجرّها كلّها مِنْ خَلْفِهِ عَذَبَهْ[4]!

– وقال في وصف النار:

لابْنَة الزَّنْدِ في الكوانين جَمْرٌ   كالدَراريّ في دُجى الظَلْماء[5]!
خبّروني عنها ولا تكذبوني: ألدَيْها صِناعةُ الكيمياء؟
سَبَكَتْ فَحْمَها صَفائحَ تِبْرٍ   رَصّعَتْها بالفضّة البيضاء!
كلّما رفرفَ النسيمُ عليها   رَقَصَتْ في غُلالةٍ حمراء!
لو ترانا من حَوْلها قلتَ: شَرْبٌ   يتعاطَوْن أكْؤسَ الصهباء[6].

---

(١) يفضي: يصل. المهجة: دم القلب. صعدة (قصبة، رمح) (كناية عن القامة الطويلة الرشيقة). متألّق: لامع. السنان (نصل حديد في أعلى الرمح) أزرق (كناية عن العين). – قدّ هذا المحبوب كالرمح وعينه زرقاء كنصل الرمح، من أجل ذلك هو يقتل المحبّين.

(٢) حماد (اسم فعل): حمداً (لفعلك). العورة: العيب (ما كان النظر إليه عيباً).

(٣) مسترقاً: يستمع سرًّا (أخبار السماء). فانقضّ (الكوكب): سقط بسرعة. على آثار (العفريت): وراءه. لهبه (مفعول به من «يذكي»).

(٤) كالفارس الذي حلّ إحضار فرسه (ركضه السريع) عمامته، فأصبحت عمامته منشورة كأنّها عذبة (قطعة متدلّية من العمامة). لهذا الشهاب الساقط رأس مكوّرة (كرأس الإنسان) ووراءه ذنب طويل من النور.

(٥) الزند (هنا): الحطب أو الفحم المستدير (كزند الإنسان) أو النار (لأنّ الزند – أي قطعة الحديد – هي التي تقدح النار من حجر الصوّان). الدراري: النجوم.

(٦) الشَرب (بالفتح) الجماعة يشربون (الخمر) معاً. الصهباء: الخمر الحمراء.

- وقال في وصف النار أيضاً:

باتتْ لنا النارُ دِرْياقاً، وقد جَعَلَتْ عَقاربُ البَرْدِ تحتَ الليلِ تَلْسَعُنا[1].
زهراءُ قَدَّتْ لنا مِنْ دِفْئِها لحفاً لم يَعْلَمِ البردُ فيها أينَ مَوْضِعُنا[2].
تُبيحُنا قُرْبَها حِيناً وتُبْعِدُنا: كالأُمِّ تَفْطِمُنا حيناً وتُرْضِعُنا!

- وقال يتغزّل:

تَمَنَّيْتُ منه قُبلةً حين زارني فقبّلتُه ثِنْتَيْنِ في الخَدّ والخدِّ.
وقُلتُ له: جُدْ لي بِثَغْرِك إنّني أقولُ بتَفْضيلِ الأَقاحِ على الوَرْدِ[3]!

- وقال يصف الشقاء من كَسْبِ المعيشةِ بصناعة الوِراقة (نسخ الكتب):

أما الوِراقةُ فهْيَ أنكدُ حِرفةٍ؛ أوراقُها وثِمارُها الحِرمانُ.
شبَّهْتُ صاحبَها بصاحبِ إبرةٍ تكسو العُراةَ وجسمُها عُريان.

- وقال يَتَهَكَّمُ بالذينَ يَعيبون الجَهالة (ويفضّلون العِلْمَ عليها):

عابوا الجَهالةَ وازْدَرَوْا بِحقوقِها وتَهاتَفوا بَحديثِها في المَجْلس[4].
وَهْيَ التي يَنْقادُ في يَدِها الغِنى، وتَجيئُها الدُّنيا برُغْمِ المَعْطس[5].
إنّ الجَهالةَ للغِنى جَذّابةٌ جَذْبَ الحديدِ حِجارةَ المَغْنَيْطِسِ!

- وقال يَصِفُ البرد الذي يَهُبُّ على غَرْناطةَ من جبل شُلَير:

يَحِلُّ لنا تَرْكُ الصلاةِ بأرضكم وشُرْبُ الحُمَيَّا وهو شَيْءٌ مُحَرَّمٌ،
فِراراً إلى أرضِ الجحيم، فإنّها أَحَنُّ علينا مِن شُلَيرٍ وأرحم.
(فإن كنتَ، ربّي، مُدْخِلي في جَهَنّمٍ ففي مثل هذا اليومِ طابَتْ جهنّم).

---

(١) الدرياق = الترياق (دواء يشفي كلّ داء).

(٢) قدّت: قطعت، فصّلت، خاطت، صنعت. اللحف (بالضمّ) جمع لحاف (بالكسر): الدثار (بالكسر) ثوب سابغ يغطّي البدن ليمنع عنه البرد.

(٣) الأقاح (زهر الأقحوان) كناية عن الأسنان (الفم). الورد (كناية عن الخدود).

(٤) ازدرى فلان شيئاً: احتقره. تهاتف: هتف (صاح) بعضهم لبعض (استهزاء بشيء ما).

(٥) المعطس: الأنف. برغم الأنف: بالكره، بالإكراه.

٤ - ** قلائد العقيان ٢٢٩ - ٢١٤؛ المغرب ١: ٤١٩ - ٤٢٠؛ المطرب ٧٨؛ وفيات الأعيان ٣: ٩٣ - ٩٥؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٣١٥ - ٣٢١، ٣: ٥٧٧؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٢٥٦ - ٢٨٢؛ بغية الوعاة ٣٢٥؛ شذرات الذهب ٤: ٥٥؛ نفح الطيب ١: ٤٩٩، ٢: ٣٠ - ٣١، ٦٥٢ - ٦٥٣، ٣: ٢١٦، ٤١٤، ٤٣٨، ٤٤١ - ٤٤٢، ٤٤٩، ٤٥٨ - ٤٥٩، ٥٦٧، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٤: ٨٦، ٩١، ١١٧ - ١١٨، ٣٠١، ٣٢٥، ٣٤٤ - ٣٤٥؛ نيكل ٢٣٣؛ مختارات نيكل ١٥٥ - ١٥٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٨ (١٢٢ - ١٢٣).

أبو بكر بن عطيّة

١ - هو أبو بكرٍ غالبُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ غالبِ بنِ عبدِ الرؤوفِ بنِ تَمّامِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ تَمّامِ بنِ عطيّةَ بنِ خالدِ بنِ عطيّةِ المُحاربيُّ، وُلِدَ سَنَةَ ٤٤١ هـ في غرناطة.

رَوَى أبو بكرِ بنُ عَطِيّةَ عن أبي عليٍّ الغَسّانيّ. ثمّ رَحَلَ باكراً سنة ٤٦٩ إلى المشرق فَحَجَّ ولَقِيَ نَفَراً من العلماء. ولمّا عاد إلى الأندلس تَصدّرَ للإفادة فرَوَى الناسُ عنه (راجع قضاة الأندلس ١١٠). وزَهِدَ في أواخرِ حياتِه. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) في غرناطة بعد أن كفّ بصره.

٢ - كان أبو بكرِ بنِ عطيّةَ عالماً مُحَدِّثاً وله شِعْرٌ في الزُهْد والشكوى والعِتاب.

٣ - مختارات من شعره

- قال أبو بكرِ بنُ عطيّةَ في الشكوى من البَشَر:

كُنْ بذِئبٍ صائدٍ[١] مُستأنساً ... وإذا أبصرت إنسانـــاً فَفِرّ.
إنّما الإنسانُ بَحْرٌ ما لَه ... ساحلٌ فاحْذَرْهُ: إيّاك الغَرَرْ[٢].
واجعَلِ الناسَ كشَخْصٍ واحدٍ ... ثمّ كُنْ من ذلك الشخصِ حَذِرْ[٣]!

(١) صائد (كذا في الأصل). اقرأ: صائت: عاوٍ (يعوي). فرّ: هرب.
(٢) الغرر: الهلكة، الهلاك.
(٣) اجعل جميع الناس كأنّهم شخص واحد (شرّير).

- وقال في عِتاب صديق (المغرب ٢ : ١١٨):

وكنتُ أظنُّ أنّ جِبالَ رَضْوى ... تزولُ وأنّ وُدَّك لا يزولُ.
ولكنّ الزمانَ له انقلابٌ ... وأحوالُ ابنِ آدمَ تَستحيلُ.
فإنْ يكُ بَيْنَنا وصلٌ جميلٌ، ... وإلّا فَلْيكُنْ هجرٌ جميلُ!

٤ - * * قلائد العقيان ٢٣٧ - ٢٣٩؛ الصلة ٢ : ٤٣١؟ (رقم ٩٧٧)؛ بغية الملتمس ٣٢٧ (رقم ١٢٧٧)؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣ : ٤٨٨ - ٤٩٠؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٥٢٦ - ٥٢٨؛ المطرب ٢١٥؛ نفح الطيب ٢ : ٥٢٣ - ٥٢٦؛ أزهار الرياض ٣ : ٩٩ - ١٠١؛ نيكل ٢٦٤؛ مختارات نيكل ١٧٧ - ١٧٨.

بنو القبطرنوه[١]

١ - بنو القَبْطُرْنُوه ثلاثةُ إخوةٍ من أهلِ قُرْطبةَ ومن ذوي الوجاهةِ والغنى والذكاء والعلم والأدب، ولَعَلّهم كانوا متقاربين في السِنّ. وَوَزَرَ بنو القَبْطرنوه كلُّهم لِعُمَرَ المتوكّلِ بنِ الأفطس صاحبِ بَطَلْيَوْسَ (٤٦٠ - ٤٨٧ هـ). وبعدَ استيلاءِ المُرابطين على الأندلس، سَنَةَ ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م)، دَخَلَ بنو القَبْطرنوه الثلاثةُ في خِدمة المرابطين.

وكان بنو القبطرنوه يأخذون الحياةَ هَوْناً فانصرفوا إلى اللَّهْوِ والخمر والنساء والصَّيْد وإلى قولِ الشعر في هذه الوجوهِ من الحياة وفي المديح للتكسُّب. وكان شعرُهم، عُموماً، وُجدانيًّا عَذْباً. ولا يبدو من حياتِهم وشِعرهم أنّهم كانوا من ذَوِي المبادىء الساميةِ، بل كانوا يهتمّون بيومِهم ولا يهتمّون بالغدِ قبلَ أن يأتِيَ. ثمّ كانوا يهتمّون بحظّ أنفسِهم في الحياة ولا يبدو أنّهم كانوا يَحْفِلون بأحوالِ البلاد وأحوال الأُمّة. وكانوا كلُّهم أيضاً أصدقاءَ للفتحِ بنِ خاقانَ (ت ٥٢٩ هـ)، وكان الفتحُ مثلَهم

(١) بنو القبطرنوه (القبطورنه، الخ) هم أبناء سعيد بن عبد العزيز بن يحيى، ويبدو أنّ أصلهم من المولّدين. والأغلب أن لقب «القبطرنوه» دخيل من كابو طورنو (الرأس المستدير، المتلفّت) Cabo torno (راجع قاموس اللغة الإسبانية - أصدرته الأكاديمية الإسبانية، مدريد ١٩٤٧ - الطبعة السابعة عشرة، ص ٢١٠ و ١٢٣٢).

في النظرِ إلى الحياة، وإن كانوا هم أحسنَ منه تستُّراً ومُداراةً.

(أ) كان أبو محمّدٍ طلحةُ أسنَّ مِنْ أخَوَيْهِ وأكثرَ وجاهَة، كَتَبَ (وَزَرَ) للمتوكّلِ بنِ الأفطس وكان يسامرهُ، ولَعلّه اتّصل بالمعتمدِ بن عبّادٍ. ثمّ كتبَ ليوسفَ بنِ تاشفِينَ. ولـمّا تُوُفّيَ يوسفُ بنُ تاشفين، وخَلَفَهُ ابنُه عليٌّ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) ظلّ أبو محمّدٍ بن القبطرنوه على اتّصالٍ بالبلاط المرابطي.

(ب) أمّا أبو الحسنِ محمّدٌ فكان أيضاً شاعراً بارعاً، ولكنّ أخبارَه أقلُّ من أخبارِ أخَوَيْه.

(جـ) وأمّا أبو بكرٍ عبدُ العزيزِ فلعلّه أصغرُ الإخوةِ الثلاثةِ سِنًّا؛ وتذكُر المصادرُ أنّه كان فَتًى جميلًا وأنّه تولّى الوزارةَ قبلَ أن يَلْتَحِيَ ولُقِّبَ « الرئيسَ الكاتبَ الوزيرَ الخطير ». ويبدو أن مُكْنَتَهُ عندَ بني الأفطس في بَطَلْيَوْسَ يَلِي لهمُ الوزارة قد طالَ حتّى لُقِّبَ « البَطَلْيَوْسيّ ». وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢ - كان شِعْرُ بني القَبْطرنوه وجْدانيًّا عَذْباً وأكثرُه مُقطَّعاتٌ في أغراضٍ عارضةٍ. وشعرُهم سَهْلٌ عذبٌ وإنْ لم يكُنْ فيه مَعانٍ مبتكرةٌ ولا بعيدةُ الغَوْر.

٣ - مختارات من أشعارهم:

- كَتَبَ أبو محمّدٍ طلحةُ بنُ القبطرنوه إلى أبي نصرٍ الفتحِ بنِ خاقانَ الأندلسيِّ صاحبِ كتابِ « قلائدِ العِقيان » (وقد غادر أحدُهما بلده):

أبا النصرِ، إنّ الجَدَّ لا شكّ عاثِرُ، وإنّ زماناً شاء بَيْنَك جائِرُ[١].
فلا تُوِّجَتْ من بعدِ بُعْدِكَ راحةٌ براحٍ، ولا حَنّتْ عليها المزامر[٢].
ولا اكتحلتْ من بَعْدِ نأيكَ مُقلةٌ بنَوْمٍ، ولا ضُمّت عليها المَحاجر[٣].

(١) الجدّ (الحظّ) عاثر (واقع، ساقط): حظّي سيّىء. بينك: فراقك (البعد عنك). جائر: حائد عن الصواب (ظالم).

(٢) الراحة: الكفّ. الراح: الخمر. حنّت: رنّت (صدر عنها صوت حينما تنقر أوتارها أو ينفخ فيها). لا دارت بعدك الخمر ولا صدحت الموسيقى (لا كان بعدك سرور ولا لهو).

(٣) النأي: البعاد. المحجر (بفتح فسكون فكسر): التجويف الذي تكون المقلة فيه.

ولي رَغْبـــةٌ جاءتْـكَ وَهْيَ مُدِلّة ... تَسوقُ إليكَ الحمدَ وهو أزاهر(١)
لتَعْلَم أنّي عن جوابِـــكَ عاجزٌ ... ومُعْتَذِرٌ فيه، فقُلْ: «أنا عاذر».
وكيفَ أُجاري سابقاً لم تَقُمْ له ... هُبوبُ الصَّبا والعاصفاتُ الخواطر(٢)
إذا قِيلَ: من هذا؟ يقولون: كاتبٌ! ... وإنْ قيل: من هذا؟ يقولون: شاعر!
وإنْ أخَذَ التحقيقُ فيك بَحقِّه ... وقيـل: ومن هذا؟ يقولون: ساحر!
تُشَيِّعُـكَ الألبابُ وهي أواسفٌ، ... وتَتْبَعُكَ الألحاظُ وهي مواطر(٣).

- وقال في الخمر:

إذا مـــــا الشَّوْقُ أرّقَـــــني ... وبـــــاتَ الهَمُّ من كَثَـــبِ(٤)،
فَضَضْـــــتُ الطِينَـــةَ الحمرا ... ءَ عن صفراءَ كالذهــــب(٥).

- وقال يرثي امرأتَه أمَّ الفضل:

مَعـــاذَ اللهِ أنْ أسْلو ببَـــدْرِ ... وأن أصْبو إلى كأسٍ وخمرِ(٦)،
ولا لِأراكـــةٍ نَهَضَـــتْ بِحِقْو ... ولا لِروادفٍ وعظـيمِ خَصْرِ(٧)،
ولا تفّاحـــةٍ طلعَـــتْ بخـدٍّ ... ولا رُمّانـــةٍ نَبَتَـــتْ بصدر(٨)،

---

(١) مدلّة: جريئة في طلب الأشياء (منك).

(٢) أجاري: أسابق. السابق: الحصان. لم تقم له: (لم تنافسه) هبوب الصبا (الريح الشرقية، الريح) والعاصفات (جمع عاصفة) الخواطر (التي تهبّ فجأة- وتكون عادة سريعة عنيفة).

(٣) الألباب (العقول) أواسف (جمع آسفة: حزينة). الألحاظ (العيون) مواطر (تمطر، تدمع): باكية، حزينة.

(٤) أرقني: أقلق نومي، منع نومي. كثب: قرب.

(٥) فضضت (نزعت، أزلت) الطينة الحمراء (الختم الذي يكون على دنّ الخمر أو على قنّينة الخمر) عن صفراء كالذهب (خمر صافية عتيقة).

(٦) معاذ الله (لا قدّر الله) أن أسلو (أنسى أمّ الفضل، ولو كان بجانبي بدر: امرأة أخرى جميلة) وأن أصبو (أشتاق، أميل) إلى كأس خمر (ينسيني أمّ الفضل).

(٧) أراكة: شجرة (كناية عن المرأة الرشيقة الجميلة). نهضت: قامت، بدا لها. الحقو (بالفتح أو بالكسر): حيث يعقد الإنسان إزاره (الجانب الأدنى من الخصر). الردف (بالكسر): أحد قسمي مؤخّرة الإنسان. وعظيم خصر (المقصود معظّم خصر): دقيق الخصر(؟).

(٨) ... ولا خدّ أحمر جميل، ولا نهد بارز على صدر فتاة.

وأن ألْهو من الدنيـــا بشيءٍ، وأمُّ الفضـلِ، يا أسفًا، بقبر!

★- وقال أبو الحسن محمّد بن القبطرنوه في النسيب:

ذكرتُ سُلَيْمــى وحَرُّ الوَغــى كجسْمِيَ ساعــةَ فارَقْتُهــا[١].
وأبصرتُ بـين القَنـا قَدّهـا، وقــد مِلْنَ نَحْوي فقبَّلْتُهـا[٢]!

★- وقال أبو بكرٍ عبدُ العزيزِ بن القبطرنوه يدعو صديقاً إلى جلسة أُنس:

هَلُمَّ إلى رَوْضِنــا، يــا زَهَرْ؛ ولُحْ في سماء المُنى، يا قَمَرْ[٣].
هَلُمَّ إلى الأُنس؛ سَهْمُ الإخـــاء لقــد عُطِّلَـتْ قَوْسُه والوَتَر[٤].
إذا لم تكن عندنـــا حاضراً، فما لِغُصونِ الأمـــــاني ثمر.
وَقَعْتَ من القلبِ وَقْعَ المُنى، وحَسُنْتَ في العين حُسْنَ الحور[٥].

- وله يرثي امرأته:

يا ربَّةَ القبرِ، فوقَ القبرِ ذو حُرَقٍ يَرْثي له القبرُ من شَجْوٍ ومن شَجَنِ[٦].
تبايَنَتْ فيكِ أحوالي أسىً، فمَضَى إلى لِقائِكِ صبري طالبَ الوسن[٧]؛
وخالفَ القلبُ فيكِ العَيْنَ من كَمَدٍ فاسودَّ بالغمّ وابْيَضّتْ من الحَزَن[٨]!

★★★- كان للمتوكّلِ عمرَ بنِ الأفطسِ صاحبِ بَطَلْيَوْسَ مُنْيَةٌ (روضة واسعة،

---

(١) الوغى: الحرب.

(٢) القنا: الرماح. قدّها: قامتها. ذكّرتني الرماح بقامتها. فلمّا مالت الرماح نحوي (لتقتلني) قبّلت تلك الرماح (هذا من قول عنترة: ولقد ذكرتك والرماح...- راجع عنترة في الجزء الأوّل من هذه السلسلة).

(٣) يا زهر، يا قمر (أيّها التي تشبه الزهر والقمر). لح (فعل أمر من لاح): ظهر، حضر.

(٤) ... تعال إلينا. سهم الاخاء .....(؟).

(٥) في الإحاطة: وحزت من العين حسن الحور (أنت منّا كالبؤبؤ من العين: لا يستغنى عنك، ولا نفع للعين بغير بؤبؤ).

(٦) فوق (عند) القبر ذو حرق (يقف زوجك). الشجو والشجن: الحزن.

(٧) تباين: اختلف. الأسى: الأسف، الحزن. الوسن: النوم.

(٨) الكمد: الحزن الشديد... قلبي الأبيض أصبح أسود (بالحزن) وبؤبؤ عيني الأسود صار أبيض (لا يرى) من كثرة البكاء.

ضيعة خِصبة)، وكان بنو القبطرنوه يَقْضون فيها بعضَ أيّامِ لهوهم. ففي ليلة سكروا فغَلَبَهُمُ النومُ. وقُبيلَ الصُبح استيقظ أبو مُحمّدٍ فقال:

يا شَقيقي، وافى الصَباحُ بوجهٍ ... سَتَرَ الليلَ نورُه وبهاؤُهْ[1]؛
فاصْطَبِحْ واغْتَنِمْ مَسرةَ يومٍ ... لستَ تَدْري بما يجيءُ مساؤه[2].

ثمّ استيقظ أبو بكر فقال:

يا أخي، قُمْ تَرَ النسيمَ عليلاً: ... باكرِ الروضَ والمُدامَ شَمولا[3].
لا تَنَمْ واغْتَنِمْ مَسرّةَ يومٍ؛ ... إنّ تحتَ التُرابِ نوماً طويلا!
في رياضٍ تَعانَقَ الزهرُ فيها ... مِثْلَ ما عانَقَ الخَليلُ خليلا.

ثمّ استيقظ أبو الحسن فقال:

يا صاحبيَّ، ذَرا لَوْمي ومَعْتَبَتي، ... قُمْ نَصْطَبِحْ خمرةً من خيرِ ما ذَخَروا[4]؛
وبادِرا غَفْلةَ الأيّامِ واغْتَنِما. ... فاليومَ خَمْرٌ، ويبدو في غَدٍ خَبَرُ[5].

٤ - ** قلائد العقيان ١٦٩ - ١٧٦؛ المغرب ١: ٣٦٧ - ٣٦٨؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٤١٢ - ٤١٩؛ المطرب ١٨٦ - ١٨٧؛ المعجب ١٧٣؛ الإحاطة ١: ٥٢٨ - ٥٣١؛ نفح الطيب ١: ٦٣٤ - ٦٤٠، ٤: ٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨١٣ - ٨١٤؛ نيكل ١٧٣ - ١٧٩.

محمّد بن بشير

١ - هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عبدِ الصمدِ بنِ بشيرٍ التَنُوخيُّ المَهْدَوِيُّ، كان من

---

(١) وافى: أقبل، جاء. نور الصبح وبهاؤه (جاله) ستر الليل (أذهب سواد الليل).
(٢) اصطَبَحَ: شَرِبَ الخمر صباحاً.
(٣) عليل: مريض (خفيف، فيه برد يسير ورطوبة يسيرة ينعشان الجسم). المدام: الخمر. شمول (مشمولة، الريح الباردة): باردة.
(٤) وذر، يذر: ترك. ذخر = اذّخر: خبأ (مدّة طويلة).
(٥) بادر: سبق. خمر (لهو). يبدو خبر (يحدث ما يجيء إلى الإنسان: (خبر الموت).

شُعراء الأميرِ عليٍّ بنِ يحيى بن تميمٍ الصِنْهاجيِّ، وقد مَدَحَه لـمَّا فَتَحَ مدينة قابِسَ (تونس)، سَنَةَ ٥١١ هـ. وكانت وفاتُه في حُدود ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢ - كان محمّدُ بنُ بشيرٍ أديباً شاعراً جَمَعَ رِقّة المعنى ومتانةَ السَبْكِ إلى وضوح الأغراض. وكانتْ له براعة في الوصف.

٣ - مختارات من شعره:

- قال محمّدُ بنُ بشيرٍ قصيدةً يصف فيها الأُسْطول الذي أنشأه الأميرُ عليُّ بنُ يحيى في ثَغْرِ المَهْدِيّة. وكان هذا الأُسطول مُزَوّداً أَسْلِحةً ناريّةً: من هذه القصيدة:

وأعْـدَدتَ للأعداء كـلّ مُصَمِّمٍ　　يسيرُ إليهم قاصداً وهو أهْوَجُ[١]،
كَمِثْـلِ الرواسي مِنْعَةً، غير أنّها　　على ثَبَجِ الدأماءِ تَردي وتُدْلِجُ[٢].
كأنّ القَنـا والنَبْـلَ في جَنَباتِها　　سِبالٌ بأكناف الهِضاب وعَوْسجُ[٣].
يُعيـدُ مُضيءَ الجوّ أقْتَمَ حالكاً　　دُخانُ لَظًى من نارِها يَتوهّجُ[٤].
إذا نَضْنَضَـتْ من ألْسُنٍ لَهَبِيّـةٍ　　بمـارجِ نـارٍ يستقـلّ ويعرَجُ[٥]،
رأيـتَ صِلالا أُخْرِجَتْ من جَهَنّمٍ　　تُحَرّقُ أكبـادَ العُداة وتُنْضِجُ[٦].

٤ - ** مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٧٥ - ١٧٦.

---

(١) المصمّم: الذي عزم ثم لا يريد أن يرجع عن عزمه. القاصد: المتّجه اتّجاهاً مستقيماً. أهوج: مجنون.

(٢) الرواسي: الجبال. المنعة (في القاموس: بفتح ففتح): الحصانة، والمنيع ما يصعب الوصول إليه. ثبج الدأماء: وسط البحر. تَردي: تسير بلا مبالاة (واثقة من نفسها). أدلج: سار ليلاً.

(٣) القنا جمع قناة: رمح. النبل جمع نبلة: سهم. السبلة (بفتح ففتح) = السنبلة: مجموع ثمر القمح (إشارة إلى ما فيه من الشوك). العوسج: نبات ذو شوك. أكناف جمع كنف (بفتح ففتح): طرف. الهضاب: الأراضي المرتفعة. - يشبّه المراكب الحربية بهضاب على أطرافها شوك كثير (لكثرة السلاح في تلك المراكب).

(٤) أقتم حالك: (شديد السواد). لظى: نار. يتوهّج: يتّقد، يشتعل، يتلألأ.

(٥) نضنضت الحيّة: أخرجت لسانها (وحرّكته يميناً وشمالاً). المارج: لهيب النار الذي لا يخالطه دخان. يستقلّ: يندفع اندفاعاً مستقيماً. يعرّج: يميل، ينحرف. واستعمل الشاعر يعرج (بفتح الراء لم يستقم مشبه) بمعنى عرّج.

(٦) الصلال هنا لا توافق المعنى. والشاعر يقصد الأصلال جمع صِلّ (بكسر الصاد): الحيّة الخبيثة.

أبو بكر بن رحيم

١ - هو أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ رُحَيْمٍ صاحبُ الديوان المُشَرَّفُ ذو الوزارتين كان من بَيْتِ جاهٍ ووزارةٍ، مَدَحَ الأميرَ أبا اسحاقَ إبراهيمَ بنَ عليِّ بنِ يوسفَ بنِ تاشِفينَ بقصيدتينِ في سَنَةَ ٥١٥ هـ (١١٢١ م). وكانت وفاتُه سَنَةَ ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢ - كان أبو بكر محمدُ بنُ رُحيمٍ شاعراً مُكثِراً مُطيلًا أكثرُ فنونهِ المدحُ والوصف والغزل والنسيب.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو بكرٍ محمدُ بنُ رُحيمٍ من قصيدةٍ يَصِفُ فيها الرياضَ:

لله يومٌ ضَرَبْنـا للمُـدامِ بهـا ... رِواقَ لَهْوٍ بطاساتٍ وجاماتِ[1]،
وللبلابـلِ ألحـانٌ مُرجَّعَـةٌ ... تُجيبُهنّ غوانينـا بأصواتِ[2]،
وللرياحـينِ أنفـاسٌ مُعَنْبَرَةٌ ... مَـعَ الريـاحِ تُوافينا لأوقاتِ.
حدائـقٌ أحدَقَتْهـا للمُنـى شَجَرٌ ... خُضْرٌ وأودِيَـةٌ حُفّتْ برَوْضاتِ[3].
جِنـانُ أُنسٍ رَعَى الرحمنُ بَهجَتَها ... حَسِبْتُ نفسيَ منها وَسْطَ جنّاتِ.
منازلٌ - لستُ أهوى غيرَها - سُقِيَتْ ... حَيّـا يَعُمُّ وخُصّتْ بالتحياتِ[4].

- وله في النسيب:

خَليليَّ، سِيرا وارْبعا بالمناهلِ ... ورُدّا تَحيّاتِ الخليطِ المُزايلِ[5].

---

(١) الرواق: جانب البيت (ممرّ مسقوف). رواق لهو: مدّة طويلة من اللهو. الطاس والجام: وعاءان تشرب بها الخمر.
(٢) المرجَّعة: المتردِّدة في الحلق. الألحان المرجّعة: المتلاحقة. الغواني: النساء الجميلات، المغنّيات.
(٣) أحدقتها = أحدقت (أحاطت) بها.
(٤) الحيا: المطر.
(٥) ربع: وقف. المنهل: مكان استقاء الماء (وتكون عنده مساكن). الخليط: الساكن مع غيره، العشير. المزايل: الذي ينوي الرحلة والسفر.

فإنْ سألَ الأحبابُ عنّي تَشَوُّقاً فقولا: تَركْناه رَهينَ البلابل[1].
لَعلّ الصَبا تأتي فتُحيي بنَفحةٍ فُؤادِيَ من تِلقاء من هو قاتلي[2].
فيا ليتَ أعناقَ الرياح تُقِلُّني وتُنزِلني ما بينَ تلك المنازل[3].

- موشّحة لابن رحيم:

هَـــزَّ ٱرتياحــي راحٌ بِـراحي مِسكيّـــةُ الأنفـاسْ سحب الوشاحِ[4]

* * *

مـا لَـذّةُ الدنيـا إلّا كؤوسْ:
سُلافـــةٌ تَحيــا بهـــا النفوسْ،
تُديرهـا سُقْيـا لنــا شُموسْ[5]
في روض راحٍ غَـضٍّ النّواحي يُهْديكَ عَرْفَ الآسْ مَعَ الرواحِ[6]

* * *

يا شادناً أحْوى رَفَعْـــتُ أمري
إليك، والشكوى عُنوانُ صـــبري
لا تخشَ أنْ أهْوى سِواكَ، عمري[7].

---

(١) البلابل جمع بلبال: شدّة الهم.
(٢) الصبا: ريح الشرق. من تلقاء: من نحو، من عند. قاتلي (المحبوب الذي كاد حبّه يهلكني).
(٣) ليت أعناق الرياح تقلّني: ليت الريح تحملني (بسرعة إلى المحبوب).
(٤) الارتياح: السرور والنشاط (في نفس الإنسان لطلب اللهو أو لفعل جيّد أو غير جيّد). راح: خمر (كأس خمر) براحي (على كفّي). الوشاح: نسيج عريض تلفّه المرأة حول القسم الأعلى من جسمها. سحب الوشاح (؟).
(٥) السلافة: الخمر الخالصة، الصافية. تديرها (تدور علينا بها) سقيا: لسقيانا (لنشربها) شموس (نساء جميلات).
(٦) في القاموس (١ : ٢٢٤، السطر التاسع): يوم راح (برفعها): شديد الريح. روض راح: ذكي الرائحة وزكيّها (؟). غضّ: ناضر. الرواح: المساء.
(٧) الشادن: ولد الظبية. الأحوى: الأسمر الشفة. عمري= طول عمري.

أنـــتَ ٱقتراحي مِنَ المِـــــلاحِ أغنى عَنِ النِّبراسْ ضوءُ الصباحِ [1]

★ ★ ★

أهواكَ للفضْـــلِ وللعَـــــــــلاءِ
وذلـــك النُبْـــلِ مَـــعَ السَّـــاءِ
والمُقَـــلِ النُجْـــلِ وهنّ دائي[2].
مَرْضَى صِحاحِ تَبْري صُراحْ ولا تنْسَني، يا ناسْ، وَرِشْ جَناحي[3]

★ ★ ★

صِلْني، أيا خِلّي، أخشى تَلافي.
والموتُ في الوَصْـــلِ مَـــعَ العفـــافِ
وليس من قُبلِ ولا ارتشافِ[4]
ثغرُ الأقـــاحـــي على السَّمـــاحِ لذي العُلا من باسْ ولا جُناحِ [5]

★ ★ ★

لا أنسَ مـا عِشْتُ يومـاً شَرِبْـــتُ
مَعْ مَنْ بهِ هِمتُ يومـــاً فقُلْـــتُ

---

(١) الملاح: النساء الجميلات. النبراس: السراج.
(٢) النبل: الشرف. السناء: الرفعة. المقل (العيون) النجل (الواسعة).
(٣) مرضى (فاترة، ناعسة: تظهر كأنّها مريضة). تبري= تبرىء: تشفي. صراح (بالضمّ): صراحة (بالفتح)، بلا شكّ. يا ناس (أيّها الناسي). رش (ضع ريشاً) في جناحي (كناية عن المساعدة على القوّة والحياة والثروة).
(٤) تلافي (يقصد تلفي): هلاكي. قبل (يجب أن تكون بضمّ ففتح). جمع قبلة (بالضمّ). ارتشاف: شرب من ريق المحبوب.
(٥) الثغر (الفم) الذي فيه أسنان مثل بتلات الأقحوان (رقيقة بيضاء منتظمة). السماح: الكرم. لذي العلا من باس: من (بفتح فسكون) باس (قبّل ؟) أو من (بكسر فسكون) بأس (شدة، مانع، حرج). ومؤدّي القراءتين واحد. «لدى العلا» (؟). جناح: ذنب.

حـين تناشَيْتُ وقد طَرِبْتُ[1]:
بِاللهِ، يا صاحِ، دُرْ كـأسَ راحٍ ودَعْ كلامَ الناسْ مَعَ الرياحِ[2]

٤ - * * قلائد العقيان ١٢٩ - ١٤٤؛ المحمّدون ٧٩ - ١٨١؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٣٦٩ - ٣٨٣؛ بغية الملتمس ٤٢ - ٤٣ (رقم ٣٠)؛ المغرب: ٢: ٤١٧ - ٤١٨؛ جيش التوشيح ١٧٠ - ١٨١، راجع ٢٦٦ - ٢٦٨؛ نفح الطيب ١: ٦٧٣؛ نيكل ٢٦٠ - ٢٦١؛ مختارات نيكل ١٧٣ - ١٧٤.

المتنبّي الجزيري

١ - هو أبو طالبٍ (أو أبو الوليدِ) عبدُ الجبّار المعروفُ بالمتنبّي الجَزيري وبالمتنبّي الشقريّ (نسبة إلى جزيرة شَقْر قرب شاطبة)[3]. وبالمتنبّي الأندلسيّ أيضاً. يبدو أنّه في القسم الأوفر من حياتهِ لم يطرأ على الدُّوَلِ (لم يتكسّبْ من ملوك زمانهِ)، ولكنّه فيا بعدُ اتّصَلَ بالمرابطينَ ومَدَحَ عليَّ بنَ يوسفَ بنِ تاشفينَ. وكان لا يزالُ حيًّا في سَنَةِ ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢ - المُتنبّي الجَزيريُّ شاعرٌ وناثرٌ، ولكنّ شعرَه أعلى طَبَقةً من نثره. وشِعره رقيقٌ يَدورُ أكثرُه على الغزَل والوصفِ. ويبدو من أُرجوزته على الأخصّ أنّه كان مُتَفَنِّناً في وجوه العلم والفلسفة، وفي المنطقِ وعلمِ الكلام خاصّةً. وهو أشعريُّ الرأيِ يعتقدُ بالصفات التي هي من أسماء اللهِ الحُسنى ويكرَهُ الملاحدةَ والمجادلين بغيرِ علمٍ. وله أرجوزةٌ بدأها بالكلام على أشياءَ من العِلمِ والفلسفة يجمَعُها من نَفَرٍ من الفلاسفة القدماء والمتأخّرينَ بلا قاعدةٍ ثابتة. ثمّ قصّ في هذه الأرجوزةِ أحداثَ التاريخ، مُنْذُ خَلْقِ آدَمَ، ممزوجةً بكثيرٍ من الإسرائيليّات (الخُرافاتِ المأخوذةِ عن اليهود). ثمّ جاء

(١) هام: شغف حبًّا. أحبّ حبًّا شديداً. تناشى (ليست في القاموس): دار فيه السكر.
(٢) در (المقصود أدر). الراح: الخمر.
(٣) جزيرة شقر أرض محصورة بين نهر شقر ورافدٍ له شماله. وشاطبة قريبة من منتصف الساحل الشرقيّ من الأندلس. وشقر بالفتح (تاج العروس - الكويت ١٢ : ٢٢٢)، وبالضم (وفيات الاعيان ١ : ٥٧).

إلى تاريخ الإسلام في المشرقِ والأندلسِ (ولم يُعرِّجْ على تاريخ المَغْربِ في قاره إفريقية)، فَعَلَ ذلك كلَّه على غايةٍ من الإيجاز واعتمدَ في ذلك (كما يقولُ هو) المؤرِّخَ المَسعوديَّ وغيرَه. ولكنّه كان أكثرَ توسُّعاً في تاريخِ الأندلس. وقد وَصَلَ في القَصَص (في السَّرْدِ) إلى أيامِ عليِّ بنِ يوسفَ بنِ تاشَفينَ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). وتبلغ هذه الأرجوزةُ أربعَمِائةٍ وأربعةً وستّين بيتاً[١].

٣- مختارات من آثاره:

- كان المتنبّي الجزيريُّ مرّةً في باب الحَنَش بمدينةِ بَلَنْسِيَةَ فأبصر فتاةً جميلةً في أُذُنَيْها قُرطانِ كأنها كَوْكبانِ فقال فيها قصيدةً مَطْلَعُها:

معشَرَ النـاسِ، ببـابِ الحَنَشِ بَـدْرُ تِمٍّ طالـعٌ في غَبَشِ[٢].
عَلَّـقَ القُرْطَ عـلى مِسْمَعِـهِ مَنْ عليـه آفـةَ العَيْنِ خَشِي!

- وله في الخَمْرِ (يجري في سبيلِ أبي نُواسٍ):

وخمّارٍ- أَنَخْـتُ بـه- مَسيحي رخيـمِ الدَلّ ذي وَتَرٍ فصيحِ[٣].
سَقـاني ثمّ غَنّـاني بصَوْتٍ، فـداوى مـا بقلـبي مِنْ جُروحِ.
وفضّ فَمَ الدِنـانِ على اقتراحي ففاحَ البيتُ منها طيبَ رِيحِ[٤].
فقلتُ لـه: «لِكَمْ سَنَةً تَراها؟» فقـال: «أظُنُّها من عهدِ نوحِ».
فلمّـا أن شَدا الناقوسُ صوتـاً دعـاني: أنْ هَلُمَّ إلى الصَبوحِ[٥].
وحيّـاني- وفـدّاني- بكـأسٍ، وقبّلـني فردَّ إليَّ روحي.

- من الخُطبة التي قدّمَ المتنبّي الجزيريُّ بها أُرجوزتَه:

---

(١) يمكن أن تصبح هذه الأرجوزة أربعمائة وخمسة وستين بيتاً. في الذخيرة (١ : ٩٣٢)، في الحاشية بيتان: أوّلها قراءة مختلفة من بيت في المتن، وثانيها بيت جديد.
(٢) باب الحنش: محلّة في بلنسية، أو في سرقسطة. الغبش: ظلمة آخر الليل.
(٣) الدلّ = الدلال: الغنج، تجرّؤ المحبوب على المحبّ.
(٤) الدنّ: وعاء الخمر الكبير.
(٥) الصبوح: شرب الخمر صباحاً.

.... لـمّا كانتْ مُخاطبةُ الرئيسِ تَنوبُ عن لِقائِهِ الذي هو حياةُ النفوس وربيعُ القلوب..... وكانتْ حالي[١] قد أناختْ بِذُراه الرَّحْب[٢]، وآمالي قد كَرَعَتْ في مَوْرِدِهِ العَذْبِ، إذْ هو سماءٌ تُمْطِرُ وبحرٌ لا يُكَدَّر وغيثٌ مُمْرِعٌ[٣] يحيا به المُجْدِبُ. وما زِلْتُ أرومُ لِقاءه على تراخي الأيامِ فيَحولُ بيني وبينَه قَدَرٌ لا يُرام[٤] وعِقال تَقاضِيه غيرُ مُطْلَق[٥] وباب الرجاء به[٦] مُغْلَق. فأعْمَلْتُ المِدادَ[٧] والأقلام بِرَجَزٍ صنعتُه وكلامٍ وضعتُه. والغرَضُ فيه امتداحُه، والقصدُ منه اسْتِمْناحُه[٨]. وهو في مَعْنَى ما تَضَمَّنَتْه كُتُبُ التواريخ: قَطَفْتُ عيونَ زَهَرِها والتَقَطْتُ مكنونَ دُرَرِها[٩]. واقتصرتُ على أقلِّها دونَ أكثرِها ممّا لا يَسَعُ جهلُه. وحذفتُ كلَّ حديثٍ يَتَغَلْغَلُ وخبرٍ يتسلسلُ[١٠]، إلّا ما زِدتُ حُلاه رَوْنقاً ومُجْتَلاه تألُّقاً[١١] من شأنِ فتحِ الأندلس وما اتّصلَ بذلك من أخبارِ أملاكِها الدُّرُس [١٢] إلى وَقْتِنا هذا ومَنْ وَلِيَها من بني أُمَيَّة وغيرِهم. وذكرتُ مَنْ وَلِيَ بالمشرقِ من بني العبّاس بعدَ المُطيع لله[١٣] إلى وَقْتِنا هذا –

---

(١) اقرأ: رحالي.

(٢) أناخت (بركت، نزلت) في ذراه (مكانه العالي، السامي) الرحب (الواسع).

(٣) الممرع: الخصيب.

(٤) تراخي الأيام: تطاولها. امتدادها. يحول (يعترض) بيني وبينه. قدر (أمر مكتوب على الإنسان) لا يرام (؟ مبني للمجهول من «رام – يريم»: بارح، ترك) لا يستطيع الإنسان أن يتجنّب وقوعه.

(٥) عقال (رباط). التقاضي: مطالبة الغريم (المدين) بما عليه من مال. (والمقصود هنا: المربوط به).

(٦) اقرأ: دونه (دون عليّ بن يوسف بن تاشفين). أو «باب الرجاء به» (بالقدر) دونه مغلق.

(٧) المداد: الحبر الأسود. أعملت: استخدمت (؟ لم أستطع أن أركب جلاً وآتي إليه فركبت الحبر والأقلام: وجهت إليه هذه الأرجوزة).

(٨) الاستمناح: طلب المنح (العطاء).

(٩) العين: المنتخب، النفيس من كلّ شيء. الزهر بفتح ففتح كالزهر بفتح فسكون. المكنون: المخبّأ (لنفاسته) الدرّة (اللؤلؤة).

(١٠) يتغلغل: أسرع، دخل، جرى، تطيّب بالعطر (وهذه المعاني لا توافق المقصود) اقرأ: يتعلعل (بالعين المهملة): يضطرب. يتسلسل (يستمرّ ويتشعّب).

(١١) إلّا ما زدّت حلاه (زينته) رونقاً (جمالاً) ومجتلاه (منظره) تألّقاً (لمعاناً).

(١٢) أملاك جمع ملك. الدُّرُس (الذين درسوا): فنوا (بضمّ النون)، ماتوا.

(١٣) المطيع العبّاسي (٣٣٤ – ٣٦٣ هـ).

وهو وقتُ التاريخ الذي ذكرتُه في الأُرجوزة - والإمام الآنَ فيه القائمُ بأمرِ الله[١] ابنِ القادر بالله. وقصدتُ إلى مَعْنى الاستذكارِ به[٢] لجوامع التاريخ والأخبار وسَلَكْتُ مذهبَ الاختصار، رجاءَ أنْ تُطْلِعَني قريحتي على مَغْزاهُ وتنشطَ مُنّتي إلى قربِ مَرْماه[٣]. وقدّمتُ أولاً (في الأرجوزة) مقدّماتٍ من أصولِ الاعتقادات.

- من أرجوزة المتنبّي الجزيري (في الغاية وفي حمد الله وفي العلم والدين والتاريخ) :

... أُهدي من القريضِ ما نَمَّقتُهُ — إلى رئيسٍ سيّـــدٍ أَمّلتُهُ[٤]؛
في كَلِمٍ كلؤلؤِ العُقودِ — أنظِمُ مـــا ضَمّنَـــهُ المَسْعودي
وغـــيرُه من سائرِ الأئمّـــهْ — في كـــلّ مَنْ وُلّيَ أمرَ الأمّـهْ؛
مُقْتَصِراً منـــه عـــلى عُيونــهِ — وحاذِفـــاً للحَشْوِ من فُنونــهِ.
والحمـــدُ للمُبْتَـــدِعِ السماءِ — والأرض ذي الآلاءِ والنَعْماءِ[٥]
وكـــلّ شيءٍ عنـــدَه معلومُ، — فَهْوَ الإلـــهُ الواحـــدُ القَيّومُ.
إيّـــاهُ فَاعْبُـــدْ، أيُّهـــا الإنسانُ، — فهو اللطيـــفُ القـــادرُ المَنّـــانُ.
عَلّمنـــا بالقَلَمِ البَيانـــا — حتّـى عَلِمْنا قبلُ ما قد كانا[٦].
مِنْ أُمَمٍ بـــادَتْ بصَرْفِ الأدهُرِ — أشْهدَنـا من ذاك ما لم نَحْضُرِ[٧].
سُبحانَـــه من واحـــدٍ قديرِ — مُصَرّفِ الأزمـــانِ والدهورِ.

---

(١) القائم العبّاسي (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ = ١٠٣٠ - ١٠٧٤ م)، وهذا يدلّ على أنّ المتنبّي الجزيري بدأ نظم أرجوزته باكراً (في أيام يوسف بن تاشفين).

(٢) استذكار (القاموس ٢ : ٣٦): حفظ. جوامع التاريخ: الأحداث الجامعة لمظاهر كثيرة، المهمّة، البارزة.

(٣) مغزاه: خلاصته والمقصود منه. تنشط منّتي (قوّتي) إلى مرماه (نهايته): حتّى أجد في نفسي همّة للانتهاء منه (للبلوغ بتدوين الأحداث إلى أيامي).

(٤) سأشرح المختارات من هذه الأرجوزة شرحاً يقتصر على الأمور التي لا تفهم الأبيات إلّا بها.

(٥) الآلاء جمع أَلْي وإِلى: النعمة. النعماء: الاطمئنان والسكون والمال.

(٦) ... ما قد كان من قبل.

(٧) صرف الدهر: أحداثه ومصائبه.

أُفٍّ لقولِ الفِئَــــةِ البَصْرِيَّـــهْ   أهلِ الهوى والفِرقةِ الغَوِيَّهْ[1].
فاحْذَرْ - هداكَ اللهُ، يا ذا الفَهْمِ -   قولَهُمُ واحْـذَرْ مَقـالَ جَهْمِ[2].
وقُــلْ بمـا يقولُ أهـلُ الحـقِّ   من مُثْبِتي صِفاتِ رَبِّ الخَلْقِ[3].
وكُـــلُّ مــا تُدْرِكُــه موجودُ   مُؤَلَّــفٌ مُبَعَّــضٌ محــدودُ[4].
فالجوهرُ الحامــــلُ للأعراضِ،   وهو الـذي ليس بذي أبْعاضِ[5].
والعَرَضُ المَحْمولُ كالألوانِ   وحَرَكاتِ الجِرْمِ والإسْكانِ[6].
أُوصِيكَ، يا مَنْ يطلُبُ العُلوما   أن تَعْرِفَ المَوْهومَ والمَعْلومـــا.
ولا تَقُــلْ بالمَيْــلِ للتقليــدِ،   فذاك رأيُ الكَوْدَنِ البليـدِ[7].
واتَّخِـــذِ العِلْمَ لنَفسِ العِلْمِ،   لا للمُباهـــاةِ ولا للخَصْمِ[8].
والعِلْمُ، إنْ أرَدتَّ حَدَّ مَطْلَبِهْ:   معرفةُ الشيءِ على ما هُوَ بِهْ.
والعِلْمُ عِلْمانِ، أيَـا مَنْ يبحَثُ:   عِــلْمٌ قــديمٌ ثمّ عــلْمٌ مُحْـدَثُ.
إنّ القــديمَ عــلْمُ رَبِّ العرْشِ   باري (البَرِيّاتِ) الشديدِ البَطْشِ؛

---

(١) الفئة البصرية: المعتزلة (فرقة كانت تقدّم العقل على الرواية الدينية وتقول بأن الإنسان مخيّر يفعل الخير والشرّ بإرادته واختياره).

(٢) جهم بن صفوان (١٢٨ هـ = ٧٤٥ م) قال: إنّ المرء مجبر على أعماله (لأنّ الفاعل الحقيقي لها هو الله). وقال: إنّ الإيمان هو المعرفة بالله فقط، أمّا الكفر فهو الجهل به فقط. وامتنع عن إبداء رأيه في صفات الله (أنكر صفات الله): إنّ علم الله حادث (أي إنّ الله يعمل الأمور بعد أن تحدث تلك الأمور) راجع «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي (القاهرة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م)، ص ١٢٨.

(٣) أهل الحق (من مثبتي الصفات لله): الأشعرية.

(٤) كلّ شيء مدرك بالحواس مركّب من عناصر مختلفة ثمّ هو قابل للقسمة ومحدود (بمكان معيّن وزمان معيّن).

(٥) كلّ موجود له جوهر (أصل ثابت) وعرض (صفات طارئة متبدّلة). الحديد جوهر، فإذا أحمي بالنار أصبحت الحرارة فيه عرضاً (لأنّها تزول). وإذا صبغناه صبغاً أحمر (مثلاً) فلونه الأحمر عرض (لأنّه كان بإمكاننا أن نصبغه بصباغ أصفر أو أزرق، الخ) ليس بذي أبعاض: غير القابل للقسمة أو للتجزّؤ.

(٦) الجرم: الجسم.

(٧) الكودن: البغل.

(٨) الخصم (مصدر): الخصام والمجادلة.

وَمُحْـدَثٌ فَـذاكَ عِـلْمُ الخَلْـقِ من ناطـقٍ وغـيرِ مـا ذي نُطْقِ.
وكُــلّ عِــلْمِ مُحْـدَثٍ عِلْمانِ: عِــلْمٌ ضَروريٌّ بــلا بُرهــانِ
كالعِلْمِ أنّ ٱثْنَيْنِ ضَعْفُ (الواحد) وأنّــه مــا قــائمٌ (كالقاعـد).
وبعــدَهُ فالعــلْمُ بٱسْتِـدْلالِ والمَنْطِقُ البحثُ عن الأحوالِ[١]:
مــا فيــه يَنْظُرُ مَنْ يُفكِّرُ يُدْرِكُ هذا كلُّ مَنْ يَعْتبِرُ[٢].
وصانــعُ العــالم فردٌ صَمَـدُ، والصُّنْعُ لم يَشْرَكْهُ فيه أحَدُ[٣].
(ثمّ ٱسْمُ في) التفكيرِ نحو النَفْسِ تُبْصِرْ قُواها في مَحَلِّ القُدْسِ[٤]
بحَجْمِ جِسْمِ العــالمِ المُحيـط والمُسْتديرِ الشَكْلِ ذي التخطيطِ[٥]
وانظُرْ إلى التسخيرِ فيها لازما يَؤُمُّهـــا كما يَؤُمُّ العالمــا[٦]
مِنْ ذاتِهـا في حالـةِ التصريفِ (مُنقـادةٌ فيه) إلى التكليفِ[٧]
لِقُوّةِ العقــلِ الـذي يَحْمِلُهــا فَهْوَ إلى ٱخْتيــارِه يَنْقُلُهــا[٨].
إذْ هو أعــلى رُتبــةً وأشرفُ منهـا إذا حَصّلْتـهُ وألطـفُ[٩]
لكنّــه تَلْحَقُــهُ الآفــاتُ من غــيرِه والعَجْزُ والعاهاتُ.
فــدلّ ذاك أن ربًّــا فوقَــهُ بايَنَ بالذاتِ والٱسْمِ خَلْقَهُ[١٠].

---

(١) بالاستدلال: بإقامة الدليل. المنطق يبحث في أحوال الموجود (ما هو؟ كيف هو؟ أين هو؟ الخ).
(٢) ما = الذي. إذا نظر الإنسان بعقله في شيء من الأشياء أو في أمر من الأمور أدرك (عرف) ذلك الشيء أو ذلك الأمر.
(٣) صانع العالم (الأصحّ: مبدع العالم): الله. فرد: لا ند (مساو) له. صمد: مقصود إليه.
(٤) محلّ القدس (الألوهية): الملأ الأعلى. هذا رأي أفلاطون في وجود النفس مفارقة (مستقلّة عن الجسد).
(٥) كان القدماء يعتقدون أن هذا العالم بمجموعه جسم يشبه جسم الحيوان (الكائن الحيّ) وأن له نفساً كلّيّة تحييه وتحرّكه.
(٦) وهذه النفس الكلّيّة (التي تحرّك العالم كلّه) هي بدورها مُسخّرة (خاضعة في أفعالها) للعقل الكلّيّ الذي يدبّر هذا العالم (لأنّ الله عندهم منزّه عن أن يتّصل بالعالم المادّي. من أجل ذلك، وهب الله للعقل قوّة يسيطر بها على العالم). أمّ: قصد. وللعقل أيضاً سلطة على هذا العالم.
(٧) النفس الكلّيّة تخضع (من تلقاء نفسها) للعقل.
(٨) العقل يقلّب النفس كما يشاء.
(٩) إذ هو (أي العقل). حصّلته (أدركت كنهه، فهمت أحواله). ألطف (في «مادّته» من مادّة النفس).
(١٠) باين (خالف) خلقه (الذين خلقهم) بذاته (جوهره) كما خالفهم في اسمه (خالق، ومخلوقون).

أقولُ قولاً ليس بالمُفَنَّــــــدِ، ولي لِسانٌ كَشَبــا المُهَنّــدِ[1]:
إنّ مقــالَ المسلمــينَ اتّفقــا أنّ إلَــهَ العالمــين خَلَقــا-
من غــيرِ أصـلٍ أو مِثـالِ شيٍّ مُكَوِّنٍ مِنْ مَيّــتٍ أوْ حَيٍّ-
أبــدَعَ تكوينَ المَبــادي الأوّلِ بقُــدْرَةٍ عظيمــةٍ لم تَزَلِ[2].
وكـانَ بدءُ الخَلْقِ في يومِ الأحدْ وتمّ في يومِ العَروبةِ العَدَد[3].....
ونِعمــةُ اللهِ ببَعْــثِ الرُّسُلِ بحَمْدِهـا يَنْطِـقُ كلُّ مِقْوَلِ[4].
أوّلُهُمْ آدمٌ الصفيُّ، وآخِرٌ محمّــــدُ النَبيّ
أرسَلَهُمْ طُرًّا لِيَهْــدوا الناسا مُؤلّفــاً بالدعوةِ الأجناسا
فبيّنوا الحَــلالَ والحرامــا وأنفَــذوا الأمورَ والأحكامــا
حتّى بدا الصُبْحُ لِذي عينين وأسْمَعوا مَنْ كــان ذا أُذْنَيْنِ.
تألّفُهُمْ صحابــةٌ أمجــادُ أُسْدُ حُروبٍ قــادةٌ أنجــادُ[5]
حتّى هدى اللهُ بهم مَنِ اهْتدى، لولاهُمُ لأصبــحَ النــاسُ سُدى.
ثمّ تَوَلّــى عُمرُ الفــاروقُ فالتأمــتْ من بعــده الفُتوقُ[6]،
واستعمــلَ البُعوثَ والأجنــادا وألِــفَ الحُروبَ والجِهــادا.
حتّــى أتَتْــهُ مِحنــةُ الشَهادهْ فهَنّيــاً اللهُ لــه السعــادهْ.
فصَيّرَ الشورى إلى أصْحابــهِ سِتّتِهِمْ (إذ كـان) يشكو ما به[7].

---

(١) فنّد فلان قول فلان (كذّبه، أبطله). الشبا: الحد. المهنّد: السيف (يفصل في الأمور بلا تردّد).

(٢) أبدع: أوجد من العدم. المبادىء الأول (المبادىء العالية): العقول والنفوس السماوية (التهانوي ١: ١٠٦ س)، ولعلّها هنا: العقل والنفس والصورة والمادّة والعلّة.

(٣) بقدرة الله القديمة والتي لا تزال باقية له.

(٤) المقول: اللسان.

(٥) الأمجاد جمع مجيد (الذي له مجد: شرف ومكانة). والأنجاد جمع نجد (بفتح فكسر أو بفتح فضمّ): الرجل ذو العزيمة الماضي في الأمور.

(٦) عمر الفاروق بن الخطّاب. التأم: اجتمع. الفتوق (الشقّ) الذي حدث بعد وفاة الرسول من الردّة (العصيان للسلطة المركزية للخلافة في المدينة).

(٧) لمّا طُعن عمر بن الخطّاب عيّن ستّة من الصحابة (عثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله =

فآثَروا عُــثمانَ بالخِلافــةْ، وكــان للإلَــهِ ذا مخافــةْ.
بُؤساً لِقومٍ قتلوا عُثانـــا إذْ نَقَموا اسْتخلاصَه مُروانا[1].
ثمّ تولاّهـــا أبو السِبْطـــينِ الحَسَنِ (الإمـــامُ) والحُسينِ:
عــليٌّ ذو العِـلمِ وذو الشجاعـةْ والزهـدِ في الدُّنيا وذو البراعةْ.
وثـــارتِ الحُروبُ بالخَوارجِ - أصلاهُمُ بالنـارِ ذو المَعارجِ [2].
ثمّ عــليٌّ (قـد نَحـا) مُعاوِيَـةْ فاضْطَرَبَ الأمرُ بعَمْرِو الداهيةْ[3]
فاجتمعوا للحرب في صِفّينـــا وأيْتَموا البنـــاتِ والبَنيـــا
ودامَ في حُروبِـــهِ عـــليٌّ حتّـــى دَهـــاه حـادثٌ دَهِيُّ،
حين (أُصيب من) يَدِ ابنِ مُلْجَمِ (وخُضِّبَ) المَفرِقُ منـه بالدَّمِ.
تَبّـــا لـــه من خارجيٍّ فاسقِ خالـفَ في التَنْزيل أمرَ الخالقِ،
فاغتالَـــهُ وهو يُنـــادي سَحَرا قوموا إلى الصلاة يدعو مُنْذِرا.
ثمّ تولّـــى الحَسَنُ الإمامـــه فَمُنِحَـــتْ بيُمْنِـــهِ السلامـــةْ.
فحَقَنَ اللهُ بـــهِ الدِمـــاءَ وأذهَـــبَ المِحْنَـــةَ والـلأْواءَ[4].
(إذْ) سلَّمَ الأمرَ إلى مُعاوِيَـــةْ - حياتَـهُ - وصارَ عنها ناحِيةْ[5].
فسار فيهـــا ٱبْنُ أبي سُفيـــانِ بسيرةٍ للعــــدلِ والإحسانِ[6]

= والزبير بن العوّام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص) وكانوا يطمحون إلى الخلافة وأمَرَهم، إذا هو مات، أن ينتخبوا واحداً منهم للخلافة. بعد أن يتشاوروا فيا بينهم.

(١) لمّا تولّى عثان الخلافة (بعد عمر بن الخطّاب) جعل مروان بن الحكم كاتباً له (وزيراً ومستشاراً) وكان مروان هذا يسمّى (طريد رسول الله)، لأنّه كان أوّلاً من كتبة الوحي ثمّ اتُّهم في أمانته. وكان مروان مستبدًّا بكثير من أمور عثان.

(٢) أصلاهم (أحرقهم) ذو المعارج (الله) بالنار.

(٣) نحا: قصد. كان عمرو بن العاص أحد دهاة العرب، وكان يمالىء معاوية بن أبي سفيان على عليّ بن أبي طالب لأن معاوية كان قد وعده بالولاية على مصر مدى الحياة وعلى أن تكون مصر طعمة (بالضمّ) له (بأن يكون خراجها أو ضرائبها له).

(٤) المحنة (المصيبة على المسلمين بالاقتتال بين الصحابة على الخلافة). اللأواء: الشدّة والضيق.

(٥) اعتزل الخلافة ودفعها إلى معاوية.

(٦) ابن أبي سفيان: معاوية.

وكـان فرْداً في النُهـى والحِلْمِ حتّـى رمـاه حَيْنـه بسَهْمٍ[1].
فانتقـــل الأمرُ إلى يزيـــدِ فحـادَ عنْ مَناهـجِ التسديدِ[2]
مُجْتَرِمـاً في قَتْلــهِ الحُسينـا وجاء في الحَرَّةِ فِعْلاً شَيْنا[3].
وغَلَـبَ البُغـاةَ عبـدُ المَلـكِ بالحَزْمِ والجِدِّ وعَزْمٍ مُوشِكِ[4].
وقــد تَوفّـاهُ مُزيـلُ مُلْكـهِ فَوَلِّيَ الوليـدُ بعـدَ هُلْكـه.
وكـان في السيرة لَدْنـاً لَيْنـا مُسْتَمْسِكاً حتّى أُذِيقَ الحَيْنا[5].
وقـد بنـى الجامـعَ في دِمَشْقِ مُقتصداً في ذاك وَفْقَ الصِدْقِ.
في وَقْتـــهِ فتّـــحَ أندلوسا طارقُ مَوْلَى ابنِ نُصيرٍ موسى.
في عـامِ تِسعينَ مَضَتْ واثنـينِ ثمّ سقاهُ الدهرُ كأسَ الحَيْنِ.....
ثمّ تولّـى الأمرَ، بعـدُ، عُمَرُ وكان في العدل إماما يُؤثَرُ[6]
زُهْـداً وعِلْماً واعتـدالاً وتُقـى حتّى اغتَدى في الأمرِ فَرْداً مُنْتَقى
قفـا سبيـلَ جَـدِّهِ الفـاروقِ ودَحَـضَ الباطـلَ بالحُقوق[7].
وانقرضَ الأمـلاكُ من أُمَيَّـهْ، والموتُ قَصْرُ كُلِّ نفسٍ حيّهْ[8]....

---

(١) فرداً: لا شبيه له في النُهى (العقل) والحلم (سعة الصدر). الحين (بالفتح): الموت.
(٢) حاد: مال. التسديد: الاستقامة والصواب.
(٣) كان قتل الحسين بن عليّ في أيامه جرماً هو المسؤول عنه. وكانت وقعة (معركة) الحرّة قرب المدينة، وبعد الانتصار في تلك المعركة أباح مسلم بن عقبة المرّيّ (قائد الحملة) المدينة (بالاستيلاء على أموالها ونسائها). الشين: العيب.
(٤) البغاة: الطالبون (للخلافة)، لأنّ مروان بن الحكم (والد عبد الملك) كان لمّا تغلّب على خصومه في معركة مرج راهط وحاز الخلافة دونهم، قد أرضى نفراً منهم بأنّ سمّاهم أولياء للعهد يأتون إلى الخلافة بعده (كان قد قطع لكلّ واحد منهم عهداً، في ستر عن الآخرين).
(٥) اللدن: الطريّ. اللين بتسكين الياء كاللّين (بتشديد الياء). الحين (بالفتح): الموت.
(٦) عمر بن عبد العزيز. آثر فلان فلاناً: فضّله (على غيره).
(٧) كان عمر بن عبد العزيز سبط (بالكسر) عمر بن الخطّاب، كانت أمّه بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب. دحض: أبطل، أزال. بالحقوق (بردّ الحقوق إلى أصحابها) - كان أهل البيت المالك من الأمويّين يتناولون رواتب من بيت المال فمنع عمر بن عبد العزيز ذلك.
(٨) الأملاك: الملوك (جمع ملك). قَصْر: غاية، نهاية (في الذخيرة ١ : ٩٣٣ قصرى، وليست هذه في القاموس ولا في تاج العروس).

فصـــار في الأمرِ بنو العبّـاسِ ولم يكن في حُكْمِهم من باسِ.
وصُيِّرَ الأمرُ إلى المنصورِ فأحكَمَ التدبـــــيرَ للأمورِ،
إذ كـــــان ذا سياسةٍ وحَزْمِ مُسَدَّدَ الرأيِ قويَّ العَزْمِ.
وصـــار هرونُ الرشيـــدُ تاليَـــا للمَلِـكِ الهـادي إماماً والِيـا[1]
فشَيَّـــدَ المُلْـكَ وأعـلى كَعْبَـهُ حزمـاً وعزمـاً وأذلّ صَعْبَـهُ.
واستوزَرَ البَرامِـكَ الأمجـادا فاستَوْثَـقَ المُلْـكُ بِهِمْ وزادا[2]
حتّـى دهاهُمْ حـادثُ الأيـامِ، وكـــلُّ عيشٍ فـإلى انصِرامِ.
وجاءهــــا المأمونُ عبـــدُ اللهِ فانزاحَ عنهـا كلُّ أمرٍ داهِ[3].
حتّى اغتَدَتْ في زينةِ العَروسِ وغـاب عنها كوكَبُ النُحوسِ،
إذ بايـعَ النـاسُ لـه وسَلّموا فأشْرَقَ الدهرُ وكـــاد يُظْلِمُ.
وكـــان في سيرتـــهِ المأمونُ عَـدْلاً رِضاً لـه تُقًـى ودينُ،
ذا بَصَرٍ بالعِـــلمِ والكــلامِ مُفَوَّهــاً بالنَثْرِ والنِظــامِ[4].
وصُيِّرَ المُلْـــكُ إلى المُعْتصِمِ فأحسن السيرَةَ (إذْ لم) يَظْـلِمِ.
فاستفتـــحَ المعتصمُ العَمّورِيَـــهْ ثمّ أراد غَزْوَ قَسْطَنْطِينِيَـــهْ[5].
فعاقَـــه عن ذاك أمرٌ مُزعِـجُ من ثائرٍ قـام عليـه يَخرُجُ[6]،
وأنّ الأفشينَ بـــدا من كُفْرِهِ مـا كان قد أجَنّه في صَدْرِهِ[7].
وقَتَـــلَ المُعتصمُ الأفشينـــا إذ كـان بالبَغْيِ يَكيدُ الدِينا:

---

(١) موسى الهادي أخو هرون الرشيد وسلفه في الخلافة.
(٢) الأمجاد جمع مجيد: ذو المجد (الشرف والمكانة). استوثق: أخذ وثيقة من شخص (المقصود «ثبت»).
(٣) الداهي: المصيب (الذي يأتي بمصيبة).
(٤) الكلام= علم الكلام (وكان المأمون معتزليًّا يرى تقديم العقل على الرواية الدينية). المفوّه: حسن القول، القادر على الكلام الجيد. النظام: نظم الشعر.
(٥) كان ملوك الروم (في أيام الدولة الأموية) من مدينة أموريوم (في آسيا الصغرى، على مقربة من أنقرة).
(٦) هذا الثائر كان بابكاً الخُرّمي.
(٧) الأفشين (حيدر بن كاوس) كان قائد الجيش العبّاسيّ (ولكنّه كان يمالىء بابكاً الخُرّمي لأنّه كان في الحقيقة يبطن الكفر ويظهر الإسلام). أجنّه: كتمه.

أحرَقَـهُ بالنـارِ لَمّـا أنْ بَغـى، وهكذا يَجْزي الإلهُ من طَغى.....
ثمّ انْتَهـى مُلْـكُ بـني العبّاسِ ودَبّرَ الأتراكُ أمرَ النـاس[1].
واستوثَـقَ المُلْكُ بهذي الناحيهْ لعابِـدِ الرحمن بنِ معاويـهْ[2]،
وبعـــدَه الناصرُ ذو البِنـاء، خمسينَ عاماً، صاحبُ الزهراءِ[3].
وبعــدَه المُسْتنصرُ بنُ الناصرِ، وبعـدَه هِشام آل عامرِ[4].
لمّا انقضتْ دولـةُ آلِ عامرِ قـام بهـا مَهْـدِيُّ آلِ الناصرِ[5]
فأظلمــت في عَصْرِهِ الآفــاقُ وعَمّهـا الشِقـاقُ والنِفـاقُ[6].
ولم يَزَلْ فيهم سُلَيـمانُ يَـلي حتّى انبرى له ابنُ حمّودٍ علي[7].
فاستوثَـقَ الأمرُ لـه والطاعـهْ وكـان- فيما زعموا- تلقاعهْ[8].
فاغتالـه الصَقْلَـبُ في الحَمّـام وجرّعوه أكْؤُسَ الحِمام.
ثمّ انقضى (عهـد) بـني حمّودِ والحربُ والفِتنـةُ في مزيـد.
وظهر المُستظهر المَرْواني وشِعْره من أحسن المعـاني.

---

(١) الأتراك (يقصد الشاعر دويلات المشرق: السامانية والغزنوية؟).

(٢) استوثق (ثبت) الملك (الحكم) بهذي الناحية (في الأندلس) لعبد الرحمن الداخل (بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان). سمّي الداخل لأنّه كان أول من دخل الأندلس من أمراء بني أميّة بعد سقوط الدولة الأموية وقيام دولة بني العبّاس.

(٣) عبد الرحمن بن محمّد المقتول بن عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل. وعبد الرحمن الناصر (الثالث) أوّل من تسمّى بلقب خليفة في الأندلس وكانت أيامه أيام قوّة وعزّ وازدهار. بنى قصر (مدينة) الزهراء.

(٤) الحكم المستنصر ابن عبد الرحمن الناصر وخلفه في الخلافة. هشام آل عامر: هشام المؤيّد (بن الحكم المستنصر وخليفته) جاء إلى الخلافة صغيراً فاستبد بأموره المنصور بن أبي عامر (الحاجب: رئيس الوزراء) بأموره، ثمّ استبد بأموره أيضاً ابنان للمنصور بن أبي عامر.

(٥) المهدي هو محمّد بن هشام، الحادي عشر في سلسلة الجالسين على عرش الأندلس.

(٦) في أيامه بدأت الفتنة (القتال على الخلافة) بين العرب والبربر.

(٧) سليمان المستعين جاء إلى عرش الأندلس بعد محمّد المهدي واتّسعت الفتنة في أيامه. عليّ بن حمود استبد بأمر قرطبة وحكم مستقلاً.

(٨) تلقاعة (في القاموس ٣: ٨٢) بكسر التاء واللام وتشديد القاف: الكثير الكلام، الأحمق، الداهية. ولا تستقيم في الوزن هنا إلاّ بسكون اللام.

وقتلوه بعـــــدَ ذاك صَبْرا — من بعـد مـا قلّـدوه الأمرا[١]
فبايعوا للناصرِ المُسْتكفي — بعدَ خُطوبٍ طال فيها وصفي[٢].
ففَرّ عنهـا ثمّ عـاد المُعتـلي — بـاللهِ يحيـى نجلُ حَمّودٍ عـلي.
ثمّ أتـى من بعـدِه المُعْتَـدّ — والحربُ في أقطارِهـا تشتدّ[٣]،
فنَقَموا استخلاصـه للحائـكِ — وزيرِه، فخرَّ أيَّ هالـكِ[٤].
وخلعوا مُعْتَدَّهُمْ هِشامـا — وسجنوه عندَهم أعوامـا.
لـمّا رأى أعـلام أهـلِ قُرطبهْ — أنّ الأمورَ عندهم مُضْطربـهْ،
(إذْ) عُدِمَـتْ شاكلـةٌ للطاعـهْ — فاستعملـتْ آراءهـا الجماعـهْ[٥]
فقدّموا الشيـخَ مِنَ آلِ جهورِ — المكتـني بالحَزْمِ والتّدَبُّرِ[٦]
ثمّ ابنَـه أبـا الوليـدِ بعـدَه — وكان يحدو في السَّداد قَصْدَهُ[٧].
فجاهَرَتْ في فَضْلِهـا الجهـاورهْ — وكـلّ قُطْرٍ حلّ فيه (فاقرهْ)[٨]:
(في كـلّ قطرٍ) منتزٍ (أو) ثائرُ — وعـادلٌ عن كلّ عدلٍ جائرُ[٩].
وابنُ يعيشَ ثـارَ في طُلَيْطُلَـهْ، — ثمّ ابنُ ذي النونِ تَصَفّى المُلْكُ لَه.
وفي بَطَلْيَوْسَ انتزى سابورُ — وبعـدَه ابنُ الأفطسِ المنصورُ.

- وله من أرجوزة في تاريخ الأندلس: عدد من ملوك الطوائف ثمّ مجيء المرابطين:

---

(١) قتلوه صبراً (بحبسه بلا طعام حتّى مات جوعاً).
(٢) محمّد المستكفي (جاء إلى العرش سنة ٤١٤ هـ).
(٣) هشام المعتدّ آخر الخلفاء في الأندلس.
(٤) الحكم بن سعيد القزّاز (قتل ٤٢٢ هـ) كان حائكاً في قرطبة ثمّ توصّل إلى أن أصبح حاجباً (رئيساً للوزارة) لهشام المعتدّ. فاستبد بالأمور وأساء السيرة في الناس.
(٥) الشاكلة: القاعدة، الطريقة (؟). الجماعة: رؤساء الناس.
(٦) هو أبو الحزم جهور بن محمّد بن جهور كان وزيراً ثمّ لمّا اضطرب أمر الأندلس استبدّ بأمور قرطبة.
(٧) كان ابنه يسير في ضبط الحكم مثل سيرته.
(٨) الجهاورة (المتوالون في حكم قرطبة من آل جهور). فاقرة: داهية، مصيبة كبيرة (كلّ بلد في الأندلس استبدّ به رجل).
(٩) المنتزي: العاصي على الدولة. عادل: مائل، منحرف. جائر: ظالم.

وثـــارَ في حِمْـــصٍ بنو عَبّـادِ والحربُ والفتونُ في ازْدِيـادِ[1].
وشاعَ عن هِشامٍ المُؤيَّـــــدِ بأنّـــه حيٌّ ولمّا يُلْحَـــدِ[2]،
وأنّـــه جـــاء من الحِجـــاز واحتلّ في حمصٍ على الجاز[3].
وقـــال عبّـــادٌ بـــهِ فصدّقوا بأنّـــه حيٌّ لَدَيْـــهِ يُرزَقُ[4].
فنصبوا دَعْوتَـــــه طِلَّسْما وقد مَحا المَاتُ منه الرَسْما[5].
فعبـــدوه مُـــدّةً أعوامـــا إذ عَدِموا الألبابَ والأحلاما[6].
ثمّ نَعـــاهُ بعـــدَ ذا عبّـــادُ من بعدِ ما طاعتْ له البِلاد[7].
وثـــار في غَرناطـــةٍ حَبّوسُ ثمّ ابنـــهُ من بعـــدِه باديسُ.
وآلُ مَعْنٍ مَلَكوا المَريّـــــهْ بسيرةٍ محمودةٍ مَرْضِيّـــــــهْ.
ذِكْرُهُمُ في غـــيرِ مـــا قصيدِ يُشْرِقُ منـــه النَحْرُ بالفَريـدِ[8].
وثـــارَ في (شَرْقِيّهـــا) الفِتْيـــانُ العامريّونَ مِنهُمُ خَيْرانُ[9].
ثمّ زهـــيرٌ والفـــتى لبيـــبُ ومنهُمُ مُجاهـــدُ اللبيـــبُ.
سلطانُـــه رسا بمُرْسى دانِيَـــهْ ثمّ غزا حتّى إلى سَرْدانيه[10].
ثمّ أقامـــتْ هـــذه الصقالبـــهْ لابنِ أبي عامِرِهِمْ بِشاطِبَـــهْ[11].
وجُـــلُّ مـــا مُلْكَـــهُ بَلَنْسِيـهْ. وثـــارَ آلُ طاهرٍ بمُرْسِيَـــهْ.
ثمّ تمادتْ هـــذه الطوائـــفُ تَخلِفُهُمْ من آلِهِمْ خوالِـــفُ.

---

(١) حمص (إشبيلية لشبهها بحمص في الشام). الفتون: الفتنة. الفتوق جمع فتق: الخلاف.
(٢) لمّا يُلحد: لم يدفن بعد.
(٣) على الجاز (على ضفّة النهر مستعدًّا للجواز إلى قلب إشبيلية؟).
(٤) أبو عمرو عبّاد (المعتضد) بن محمّد، ملك إشبيلية (ابتداء من ٤٣٣ هـ).
(٥) الطلّسم: العوذة (بالضم)، التميمة (اتّخذوا اسمه حجّة للحكم).
(٦) عبده الناس (أطاعوه وانقادوا له). اللب (بالضمّ) والحلم (بالكسر): العقل.
(٧) وبعد أن استقرّ أمر عبّاد في حكم إشبيلية نعى هشاماً (أعلن موته).
(٨) النحر: أعلى الصدر. الفريد: اللؤلؤ.
(٩) الفتيان: موالي (عبيد) العامريّين (المنصور بن أبي عامر وأهله).
(١٠) رسا: استقرّ. سردانية جزيرة إيطالية.
(١١) الصقالبة (من العرق السلافي) كانوا موالي في خدمة العامريّين وغيرهم.

وإذْ أرادَ اللهُ نصرَ الـــــدينِ ... إستصرخ النـاسُ ابْنَ تاشَفينِ[1]،
فجاءهم كالصُبْـحِ في إثْرِ غَسَقْ ... مُتَّئِداً كالماء يُنْقى من رَنَقْ[2].
وافـــى أبو يعقوبَ كالعُقَـــابِ ... فجرّدَ السيـــف عن القِراب[3]،
وواصـــلَ السيرَ إلى الزلّاقـــهْ ... وساقَـــهُ لِيَوْمِها مـــا ساقــه[4].
للهِ درُّ مِثْلِهـــــا من رُقْعَـــهْ ... قامتْ بنصرِ الدين يومَ الجُمْعَهْ.
وثُـــلَّ للشِرك هُنـــاكَ عَرشُهُ، ... لم يُغْنِ عنـهُ يومَهـا أذْفُنْشُهُ[5].
فَوَجَـــبَ الخَلْـعُ لـدى الجماعـهْ ... وصرّحوا ليوسفٍ بالطاعـــــه[6].
فاتّصـــلَ الأمرُ عـلى النِظـامِ ... وامتـــــدّ ظِـــلُّ اللهِ للإسلام.

٤-★★ المغرب ٢: ٣٧١ - ٣٧٢؛ الذخيرة ١: ٩١٦ - ٩٤٤؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٩٣ - ٩٧؛ نفح الطيب ١: ٦٧١ - ٦٧٢، ٣: ١٨٢؛ نيكل ٢٣٨؛ مختارات نيكل ١٦٠؛ الاعلام للزركلي (٣: ٢٧٤).

أبو بكر الطُرطوشيّ

١- هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ الوليدِ بنِ محمّدِ بن خَلَفِ بنِ سُليمانَ بن أيّوبَ الفِهْريُّ الطُرطوشيُّ، نِسبةً إلى طُرطوشةَ (وهي مدينة في الشّمال الشرقيّ من الأندلس على نهر أبْرُه قريباً من مَصَبّه)؛ ويُعْرف أيضاً بابن أبي رَنْدَقَة.

وُلِدَ أبو بكرٍ الطُرطوشيُّ في طُرطوشةَ، سَنَةَ ٤٥١ هـ (١٠٥٩ م). وعاش في

(١) استصرخ الناس ابن تاشفين (استنجدوا بيوسف بن تاشفين).

(٢) إثر: بعد. غسق: ظلام (محنة من هجمات النصارى الإسبان على البلدان الإسلامية). الرنق: الكدر (الوحل في الماء).

(٣) أبو يعقوب (يوسف بن تاشفين). القراب: غمد (بالكسر) السيف.

(٤) الزلّاقة (راجع، فوق، ص ١٧). ساقه ليومها ما ساقه (جاء به إلى الزلّاقة حرصه على دفع الشرّ عن المسلمين في الأندلس).

(٥) ثلّ: هدم. الأذفنش: اسم عدد من ملوك الإسبان (وقد استخدم أيضاً لقباً). المقصود هنا ألفونس السادس ملك قشطالة (كاستيل).

(٦) أهل الأندلس خلعوا عنهم طاعة ملوك الطوائف ثمّ دانوا (أطاعوا في الحكم) ليوسف بن تاشفين.

سَرَقُسْطة مُدّة ودَرَس فيها وفي إشبيلية. وفي سَرَقُسْطَةَ صَحِبَ أبا الوليد الباجيَّ (٤٠٢ - ٤٧٣ هـ) مدّةً يسيرة وأخذ عنه شيئاً من مسائل الخِلاف.

وفي سَنَةِ ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م) رَحَلَ إلى المشرق فحَجّ ثم دخل العراقَ فتفقّه في بَغدادَ على أبي مَكْرَمِ بنِ أحمدَ الشاشِيِّ (ت ٥٠٧ هـ) وسَمِع في البصرة من أبي عليّ التُسْتُريّ (ت ٤٧٩ هـ) وزار القُدْسَ. بعدئذٍ جاء إلى الشام وسكن دِمَشْقَ وتطوّفَ بين مُدُنها. ثمّ انتقل (٤٨٨ هـ) إلى مصر وسكن رَشيدَ مدّة ثمّ استقرّ في الإسكندرية وقَعَدَ فيها للتدريس. وفي الإسكندرية تزوّج امرأةً مُتعبِّدةً مُوسِرةً وَفَّرتْ عليه كثيراً من السَعْي في سبيل تكاليف الحياة.

وجاء الطُرطوشيّ إلى القاهرة وزار الأفضلَ بن بَدْرٍ الجَمّالي وزيرَ الفاطميّين (٤٩٥ - ٥١٥ هـ) زيارةَ نصيحةٍ وعِتابٍ أغضبتِ الأفضلَ. ولكنّ الأفضلَ أكرمَ الطرطوشيّ. وبعدَ مدّةٍ يسيرةٍ في الأغلب (في مَطلَع سَنَةِ ٥١٥ هـ) استدعى الأفضلُ أبا بكرٍ الطرطوشيَّ وأوجبَ عليه إقامة قَسْريّة. وفي آخرِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥١٥ مات الأفضل فخلفه في الوزارة أبو عبدِ الله محمّدٌ المأمونُ المعروفُ بالبطائحي (قتل ٥١٩ هـ) فأطلقَ سَراحَ الطُرطوشيّ. فعاد الطُرطوشيّ إلى الإسكندرية.

وكانت وفاةُ الطرطوشيّ في الإسكندرية، في ٢٦ من جُمادى الأُولى من سَنَةِ ٥٢٠ (١٨/ ٦/ ١١٢٦ م).

٢ - أبو بكر الطُرْطوشي عالمٌ حافظٌ مُحَدِّثٌ فقيهٌ وأديب ناثر وشاعر ومؤلّف. له شعرٌ وَسَطٌ في الزّهد والحِكْمة وله عددٌ من التصانيف، إلّا أن شُهرَتَه تقومُ على كتابه « سِراج الملوك » وقد ألّفه في الإسكندرية في مَدى عامٍ واحدٍ وانتهى من تأليفِه في رابعَ عَشَرَ رَجَبَ من سَنَةِ ٥١٦ (١٩/ ١١/ ١١٢٢ م) وقدّمه للبطائحيّ.

وأبو بكرٍ الطرطوشيُّ مصنِّفٌ مُكْثِرٌ واسع الدِراية له تصانيف منها: « اختصار الكشف والبيان في تفسير القرآن » (للثعلبي النيسابوري المتوفّى سَنَةَ ٤٢٧ هـ) - اختصار « كتاب أخلاق رسولِ الله » (لأبي محمّدٍ عبدِ الله بن جعفر بنِ حَيّانَ) - كتاب الأسرار (في حقيقة العقل وأقسامه ومداركه) - الكتاب الكبير في مسائل الخلافيّات

(أو التعليقة[1] الكبيرة في الخلافيات[2]) - حاشية على إثبات الواجب - شرح رسالة أبي زيد القيروانيّ - النهاية في فروع[3] المالكية - تحريم الاستمناء - منتخب من عيون خصائص العباد - نزهة الإخوان المتحابّين في الله - كتاب الدعاء - العدّة عند الكَرْب والشِدّة - الكلام على الغنى والفقر - كتابٌ يُعارض فيه الغزّالي (يأخذ على الغزّاليّ عدداً من آرائه في التصوّف وفي الفلسفة ثمّ يَنْسِبه في بعضها إلى الابتداع، ويبدو أنّه يخالف الغزّالي في إباحة السّماع أو الغناء والعزف) - كتاب الحوادث والبِدَع (أو بدع الأمور ومُحْدَثاتها) - تحريم الغناء واللهو على الصوفية في رقصهم وسماعهم - رسالة في تحريم جُبْن الروم (الجُبْنة التي يصنعها اليونان ثمّ يصدّرونها إلى مصر) - كتاب الفتن - رسالة إلى يوسف بن تاشفين (فيها عددٌ من النصائح في التزام أمور الدين وترك البدع) - كتاب برّ الوالدين - نفائس الفنون - سراج الملوك.

وأشهرُ كتبِ الطرطوشيّ - لعلّه أهمُّها أيضاً - كتابُ سراج الملوك، وهو يبحث فيه في الاجتماع والتاريخ ويريدُ أن يُهَذِّبَ نفوسَ الحُكّام من طريقِ العِظة وضَرْبِ الأمثال. وهو لا يفرّقُ بينَ السُلوك السياسيّ ومبادىء الأخلاق ويعتقد أن صلاحَ الرعيّة من صلاح الملوك (الحكّام). وأسلوبُه فيه سَهْلٌ كثيرُ الاقتصادِ بالمُحسِّنات اللفظيّة قليلُ المبالغة في كلّ شيء، وهو يمزُجُ فيه النثرَ بشيء من الشعر.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو بكرٍ الطُرطوشيُّ في حالِ الزّهاد ونظرهم إلى هذه الدنيا:

إنّ للهِ عِبـــــاداً فُطَنــــــا ... طلّقوا الدُّنيا وخافوا الفِتَنا[4].

نظروا فيهــــا، فلمّــــا عَلِموا ... أنّهــــا ليستْ لِحَيٍّ وَطَنــــا

---

(١) التعليقة: ما يعلّقه الطالب عن شيوخه (دفتر يدوّن فيه الطالب ما يسمعه من أساتذته).

(٢) الخلافيّات: ما يختلف فيه أصحاب المذاهب.

(٣) في أمور الدين العملية: (العبادات والمعاملات). الفروع غير الأصول.

(٤) الفطن (بضمّ فسكون جمع فاطن وفطين ثمّ جمع فطن (بكسر وبفتح الخ): ذو فهم وعقل. والفتنة (بالكسر): المحن، الابتلاء، الاختبار والإعجاب بالشيء والضلال والاقتتال والنزاع والشقاق.

جَعلوهـــا لُجّـــةً وآتّخـــذوا صالـحَ الأعمالِ فيهـا سُفُنـا[1]!

- وممّا ينسب إليه:

إذا كُنْـتَ في حاجـةٍ مُرْسِلاً، وأنـــتَ بإنجازهـــا مُغْرَمُ،
فأرْسِلْ بأكْمَـــهَ خَلّابَـــةٍ بـــه صَمَمٌ أغْطَشٌ أبْـكَم[2]
ودَعْ عنـــكَ كـلَّ رَسولٍ سِوى رسولٍ يُـقالُ لـــه الدِرْهَم!

- لأبي بكرٍ الطُرطوشيّ قِطعةٌ عبّرَ فيها عن عددٍ من المعاني نثراً ثمّ أعادَ هذه المعانِيَ وأمثالَها شِعراً، هي التي تلي (ولَعله جاء بهذه المعاني على طريقةِ الصوفية):

يا بُنَيَّ، إذا هاجَ شوقي وتضعضعَ آصطباري واضطربتْ عزائمي وآضطرمتْ بَلابلي[3] أُسَرِّحُ طَرْفي[4] فلا أراكُمْ، وأستقبل الرُكبان فلا أُلقاكُمْ. فلا نَسيمُكم أشُمُّه، ولا شخصُكَ أعْتَنِقُه وأضمُّه، ولا وجهُكَ أستدنيه وألتزِمُه. وأبسُطُ كفًّا وأرفعُ إلى السماء طَرْفاً وأُذْرِفُ الدموعَ ذَرْفاً، وأقولُ كما قال من فَهِمَ عنِ اللهِ أمْرَهُ ولم يُعارِضْ قَضاءه وقدَرَهُ- لِمَا آبتُلِيَ به من أحبابِه وصَبَرَ على بَلائه-: «فَصَبْرٌ جميلٌ، واللهُ المُستعانُ على ما تَصِفون»[5]. يا بُنَيَّ، كُلَّما ذكرتُك هاج شوقي إلى رؤيتكم، ألْحَظُ النَجْمَ الذي تَلْحظُونه. وأنا أقول:

أُقَلِّـــبُ طَرْفي في السماء تَرَدُّداً لَعَلّي أرى النجمَ الـذي أنتَ تَنْظُرُ؛
وأسْتَعْرِضُ الرُكْبـانَ في كلّ وِجْهَةٍ لَعَلّي بِمَنْ قـد شَمّ عَرْفَك أظْفَرُ[6].
وأسْتَقْبِـلُ الأرْيـاحَ عند هُبوبِها، لَعـلّ نسيمَ الريح عنـك يُخَبِّرُ؛
وأمشي، ومـا لي في الطريق مآربٌ، عَسى نَغْمَةٌ باسمِ الحَبيب سَتُذْكَرُ[7].

(١) جعلوها (عدّوها، حسبوها) لجّة (جانب من البحر).
(٢) الأكمه (الذي ولد أعمى، ولكن) خلّابة (خدّاع). صمم (فقدان السمع) أغطش (به ضعف في البصر) أبكم (أخرس).
(٣) البلبال: شدّة الهمّ والوسواس.
(٤) الطرف: البصر.
(٥) من القرآن الكريم ١٢: ١٨، سورة يوسف.
(٦) العرف: الرائحة الطيّبة.
(٧) مأرب: حاجة.

وألْمَحُ من ألقاه مِنْ غيرِ حاجةٍ، عسى لَمْحَةٌ من حُسْنِ وَجْهِكَ تُسْفِرُ[1].
ومَنْ ظلّ في عيدٍ يُسَرُّ بأهلِهِ فما لي من الأهلينَ إلا التحيُّرُ.
وإنْ زارَ إلفاً إلفُهُ زُرتُ منزِلاً وحَوْليَ من أهلِ الحفيظة معشرُ[2].
يُضاحك في ذا العيدِ كُلٌّ حبيبَه، وما لِيَ منكم مَنْ أُناجي وأنظُرُ[3].
يثوب إلى الأوطانِ من كان غائباً وما لي من الأوطان إلا التذَكُّرُ[4].
ويأوي إلى الأحباب من كان حاضراً ومِنْ دون أحبابي لَيالٍ وأشْهُرُ[5].
كأنّا خُلقنا للنوى، وكأنّما على شَمْلنا خُطَّتْ من البَيْنِ أسطُرُ[6].
أأحبابَنا، هل يجمعُ اللهُ شَمْلَنا عسى نَلْتقي قبلَ المَماتِ ونحضُرُ!
أما حَذِرَ الواشي من الدهرِ صَرْعَةً؟ فللدهرِ واشٍ لا ينامُ ويسهَرُ[7].

- من مقدّمة «سِراج الملوك» للطُّرطوشيّ:

إنّي لمّا نظرتُ في سِيَرِ الأُمَمِ الماضيةِ والملوكِ الخاليةِ وما وَضَعوه من السِياسات في تدبيرِ الدُّوَلِ والتزموه من القوانينِ في حِفْظِ النِحَلِ[8]، وجدتُ ذلك نوعينِ: أحكاماً وسِياساتٍ. فأمّا الأحكامُ المُشْتَمِلَةُ على ما اعتقدوه من الحَلال والحَرام والبُيوع والأنْكِحَةِ والطَّلاقِ والإجاراتِ ونَحْوِها والرُسوم[9] الموضوعة لها والحُدود[10] القائمة على مَنْ خالفَ شيئاً منها فأمرٌ اصطلحوا عليهِ بعُقولهم، ليسَ على شيءٍ منه بُرْهانٌ ولا أنزلَ اللهُ به مِنْ سُلطانٍ[11]، ولا أخذوه عن تدبيرٍ[12] ولا اتّبعوا فيه رسولاً. وإنّما

---

(١) .... لعلّي أرى شيئاً شبيهاً بجمالك في وجوه الآخرين.
(٢) الحفيظة: البغضاء.
(٣) ناجاه: ساروه.
(٤) ثاب: رجع.
(٥) ومن دون أحبابي ليالٍ وأشهر (هم بعيدون عنّي جدّاً).
(٦) النوى: البعد. البين: الفراق.
(٧) صرعة: قتلة.
(٨) النحلة (بالكسر): الدين، العقيدة (العقيدة الفرعية من الملّة أو الدين العامّ).
(٩) الرسم: الطريقة التي يجري عليها تصريف الأعمال.
(١٠) الحدّ: العقاب، القصاص.
(١١) ما أنزل الله بها (بوجوبها) من سلطان (حجّة أو برهان).
(١٢) تدبير: تنظيم منتوج من تفكير.

هي صادرةٌ عن خَدَمَةِ النيرانِ وسَدَنَةِ بُيوتِ الأصنام وعَبَدَةِ الأنْدادِ والأوثان[١]. وليس يَعجِزُ أحدٌ مِنْ خَلْقِ الله (عن) أنْ يصنَعَ مِنْ تِلقاء نفسِه أشْباهَها ومِثالَها[٢]. وأمّا السِياساتُ التي وضعوها في ٱلتزام الأحكامِ والذَبِّ[٣] عنها والحِمايةِ لَها، وتعظيمِ مَنْ عظّمها وإهانة مَنْ خالَفها، فقد ساروا في ذلك بِسِيرة العَدْل وحُسْنِ السِياسة وجَمْعِ القلوب عليها والتزام النَصَفَةِ[٤] فيما بَيْنَهم على ما تُوجِبُه تلك الأحكام.

فجَمَعْتُ مَحاسِنَ ما ٱنطوتْ عليه سيرتُهم خاصّةً مِنْ مُلوكِ الطوائف[٥] وحُكَماء الدُّوَلِ فوَجَدتُ ذلك في ستِّ أُمَمٍ، وهُمُ العربُ والفُرْسُ والرومُ والهِند والسِنْدُ والسِنْدَهِنْدُ[٦].... فنظمتُ ما ٱلْفَيْتُ في كُتُبِهم من الحِكَم البالغةِ[٧] والسِيَرِ المُستحسنةِ والكَلِمَة اللطيفة والطريقة المألوفة والتوقيعِ الجميل والأثرِ النبيل إلى[٨] ما رَوَيْتُه وجمعتُه مِنْ سِيَر الأنبياء، عَلَيْهِمُ السلامُ، وآثارِ الأولياء وبَراعةِ العُلَماء وحِكْمة الحُكَماء ونوادرِ الخُلَفاء وما ٱنطوى عليه القُرآنُ الكريم الذي هو بَحْرُ العُلومِ ويَنْبوعُ الحِكَم ومَعْدِنُ السِياسات ومَغاصُ الجواهرِ المكنونات[٩].

وقد رأيتُ أنْ أختصر[١٠] لَمْحَةً دالّةً وإشارةً خفيفة. فإن طالَ فألفاظٌ بارعةٌ وآياتٌ

---

(١) الخدمة جمع خادم. خدمة النيران: الموكّلون بإيقاد النار باستمرار في هياكل المجوس. السادن: الخادم (القائم على تدبير بيوت العبادة).

(٢) الندّ (هنا) ما يعبد على أنّه شريك لله (تعالى الله). الوثن: شيء يعبد، وهو على غير صورة معيّنة (حجر، شجرة، جانب من جبل، الخ).

(٣) الخلق، خلق الله: الناس، جماعات الناس. ومثالها (اقرأ: وأمثالها).

(٤) النصفة: الإنصاف.

(٥) ملوك الطوائف (ملوك الدول الصغيرة).

(٦) السند بلاد بين الهند وكرمان وسجستان – أي بلاد فارس – (تاج العروس – الكويت ٨: ٢٢١ – ٢٢٢)، هي باكستان اليوم. السندهند (؟).

(٧) ألفى: وجد. البالغة: التامّة (تصل إلى أقصى ما وصل إليه الاختبار الإنساني).

(٨) التوقيع: قول موجز يكتبه الخليفة أو الوزير في آخر الرقعة المقدّمة إليه ليجيز تنفيذ ما فيها أو ليمنعه. إلى ما رويته (بالإضافة إلى ما رويته).

(٩) المغاص: المكان الذي يغوص فيه الملّاحون والصيّادون. الجواهر (اللآلي جمع لؤلؤة). المكنونة: التي لا تزال في الصدفة (النادرة، الثمينة).

(١٠) اقرأ: أن أختصره لمحة...

مُعجِزَةٌ.... فَانتظمَ الكتابُ بحَمْدِ اللهِ وعَوْنه، وأحْكَمْتُه غايةً[1] في بابهِ غريباً في فُنونِه وأسبابه خفيفَ المَحْمِلِ كثيرَ الفائدةِ لم تَسْبِقْ إلى مِثله أقلامُ العُلَماء ولا جالتْ في نَظْمِهِ[2] أفكارُ الفُضلاء، ولا حَوَتْه[3] خزائنُ الملوك والرؤساء....(فهو) عِصْمَةٌ[4] لِمَنْ عَمِلَ به من الملوك وأهلِ الرئاسةِ وجُنَّةٌ[5] لمن تَحَصَّنَ به من أُولي الإِمرةِ والسِياسة وجمالٌ لِمَنْ تحَلّى به من أهل الآداب والمُحاضرة[6] وعُنوانٌ لمن فاوَضَ به من أهل المُجالسة والمُذاكرة[7]. وسَمَّيْتُه «سِراجَ الملوكِ» يَسْتَغْني الحكيمُ بدِراستهِ عن مُصاحبةِ الحُكَماء، والمَلِكُ عن مُشاورةِ الوُزَراء...

- من مَتْنِ الكتاب:

(ص ١٢): اعْلَمْ أيُّها الرجُلُ - وكُلُّنا ذلك الرجلُ - أن عقولَ المُلوكِ، وإنْ كانتْ كِباراً، إلّا أنّها مُسْتَغْرَقةٌ بكَثْرةِ الأشغال[8]، فتَسْتَدْعي مِنَ المَوْعظة ما يَتولَّجُ[9] على تلك الأفكارِ ويَتَغَلْغَلُ في مكامنِ تلك الأسرار...

(ص ٧٩): إنّ السلطانَ خَطَرُهُ عظيمٌ وبَلِيَّتُه عامّةٌ[10]، وقد يطرُقُه من الآفاتِ ويَحْتَوِشُه[11] من الأمورِ المهلكاتِ ما يَجِبُ على كُلِّ ذي لُبٍّ أنْ يَسْتَعِيذَ بالله مّما حَمَلَهُ ويشكُرَه على ما عَصَمَه[12]: لا يهدأُ فِكْرُه ولا تسكُنُ خَواطِرُه ولا يصفو قلبُه ولا

---

(١) غاية: نهاية (أحسن ما هو) في بابه (نوعه).

(٢) في نظمه (اقرأ: في نظم مثله).

(٣) ولا حويته (اقرأ: ولا حوت مثله).

(٤) عصمة: حماية، حفظ، وقاية.

(٥) جنّة: ستر (وقاية).

(٦) المحاضرة مفاوضة في الكلام، تبادل الآراء.

(٧) المذاكرة: تبادل الآراء والأقوال التي يساعد بعضها على تذكّر بعضها الآخر.

(٨) غارقة بكثرة الأعمال المطلوبة من الملك (عاجزة عن أن تحيط بكلّ ما يريده الملك).

(٩) تولّج: دخل (أعان على جلاء تلك الأفكار).

(١٠) خطره: مكانته. بليّته: مصيبته (ما ينتظر منه أن يعمله).

(١١) طرق النجم: طلع ليلاً. طرق الأمر فلاناً (أتاه بغتة). احتوشه: أحاط به.

(١٢) اللب: العقل. - ... مّا حمله (الملك) ويشكر (الله) على ما عصمه (عصم الرجل غير السلطان)...

يستقرّ لُبُّه. الخَلْقُ في شُغُلٍ عنه، وَهُوَ مَشغولٌ بهم[1]. والرجُلُ يخافُ عَدُوًّا واحداً، وهُوَ[2] يخافُ ألفَ عَدُوٍّ. والرجل يَضِيقُ بتدبيرِ أهلِ بيتِهِ... وتدبيرِ معيشتِهِ، وهُوَ مدفوعٌ لسِياسة جميعِ أهلِ مَمْلكتِهِ: كُلَّما رَتَقَ فَتْقاً من حواشي[3] مملكتِهِ انفَتَقَ آخَرُ. وكلّما -.... قَمَعَ عَدُوّاً أرْصَدَ له أعداءً، إلى[4] سائرِ ما يُعانيه مِنْ أخلاقِ الناسِ ويُقاسيه من خُصوماتِهم، و(مِنْ) نَصْبِ الوُلاةِ والقُضاة وبَعْثِ الجُيوش وسَدّ الثغور واستجباء الأموال[5] ودَفْعِ المظالم.

(ص ٢٠٧) مَنْ طالَ عُدْوانُه[6] زالَ سُلطانه. واعلَمْ أن المالَ قوّةُ السُلطانِ وعِمارةُ المَمْلكةِ ولِقاحةُ الأمن ونتاجة العَدْلِ[7]. وهو حُسْنُ السُلطانِ ومَادّةُ المُلْك. والمال أقوى العُدَدِ[8] على العَدُوِّ، وهو ذَخيرةُ المُلْكِ وحياةُ الأرض، فَمِنْ حَقّه أن يُؤخَذَ من حقِّهِ ويُوضَعَ في حَقّه ويُمْنَعَ من السَّرف[9]. ولا (يجوز أن) يُؤخَذَ مِنَ الرعيّةِ إلّا ما فَضَلَ عن مَعاشها ومَصالِحها ثمّ (يجب أن) يُنْفَقَ ذلك في الوُجوه التي يَعودُ نَفْعُها على (الرعيّة).

٤- سراج الملوك، الاسكندرية (المطبعة الوطنية) ١٢٨٩ هـ؛ القاهرة ١٣٠٦، ١٣١٩ هـ؛ (بهامش مقدّمة ابن خلدون)، مصر (المطبعة الازهرية) ١٣١١ هـ.

---

(١) الناس لا يهتمّون بما يصيب الملك ولا بالواجبات التي عليه كيف يجب أن يقوم بها، بينما هو مجبر على الاهتمام بكل فرد منهم.

(٢) والرجل (العاديّ) يخاف عدوّاً واحداً، وهو (أي الملك).

(٣) رتق: سدّ (خاط، أصلح). الفتق: الشقّ (الحادث، الثورة على الملك). حواشي المملكة: أطرافها البعيدة.

(٤) وكلّما قمع (قهر، تغلّب على) عدوّاً أرصد (برز) له أعداء، إلى (بالإضافة إلى).

(٥) الثغر: مكان ينفذ منه العدوّ إلى المملكة (الحدود). سدّ الثغر (حماه). استجباء الأموال (جمع أموال الجباية: الضرائب).

(٦) العدوان: الظلم.

(٧) لقاحة ونتاجة (؟). المقصود: لقاح (بالكسر: سبب) ونتاج (نتيجة).

(٨) العدد جمع عدّة (بالضمّ): الأداة أو الآلة التي يستعين الإنسان بها على القيام بالعمل. (السلاح عدّة الحرب).

(٩) السرف: الإسراف.

- كتاب الحوادث والبدع (حقّقه محمّد الطالبي)، تونس (مطبوعات كتابة الدولة للتربية القومية) ١٩٥٩ م.
- رسالة أبي بكر الطرطوشي إلى .... ابن تاشفين (منشورة في «أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد....)- انظر السطر التالي.

★★ أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر، تأليف جمال الدين الشيّال (أعلام العرب، رقم ٧٤ - وزارة الثقافة: المؤسّسة العامّة للتأليف والنشر) ١٩٦٨ م.

المغرب ٢: ٤٢٤؛ الصلة ٥١٧؛ بغية الملتمس ١٢٥ - ١٢٩؛ الخريدة ٢: ٢١١ - ٢١٤؛ الوافي بالوفيات ٥: ١٧٥؛ الخريدة (المغرب والاندلس) ٢: ٢٩٠ - ٢٩٢؛ الخريدة ٢: ٢١١ - ٢١٤؛ وفيات الأعيان ٤: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ الديباج المذهب ٢٧٦ - ٢٧٨؛ شذرات الذهب ٤: ٦٢؛ نفح الطيب ٢: ٨٥ - ٩٠؛ أزهار الرياض ٣: ١٦٣ - ١٦٥؛ بروكلمن ١: ٦٠٠ - ٦٠١؛ الملحق ١: ٨٣٩ - ٨٣٠؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٥٩ (١٣٣ - ١٣٤)؛ نيكل ٢٣٧ - ٢٣٨؛ مختارات نيكل ١٥٩ - ١٦١؛ سركيس ١٢٣٩؛ تراجم اسلامية لعبد الله عنّان ٢٨٩ وما بعد؛ العربي ٨/ ١٩٧٠ م، ص ٨٨ - ٩٣.

ابن السيد البطليوسيّ

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ السِيدِ[1]، أصلُه من شِلْبَ ومَوْلدُه في بَطَلْيَوْسَ سَنَةَ ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م).

بدأ ابنُ السِيدِ البَطَلْيَوْسيُّ تَلَقّيَ العلمِ في بَطَلْيَوْسَ على أبيهِ ثمّ على أخيهِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ السِيدِ (ت ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) وكان لُغَويًّا أديباً. دَرَسَ ابنُ السيد القِراءاتِ على عبدِ الله بنِ محمّدِ بنِ خلفٍ الراني (؟) وعلى عليِّ بنِ أحمدَ بنِ حَمْدونٍ (٤٦٦ هـ = ١٠٧٣ م)، كما دَرَسَ اللُّغةَ على أبي بكرٍ عاصمِ بنِ أيوبَ البَطَلْيَوْسِيِّ[2].

وفي نحوِ سَنَةَ ٤٦٤ هـ ارتحلَ ابنُ السِيدِ إلى المَرِيَّةِ ومكثَ فيها عاماً واحداً سَمِعَ في أثنائِه من عبدِ الدائمِ بنِ جَبْرٍ القيرُوانيّ. ثمّ غادرَها إلى قُرطُبَةَ حيثُ دَرَسَ الحديثَ على أبي عليِّ الحسينِ بن محمّدِ بنِ أحمدَ الغسّانيّ الجيّانيّ (ت ٤٩٨ هـ = ١١٠٥ م)

---

(١) السِّيد (بكسر السين وتسهيل الياء، بلا تشديد): الذئب.

(٢) أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي (ت ٤٩٤ هـ = ١١٠١ م) من علماء اللغة، له «شعر الشعراء الستّة (الجاهليّين)» وكتاب «الأوائل».

المحدّثِ (بروكلمن (١ : ٤٥٤). بعدَئذٍ أخذَ ابنُ السِيدِ يتنقّلُ بينَ بَلاطاتِ ملوكِ الطوائف: اتّصلَ بالقادرِ يحيى بن إسماعيلَ بنِ ذي النونِ (٤٦٧ - ٤٧٨ هـ) في طُلَيْطُلَةَ ثمّ انتقلَ إلى سَرَقُسْطَةَ واتّصل بأحمدَ المستعينِ التُجيبيّ (٤٧٨ - ٥٠٣ هـ). ثمّ إنّه اتّصل بحُسامِ الدولةِ أبي مروانَ عبدِ الملك آخرِ ملوكِ بني رَزين في السَهْلَة[١]، فنال عندَه حظوةً ولـمّا ساءتْ أحوالُ السَهلةِ وتغيّرَ عبدُ الملك على ابن السِيدِ ارتحلَ ابنُ السِيدِ إلى قُرطُبةَ وجلس في مسجدِها الجامعِ يُقرِىءُ علومَ الدينِ واللغةِ والنحوِ والأدب. غيرَ أنّه انتقلَ عن قُرطبة وشيكاً وذهبَ إلى بَلَنْسِيَةَ حيثُ اشتغلَ بالتدريسِ والتأليف. وفي بَلَنْسِيَة تُوُفّيَ ابنُ السِيدِ البَطَلْيَوْسِيُّ، في مُنْتَصَفِ رَجَبَ من سَنَةِ ٥٢١ (٢٧/ ٧/ ١١٢٧ م).

٢ - كان ابنُ السِيدِ البطليوسيُّ واسعَ المعرفةِ بفنونِ العلم: كان مُحدِّثاً وفقيهاً ولغويًّا ونحويًّا وأديباً ناقداً وشاعراً ومؤرّخاً عارفاً بأيامِ العربِ وأشعارها، وقد تكسّبَ بالشِعر مدّةً. وكان أيضاً فيلسوفاً ومُؤلّفاً مُكثِراً.

وشعرُ ابنِ السيدِ الذي وصلَ إلينا قليلٌ، على بعضهِ نفحةٌ دينيةٌ صوفيةٌ، وعلى بعضهِ الآخَرِ شيءٌ من مُجونٍ. وله مدحٌ ورثاءٌ ووصفٌ وغزل وزُهد وحِكمة. وأحسنُ شعرِه الزهدُ والحكمة.

ولابنِ السِيدِ البطليوسيِّ تصانيفُ نافعةٌ ومُمْتِعةٌ، منها كتاب المُثَلَّثِ[٢] (أتى فيه بالعجائبِ ودلّ على اطّلاعٍ واسعٍ) - الاقتضابُ (في شرحِ «أدبِ الكتّاب» لابن قُتيبةَ[٣]، وهو أشبهُ بدليلٍ يستعينُ بهِ المُنشئون والمُشتغلون في ديوان الإنشاء) - كتاب الحُروف الخمسة (س، ص، ض، ظ، ذ، مَعَ التمييز بين الكَلِماتِ التي تَرِدُ فيها هذه الحروف) - الإنصاف (في التنبيه على الأسباب الموجبة للاختلاف بينَ الأئمّة) - شرحُ (ديوان) سَقْطِ الزَّنْدِ (للمعرّي؛ وهو أجودُ من الشرحِ الذي صَنَعه المعرّيّ

---

(١) خلعه المرابطون سنة ٥٠٣ هـ.

(٢) في اللغة، جمع فيه الكلمات التي يجوز أن يكون أولها مفتوحاً أو مكسوراً أو مضموماً، مثل: جنّة، ركوة.

(٣) أبو محمّد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ = ٨٨٩ م) من أئمّة الأدب ومن المصنّفين المكثرين.

نفسه)- شرحُ ديوانِ المتنبّي- الحدائقُ في المطالبِ الفلسفية العاليةِ العويصة- الانتصارُ مِمّنْ عَدَلَ عنِ الاستبصار (رسالة صغيرةٌ ردّ فيها على أبي بكرِ بنِ العربي[1] في عددٍ من وجوهِ الشعر واللُّغة والنَحْو والفلسفة).

ومن تصانيفه أيضاً: كتاب المسائل والأجوبة (وهو مجموعُ أجوبتهِ على مسائل من فنونِ المعرفة كانتْ تَرِدُ عليه)- إصلاح الخَلَلِ الواقع في كتاب الجُمَل[2] (وَصَفَهُ ابنُ السِيدِ نفسُه فقال: غَرَضي في هذا الكتابِ هو الكلامُ في إعراب أبياتهِ: الأبياتِ الواردةِ في كتابِ «الجمل» ومعانيها وكَشْفِ ما يَخفى من أسماءِ قائليها وعَرْضِ ما يتّصل بكلِّ بيتٍ منها).

ولقد أرادَ ابنُ السِيدِ البطليوسي (في كُتبه) أن يُيَسِّرَ النظرَ في اللُّغةِ وفي النحوِ وأنْ يَفصِلَ بينَ الإعراب (الذي يُقْصَدُ منه فَهْمُ المعاني اللغوية) والتعليلِ الفلسفي (الذي يُرادُ منه إظهارُ البراعة في الإتيان بأوْجُهٍ متعدّدةٍ من أحوالِ الإعراب ومن الجِدال عند المفاضلةِ بينَها). وقد جرّ عليه ذلك عداوةَ نَفَرٍ من مُعاصريه أشهرُهم الفيلسوفُ ابنُ باجّه (ت ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م) وأبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ خَلَصَةَ الضريرُ النَحْويُّ (ت نحو ٥٠٣ هـ).

٣- مختارات من آثاره:

- لابن السيد البطليوسي بيتان في الحكمة مشهوران:

أخو العلم حيٌّ خالد بعد موته ... وأوصالُه تحت التراب رَميم[3].
وذو الجهل مَيْتٌ وهو ماشٍ على الثرى ... يُظَنُّ من الأحياء وهو عديم.

- وقال في مداراة الناس:

---

(١) أبو بكر محمّد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي الأندلسي القاضي، من حفّاظ الحديث ومن الأدباء والفقهاء (ت ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م).

(٢) كتاب «الجُمَل» لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجّاجي (ت ٣٣٧ هـ = ٩٤٩ م) شيخ العربية (النحو) في أيامه.

(٣) الرميم: البالي، المتفتت.

إذا سألونيَ عن حالـــتي وحاولتُ عُذراً فلم يُمكنِ
أقول: بخـــير، ولكنَّــــه كـلام يـدور عـلى الألْسُنِ.
وربُّكَ يعلم ما في الصدور ويعـــلم خائنـةَ الأعيُنِ[1].

- وقال يمدح المستعين بالله بن هود:

همُ سلبوني حُسْنَ صبريَ إذ بانوا بأقمارِ أطْواقٍ مطالعُهـا بـانُ[2].
لئن غـادروني باللِّوى، إنَّ مُهجتي مُسايرةٌ أظعانَهم حيـثما كانوا[3].
سقـى عهدَهم بالخَيْـف عهدُ غمائم ينازعها مُزْنٌ من الدمع هتَّان[4].
أأحبابَنـا، هل ذلك العهد راجعٌ وهل ليَ عنكم آخِرَ الدهرِ سُلوان[5]؟
ولي مقلـة عَبْرَى وبينَ جوانحي فؤادٌ إلى لُقياكُمُ الدهرَ حَنَّـان[6].
تنكَّرتِ الدنيـا لنـا بعد بُعدِكم وحلَّت بنا مِن مُعْضِلِ الخطب ألوان[7]
بوجه ابن هودٍ كلَّما أعرض الورى صحيفةُ إقبالٍ لها البِشْرُ عُنوان[8].
أناختْ بنـا في أرض شَنْتَمَرِيَّةٍ هواجسُ ظنٍّ خانَ، والظنُّ خوّانُ[9].
رحلنـا سوام الحمد عنها لغيرِها، فلا ماؤها صدًا ولا النبت سَعْدان[10].

---

(١) في القرآن الكريم: «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» (١٠: ١٩، سورة غافر). خائنة: خيانة.
(٢) بانَ: ابتعدَ. البان: شجرٌ أغصانه طوال سمراء مستقيمة تشبّه بها قامات النساء. قمر: (كناية عن الوجه الجميل). الطوق: شبه العقد يُلبس في العنق.
(٣) اللوى: التلّة المستديرة من الرمل (رمز لمنزل الأحبّة). الظعن: الهودج تسافر فيه المرأة.
(٤) مكان قريب من مكّة (كناية عن منزل المحبوب). هتّان: كثير المطر. عهد غمائم (مطر متتابع).
(٥) سلوان: نسيان.
(٦) عَبْرَى: دامعة.
(٧) المعضل: المرض يستعصي على التطبيب. الخطب: المصيبة. ألوان: أنواع.
(٨) البشر: تهلل الوجه وطلاقته، سروره.
(٩) في هذا البيت يعتذر الشاعر من الزيارة التي كان قد قام بها إلى بلاد بني رزين في السهلة (وشنتمريّة الشرق عاصمة السهلة). أناخ: برك، نزل. الهاجس: الخاطر.
(١٠) سوام: ابتغاء، طلب. لغيرها (لسرقسطة، إليكم). فلا ماؤها (ماء شنتمريّة). صدًا - في المثل: «ماء ولا كصدّاء» (فرائد اللآل ٢: ٢٤٠). صدّاء ركيّة (بئر) ماؤها عذب جدًّا. السعدان: نبت تسمن عليه الإبل.

إلى ملك حاباه بالمجد يوسف، وشاد له البيت الرفيعَ سليمان[1]:
إلى مستعينٍ بالإلــه مؤيَّــد له النصر حزب والمقادير أعوان.

- وله من رسالة إخوانية:

....وافاني - أعزّك الله - كتاب شغَلَ حاسَّتَيْ سَمْعي وبَصَري، وملأ حافَّتَيْ فِكري وخاطري. وأراني الدُرَّ[2] إلّا أنّه لم يُنْظَمْ، وأسمعني السِحْرَ إلّا أنّه لم يُحَرَّمْ. لو صِيغَ عِقْداً لأخجلَ الدُرَّ والعِقيانَ[3]، ولو حُبِكَ بُرْداً لعَطَّلَ الديباج والخُسْروان[4]. فلله قريحةٌ أذكَتْ نارَهْ وأطلعت أنوارَه.... وقد طَلَعَ علينا طُلوعَ البدرِ في الغَسَق[5]، وضَمَّخَ أُفقَها بخَلوقٍ من الخُلُق. واقتَدَحْنا زَنْدَ ذَكائه فأوْرى[6]، ولَمَحْنا كوكَبَ سمائه فأعْشَى[7]، وشاهَدْنا البلاغةَ فيه شخصاً محسوساً، والرئيسَ المُتعاطي البراعةَ مرؤوساً. أقْدَمَهُ الله خيرَ مَقْدَمٍ وأغْنَمَهُ أفضلَ مَغْنَمٍ.

- وقال في التوحيد والردّ على المشركين:

إلَـهِـيَ، إنّي شاكرٌ لكَ حامدُ، وإنّي لَساعٍ في رِضاكَ وجاهِدُ.
وإنّك - مهما زلّتِ النَّعْلُ بالفتى - على العائدِ التَوّابِ بالفضل عائد.
وما لي على شيءٍ سِواك مُعَوَّلٌ إذا دَهَمَتْني المُعْضِلاتُ الشدائد.
وقِدْماً دعا قومٌ سواكَ، فلم يَقُمْ على ذاك بُرهانٌ ولا لاحَ شاهد.
وبالفَلَكِ الدوّارِ قد ضلّ مَعْشَرٌ، وللنَيِّراتِ السَّبْعِ داعٍ وساجد.

---

(١) المستعين بالله بن هود هو أحمد بن يوسف بن سليمان.
(٢) الدرّة: اللؤلؤة.
(٣) العقيان (بالكسر): الذهب الخالص.
(٤) البُرْدُ: ثوب من حرير. الديباج: ثوب منسوج كلّه من الحرير. الخسرواني والخسروَى نوع من الشراب ومن الثياب (الثمينة) نسبة إلى خسروشاه (من ملوك الفرس) - راجع تاج العروس - الكويت ١١: ١٦٥.
(٥) أذكى: أوقد. الغسق: الظلام.
(٦) ضمّخ: لطّخ، دهن. الخلوق: الطيب، العطر. الزند: حديدة تقدح بها النار من حجر الصوّان. أورى: اشتعل، أشعل.
(٧) أعشى: أضعف البصر، منع البصر من الرؤية.

وللعقـلِ عُبّادٌ، وللنفس شِيعةٌ، وكلُّهُمُ عن منهجِ الحقّ حائد.
وهل يُوجَدُ المَعْلولُ من غير عِلّةٍ، إذا صحّ فِكرٌ أو رأى الرُّشْدَ راشد.
وهل غِبْتَ عن شيءٍ فيُنْكِرَ مُنْكِرٌ وجودَكَ، أمْ لم تَبْدُ منكَ الشواهد؟
وفي كـلّ معبودٍ سواكَ دلائـلٌ من الصُّنْعِ تُبْدي أنّه لكَ عابد.
وكم لكَ في خَلْقِ الورى من دَلائلٍ يراها الفتى في نفسه ويُشاهِد!

- فقرات من كتاب «الانتصار» (الداية ٣٤٨ - ٣٤١):

قال ابن السيد البطليوسيّ يعرّض بأبي بكر بن العربي:

....ورأيناكَ لمّا وَصَلْتَ بالقراءةِ والتصفُّحِ إلى قولِ (المعرّيّ):

فإنْ لَقِيتَ وليداً، والنَوى كَثَبٌ، يومَ القِيامة لم أُعْدِمْهُ تَبْكِيتا[1]،

ذكرتَ أن روايةَ شَيْخِكَ «قَذَفٌ»[2]، وهذا من الألفاظ التي ذَكَرْنا أنّ المَعرّيَّ غيّرَها في آخرِ عُمُرِهِ، لما فيها من قُبح التأويل والقال والقيل. (ذلك) لأنّ الكَثَبَ: القُرْبَ، وهو الشيءُ القريبُ أيضاً. والقَذَفُ ضِدُّه - فإذا قال: «والنَوَى كَثَبٌ» كان فيه تقريبُ الأمدِ وأنّه هامةُ اليومِ أوِ الغَدِ. وإذا قال «قَذَف»، ففيه استبعادٌ ليومِ القيامة.

....ورأيناك - أعزّكَ اللهُ - لمّا انتهى بكَ النظرُ إلى قولِ (المعرّي):

فذكّرني بـــدرَ السماوةِ بادنـــاً شفا لاحَ من بدرِ السماوةِ بالِ[3]،

أنكرتَ السماوة الثانيةَ وكَتَبْتَ السماءَة بالهمزة. فَلِمَ أنْكَرْتَها علينا؟ أَحَسِبْتَ أنّها لا تُقال أم حسبتَ أنّها أليقُ بالبيت؟ وكِلا الأمرين لنا فيه الظهورُ عليك[4]، لأنّ أهلَ اللغة حَكَوْا أنّه يُقال سماءٌ وسماءةٌ بالهمز وسماءٌ وسَماةٌ على وَزْنِ قَطاة. فمن قال

---

(١) النوى: البعد، (الفراق). كثب: قريب. التبكيت: التوبيخ.

(٢) قذف: بعيد.

(٣) السماوة: بادية في العراق. ذكّرني بدر السماوة (الهلال الجديد في أول الشهر، راجع البيت السابق، في الديوان، طبعة هندية، ص ١٠١) بادناً (وقد كبر). الشفا: حرف الشيء، والقليل من كلّ شيء....... في الديوان (ص ١٠١) السماوة.... والسماءة.

(٤) الظهور عليك: التغلّب عليك.

سماءةٌ فهَمَزَ، بناها على سماءٍ فَهمَزَ. ومن قال سماوة بالواو بناها على الفِعْل الذي هو سَما يَسْمو. وأمّا من طريق الترجيع[١] بين اللّفظتينِ، فإنّ السماوَةَ أحسنُ الوجهينِ: أحدُهما أنّه أفصحُ اللغتين، لأنّها أكثرُ استعمالاً وأوسعُ مجالاً. ويدلّ على ذلك أنّهم قالوا سَماواتٌ، وبذلك قرأ القُرّاء[٢]، ولا يكادون يقولون سماءاتٌ. والوجهُ الثاني أنّها أليقُ بالبيت لِمَا تقدّمَ في صَدْرِه من ذِكْرِ السماوَةِ الأخرى، فأفْسَدتَّ على الرجُلِ التجنيسَ الذي جَرَى إليه وحام فِكْرُه عَلَيْه. فما هذا الخِلافُ والعِنادُ، أينَ النَظرُ الحَسَنُ والانتقاد؟

....ورأيناكَ - وَفَّقَنا اللهُ وإيّاك - لَمّا وصلتَ إلى قولِ المَعرّيّ:

فبُعْداً لهذا الجسمِ، يا رُوحُ، مَسْلَكاً ... وبُعْداً لهذا الروحِ، يا جسمُ، سالِكا.

تواصَلْتُما فاستحدثَ الوصلُ مِنكُما ... عجائبَ كانتْ للرجالِ مَهالِكا.

قد أنكرتَ علينا في بعضِ كَلامِنا فيه أنَّ الروحَ طاهرٌ شريفٌ، والجسمَ دونَه مَواتٌ[٣] لا يَقَعُ عليه تكليفٌ[٤]. فكتبتَ في الطُرّة[٥]: صوابُه موجودٌ شريفٌ وكيف حدثتْ باقترانِهما خطيئةٌ، وهو قولٌ بِقدَمِ الأعراضِ[٦] أو مجازٌ لا يَعْدَمُ انتقاض[٧]. وهذا كلامٌ أوّلُ ما نَنْقُدُ فيه فسادُ الإعرابِ بترك نَصْبِ الانتقاض وبعدَ ذلك نقولُ: كيف أنكرتَ قَوْلَنا إنّ الروحَ طاهرٌ شريف وقد طهّرَهُ اللهُ تعالى وشرّفَه على النفسِ وقدّمه، في القُرآنِ المُنْزَلِ علينا وفي الكُتُبِ المُتَقَدِّمةِ لنا...

٤ - الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب (قلفاط وميداني - وقف على طبعه عبد الله البستاني)، بيروت ١٩٠١ م.

---

(١) الترجيع (لعلّها: الترجيح: المفاضلة بين شيئين).
(٢) القرّاء: حفظة القرآن الكريم.
(٣) موات: بلا حياة. كالحجر مثلاً.
(٤) تكليف: أمر بأداء العبادة وما يشبه العبادة من الواجبات.
(٥) الطرّة: القطعة، رأس الصفحة.
(٦) في الفلسفة: الجوهر (كنه الشيء، مادّته) قديم، لأنّه ثابت. العرض لا يمكن أن يكون قديماً لأنه متبدّل.
(٧) انتقاض: نقض، بطلان (حقّ انتقاض هنا النصب).

- الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم (أحمد عمر المحمصاني)، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣١٩ هـ.
- كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة (محمّد زاهد بن الحسن الكوثري)، القاهرة (السيد عزّت العطّار الحسيني) ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م).
- شرح سقط الزند للمعرّي (في كتاب «شروح سقط الزند» للجنة إحياء آثار أبي العلاء المعرّيّ)، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٩٤٥ - ١٩٤٨ م.
- شرح المختار من لزوميّات أبي العلاء (حرّره حامد عبد المجيد)، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٧٠ م.
- رسائل في اللغة (إبراهيم السمرّائي)، بغداد (مطبعة الإرشاد) ١٩٦٤ م (؟) كتاب المسائل والأجوبة.

★ ★ قلائد العقيان ٢٢١ - ٢٣١؛ الصلة ٢٨٢ (رقم ٥٣٩)؛ بغية الملتمس ٣٢٤ (رقم ٨٩٢)؛ الذخيرة ٣: ٨٩٠ - ٨٩٦؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٤٧٨ - ٤٨٤؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٥٠٩ - ٥١٨؛ المغرب ١: ٣٨٥ - ٣٨٦؛ وفيات الأعيان ٣: ٩٦ - ٩٨؛ المطرب ٤٣، ٢٢٦؛ إنباه الرواة ٢: ١٤١ - ١٤٣؛ وفيات الأعيان ٣: ٩٦ - ٩٨؛ الديباج المذهب ١٤٠ - ١٤١؛ بغية الوعاة ٢٨٨؛ شذرات الذهب ٤: ٦٤؛ نفح الطيب ١: ١٨٥، ٦٤٣ - ٦٥٠، ٣: ٢٢٨، ٢٨٧، ٤٥٩، ٤٧٠، ٥٦٧؛ أزهار الرياض ٣: ١٠١ - ١٤٩؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٠٩٢؛ بروكلمن ١: ٥٤٧، الملحق ١: ٧٥٨؛ نيكل ٢٣٤؛ مختارات نيكل ١٥٧ - ١٥٩؛ بالنثيا ١٨٧؛ الداية ١٧٩ - ٢١١، ٣٤٦ - ٣٥١؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٨ (٢٣١)؛ سركيس ٥٦٩ - ٥٧٠؛ العربي ٢/ ١٩٦٦.

ابن أخت غانم

١ - هو أبو عبد الله محمدُ بنُ سُليمانَ بنِ مَعْمَر النَّفْزيُّ المالكيّ المعروفُ بآبنِ أختِ غانم[١]، كان مولدُه في مالَقَة سَنَةَ ٤٣٤ أو قُبيلَ ذلك.

روى آبنُ أختِ غانمٍ عن خالِه، وسَمِع الصحيحَيْنِ على الدلائي[٢] وسُنَنَ أبي

---

(١) كان خاله أبو محمّد غانم بن الوليد المخزومي (ت ٤٧٠ هـ أو ٤٦٥) وكان أديباً شاعراً (له ترجمة منفردة).

(٢) الصحيحان: صحيح البخاري وصحيح مسلم (في الحديث). ابن الدلائي: أبو العبّاس أحمد بن عمر من علماء المريّة-الأندلس (ت ٤٧٨ هـ = ١٠٨٥ م).

داوودَ[1] على أبي الوليدِ الوَقّشيّ الطُلَيطليّ (٤٠٧ - ٤٨٨ هـ). ويبدو أنّ تصدُّرَه للإقراء كان في مالَقَةَ نفسِها، وقد كانت عِنايتُه مُنصرفةً إلى إقراء كتابِ « الهداية » لأبي العباسِ أحمدَ بنِ عمّارٍ المَهْدَوِيِّ (ت ٤٣٠ هـ).

ثم إن خالَه نصحه بمغادَرةِ مالَقَةَ التي كانت في حُكْمِ البربر - ولم يكونا فيها أمينيْنِ على نفسَيْهما - فأنتقل إلى المَرِيَّةِ (حتى إذا قُتِلَ أحدُهما في مكانٍ بَقِيَ الآخر حيًّا). وقد نالَ ابنُ أخت غانم حُظوةً عند صاحبِ المريّة المعتصمِ بنِ صُمادحٍ (٤٤٣ - ٤٨٤ هـ) فأقام فيها زمنا.

وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٥٢٥ (١١٣١ م) وقد قاربَ مِائَةَ سَنَةٍ أو أرْبى عليها.

٢ - كانَ ابن أُختِ غانمٍ واسعَ الحِفظ بارعاً في عددٍ من العلوم: في القُرآنِ والحديثِ واللُّغة والنَّحْو والنَّبات. كما كان حافظاً لكلامِ الأطِبّاء ولأحوالِ الدّيانات. وله شرحٌ لكتاب النباتِ[2] في ستّين مُجلداً. وكان يقولُ الشعرَ في يُسْر. وقد كانت له نقائضُ مَعَ أبي الفضلِ بنِ شَرَفٍ (ت ٥٣٤ هـ).

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ أختِ غانمٍ في أبي الفضلِ بنِ شَرَفٍ:

قولوا لِشاعِرِ بَرْجَةٍ هل جاء مِنْ ... أرضِ العِراقِ فحازَ طبعَ البُحْتري[3]؟
وافَى بأشْعارٍ تَضِجُّ بكفِّهِ ... وتقولُ: هل أُعزى لِمَنْ لم يَشْعُرِ[4]؟
يا جعفراً رُدَّ القريضَ لأهلِهِ ... وٱتْرُكْ مُباراةً لتلكَ الأبْحُرِ.

(١) أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ = ٨٨٩ م) إمام أهل الحديث في زمانه، له كتاب السنن (في الحديث).

(٢) كتاب النبات لأبي حنيفة أحمد بن داوود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ = ٨٩٥ م) مؤرّخ ومهندس ونباتي جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب.

(٣) حاز: اكتسب. (كان في العراق فهل اكتسب خصائص البحتري؟).

(٤) تضج: (تصرخ متململة) بكفّه (لأنّه سرقها من غيره. تضجّ بفكّه (؟). أُعزى: أُنسب. يشعر: ينظم شعراً.

لا تَزْعُمَنْ ما لم تكُنْ أهلًا له، هذا الرُضابُ لغيرِ فِيكَ الأَبْخَرِ[1]!

٤ - ** المغرب ١ : ٤٣٣؛ بغية الوعاة ١٠٦؛ نفح الطيب ٣ : ٣٩٧ (راجع ٣٩٥)؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٣٢١ (١٠٦)؛ نيكل ١٨٨ - ١٩٠؛ مختارات نيكل ١٢٠ - ١٢١.

الأعمى التطيليّ(*)

١ - هو أبو العبّاسِ (أو أبو جعفرٍ) أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ (أبي) هُريرةَ القَيْسيُّ التُطيليُّ الإشْبيليُّ، كانَ أصلُ أهلهِ من مدينةِ تُطيلةَ ثمّ هاجروا إلى إشبيليةَ وسكنوها.

نَشأ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ الله في إشبيلية ضَريراً، ولذلك لُقّب بالأعمى، وقضى فيها أكثرَ أيّامِ حياتهِ، ولم يكنْ مسروراً من الإقامة فيها، ومَعَ ذلك فقد كان لا يُحِبُّ مُغادرتَها. إلّا أنه اضْطُرَّ إلى السُكنى مُدَيْدَةً في مُرْسِيَةَ ثم إلى المَجيءِ إلى قُرطُبَةَ ليتكسّبَ بمدحِ رجالٍ فيها.

وكانتْ وفاةُ الأعمى التُطيليّ سَنَةَ ٥٢٥ هـ (١١٣١ م) قبلَ أن يُجاوزَ الأربعينَ من عُمُرِهِ في الأغلب.

٢ - الأعمى التطيليُّ شاعرٌ وُجْدانيٌ مُحْسِنٌ مُجيدٌ ووَشّاحٌ بارعٌ يتقدّمُ جميعَ وشّاحي زمانهِ وراجزٌ يكادُ يكونُ بَدْوِيًّا في أراجيزهِ. وشِعْرُه عَذْبٌ رائقٌ جَزْلُ الألفاظِ متينُ الأسلوبِ يظهَر عليه أثرُ التقليدِ للمشارقة - ولأبي تمّامٍ والمتنبّي خاصةً - ظهوراً واضحاً. أمّا فنونُه فأكثرُها المدحُ، وله أيضاً رِثاءٌ ووصفٌ قليل وشيءٌ من الهجاء والتعريض، وغزلان، مؤنّثٌ ومذكّرٌ، وإخوانيّات. وموشّحاته

---

(١) الرضاب: الريق ما دام في الفم (هذا الشعر الجميل). فيك: فمك. الأبخر (الكريه الرائحة).

(*) هو غير أبي إسحاق إبراهيم بن محمّد التطيليّ الضرير القرطبي - وكان يعرف بالتطيليّ الأصغر - وكان أيضاً شاعراً. وقد توفّي بعد التطيلي الأكبر بزمن يسير (راجع نكت الهميان ٩٠؛ الوافي بالوفيات ٦ : ١٣٤؛ تحفة القادم ٢٧ - ٢٩).

مختلفةُ النَسَقِ جِدًّا حتّى كأنّه يَقْصِدُ أنْ يَنْظِمَ كلَّ مُوَشَّحَةٍ من موشّحاتِهِ على نَسَقٍ مُستقلٍّ.

٣- مختارات من شعره:

- قال آبنُ خَلْدونٍ (المقدّمة، بيروت ١٩٦١، ص ١١٣٩): «إنّ جماعةً من الوشّاحين آجتمعوا في مجلسٍ في إشبيليةَ، وكان كلُّ واحدٍ مِنْهُمْ آصطنع مُوَشَّحَةً وتأنّقَ فيها. فتقدّمَ الأعمى التُطيليُّ للإنشاد؛ فلمّا آفْتَتَحَ مُوَشّحته المشهورةَ بقولِهِ:

ضاحـــــــكٌ عن جُمانْ　　سافرٌ　عن　بَـــــدْرِ

خرّق ابنُ بَقِيٍّ موشّحتَه وتَبِعه الباقون». وفي ما يلي هذه الموشّحةُ:

ضاحِــكٌ عَــنْ جُـمانْ　　سافـرٌ عـن بَــــدْرِ؛
ضــــاقَ عنـــه الزمــانْ　　وحواه　　صَـدْري(١).

* * *

آهِ ممّـــــا أجِـــــدْ　　شفّـــني مـــا أجِـــدُ(٢).
قــــام بي وقعـــــدْ　　ظــــالمٌ　　مُتّئِـــدُ(٣)؛
كلّما قُلــــتُ: قَـــدْ!　　قـــال لي: أينَ قــدُ(٤)؟
وآنْثَنـــــى خُوطَ بـــانْ　　ذا　　مَهَزٍّ　　نَضْرِ(٥).

---

(١) جمان (جمع جمانة: اللؤلؤة الكبيرة) كناية عن جمال أسنانه (وشبابه). سافر (كاشف) عن بدر (عن وجه يشبه البدر). والحب الذي ضاق به البشر كلّهم حويته أنا وحدي في صدري.

(٢) وجد، يجد وجداً (بسكون الجيم): شعر بحبّ شديد نحو آخر. شفّه الهمّ أو المرض: جعله نحيلاً أو هزيلاً. وجد، يجد وجداناً ووجوداً الخ: لقي.- يقول الشاعر: إن الذي ألقاه من الحبّ قد أحل جسمي.

(٣) - عذّبني بجميع أنواع العذاب ظالم متّئد (متمهّل): يسير في عذابي على مهل ولا يبالي بي.

(٤) قد= قدي: يكفيني (عذاب منك). أين قد (أين الذي يكفي وزاد عن حدّه)، يقول ذلك متجاهلاً ما حلّ بي.

(٥) خوط (غصن طري ناعم) بان (نبات أغصانه مستقيمة سمر). مهزّ: اهتزاز. نضر: غضّ، أخضر (لأنّ الغصن إذا يبس يبطل تأوّده: اهتزازه وتمايله).

عابَثَتْـــــهُ يَــــدانْ للصَّبـــا والقَطْر[1].

★ ★ ★

ليس لي منــــك بُــدٌّ؛ خُــذْ فؤادي عن يَـدْ[2].
لم تَــــدَعْ لي جَلَـــدْ غـــيرَ أنّي أجْهَدُ[3].
مَكْرَعٍ من شَهَــــــدْ وٱشتياقي يَشْهَـدُ[4].
مـــا لبنْـــتِ الدِنـــانْ ولـــذاكِ الثَغْرِ[5].
أينَ مُحَيّـــا الزمـــانْ من حُمَيّـــا الخمر[6]!

★ ★ ★

لي جَوًى مُضْمَرُ ليتَ جُهْدِي وَفْقُـهُ[7]؛
كـلّـمــا يظـهَـرُ ففؤادي أُفْقُـــــهُ[8].
ذلــــــــك المنظرُ لا يُـــداوي عِشْقُـــهُ.
بـــأبي كيـــفَ كـــانْ فلَـكـــيٌّ دُرّي[9]

---

(١) لعبت به ريح الشرق والمطر (وجعلت تحرّكه حركات مختلفة).
(٢) أنا لا أستغني عنك (فلماذا تنتزع قلبي مني انتزاعاً)، خذ فؤادي عن يدي (طوعاً وبإرادتي).
(٣) - حبّك لم يترك لي قوّة على الاستمرار في التعلّق بك، ولكنّي أبذل جهدي في ذلك.
(٤) مكرع: مكان الكرع (بسكون الراء): الشرب، ويقصد الشاعر فم الحبيب. الشهد (بفتح الشين أو بضمّها وبسكون الهاء في الحالين): العسل (واضطر الشاعر إلى فتح الشين). - شوقي إلى فم الحبيب يدلّ على أن فيه عسلاً.
(٥) بنت الدنان: الخمر. الثغر: الفم. - من أين تشبه الخمر ذلك (العسل) في فم المحبوب.
(٦) « محيا الزمان » غامضة الدلالة لعلّها محيا (بسكون الحاء) الزمان (بكسر الزاي: المرضى!) فيكون المعنى حينئذ في البيتين معاً: إن الخمر لا تشبه العسل الذي في فم الحبيب لأن العسل الذي في فم الحبيب يشفي المرضى بينا حميّا الخمر (الشدة أو الإسكار الذي في الخمر) تمرض الأصحّاء.]
(٧) - حبّي الشديد المضني ليس جهدي وفقه (لا أستطيع احتماله).
(٨) كلّما ظهر (المحبوب) ظهر في فؤادي (أنا أتذكّره دائماً).
(٩) فَلَكت (بفتح اللام) الجاريةُ وفلّكت (استدار ثديها فشبّت). الدرّيّ: نسبة إلى الدرّة (اللؤلؤة الكبيرة)، كناية عن إشراق الوجه وجماله.

راقْ حتّـــى آستبـــانْ عُـــذْرُه وعذري[١].

* * *

هـــلْ إليـــكَ سبيـــلْ أو إلى أنْ أيأسا.
ذُبْـــتُ إلّا قليـــلْ عَبْرةً أو نَفَسا.
مـــا عسى أن أقولْ! ساء ظنّي بِعَسى.
وآنقضى كـــلُّ شانْ وأنـــا أستشري[٢]
خالعـــاً من عِنـــانْ جَزَعي أو صبري[٣].

* * *

مـــا عـــلى من يَلومْ لو تَناهـــى عنّي[٤].
هـــلْ سِوى حُـــبِّ رِيمْ دينُـــه التَجَنّي[٥].
أنـــا فيـــه أهـــيمْ، وهو بي يُغَنّي[٦]:
[قـــد رأيتـــك عيـــان ليس عليك، ستـــدري.
سيطول الزمـــــان، وستنسى ذكري!][٧]

- وقال الأعمى التُطيلي في مطلع موشّحة له:

---

(١) - راق وجهه وكثر جماله (فوق أنداده) حتّى استبان (ظهر للناس جليّاً) عذره (في الصدود عن المحبوبين) وعذري (في التفاني في حبّه).

(٢) استشرى الأمر: تفاقم (زاد سوءاً). أنا أستشري: يتعاظم حبّي للمحبوب.

(٣) خالعاً لعنان (لا ألقي بالاً، لا أهتمّ). جزعي وصبري (أن أجزع: أخاف وأحزن حتّى يضرّ بي الجزع، وأن أترك الصبر حتّى يضرّ بي ذلك أيضاً).

(٤) تناهى الشيء: بلغ نهايته. تناهى عنّي: (هنا) أقصر، توقّف (عن لومي).

(٥) الريم: الغزال الأبيض. دينه: دأبه، عادته. التجنّي: أن يدّعي أحد على آخر أنه أتى ذنباً والآخر لم يأت ذلك الذنب.

(٦) أهيم: أجَنّ (بضم الهمزة وفتح الجيم). يغنّي به: (في القاموس) يمدح أو يذمّه؛ و(هنا): يتسلّى به، يهزأ به.

(٧) هذه القفلة (الأشطر الأربعة الأخيرة) من اللغة الحكيّة العاميّة.

كيفَ السبيلُ إلى صبري، وفي المَعالِمِ أشجانُ،
والركبُ وَسْطَ الفَلا بالخُرَّدِ النواعمِ قد بانوا(١).

* * *

أقبلْنَ يومَ الحِمى في سُنْدسِيّاتِ الحُلَلْ
بيضَ مَطَلِّ الدِّما سودَ الفُروعِ والمُقَلْ.
فيا مُعَنًّى بما لو نالَه نالَ الأملْ(٢).

دونَ ذواتِ الحُلى للسيفِ بالصَّوارمِ حِرمانُ
ابْغِ النَّجاةَ ولا يَغْرُرْكَ بالضَّراغمِ غِزْلانُ(٣)!

- وقال أيضاً في مطلع موشّحة أخرى:

إلى متى بوصلِنا تَبْخَلُ ولا تَلينْ
ولا تَفي ويَشْمَتُ العُذَّلُ بالعاشقينْ
أنتَ القمرْ يجلو الدُّجى نورُهُ
تحتَ الشَّعَرْ يَرِفُّ دَيْجورُهُ.

---

(١) أشجان، جمع شجن (بفتح ففتح): حزن. الركب: الذين يركبون في القافلة (للسفر أو الانتقال) معاً. الخُرَّد جمع خريدة: البكر من النساء (الجميلة). بانوا: ذهبوا، ابتعدوا. وفي المعالم أشجان (؟).

(٢) الحلل جمع حلّة (بضم الحاء): ثوب فاخر. سندس: نسيج رقيق من حرير. مَطَلُّ الدّما: (المكان الذي تطلّ منه الدماء عند الذبح، أو يخرج منه الدم ولا يرجع صاحبه إلى الحياة) أي العنق. يقصد الشاعر: بيضاء العنق، بيضاء اللون. الفروع: خصل الشعر. المقلة: شحمة العين التي تجمع السواد والبياض. (يقصد الشاعر حدقة العين). المعنّى بالشيء: المتعلّق به، الذي يتعب نفسه في طلبه والحصول عليه.

(٣) ذوات الحلى: النساء الجميلات اللابسات للحلى، أو اللواتي يكون جمالهن حلى لهنّ. للسيف (بفتح السين: الرجل الجريء، والذي يحمل سيفاً) حرمان من هؤلاء النسوة بالصوارم (السيوف التي يحملنها في عيونهنّ). ويمكن أن تكون: دون ذوات الحلى بالسيف (بكسر السين: جانب الوادي، الساكنات في جانب الوادي- كناية عن الترف والنعمة). لا يغررك بالضراغم غزلان: لا تغترّ بأنّك تهجم على غزلان (نساء جميلات) فيتبيّن لك أنهن يفتكن بجمالهن كالضراغم (الأسود).

إذا خطرْ نـاداه مَهْجورُهُ:

يا مَنْ عَنا طُوبَى لِمَنْ قَبّلْ ذاك الجَبيـنْ.
ويكتفي مِنْ ريقِكَ السَّلْسَلْ قبـلَ المَنونْ.

- وقال يشكو زمانَه وسِيادة الظالمين الجُهّال الأغبياء ويشكو ما في ذلك في مدينتهِ حِمْص (إشبيلية) ويُحَرِّض أهلَ حمصٍ على حاكمٍ ظالمٍ:

إلى اللهِ أشكو الذي نحنُ فيه: أسًى لا يُنَهْنِهُ منه الأسى[1]!
علـى مِثلِهـا فَلْتُشَقَّ القلوبُ - مكانَ الجيوبِ- وإلّا فَلا[2].
فَشا الظُّلْمُ واغترّ أشياعُـه، ولا مُسْتَغاثٌ ولا مُشْتَكى[3].
وساد الطَّغـامُ بتَمْويهِهِمْ؛ وهل يَفْدَحُ الرُّزْءُ إلّا كذا[4]!
وكيف تَضاحَكُ هذي الرِياضُ؟ وكيف يَصوبُ الغَمامُ الحَصى[5]؟
(وماذا «بحِمْصٍ» من المُضْحِكاتِ، ولكنّـه ضَحِـكٌ كالبُكـا)[6].
وذا اليومُ حَمَّلنـا فادِحـاً خَضَعْنـا له وانْتَظَرْنا غَدا[7].
ويا رُبَّ إلْبٍ علـى المُسلمين زَوَى الحقَّ عن أهلهِ فانْزوى[8].

---

(١) أسًى: حزناً. ينهنهه: يكفّه، يردّه، يخفّفه. الأسى: المداواة.

(٢) الجيوب: (جمع جيب): مدخل العنق في الثوب.- في المصائب الشديدة النازلة يقال: شقّ الحزين جيبه (وأكثر ما يقال ذلك في موت عزيز). أمّا مصيبة اشبيلية بحاكمها الظالم العدوّ للمسلمين فلا يكفي فيها شقّ الجيوب بل تبلغ من الشدّة والعنف إلى أنّ المصاب يشقّ قلبه (يموت).

(٣) فشا: انتشر، شاع، كثر. اغتر (طمع الظالمون بقوّتهم).... لا أحد قادراً على إغاثة الناس (إنقاذهم) ولا أحد يسمع الشكوى من الناس.

(٤) الطغام: أوغاد الناس. يفدح: يثقل، يعظم (يجعل الإنسان عاجزاً عن الاحتمال). الرزء: المصيبة.

(٥) تضاحك: تتضاحك (يكثر نباتها وزهرها). وكيف يصوب (يسقط) الغمام (المطر) الحصى (صغار الحجارة): كيف ينزل المطر على الأرض من ظلم هذا الحاكم!

(٦) هذا البيت للمتنبّي: «وماذا بمصر من المضحكات.....».

(٧) ....انتظرنا غدا: رجونا أن تتبدّل الحال في المستقبل.

(٨) الإلب (بكسر الهمزة في الأكثر): القوم يجتمعون على عداوة إنسان واحد. زوى: أمال، منع.

هو الكلبُ أسّده جهلُهُ، وطال؛ فخالوه لَيْثَ الشَّرى[1].
وراعهمُ زَأْرُه فيهمُ؛ ولو كان في غيرهِم ما عَوى[2].
تهاوَنَ باللهِ والمُسلمينَ، وقد كان في واحدٍ ما كفى[3].
وقد خَلَعَ الدينَ خَلْعَ النجادِ، وقد أكل الدَّيْنَ أكلَ الربا[4].
فمَرْآهُ في كلّ عينٍ قَذًى، وذِكْراه في كلّ حَلْق شَجا[5].
إذا سُئِلَ العَسْفَ بالمُسلمينَ فأجْوَدُ مِنْ حاتمٍ بالقِرى[6].
وإنْ أمْكَنَتْ مِنْهُمُ فُرصةٌ فأفْتَكُ من خالدٍ بالعِدا[7].
ولا بُدَّ للحقّ من دَولةٍ تُميت الضَّلالَ وتُحْيي الهُدى[8].
فما غَفَلَ اللهُ عن أمّةٍ، ولا ترك اللهُ شيئاً سُدى.
أيا أهلَ حِمْصٍ، وقدْماً دَعَوْتُ! وهل تسمَعونَ إلى مَنْ دعا؟
ألا قد لَحَنْتُ لكم فاسمَعوا وحاجَيْتُ، إن كان يُغني الحِجا[9].

- معظم قصائد الأعمى التُّطيليّ على النْهج المشرقيّ. ثمّ هو كثيرُ المبالغة كثير الآستعارات قليلُ المعاني. من ذلك قولُه يمدح أبا العلاء بنَ زُهْرٍ في قصيدة طويلة:

---

(١) أسّده جهله: جهله (بعاقبة الظلم) أسّده (أغراه وأطمعه) بأن يظلم. خال: ظنّ. ليث: أسد. الشرى: الجبل (للاعتقاد بأن أسود الجبال أشدّ فتكاً).
(٢) راع: أخاف. الزأر: الزئير: صوت الأسد. العواء (بالضمّ): صوت الكلب.
(٣) كان في واحد ما (الذي) كفى: التهاون بالله وحده أو بالمسلمين وحدهم كاف حتّى يجعل الإنسان كافراً مستوجباً للقتل.
(٤) النجاد: سير من جلد يحمل به السيف متدلّياً من العنق إلى جانب الجسم. الربا: الفائدة الفاحشة (أو الفائدة مطلقاً) على الأموال. وقد أكل......: كناية عن الإسراف في الظلم (الذي هو صنو الكفر) وعن السرور بفعله!!
(٥) قذى: قذر، وسخ، ضرر. شجا: شيء يعترض في الحلق فيؤله.
(٦) العسف: الظلم. القرى (بالكسر): الضيافة، الكرم.
(٧) خالد: خالد بن الوليد.
(٨) الدولة (بفتح الدال وبضمّها): انقلاب الزمان والغلبة وانتقال الأمر من حال إلى حال.
(٩) لحن فلان لفلان: قال له قولاً يفهمه هو عنه ويخفى على غيره (القاموس ٤ : ٢٦٦). حاجى: فاطن (قال قولاً يختبر به فهم الآخرين: قال تلميحاً). الحجا: الفطنة والعقل (هل ينفع العقل الذي فيكم فتفهموا عنّي ما أعني). والحجا يمكن أن تكون مرخّمة من الحجاء (مصدر حاجى).

أبى اللهُ إلّا أن يكونَ لكَ الفضلُ، وأنْ يتَباهى بٱسْمِكَ القولُ والفِعْلُ؛
وأنْ تَقِفَ العَليا عليك ظنونَها إذا رابَها جِدٌّ من القولِ أو هَزْل.
أضيءْ ،يا سِراجَ الدينِ وابنَ سِراجِهِ، إذا اشْتَبَهَتْ تلك المَسالكُ والسُّبْل.
عَفاءٌ على الأرضِ التي لا تَحِلُّها ولو نَبَتَتْ فيها السَماحة والبَذْل.

- وقال يشكو الدهر الذي جعل شَعْرَه أبيضَ بعدَ أن بيّض عَيْنَيْهِ (أعماه):

أما ٱشْتَفَتْ مِنّيَ الأيّامُ في وطني حتّى تضايقَ فيما عَنَّ من وَطَرِ[1]؛
ولا قضتْ من سَوادِ العينِ حاجتَها حتّى تَكِرَّ على ما كان في الشَّعَرِ[2]!

- هجاء ومُجون:

وجوهٌ تَعِزّ عـــــلى مَعْشَرٍ، ولكن تَهونُ عـــــلى الشاعر.

٤ - ديوان الأعمى التطيلي (تحقيق إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٣ م.

** قلائد العقيان ٣١٥ - ٣٣٢؛ بغية الملتمس ١٧٥ - ١٧٦ (رقم ٤٢٩)؛ المغرب ٢: ٤٥١ - ٤٥٦؛ الوافي بالوفيات ٧: ١٢٦ - ١٣٢؛ خريدة (المغرب والأندلس) ٥١١ - ٥٢١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٥٦٧ - ٥٨٢؛ الذخيرة ٢: ٧٢٨ - ٧٥٣؛ نكت الهميان ١١٠ - ١١٣؛ نفح الطيب راجع ٣: ٤٠٤، ١٥٣٦؛ جيش التوشيح ١٦ - ٤٥، راجع ٢٣١ - ٢٣٣، ٢٧٩ - ٢٨٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٤٢٦؛ بروكلمن ١: ٣٢٠، الملحق ١: ٤٨٠؛ نيكل ٢٥٤؛ مختارات نيكل ١٧٠ - ١٧١.

أبو عمرو الأُنديّ

١ - هو أبو عمرٍو أحمدُ بنُ خليلٍ الأُنْديُّ نِسبةً إلى أُنْدةَ من كورة تُدْميرَ (جَنوبَ شرقيِّ الأندلس)، لا نَعْرِفُ من تاريخِ حياتِهِ شيئاً. ولعلّ وفاتَه كانتْ نحو سَنَة ٥٢٥ هـ (١١٣١ م).

---

(١) أما اكتفت الأيام (الدهر) بما نزل بي من الظلم والمصائب في بلدي إشبيلية حتّى تضايق (تنضايق) من تحقيق غاية من غاياتي مرّة بعد مرّة.

(٢) - ولم تكتف الأيام بإذهاب سواد عيني (بالعمى) حتّى تعود بالهجوم على سواد شعري (بالشيب).

٢- كان أبو عمرٍو الأُنديُّ طبيباً وشاعراً له مُقطّعاتٌ حِسانٌ وأخيِلَةٌ شعريةٌ بارعة في اللفظ العَذْبِ والتركيب المتين، مَعَ شيءٍ من الطبعِ على غِرارِ القدماء. ومُقطّعاتُه التي وَصَلتْ إلينا في الوصفِ والغَزل.

٣- مختارات من شعره:

- لأبي عمرٍو الأُنديّ مقطّعاتٌ منها:

** ومذعورةٌ من حَلْيِها قد ذَعَرْتُها … بسَلّـة مَطْرورِ الغِرارِ مُهَنّـدِ(١).
فما وَجَدَتْ للحزم إلّا ٱلْتِفاتَةً … تُرَقْرِقُها ما بينَ دَمْعٍ وإثْمِدِ(٢).
حَكَمْتُ على ألحاظِها بعضَ حُكْمِها؛ … فحَسْبُكَ مِنّي مُعْتَدٍ غيرُ معتد(٣)!
** وهيفاءَ رامَ الغُصنُ يَحْكي قَوامَها، … وقالتْ لها شَمْسُ الضُحى: أنتِ أمْلَحُ(٤)
يُقِلُّ رِداحَ الرِدْفِ منها مُخَصَّرٌ، … بأضْيَقَ من خَلْخالِها تَتَوشّحُ(٥).
تَلاعَـبَ بالمِرآةِ عُجْبـاً، وإنّما … تُلاعِبُ ظبي الموتِ في الماء تَسْبَحُ(٦).

---

(١) - شهر الشاعر سيفه في وجه حبيبته مزحاً ليخيفها فقط لا ليؤذيها. مذعورة: خائفة. من حليها (من وسوسة: صوت الحلى التي تتزيّن بها - لرقّة إحساسها). ذعرتها: أخفتها. بسلّة (بإخراج السيف فجأة من غمده). مطرور (جميل) الغرار (الحدّ)، أي أبيض، مصقول (حادّ، قاطع). مهنّد: من صنع الهند (دلالة على جودته).

(٢) فمالت بوجهها إلى الوراء حذراً حينما توهّمت أن السيف يمكن أن يصيبها. التفاتة ترقرقها (تجري معها دمعاً من عينيها). الإثمد: الكحل.

(٣) أريتها (في لحظة، من التهويل عليها بالسيف) ما تُري هي عشّاقها في كلّ يوم من سيوف عينيها. فحسبك (يكفيك) منّي أنّي كنت معتدياً عليها (لأنّي أخفتها) غير معتد (لأنّي لم أقصد الإضرار بها).

(٤) الهيفاء: المشوقة، النحيلة. رام: أراد. يحكي: يشابه، يقلّد.

(٥) يقلّ: يحمل. رداح الردف (عظيمة وسط الجسم). مخصّر: خصر نحيل. وشاحها الذي تلفّه على خصرها ضيّق جدًّا (كأنّه خلخال: سوار يلبس في الرجل فوق القدم).

(٦) - تلاعب بالمرآة (تتسلّى بالنظر دوماً في المرآة، دلالاً - للتملّي دائماً من جمال وجهها) ومعنى الشطر الثاني غامض، وخصوصاً لأنّ كلمة «ظبي» لا تدخل هنا في الوزن. المعنى المقصود: ظبا جمع ظبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. ولكنّ الوزن يقتضي لفظة على وزن «فعل» (بحركة فسكون فحركة). ولعلّ الكلمة ظمأ (بفتح فسكون) عطش وظمأ الحياة (راجع القاموس وتاج العروس) تعبير مألوف. =

** ذو غُرّةٍ إنْ مَرّ تَحْسَبُـــــه ريحـــاً يَمُرُّ أمامَهـــا قَبَسُ[1].
شَهْمٌ كطَبْعِكَ في الوغى يَقِظٌ، سَهْلٌ كخُلْقِكَ في النَدى سَلِسُ[2].

** وغديرٍ رقّــتْ حواشِيــه حتّـى بـانَ في قَعْره الذي قد ساخا[3].
وكـأنّ الطـيورَ، إذ كَرَعَتْ فيـ ـه وعَلّتْ، تَزُقُّ فيه فِراخا[4].

٤ - ** الوافي بالوفيات ٦ : ٣٧٤ - ٣٧٥؛ تحفة القادم ١٢؛ القدح المعلى ١٦٨ - ١٦٩.

أبو الحسن بن الباذش

١ - هو أبو الحسنِ علِيُّ بنُ أحمدَ بن خلفٍ - آبنُ الباذشِ - الأنصاريُّ الأندلسيّ، وُلِدَ في غَرناطةَ في شَوّالٍ من سَنَةِ ٤٤٤ (شِتاء ١٠٥٣ م). قرأ على نعم الخلف بن محمدِ ابنِ يحيى الأنصاريّ وأبي عليٍّ الصدفيّ وحَدّثَ عن القاضي عِياضِ بنِ موسى وأبي محمّدِ آبنِ عَطيّةَ وأبي عبدِ الله بن عبدِ الرحيم وأبي خالدٍ عبدِ الله بن أبي زَمَنِين. ثمّ إنّه أمّ في صَلاةِ الفريضة في جامع غَرناطةَ. وكانتْ وفاتُه في غَرناطةَ في ثالثَ عَشَرَ المحرّمِ من سَنَةِ ٥٢٨ (١٣/ ١١/ ١١٣٣ م).

٢ - كان أبو الحسنِ بنُ الباذشِ بارعاً في النحوِ ومُشاركاً في عددٍ من فنونِ المعرفة: في القراءاتِ والحديث واللغة والأدب وسوى ذلك. وهو مُصنِّفٌ له عدد من الكتب منها: الإقناع في القِراءات ثمّ شُروحٌ على كتب، منها: كتاب سِيبَوَيْهِ - المُقْتَضَب من كلام العرب (لابن جِنّي) - الأصول (لابنِ السرّاج) - الإيضاح لأبي علي الفارسي - كتاب الجُمَل - الكافي لابنِ النّحاس[5]. وكان له نَظْمٌ.

= وظمأ الموت هنا (السيف الذي في عينيها ظامىء إلى قتل المحبّين بالحرمان). فيكون المعنى حينئذ: تسلّى بالنظر إلى فتنة عينيها في المرآة (في الماء تسبح: ماء المرآة). وتجعل تسبح يسبح.

(١ - ٢) البيتان في وصف حصان ذي غرّة بيضاء، وهو سريع الجري. ثمّ هو شهم (سريع) في الحرب، سهل، سلس (وديع) في الندى: الكرم (في السلم!).

(٣ و ٤) ساخ: غاص، غرق. كرعت: شربت. علّت: شربت مرّة بعد مرّة. - إنّها وهي تضع مناقيرها في الماء ثمّ ترفع رؤوسها عالية (ليتزل الماء في حناجرها) تشبه أمهات العصافير وهي تطعم فراخها.

(٥) راجع في ذلك كلّه بغية الوعاة ٣٢٧.

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي الحسنِ بنِ الباذشِ شيءٌ من النظم، منه:

أصبحـــتَ تَقْعُـــدُ بالهوى وتقومُ   وبـــه تُقَرِّظُ مَعْشراً وتـــذيمُ[١].
تَغْنِيكَ نفسُكَ فاشْتَغِلْ بصَلاحِها؛   أنَّـــى يُعَيِّرُ بالسَّـــقام سَقـــيمُ[٢]!

- وله في مدح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي:

أضِعِ الكَرى لِتَحَفُّظِ الإيضاحِ   وصِلِ الغُدُوَّ لِفَهْمِه بِصَباحِ[٣].
هو بُغيــةُ المُتعلّمين، ومَنْ بَغى   حَمْـلَ الكِتابِ يَلِجْهُ بالمِفتاحِ[٤].
لأبي عَــلِيٍّ في الكِتــابِ إمامــةٌ   شَهِدَ الرُّواةُ لها بفَوْزِ قِداحِ[٥].
يَقْضي عَـــلى أسرارِه بنَوافـــذٍ   مِنْ عِلمِه بَهَرَتْ قُوى الأمداحِ[٦]؛
فيُخاطِـــبُ المُتعلِّـــمين بلفظـــهِ   ويحُــلُّ مُشْكِلَةً بوَمْضةِ واحِ[٧].
مَضَتِ العُصورُ وكلُّ نحوٍ ظُلْمَةٌ،   وأتـى فكان النحوُ ضوءَ صَباحِ.
أوصي ذوي الإعرابِ أن يتذاكروا   بحُروفِهِ في الصُّحُفِ والألواحِ[٨].
فإذا هُمو سَمِعوا النصيحةَ أَنْجحوا.   إنّ النصيحــةَ غِبُّها لِنَجاحِ[٩]!

---

(١) تقرّظ: تمدح. ذام يذيم ذيماً (بفتح الذال) وذاما: ذمّ، هجا.

(٢) أنّى: كيف. - كيف يعيّر السقيم سقيماً آخر!

(٣) أضِعْ فعل أمر من «أضاع» (ضيّع). الكرى: النوم. تحفّظ الكتاب: بذل جهداً في حفظه جزءاً بعد جزء. الإيضاح (كتاب الإيضاح). الغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس.

(٤) بغى يبغي: طلب، أراد. ولج: دخل. حمل الكتاب (معرفة كتاب سيبويه معرفة صحيحة). المفتاح (كناية عن كتاب الإيضاح!) - نسبة كلّ مفتاح إلى كلّ باب كنسبة الإيضاح إلى كتاب سيبويه.

(٥) لأبي عليّ (الفارسي) في الكتاب (كتاب النحو لسيبويه) إمامة (مقدرة وتقدّم). القدح (بكسر القاف): سهم أو قطعة من خشب أو نحوه تستخدم في الاستقسام (الميسر أو القمار).

(٦) - يشرح ما غمض منه برأي نافذ (مصيب، صحيح) بهر: أدهش، غلب، فاق. الأمداح جمع مدح. قوى جمع قوّة (!). فهمه يزيد على كلّ مديح.

(٧) ومضة: برقة، لمعة. الواحي (من وحى يحي: أشار أومأ). بسرعة.

(٨) ذوو الإعراب (المشتغلون بتعليم النحو).

(٩) أنجح (نجح). الغبّ: العاقبة، النتيجة.

٤ - ** إنباه الرواة ٢: ٢٢٧ - ٢٢٨؛ بغية الوعاة ٣٢٦ - ٣٢٧؛ الديباج المذهب ٢٠٥ - ٢٠٦؛ الأعلام للزركلي ٥: ٦٠ (٤: ٢٥٥).

ابن الطراوة

١ - هو أبو الحسين (أبو الحسن) سُليمانُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الطَراوةِ الشيبانيّ (المطرب - الخرطوم ٢٠٩ ؛ القاهرة ٢٣١) السَبَئي أو السَبائي (بغية الوعاة ٢٦٣) المالَقيُّ، وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٤٤٠ (١٠٤٨ م). كان أكثرُ اهتمامِهِ بكتاب سِيبَوَيْهِ (في النحو) قرأه أوّلاً سَنَةَ ٤٦١ في إشبيلية على أبي بكرِ بنِ عيّاشِ المَرْشانيّ ثمّ في سَنَةِ ٤٦٥ على أبي الحجّاجِ الأعلمِ (ولكنْ بقراءةِ محمّدِ بنِ الأعلم) ثمّ رَحَلَ إلى قُرطبةَ وقرأَ الكتابَ نفسَهَ على أبي مروانَ بنِ سِراجِ ثمّ على أبي مروانَ الطِبْني.

ثمّ إنّه جعَلَ يتجوّلُ في البُلدانِ الأندلسية لِيُعَلِّمَ فيها ما كان يَعْرِفُه من النحوِ ومن الأدب أيضاً. وكانتْ بينَه وبينَ أبي الحسنِ الحُصْريّ (ت ٤٨٨ هـ) مُخاطباتٌ نالَ كلُّ واحدٍ منهما فيها مِنْ صاحبِهِ. وكانت وفاةُ ابنِ الطَراوةِ في رَمَضان أو شوّالِ سَنَةِ ٥٢٨ (صيفِ ١١٣٤ م).

٢ - ابنُ الطَراوةِ في الأصلِ نحويٌّ، كانَ نَحويَّ المَرِيّةِ لم يكن بها في هذه الصناعةِ مثلُه. ثمّ إنّ له آراءً تَفرّدَ بها وخالفَ فيها جُمهورَ النُحاة، ولقد مَدَحَه عليها نَفَرٌ ثمّ لامَهُ عليها نفرٌ آخرون. وكذلك كانتْ له عنايةٌ بالأدب وكان يُقرئه (نفح الطيب ٢: ١٤٢). وله شعرٌ في المَدْح، مَدَحَ المعتصمَ بنَ صُمادحِ وعليَّ بنَ يوسفَ بنِ تاشفينَ. غيرَ أنّ الذي بينَ أيدينا من شِعره مُقطّعاتٌ في الخمر والغزل والنقد الاجتماعي. وكذلك كان مُصَنِّفاً له: الترشيح (في النحو - مختصر) - المقدّماتُ على كتاب سِيبَوَيْهِ - مقالةٌ في الاسم والمُسمّى - الإفصاح ببعض ما جاء في الإيضاح (للفارسي المتوفّى سنة ٣٧٧).

٣ - مختارات من شعره:

- لابن الطراوة مقاطع قصار منها:

** يشرَبُهــا الشيــخُ وأمثالُــهُ   وكـــلّ مَنْ تُحْمَــدُ أفعالُــهُ.

والبَكْرُ إنْ لم يستطـع صَوْلَـةً   تُلقـى عـلى البُزْلِ أثقالـه[1].

** ألا بـأبي وغـيرِ أبي غزالٌ   أتـى وبِراحـهِ للشَرْبِ راحُ[2].

فقـال مُنادمي في الحُسن صِفْهُ،   فقلت: الشمسُ جاء بها الصباحُ.

** ولمّا رأيتُ الصُبْحَ لاحَ بِخَدّه   دَعَوْتُهُمْ: رِفقاً تَلُحْ لَكُمُ الشمسُ[3].

وأطْلَعَها مِثْلَ الغزالةِ، وهو كالـ   ـغزال، فتَمَّ الطيبُ واكتمل الأُنس[4]

** شَرِبْنـا بِمِصباح السماء مُدامـةً   بشاطي غَديرٍ والأزاهرُ تَنْفَحُ[5].

وظـلّ جَهولٌ يرقُبُ الصُبْحَ ضِلّةً،   ومن أكْؤسي لم يَبْرَحِ الصُبحُ يُصْبِحُ[6]

** وقائلـةٍ: أتَصبو للغواني   وقدْ أضحى بِمَفْرِقِكَ النهارُ[7]؟

فقُلت لها: حَثَثْتِ على التصابي   (أحقُّ الخيلِ بالركْض المُعار)[8].

** خرجوا لِيَسْتَسْقوا، وقد نشأتْ   بَحْرِيَّـةٌ يبـدو لهـا رَشْحُ[9].

---

(١) البيتان في الخمر. البكر (بفتح الباء): الجمل الصغير. البازل: الجمل الذي بزلت (طلعت) سنه (إذا بلغ ثماني سنوات أو تسعاً). الصولة: السطوة في الحرب ونحوها. - لا تليق الخمر إلّا بالوقور الهادي. وإذا عجز الصغير عن فعل أمر عهد بهذا الأمر إلى الكبير المجرّب.

(٢) الراح جمع راحة: الكفّ. الشُرب: الذين يشربون (الخمر) معاً. الراح: الخمر.

(٣) الصبح (الوضاءة والجمال) لاح (ظهر - لمّا بدا الساقي الجميل). تلوح: تظهر. الشمس (الخمر).

(٤) جاء بالخمر مثل الغزالة (الشمس). الطيب: الرائحة (من الخمر). الأنس (بالغلام الجميل).

(٥) شربنا (الخمر) بمصباح السماء (على ضوء القمر). تنفح: تنتشر رائحتها.

(٦) ضِلّة: ضلالة وجهلا. يقال: أصبح الرجل: دخل في الصباح (والشاعر يقصد: يطلع في كلّ لحظة من كؤوس الخمر التي أشربها صباح جديد).

(٧) صبا: مال إلى. المفرق: مقدّم الرأس. النهار (البياض، الشيب).

(٨) حثثتِ على التصابي: أنتِ الآن (بقولك هذا وتذكيري أن شبابي سينقضي قريباً) تحضّينني على الميل إلى النساء الجميلات. المعار: العارية (الذي استعرته من غيرك). والمعار: المسمّن. وقيل المغار (بالغين المعجمة): المضمّر - راجع «فوائد اللآل» ١ : ١٨٨ وتاج العروس - الكويت ١٣ : ١٧٩ هذا الشطر يروى لابن أبي خازم الجاهليّ (راجع ديوانه بتحقيق عزّة حسن، دمشق ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠ م، ص ٧٨ والحاشية الطويلة المفيدة رقم ٥٥). وهو ينسب أيضاً للطرمّاح بن حكيم الأمويّ - يجب أن أستفيد من بقية شبابي!

(٩) خرجوا إلى صلاة الاستسقاء (بالعراء) بعد انقطاع المطر مدّة طويلة. بحرية: غمامة آتية من جهة البحر! الرشح: تسرّب الماء من خلال جسم ما.

حتّــــى إذا اصطفّوا لِدَعْوَتِهِمْ وبــدا لأعْيُنِهِمْ بهـا نَضَـحُ[1]،
كُشِفَ الغِطــاءُ إجابــةً لَهُمُ، فكأنّما جــاءوا لِيَسْتَصْحوا[2].

** إذا رأوْا جَمَلًا يأتي على بُعُدٍ مَدّوا إليهِ جَميعاً كفَّ مُقْتَنِـصِ[3].
إنْ جِئْتَهُمْ فارغـاً لَزّوكَ في قَرَنٍ، وإنْ رأوْا رَشوةً أفتَوْكَ بالرُخَصِ[4]!

٤ - ** بغية الملتمس ٢٩٠ (رقم ٧٧٩)؛ التكملة ٧٠٤؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٥٧١ - ٥٧٢؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٥٦ = ٦٥٧؛ الذيل والتكملة ٤: ٧٩ - ٨١؛ وفيات الاعيان ٤: ١٦٠؛ بغية الوعاة ٢٦٣؛ نفح الطيب ٣: ٣٨٤ - ٣٨٥، ٤: ٣٣٢؛ بروكلمن ١: ١٧٦ (السطر ٢١)؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٩٦ (١٣٢)؛ أخبار وتراجم أندلسية ١٧، راجع ٦٣.

ابن الزقّاق البلنسيّ

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ (ابراهيمَ بنِ) عَطيّةِ اللهِ بنِ مُطَرِّفِ بنِ سَلَمَةَ اللَّخْميُّ، ويُعَرفُ بابنِ الزقّاقِ وبابنِ الحاجّ، أصلُ أُسرته من إشبيلية، وقد كان بَيْنَهم وبينَ بني عبّادٍ قرابةٌ (فلمّا خُلِعَ المُعتمدُ بن عُبّادٍ أنكروا ذلك). ويبدو أنّ أهلَه انتقلوا، بعدَ آستيلاء المرابطين على إشبيلية (٤٨٤ هـ)، إلى بَلَنْسِيَةَ. وفي بَلَنْسِيَةَ تزوّجَ والدُ ابنُ الزقّاقِ أختَ الشاعرِ آبن خَفاجةَ (ت ٥٣٣ هـ).

وُلِدَ ابنُ الزقّاقِ البَلَنْسيُّ في بلنسيةَ، سَنَةَ ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م)، وفيها نشأ وطلَبَ العِلْمَ وقضى حياتَه كلَّها، ولا نعلَمُ أنّه غادَرها إلى مكانٍ آخرَ. وتلقّى ابنُ الزقّاقِ جانباً من العلم على ابنِ السِيدِ البَطَلْيَوْسِيِّ (ت ٥٢١ هـ) في إحدى زوراتِ البَطليوسيِّ إلى بلنسيةَ.

---

(١) حتّى إذا اصطفّوا (للصلاة) وللقيام بالدعاء. النضح: الرشح.
(٢) كشف الغطاء (انجابت الغيوم عن وجه السماء). ليستصحوا: ليطلبوا الصحو. - في البيت تهكّم.
(٣) هذان البيتان في التهكّم بالفقهاء. الجمل (هنا): شيء ما (ولو كان كبيراً كالجمل). المقتنص: الصيّاد (الذي ينتهز الفرص في الحصول على ما يستطيع الحصول عليه).
(٤) فارغاً (لا تحمل إليه هديّة) لزّوك في قرن (حبل): ربطوك مع غيرك بحبل واحد (أذلّوك). أفتوك بالرخص (الرخصة: ما له وجه من القانون): وجدوا لك مخرجاً للتحلّل من قيود القانون والشرع.

وكانت وفاةُ ابن الزقّاقِ البلنسيّ نحوَ سَنَةِ ٥٢٩ هـ (١١٣٤- ١١٣٥ م) قبلَ الأربعين مِنَ العُمُرِ.

٢ - كان ابنُ الزقّاق البلنسيُّ شاعراً وُجدانيًّا رقيقاً مُحسِناً، حَسَنَ التصرُّفِ في معاني الشعر - يحتالُ للمعنى القديمِ حتّى يبدو كأنّه مُخْتَرَعٌ جديدٌ - وكذلك كان نَبيلَ الأغراض، يُطيلُ أحياناً ويُجيد في المقطّعات. ولابن الزّقّاق من الفنون مدحٌ قليلٌ جيّدٌ وشيءٌ من الرثاء وقليل من الهجاء. وله الغَزَلانِ، المؤنّثُ والمذكّر، مَعَ شيء من المُجون المستور فيهما كليهما. وله خَمْر. ويَكْثُرُ الوصف في شعر ابن الزّقّاق فهو بارعٌ في وصف الطبيعة دقيقُ الملاحظة؛ غيرَ أنّ وصفَه للطبيعة لَمَحاتٌ مستقلّة موضوعية لم تمتزج عادة بالمشاعر الإنسانية؛ وعلى هذا نَجِدُهُ أدنى مرتبةً في وصف الطبيعة من خاله ابن خفاجة.

٣ - مختارات من شعره:

- لابنِ الزقّاقِ البلنسي قصيدةٌ في مديح أبي بكر بنِ عبدِ العزيز صاحبِ بلنسية يَنسِب فيها ويفتخر، منها:

يا شمسَ خِدْرٍ ما لها مَغْربُ، أرامــــةٌ دارُك أم غُرّبُ[1]؟
ذهبــتِ فاسْتَعْبَرَ طرفي دماً مُفَضْفَضُ الدمعِ به مُذْهَبُ[2].
اللهُ في مُهْجَــةِ ذي لَوْعَــةٍ تَيَّمــه يومَ النَّقــا الرَّبْرَب[3]!
ناشدتُــكَ اللهَ، نسيمَ الصَبــا، أينَ اسْتَقَلَّـتْ[4] بعدَنا زَيْنَـب؟

(١) شمس خدر: فتاة جميلة (كالشمس) مخدّرة (لا تخرج من بيتها لوجاهتها وصونها فلا يراها الناس). ما لها مغرب: لا تقترب من الغروب (شابة أبداً). رامة وغرّب: مكانان في شبه جزيرة العرب (يقصد: من أي بلاد الحسن والجمال أنت؟).

(٢) استعبر: بكى. الطرف: العين. - امتزج دمعي الأبيض بدمي الأحمر.

(٣) المهجة: دم القلب، القلب. اللوعة: الحرقة في القلب من الحبّ. تيّمه: أمرضه أو عذبه بالحب. النقا: الرمل الأبيض. يوم النقا (يوم الاجتماع بذلك المكان الذي فيه نقا). الربرب: القطيع من بقر الوحش (الغزلان)، كناية عن جماعة من الفتيات الجميلات.
- الله في مهجةِ ذي لوعة: أعان الله المحبّ.

(٤) نسيم الصبا (يا نسيم الصبا). استقلّ: ذهب. استقلّ: حمل (أحماله وسافر).

لم تَسْرِ إلاّ بشَذا عَرْفِهـــا؛ وإلاّ، فماذا النَّفَسُ الطَّيِّب[1]!
ويـا سَحابَ المُزنِ، مـا بالُنا يَشُوقُنـا ذَيْلُـكَ إذْ تَسْحَـب[2]؛
هـاتِ حديثاً عن مغاني اللّوى فعَهْـدُكَ اليومَ بهـا أقْرب[3].
أفْلَحَ من خاضَ بِحارَ الدُجى وصَهْوَةُ العِزّ لـه مَرْكَـب[4]:
ألَيْس في البَيْــداء مَنْدوحــةٌ إن ضاق يوماً بالفتى مَذْهب[5]!
إن كـان للفَضْـلِ أبٌ إنّـه نجـلُ بَـني عبـدِ العزيزِ الأبُ.
تَنْحَـطُّ قَحْطـانُ وساداتُهـا عَنهُمْ، وتَمْشي خَلْفَهُمْ تَغلِـبُ.
لم تَخْلُ من نارٍ لَهُمْ في الدجى ثَنِيَّـةٌ عليـاءُ أو مَرْقَـب[6].
هـل شَيَّـدَ العليـاءَ إلاّ فتـى راق بـه المَحْفِـلُ والمَرْكَـب[7]:
في الدَّسْتِ منــه عَلَمٌ أصْيَـدٌ، وفي الوَغى ضَرْغامَةٌ أغْلَب[8].
كـلّ شِهـابٍ عنــده خامِـدٌ، وكـلّ بَرْق عِنْـده خُلَّـب[9]

- وله في وصف الخمر ووصف الطبيعه:

---

(١) - لمّا هببت، أيّها النسيم في الليل كانت رائحتك الطيّبة منها، وإلاّ فمن أين جئت بهذه الرائحة؟

(٢) المزن: المطر. ذيل السحاب: الأطراف المتدلّية من السحاب (ويكون هذا النوع من السحاب ممطراً). يشوقنا (يهيجنا، يجعلنا نميل) ذيلك إذ تسحب (لأنّك تأتي بالمطر).

(٣) المغاني جمع مغنى: المكان المأهول، المسكون. اللوى: الرمل الملتوي، تلّة الرمل.

(٤) - لقد نجح الذي يسافر في الليالي بدفعه إلى ذلك محافظته على كرامته.

(٥) البيداء: الأرض الواسعة (الصحراء). مندوحة: متّسع. المذهب: الطريق، السبيل، طلب العيش.

(٦) الثنيّة (العطفة في الطريق أو الجبل) العلياء (العالية). المرقب: المكان المرتفع (ترى منه الطرق المتفرّعة). هم كرماء (يشعلون النار للضيوف عند كلّ عطفة طريق) وهم أبطال (يشعلون النار على كلّ مكان مرتفع يدعون بها قومهم إلى الحرب).

(٧) المحفل: مكان اجتماع الناس لأمر من الأمور (في السلم). المركب: الخيل (للحرب).

(٨) الدست: المجلس الرسمي؛ يقال دست الوزارة (الحكم). العلم: الرجل المشهور، الأصيد: الشريف (الصَّيَد بفتح الصاد والياء: ميلان العنق، كناية عن الكبر بكسر الكاف). والأصيد الملك أيضاً. الوغى: الحرب. الضرغامة: الأسد.

(٩) كلّ نجم مهما يكن مضيئاً خامد (لا نور فيه) بالإضافة إلى الممدوح. وكلّ برق (مهما يكن فيه من المطر) خلّب (لا مطر فيه). - كلّ مجد أقل من مجده وكلّ كرم أقل من كرمه.

(أ) بَلَنْسِيَــــةٌ إذا فكّرتَ فيهـــا   وفي آياتِهـــا أسنـــى البـلادِ[١].
وأعظمُ شاهِـدي منهـا عَلَيْهـا   بـــأنّ جمالَهـــا للعَيْن بـــادِ[٢]؛
كساهـــا ربُّنـــا ديبـــاجَ حُسْنٍ   لــــه عَلَمان من بَحْرٍ وواد[٣].

(ب) أديراها عـلى الروضِ المُنَدّى   وحُـكْمُ الصُّبْحِ في الظلماء ماضي[٤]
وكأس الراح تنظُر عن حَباب   ينوب لنـا عنِ الحَدَق المِراض[٥].
ومـا غَرَبَتْ نجوم الأُفـق لكن   نُقِلْن من السماء إلى الرياض[٦].

(جـ) نُثِرَ الوردُ بالخليـجِ وقـدْ دَرَّ   جَـهُ بالهُبوبِ مَرُّ الريـاحِ[٧]؛
مِثْلَ دِرْعِ الكَمِيِّ مَزَّقَها الطَّعْـ   ـنُ فسالـت بها دِماء الجِراحِ[٨].

(د) ولَيْــــلٍ قطعــــتُ دياجيرَهُ   بعَـذْراءَ حَمْراءَ كالعَنْـدَمِ[٩].
أُديرَتْ كواكـــبُ أقداحِهـا   عـــليّ فأغْرَبْتُهـــا في فَمي[١٠].
فقـال- وقـد طـارَ من خِيفَةٍ-   وإصْباحُــــه واضـــحُ المَبْسِمِ:
رأيتُـــك تَشْرَبُ زُهْرَ النُّجومِ   فولّيـتُ خَوْفاً عـلى أنْجُمي[١١]!

---

(١) أسنى: أكثر نوراً وإشراقاً. الآيات: العجائب، الأمور الغريبة العظيمة.
(٢) - وأعظم ما يمكن أن أستشهد به على جمالها مأخوذ منها نفسها، وهو أن جمالها ظاهر للعيون.
(٣) الديباج: ثوب منسوج كلّه من حرير. العلم: رسم في الثوب. الوادي: النهر.
(٤) - يا ساقيان، أديرا الراح (الخمر) على الروض المندّى (ونحن جلوس فيروضة في الصباح الباكر لم يجفّ الندى الذي نزل فيها في الليل بعد). وحكم الصبح في الظلماء ماض: نور الصباح يطرد ظلام الليل.
(٥) يشبّه الفقاقيع التي تطفو على وجه كؤوس الخمر بعيون تنظر إلى الشاربين، تقوم (لجمالها) مقام الحدق (العيون) المراض (الناعسة).
(٦) لمّا طلع الصبح واختفت نجوم الليل، فإن نجوم الليل لم تغب ولكنّها نزلت واستقرّت في روضتنا (كناية عن الأزهار، أو كناية عن الفقاقيع التي تطوف على الخمر في الكؤوس).
(٧) الخليج: النهر.
(٨) الكميّ: الشجاع.
(٩) الديجور: الظلام. العذراء: الخمر (إذا شقّ عنها الدنّ- خابية الخمر- للمرة الأولى). العندم: دم الأخوين أو البقم (نبات ثمره شديد الاحمرار).
(١٠) أغربتها (جعلتها تغرب) في فمي (يقصد: شربتها).
(١١) - رأيتك تشرب خمراً يطفو على وجهها فقاقيع (كالكواكب) فخفت أن تشرب نجومي أيضاً.

- وله في الغزل والنسيب وما يلحق بها:

(أ) عَذيري من هضيمِ الكَشْحِ أحْوى رخيمِ الدَّلِّ قد لَبِسَ الشَّبابا[١]،
أعَـدَّ الهَجْرَ هاجِرَةً لقَلْبي وصَيَّر وَعْدَه فيها سرابا[٢]!

(ب) وأغيدٍ طاف بالكؤوسِ ضُحىً وحثَّها والصباحُ قد وَضَحا.
والروض أهدى لنا شقائقَهُ، وآسُه العنبريُّ قد نفحا.
قلنا: وأين الأقاح، قال لنا: أودعْتُه ثَغرَ من سقى القَدحا.
فظلَّ ساقي المُدام يجحد ما قال، فلمَّا تبسَّم آفتَضحا.

(جـ) ومرتجَّةِ الأطراف أمَّا قَوامُها فلَدْنٌ وأمَّا رِدْفها فرَداحُ[٣]،
ألَمَّتْ فبات الليلُ، من قِصَرٍ بها، يطيرُ ولا غَيْرَ السرور جَناحُ[٤]
فبتُّ وقد زارَتْ بأنعَمِ ليلةٍ يُعانقني حتى الصباحِ صَباحُ[٥].
على عاتقي من ساعدَيْها حمائل وفي خصرها من ساعِديَّ وِشاحُ[٦].

(د) سَقَتْني بيُمْناها وفيها فلم أزلْ يُجاذِبُني من ذاكَ أو هذهِ سُكْر.
تَرَشَّفْتُ فاها إذ تَرَشَّفْتُ كأسَها؛ فلا، والهوى، لم أدرِ أيُّهما الخَمْرُ!

- ولابن الزَّقاق موشَّحة منها:

---

(١) عذيري= عاذري: من يكون عاذري ولا يلومني (في ما أعمل). هضيم (نحيل، ضامر) الكشح (وسط الجسم). أحوى: أسمر الشفة. رخيم (ناعم) الدلّ (الدلال، الغنج).

(٢) الهاجرة: نصف النهار، شدّة الحرّ- هجره (ابتعاده عنّي) كالحرّ الشديد لقلبي. السراب: لمعان يُرى من بعيد كأنّه ماء. وَعْدُهُ سراب: لا يفي بوعد (لكنّه يُطمع المحبّين بوعوده).

(٣) مرتجّة الأطراف: مهتزّة، متمايلة (كناية عن ليونة الجسد وعن الشباب). لدن: ليّن، طريّ. الردف: الورك، الألية. رداح: متّسع، ثقيل.

(٤) ألمّ: نزل، جاء (ضيفاً)، زار. من قِصَرٍ بها: يبدو قصيراً لأنّها معي.

(٥) أنعم ليلة: أكثر الليالي نعمة عليّ. الصباح: أول النهار. صباح: فتاة جميلة تشبه الصباح (ببياضها وحسنها).

(٦) الساعد= الذراع (من المرفق إلى طرف الأصابع). الحمائل جمع حمالة (بكسر الحاء): علاقة (بكسر العين) سير من جلد يعلّق به السيف إلى الكتف أو العنق. الوشاح: قطعة من جلد أو نسيج تشدّها المرأة على كتفيها وخصرها.

خُـذْ حديـثَ الشوقِ عن نَفَسي وعنِ الدمــعِ الـذي هَمَعـا[1].

★ ★ ★

مـــــا تَرى شوقي قـــدِ اتّقـــدا
وهَمَـــــــى بالدمـــــــعِ واطّردا
واغتــــدى قلــــبي عليـــكَ سُدى؟
آهِ من مـــــاءٍ ومن قَبَسٍ بـــينَ طَرْفي والحَشا جُمِعـا[2].

★ ★ ★

بأبي رِيمٌ إذا سَفَرا
أطلعـــــــــــــتْ أزرارُهُ قَمَرا.
فاحْـــــــــــذَروه كُلَّما نَظَرا؛
فبألحـــــاظِ الجفونِ قِسِي أنـا منهـا بعضُ من صُرِعا[3]!

- وقال في الخمر والغزل:

وساقٍ يَحُثُّ الكأسَ حتّى كأنّما تـلألأ منها مِثْلُ ضوءِ جَبينـهِ.
سقاني بها صِرْفَ الحُمَيَّا عَشِيَّةً، وثَنّى بأُخرى من رحيقِ جُفونـــه[4].
هضيمُ الحَشا ذو وَجْنَةٍ عَنْدميَّةٍ تُريكَ جَنِيَّ الوردِ في غيرِ حِينـــه[5].

---

(١) همع: سال.
(٢) اتّقد: توقّد، اشتعل. همى: سقط (بكثرة). اطّرد: توالى، تتابع. واغتدى (عطف) قلبي عليه سدى (بلا فائدة). القبس: شعلة من النار تقتبس (بالبناء للمجهول: تؤخذ. تشعل) من نار مشتعلة. الطرف: العين.
(٣) الريم: الغزال الأبيض. سفر: كشف عن وجهه، ظهر. الأزرار: مدخل الثوب في العنق. قسي = قسيّ جمع قوس (ترمى منه السهام). صرع: قتل.
(٤) الحميّا: الخمر. الصرف: غير الممزوجة بالماء. من رحيق جفونه- من خمر عينيه (أسكرني بنظره إليّ).
(٥) هضيم الحشا: نحيف الخصر. عندمية: حمراء كالعندم (نبات شديد الحمرة). جنيّ الورد: الورد المقطوف حديثاً.

فأشْرَبُ من يُمْنـاه ما فوق خَدِّه   وألْثِمُ من خَدَّيْهِ مـا في يَمينه[1].

٤- ديوان ابن الزقّاق البلنسيّ (تحرير غارثيا غومس) مدريد ١٩٣٤ م، ١٩٥٦ م؛ (تحقيق عفيفة محمود ديراني)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م.

** المغرب ٢:٣٠-٢٣٨؛ المطرب ١٠٠ - ١١١؛ التكملة رقم ١٨٤٤؛ الذيل والتكملة ٥: ٢٦٥ - ٢٦٨؛ الخريدة (المغرب والأندلس). ٣: ٥٦٤ - ٥٦٨؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٤٧ - ٦٥٣ ثم ٦٦٥ - ٦٦٦؛ فوات الوفيات ١: ٧٧ - ٧٩؛ شذرات الذهب ٤: ٨٩؛ نفح الطيب ٣: ١٩٩ - ٢٠٠، ٢٨٩ - ٢٩١، ٤١٤ - ٤١٥، ٤: ١٥٨ - ١٥٩، ٢٩٨ - ٣٠٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧١؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٨١؛ نيكل ٢٣١ - ٢٣٣؛ مختارات نيكل ١٥٤ - ١٥٥ (ذكر باسم ابن القزّاز)؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٢٨ (٤: ٣١٢).

أبو الصلت بن عبد العزيز الأندلسي

١- هو أبو الصَلْتِ أُمَيَّةُ بنُ عبدِ العزيز بن أبي الصَلتِ، وُلِدَ في دَانِيَةَ بِشَرْقِ الأندلُس سَنَةَ ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) ودَرَسَ على جماعةٍ منهم أبو الوليد الوَقَّشيّ قاضي دانيةَ.

ولـمّا آستَوْلى المرابطون على الأندلس بارَحَها أُميّةُ في أهل بيتِه إلى مِصْرَ فوصل إليها يوم الأضْحى من سَنَةِ ٤٨٩ (١٠٩٦/١١/٢٧ م)، في أيام الآمرِ الفاطميّ أبي عليّ المنصور. واتّصل أُميةُ برجلٍ اسمُهُ تاجُ المَعالي كان من خَواصِّ الأفضَلِ شاهنشاهَ آبن بَدْرٍ وزيرِ الآمرِ. وقدّمه تاجُ المعالي إلى الأفضلِ فَحَظِيَ أُمّيةُ عندَه. ولكنّ ذلك ساء كاتباً لدى الأفضلِ فأضمَرَ لأميةَ المكروهَ. ثم إن الأفضلَ تغيّر على تاجِ المعالي فَقَبَضَ عليهِ وعلى أُميةَ وسَجَنَهُا، سَنَةَ ٥٠٢ هـ. وقيل إن سَجْنَ أُميةَ كان لأن مَرْكَباً كان مُحمّلًا بالنُحاسِ غَرِقَ في ميناء الإسكندرية، فقال أُميةُ للأفضلِ إنه قادرٌ على إخراجه. وقدّم الأفضلُ لأميةَ جميعَ ما طَلَبَ من المُعَدّاتِ والأموال. ولكنّ أمية خابَ

---

(١) أشرب من الكأس التي في يمينه خمراً كخدّه وأقبّل وجنته فأجد تقبيلها لذيذاً كالخمر التي يحملها بيده.

في ذلك (راجع طبقات الأطباء ٢: ٥٣ وتاريخ العلوم عند العرب٢٢٨-٢٢٩).

وبعدَ ثلاثةِ أعوامٍ وشهرٍ، في ٥٠٥ هـ (١١١١ م)، خرجَ أميةُ من السِجْن. وبعدَ مدةٍ ذهبَ إلى تُونِسَ فاستقبلَه أبو طاهرٍ يحيى بنُ تميمِ بنِ المُعزِّ بنِ باديسَ.

وتُوُفّيَ أُميةُ في مدينةِ بِجايةَ في عاشر المُحرَّمِ من سَنَة ٥٢٩ (٣٠/١٠/١١٣٤).

٢ - بَرَعَ أُميّةُ بنُ عبدِ العزيز في الطِبّ والفلك وفي الفلسفة وفي الطبيعيّات والرياضيّات والموسيقى. ومعَ ذلك فقد كان قديراً في فنون الأدب: كان شاعراً مُكثِراً آختارَ له العِمادُ الأصفهانيُّ في الخَريدة (قسم المغرب ١: ١٨٩ - ٢٧٠) نحوَ ألفٍ ومائةِ بيتٍ على جميع حروفِ الهجاء، ما عدا الذالَ (أختَ الدال) والواوَ، قصيداً ورجَزاً، ومن أبواب الشعر المختلفة من المديح والتّهْنئة والرِثاء والهِجاء والوصف والخمر والغزَلَيْن والنسيبِ (مَعَ شيءٍ من الدُّعابة، والمُجونِ أحياناً) والأدبِ والحكمةِ والإخوانيّات والألغاز. وله المقاطعُ القِصارُ والقصائدُ الطوال. ثمّ هو ناقدٌ بارعٌ في شِعْرِه وفي نثرِه. قال مَثَلًا (الخريدة، قسم المغرب ١: ٢٥٩):

جَرِّدْ مَعاني الشعرِ، إنْ رُمْتَهُ كَيما تُوَقّى اللّوْمَ والطَعْنا.
ولا تراعِ اللفظَ مِنْ دُونِها؛ فاللفظُ جِسْمٌ روحُه المَعْنى.

ولأُميّةَ بنِ عبدِ العزيزِ اللّفْتةُ التاليةُ في النقدِ (الخريدة - قسم المغرب ٢: ٣١):

وقال (المعتمد بن عبّاد) في جاريةٍ يُحِبّها، وهي بينَ يَدَيْهِ تَسْقيهِ والكأسُ في يَدِها، إذْ لمعَ البرقُ، فارتاعتْ فقال:

روّعَها البرقُ، وفي كَفِّها برقٌ من القَهْوةِ لَمّاعُ[1].
ياليتَ شِعْري - وَهْيَ شمسُ الضُحى - كيف من الأنوار ترتاع.

(واتّفق أنّ المعتمدَ بنَ عبّادٍ أنشدَ البيتَ الأوّلَ أمامَ عبدِ الجَليل بنِ وَهْبونٍ وطلَب منه أنْ يُجيزَه). فقال ابنُ وهبونٍ:

(١) القهوة: الخمر المطبوخة بالنار.

ولن ترى أعجَبَ من آنسٍ[1] من مِثْلِ ما يُمْسِكُ يرتاعُ[2].

فقال أبو الصلتِ في (كتابهِ) الحديقة:

هذا البيتُ (لابنِ وهبونٍ) أجودُ، لِجَوْدةِ ترتيبِ اللفظِ مَعَ جَوْدةِ المعنى، وللمُطابقة (التضادُّ التامُّ، في البلاغة) بَيْنَ لَفْظَيِ الأُنسِ والارتياعِ وتشبيهِ لَمَعانِ الخمرِ بلَمَعانِ البرقِ، وإن كان بيتُ الأميرِ (المعتمدِ بنِ عبّاد) جيّداً.

وكان له من الكُتب: الرسالة المِصْرية (ذكر فيها ما رآه في مِصْرَ من هَيْئتِها وآثارِها وذَكَرَ مَنِ اجتمع بهم فيها من الأطِبّاء والمُنجِّمينَ والشُعراء وغيرِهم من أهلِ الأدب. وقد ألّف هذه الرسالةَ لأبي الطاهرِ يحيى بن تميم)- كتاب الأدويةِ المُفْردة (على ترتيبِ الأعضاء المتشابهة الأجزاء، وقد رتّبه أحسنَ ترتيبٍ)- المُلَحُ العصريةُ من شعراء أهلِ الأندلس والطارئين عليها - رسالة في الموسيقى - كتاب في الهندسة - رسالة في العمل بالأسطرلاب- تقويم منطق الذهن (طبقات الأطبّاء ٢ : ٦٢). وله أيضاً: ديوانُ شعرٍ كبيرٌ، كتاب الديباجة في مفاخر صنهاجة- ديوان رسائل- الحديقة في مختار أشعار المحدثين (معجم الأدباء ٧ : ٦٤).

٣- مختارات من شعره:

- قال أُميّةُ بنُ عبدِ العزيز يَصِفُ الثُريّا[3]:

رأيتُ الثُريّا لها حالتانِ منظرُها فيهما مُعْجِبُ:
لَها عندَ مَشْرِقِها صورةٌ يُريكَ مُخالِفَها المَغْرِبُ[4].
فتطلُعُ كالكأس إذ تُسْتَحَثُّ وتَغْرُبُ كالكأس إذ تُشْرَبُ[5]!

---

(١) ترتاع: تخاف.

(٢) آنس (يسكن مع الإنس، مطمئنّ). من مثل ما يمسك (الخمر التي يحملها في كفّه).

(٣) الثريّا مجموعة نجوم يُرى منها سبعة نجوم بالعين المجرّدة.

(٤) شكلها في رأي العين مختلف حينا تطلع (في المشرق) منه حينا تغرب (في المغرب).

(٥) حينا تطلع ترى طويلة (كالكأس المحمولة في الكفّ) وحينا تغرب ترى مائلة وقصيرة (كالكأس حينا يشرب الشارب بها).

- شكوى:

مارستُ دهري وجرّبتُ الأنامَ فلم ... أحْمَدْهُمُ قطُّ في جِدٍّ وفي لَعِبِ.
وكم تَمنّيتُ أن ألقى به أحداً ... يُسْلي من الهَمّ أو يُعدي على النُّوَب[١]:
فما وجدتُ سِوى قومٍ، إذا صَدَقوا ... كانت مواعيدُهم كالآلِ في الكَذِبِ[٢].
وكان لي سَبَبٌ قد كنتُ أحسَبُهُ ... أحْظى بِه، فإذا دائي من السَبَبِ[٣]:
فما مُقَلِّمُ أظفاري سوى قَلَمي، ... ولا كتائبُ أعدائي سِوى كُتُبي[٤]!

- من قصيدةٍ في مدح أبي الطاهر يحيى بن تميم (وفيها نفحةٌ من أبي فراس):

فلم أسْتَسِغْ إلا نَداه ولم يكُنْ ... لِيَعْدِلَ عندي ذا الجنابَ جنابُ[٥].
فما كلّ إنعامٍ يَخِفُّ احتمالُه، ... وإنْ هَطَلَتْ منه عليّ سَحاب[٦].
ولكنْ أجلُّ الصُنْعِ ما جَلَّ ربُّه ... ولم يأتِ بابٌ دونَه وحِجاب[٧].
وما شِئتُ إلّا أن أدُلَّ عواذلي ... على أنّ رأيي في هَواك صَواب[٨]،
وأعْلَمَ قوماً، خالفوني وشرّقوا ... وغرّبتُ؛ إنّي قد ظَفِرتُ وخابوا[٩]!

- وقال أُميّةُ بنُ عبدِ العزيز يمدَحُ يحيى بنَ تميمِ بنِ المُعزِّ الصِنهاجيَّ (حَكَمَ المَهْديّةَ من سَنَةِ ٥٠١ إلى سَنة ٥٠٩ هـ). والظاهرُ أن هذه القصيدةَ في مدحِ وَلَدِه عليٍّ

---

(١) يُسلي (ينسي)... يُعدي (ينصر، يساعد) على النوب (جمع نائبة: مصيبة).
(٢) الآل: السراب (يرى من بعيد كأنّه ماء، فإذا جئته لم تجده شيئاً).
(٣) سبب أحظى (أنال حظوة، مكانة عند الناس): شعري وعلمي.
(٤) مقلّم أظفاري (مانعي عن نيل حقّي).
(٥) لم استسغ: (أره سهلاً في حنجرتي) لم أحتمل نداه: كرمه وجوده. يعدل: يساوي الجناب: جانب الأرض، البلد.
(٦) هطل: كثر سقوط المطر (منه).
(٧) أجلّ (أعظم) الصنع (المعروف) ربّه: صاحبه (المنعم بالمعروف). لم يأت بابٌ... الخ.: لم يكن الوصول إليه صعباً.
(٨) عواذلي: الذين لاموني (في قصدك بالمديح).
(٩) هم ذهبوا إلى المشرق ليمدحوا ملوكه فخابوا، وأنا أتيت إلى المغرب (لأمدحك) فظفرت (نلت ما أمّلته).

المتولّي بعدَه، من سَنةِ ٥٠٩ إلى سَنَة ٥١٥ هـ (راجع الخريدة، قسم المغرب ١ : ١٩٣، الحاشية الرابعة):

وما أعترفَ المجدُ إلّا لكم، فليس إلى غيرِكُمْ يُنْسَبُ[١].
توارَثْتُموهُ أباً عن أبٍ كما اطّردَتْ في القَنا الأكْعُبُ[٢].
إذا بلدٌ ضاق عن آملٍ فَعِنْدَكُمُ البلدُ الأرْحَبُ[٣]،
بحيثُ يُنادي النّدى بالعُفاةِ: هَلمّوا فقد طَفَحَ المشربُ[٤].
دنا كَرَماً ونأى هَيْبَةً فتاهَ بهِ الدَّسْتُ والمَوْكِبُ[٥]؛
وسالتْ نَدًى وردًى كَفُّه: فهذا يُرجّى وذا يُرْهَبُ[٦].

- وله رَجَزٌ يشكو فيه البراغيثَ وفعلَها في جسدِه:

وليلةٍ دائمةِ الغُسوقِ بعيدةُ المَمْسى من الشُّروقِ[٧]،
كليلةِ المُتَيَّمِ المَشوقِ أطالَ في ظلمائها تأريقي[٨]
أخبثُ خلقٍ للأذى مخلوقِ. يرى دَمي أشْهى من الرَّحيقِ[٩]،
يَعُبُّ فيه غيرَ مُستفيقِ. لا يتركُ الصَّبوحَ للغَبوقِ[١٠].

---

(١) المفروض أن المشرق كان عند المغاربة أفضل من المغرب. الشاعر الآن يقول: إنّ وجود هذا الممدوح جعل المغرب أفضل من المشرق. المطنب: المبالغ.

(٢) القناة: القصبة. الكعب (العقدة في القصبة). اطّرد: تتابع على استواء. (كلّ واحد منكم كان مثل كلّ سلف من أسلافه).

(٣) الأرحب: الأوسع.

(٤) الندى: الجود، الكرم. العافي: الذي يطلب المعروف. المشرب: المكان الذي يشرب الناس منه. طفح المشرب (كناية عن الخير الكثير والكرم الكثير عند الممدوح).

(٥) تاه: أعجب (بالبناء للمجهول) بنفسه. الدست: كرسيّ الحكم. الموكب (الذهاب إلى الحرب؟).

(٦) الردى: الموت.

(٧) الغسوق: الإظلام (اشتداد الظلام).

(٨) المتيّم: الذي تيّمه (أمرضه) الحبّ. التأريق (منع النوم).

(٩) الرحيق: الخمر الصافية.

(١٠) عبّ: شرب ملء فمه. غير مستفيق (غير واعٍ، مستمرّ في العبّ). الصبوح والغبوق (شرب الخمر صباحاً ومساءً). لا يترك الصبوح للغبوق (يتّصل شربه الخمر من الصباح إلى المساء ومن المساء إلى الصباح).

لو بِـــتَّ فوقَ قِمّـــةِ العَيّوق	مـا عاقَه ذلك عن طُروقِ[1] .
كعاشقٍ أسرى إلى معشوق.	أعلَمُ من بُقْراطَ بالعُروق[2] :
من أكحـــلٍ منهـــا وباسِليـــقِ	يَفصِدُها بِمِبضَعٍ رَقيق[3]
من خَطْمِــه المُــذَرَّبِ الذَّليـــق	فَصْدَ الطبيبِ الحاذقِ الرفيق[4] .

- وفيما يلي عدد من المقاطع الجياد لأميّة بن عبد العزيز:

١- جـــدَّ بقلـــبي وعبـــثْ	ثم مضى ومـــا اكـــترثْ.
واحَرَبَـــــــا مِن شادنٍ	في عُقَـــدِ الصـــبر نَفَـــث[5].
يقتُـــــــلُ مَن شاء بعَيْـ	ـنَيْـــهِ، ومَن شاء بعـــث.
فـــــأيَّ ودٍّ لم يخُنْ؟	وأيَّ عهـــدٍ مـــا نكـــثْ؟

٢- وقائلة: «ما بالُ مِثْلِكَ خامِلاً،	أأنتَ ضعيفُ الرأيِ أم أنت عاجزُ؟»
فقلتُ لها: «ذنبي إلى القوم أنّني	لِما لم يحوزوه من المجدِ حائز.
وما فاتني شيءٌ سوى الحظِّ وحــدَه،	وأمـا المعالــي فهي عندي غرائزُ!»

٣- إذا كـان أصلي مِن تُرابٍ فكلُّها	بـلادي، وكـلّ العالمين أقاربي*.

٤- سكنتُـكِ يا دارَ الفنـاء مُصَدِّقاً	بأنّي إلى دارِ البقـاء أصيرُ[6].
وأعظمُ مـا في الأمرِ أنّيَ صائر	إلى عـادلٍ في الحكم ليس يجور[7].

---

(١) العيّوق: نجم. عاقه: أخّره. الطروق: الطلوع (الوصول إليّ).
(٢) أسرى: سار ليلاً (المحبّ يهتدي إلى محبوبه في جميع الأحوال). بقراط طبيب يوناني قديم كان بارعاً في التطبيب.
(٣) الأكحل (الأزرق): وريد يحمل الدم الوسخ إلى القلب والرئتين لينقى. الباسليق (يبدو أنّه من العروق التي تحمل الدم).
(٤) السيف الذرب: الحادّ، الماضي، القاطع. اللسان الذلق: الطلق البليغ.
(٥) الشادن: الغزال الصغير. نفث: تفل، بصق، (كانت الساحرات يتمنّين لشخص أمنية شرّ في الأكثر ثم ينفثن عليها ليربطن المسحور). نفث في عقد الصبر (جعلني مربوطاً بالصبر: أصبر ولا أصل إلى ما أرغب فيه) أو هو جعلني لا أصبر عن حبه.
* راجع ص ٩٣.
(٦) دار الفناء (هذه الدنيا). دار البقاء (الآخرة).
(٧) إلى عادل (إلى الله). يجور: يظلم.

فيا ليت شِعري، كيف أُلقاه عِندَها   وزادي قليلٌ والذنوبُ كثير[1].
فإن أكُ مَجْزِيًّا بذنبي فإنّني   بشَرِّ عِقابِ المُذنبينَ جَدير[2].
وإن يكُ عفوٌ منه عنّي ورحمةٌ   فثَمَّ نعيمٌ دائمٌ وسرور[3].

٥ - ومُهفهفٍ شَرِكَتْ محاسنُ وجهِهِ   ما مَجَّهُ في الكاس من إبريقِهِ[4]:
فِفعالُها من مُقلَتَيْهِ، ولونُها   من وجنتَيْهِ، وطعمُها من ريقِه[5].

٤ - الرسالة المصرية (مطبوعة في نوادر المخطوطات: (نشرها عبد السلام محمّد هارون)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م.
- تقوم الذهن، مجريط ١٩١٥ م.

** معجم الأدباء ٧: ٥٢ - ٧٠؛ المغرب ١: ٢٥٦ - ٢٥٧؛ المقتضب من تحفة القادم ١٣؛ الخريدة (المغرب) ١: ١٨٩ - ٢٧٠؛ ابن الأثير ١١: ١٨؛ وفيات الأعيان ١: ٢٤٣ - ٢٤٧، ٤٦٥؛ طبقات الأطبّاء ٢: ٥٢ - ٦٢؛ نفح الطيب ١: ٤٩٦ - ٤٩٨، ٢: ١٠٥ - ١١٠، ٣: ٤٨٠ وما بعد (مختارات)؛ شذرات الذهب ٤: ٨٣ - ٨٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٤٩؛ بروكلمن ١: ٦٤١، الملحق ١: ٨٨٩؛ مختارات نيكل ١٦٠ - ١٦٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٦٣ - ٣٦٤ (٢: ٢٣)؛ سركيس ٣٢٠.

الفتح بن خاقان الإشبيليّ

١ - هُوَ أبو نَصرٍ الفَتْحُ بنُ محمّدِ بنِ عُبَيْدِ اللهِ..... بنِ محمّدِ بنِ خاقانَ القَيْسِيُّ الإشبيليّ، وُلِدَ في قرية يُقالُ لها صَخرةُ الوَلَدِ قُرْبَ قلعة يَحْصُبَ من أعمال غَرْناطة.

ويبدو أنه نَشأ فقيراً مُهْمَلًا فشبَّ شِرّيراً ناقِماً مُغامِراً خَليعَ العِذار كثيرَ الأسفار سريعَ التنقّل، لا يُقيم وَزْناً لفضيلةٍ ولا يُراعي حُرْمةً لذي مكانة. على أنّه كان وافرَ الذكاء والنشاط.

---

(١) زادي (من التقوى والأعمال الصالحة).
(٢) جدير: خليق، مستحقّ.
(٣) ثَمّ: هنالك (في الآخرة).
(٤) المهفهف: الضامر البطن الدقيق الخصر. فعل جمال وجهه فعل الخمر. مجّه: لفظه، أخرجه، صبّه. إبريقه (إبريق الخمر).
(٥) ففعالها: فعال الخمر (الإسكار).

وقد تَلَقّى الفتحُ بنُ خاقانَ شيئاً من فنونِ الأدبِ على ابنِ عبدونٍ (ت ٥٢٩ هـ) وعلى ابنِ السِيّد البَطَلْيَوْسيِّ (ت ٥٢١ هـ) خاصّة. ثُمّ كتب لنَفَرٍ من الوُلاةِ، ولكنْ لم يَكُنْ يَسْتَقِرُّ عندَ أحدٍ منهم إلاّ قليلاً، لأنّه كان يُصْرَفُ من الخِدْمة وشَيكاً لانغِماسهِ في الشَهَوات واسْتِهْتاره بها ولِجُرأته على الناس بالهِجاء والثَّلْبِ. وقد كَتَبَ مدّة يسيرةً لوالي غَرْناطة أبي يوسفَ تاشفينَ بن عليٍّ ثمّ انصرفَ من عِنْده لاستئنافِ تَطَوُّفه حتّى وَصَل إلى مرّاكُشَ.

وفي ٢٢ من المُحَرَّمِ من سَنَة ٥٢٩ (١٣/١١/١١٣٤ م) قُتِلَ الفَتْحُ بنُ خاقانَ في فُنْدُقٍ كان يَنْزِلُ فيه في مدينة مرّاكش، قِيلَ بتحريضٍ من سُلطانِ المُرابطين أبي الحسنِ عليِّ بنِ يوسفَ بن تاشفين.

٢ - كان الفتحُ بنُ خاقانَ أديباً بارعاً كثيرَ التكلّف في الصِناعة حاذقاً في التلاعُب بالألفاظِ وفي اقتناصِ التشابيهِ والاسْتِعارات. أمّا شِعْرُه فقليلٌ جدًّا عاديُّ المعاني مَعَ لَمَحاتٍ عارضةٍ.

وتَقومُ شُهْرَةُ الفتحِ بن خاقانَ على كتابين له، هُما:

« قلائِدُ العِقْيانِ »، وقد ألّفه بين سَنَةِ ٥٠٦ وسنة ٥٢١ هـ وقدّمه إلى الأمير أبي إسْحقَ ابراهيمَ ابنِ يوسفَ بن تاشَفين. أحبّ الفتحُ بنُ خاقانَ أن يُقَلّدَ ابنَ بسامٍ في « الذخيرة » باختياراتٍ من أشعارِ مُعاصريهِ مَعَ نُتَفٍ طريفةٍ من أحْداثِ حَياتِهِمْ، من غيرِ التزامِ مِنْهاجٍ أوِ اسْتقصاء، مَصوغةً في نَثْرٍ فَنّي أنيقٍ. غيرَ أنّه قصّرَ عنِ ابنِ بسّامٍ في أمرين: في الإحاطةِ بالشعراء من مُعاصريه ثمّ في التزام التقسيمِ الجُغْرافي والاجْتِماعيّ (راجع الكلام على ابن بسام). عندئذٍ كتبَ الفتحُ بنُ خاقانَ إلى نَفَرٍ من مَشاهيرِ عَصْرِه (وأغنيائه) يَطْلُبُ منهم شَيْئاً من شِعْرِهِمْ خاصةً، فمن لَبّاه منهم سريعاً وأعطاهُ كثيراً ذَكَرَهُ ذِكراً حَسَناً، وإلاّ أهْمَلَهُ أو أساء ذِكْرَه. ويَسْتَشْهِدونَ في هذا البابِ بابن باجّه، فقدْ أساء الفتحُ ذِكْرَهُ في القَلائِدِ (الترجمة الأخيرة) ثمّ ذَكَرَهُ في « مَطْمَحِ الأنفُس » (بعدَ أنِ اتّقى ابنُ باجّه شرّه، فيما يبدو، بشيءٍ من المال) ذِكراً مُوَرّى: يُمكن أنْ يُفهَمَ على خِلافِ ظاهِره.

أمّا كتاب «مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس» فهو (من حيث أسلوب السرد) على غرار «قلائد العقيان»، ولكن في نفر ماتوا. ولقد حمله الوزير أبو العاص حكم بن الوليد على جمع هذا الكتاب (ص ٢، المقدّمة).

٣- مختارات من آثاره:

- «وأحْسَنُ ما أنشدَه (الفتحُ بنُ خاقانَ) من شِعْره قولُه» (المغرب ١: ٢٥٥):

سَقَى أرْضَ حِمْصٍ بالأصيلِ وبالضُّحى ... سَحابٌ كَدَمعي يَسْتَهِلّ ويَسْجُمُ[١].

ومُدَّتْ بها للرَوْضِ أبرادُ سُنْدُسٍ ... تُطَرِّزُهـا كـفُّ الغَمامِ وتَرْقُمُ[٢].

وحَيّا الحَيا أرْضَ الغُروسِ ورَوْضَهـا ... بحيثُ الْتَوَى فيه من النهر أرْقَمُ[٣]!

- وقال يَصِفُ الحُصْنَ الزاهرَ (في إشبيلية)، في ترجمة المُعْتَمِدِ بن عبّاد (قلائد العقيان ٢٧):

.... وكانَ الحُصْنُ الزاهرُ من أجْمَلِ المواضعِ لَدَيْها وأبْهاها * وأحَبِّها إليه وأشْهاها * لإطْلالهِ على النهر * وإشرافهِ على القَصْر * وجمالهِ في العيون * واشْتِماله بالشَّجَر والزَّيْتون * وكانَ له به من الطَرَب * والعَيْشِ المُزْري بحَلاوة الضَرَب[٤] * ما لم يكن يُجْلَبُ لبني حَمْدان * ولا لِسَيْفِ بنِ ذي يَزَنَ في رأسِ غُمْدان[٥] * وكان كثيراً ما يُدير به راحَهُ[٦] * ويَجْعَل فيه انْشراحَه * فلمّا اسْتَدَّ إليه الزمانُ

---

(١) حمص: إشبيلية. الأصيل: بين العصر وغياب الشمس. الضحى: بعد قليل من ارتفاع الشمس. استهلّ (الدمع والمطر) بدأ يسقط. سجم: كثر سقوطه.

(٢) البرد: الثوب. السندس: ثوب رقيق من الحرير. رقم فلان الثوب: جعل فيه علامات ونقوشاً (أنبت المطر في الروض أنواعاً مختلفة من النبات).

(٣) حيّا: ألقى التحيّة والسلام. الغروس (؟). الأرقم: الحيّة (الشاعر هنا يشبّه النهر في سيره المتعرّج بالحيّة في سيرها المتلوّي).

(٤) المزري: الذي يزري (يعيب). الضرب: العسل.

(٥) بنو حمدان: قوم سيف الدولة حكّام الموصل وحلب. ذو يزن من ملوك اليمن. غمدان أسم قصر في اليمن.

(٦) الراح: الخمر.

بعُدْوانهِ[1] ★ وسَدّ عليه أبوابَ سُلوانهِ[2] ★ لم يَحِنَّ إلاّ إلَيْه ★ ولم يَتَمنَّ إلاّ الحُلول لَديه ★ فقالَ (المعتمد بن عبّاد):

غريــبٌ بـأرضِ المَغرِبَيْنِ أسيرُ   سَيَبْكي عليــــه مِنْبَرٌ وسَريرُ

- من أُسلوب الفتح بن خاقان (من مقدّمة « قلائد العقيان »):

الحمدُ لله الذي راضَ لنا البيانَ حتّى انقاد في أعِنَّتنا وشادَ مثواه في أجِنَّتِنا[3]، وذلّل لنا من الفصاحة ما تصعَّب فملكناه وأوضح لنا من مُشكلاتِها ما تشعَّب فسلَكْناه، فصار لنا الكلام عبداً يجيب إذا ناديناه وسهماً يصيب الغَرَضَ إذا رَمَيْناه... وبعدُ، فإنّ الأدبَ أجلُ ما ٱلْتَحَفَتْه الهِمّة وعرَفته هذه الأمّة. فإنّه مُطْلِقُ اللسانِ من عِقالٍ ومُنْطِقُ الإنسانِ بصوابِ المقال. وله من النَثْر والنظم نَجْمانِ صارت القلوبُ لهما فلَكاً والخواطر مسلَكاً..... ولـمّا رأيت عِنانَه في يدِ الامتهان ومَيْدانَه قد عُطِّلَ من الرِهان، وبواتِرَه قد صَدِئَتْ في أغمادِها وشُعَلَه قد قَذِيَتْ[4] برَمادها، تداركتُ منه الذَّماءَ الباقِيَ وتلافَيْتُ له نَفْساً قد بَلَغَتِ التراقِيَ[5] وانتخبتُ منه لُمَعاً كالسيوف المُرْهَفَةِ والشفوفِ المُفَوَّفة[6]... وانتقيتُ من توليدِه المُخْتَرَعِ وتجديدِه المبتدَعِ لُمَحاً يَهُزّ لها الزمانُ عِطفَه انتشاءً وتَروقُ كالنجوم طَلَعَتْ عِشاءً ...... ليُعْلَمَ أنَ بالأَوانِ افتِناناً جَرَتْ له العوائقُ بَناناً وبياناً[7] فأبقتْ منهم أثراً لا عِياناً[8]،

---

(١) استد (اتّجه على استقامة). العدوان: الاعتداء (بالمصائب).

(٢) السلوان: النسيان، التسلّي عن الهموم.

(٣) العنان: الرسن. أجنّة، جمع جنين: الطفل ما دام في الرحم (بفتح فكسر). شاد (بنى) مثواه (بيته) في أجنّتنا (منذ كنّا أجنّة: قبل أن نولد، منذ زمن قديم).

(٤) ميدانه عطّل من الرهان: توقفّ جري الخيل فيه (خلا من الأدباء). الباتر: السيف. قذيت العين: نشأ فيها قذى (وسخ).

(٥) الذَّماء: بقية الروح في الجسم. بلغت النفس التراقي (أعلى الصدر) أصبح موت صاحبها قريباً.

(٦) المرهفة: الرقيقة، الماضية، القاطعة. الشفّ (بفتح أو بكسر): النسيج الرقيق. المفوّف: المختلف الألوان.

(٧) افتنان: تفنّن، تنوّع. البنان (رؤوس الأصابع) والبيان (وضوح التدبير). بنانا وبياناً (؟) كتابة وإنشاداً.

(٨) الأثر: العلامة الباقية بعد زوال الشيء. العيان: الشيء الماثل يرى بالعين.

ورِجالاً لم تَفْسَحْ لِإبداعِهم مجالاً .... فأظهرتُ ما خَفِيَ من فَخارِهم ودَلَلْتُ على مَراتِبِهم في المعارفِ وأقدارِهم. واستَثْبَتُّ في انتقاءِ من أثْبَتُّ[1]، وانتخبتُ ما جَلَبْتُ وشنَّفت[2] ما صَنَّفت، حتّى أتى وكأنَّ البدرَ في لَبَّتِه[3] ونسيمَ المِسْكِ من هَبّتِه..... ولم يزلْ شخصُ الأدبِ وهو مُتَوارٍ[4]، وزَنْدُه غيرُ وارٍ وجَدُّه عاثرٌ ومَنْهَجُه داثرٌ[5] إلى أن أرادَ اللهُ اعتلاءَ اسْمِهِ وإحياءَ رَسْمِهِ وإنارةَ أُفُقِهِ وإعادةَ رَوْنَقِه، فبعثَ من الأميرِ الأجلِّ أبي اسحاقَ ابراهيمَ بنِ يوسفَ تاشَفِينَ[6] مَلِكاً عَلِيًّا غدَا لِلَبَّةِ المَجْدِ حُلِيًّا...... ولـمّا أنارتْ (به تلك) الآفاقُ وعادَ به كَسادُ الفضل إلى النَّفاق[7] ، رأيتُ أن أخدُمَ مَجْلِسَه العالِيَ بِزَفِّ (هذا الكتابِ) إليه.... فوَسَمْتُه بِاسْمِهِ وكَسَوْتُه نُورَ رَسْمِهِ.....

- ومن أسلوبه أيضاً (قلائد العقيان، ص ١٥٤ - ١٥٥)- من ترجمة «الوزيرِ الكاتبِ أبي محمّدِ بنِ سُفيانَ رَحِمَه اللهُ تعالى»:

مَنْ بَلَغَتْ هِمَّتُه السماءَ وجلَتْ أسِرَّتُه[8] الظَّلْماءَ، له الرُّتَبُ المكينةُ وعليه الوقارُ والسكينة. أخْدَمَ يراعَه العواليَ[9] واستَخْدَمَ الأحرارَ والمواليَ، وأقام بدولةِ آلِ ذي النونِ وأقعَدَ وتبوَّأ سِماكَها[10] واقتعدَ. فسَما به قَدْرُها وهَمى بسَيْبِهِ قَطْرُها[11] وحَسُنَتْ

---

(١) واستثبتّ في انتقاء من أثبتّ: طلبت التثبّت (الوثوق) من الأشخاص الذين ضمنتهم كتابي. (في رأيي).

(٢) الشنف (بالفتح): القرط (الذي يعلّق في الأذن): شنّفت الشيء: زيّنته، حلّيته.

(٣) اللبة: أعلى الصدر.

(٤) متوار: محتجب، مختف. زنده (الحديدة التي تقدح بها النار من حجر الصوّان) غير وار (لا يشعل شيئاً)- لا نتاج أدبيًّا فيه.

(٥) داثر: ممحوّ.

(٦) هو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك (والي) شرقيّ الأندلس، وكان أديباً.

(٧) النفاق (بالفتح): الرواج (ضدّ الكساد).

(٨) الأسرّة (هنا) خطوط الوجه (ملامحه).

(٩) اليراع: القلم. العوالي (جمع عالية: صدر الرمح، القسم الأعلى منه): الرماح. (جعل الرماح (الحرب) خدماً (تطيع) قلمه (أوامره) (؟).

(١٠) السماك برج (مجموع نجوم).

(١١) همى (انهلّ، سقط) بسيبه (بعطائه) قطرها (مطرها): كلّ الخير منه.

سيرَها وأمّنتْ غيرَها. وحُمِدَتْ أيامُها ووردَتْ جِمامَ الأماني خيامُها[1]. وله أدبٌ غَضّ المقاطفِ رطْبُ المعاطف. إنْ نَثَرَ فالنجومُ في أفلاكِها أو نَظَمَ فالجواهرُ في أسْلاكِها. قد أخَذَ بمجامعِ القلوبِ كَلِمُه وأغذَّ[2] في طُرُقِ الإبداعِ قَلَمُه. وقد أثبتُّ له ما تستهديه زهراً[3] وترتديه بُرْداً مُحبَّراً[4]. فمن ذلك قولُه يُخاطبُ أبا عيسى بنَ لَبّونَ. وافر[5]:

أبا عيسى، أتذكُرُ حين كُنّا على هامِ الكواكبِ نازلينا،

نَدوسُ بخيلِنا زُهرَ الثُّريّا ونُورِدُها المجرّةَ إن ظَمِينا[6]؛

ونَنْزِلُ جَبْهةَ الأسدِ اعتسافاً إذا ما البدر مرّ بها كمينا[7]؟...

٤ - أنموذج تحليلي يعطي قطعاً من ابن خاقان عن ابن زيدون (هنريكوس انجلينوس وايزر - فايزر)، ليدن (بريل) ١٨٣١ م (١٢٤٧ - ١٢٤٨ هـ).

- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان (المتني بتصححه عبده سليمان الحرائري)، (باريس) ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م)؛ بولاق ١٢٨٣، ١٢٨٤؛ الآستانة ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة التقدّم العلمية) ١٣٢٠ هـ؛ (قدّم له محمد العناني)، تونس (المكتبة العتيقة) ١٩٦٦ م.

- مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس، القسطنطينية ١٢٨٣ هـ؛ القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة ١٣٢٠، ١٣٢٥، ١٣٢٨ هـ.

** المغرب ١ : ٢٥٤ - ٢٥٥؛ خريدة (المغرب والأندلس) ٣ : ٥٣٨ - ٥٤٨ (ترجمة الفتح بن خاقان)، ٢ : ١٧٣ - ٣٣٧ (إشارات متفرّقة)، ٣ : ٣٥٥ - ٥٣٨ (نقول من القلائد في الأكثر ومن المطمح في الأقلّ)؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٦١٠ - ٦٢٤؛ معجم الأدباء ١٦ :

---

(١) ورد: ذهب إلى الماء. الجِمام جمع جمّة (بالضمّ): معظم الماء - هذا تضمين من قول زهير بن أبي سلمى:

فلمّا وردن الماء زرقاً جمامه وضعن عصيّ الحاضر المتخيّم.

(زرقة الماء، هنا، كناية عن صفاء الماء الذي لم يكدّره بعد أحد بالنزول عليه قبلهنّ).

(٢) أغذّ: أسرع.

(٣) زهر (بالفتح) مفرد أزهار (وبالضمّ) جمع أزهر (لامع) كناية عن النجوم.

(٤) حبّر: حبّر البرد أو الثوب: وشاه وطرّزه.

(٥) لأبي عيسى بن لبون ترجمة مفردة (ت بعيد ٤٩٠ هـ). وافر (من البحر الوافر).

(٦) داس: دعس. زهر (بالضمّ) - راجع الحاشية رقم (٣) أعلاه. المجرّة: أمّ النجوم (نجوم كثيرة متقاربة ترى ممتدّة في عرض السماء كأنها نهر. ظميء: عطش (في القافية إقواء: اختلاف).

(٧) اعتسافا: بقوّة وعنف. كمينا (؟): كمين لجميع الإناث الغائبات (من «كمن»: استهتر).

١٨٦ - ١٩٢؛ معجم ابن الأبار رقم ٢٨٥؛ وفيات الأعيان ٤: ٢٣ - ٢٤؛ الذيل والتكملة ٥: ٥٢٩ وما بعدها؛ فوات الوفيات ٢: ١٥٣ - ١٥٤؛ شذرات الذهب ٤: ١٠٧؛ نفح الطيب (نقول منه) ٢: ٦ - ٨، ٧٤ - ٧٥، ٢٤٥ - ٢٤٧، ٤٩٤ - ٤٩٦، ٥٢٣ - ٥٢٨، ٣: ٢٥٩ - ٢٦٠، ٥٤٤ - ٥٤٥، ٥٥٢ - ٥٥٧، ٤: ٢٤ - ٥٥، ١٦٣ - ١٦٥، ٢٠٩ - ٢١٤، ٢١٨ - ٢٤١، ٢٤٨ - ٢٥٧، ٢٧٣ - ٢٨٣، ٧: ١٧ - ٢٤، ٢٩ - ٦١ ثم ٣: ١٨٣ (تعريف به)، ٤: ٧٢ (تقديم « القلائد » للأمير ابراهيم بن يوسف ابن تاشفين)، ثم ٣: ٢٣٢ - ٢٣٣ و٥: ٤٢، ١٣٨ (أخبار عنه) ثم ٣: ٣٢٧ و٦: ٢٢٠ و٧: ٩٧ (فيما يتعلق بأناس قلدوا أسلوبه)؛ أزهار الرياض ٣: ١٠٣ - ١٤٨ (نقول عنه)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٢: ٨٣٦؛ بروكلمن ١: ٤١٣، الملحق ١: ٥٧٩؛ نيكل ٢٢٣ (راجع ٥٣٥)؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٣٣ (١٣٣)؛ بالنثيا ٢٩٦ - ٢٩٩؛ سركيس ١٤٣٤ - ١٤٣٥

ابن عبدون

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ المجيدِ بنُ عبدونٍ الفِهْريُّ اليابُريُّ، نسبةً إلى يابُرَةَ، وهي بلدةٌ في غربيِّ الأندلس على نحوِ مائةِ كيلومترٍ من بَطَلْيَوْسَ غرباً في جَنوبٍ.

يبدو أن مَوْلِدَ ابنِ عبدونٍ كان في منتصفِ القرنِ الخامس الهجريِّ (نحو ١٠٦٠ م). وتلقّى ابنُ عبدونٍ العلمَ على أبي الوليد بن ضابطٍ النحوي المالَقّي، كما روى من الأعلمِ الشَنْتَمَريِّ (ت ٤٧٦ هـ) وأبي مروانَ بنِ سِراجٍ (ت ٤٨٩ هـ) وعاصمِ بنِ أيوبَ البَطَلْيَوْسيِّ (ت ٤٩٤ هـ).

ولَفَتَتْ عبقريةُ ابنِ عبدونٍ نَظَرَ المتوكّلِ عُمَرَ المظفَّرِ بنِ الأفطسِ منذ كان عمرُ يتولّى بَطَلْيَوْسَ مَعَ أخيه يحيى (٤٦٠ - ٤٧٣ هـ) فَقَرّبَ ابنَ عبدون وأكرمه؛ فلَمّا تُوُفّيَ يحيى سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) وانفرد عُمرُ بالحكم اتّخذ ابنَ عبدون كاتباً ووزيراً.

ولـمّا فتح المرابطون بَطَلْيَوْسَ وقتلوا عمر المظفّر وولديه العباس والفضل رثاهم ابن عبدون. ولكنه سرعان ما دخل في خِدمة سيرِ بنِ أبي بكرٍ بنِ تاشِفينَ فاتحِ بَطَلْيَوْسَ (٤٧٨ هـ)، فكان ذلك من المآخذِ الكِبار عليه لأنّه جَرّحَ بذلك وفاءه للذين

كانوا سببَ نعمتهِ. ولعلَّ الحاجة هي التي دفعتِ ابنَ عبدونٍ إلى التكسّب ممّن قتلوا أولياءَ نعمتهِ.

ولمّا خَلَفَ عليُّ بنُ يوسفَ بنِ تاشفينَ أباه على عرش المرابطين، ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م)، استدعى ابنَ عبدونٍ إلى مَرّاكُشَ وولّاه الكتّابة.

وعاد ابنُ عبدون إلى يابُرَةَ، قُبَيْلَ سَنَةِ ٥٢١ هـ (١١٢٧ م)- قيل لزيارة أهله؛ ولعلّه فعلَ ذلك لتقدّمه في السِن ولعجزهِ عن القيام بمهامِّ الدولة مَعَ تبكيت ضميرهِ على الدخول في خدمة المرابطين- ومكث فيها إلى أن تُوُفِّيَ سَنَةَ ٥٢٩ هـ (١١٣٤ - ١١٣٥ م) في الأغلب.

٢ - كان عبدُ المجيد بنُ عبدونٍ أديباً وكاتباً مُتَرَسِّلًا وشاعراً مُقلًّا. وكان عالماً بالخَبَر والأثرِ (الحديث) عارفاً بالتاريخ واسعَ الحِفظ للأشعار. ولم يصلْ إلينا من شعر ابن عبدونٍ سوى بضع مُقَطّعاتٍ وقصيدةٌ واحدةٌ تُعْرَفُ بالقصيدة العبدونية لشُهرتها في المغرب والمشرق وتدعى «البَشامة»[1]. هذه القصيدةُ التي تقومُ عليها شُهرةُ ابنِ عبدونٍ تتألّف من خمسةٍ وسبعينَ بيتاً:

الأبياتُ التِسعةُ الأولى مقدّمةٌ عامّةٌ في عادةِ الدهر وغَدْرِ الدنيا. وابنُ عبدونٍ ينصحُ القارىء بألّا يغترَّ بغَفْلة الدهرِ عنه مدّةً ولا بما في الدنيا أحياناً من السرور.

ثمّ تأتي ثمانيةٌ وثلاثونَ بَيتاً يستعرض فيها ابنُ عبدونٍ ما فعل الدهر بالأفراد العِظام وبالقبائل القويّة وبالدول العظيمة قبل الإسلام وبعد الإسلام، عند العرب خاصّة وعند الفرس مع إشارة إلى اليونان.

ثمّ تأتي عشرون بيتاً في رثاء عُمَرَ بنِ الأفطسِ وولدَيْهِ وإشهار مَناقِبِهم وفي التفجّع لهم والحزن عليهم.

---

(١) فيبروكلمن (١ : ٣٢٠، الملحق ١ : ٤٨٠): البسّامة والبشّامة (بالتشديد فيها). وفي المغرب (١ : ٣٧٦، الحاشية ١) البسامة (بلا تحريك) اسم للقصيدة. وفي المطرب (٢٧، الحاشية ٥): «البسامة» (بلا تحريك أيضاً): اسم الشرح الذي صنعه ابن بدرون لهذه القصيدة. والأصوب ما ذكره نيكل (ص ١٧٠٦): البشامة (بلا تشديد: اسم شجرة طيّبة الرائحة - القاموس ٤ : ٨٠)، يدلّ على ذلك العنوان التامّ: البشامة بأطواق الحمامة.

وختام القصيدة ثمانيةُ أبياتٍ يندب الشاعر حظّه في أربعة منها ثم يتساءل عمّن يمكن أن يقوم له مقامَ عمرَ بن الأفطس وولديه. وهو لا يستكثر ذلك على الدهر ولا يستغربه من الدهر لأن الدهرَ في العادة كثيرُ التقلّب غريب الأطوار (البيتان ٧١ و٧٢ من القصيدة). وهذا هو الذي حَمَلَ نفراً من النقّاد على أن ينسبوا قِلّةَ وفاءِ ابنِ عبدونٍ لمن كانوا سببَ نعمتهِ وشُهرتهِ. ثمّ يفتخر الشاعرُ، في الأبيات الثلاثة الأخيرة، بهذه القصيدة ويتنبّأ لها بأن تشتهرَ وتسير على الألسُن.

والشاعر في قصيدته هذه صحيحُ المعاني متينُ الأُسلوبِ مقتدرٌ في النظم بارع في العَرْضِ مَعَ شيء من التأنّق (الصناعة) وشيءٍ من التكلّف أحياناً. وتبدو مقدرة الشاعر وبراعته في أنّه استطاع أن يَجْمَعَ في هذه القصيدة بين كَثْرة الإشاراتِ التاريخية (المُجَانبَةِ بطَبْعها للشعر) وبين سَلاسة التركيب وطَلاوة الشعر. وقد صَدَقَ المُسْتَشْرِقُ عبدُ الرحمنِ نيكلْ البُوهيميُّ حينَما قالَ: « وبخلافِ ما زَعَمَ دوزي[1] وجميعُ الذين تَبِعوه في رأيهِ[2] من أنَّ في هذه القصيدة جَفافاً ومُبالغاتٍ (جُوفاً)، نَجِدُ أنَّ هذهِ القصيدةَ تستحقّ الشُهْرَةَ الّتي تَتَمَتّع بها بَيْنَ العرب. أما القِسْم التاريخي منها فلا يَضِحُ إلا بالشَّرْحِ الذي عَلّقَه عليها ابنُ بَدْرونٍ[3]. وعلى قارىء هذهِ القصيدةِ أن يكونَ على علمٍ تامٍّ بما تَضَمّنته مِنَ الإشاراتِ التاريخية، على أن يكون هذا القارىءُ مُسْلِماً أو من الذين يَشْعُرون شُعورَ المسلمين. وحينئذٍ فقطْ يكونُ لها صَدًى مستحبٌّ في نفسهِ ».

وكان ابنُ عبدونٍ مؤلّفاً له كتابُ « الانتصار لأبي عُبيدة على ابن قُتيبة ».

---

(١) في مقدّمته لشرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون.

(٢) راجع رأي دوزي موجزاً وشيئاً من التعليق عليه في كتاب « تاريخ الفكر الأندلسي »، تأليف آنخل غنثالث بالنثيا، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٥ م، ص ١١٩ - ١٢٠.

(٣) هو أبو مروان عبد الملك بن عبد الله الحضرمي الشلبي (بكسر الشين)، يبدو أنه عاش مدّة في إشبيلية. وكانت وفاته سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ - ١٢١٢ م) في الأغلب.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن عبدون من قصيدة طويلة (البَشامة) يرثي بها بني الأفطس:

الدهرُ يَفجَعُ بعد العينِ بالأثرِ، فما البكاءُ على الأشباحِ والصورِ[1]؟
أنهاك أنهاك - لا آلوكَ مَوْعِظَةً - عن نَوْمةٍ بينَ نابِ الليثِ والظُفُرِ[2].
فالدهرُ حربٌ، وإنْ أبدى مُسالمةً؛ فالبيضُ والسُّمْرُ مثلُ البيضِ والسُّمُرِ[3].
فلا تَغُرَّنْكَ من دُنياك نَوْمتُها، فما صِناعةُ عينيها سوى السهرِ[4].
ما لليالي؟ أقالَ الله عثرتنا من الليالي وخانتْها يدُ الغِيَرِ[5].
تسُرُّ بالشيءِ لكنْ كي تَغُرَّ به، كالأيْمِ ثار إلى الجاني من الزَهرِ[6].
كم دولةٍ وَلِيَتْ بالنصرِ خِدمَتَها لم تُبقِ منها - وسَلْ ذِكراك - مِن خبرِ.

* * *

هَوَتْ بدارا، وفَلَّتْ غَرْبَ قاتله، وكانَ عَضْباً على الأمْلاكِ ذا أثَرِ[7].

(١) العين: البناء الشاخص أو الشخص الماثل. الأثر: العلامة الدالّة على ما كان موجوداً. - فما البكاء على الأشباح والصور: ما الفائدة من الحزن على شيء سيصبح غداً صورةً أو شبحاً.

(٢) أنهاك: أردعك، أمنعك، لا آلوك موعظة: لا أضن عليك بموعظة (أنصحك بجميع النصائح المعروفة والمتخيّلة). أنهاك عن نومة (اطمئنان) بين ناب الليث والظفر (بين أحداث في الحياة خطرة مثل أنياب الأسد وأظفاره).

(٣) حرب (خصام). البيض والسُمر (الأيام والليالي) كالبيض والسمر (السيوف والرماح) في الفتك بالناس.

(٤) لا تغترر (وتطمئن) إذا أمهلتك الأيام فلم تصبك (في فترة ما) بمصيبة. الدنيا بعينيها تكون دائماً ساهرة ترقب، وإن بدت لك أنّها نائمة (غافلة عنك).

(٥) - ما شأن الليالي بنا (تصيبنا في كلّ حين بالمصائب)؟ أقال الله عثرتنا: نجّانا الله منها. الغِيَر: المصائب والأحداث. خانتها يد الغِيَر: أنزل الله المصائب بالدنيا حتّى تغفل عنّا ونرتاح نحن منها.

(٦) الأيم: الحية. الجاني: الذي يجني (يقطف) الزهر. - إذا أراد إنسان أن يمد يده لقطف زهرة (اطمئناناً بأن الأزهار لا خطر منها على الإنسان) هجم عليه منها ثعبان.

(٧) هوت بدارا: سقطت به (أهلكته). دارا: اسم لثلاثة من مشاهير ملوك فارس: دارا الأول (ت ٤٨٦ ق. م. = ١١٠٨ قبل الهجرة) انتصر في معارك كثيرة ووحّد الإمبراطورية وقام بإصلاحات كثيرة ثم انهزم في معركة ماراثون في بلاد اليونان (٤٩٠ ق. م.). دارا الثاني هو قتل أخاً له من أبيه =

واسْتَرْجَعَتْ من بني ساسانَ ما وَهَبَتْ ولم تَدَعْ لبني يونانَ مِنْ أَثَرِ[1].
وأَلْحَقَتْ أُخْتَها طَسْماً، وعادَ على عادٍ وجُرْهُمَ منها ناقضُ المِرَرِ[2].
ومزَّقت سَبَأً في كلِّ قاصِيَةٍ فما ٱلْتَقى رائحٌ منهم بمُبْتَكِرِ[3]!
وأنفذَتْ في كُلَيبٍ حُكْمَها ورَمَتْ مُهَلْهِلاً بين سَمْعِ الأرضِ والبصرِ[4].
ولم تَرُدَّ على الضِلِّيلِ صِحَّتَه ولا ثَنَتْ أَسَداً عن ربِّها حُجُرِ[5].
ودَوَّخَتْ آلَ ذُبْيانٍ وإِخْوَتَهُمْ عَبْساً وغَصَّت بني بَدْرٍ على النَّهَرِ[6].
وأَهْلَكَتْ إبرَويزاً بابْنِهِ ورَمَتْ بِيَزْدَجُرْدَ إلى مَرْوٍ فلم يَحُرِ[7].
ومزَّقتْ جَعْفَراً بالبِيضِ واخْتَلَسَتْ من غِيلِه حَمْزَةَ الظَّلّامَ للْجُزُرِ[8].
وخَضَّبتْ شَيْبَ عُثْمانٍ دماً وخَطَتْ إلى الزُّبيرِ ولم تَسْتَحْيِ من عُمَرِ[9].

= ثم حدث في أيامه اغتيالات كثيرة ثم توفي هو أيضاً (٣٣٠ ق.م.). دارا الثالث حاربه الإسكندر المقدوني، قتله أحد ضباطه. الغرب: حد السيف (ثم قتل قاتله؟). وقد كان هو عضباً (سيفاً قاطعاً) على (في قتال) الأملاك (الملوك) ذا أثر (فيهم: يتغلب عليهم).

(١) سلبت بني ساسان (الفرس) مُلكهم الذي كانت قد منحتهم إياه. وقضت على ملوك اليونان

(٢) طسم وعاد وجرهم من القبائل العربية البائدة (المنقرضة). المرة (بالكسر): القوة. ناقض المرر (مبطل، مضعف كل قوة).

(٣) وشتّتت أهل سبأ (اليمن) بعد انفجار سدّ مأرب فتفرّقوا في جميع نواحي الأرض.

(٤) كليب وائل كان سيد قومه قتله جساس بن مرة (ولم يكن يدانيه في الشرف والقوة)، فأثار مهلهلٌ (أخو كليب) حرب البسوس التي دامت أربعين سنة. ثم إن مهلهلاً اعتزل الحرب وترك أرضه ولم يعرف أحد بعد ذلك ما حدث له.

(٥) امرؤ القيس الشاعر المشهور مات (شابّاً) غريباً عند أنقرة (في آسية الصغرى) بالجدري (في الأغلب). وحجر (والد امرىء القيس) والملك على بني أسد، ثار عليه بنو أسد وقتلوه. الضلّيل لقب امرىء القيس.

(٦) وكذلك أوقعت القتل والفناء في بني ذبيان وأولاد أعمامهم بني عبس في حرب داحس والغبراء. غصّ: شرق (بفتح فكسر) ببني بدر على النهر (؟) الشاعر يستعمل «غصّ» متعدياً. وهي لازمة.

(٧) كسرى أبرويز الثاني قتله ابنه قباذ. يزدجرد قاتله المسلمون فانهزم منهم فقتله بعض أتباعه. حار يحور: رجع. (لم يرجع إلى ملكه).

(٨) جعفر الطيار (أخو علي بن أبي طالب) قتل في سرية مؤتة (٨ هـ) ووجد في جسمه تسعون طعنة. وحمزة ابن عبد المطلب (عم الرسول) قتل في معركة أُحُد (سنة ٣ هـ) ومضغت هند بنت أبي سفيان (أخت معاوية) قطعة من كبده (حقداً عليه وانتقاماً) وكان هو كريماً ينحر الجزور (الإبل) ويطعم الناس.

(٩) عثمان بن عفان والزُّبير بن العوام وعمر بن الخطّاب قتلوا قتلاً.

وأَجْزَرَتْ سَيْفَ أَشْقاها أبا حَسَنٍ ... وأَمْكَنَتْ من حُسَينٍ راحَتَيْ شَمِرِ[1] .

ولَيْتَها ، إذْ فَدَتْ عَمْراً بخارجةٍ ، ... فَدَتْ عَلِيًّا بِمَنْ شاءَتْ من البَشَرِ[2] !

وفي ٱبنِ هِنْدٍ وفي ابنِ المُصْطَفى حَسَنٍ ... جاءتْ بمُعْضِلَةِ الألْبابِ والفِكَرِ[3] :

فبعضُنا قائلٌ: ما اغتالَهُ أحدٌ ؛ ... وبعضُنا ساكتٌ لم يُؤْتَ من حَصَرِ[4] !

ولم تُراقِبْ مَكانَ ٱبنِ الزُّبيرِ ولا ... راعتْ عِياذَتَه بالبَيْتِ والحَجَرِ[5] .

ولم تعُدْ قُضُبُ السَّفّاحِ نائيةً ... عَنْ رأسِ مَروانَ أو أشياعِهِ الفُجُرِ[6]

وأشْرَقَتْ جَعْفراً ، والفَضْلُ يَنْظُرُهُ ... والشيخُ يَحْيى ، بِرِيقِ الصارمِ الذَّكَرِ[7] .

وأوْثَقَتْ في عُراها كلَّ مُعْتَمِدٍ ... وأشْرَقَتْ بِقَذاها كلَّ مُقْتَدِرِ[8] .

وروَّعَتْ كلَّ مأمونٍ ومُؤْتَمَنٍ ... وأسْلَمَتْ كلَّ مَنْصورٍ ومُنْتَصِرِ[9] .

* * *

(١) أبو حسن (علي بن أبي طالب) قتله عبد الرحمن بن ملجم. والحسين بن علي قتل في كربلاء ، قتله شمر (بفتح فكسر) بن ذي الجوشن.

(٢) عمرو بن العاص كان والياً على مصر. مرض يوماً فلم يستطع الخروج إلى صلاة الصبح ليصلّي بالناس فخرج مكانه رئيس شرطته خارجة بن حذافة (بضم الحاء) فقتل (وكان المقصود بالقتل عمرو بن العاص).

(٣) ابن هند معاوية بن أبي سفيان انتزع الخلافة من علي بن أبي طالب (أو شركه فيها على الأصح) ثم اختار آل علي الحسنَ بن علي للخلافة ، فتنازل الحسن عنها لمعاوية. ولم يكن ذلك منتظراً منه. المعضلة هي المشكلة التي لا حلَّ لها.

(٤) يقال إن معاوية وعد امرأة الحسن أن يزوّجها ابنه يزيد إذا هي قتلت زوجها الحسن. وهنا جماعة لا يريدون أن يتكلموا في ذلك فسكتوا. الحصر: العجز عن الكلام.

(٥) وعبد الله بن الزبير قتله الحجاج بن يوسف الثقفيّ (والي بني أمية على الحجاز) وكان ابن الزبير قد التجأ إلى الكعبة. البيت (الكعبة). الحجر (الحجر الأسود).

(٦) القضيب: السيف. السفّاح: أبو العباس (أول الخلفاء العباسيين). نائية (بعيدة). مروان بن محمد (آخر الخلفاء الأمويين). الفاجر: الفاسق الذي يرتكب المعاصي (الذنوب). كان أهل الأندلس (في الأكثر) يحبون بني أمية ويكرهون بني العباس.

(٧) أشرق فلان فلاناً بالماء: أغَصَّهُ (جعله يَغَصّ - بفتح الياء والغين - لا يسيغه). (هنا) الحياة أشرقت جعفراً البرمكيّ (أماتته ميتة - بكسر الميم -) غصّ فيها بدمه. ريق الصارم (السيف) الذكر (المصنوع من الحديد الذكر: الفولاذ). الفضل (أخو جعفر) ويحيى (أبو جعفر). لمّا نكب هرون الرشيد البرامكة لم يقتل منهم إلّا جعفراً ، ولكنّه صادر أموال الباقين.

(٨ و ٩) أوثق: قيّد، ربط. العروة (بالضمّ): الرباط. أشرق: أغصّ. - إنّ الخلفاء والأمراء الذين تلقّبوا =

بني المظفَّرِ، والأيامُ ما برِحَتْ مَراحِلًا والورى منها على سفرِ[1]،
سُحقاً ليومِكُمُ يوماً ولا حَمَلَتْ بمثلِـهِ لَيْلَـةٌ في مُقبِـل العُمُرِ[2].
مَنِ للأسِرَّةِ أو مَن للأعِنَّـة أو مَن للأسِنَّـةِ يُهديها إلى الثَّغَرِ[3]؟
مَن للبراعـة أو مَن لليَراعة أو مَن للسَّماحـة أو للنفع والضَّرَرِ[4]؛
أو دفـع كارثـة أو ردع آزِفـة أو قَمْـع حادثة تَعيا على القدَرِ[5]؟
ويحَ السَّماحِ وويحَ البأسِ لو سَلِما؛ وحَسْرةُ الـدين والدنيا على عمرِ[6]
سقتْ ثرى الفضلِ والعباس هاميـةٌ تُعزى إلَيْهم سَماحـاً لا إلى المطرِ[7].
ثلاثـةٌ ما رأى العَصرانِ مثلَهُمُ فضلًا، ولو عُزِّزا بالشمْسِ والقمَرِ[8]؛
ثلاثة ما ٱرتقى النَسرانِ حيثُ رَقُوا وكـلُّ ما طار مِن نَسْرٍ ولم يَطِرِ[9].
ثلاثـةٌ كـذواتِ الدهر مذ نَأَوْا عنّي مضى الدهر لم يَرْبَعْ ولم يَحُرِ[10]

بألقاب هي: المعتمد والمقتدر والمأمون والمؤتمن والمنصور والمنتصر وغير ذلك من الألقاب التي تدلّ على السلامة والقدرة والانتصار كلّهم ماتوا أو سجنوا أو قتلوا (لأنّ للحياة سنّة ثابتة تتبعها ولا تهتمّ بأماني البشر).

(١) مراحل (فترات زمنية). الورى (جميع الناس) على سفر (ينتظرون الموت).

(٢) سحقاً (بعداً) ليومكم (الذي قتلتم فيه).

(٣) السرير: العرش (الملك). العنان: الرسن (الخيل، الشجاعة). السنان: الحديدة في رأس الرمح (الحرب). الثغر (الحدود الشمالية في الأندلس المتاخمة لممالك النصارى): الجهاد.

(٤) البراعة (في نظم الشعر؟). اليراعة: القلم (كتابة النثر). السماحة: الجود والكرم.

(٥) الآزفة: القيامة، ميتة (بكسر الميم) السوء. حادثة (مصيبة) تعيا على القدر (يعيا على الإنسان أن يقاوم فيها القدر).

(٦) السماح: التسامح والتساهل وسعة الصدر. البأس: القوّة، الحرب. عمر بن محمّد المتوكّل بن الأفطس صاحب بطليوس (من ملوك الطوائف) قتله المرابطون مع ولديه، سنة ٤٨٧ هـ.

(٧) ثرى: تراب (تربة، قبر). هامية: سحابة ممطرة. سماحاً (جوداً وكرماً). تعزى: تنسب.

(٨) العصران: الصباح والمساء (الدهر كلّه). عزّز فلان فلاناً بفلان: أيّده، ضمّه إليه.

(٩) النسران: نجمان في السماء. رقي: ارتفع. ما طار من نسر (النسر من الطيور) وما لم يطر (النسر من النجوم).

(١٠) ذوات الدهر: كملوك الدهر (كانوا في ملكهم يملون إرادتهم على الأيام، فأملى الآن الدهر إرادته عليهم). نأوا: بعدوا، ابتعدوا (ماتوا) - مضى الدهر عنّي (زالت سعادتي). لم يربع (لم يبق، لم يستمع). ولم يحر (من حار يحور: رجع عاد) لم ألاقِ توفيقاً ونجاحاً بعدهم.

ومرّ مِن كـلّ شيء فيه أطيبُه — حتى التمتّعُ بالآصالِ والبُكُرِ[1] .
من للجلال الذي غضّت مَهابته — قلوبُنـا وعيونُ الأنجم الزُهُرِ[2] ؟
أين الإباءُ الذي أرْسَوْا قواعدَهُ — عـلى دعائمَ مِن عِزٍّ ومن ظَفَرِ[3] ؟
اين الوفـاء الذي أصفَوْا شرائعَه — فلم يَرِدْ أحدٌ منها على كَدَرِ[4] ؟
مَنْ لي ،ولا مَنْ بِهِمْ ،إنْ أظلَمتْ نُوَبٌ ، — ولم يكنْ لَيْلُها يُفضي إلى سَحَرِ[5] ؟
من لي ، ولا من بِهِمْ ،إنْ عُطِّلَتْ سُنَنٌ — وأُخفِيَتْ ألْسُنُ الآثارِ والسِيَرِ[6] ؟
عـلى الفضائلِ إلّا الصبرَ بعدهُمُ — سلامُ مُرتَقِبٍ للأجر منتظرِ[7] .
يرجو عسى ، ولـه في أُختها طمعٌ ؛ — والدهر ذو عُقَبٍ شتّى وذو غِيَرِ[8] .
قَرّطتُ آذانَ مَن فيها بِفاضحةٍ — على الحِسانِ حَصى الياقوتِ والدُرَرِ[9]
سيّارةٍ في أقاصي الأرضِ قاطعةٍ — شَقاشِقاً هَدَرَتْ في البَدْوِ والحَضَرِ[10] .

---

(١) مرّ (من مرّ يمرّ بضم الميم في المضارع): ذهب، مضى، انقضى، انتهى؛ أو (من مرّ يمرّ بفتح الميم في المضارع: صار مرًّا، فيه مرارة). الأصيل (بين العصر وغياب الشمس) والبكرة: الصباح (وقت الهدوء والتمتّع بالراحة).

(٢) غضّ: خفض، نقص أو أنقص. الزُهر: النجوم اللامعة.

(٣) أرسى القواعد: جعلها راسخة (ثابتة).

(٤) الشريعة: مكان الشرب من النهر وغيره. ورد (شرب).

(٥) من لي؟: من يعينني، من ينقذني؟ لا من بهم (؟) نائبة: مصيبة. ليلها يفضي: يؤدّي. إلى سحر: صباح (إذا لم تنكشف عنّي الغمّة، فمن يساعدني على إنقاذي منها؟).

(٦) عطّلت سنن (طرقات، شرائع)..... ثمّ من يجهر بفضلهم بعد أن تمحى آثارهم وتتلف كتب التاريخ في حكم المرابطين (كان المرابطون - في أوّل الأمر على الأقلّ - لا يشجّعون الشعر والثقافة).

(٧) لقد فارقني كلّ ما كان فيّ من فضائل (خسرت المال والجاه والسرور..... ولكن لم أخسر الصبر لأنني صبر على أن أصبر).

(٨) المرتقب (المنتظر الصابر، أي الشاعر) يرجو (يأمل) « عسى » أن تتبدّل الأحوال. وله في أختها « لعل » (أمل آخر. والدهر ذو عقب - جمع عقبة: تعاقب، الخير بعد الشر، والشر بعد الخير). الغِيَر (جمع غيرة بكسر الغين): أحداث الدهر وأحواله.

(٩) قرّط الأذن: جعل فيها قرطاً. من فيها (من ذكر منهم فيها: عمر المتوكل وأبناه) - مدحتهم فيها مدحاً جيلا. بفاضحة: (بقصيدة) تفضح (تخفض ثمن الياقوت والدرر: اللؤلؤ) مما تتزين به الحسان (النساء الجميلات).

(١٠) سيارة (مشهورة، متداولة بين الناس) قاطعة (مسكتة) شقاشقاً (أصواتاً عالية: أشعاراً تنشد بصوت =

- ولابنِ عبدونٍ رسالةٌ طويلة كتبها سَنَةَ ٥٠٤ هـ (١١١٠ - ١١١١ هـ) عن أميرِ المسلمين علي بن تاشفين يذكر فيها فتح مدينة شنترين:

..... وكانت قلعةُ شَنْتَرِينَ - أدام اللهُ أمرَ أمير المسلمين - من أحصنِ المعاقلِ للمُشركين وأثبت المعاقل[1] على المسلمين. فلم نَزَلْ بسَعْيِكَ الذي اقْتَفَيْناه وهَدْيِكَ الذي اكْتَفَيْناه نَخْضُدُ شَوْكَتَها[2]... ونتناولها عَلَلًا بعدَ نَهَلٍ ونُطاوِلها عَجَلًا في مَهَل[3]......

ولمّا..... أحاطَ بِهِمُ البلاءُ، واستشاط عليهمْ بغضبِ الجبّارِ القضاءُ[4]، ولم يكن لِلّيْلِ بأسائهم سَحَرٌ يُتَأَمَّلُ[5].... اختاروا الدنيّةَ على المَنِيّةِ ورَضُوا بالاسْتِسْلام للعُبوديّة..... وكانَ القتلُ - كما قدّمْنا - قد أتى على صِيد أعْيانِهم وصناديدِ[6] فُرْسانِهم..... وقد سألونا الإبقاءَ عليهم فأجَبْناهم، بعدَ أن قَدّموا من الخضوعِ صَدَقَةً بين يدي نَجْواهم[7]. ووَهَبْنا أُولاهُمْ لأُخراهم[8]، وجَعلنا العَفْو عنهم تَطريقاً

عال) هدرت (ترددت بقوة وبصوت مرتفع) في البيد والحضر (في البادية وفي المدينة: في كل مكان). - هذه القصيدة ستنسي الناس جميع القصائد الأخرى.

(١) المعاقل جمع معقل. من أحصن (أشدّ) المعاقل للمشركين. أثبت المعاقل على المسلمين (من أرسخ القلاع، الحصون لوصول المسلمين إليها).

(٢) اقتفى: اتّبع. اكتفيناه (اكتفينا: قنعنا به). خضد: كسر. الشوكة: القوّة، السلاح.

(٣) العلل: الشرب شيئاً فشيئاً. النهل: الشرب بقدر كبير. نطاولها: نماطل (نتظاهر بالتأخّر في أخذها). عجلاً (ونحن في الحقيقة نسابقهم فيما يبدو منّا مَهلا) (تمَهّل، تأنّ، تأخّر).

(٤) شاط: حمي، سخن، احترق. الجبّار (الله تعالى).

(٥) البأساء: الشدّة، الضيق. سحر (صباح، فرح) يتأمّل: ينتظر (يرجى).

(٦) الأصيد: المائل العنق (المتكبّر اعتداداً بنفسه). الصنديد: البطل القويّ.

(٧) قدّموا صدقة بين يدي نجواهم. هذه الجملة مقتبسة من القرآن الكريم: «إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة» (٥٨: ١٢، راجع ١٣، سورة المجادلة). ومعنى الآية: إذا كنتم تريدون أن تخاطبوا الرسول سرًّا في أمر من أموركم الشخصية فتصدّقوا قبل ذلك بشيء إلى أحد المحتاجين دلالة على حبّكم للخير، وعلى أنّكم لا تطلبون المشاورة مجانًا حينما تريدون، بل يجب أن تشعروا أنّ عليكم في ذلك أيضاً واجباً يجب أن تؤدّوه نحو المؤمنين. ومعنى الجملة: أنّ الإسبان لمّا خاطبونا سرًّا في أمر التسليم دفعوا جزية.

(٨) وهبنا أولاهم (كبار السنّ فيهم؟) لأخراهم (لنسلهم حتّى يربّوهم؟).

لسِواهم مَن يَتقيّلُ صَنيعَهم[1] إذا نحنُ غداً - بإذْنِ اللهِ - حاصَرْناهُمْ.....

٤ - شرح قصيدة ابن عبدون (نشرها دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٨ م؛ (في مجموعة نشرها محيي الدين صبري)، القاهرة ١٣٤٠ هـ.
- كمامة الزهر وفريدة الدهر: شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون (نشرها دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٦ م.

★ ★ قلائد العقيان ١٦٤ - ١٦٨؛ الصلة (رقم ٨٢١)؛ الذخيرة ٢: ٦٦٨ - ٧٢٧؛ المغرب ١: ٣٧٤ - ٣٧٦؛ بغية الملتمس ٥٢٣ (رقم ١٥٦٧)؛ المطرب ١٨٠ - ١٨٣، راجع ٢١ - ٣٣؛ المعجب ٥٣ - ٦٣، ١١٥ - ٢٢٢؛ فوات الوفيات ٢: ١١ - ١٣؛ صلة الصلة ٤٢؛ أعمال الأعلام ١٨٦ - ١٨٩؛ نفح الطيب ١: ١٨٥، ٤٤٢، ٦٦٣ - ٦٦٦، ٦٧٣ - ٦٧٥، ٣: ٢٩٣، ٣٩٧ - ٣٩٨، ٤٥٤، ٤٧٠ - ٤٧١، ٦٠٩، ٤: ٣٠٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٨٠؛ بروكلمن ١: ٣٢٠ - ٣٢١، الملحق ١: ٤٨٠؛ نيكل ١٧٥ - ١٧٩؛ مختارات نيكل ١٢٠ - ١٣٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٩٣ (١٤٩)؛ بالنثيا ١١٨ - ١٢٠، سركيس ١٦٧.

ابن حمديس الصِقلّيّ

١ - هو عبدُ الجبّارِ بنُ أبي بكرٍ محمّدِ بنِ حَمْديسٍ الأزْديُّ الصِقلّيُّ، وُلِدَ في مدينة سَرْقوسَةَ (في جزيرة سِقِلّيَةَ أو صقلّية)، سَنَةَ ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م)، في أسرة عربيةٍ تنتمي إلى الأزْد من عَرَبِ الجَنوب. وكانت أُسْرتُهُ مُتَديِّنَةً مُحافظةً. ومَعَ ذلك فقد انْصَرَفَ ابنُ حمديسٍ في مَطْلَعِ حياتهِ إلى اللَّهْو كثيراً.

في سَنَةِ ٤٧١ هـ (١٠٧٨ - ١٠٧٩ م) كان النورمَنْديّونَ قَدِ اسْتَوْلَوْا على مُعْظَمِ جَزيرةِ صِقلّيَةَ، فرأى ابنُ حمديسٍ أن يُغادِرَ صقلّيةَ فاخْتارَ أن يذهبَ إلى إفْرِيقِيَةَ (تونس)، فَمَكَثَ هنالك مدّةً ثمّ انتقلَ إلى الأندلسِ طَمَعاً في أن ينالَ حُظْوةً عِندَ ملوكِها. ففي سَنَةِ ٤٧٧ حلّ في إشْبيلِيَةَ عاصمةِ المُعْتَمدِ بنِ عَبّاد وأقام فيها مُدّة مُهْملاً

(١) تطريقاً: شقّ طريق (قدوة لغيرهم ليفعلوا مثل فعلهم حينما نتغلّب عليهم). يتقيَّل (يستظلّ في القائلة: وقت القيلولة: النوم بعد الظهر، يستريح) صنيعهم (عملهم). يقصد الكاتب: ليكون ما عاملناهم به تشجيعاً لغيرهم أن يفعل مثل ما فعلوا (في الاستسلام لنا).

نازلاً في خانٍ ينتظرُ أن يَسْتَدْعِيَهُ ابنُ عبّادٍ حتّى قَنِطَ أو كاد. ثمّ جاءه رَسولُ المعتمدِ فذهبَ إليه. وامْتَحَنَهُ المعتمدُ بقولِ الشعرِ بديهةً وسُرّ من بديهتِهِ. ونالَ ابنُ حمديسٍ عندَ المعتمدِ حُظوةً ومالاً وشُهْرةً. ولها في إشبيليةَ ما شاء له اللَّهْوُ.

وفي سنة ٤٨٤ هـ، بعد أسْرِ المعتمدِ بنِ عبّادٍ على يدِ المُرابطين، انتقل ابنُ حمديسٍ إلى المَغربِ وتَطوّفَ بين أغماتَ (قربَ مدينة مرّاكُشَ، حيثُ كان المعتمدُ أسيراً سجيناً) وبين سَفاقُسَ (في تونسَ على شاطئها الشرقي) وبالمدنِ التي بينهما عِشرينَ سَنَةً من غيرِ أنْ يَقْطَعَ صِلَتَهُ بالمعتمد. فلمّا مات المعتمد (٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) اتّصل ابنُ حمديسٍ ببني عِلنّاس وبني زيري وبني خُراسان - ولكنّه لم يتّصل بسلاطينِ المُرابطينَ وفاءً منه للمعتمدِ -. وأخيراً اسْتَقَرَّ في بجايةَ (على الساحل، شَرْقَ مدينةِ الجزائر)، ويبدو أنّه كان قد عَمِيَ في ذلك الحين.

وكانتْ وفاةُ ابنِ حمديسٍ في بجايَةَ، في رَمَضانَ مِنْ سَنَةِ ٥٢٩ (تمّوز - يوليو ١١٣٥ م).

٢ - ابنُ حَمْديسٍ الصِقِلّيُ شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيد من أكبرِ شعراءِ الأندلسِ؛ وأسْلوبُه مألوفٌ - على عَمودِ الشعر العربي - وعلى شِعْرِه أثرٌ واضحٌ من النَفَس المَشْرقي في الفنون التقليدية، ويَظْهَرُ هذا الأثرُ في المعاني وفي الألفاظ والتراكيب. ومَعَ أنّ ابنَ حمديسٍ شاعرٌ وُجْدانيّ يَجْري في نَظْمهِ على السليقةِ، فإنّه يُوغل أحياناً في التكلّفِ: في التجنيسِ والمُطابقة. وشعرُ ابن حمديسٍ قصيدٌ ورَجَزٌ قصائدَ طِوالاً ومُقطّعاتٍ قصاراً. أما فنونه فالمديحُ والرثاءُ (وليس له هجاءٌ) والغَزَلُ والنَسيب والشَكْوى، وَهُوَ كثيرُ الحنينِ إلى موطنهِ صقلّيةَ وإلى أيام طفولتهِ وشبابه. ووصفهُ بارعٌ جدًّا؛ وهو وصّافٌ لمظاهرِ الطبيعةِ فيمقطّعاتٍ وفي مطالعِ القصائدِ أو في ثناياها أحياناً، ممّا يذهب عادَةً بقيمةِ فنونهِ الأخرى إذ يَضيع المديحُ مثلاً في الأوصاف المُتَراكِمة. وقد تَضْعُفُ أوصافُه حيناً حينما يُغْرِقُ في تَطَلُّبِ الصُوَرِ الشعريةِ الغريبة فتَغْمُضُ تلكَ الصُوَر. وكذلك له شيءٌ من الخَمْريات والطَرْدِ (وصف الحيوان) والحِكمة والزُهد.

ولابن حمديسٍ كتابٌ اسمه «تاريخ الجزيرة الخضراء».

٣- مختارات من شعره:

- قال ابنُ حمديسٍ يتذكّر صقلّيَةَ ويصف الخمر والرقص من قصيدة مطلعها:

قَضَتْ في الصبا النفسُ أوطارَها، وأبْلَغَها الشَيْبُ إنذارَها[١].

منها:

وراهبـةٍ أغلقـتْ دَيْرَهـا فكنّـا مَـعَ اللّيْـلِ زُوّارَهـا.
هَدانـا إليهـا شَذا قهوةٍ تُذيـعُ لأنفِـكَ أسْرارهـا[٢].
طَرَحْـتُ بميزانهـا دِرْهَمي فأجْرَتْ من الـدَنِّ دينارَهـا[٣].
تَفرّسَ في شَمّـهِ طيبَهـا مُجيـدُ الفِراسَةِ فاخْتارهـا[٤].
فَتًـى دارسَ الخَمْرَ حتّى دَرى عَصـيرَ الخُمورِ وأَعْصارَهـا[٥]:
يَعُـدّ لِما شِئْـتَ مِنْ قهوةٍ سِنيهـا ويَعْرِفُ خَمّارهـا.
وقـد سَكّنَـتْ حَرَكـاتِ الأسى قِيـانٌ تُحرّكُ أوْتارَهـا[٦]:
فهـذي تُعانـقُ لي عُودَهـا وتِلْـكَ تُقَبّـلُ مِزْمارهـا.
وراقصـةٍ لَقَطَـتْ رِجْلُهـا حِسَاب يَـدٍ نَقَرتْ طارَهـا[٧].

---

(١) - في أيام الصبا نلت جميع أوطاري (غاياتي ومآربي)، فلمّا جاء الشيب أجبرني على ترك اللّذات وأخبرني بقرب الموت.

(٢) الشذا: الرائحة. القهوة: الخمر المطبوخة بالنار.

(٣) - أعطيتها درهماً أبيض (من فضّة) فوزنت لي خمراً حمراء (كالتبر: الذهب).

(٤) تفرّس: نظر، تثبّت (فحص واختبر). والاسم من «تفرّس» الفراسة بكسر الفاء (القاموس ٢: ٢٣٦، السطر الثالث من أسفل).

(٥) دارس = درس: تعلّم الخصائص في الأشياء. درى يدري: أدرك، عرف. عصير الخمور: نوعها (العنب الذي عصرت منه). أعصارها (بفتح الهمزة): زمنها الذي عصرت فيه.

(٦) الأسا أو الأسى: الحزن. (والحزن أحياناً يجعل الإنسان مضطرباً). قيان جمع قينة (بفتح القاف): المرأة الجميلة التي تحترف اللهو (كسقي الخمر والرقص الخ).

(٧) الطار والطارة (ليسنا في القاموس): الدف، أداة موسيقية تتألف من إطار يشدّ عليه رق (بكسر الراء: جلد رقيق) وينقر عليه. نقرت رجلها حساب يد: ضربت الأرض برجلها ضرباً يماثل نقر الأصابع على الدّف.

ذكرتُ صِقِلّيَــــة والأسى ... يُهَيِّــجُ للنفس تَذكارهــا[١]،

ومَنْزِلــةً للتصــابي خَلَــتْ، ... وكــان بنو الظَّرْف عُمّارهـا[٢].

فــإنْ كنتُ أُخرِجْتُ من جَنّةٍ ... فإنّي أُحَــدِّثُ أخبارَهـــا.

ولولا مُلوحــةُ مــاءِ البكــاءِ ... حَسِبْـــتُ دُموعِيَ أنهارَهـــا.

ضَحِكْتُ ابنَ عشرينَ من صَبْوةٍ ... بَكَيْتُ ابنَ سِتّينَ أوزارَها[٣].

فــلا تَعْظُمَنَّ لَدَيْــكَ الذُنوبُ، ... فما زالَ رَبُّــك غَفّارَهـــا.

- وقال يصف جماعة على جانبَيْ نَهْرٍ يشربون خمراً:

ومُطَّرِدِ الأجزاءِ يَصْقُلُ مَتْنَه ... صَباً أعْلَنتْ للعين ما في ضميره[٤]؛

جَريحٍ بأطرافِ الحَصى كلّما جَرى ... عليها شَكا أوجاعَه بخَريره[٥].

شَرِبْنا على حافاتِه دَوْرَ سَكْرَةٍ؛ ... وأقْتَلُ سُكْراً منه لَحْظُ مُديره[٦].

كأنّ الدُّجى حطّ المَجَرّةَ بَيْنَنا ... وقد كُلِّلَتْ حافاتها ببدوره[٧].

---

(١) - شقاء الإنسان في حاضره يذكّره النعم في ماضي حياته.

(٢) التصابي هو أن يشوّق الحبّ محبوباً إلى نفسه (أيام التصابي: أيام الشباب). الظرف: الكياسة وحسن الوجه واللسان (يستعمل للفتيان والفتيات لا للشيوخ). العمّار: السكّان: عمر الأرض أو المكان أو المنزل: سكنه.

(٣) - سررت وأنا ابن عشرين سنة من الصبوة (الجهلة في زمن الشباب، الانغماس في الحبّ) ثمّ أصبحت وأنا ابن ستّين أشكو من نتيجة ذلك في صحّتي وفي ديني (الذنب الذي تحمّلته من جراء ذلك).

(٤) مطّرد الأجزاء: متتابع الأجزاء على استواء. صقل: جلا، جعل الشيء أملس. متنه: ظهره، سطحه (سطح النهر). الصبا: ريح الشرق. أعلنت: أظهرت. ما في ضميره: ما في جوفه (في قاعه).

(٥) يقول الشاعر: هذا النهر يتقلّب في سيره على حصى (حجارة صغار) فتجرحه فيتألم فيحدث خريراً (صوتاً خافتاً كالغطيط الخارج من أنف النائم). - إن معنى هذا البيت يأتلف في المنطق مع معنى البيت السابق (لأنّ النهر المستوي الأجزاء المصقول السطح لا يحدث الصوت الذي يقصده الشاعر هنا).

(٦) حافتا الوادي: جانباه. دور سكرة: شرب جماعة الشاربين مرّة واحدة من خمر تدور عليهم. - على أن الذي جعلنا سكارى ليس هذا الدور من الخمر ولكن عيون الساقي الذي كان يدير علينا هذه الخمر.

(٧) كأن الدجى (الليل) حطّ (أنزل) المجرّة (يشبّه الشاعر النهر الأبيض في المرج الأخضر أو في الأرض الداكنة بنهر المجرّة في عرض السماء ليلاً) غير أن هذا النهر يحيط به بدور (شباب صباح الوجوه) بينما المجرّة في السماء يظهر عند أطرافها نجوم (صغار).

كَلِفْتُ بكاساتِ الصَبوحِ مُبَكِّراً؛ وكَمْ بَرَكاتٍ للفتى في بُكوره[1].
هُوَ العيشُ فاغْنَمْ من زِمانِك صَفْوَهُ وصِدْ قَنَص اللّذاتِ قبل مُثيره[2].

- وقال في الدعوة إلى الجهاد بعد الاضطرار إلى الجلاء عن الوطن:

بني الثَغْرِ، لستُمْ في الوَغى من بني أُمّي إذا لم أَصُلْ بالعُرْبِ منكم على العُجْمِ[3]
فرُدّوا وُجوهَ الخيلِ نحوَ كَريهةٍ مُضَرَّجَةٍ للروم بالثُكْلِ واليُتْمِ[4]؛
وصولوا بِبيضٍ في العَجاجِ كأنّها بُروقٌ بضربِ الهامِ مُحْمَرَّةُ السَجْمِ[5]،
وقرعُ الحسامِ الرأسَ من كلّ كافرٍ أحبُّ إلى سَمْعي من النَقْرِ في البَمِّ[6].
ولله أرضٌ إن عَدِمْتُمْ هواءَها فأهواؤكم في الأرض مَنْثورةُ النَظْمِ[7]؛
وعِزُّكُمُ يُفْضي إلى الذُلِّ، والنَوى من البَيْنِ ترمي الشَمْلَ منكم بما ترمي[8].
فإنّ بِلادَ الناسِ ليست بلادَكم ولا جارُها والخِلْمُ كالجارِ والخِلْمِ[9].
أعَنْ أرضِكم يُغنيكم أرضُ غيركم؟ وكم خالةٍ جَيْداءَ لم تُغْنِ عن أمّ[10]!

---

(١) كلف فلان بالشيء: تعلقت به نفسه، اشتدّ حبه له.

(٢) القنص: الطريدة، ما يصيده الصيّاد. مثير الصيد: كلب أو إنسان يسير أمام الصيّاد ليدلّه على مكان الطائر أو ليثير الطائر الذي يكون كامناً هادئاً، ويكون ذلك عادة بإحداث صوت أو إلقاء حجر. وصد قنص اللذات قبل مثيره: أقبل على اللذّة ما دمت أنت قادراً عليها وقبل أن تحتاج إلى من يدلّك عليها (؟).

(٣) الثغر: المكان على حدود أرض العدو. بني الثغر: الأشخاص الموجودون في أرض يحتلّها عدوّ. صال: وثب، هجم. العجم (بضم فسكون أو بفتح ففتح) = عجم الأندلس (إفرنج الأندلس الذين لم يكونوا يتكلّمون اللغة العربية): الأعداء.

(٤) الكريهة: الحرب. الثكل: فقد الزوج زوجه. اليتم: فقد الولد أبويه. الروم: إفرنج الأندلس. الإفرنج عامّة.

(٥) صولوا (اهجموا) ببيض (بسيوف) في العجاج (غبار المعارك، في الحرب). - كأنّ البيض السيوف بروق (لبياض لونها ولكنّها تصبح) بضرب الهام (الرؤوس) محمّرة السجم (يسيل منها الدم الأحمر).

(٦) الرأس مفعول به (من المصدر «قَرْع» المضاف إلى فاعله). البمّ: الوتر الغليظ في العود (أحبّ إليّ من سماع الموسيقى).

(٧) إذا عدمتم شمّ هواء بلادكم (إذا جلوتم عنها) تفرّقت أهواؤكم (غاياتكم وجهودكم).

(٨) يفضي: يقود، يؤدّي إلى. - وتفرّق الناس في الأماكن المتباعدة يقطّع الصلات التي بينهم.

(٩) - .... وليس الجار في البلاد الغريبة كالجار في وطنك ولا الخلم (الصديق) هناك كالخلم في الوطن.

(١٠) الجيداء: طويلة الجيد (العنق) (جميلة أو كريمة الأصل).

تَقَيَّــدْ من القُطْرِ العزيزِ بِمَوْطِنٍ ومُتْ عندَ رَبْعٍ من ربوعك أو رَسْمٍ[1].
وإيّاك يوماً أن تُجرِّبَ غُرْبَــةً، فلن يَسْتَجيزَ العقلُ تَجْرِبَةَ السُّمِّ[2]!

- وقال يصف الخمر في مطلع قصيدة في المديح:

قُمْ هاتِها من كَفِّ ذاتِ الوِشاحْ فقد نَعى اللَّيْلَ بشيرُ الصباحْ[3].
خَــلِّ الكَرى عنك وخُذْ قَهْوَةً تُهدي إلى الرُوحِ نسيمَ ارْتِياحْ.
هــــذا صَبوحٌ وصبــــاحٌ، فما عُذْرُك في ترك صَبوحِ الصباحْ[4].
باكِرْ إلى اللَّذّاتِ وارْكَبْ لها سَوابِـــقَ اللَّهْوِ ذَوَاتِ المِراحْ[5]
من قَبْلِ أن تَرْشُفَ شمسُ الضُحى ريقَ الغَوادي من ثُغورِ الأقاحْ[6]،
في روضــةٍ غَنّـــاءَ غَنّتْ بهــا في قُضُبِ الأوْراقِ وُرْقٌ فِصاحْ[7].
لا يَعْرِفُ الناظرُ أغْصانَهـــــا - إذا تَثَنَّتْ - من قُدودِ المِلاحْ[8]!
يا صاحِ، لا تَصْحُ، فكَمْ لَذَّةٍ في السُكْرِ لم يَدْرِ بها عيشُ صاحْ[9]؛
وارْكَـــبْ زَمانــاً لا جِماحٌ لــه من قَبْلِ أن يَحْدُثَ فيه الجِماحْ[10].

---

(1) تقيّد: ضع قيداً في رجلك (لا تبرح وطنك). الربع: المكان المأهول. الرسم: المكان إذا خرب وهجره الساكنون.

(2) لا تجرّب هجر الوطن لأنّه موت أو كالموت. كما أنّه لا يجوز للعاقل أن يجرّب فعل السمّ في نفسه هو (يكفي أن يرى غيره مات بالسم كما يكفي أن يرى حال غيره ممّن جلوا عن أوطانهم).

(3) هاتها: هات الخمر. الوشاح (بكسر الواو أو بضمّها): حلية من لؤلؤ وجوهر تلبس في العنق؛ غطاء عريض مرصّع بالجواهر تضعه المرأة على كتفيها. ذات الوشاح: المرأة (الجميلة). - إن البشير الذي يدلّ على قرب طلوع الصباح قد دلّ على قرب انقضاء الليل.

(4) الصبوح: شرب الخمر في الصباح.

(5) سوابق (خيل) اللهو ذات المراح (النشاط والتبختر).

(6) ترشف: تشرب. الغوادي جمع غادية: السحابة الممطرة في الصباح. - قبل أن تجفّف الشمس الأزهار (قبل أن يذهب الشباب).

(7) القضب جمع قضيب: غصن. قضب الأوراق: الأغصان المكسوّة بالورق (كناية عن الربيع). الوُرْق (بضم الواو) جمع ورقاء: حمامة. فصاح جمع فصيحة: واضحة (عذبة الغناء).

(8) - لا يفرّق الناظر بين أغصان الأشجار (في استقامتها وجمالها) وبين قامات الفتيات الملاح (الجميلات). المليحة في الأصل: ذات اللون الحسن (السمراء).

(9) يا صاح: يا صاحبي. لم يدر بها عيش صاح: لم يعرفها من قضى حياته صاحياً (لم يشرب الخمر).

(10) الجماح: الاعتزاز بالنشاط ومحاولة التغلّب على الآخرين. - استفد من الزمان ما دام الزمان مؤاتياً.

- وقال يذكر موطنه صقلّية ويندّد باحتلال النورمان لها:

أعـاذِلُ، دَعْني أُطْلِقِ العبرةَ التي ... عَدِمْتُ لها من أجملِ الصبر حابسا[1].
لَقَدّرتُ أرْضِي أن تعودَ لِقَوْمِها؛ ... فساءتْ ظُنوني ثمّ أصبحـتُ يائسا[2].
وكيفَ، وقد سِيمَتْ هَواناً، وصَيَّرت ... مساجدَها أيدي النصارى كنائسا!.
إذا شاءت الرُّهْبانُ بالضَرْبِ أنْطَقَتْ ... مَعَ الصُبحِ والإمساء فيها النواقسا.
صِقِلِّيَـةٌ كـادَ الزمـانُ بلادَهـا، ... وكانت على أهلِ الزمانِ مَحارسا[3].
فـكم أعيُنٍ بالخَوْفِ أمستْ سَواهراً ... وكانت بطِيبِ الأمْنِ منهم نَواعسا[4].
أرى بَلَدي قد سامَهُ الرومُ ذِلّةً، ... وكـانَ بقومي عِزُّهُ مُتَقاعسا[5].
وكانـتْ بِلادُ الكُفْر تَلْبَسُ خَوْفَه، ... فأضحى لِذاك الخوفِ منهنّ لابسا[6].
عَدِمْـتُ أُسوداً مِنْهُمُ عَرَبِيّـةً ... ترى بينَ أيديها العُلوجَ فرائسا[7].
هُمُ فَتَحوا أغْلاقَهـا بسُيوفِهِمْ، ... وهُمْ تركوا الأنوارَ فيها حنادسا[8].
يخوضونَ بحراً كـلَّ حينٍ إليْهِمُ ... بِبَحْرٍ يكونُ المَوْجُ فيه فوارسا[9]

ومن هذه القصيدة في وصف هجوم النورمان بالسفن الحربية على شواطىء صقلية وإطلاق النيران اليونانية عليها[10]:

(١) أعاذل = يا عاذلي: يا لائمي (على قلّة الصبر). دعني أطلق العبرة (الدمعة): لا تلمني إذا بكيت. - لقد صبرت نفسي كثيراً فما استطعت أن أمنع عيني من البكاء.

(٢) لقدّرت: كنت قد قدّرت.

(٣) كاد الزمان بلادها: عاملها بالمكر والخبث والحيلة، غدر بها وأذلّها. المحارس (غير موجودة في القاموس) أماكن للحراسة والأمن.

(٤) منهم = من الذين احتلوا صقلّية (النورمان). نواعس: هاجعة، نائمة (مطمئنّة).

(٥) عزّه (قوّته، مجده) متقاعس (مرتفع، قويّ).

(٦) أصبح يخاف من بلاد الإفرنج.

(٧) عدمت: فقدت (الآن).... كنت ترى العلوج (إفرنج الأندلس) أسرى وقتلى بين أيديهم.

(٨) الأغلاق (الأبواب المغلقة، القلاع). وهم تركوا الأنوار فيها حنادس (ظلمات): كانوا كثاراً فملأوا الأرض حتّى بدت الأرض سوداء في النهار (؟).

(٩) كانوا يأتون لفتح هذه الجزيرة بجيوش كبيرة كالبحر الذي له أمواج متلاحقة من الفرسان.

(١٠) النار اليونانية مزيج من النفط والموادّ المشتعلة الأخرى (كالقطن مثلاً) تشعل ثم تلقى بالمنجنيق على السفن والأسوار والمدن...

وحَربيّــةٍ ترمي بمُحْرِقِ نِفطِهــا فيَغشَى سُعوطُ الموتِ فيها المَعاطِسا[١].
تَراهُنَّ في حُمْرِ اللُّبود وصُفْرِها كمِثْلِ بناتِ الزَّنْجِ زُفَّت عَرائِسا[٢].
إذا عثّنت فيها التنانيرُ خِلْتَها تُفَتّحُ للبُركانِ عنها مَنافسا[٣].
أفي قَصْرِ يَنّي رُقْعَةٌ يَعْمُرونَهــا، ورَسْمٌ من الإسلام أصبح دارِسا[٤].
ومن عَجَبٍ أن الشياطينَ صَيّرتْ بُروجَ النجومِ المُحْرِقاتِ مَجالِسا[٥].
وأضْحَتْ لهم سَرْقوسَةٌ دارَ مِنعَةٍ يزورون بالديرين فيها النواوسا[٦].
مَشَوْا في بِلادٍ أهلُها تحتَ أرضِها، وما مارسوا منهم أبِيًّا مُمارِسا[٧].
ولو شُقِّقَتْ تلكَ القُبورُ لأنْهَضَتْ إلَيْهِمْ من الأجداث أُسْداً عوابسا.
ولكنْ رأيتُ الغِيْلَ إن غابَ لَيْثُه تَبَخْتَرَ في أرجائِه الذئبُ مائسا[٨]!

- وقال في هلال رمضان يشبّه شكله بالراء (الحرف الأوّل من كلمة رمضان):

قُلْــتُ والنــاسُ يَرْقُبون هِــلالاً يُشْبِهُ الصَّبَّ من نَحافةِ جِسْمِهْ:

---

(١) وحربية = وسفن حربية كثيرة. المعاطس: الأنوف. السعوط: مادّة مطحونة تشمّ فتثير العطس. يدلّ قول الشاعر على أن النفط كان يترك دخاناً يسبّب الاختناق.

(٢) تراهن: ترى السفن الحربية. في حمر اللبود وصفرها. كانت توضع على السفن الحربية لبود وجلود حتّى لا تتّصل النار بخشب السفن فيحترق. أما لماذا يصف هذه اللبود بأنّها حمر وصفر (وليست سوداً مثلاً) فلا أدري له وجهاً.

(٣) عثن: دخّن. التنور: حفرة توقد فيها نار. البركان: فتحة في الأرض يخرج منها مواد مصهورة. منفس: مكان يدخل منه الهواء ويخرج منه الدخان.

(٤) قصريَنّي بلدة في الجانب الشرقي من جزيرة صقلّية تدعى اليوم «أنّا» (بإمالة الهمزة وتفخيم الألف). يعمرونها: (يسكنها الإفرنج). الدارس: الممحوّ.

(٥) في هذا البيت إشارة إلى أن الشياطين كانت إذا اقتربت من السماء لتسترق السمع وتعرف أخبار الغيب رجمت بالنجوم (بالشهب). يقول الشاعر: ومن العجيب (الآن) أن الشياطين (الإفرنج) جعلت بروج النجوم (المراكب التي ترمي منها النار كأنّها شهب) مجالس لها!

(٦) دار منعة: مكان يمتنعون فيه (يحميهم). الناووس مقبرة النصارى.

(٧) مشوا (مشى الإفرنج).... أهلها تحت أرضها: أهل البلاد (من الأبطال المجاهدين الأولين) تحت أرضها (ماتوا دفنوا فيها). وما مارسوا (وما اصطدم الإفرنج بأحد من هؤلاء الأباة للضيم الذين كانوا يجاهدون ويقاتلون).

(٨) الغيل: الشجر الملتف (وربّما كان مسكناً للأسود).

من يَكُنْ صائماً فـذا رَمَضـانٌ   خَـطّ بالنُّور للوَرى أوّلَ اسْمِهْ

- وقال ابنُ حمديس في الاعتذار عن الهجاء:

يقولونَ لي: «لا تجيدُ الهجاءَ»؛ فقلتُ: «وما لي أُجيدُ المديحْ»[1]!
فقالوا: «لأنّكَ ترجو الثّوابَ». وهذا القياسُ - لَعَمْري - صَحيحْ.
فقلتُ: «صِفاتي؟» فقالوا: «حِسانٌ»؛ فقلتُ: «نَسيبي؟» فقالوا: «مَليـحْ!»[2]
فقُلْـتُ: إلَيْكُم، فـلي حُجّـةٌ، وللحَـقّ فيهـا مَجـال فَسيح-
عَفـافُ اللّسانِ مَقـالُ الجَميـلِ، وفُسْقُ اللّسانِ مَقـالُ القَبيـح.
ومـــــا لي ولإمْرِئٍ مُسْلمٍ يَروحُ بِسَيْـفِ لِساني جَريـح!

- وقال في الحماسة والفخر يتذكر بلاده (صقلية):

ولو أنَّ أرضي حُرّةٌ لأتيتُهـا   بعزمٍ يَعُدُّ السَّيْرَ ضَرْبَةَ لازب[3].
ولكنَّ أرضي كيـف لي بفكاكها   مِن الأسرِ في أيدي العُلوجِ الغواصب[4]
أحيـن يُعاني أهلُها طَوْعَ فتنةٍ   يُضرِّم فيها نارَه كلُّ حاطب[5]؟
ولم يَرحمِ الأرحامَ منهم أقاربٌ   تُروّي سُيوفاً من نَجيعِ الأقارب[6].
وأضحـتْ بهـا أهواؤهم وكأنّها   مذاهبُهم فيها اختلاف المذاهب.
إذا ضاربوا في مأزقِ الضرب جردوا   صواعـقَ من أيديهمُ في سحائب[7].
لهم يومَ طَعْنِ السُمر أيدٍ مبيحةٌ   كُلَى الأُسْد في كَرّاتِهم للثعالب[8].

---

(١) ما لي أجيد المديح: لماذا أنا أجيد المديح، فكيف أنا أجيد المديح؟.
(٢) فقلت: صفاتي؟= كيف تجدون الوصف في شعري؟.
(٣) السير (الذهاب، الرجوع) إليها ضربة لازب (تعبير أصبح مثلاً): واجب، لازم (لا مفرّ من فعله).
(٤) فكاكها: فكّها، إنقاذها. العلج: الفرنجي الذي لا يتكلّم العربية.
(٥) الحاطب (الذي يجمع الحطب: أصحاب المصالح الشخصية).
(٦) روّى فلان فلاناً من الماء: سقاه حتّى ارتوى (امتلأ). نجيع: دم.
(٧) مأزق الضرب: مكان القتال الضيّق (في المعركة الشديدة). صواعق (سيوف تلمع كالصواعق: مجلوّة، حادّة، قاطعة)..... في سحائب (غمام يمطر دماً).
(٨) الأسمر: الرمح. الكلى جمع كلية (مقتل الإنسان- إذا بطل عمل الكليتين تسمّم بدن صاحبها فمات)- هؤلاء الأقارب يبيحون قتل الأسود (قومهم وأقاربهم) للثعالب (للأعداء: أعداء الفريقين).

تخِبّ بهمْ قُبٌّ يُطيلُ صَهيلَها	بأرضِ أعاديهم نِياحُ النوادب[1].
مُؤلَّلـــــــةُ الآذانِ تحت إلالهم	كما حُرِّفَتْ بالبرْي أقلامُ كاتب[2].
إذا مـا أدارتْها على آلهامِ خِلْتَها	تدورُ لسَمْعِ الذِكْرِ فوق الكَواكب[3].
إذا ما غَزَوْا في الرومِ كان دخولُهم	بُطونَ الخلايا في مُتون السلاهب[4].
يموتون مَوتَ العِزّ في حَوْمةِ الوغى	إذا مات أهلُ الجُبن بينَ الكواعب.

٤- ديوان ابن حمديس الأزدي السيراكوسي (نشره مونكادا)، بالرمو ١٨٩٣؛ ديوان ابن حمديس (وقف على تصحيحه سكياباريللي)، رومية ١٨٩٧؛ (صححه إحسان عباس)، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٠.

- الوطنية في شعر ابن حمديس، تأليف زين العابدين السنوسي، تونس (دار المغرب العربي) ١٩٥٢ م.

** ترجمة ابن حمديس الصقلي، تأليف عبد الغني المنشاوي ومصطفى السقّا، القاهرة ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٩ م.

- في الأدب العربي وديوان ابن حمديس، تأليف زين العابدين السنوسي تونس ١٩٥٢ م.

- ابن حمديس الصقلي، تأليف علي مصطفى المصراتي، القاهرة (في سلسلة اقرأ - دار المعارف) ١٩٦٣ م؛ طرابلس - ليبيا (دار الفكر) ١٩٧٢ م.

الذخيرة ٤: ٣٢٠ - ٣٤٢؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ١٩٤ - ٢٠٧؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٦ - ٨٤؛ المطرب ٥٤ - ٥٧؛ وفيات الأعيان ٣: ٢١٢ - ٢١٥؛ المكتبة الصقلية ٢: ٥٩٢ - ٦٠٢؛ نفح الطيب ١: ٤٩١ - ٤٩٦، ٤٩٩، ٣: ٦٠٦ - ٦٠٧، ٦١٦ - ٦١٧، ٤: ٢٥٦، ٢٧١؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٢ - ٧٨٣؛ بروكلمن

---

(١) ومع ذلك فهم شجعان (لو أرادوا) - تخبّ (تسير بسرعة) بهم قبّ (خيل ضامرة البطن) يطيل صهيلها: صوتها (وجودها في المعارك) نياح النوادب (نواح النادبات اللواتي يبكين القتلى من أهلهن - كناية عن الانتصار في أرض العدوّ).

(٢) مؤلّلة (آذان خيلهم): منتصبة. الإلال (رفع الصوت بالدعاء).

(٣) إذا أداروا (سيوفهم فوق الرؤوس، وهم يحاربون). الهامة: الرأس. خال: ظنّ، حسب. سمع الذكر (استماع الذكر الحسن). - ظننت سيوفهم تدور في الفضاء الواسع عالية حتّى كأنّها تريد أن تسمع الذين يتحدّثون ببطولتهم في الكواكب (في كلّ مكان).

(٤) الروم: نصارى الأندلس من أي مذهب كانوا. - كان دخولهم (اقتحامهم، هجومهم) بطون الخلايا (إلى قلب مأوى الأسود. الخلية: مأوى الأسد) في (على) متون (ظهور) السلاهب (جمع سلهب: الحصان الطويل).

١ : ٢٦٩ ، الملحق ١ : ٤٧٤ ؛ نيكل ١٦٨ - ١٧٠ ؛ مختارات نيكل ١١٦ - ١٢٠ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٤٧ - ٤٨ (٣: ٢٧٤)؛ سركيس ٨٧ - ٨٨.

الرشيد العبّاديّ

١ - هو الرشيدُ أبو الحسينِ عُبيدُ اللهِ[1] بنُ محمّدِ المُعْتَمِدِ بن عبّادٍ، كان مَوْلدُه نحوَ سَنَةِ ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م)، وأُمُّه اَعْتِمادُ الرُمَيْكِيّة. وهُوَ أحدُ النُجباء من أبناء المُعْتمد، ومِنَ الذين يُوثَقُ بهم. فلمّا اَنْصَرَفَ المعتمدُ إلى اللّهوِ ألْقى مقاليدَ الأمورِ في الإدارة والحربِ إلى ابنهِ الرشيدِ هذا. وبَلَغَ الرشيدُ في المكانةِ إلى أن مَدَحه الشاعر مُحمّدُ بنُ عمّارٍ (قُتل ٤٧٧ هـ) بقولِه: «أنتَ الرشيدُ فدَعْ مَنْ قد سمعتَ به »(نفح الطيب ٤: ٢٧٢) تعريضاً بهرونَ الرشيدِ.

وكان الرشيدُ منذُ مطلَعِ حياتهِ يَميلُ إلى اللهو ويَعْقِدُ مَجالسَ الغناء. ثمّ كَثُرَ انغماسُه في ذلك قُبيلَ النائرة: هِياج الناس ونِقْمَتِهِمْ على بني عبّاد، وقُبيل سقوط دَولتهم. وكانتْ وفاةُ الرشيدِ العَبّاديّ في حُدود سَنَةِ ٥٣٠ هـ (الحلّة السيراء ٢ : ٦٨)، أو ١١٣٥ م.

٢ - كان الرشيدُ العَبّاديُّ شاعراً يُحْسِنُ الارتجال. ومن فنونِ شِعرِه الغَزَلُ والحماسةُ والمدح. وعلى شعرِه شيء من الطَلاوة.

٣ - مختارات من شعره:

لـمّا انتهى المعتمدُ بنُ عبّادٍ من بِناء القُبّة المعروفة باسم « سَعْدِ السعود » فوقَ مَجْلسِه في قَصْرِه « الزاهي » صَنَعَ قَسيماً (شَطْراً من الشعر): « سَعْدُ السعودِ يَتيهُ فوقَ الزاهي » ثمّ طَلَبَ من الحاضرين أن يُجيزوه فعَجَزوا. فقال الرشيدُ ابنُه:

---

(١) عبيد الله (بتصغير عبد) الحلّة السِّيَراء ٢ : ٦٨؛ نفح الطيب ٤ : ٢٥٦. وورد عبد الله (بلا تصغير)، نفح الطيب ٣ : ٦١٢، راجع ٤ : ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧٠ (ولعلّه خطأ مطبعي). للمعتمد ابن اسمه عبد الله أيضاً (راجع، فوق، ترجمة المعتمد - توفي ٤٨٨ هـ).

.... وكِلاهُما في حُسنِــــهِ مُتناهي.
ومَنِ اغتدى سَكَناً لِمِثْلِ محمّدٍ قد جَلّ في العَلْياء عن أشباهِ[1].
لا زالَ يبلُــغُ فيهما مــا شاءه، ودَهَتْ عِداهُ من الخطوب دواهِ

– وفيما كانَ المُعتمدُ مُتَّجِهاً من مِكناسةَ إلى أغْماتَ (بعدَ أسْرِه) بَدَرَ مِنَ الرشيدِ في أثناءِ الطريقِ ما حَمَلَ أباه على العَتْبِ عليه وعلى الإفراطِ في العتب. فكَتَبَ الرشيدُ إلى أبيه يَسْتَعْطِفُه:

يا حليفَ النّدَى وربَّ السَماحِ وحبيبَ النفوسِ والأرواحِ[2]،
مِنْ تَمامِ النُعْمـى عَلَيّ ٱلْتِماحي لَمْحَـةً من جَبِينِك الوضّاحِ[3].
قــد غَنِينــا بِبِشْرِه وسَنــاهُ عن ضياء الصَباحِ والمِصْباحِ[4].
ذاك حَظّي مِنَ الزمـان. فإنْ جا دَ بـهِ لي بلَغْتُ كـلَّ اقتراحي.

–ولمّا وُلِدَ له ابنُه «المُعَلّى» قال يَكْشِفُ عمّا في نفسِه من آمالٍ:

أُهَنّيـكَ– بلْ نفسي أُهنّي– فإنّني بَلَغْتُ الذي كان اقتراحي على الدهرِ:
خَلاصَك من أيدي المَنونِ وغُرّةً بَـدَتْ لِلْمُعلّى مثلَ دائرةِ البدرِ[5].
كأنّي بـهِ عمّـا قريـبٍ مُمَلَّكاً زِمامَ المَعالي نافذَ النَهْيِ والأمرِ.
يَقودُ إلى الهَيْجـاءِ كـلَّ غَضَنْفَرٍ ويَضْرِبُ مَنْ ناواه بالبيضِ والسُمْرِ[6].
فقَرّتْ بـه عَيْني وعَيْنُك في العُلا، ولا زالَ أسْمى في المَحَلِّ من الغفْرِ[7].

---

(١) محمّد المعتمد (والد الرشيد عبيد الله).
(٢) دها: أصاب. الدواهي: الأمور المنكرة العظيمة. الخطب: المصيبة.
النّدى: الكرم. السماح: التسامح والتساهل.
(٣) التماحي (أن ألمح أنا).
(٤) البشر: طلاقة الوجه وظهور السرور على الوجه. السنا: الضوء الساطع.
(٥) يبدو أنه كان في ولادة المعلّى عسر. ولعلّ القطعة موجّهة إلى المعتمد.....
(٦) يقود (أي المعلّى). الغضنفر من أسماء الأسد (الجندي الشجاع). الأبيض: السيف. الأسمر: الرمح.
(٧) قرّت عينه: سكنت، هدأت (كناية عن السرور). عينك (لعلّ الخطاب للمعتمد). الغفر ثلاثة نجوم صغار هي منزلة للقمر.

٤ - ★ ★ الحلّة السيراء ٢: ٦٨ - ٧٠؛ نفح الطيب ٣: ٦١٢؛ ٤: ٩٤ - ٩٦، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٧١ - ٢٧٢، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧٠.

أبو الحسن بن جودي

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ الرحمن بنِ سعيدِ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ جودي السَّعديُّ، أصلُ سَلَفهِ من إلْبيرةَ (وقيل من سَرَقُسْطَةَ). نشأ في الْمَرِيَّةِ ثمّ تَنَقّلَ في بُلدانِ الأَنْدَلُسِ والمَغْرِب.

روى أبو الحسنِ بنُ جودي كثيراً من الحديث (حديثِ رسولِ الله) عن القاضي أبي عليٍّ حسينِ بنِ محمّدِ بنِ فِيرُّهْ بنِ حَيّونِ الصَدَفِيِّ (ت ٥١٤ هـ). وكذلك كان من المُتّصلينَ بأبي العَلاءِ بنِ زُهْرٍ (ت ٥٢٥ هـ) ثمّ حَدَثَتْ بينَهما وَحْشةٌ لَعلّ سَبَبَها أنّ ابنَ جودي هذا قرأ على ابنِ باجّه (قبلَ سنة ٥١٢ هـ) شيئاً من علوم الفلسفة فاشتهرَ ذلك عنه واتُّهِمَ بالزندقة. يُضاف إلى ذلك أن أبا العَلاءِ بنَ زُهْرٍ كان كارهاً لابنِ باجّه وخصْماً له. واضْطرّ ابنُ جودي إلى أنْ يفارقَ أبا العلاءِ بنَ زُهرٍ. ثمّ طلب العامّةُ ابن جودي ليقتلوه فهربَ منهم وتشرّد عن بَلَدِهِ وصار من قُطّاعِ الطريقِ بينَ الجزيرةِ الخضراء وقلعةِ خُولانَ.

ثم نَسِيَ الناسُ أمرَ ابنِ جودي فعاد ابن جودي إلى غَرْناطةَ يُعاوِدُ قِراءةَ الطِبِّ. في هذه الأثناء توفّي أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ خَلَفٍ الأنصاريّ الغَرْناطيُّ المعروفُ بابن الباذش، سنة ٥٢٨ هـ، فرثاه ابنُ جودي. وتُوُفّي ابنُ جودي في غَرْناطةَ بعدَ سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٦ م). ولعلّ عُمُرَهُ كان يومَذاك نحوَ خمسينَ عاماً.

٢ - أبو الحسن عليُّ بنُ جودي أديبٌ شارَكَ في عددٍ من فُنونِ المعرفة: في الأدب والنحو والطِبِّ والفلسفة وغيرها. وهو شاعرٌ مُجيدٌ على عَمودِ الشِعرِ المَشْرقيّ. وأكثرُ شعرِه النسيبُ والغزل والوصفُ. وهو كثيرُ التقليدِ للشعراءِ العُذْريّينَ المَشارقةِ، يكثُرُ في شعرِه الحنينُ إلى نجدٍ (كما كانوا هم يفعلون) ويذكُرُ ليلى العامريّةَ (محبوبةَ قيسِ بنِ المُلَوّح العامريِّ المعروفِ بمجنونِ ليلى) ويذكُرُ العامريَّ (مجنونَ ليلى) نفسَه أيضاً.

٣- مختارات من شعره:

- وقال أبو الحسنِ بنُ جودي في النسيب:

لقد هيّجَ النيرانَ، يا أمَّ مالكٍ، بتُدميرَ ذِكرى ساعدَتْها المَدامعُ[١]،
عَشيّةَ لا أرجو لِقاءكِ عِنْدَها، ولا أنـا، أن يدنو مَعَ الليلِ، طامعُ[٢].

- وقال يصف مجيء الصبح في أحد أيام الشتاء:

نبّهتُــــــه وعيونُ الزهر نائمةٌ والطَلُّ يبكي وثَغرُ الكأسِ يبتسمُ.
والبرق يَرْقُمُ من بُرْدِ الدُجى عَلَماً والزهرُ عِقْدٌ بجِيدِ النهر منتَظِم[٣].
حتّى بَدَتْ رايةُ الإصباحِ زاحفةً في كفِّ ذي ظَفَرٍ والليلُ منهزِم[٤]!

- وقال في النسيب يذكر نجداً وليلى العامرية يشبّه نفسه بمجنون ليلى (بالعامريّ):

خَليليَّ من نَجْدٍ، فإنَّ بنَجْدِهم مَصيفاً لبيتِ العامريّ ومرْبعا[٥].
ألا رَجِّعا عنها الحديثَ فإنّني لأغْبِطُ من ليلى الحديثَ المُرجَّعا[٦].
عزيزٌ علينا، يا ابنةَ القومِ، أنّنا غريبانِ شَتّى لا نُطيق التَجمُّعا[٧]:
فريقٌ هوًى منّا يمانٍ، ومُشْئِمٌ يُحاولُ يأساً أو يُحاول مَطْمعا[٨].
كأنّا خُلِقْنا لِلنَّوى، وكأنّما حرامٌ عَلَى الأيامِ أنْ نَتَجَمّعا!

- وقال:

أحِنُّ إلى ريحِ الشَّمالِ فإنّها تُذَكِّرُنا نجداً؛ وما ذِكْرُنا نجدا[٩]؟

(١) تُدمير، مقاطعة في الشرق الجنوبي من الأندلس. الطلّ: نقاط الندى التي تتساقط في آخر الليل على الأغصان فتعلق عليها (وربّما جمدت بفعل البرد الليلي).

(٢) ولا أنا - أن يدنو مع الليل - طامع: وأنا لا أطمع أيضاً أن يدنو (يقترب) لقاؤك إذا جاء الليل (لا أطمع أيضاً أن أراك في منامي).

(٣) رقم الثوب يرقمه: وشّاه (زيّنه بالنقوش).

(٤) في كفّ ذي ظفر: في يد قائد منتصر.

(٥) المصيف (مكان الإقامة في الصيف) والمربع (مكان الإقامة في الربيع).

(٦) رجّع الصوت: ردّده في حنجرته. والشاعر يقصد «أعاد الحديث» مرّة بعد مرّة.

(٧) لا نطيق التجمّعا: لا نقدر على أن نجتمع (لبعد ما بيننا في السكنى).

(٨) يمان: يمني الدار (في أقصى الجنوب) ومشئم (من الشمال).

(٩) وما ذكرنا نجدا: ما ينفعنا أن نذكر نجد (ولا سبيل إلى الاجتماع بأهله: بالمحبوب).

خليليَّ، لا واللهِ، ما أحْمِلُ الهوى   وان كنتُ في غير الهوى رجلاً جَلْدا[1] !

٤ - ** المغرب ٢ : ١٠٩ - ١١٠ ؛ معجم الصدفي، رقم ٢٥٩ (ص ٢٧٨ - ٢٧٩)؛ نفح الطيب ٣ : ٣٣٤، ٧ : ٥٧ - ٦٠ ؛ المطمح.

ابن باجّه

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ يحيى الصائغِ المعروفُ بابنِ باجّه (بتشديدَ الجيم ثمّ هاء ساكنة)، والباجّه بلغة نصارى الأندلس «الفِضّة». وُلِدَ في سَرَقُسْطَةَ نحو سَنَةِ ٤٧٥ (١٠٨٢ م)، وفيها نشأ وقال الشِعْر ومَدَحَ أميرهَا أبا بكرِ بنَ إبراهيم بن تِيفَلْويتَ. ثمّ وَلِيَ ابنُ تيفلويتَ الثغرَ والشرق فاستوزرَ ابن باجّه. ولـمّا حاصرَ ألفونسو الأوّلُ مَلِكُ الأرغون مدينةَ سرقسطةَ غادرها ابنُ باجّه (٥١٢هـ = ١١١٧م)، قبلَ أن يستولِيَ عليها ألفونسو، وانتقل إلى إشْبِيلِيَةَ وطَبَّبَ فيها. ثمّ إنّه انتقل إلى مَرّاكُشَ ونال حُظوةً عند المُرابطين. وقد حسدَهُ مُنافسوه، لبراعتهِ في الطِبّ ولتوفيقه في التَطْبيب فدسّوا له السُمّ فماتَ، سَنَةَ ٥٣٣ (١١٣٨ م).

٢ - كان ابنُ باجّه أولَ فلاسفةِ الإسلام العَقْليّين على الحَصْر، وكان عالماً في الرياضيّات وفَلَكِيًّا راصداً قديراً يَحْسِبُ للخسوف والكسوف. وكان واسعَ العلم في الطبيعيّات. أمّا في الموسيقى فقال فيه المَقّريُّ (نفح الطيب ٧ : ٧، ٣ : ١٨٥): «الحكيمُ أبو بكرِ بنُ باجّه صاحبُ التلاحينِ المعروفةِ.... وإليه تُنْسَبُ الألحانُ المُطربةُ في الأندلس والتي عليها الاعتمادُ».

وأمّا في الأدب فكان شاعراً مُقَصِّداً ووَشّاحاً؛ وأكثرُ شِعرِه المدحُ والرثاءُ والهجاء والنسيب والغزل، ولكنّ الجانبَ المَعْنويَّ في شِعرِه أفضلُ من الجانب اللفظي الذي يبدو عليه شيءٌ من الجفاف. وله نَثْرٌ علميّ فيه شيءٌ من التعقيد.

---

(١) الجلد: القويّ الاحتمال.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن باجّه في الغزل:

أسكّـــانَ نَعمانِ الأراكِ، تَيقّنوا ... بأنكُمْ في رَبْـعِ قلـبيَ سُكّـانُ؛
ودوموا عـلى حِفظِ الودادِ فطالما ... بُلينا بأقوامٍ إذا استُحْفِظوا خانوا!
سلوا الليلَ عنّي، إذ تناءتْ دِيارُكم: ... هلِ اكْتَحلَتْ لي فيه بالنوم أجْفـــانُ؟
وهـل جُرِّدتْ أسيافُ بَرْقِ سَمائِكم ... فكانـت لها إلّا جُفونيَ أجْفانُ[1]!

- وقال يرثي أبا بكر بنَ إبراهيمَ بنِ تِيفَلْوِيتَ (ت ٥١٠ هـ)، وكان والياً على سَرَقُسْطَةَ من قِبَلِ المرابطين:

أيُّها المَلْكُ، قد لَعَمْرِي نَعَى المَجْـ ... ـدَ نَواعِيكَ يومَ قُمْنَ فَنُحْنا[2].
كم تقارعْـــتَ والخُطوبَ إلى أن ... غادَرَتْكَ الخُطوبُ في التُّرْبِ رهْنا[3].
غـــيرَ أنّي إذا ذكرتُـك والدهـ ... ـرَ إخالُ اليقينَ في ذاك ظنّا[4].
وسألْنا: «متى اللقـــاءُ»؟ فقيلَ: «الحشـرُ!» قلنا: «صبراً إليه وحُزنا!».

- وله في مديح «المُلَثَّمين»:

قومٌ إذا انْتَقبوا رأيـتَ أهِلّةً، ... وإذا هُمُ سَفَروا رأيتَ بُدورا[5].
لا يسألون عن النَوالِ عُفاتَهم ... شُكْراً، ولا يَحْمون منه نَقيرا[6].
لو أنّهم مَسَحوا على جَدْبِ الرُبى ... بأكُفِّهِمْ نَبَـــتَ الأقـاحُ نَضـيرا.

---

(١) الجفن (بفتح الجيم): قراب السيف. - حينما تبرق السماء من جهة بلادكم فلا يرى هذا البرق أحد غيري (لأني أكون وحدي ساهراً في حبّكم، وجميع الناس نيام!).

(٢) قمن ونحن (بضمّ أولها) فعلان ماضيان لجماعة الإناث من قام وناح.

(٣) قارع: نازع، غالب، قاتل. الخطوب جمع خطب (بفتح الخاء): المصيبة. رهناً = مرهوناً: باقياً.

(٤) اليقين الموت. - لم أصدق أنّك متّ.

(٥) إذا انتقبوا (وضعوا نقاباً أو غطاء على وجوههم) أشرق نور وجوههم من خلال النقاب اشراقاً قليلاً كما يبدو الهلال في أول الشهر. أمّا إذا أسفروا (كشفوا عن وجوههم) فهم بدور.

(٦) النوال: العطاء. العفاة جمع عاف: طالب العطاء. النقير: الذباب الأسود الصغير: هم يبيحون نوالهم لكل من يطلبه ولا يحمون (يمنعون) من هذا النوال أحداً، ولا الذباب الأسود.

- حَسَبَ ابنُ باجّه مرّةً خُسوفَ القمر ونَظَمَ في خطابِ القَمَرِ بَيْتَيْنِ. ثمّ دعا نفراً من أصدقائِهِ، قُبيلَ موعدِ الخُسوف، وجَعَلَ يتغنّى أمامهم بذَيْنِكَ البيتين (نفح الطيب ٧ : ٢٥ - ٢٦):

شَقيقُــكَ غُيِّــبَ في لَحْــده؛ وتُشْرِقُ، يــا بــدرُ، من بَعْدهِ؟
فهــلّا كُسِفْتَ فكــان الكُسوفُ جِــداداً لَبِسْتَ عــلى فَقْــدِهِ!

وجعلَ يردّدُ البيتين. فلمّا خُسِفَ البدرُ عَظُمَ التعجُّبُ من الحاضرين.

- نصّ من كتاب «تدبير المتوحّد»:

.... وكل فعلٍ لا يستعملُ الإنسانُ فيه فِكرَهُ فهو (عملٌ) بَهيميٌّ لا شَرِكَةَ للإنسانيةِ فيه أكثرَ من أن الموضوعَ (الفاعلَ) جسمٌ خِلْقَتُه إنسانيةٌ إلّا أنّه مُسْتَنْبِطِنٌ بَهيمةً. وقد يُوجَدُ في كثيرٍ من الحَيَوانِ أفعالٌ وانفعالاتٌ من أفعالِ الإنسانِ وانفعالاتِهِ مثلَ العُجْبِ للطاوُوسِ والكرمِ للديك[1] والمَلَقِ للكلبِ والمَكْرِ للثعلبِ والحياءِ للأسدِ. غيرَ أنّ هذه الأخلاقَ إذا كانت للبهائم كانتْ طبيعيّةً للنوعِ ولم يختَصَّ بها شخصٌ (دونَ شخصٍ) من ذلك النَّوْعِ. و (ليست) هذه الأخلاقُ فضائلَ للبهائم لأنّها تَسْتَعْمِلُها في كلِّ وقتٍ سواءٌ أكان ذلك ينبغي أو لا ينبغي.... وأمّا (الأفعالُ) الفكريةُ فَهِيَ أحوالٌ خاصّةٌ بالصُّورة الروحانيةِ الإنسانيّةِ، كصورةِ الرأيِ والمَشورة......

٤- تدبير المتوحّد (حرّره د.م. دنلوب- مجلّة الجمعية الملكية الأسيويّة- لندن)، نيسان (أبريل) ١٩٤٥م؛ (حرّره ميغيل آسين بالاثيوس)، مدريد- غرناطة (المجلس الأعلى للبحوث العلمية، مؤسّسة ميغيل آسين- مدارس الدراسات العربية في مدريد وغرناطة) ١٩٤٦م؛ (حرّره معن زيادة)، بيروت (دار الفكر الإسلامي- دار الفكر) ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

- كتاب النفس (نشره محمّد صغير حسن المعصومي)

---

(١) العجب: الزهو (الفخر بالنفس). ذكر الجاحظ (ت ٢٥٥) في كتاب البخلاء أن من عادة الديكة (بكسر ففتح: جمع ديك) أن تأخذ الحبّ فتلقيه أمام الدجاج، ما عدا ديكة مرو (عاصمة خراسان في فارس) فإنّها تسلب الدجاج ما في مناقيرها!

- تلخيص كتاب النفس
- كتاب الكون والفساد (نشره محمّد صغير المعصومي)، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٦٧ م.
- شرح السماع الطبيعي لأرسطو (تحرير ماجد فخري)، بيروت (دار النهار) ١٩٧٣ م.
- شروحات السماع الطبيعي (تحقيق معن زيادة)، بيروت (دار الكندي - دار الفكر) ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.
- رسائل ابن باجّه الإلهية (حقّقها ماجد فخري)، بيروت (دار النهار للنشر) ١٩٦٨ م.
- رسالة الاتّصال (مضموم إلى كتاب «ابن باجّه» لأحمد فؤاد الأهواني).

** ابن باجّه والفلسفة المغربية، تأليف عمر فرّوخ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م ثمّ ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م.

- ابن باجه، تأليف تيسير شيخ الأرض، بيروت (دار الأنوار) ١٩٦٥ م.

قلائد العقيان ٣٤٦ - ٣٥٣؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٣٣٢ - ٣٣٤؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٢٨٣ - ٢٨٦؛ الوافي بالوفيات ٢: ٢٤٠ - ٢٤٢؛ المغرب ٢: ١١٩؛ وفيات الأعيان ٤: ٤٢٩ - ٤٣١؛ نفح الطيب ٣: ١٨٥، ٣٧٣ - ٣٧٤، ٤٣٣ - ٤٣٤، ٤٦٧، ٧: ٧؛ شذرات الذهب ٤: ١٠٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٣٧٨ - ٣٧٩؛ بروكلمن ١: ٦٠١، الملحق ١: ٨٣٠؛ نيكل ٢٥١ - ٢٥٤؛ مختارات نيكل ١٦٩ - ١٧٠؛ الأعلام للزركلي ٨: ٧ (٧: ١٣٧).

ابن خفاجة

١ - هو أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ أبي الفَتْحِ عبدِ اللهِ بنِ خَفاجةَ الهَوّاريُّ الشُّقْريُّ، وُلِدَ في جزيرةِ شُقْر* - وَهِيَ بُليدةٌ بينَ شاطِبَةَ وبَلَنْسِيَةَ - سَنَةَ ٤٥٠ (وفيات الأعيان ١: ٥٧) في أُسْرةٍ على جانبٍ من اليَسار وعلى قِسْطٍ من العِلم والأدب. بدأ عِلْمَه في بَلَدِه ثمّ تَرَدَّدَ بين مُرْسِيَةَ وشاطبةَ فَسَمِعَ من القاضي أبي عليٍّ الصَّدَفِيِّ (ت ٥١٤ هـ) والفقيهِ أبي عِمرانَ موسى بنِ تليدِ الشاطبي (ت ٥١٧ هـ) وأبي بكرِ بنِ عتيقِ بنِ أسدِ (٥٣٨ هـ).

لَها ابنُ خفاجةَ في مطلَعِ حياتِه ثمّ تَرَكَ اللَّهْوَ والمُجونَ، وعاشَ صَرورةً (لم يتزوّجْ) وقَضى مُعْظَمَ حياتِه في ضَيْعةٍ له قُرْبَ بلدِهِ يَنْظِمُ الشعرَ في أغراضِ نفسِه ولم يَقْصِدْ أحداً من مُلوكِ الطوائف. ولكنْ بعدَ أن استولى المرابطون على مُعْظَمِ جزيرةِ

(*) شقر بالضم (وفيات الاعيان ١: ٥٧)؛ وبالفتح (تاج العروس - الكويت ١٢: ٢٢٢)

الأندلسِ وأزالوا مُعظَمَ ملوكِ الطوائف، اتّصلَ ابنُ خَفاجةَ - وكان قد بَلَغ أشُدَّهُ وذاعتْ شُهْرتُه - بوُلاةِ المرابطين على الأندلس ومَدَحَهُم إعجاباً لا تَكَسُّباً. وكانتْ له في أيامهم حُظوةٌ. أمَّــا وفاتُــه فكانــتْ في ٢٦ من شوّالٍ مِنْ سَنَــة ٥٣٣ (١١٣٩/٦/٢٥ م)، في بلدته.

٢ - يُحيطُ ابنُ خفاجةَ بعددٍ من فنونِ المعرفةِ: الحديثِ والفِقه واللُّغة والنَحْو وغيرِها، ولكنْ غَلَبَ عليه نَظْمُ الشعرِ. وهو شاعرٌ وُجْدانيّ مطبوعٌ، على شِعْرِهِ طَلاوةٌ وفيه سهولةٌ، وهو عَذْبُ الجَرْسِ تشيعُ فيه رَنّةٌ موسيقيةٌ قلَّ أن تَجِدَ مثلَها عندَ شاعرٍ آخَرَ. ثمّ هو على النَهْج المَشْرقيّ ما فارقَ عَمودَ الشِعرِ قطُّ. ورُبّما حاول في القصيدةِ بعدَ القصيدةِ أن يُلْقِيَ على أبْياته نَفْحَةً من فَخامةِ الشعر القديم. وفُنونُ شعرهِ المَدْح (إعجاباً بممدوحيه لا تكسُّباً منهم) والرثاءُ والغَزَلُ والنسيبُ والهجاء (وربّما أفْحَشَ فيه) والعتابُ والحِكمة والزُهد والإخوانيّات. أمّا الفنّ الذيَ بَرَعَ فيه فهو وصفُ الطبيعةِ والحَنينُ إلى الوطن. وهو بارعٌ جدًّا في وصف الأشجارِ والأزهارِ والأنهارِ حتّى سُمّيَ «الجَنّانَ» (لكَثْرةِ أوصافِه للحدائق والجنائن ولبراعته في تلك الأوصاف).

ولابن خفاجةَ نثرٌ دون شِعْرِه مرتبةً يُصَرِّفه في بعضِ أغراض نفسِه في رسائلَ إخوانيةٍ أو في أغراضٍ تتعلّق بعددٍ من قصائده. وقد جَمَعَ ابنُ خفاجةَ شعرَهُ ونثرَهُ في ديوانٍ قَدّمَ له بمقدّمةٍ أشارَ فيها إلى رأيهِ في الشعر وفي شعرِه ونثرِه. وفي هذه المقدّمةِ خَطَراتٌ من النَقْد.

٣ - مختارات من آثاره:

- من المقطّعات القصار لابن خفاجة:

** إنّ لِلجَنّــــــــــة بالأنْدَلُسِ مُجْتَــلى حُسْنٍ وريّــا نَفَسِ[1]:

---

(١) ريّا: طيب الرائحة.

فسَنَا ضَحْوتِها من شَنَبٍ، ودُجى ليلتِها من لَعَسٍ[1].
فإذا ما هَبَّتِ الريح صَباً[2] صِحْتُ: وَاشَوْقي إلى الأندلسِ!

★★ لله نهرٌ سال في بَطْحاءِ أشهى وُروداً من لَمَى الحسناءِ[3].
مُتَعَطِّفٌ مِثلَ السِوارِ كأنّه، والزَهْرُ يَكْنِفُه، مَجَرُّ سماءِ[4].
وغدتْ تَحِفُّ به الغُصونُ كأنّها هُدْبٌ يَحِفّ بمقلةٍ زرقاءِ[5].
والماءُ أسرعَ جَرْيَهُ مُتَحَدِّراً مُتَلَوِّياً كالحيةِ الرَقْطاءِ[6].
والريحُ تَعْبَثُ بالغصونِ، وقد جَرى ذهبُ الأصيلِ على لُجَيْنِ الماءِ[7].

★★ ومُرْتَبَعٍ حَطَطْتُ الرحْلَ فيه بحيثُ الظلُّ والماء القَراحُ[8].
تَخَرَّمَ حُسْنَ منظرِه مَليكٌ تخرّمَ مُلْكَه القَدَرُ المُتاحُ[9].
فَجِرْيَةُ ماءِ جَدْولِهِ بُكاءٌ عليه، وشَدْوُ طائرِه نُواحُ!

★★ ألا ساجِلْ دُموعِيَ، يا غَمامُ. وطارِحْني بِشَجْوِكَ، يا حَمامُ[10].
فقد وَفَّيْتُها سِتّينَ حَوْلاً، ونادَتْني ورائي: هَلْ أمامُ!
وكنتُ ومن لُباناتي لُبَيْني هناك، ومن مَراضِعِيَ المُدامُ[11].
يُطالِعُنا الصباحُ ببطْنِ حُزْوى فيُنْكِرُنا، ويَعْرِفُنا الظلامُ[12].

---

(١) السنا: الضوء الساطع. الشنب: بياض الأسنان. اللعس: السمرة في الشفاه.
(٢) صبا: من الشرق (بليلة باردة).
(٣) البطحاء: الأرض المنبسطة. الورود: الذهاب إلى الماء للشرب. اللمى: السمرة في الشفاه (وهنا: الريق).
(٤) يكنفه: يحيط به. المجرّ (لعلّها هنا جمع مجرّة) مجموع نجوم يعترض في السماء من الشمال إلى الجنوب.
(٥) الهدب: شعر جفون العينين.
(٦) الرقطاء: التي على جلدها نقط سود.
(٧) ذهب الأصيل (بين الظهر والمغرب): (نور الشمس الأحمر) على لجين (فضة) الماء (بياض الماء).
(٨) المرتبع: مكان ينزله الناس في الربيع. القراح: الصافي.
(٩) لعلّه وقف هنا على قبر أحد الملوك. المتاح: المرسل، الذي لا مفرّ منه.
(١٠) ساجله: باراه، سابقه (يقول إنّ دموعه أغزر من المطر). طارحه الحديث: تحادثا وناقش بعضهما بعضاً. الشجو: الحزن.
(١١) اللبانة الحاجة. المدام: الخمر.
(١٢) إذا طلع الصباح افترقنا فلا يعلم النهار أنّنا محبّان. وإذا جاء الظلام اجتمعنا فيعرف الليل أنّنا محبان

وكان لِيَ البَشامُ مَراحَ أُنسٍ، فماذا بعدَنا فَعَلَ البشام[1]؟

★★ أي عَيْشٍ أو غِذاءٍ أو سِنَهْ لابنِ إحدى وثمانينَ سَنَهْ[2]؟

قَلَّصَ الشيبُ بها ظِلَّ امرئٍ طالَما جَرَّ صِباه رَسَنَه[3].

تارةً تسطو به سَيِّئةٌ تُسْخِنُ العينَ، وأخرى حَسَنه[4]!

★★ عاثَتْ بساحتِكِ الظُبى، يا دارُ، ومَحا محاسِنَكِ البِلى والنارُ[5].

فإذا تردَّدَ في جَنابِكِ ناظرٌ طالَ اعتبارٌ فيه واستعبار[6].

أرضٌ تقاذَفَتِ الخُطوبُ بأهلِها، وتَمَحَّصتْ بخَرابِها الأقدار[7]؛

كتبتْ يدُ التاريخ في عَرَصاتِها (لا أنتِ أنتِ، ولا الديارُ ديار)[8].

★★ يا أهلَ أندلُسٍ، للهِ دَرُّكُمُ: ماءٌ وظِلٌّ وأنهارٌ وأشجار.

ما جَنَّةُ الخُلْدِ إلّا في دِيارِكُمُ. ولو تَخَيَّرْتُ، هذا كُنتُ أختارُ.

لا تَحْسَبوا في غدٍ أن تدخُلوا سَقَراً. فليسَ تُدْخَلُ بعدَ الجَنَّةِ النار[9]!

★★ يا لُؤلُؤاً يَسْبي العيونَ أنيقا*، ورَشاً بتَقْطيعِ القلوبِ رَفيقا[10]،

ما إنْ رأيتُ ولا سَمِعْتُ بِمثلِهِ: دُرًّا يعودُ من الحياءِ عقيقا[11].

وإذا نظرتَ إلى محاسنِ وجهِهِ، أَلْفَيْتَ وَجْهَكَ في سَناهُ غريقا[12].

---

(١) البشام: نوع من الشجر.

(٢) سنة (بكسر السين): النعاس، النوم.

(٣) قلّص الشي: صغّر مساحته (بكسر الميم). جرّ صباه رسنه (لجامه): كان قد جعله الشباب يندفع في ملذّاته بلا ضابط.

(٤) تسخن العين: تُبكي، تؤلم.

(٥) عاث: أفسد. الظبي جمع ظبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. البلى: الفناء.

(٦) اعتبار: تأمّل في حوادث الأيام. استعبار: بكاء.

(٧) تمحّصت: انكشفت (ظهر أثرها).

(٨) العرصة (بفتح وسكون): ساحة الدار. «لا أنت أنت ولا الديار ديار» مطلع قصيدة لأبي تمّام (كناية عن تبدّل الأشياء تبدّلاً كاملا).

(٩) سقر من أسماء جهنّم.

★ تروى أيضاً لابن عبد ربه

(١٠) لؤلؤ (كناية عن الوجه الأبيض: الجميل). الأنيق: الذي يعجب العين. الرشأ: الغزال الصغير.

(١١) العقيق: حجر كريم أحمر اللون. (حينما يستحي يصبح وجهه الأبيض أحمر اللون).

(١٢) رأيت وجهك في وجهه (كأنّ وجهه مرآة).

يا مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ من رِقَّةٍ، ما بالُ قَلْبِكَ لا يكونُ رقيقا؟

★★ ومائسةٍ تُزهى وقد خلعَ الحيا عليها حُلًى حُمْراً وأرْدِيَةً خُضْرا[1] .
يذوبُ لها ريقُ الغمامِ فِضّةً ويجمُدُ في أعطافِها ذَهَباً نَضْرا .

- وقال يُداعِبُ من بَقَلَ عِذارُه:

أيُّهـــا التائـــهُ، مَهْلًا، ساءني أنْ تِهْـتَ جهْلا[2].
هَـــل ترى- فـيما ترى- إلّا شَباباً قد تولّـــى؟
وغرامـــاً قـــد تَسرّى وفُؤاداً قـــد تسلّـــى[3]؟
أينَ دَمْـــعٌ فيـــك يجري أين جَنْـــبٌ يتقلّـــى؟...

أمّا بعدُ: أيُّها النبيلُ النبيه، إنّه لا يجتمعُ العِذارُ والتيه[4]. قد كان ذلك وغُصْنُ الشبيبةِ رَطْبٌ، ومَنْهَلُ ذلك المُقَبَّلِ عَذْبٌ[5]. وأمّا والعِذارُ قد بَقَلَ[6] والزمانُ قدِ انتقلَ والصَبُّ قد صَحا وعَقَلَ، فقد ركَدتْ رِياحُ[7] الأشواقِ ورَقَدَتْ عيونُ العُشّاق. فَدَعْ عنك مِنْ نظرةِ التَجَنّي ومِشْيةِ التَثنّي، وغُضَّ من عِنانِك[8] وخُذْ في تَرَضّي إخوانِك. وهِشَّ عند اللِقاء هِشّةً أرْيَحِيّة واقْنَعْ بالإيماء رَجْعَ تَحيّة[9]. فكأنّي بفِنائك

---

(١) يصف زهرة بتلاتها بيض وجوفها أصفر. الحيا: المطر.
(٢) التائه: المعجب (بضمّ الميم وفتح الجيم) بنفسه والمتكبّر على غيره.
(٣) تسرّى: ذهب في السريّة (خرج إلى الحرب): ذهب عنك. وربّما تسرّى: تزوّج سريّة (أمة من النساء). تسلّى (عنك): نسيك لاشتغاله بغيرك.
(٤) العذار: الشعر الذي ينبت في الوجه.
(٥) المنهل: المشرب (مكان الشرب). المقبّل: الفم.
(٦) بقل: نبت.
(٧) ركد: هدأ.
(٨) التجنّي: نسبة الذنوب إلى الآخرين، ظلم الآخرين. التثنّي: التخلّع، التايل بدلال. غضّ (اخفض) من عنانك (لجامك): اكبح نفسك، لا تحاول أن تستميل الناس بالتكبّر عليهم (ذلك تفعله النساء الجميلات الشابّات).
(٩) هشّ: تلقّ الناس بطلاقة وجه وبتواضع. الإيماء (الإشارة. لا تنتظر من الناس أن يحتفوا بك كما كانوا يفعلون من قبل).

مهجوراً وبزائرك مأجوراً[١]. والسلام.

- ومن مُقدّمة ديوانه (نثراً):

والشِعرُ - وإنِ آهْتُبِلَ به وآعْتُمِلَ فيه[٢] - ليس يخلو جَيّدُه من سَقَطٍ وانقسام إلى طَرَفَيْنِ ووسطٍ.... فكلُّ ما ينشأ من أجزاءٍ مُؤتَلفةٍ فإنّما يتركّبُ من أشياءَ مختلفةٍ. والشِعْرُ يأتلفُ من مَعْنًى ولفظٍ وعَروضٍ وحَرْفٍ رَوِيٍّ[٣]، فقد يَتعاصى في بعضِ الأمكنةِ جزءٌ من هذه الأجزاء أو أكثرُ.... وإنّ من قَوْلنا[٤] ما كنّا قدِ افْتَتَحْناه بمنثورٍ، ووَشّحناه بفِقَرٍ مُزدوجةٍ وشُذور[٥]. وها نحن قد أوْرَدْناه كما كنّا سَرَدْناه، ونَقلناه بحَسْبِ ما قُلْناه، تَعَلّقاً بُحرٌ من النثرِ يُساق خِلالِ النَظْمِ، ويَنْتقلُ مُطالعُه من قِسْمٍ من الكلام إلى قسم. ولَعلّ ذلك أبْسَطُ للنفسِ وأنْشَطُ، وأذهَبُ مَعَ الأُنسِ وأهْذَب[٦]. ومنه ما كان انتظَمَ في عَصْرِ الشبيبةِ وبطريق الدُعابة والطيبة؛ ولَمّا لم نُشِرْ في معناه إلى نُكْرٍ، ولم نُلِمَّ في ألفاظِهِ بهُجْرٍ، أثْبَتْناه في بابِ الفُكاهةِ والهَزْل. ولَعلّ لها مَوْقعاً من نَفْسِ الفتى النَدْب[٧] والسيّد الجَزْل[٨].

- وله مقطوعة في اللّهوِ:

وَلَيْـــلٍ تعاطَيْنـــا المُدام، وبَيْنَنـــا حديثٌ كما هَبَّ النسيمُ على الوَرْدِ.

---

(١) الفناء: الباحة أمام البيت. فناؤك مهجور (لا يزورك أحد). مأجور: له أجر عند الله (بالأمس كانوا يزورونك لمصية. واليوم يزورونك قياماً بواجب اجتماعيّ).

(٢) اهتبل: انتزع فجأة (أتى عفوا). اعتمل فيه: جهد الشاعر في نظمه.

(٣) العروض: وزن الشعر. الرويّ: الحرف الذي تبنى عليه قافية القصيدة.

(٤) قولنا: قول الشعر.

(٥) وشّح: زيّن. الفقرة (بالكسر): الجملة القصيرة. مزدوجة: جملتان متساويتان في الطول ومسجوعتان. الشذر (بفتح فسكون): قطع صغيرة من الذهب توضع بين حبّات اللؤلؤ في العقد (أتينا بين المزدوجات بجمل غير مسجوعة).

(٦) أبسط للنفس (أكثر سروراً) أذهب مع الأنس: أكثر موافقة للهو. أهذب: أشدّ أثراً في تهذيب النفس (؟).

(٧) النكر: الأمر المنكر (الذي لا يجوز فعله). الهجر: القول أو العمل القبيح.

(٨) الندب: الظريف. الجزل: العظيم، الكثير (الوقور).

نُعـاوِدُهُ والكـأسُ تَعبَـقُ نَفحَـةً،   وأطيـبُ منه ما نُعيدُ وما نُبْدي[1]،
ونُقلِي أقاحُ الثغرِ أو سَوْسَنُ الطُّلا   ونَرْجَسَةُ الأجفانِ أو وَردةُ الخدّ[2]،
إلى أن سَرَتْ في جِسمِهِ الكأسُ والكَرى   ومالا بعِطْفَيْهِ فمالَ على عَضُدي.
فأقبَلْتُ أستَهْدي لِما بينَ أضلُعي   مِنَ الحَرِّ مـا بينَ الثغورِ من البَرْدِ!
وعايَنْتُه قد سُلَّ من وَشْيِ بُردِهِ:   فعايَنْتُ فيه السيفَ سُلَّ من الغِمْد:
لَيـانَ مَجَسٍّ واستقامـةَ قامـةٍ   وهِزَّةَ أعطـافٍ ورَونَقَ إفرِنْدِ[3].
أُغـازِلُ منه الغُصْنَ في مَغْرَسِ النَقا   وأَلْثِمُ وجهَ الشمسِ في مطلَعِ السعد[4].
فـإنْ لم يَكُنْها أو تَكُنْه فإنّـه   أخوها كما قُدَّ الشِراكُ من الجِلْـد[5].
تسافرُ كِلْتـا راحَتَيَّ بجِسْمِـهِ،   فطَوْراً إلى خَصْرٍ وطوراً إلى نَهْـد:
فتَهْبِطُ من كَشْحَيْهِ كَفّي تِهامةً   وتصعَدُ من نَهْدِهِ أُخرى إلى نَجْـد[6]!

٤- ديوان ابن خفاجة، مصر (مطبعة جمعيّة المعارف) ١٢٨٦ هـ؛ (نشره كرم بستاني)، بيروت (دار صادر) ١٩٥١ م؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م؛ (تحقيق مصطفى غازي)، الاسكندرية (منشأة المعارف) ١٩٦٠ م.

★★ ابن خفاجـة، تأليـف محمّـد رضوان الدايـة، بـيروت (المكتـب الإسلامي) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.

قلائـد العقيـان ٢٣٦ - ٢٧٨؛ الصلـة ١٠٠ ومـا بعدهـا؛ بغيـة الملتمس ٢٠٢ - ٢٠٣؛ الخريـدة (المغرب والأندلس) ٢: ١٤٧ - ١٦٣، ٥٤٨ - ٥٥٢؛

---

(١) ما نعيد وما نبدي (نبدأ) من الكلام أو من الأفعال.

(٢) النقل: ما يتفكّه به الناس من المكسّرات والفاكهة وما شابهها. أقاح وأقاحيّ جمع أقحوان بضمّ الهمزة والحاء (القاموس ٤: ٣٧٦) الثغر (الفم: الأسنان. سوسن: زنبق. الطلا جمع طلاة (بالضمّ): العنق..... يقصد أنّه على الشراب لا يتناول اللوز والفستق. الخ، بل يقبّل هذه الأعضاء من المحبوب.

(٣) الليان: اللين. الإفرند: السيف.

(٤) - قامته التي هي كالغصن. النقا: الرمل الأبيض (يقصد أن وسط المحبوب كبير كأنّه تلّة من النقا).

(٥) فإنْ لم يكنها: إذا لم يكن هذا المحبوب هو الشمس (بالنصب على أنّها خبر كان، والضمير «هو» لتوكيد اسم كان). قدّ: قطع. الشراك: سير من جلد.

(٦) الكشح: أوسط الجسم (عند الخصر). تهامة (ساحل الحجاز): المكان المنخفض. النجد: ما ارتفع من الأرض.

الخريدة (الأندلس) ٢ : ١ - ٦ ، ٦٢٥ - ٦٣٣؛ الوافي بالوفيات ٦ : ٨٣ - ٩٠؛ وفيات الأعيان ١ : ٥٦ - ٥٧ ، ٣٩٥؛ المغرب ٢ : ٣٦٧ - ٣٧١؛ المطرب ١١١ - ١١٧؛ بغية الوعاة ١٨٤؛ نفح الطيب ١ : ١٦٩ - ١٧٠ ، ٢١٠ ، ٥٠٤ ، ٥٣٦ - ٥٣٩ ، ٦٧٧ - ٦٨٧ ، ٣ : ٢٠٠ - ٢٠٢ ، ٣١٨ - ٣٢٠ ، ٣٤٤ - ٣٤٥ ، ٤٠٥ ، ٤٦٠ ، ٤٨٨ - ٤٨٩ ، ٤ : ١٤ - ١٥ ، راجع ٥٤ ، ١٠٦ - ١٠٧ ، ٣٢٨ ، ٤٥٥ ، ٥ : ٥٩٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٨٢٢ - ٨٢٣؛ بروكلمن ١ : ٣٢١ ، الملحق ١ : ٤٨١ - ٤٨٢؛ مختارات نيكل ١٥٠ - ١٥٤؛ تاريخ الفكر الأندلسي ١٢٣ - ١٢٥؛ الأعلام للزركلي ١ : ٥١ (٥٧)؛ سركيس ١٩٥؛ تاريخ النقد (عباس) ٤٩٧ - ٤٩٩؛ نيكل ٢٢٧ - ٢٣١ .

أبو الفضل بن شرف

١ - هو أبو الفضلِ جَعفرُ بنُ محمّدِ بنِ شرفٍ القيرواني، وُلِدَ في بَرْجَةَ، قرب المَرِيّةِ (الأندلس) في الغالبِ، سَنَةَ ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) أو بعدَها بقليلٍ[١]. وكان أبو الفضلِ يتزيّا بزيِّ البدو. وجاء بهذا الزيّ من بَرْجَةَ إلى المَرِيّةِ لِيَمْدَحَ المعتصمَ بنَ صُمادِحٍ[٢]. ويبدو أنّ حالَه ارتقتْ بعدَ ذلك فكَثُرَ اتّصالُه بملوكِ الطوائف وتولّى عندهم عدداً من المناصب ثمّ تولّى مَنْصِبَ الوزارة[٣]. وكانتْ وفاةُ أبي الفضلِ جعفرُ بنُ شرفٍ سَنَةَ ٥٣٤ هـ (١١٤٠ م).

٢ - أبو الفضلِ بنُ شرفٍ « هو الحكيمُ الفيلسوف » (نفح الطيب ٣ : ٣٩٥)، وهو

---

(١) في نفح الطيب (٣ : ٣٩٥) « ... ولد ببرجة، وقيل إنّه دخل الأندلس مع أبيه وهو ابن سبع سنين ». ويبدو أن حسن حسني عبد الوهّاب قد قبل أن يكون مولد جعفر بن شرف في القيروان ودخوله إلى الأندلس في السابعة من عمره. وبما أن أبا عبد الله محمّد بن شرف (والد أبي الفضل جعفر) قد دخل إلى الأندلس في نحو سنة ٤٥٠ هـ، فقد جعل ولادة جعفر سنة ٤٤٤ هـ (مجمل تاريخ الأدب الأندلسيّ ١٧٧).

(٢) كان محمّد بن معن المعتصم بن صمادح من ملوك الطوائف في المريّة وما حولها. ويبدو أن جعفر بن شرف كان في مقتبل عمره لمّا جاء إلى المعتصم بن صمادح مادحا. ولعلّ ذلك كان قبل معركة الزلّاقة (٤٧٩ هـ)، فإنّ ملوك الطوائف اشتغلوا بعد تلك المعركة بدافعة المرابطين عمّا كان بأيديهم من البلاد التي كان النصارى الإسبان يستولون عليها قليلاً قليلاً، أي قبل أن يبلغ جعفر بن شرف الثلاثين من عمره.

(٣) مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٧٧ .

« فقيهٌ مشهورٌ » (بغية الملتمس ص ٢٣٩). ثمّ هو كاتبٌ شاعرٌ مليحُ المعاني عَذْبُ الكلام زادَ في رِقّةِ الشِعر على أبيهِ[١]. وتراه أحياناً يسمو بشِعرِه إلى المتانةِ والخُشونة حتّى يكادَ شعرُهُ يُصبحَ بَدْوِيًّا جاهليًا، كما يسمو أحياناً أخرى إلى مُعارضة المتنبّي فيُقاربُه في الألفاظِ وبِناء الأبيات، وربّما لَمَحَ لَمْحةً أدْنَتْهُ من معاني المتنبّي. وله أُرجوزةٌ[٢] في الزُهْد وذِكْر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والصحابةِ، ولعلّ له تصانيفَ.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي الفضل جعفر بن محمّد بن شرف حكم منها:

العالِم مع العلم كالناظر إلى البحر يستعظم منه ما يرى، وما غاب عنه أكثر - الفاضل في الزمن السوء كالمصباح في البراح[٣]، قد كان يضيء لو تركته الرياح - التعليم فلاحة الأذهان، وليست كلّ أرض منبتة - الحازم من شكّ فروّى وأيقن فبادر[٤] - ليس المحروم من سأل فلم يُعطَ، وإنّما المحروم من أُعطي فلم يأخذ.

- وقال يمدَحُ محمّدَ بنَ مَعنِ المعتصمَ بنَ صُمادح صاحبَ المَريّةِ:

مَطَـلَ الليــلُ بوعــدِ الفَلَـقِ ... وتَشكّــى النَجمُ طولَ الأَرقِ[٥].
ضربتْ ريحُ الصَّبا مِسْكَ الدُجى ... فأستفادَ الروضُ طِيبَ العَبَقِ[٦].
وألاحَ الفجرُ خــدًّا خَـجِـلًا ... جـال من رَشْحِ النَّدى في عَرَقِ[٧].

---

(١) خلط كثير من رواة الأدب والمؤرّخين في تاريخ الأدب بين أشعار أبي عبد الله محمّد بن شرف وبين أشعار ابنه أبي الفضل جعفر.

(٢) فهرسة ابن خير ٤٢٣.

(٣) البراح: المتّسع من الأرض لا زرع فيها ولا شجر.

(٤) البادرة: ما يسرع به الإنسان من قول أو عمل.

(٥) الفلق: انشقاق الفجر (طلوع الصبح). الأرق: السهر، قلّة النوم. - لم يفِ الليل بوعده في طلوع الصبح في حينه فسئمت النجوم من سهرها في هذا الليل الطويل.

(٦) ريح الصبا الشرقية (الباردة) اختلطت بلون الليل (الذي يشبه المسك الأسود) فنتجت(بالبناء للمجهول) منه رائحة طيّبة.

(٧) ألاح (أبدى، أظهر، أدار) الفجر خدًّا خَجِلًا: بدأ ظهور الفجر، فظهرت (في النور القليل) نقاط =

جـــاوزَ الليـــلَ إلى أنجُمِـــه فتساقَطْنَ سقوطَ الورقِ(١).
واستفـاضَ الصبحُ فيهِ فَيْضةً أيْقَنَ النجمُ لهـــا بالفرقِ(٢).
فانجَلى ذاك السَنا عن حَلَكٍ، وامّحَى ذاك الدُجى عن شَفَقِ(٣).
بـأبي بعدَ الكَرى طَيْفٌ سَرَى طارقـاً عن سَكَنٍ لم يَطْرُقِ(٤)،
زارني والليـــلُ نـاعٍ سِدْفَــه وهو مطلوبٌ ببعضِ الرَمَقِ(٥).
ودموعُ الطَـلِّ تَمْريهـا الصَبـا، وجفونُ الروض غَرْقى الحَدَقِ(٦)؛
فتأنّـــى في إزار ثابـــتٍ، وتَثنّـــى في وِشاحٍ قَلِـقِ(٧).
وتجلّـــى وجهُـــه عن شَعْرِه فتجلّـــى فَلَـقٌ عن غَسَقِ(٨).
نَهَــبَ الصبــحُ دُجــى لَيْلتــه فحَبـا الخدَّ ببعض الشَفَقِ(٩).

= الندى (التي كانت قد نزلت في الليل البارد على الأشجار) كأنّها نقاط عرق (على خدّ جميل).

(١) - بعد أن بدأ الفجر يطرد الليل وصل إلى النجوم فأخذت تختفي نجماً بعد نجم (كما تتساقط أوراق الشجر في الخريف).

(٢) ثمّ جاءت دُفعة جديدة من نور الفجر فأيقنت النجوم أنّها ستختفي كلّها بعد ذلك.

(٣) فتبدّى السنا (النور) بعد الحلك (الظلام). وذهب الدجى (ظلام الليل) وبقي مكانه الشفق (حمرة الفجر).

(٤) أفدي بأبي = أبي فداء: ما أحسن هذا الطيف (الخيال الذي رأيته في المنام) والذي جاء في آخر الليل (بعد أن نمت). طارقاً: مفاجئاً (على غير انتظار). سكن: شيء تسكن إليه، تسرّ به. لم يطرق: لم يزر (قبل الآن).

(٥) ناعٍ سِدفَه (شدّة ظلامه): وقد أوشك أن ينتهي. وهو مطلوب: يطلبه (يلحق به) الصبح ليجهز عليه، ولا يزال فيه بعض الرمق (بقيّة يسيرة).

(٦) - وكانت نقاط الندى قد بدأت تمريها الصبا (قد بدأت ريح الصبا العليلة الخفيفة تهزّ الأغصان فتتساقط حبّات الندى). بينما بقي عدد من الأزهار تملأه نقاط الندى (وعيون الروض، أي الأزهار) غرقى (يملأها الندى). الحدق: العيون (هنا: قلب الزهر).

(٧) فتأنّى (المحبوب الذي جاءني في المنام): سار على مهل. بإزار ثابت (كان إزاره، أي الثوب الذي على القسم الأدنى من جسمه، ثابتاً لا يتحرّك، لأنّ أوسط جسمه مليء مكتنز) ويتثنّى (يتمايل بدلال) بوشاح (عِقد أو شيء تطرحه المرأة على أكتافها) قلق (كثير التحرّك، لأنّ القسم الأعلى من جسد المحبوب أهيف، رشيق، ناحل).

(٨) ولمّا أزاح شعره عن وجهه فكأنّه أزال الغسق (الظلام: شعره الأسود) عن الفلق (الصبح: وجهه الأبيض).

(٩) إنّ الليل قد أخذ لونه من سواد شعر المحبوب وعوّضه عن ذلك شيئاً من الحمرة في خدّه.

سَلَبَتْ عيناه حَدَّيْ سَيْفِه وتَحلّى خَدُّه بالرَّوْنَقِ[1] .

وهَنا أربعةٌ وعشرونَ بيتاً تَصِفُ فرساً وفارسه وجَوَلانَهُما في معركةٍ خيالية يتّخذُها الشاعرُ وسيلةً إلى الإتيان بصُوَرٍ بلاغيةٍ بارعةٍ مَعَ عددٍ من الألفاظ الغريبة. وتنتهي القصيدةُ بأربعة أبياتٍ في المديح، هِيَ:

يا بني مَعْنٍ لقد ظَلَّتْ بكم شَجَرٌ لَوْلاكُمُ لم تُورقِ[2] .
لو سقى حَسَّانَ إحسانُكُمُ ما بكى نُدمانَه في جِلَّقِ[3] .
أو دنا الطائيُّ من حيِّكُمُ ما حدا البرقَ لربع الأبرقِ[4] .
أبْدَعوا في الفضل حتى كلَّفوا كاهلَ الأيام ما لم يُطِقِ[5] .

- وله من قصيدة في الحماسة والحكمة:

إنّي - وإنْ غرّني نَيْلُ المُنى - لأَرى حِرْصَ الفتى خَلّةً زِيدَتْ إلى العَدَمِ[6] .
تَقَلَّدَتْني الليالي وَهْيَ مُدْبِرَةٌ كأنني صارمٌ في كفِّ مُنهزِمِ[7]!
ذَهَبْتُ بالنفسِ لا أُلْوي على نَشَبٍ، وإنْ دُعِيتُ بِهِ ابنَ المجدِ والكرمِ[8] .

(۱) في عينيه وخدّه صفات السيف: حدّ السيف القاطع في عينيه، ولون السيف المجلوّ الأبيض في وجهه. الرونق: الجمال والبياض.

(۲) ظلّت = أظلّت: ظلّلت (الناس) بحكمكم الأمين العادل وبكرمكم.

(۳) لو أنّ كرمكم وصل إلى حسّان بن ثابت لنسي (لما ذكر حسّان) كرم ممدوحيه في جلّق (بصري عاصمة الغساسنة). كان حسّان قد قال:

لله درّ عصابة نادمتهم يوماً بجلّق في الزمان الأوّل.

يمكن ضبط هذا البيت ببناء «سقى» للمجهول (سقي) وبرفع حسّان ونصب إحسانكم.

(٤) ولو أنّ حاتماً الطائي جاوركم مدّة لما اشتاق إلى ربع الأبرق.

(٥) لقد جاء الممدوحون (بنومعن) ببدع (أشياء لم تعرف من قبل) في الكرم، حتّى لو أنّ أحداً أراد تقليدهم لم يستطع.

(٦) الحرص: الجشع، الطمع في الحصول على كلّ شيء. الخلّة (بفتح الخاء): الخصلة، الخاصّة، الصفة. العدم: الفقر.

(۷) تقلدتني الليالي: حملتني، تزيّنت بي. مدبرة: متقهقرة، (أيام فقر وهزيمة). صارم: سيف. - جئت في زمان لم أستطع أن أستفيد فيه من مواهبي.

(۸) ذهبت بالنفس (بنفسي): تكبّرت، فضّلت نفسي على كلّ شيء، ترفعت عن أمور الدنيا. لا ألوي (ألتفت) إلى نشب (مال، ثروة).

فللمصارع أطرافُ اليراعِ يدٌ بَنَتْ لي المجدَ بين السيفِ والقلم[1].

- وقال يشكو الدهر وأهله (نفح الطيب ٣: ٢٢٩):

لعمْرُكَ ما حَصَلْتُ على خطيرٍ من الدنيا ولا أدْركتُ شيّا[2].
وها أنا خارجٌ منها سَلِيباً أُقلّب نادماً كِلتا يديّا.
وأبكي ثم أَعْلَمُ أنْ مبكايَ لا يُجدي فأمسحَ مقلتيّا[3].
ولم أجزَعْ لِهَوْل الموت لكنْ بَكَيْت لِقلّةِ الباكي عليّا،
وأنّ الدهرَ لم يَعْلَمْ مَكاني ولا عَرَفَتْ بَنُوهُ ما لديّا؛
زمانٌ سوف أُنشَرُ فيه نَشراً إذا أنا بالحِمامِ طُويت طيّا[4].
أُسَرُّ بأنّني سأعيشُ مَيْتاً به، ويسوءُني أنْ مِتُّ حيّا[5].

- وفد أبو الفضلِ بنُ شرفٍ مرّةً على المعتصم بن صُمادِح يشكو إليه عاملاً (جابيَ ضرائبَ) ناقَشَه في قريةٍ يحرُثُ فيها، ومدحه بقصيدةٍ مطلعها (نفح الطيب ٣: ٣٩٦):

قامَتْ تَجُرُّ ذُيولَ العَصْبِ والحِبَرِ ضعيفةُ الخَصْرِ والمِيثاقِ والنظرِ[6].
لم يَبْقَ للجَوْرِ في أيّامِكم أثَرٌ إلّا الذي في عُيونِ الغِيد من حَوَرِ[7].
من كلّ ماذِيةٍ أُنثى، فيا عَجَبَا كيف استهانَتْ بوقعِ الصارمِ الذكَرِ[8].

- وقال في التملّق والمدارة:

إذا ما عدُوُّك يوماً سما إلى رُتْبَةٍ لم تَستَطِعْ نَقْضَها،

---

(١) البراعة: القصبة الجوفاء (القلم) - ولعلها الرماح (؟).
(٢) خطير: عظيم، مهمّ، ذو قيمة.
(٣) يجدي: ينفع.
(٤) أنشر: أبعث (اشتهر). الحمام: الموت.
(٥) عشت مَيْتاً (مغموراً، مجهولاً)، وسأعيش ميتاً: سأشتهر بعد موتي.
(٦) العصب: نوع من البرود (ثياب الحرير المقصّبة: المنسوجة بالذهب). الحبر: الثياب حرير سود.
(٧) الغيداء: المرأة الجميلة. الحور: شدّة ابيضاض بياض العين وشدّة اسوداد سوادها.
(٨) الماذيّة الدرع (والدرع التي تلبس في الحرب مؤنّثة). الصارم الذكر: السيف الذي سقي الذكرة (بضمّ الذال)، الفولاذ.

فقبِّـــلْ- ولا تأنَفَنْ- كَفَّـــه إذا أنــتْ لم تستطــع عَضَّهــا.

٤-★★ قلائد العقيان ٢٩٠ - ٣١٤؛ الصلة ١٣١؛ التكملة ٨٧٠؛ الذخيرة ٣: ٨٦٧ - ٨٨٦؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ١٧١ - ١٨١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٢٣ - ٣٩؛ المغرب ٢: ٢٣٠ - ٢٣٢؛ نفح الطيب ١: ١٥١، ٣: ٢٢٩، ٣٧١، ٣٩٣ - ٣٩٦، ٣٩٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٦ - ٩٣٧؛ نيكل ١٨٧ - ١٨٨؛ مختارات نيكل ١٢٩ - ١٣٠؛ الأعلام للزركلي ٢: ١٢٤ (١٢٨).

أبو العبّاسِ بنُ العَريفِ

١ - هُوَ أَبُو العبّاس أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ موسى بنِ عطاءِ اللهِ الصِنْهاجي الأندلسيّ المَريّيّ، من قبيلة صِنْهاجةَ ومنسوباً إلى مدينةِ المَريّةِ في الأندلس (وفيات الأعيان ١: ٩٤).

وُلدَ أبو العبّاسِ بنُ العَريفِ في الثاني من جُمادى الأولى من سَنَة ٤٨١ (٢٣/٨/١٠٨٨ م). وقد كان من رجالِ التَصوُّفِ الصالحين. وكانت بَيْنَه وبينَ القاضي عياضِ بنِ موسى اليَحْصُبيّ (ت ٥٤٤ هـ) مكاتباتٌ. ووَشَى به بعضُ أعدائهِ إلى سُلطان المُرابطين عليِّ بنِ يوسفَ بن تاشِفينَ فاَسْتَقْدَمَهُ عليُّ بنُ يوسفَ إلى مَرّاكُشَ. وفي مَرّاكُشَ تُوُفّيَ أبو العبّاس بن العريف، في ٢٢ من صَفَرَ من سنة ٥٣٦ (٢٦/٩/١١٤١ م).

٢ - كان أبو العباس بنُ العريفِ الصِنهاجيّ من كِبار الصالحين، وقد كانتْ له مُشارَكَةٌ في أشياءَ من العلومِ وعِنايةٌ بالقِراءاتِ كما كانت له كُتُبٌ منها «كتاب المجالس» (ممّا يتعلّق بطريقة الصوفية). وكذلك كان له نَظْمٌ حَسَنٌ على الطريقة الصوفية.

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي العبّاس بنِ العريفِ أبياتٌ رَقيقةٌ على مَذْهَب الصوفية (بغية الملتمس ١٥٥؛ وفيات الأعيان ١: ٩٤):

شَدّوا المَطِيَّ وقد نالوا المُنى بِمِنى، وكُلُّهُمْ بألِيمِ الشَّوْقِ قد باحا[1].
سارَتْ رَكائِبُهُم تَنْدى روائِحُها طِيباً بما طاب ذاكَ الوَفْدُ أشْباحا[2]:
نَسيمُ قَبْرِ النَبِيِّ المُصْطَفى لَهُمُ رَوْحٌ إذا شَرِبوا مِنْ ذِكْرِهِ راحا[3].
يا واصلينَ إلى المُخْتارِ من مُضَرٍ، زُرْتُمْ جُسوماً وزُرْنا نَحْنُ أرْواحا[4].
إنّا أقَمْنا على عُذْرٍ وعن قَدَرٍ؛ ومَنْ أقام على عُذْرٍ كَمَنْ راحا[5].

- وقال أبو العبّاس بن العريف (نفح الطيب ٥ : ٥٩٨):

لستُ أدري أطالَ لَيْلِيَ أم لا؛ كيف يدري بذاك من يَتَقلّى[6]؟
لو تفرّغتُ لاستطالة ليلي ولِرَعْيِ النجوم كُنْتُ مُخِلّا[7].
إنّ للعاشقين عن قِصَرِ الليـ ـلِ وعن طولِهِ من الفِكْرِ شُغْلا[8].

- وقال (نفح الطيب ٤ : ٣٣١):

إذا نزلتْ بساحتك الرزايا فلا تجزَعْ لها جَزَعَ الصَبِيِّ[9].
فإنَّ لكلِّ نازلةٍ عزاءً بما قد كان من فَقْدِ النبيِّ[10]

(١) أسرجوا مطاياهم (خيلهم وإبلهم) وسافروا عليها. مِنى منسك من مناسك الحجّ شرق مكّة.
(٢) مطاياهم كانت ذات رائحة طيبة وأجسامهم كانت ذات رائحة طيّبة.
(٣) الروح (بالفتح): الراحة، السرور. إذا ذكروا الرسول طربوا كما يطرب الذي يشرب الراح (الخمر).
(٤) المختار من أسماء الرسول. مضر: من عرب الشمال. - أجسامكم زارت الأجسام (الأبنية) في مكّة، ولكن أرواحنا التقت بذكر الرسول وبالشوق إلى تلك الأماكن (التي زرتموها أنتم بأجسامكم).
(٥) نحن أقمنا (في بلادنا: لم نذهب إلى الحجّ) عن عذر (لأنّنا غير مستطيعين أن نذهب إلى الحجّ) وعن قدر (والله تعالى لم يكتب لنا أن نذهب إلى الحجّ). ولكنّنا في الأجر سواء (أنتم رغبتم في الذهاب إلى الحجّ ويسّر الله لكم ذلك. ونحن رغبنا في الذهاب إلى الحجّ ولم ييسّر الله لنا ذلك).
(٦) تقلّى: جلس مضطرباً متململاً (كأنّه يتقلّب في المِقلى على النار).
(٧) لو كنت أفكّر في طول الليل وقصره (في أمور هذا العالم) لكنت مخلّاً (مقصّراً): كنت متلهّياً عن ذكر الله بذكر أشياء لا قيمة لها.
(٨) إنّ العاشقين (المحبّين لله - من أهل التصوّف) يشغلهم (بفتح الياء والغين) ذكرهم لله عن كلّ شيء
(٩) الرزيّة: المصيبة الكبيرة. الجزع: الخوف مع الاضطراب.
(١٠) النازلة: المصيبة. عزاء: تسلية، نسيان. - إنّ الذين يدركون مصيبة المسلمين بوفاة الرسول تهون عندهم جميع المصائب الأخرى.

٤ - محاسن المجالس (تحقيق آسين بالاثيوس)، باريس ١٩٣٣ م.

** بغية الملتمس ١٥٤ - ١٥٥؛ المقتضب ١٧؛ الوافي بالوفيات ٨: ١٣٣ - ١٣٥؛ وفيات الأعيان ١: ٩٣ - ٩٤؛ المغرب ٢: ٢١١ - ٢١٢؛ المطرب ٩٠ - ٩١، شذرات الذهب ٤: ١١٢؛ نفح الطيب ٣: ٢٢٩ - ٢٣٠، ٤: ٣١٩، ٣٣١، ٥: ٥٩٧، ٥٩٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧١٢ - ٧١٣؛ بروكلمن ١: ٥٥٩، الملحق ١: ٧٧٦؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٠٨ - ٢٠٩ (٢١٥).

ابن برنجال

١ - هو أبو بكرٍ أبو عليٍ محمّدُ بنُ الحسن بنِ يحيى بنِ خلفٍ الأُمويُّ الأندلسيّ ويعرف بابن بَرَنْجالَ. كان من أهلِ دانيَةَ (بشرقِ الأندلس)، سَمِعَ في بلدِهِ من طاهرِ ابنِ هشامٍ وغيرِه. ثمّ رَحَلَ إلى المشرقِ وحجّ. وقد سَمِعَ في القُدْس (٤٦٥ هـ) من أبي الفتحِ نصرِ بنِ إبراهيمَ المَقْدسيّ (٣٧٧ - ٤٩٠ هـ) وفي عَسقلانَ (فِلَسْطين) وغيرِها. وكان (٤٦٩ هـ) في الإسكندرية يتصدّر للتدريس فأخذَ عنه الناسُ. ولكن نزلتْ به ضِيقةٌ ثمّ ٱنفرجَتْ بأن تولّى القضاءَ في الصعيدِ (مِصرَ العليا) ثمّ في وادي إخميم.

وعاد ٱبنُ بَرَنْجالَ إلى الأندلُسِ وتصدّرَ في دانيةَ للتدريس (٤٧٢ هـ) وتولّى القضاءَ فيها أيضاً. وكانت وفاتُه في دانيةَ في الثالثِ والعِشرينَ من رَجَبَ من سَنَةِ ٥٣٦ (٢٠/ ٢/ ١١٤٢ م).

٢ - كان ٱبنُ بَرَنْجالَ الأندلسيُّ فقيهاً مالكيًّا من أهلِ الدِّرايةِ في الفِقه والحديث والنحو. وكان أيضاً أديباً شاعراً. وشِعرُه وُجْدانيٌّ سهلٌ يدُلّ على تَسامي نفسِه.

٣ - مختارات من آثاره:

قال ابنُ بَرَنْجالَ عن نفسِه (وكان في مِصْر):

أمْلَقتُ سَنَةً من السِنينَ، فقُلْتُ: أدْرَكَتْني حِرفةُ الأدب[1]، فعَزَمْتُ على أن أقولَ

(١) أملق الرجل: افتقر. أدركتني (لحقتني) حرفة الأدب: قول شائع معناه أن العاملين في حقل الآداب والعلوم والدين لا تعظم ثرواتهم في الغالب، كما يقول ابن خلدون.

شِعراً في والي عَيْذابَ أمْتَدِحُه وأستحذيه(١). أخّرت نَفْسِيَ إلى السَحَر وأعددتُ دَواةً وقُرطاساً فلم يُساعِدْني القولُ فيه(٢) بشيء. وأجرى اللهُ القلمَ بأنْ كَتَبَ:

قالوا: تَعطّفْ قلوبَ الناس! قُلْتُ لهم: أدنى من الناسِ عَطْفاً خالقُ الناس.
ولو عَلِمْتُ لسَعْيِي أو لِمَسْأَلَتي جَدْوَى، أتَيْتُهُمُ سَعْياً على الراس(٣).
لكنّ مِثْلِيَ في ساحاتِ مِثْلِهِمُ كمَزْجَرِ الكلبِ يرعى غَفلةَ الخاسي(٤).
وكيف أبسُطُ كفّي للسؤال وقد قَبَضْتُها عن بني الدُنيا على اليأس(٥).
تسليمُ أمْري إلى الرحمنِ أمْثَلُ بي مِنَ اسْتلامِيَ كفَّ البَرّ والقاسي(٦).

فقَنَعَتْ نفسي وأقبلَ أُنْسي وحَمِدتُ اللهَ جلَّ وعزَّ وشكرتُهُ على ما صَرَفَني عنه من اسْتِجْداءِ مخلوقٍ مِثْلي. فما لَبِثْتُ ثلاثةَ أيّامٍ حتّى جاءني كتابُ والي عَيْذابَ يُولّيني فيه بخُطّةِ قضاءِ القُضاةِ(٧) بالصعيدِ ثمّ وادي إخْميمَ.

٤ - ** المحمّدون ٣٠٥ - ٣٠٦؛ نفح الطيب ٢: ٥٠٨.

الإمام المازري

١ - هو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عليِّ بنِ عُمَرَ بنِ محمّدٍ التميميُّ المشهورُ بالمازَرِيّ(٨) نسبةً

---

(١) عيذاب: مرفأ في جنوب مصر على البحر الأحمر. أستحذيه: أطلب منه حذاء أو عطاء.
(٢) السحر: آخر الليل قبل الفجر (يكون الإنسان في مثل هذا الوقت قد نال قسطاً كافياً من النوم وارتاح جسمه وعقله فيكون أكثر نشاطاً وأقدر على نظم الشعر وعلى غير نظم الشعر).
(٣) جدوى: فائدة.
(٤) في الأصل: ساحات مثلكم. والمعنى يقتضي: مثلهم. مزجر الكلب (الجلوس بعيداً) يرعى (يراقب) غفلة الخاسي (الخاسيء) والخاسي من الكلاب الكلب الذي لا يترك أن يدنو من الناس. والشاعر يقصد بالخاسيء الذي يطرد الكلب. فيقول الشاعر أراقب غفلة الذين يطردونني، فإذا غفلوا عني اقتربت من طعامهم.
(٥) قبضتها عن بني الدنيا على الياس: كنت قد مددتّ يدي إلى الناس مراراً فرجعت يدي فارغة ورجعت أنا يائساً من خيرهم.
(٦) أمثل: أليق. الاستلام: تقبيل اليد ونحوها. البرّ: التقي، الرفيق بالناس.
(٧) استجداء: طلب الجدوى (العطيّة). قاضي القضاة: منصب يتناول القضاء العام غير قاصر على بقعة معيّنة.
(٨) معظم هذه الترجمة مبنيّ على كتاب حسن حسني عبد الوهّاب (ت ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م).

إلى مازَر[1]، وَهِيَ بلدةٌ على الساحلِ الجَنوبيّ من جزيرةِ صِقلّيَة (أو سِقِلّية). ويبدو أن مَوْلدَهُ كان في المَهْديّة (بالقُطر التونسيّ)، نحوَ سَنَةِ ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م)، وفيها نشأ وتلقّى علومَه على نَفَرٍ من علماءِ المهدية، مِنْهُمُ الفقيهُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدٍ الرَبَعِيّ اللَّخْميّ (ت ٤٧٨ هـ) وأبو محمّدٍ عبدِ الحميدِ بنُ محمّدٍ المعروفُ بابنِ الصائغ (ت ٤٨٦ هـ).

تصدّرَ المازَريُّ للتدريسِ في المَهديةِ وقَصَدَه الطلّابُ من القُطر التونسي ومن خارجه. وكانت وفاتُه في (يومِ الاثنينِ) ثامنَ عَشَرَ ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٥٣٦ (٢١/١٠/١١٤١ م). في المهديّة.

٢ - كان الإمامُ المازَريُّ مُحدّثاً حافظاً وفقيهاً مُجتهداً، إلّا أنّ قَلَمَه (كتابتَه) أبلغُ من لِسانه (كلامِه)، وإنْ كان كثيرَ الاستشهاد بالأدبِ كثيرَ الإيرادِ للحكايات. وكان ناثراً يُشْبِهُ نَثْرُهُ نَثْرَ الفقهاءِ عامّةً، ولعلّه كان يَنْظِمُ أيضاً. وقد تعلّم المازَرِيُّ الطِبَّ. ثمّ هو مصنِّف للكتب مُكْثِرٌ، له: المُعْلِم بفوائد مُسْلِم (وهو مجموعُ ملاحظاتٍ أبداها المازَرِيُّ لمّا قُرِىءَ عليه صحيحُ مُسلم القشيريّ، في المهدية، في رَمَضانَ من سَنَة ٤٩٩؛ ولا تبلُغُ تلك الملاحظاتُ إلى أن تكونَ شرحاً) - إيضاح المحصول من بُرهان الأصول (وهو شرحٌ على: البُرهان في أُصول الفِقه لإمامِ الحَرَمَيْنِ أبي المعالي عبدِ الملك بنِ محمّدٍ الجُوينيّ؛ وكتاب البرهان مفقود) - المُعين على التلقين (شرحٌ كبيرٌ على كتاب «التلقين» لأبي محمّدٍ عبدِ الوهّاب بنِ عليٍّ الثعلبيّ المالكيّ، قاضي بَغْدادَ والمُتَوفّى سَنَةَ ٤٢٢ هـ) - نظْمُ الفرائدِ في علم العَقائد (صنّفه المازَريّ في المعتقدات وأصولها) - تعليق على «مدوّنةِ» سَحنونٍ (المُتَوفّى سنة ٢٤٠ هـ) - عددٌ من «الأمالي» على «رسائل إخوانِ الصفا» (في إيضاح عددٍ من مُشكلات هذه الرسائلِ في العلوم الرياضيّة والآراء الفلسفية) - «الواضح في قَطْعِ لِسان النابح» (في الردّ على مُسلمٍ كان في صقلّية ثم ارتدّ وجَعَلَ يطعَنُ على الإسلام) - كشفُ الغطا عن لمس الخطا - كتاب في الطب (؟) - تثقيفُ مقالةِ أُولي الفَتْوى وتعنيفُ أهل الجَهالة والدَعْوى.

---

(١) مازر (بفتح الزاي) - راجع تاج العروس (الكويت) ١٤ : ١٢٠.

مختارات من آثاره:

- قال الإمامُ أبو عبد الله محمّدُ بنُ عليّ المازَريُّ:

ما أفْتَيْتُ قطُّ بغيرِ المشهور، ولا أُفتي به (بغير المشهور).

- وقال الإمامُ المازَرِيُّ في الإفتاء قولاً على شيءٍ من التفصيل:

ولست أحْمِلُ الناسَ على غيرِ المشهور من قولِ العلماء، لأنّ الوَرَعَ[1] قلّ، بل كاد يُعْدَمُ. والتحفّظ على الدياتِ كذلك[2]. و(قد) كَثُرَتِ الشَهَواتُ وكَثُرَ مَنْ يدّعي العِلْمَ والتجاسر[3] على الفَتْوى. ولو فُتِحَ لهؤلاء بابُ مُخالفةِ المشهور من المذهب لاتّسَعَ الخَرْقُ على الراقع[4] و(لَـ) ـهتكوا حِجابَ هَيْبة الدين. وهذا من المُفسدات التي لا خَفاءَ فيها.

- وسئل الإمامُ المازَرِيُّ عن الأحكام التي يُصْدِرُها القُضاةُ المُسلمون في صِقِلّيَةَ (وصقلّيةُ يومَذاك في حُكم دولةٍ غيرِ مُسلمةٍ)، كما سُئِلَ عن إقامةِ المسلمين فيها: أي آختياريّةٌ مِنهُمْ أمِ اضطرارية؟ فقال:

القادحُ في هذا[5] على وَجْهَيْنِ: الأوّلُ في الكلام على القاضي من ناحية العَدالة (إذا) أقامَ ببلدِ الحربِ في قيادةِ أهلِ الكُفْر. وذلك لا يُباح. والثاني من ناحيةِ الوِلاية، إذ هو مَوَلّى[6] من قِبَلِ أهلِ الكفر. فالأوّل له قاعدةٌ يُعْتَمَدُ عليها (اقرأ: تعتمد) شرعاً - وهي تحسينُ الظنّ بالمسلمين ومُباعدةُ المَعاصي عنهم، فلا يُعْدَلُ[7] عن هذا الأصلِ لِظُنونٍ قد تكون كاذبةً. ومِثالُه حُكْمُنا بظاهرِ العَدالة. وقد يجوزُ (أن

---

(١) الورع: التقوى (الخوف من أن يقع الإنسان في الخطأ).

(٢) التحفّظ: العناية. الدية: الغرامة التي توضع على القاتل (لابدّ من نصب قاض لإقامة الحدود: القضايا الجنائية، على الأقل).

(٣) اقرأ: وكثر التجاسر.

(٤) «اتّسع الخرق (الشقّ) على الراقع»، مثل. أي اصبح إصلاح الأمور صعبا.

(٥) الذي يذمّ (القاضي المسلم إذا عيّنه سلطانٌ غير مسلم في بلد غير مسلم).

(٦) مولّى: معيّن في منصب.

(٧) فلا تترك هذه القاعدة الأساسية.

يكون ذلك القاضي) في الخفاء وفي نَفْسِ الأمرِ (قدِ) ارتكبَ كبيرةً؛ إلّا من قامَ الدليلُ على عِصمته. وهذا التجويزُ مطروحٌ[1]. والحكم للظاهر، إذ هو الأصل؛ إلّا أنْ يَظْهَرَ (على ذلك القاضي) من المخايل[2]ما يخرُجُ عن الأصل. فيجبُ التوقُّفُ[3] حينئذٍ حتّى يظهَرَ ما يُوضح.

(ثمّ) هذا المقيمُ ببلدِ الحربِ، إنْ كان (يُقيم) اضطراراً، فلا شكّ في أنّ (ذلك) لا يقدَحُ في عَدالته. وكذلك إن كان اختياراً (ولكنْ) جاهلًا بالحُكْم أو معتقداً للجواز، إذ لا يجب عليه أن يعلَمَ هذا الطَرَفَ من العلم وُجوباً يقدَحُ تَرْكُه في عَدالتِه[4]. وكذلك إنْ كان مُتأوِّلًا - وتأويلُه كإقامتِهِ بدارِ الحربِ لرجاء افتكاكِها وإرجاعها إلى الإسلام، أو لِهدايةِ أهلِ الكفر، أو نَقْلِهِمْ عن ضَلالةٍ ما........

وأمّا الوجهُ الثاني، وهو تَوليَةُ (الحاكم) الكافر للقُضاة والعُدول والأمناء وغيرِهم، فحَجْزُ الناسِ بعضِهم عن بعضٍ واجبٌ حتّى ادّعى بعضُ أهلِ المذاهب أنّه جائزٌ عقلًا...... فتَوْلِيَةُ (الحاكم) الكافر لهذا القاضي العَدْلِ - إمّا لِضَرورةٍ إلى ذلك أو لطلبِ من الرعيّةِ - لا يقدَحُ في حُكمه. (ثمّ) تُنَفَّذُ أحكامُه كما لو (كان قد) ولّاهُ سُلطانٌ مُسْلمٌ. واللهُ الهادي إلى سَواء السبيل.

٤ - ** الإمام المازَريّ، تأليف حسن حسني عبد الوهّاب (منشورات لجنة البعث الثقافي الإفريقي - دار الكتب الشرقية)، تونس (الشركة التونسية لفنون الرسم) ١٩٥٥ م (تاريخ كلمة التصدير). - راجع نقد هذا الكتاب في « مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ٣١: ٣٠٤.

وفيات الأعيان ٤: ٢٨٥، الوافي بالوفيات ٤: ١٥١؛ العبر للذهبي ٤: ١٠٠ - ١٠١؛ الديباج المذهب ٢٧٩ - ٢٨١؛ شذرات الذهب ٤: ١١٤؛ نفح الطيب، راجع ١: ٥٨٦، ٢: ١٥٩، ٦٥٠، ٥: ٣٠٦؛ أزهار الرياض ٣: ١٦٥؛ بروكلمن، الملحق ١: ٦٦٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٦٤ (٦: ٢٧٧).

---

(١) مطروح: متروك، مهمل (يجب طرحه: تركه).
(٢) المخايل: العلامات.
(٣) التوقّف: ترك الحكم إثباتاً أو نفياً.
(٤) إنّ نفراً كثيرين من الناس ليسوا أهل علم بالحكم الشرعي في كلّ الأمور.

أبو الطاهر التميمي القرطبيّ

١ - هو أبو الطاهرِ محمدُ بنُ يوسفَ بنِ عبد الله بنِ يوسفَ بنِ عبدِ الله بنِ إبراهيمَ التميميُّ(١) المازِني القُرطُبيُّ السَّرَقُسْطيّ المعروف أيضاً بالأشتركوني أو الأشتركوبي (نسبةً إلى أشتركوي، وهي حِصنٌ قُرْبَ تُطيلة في شَمالِيّ الأندلس، ويبدو أن أصل أهله منها). ولكنّ أبا الطاهرِ التميميَّ نفسَه وُلِدَ في سَرَقُسْطَةَ ثم كان مسكنهُ في قُرطُبَةَ.

تلقّى أبو الطاهرِ التميميّ القُرْطبيّ العلم على نَفَرٍ كثيرين، أخذ أكثر ما أخذَه عن الحافظ أبي عليٍّ الحُسينِ بنِ فِيرُّه بنِ حيّونِ بنِ سُكَّرة الصَّدَفيِّ السَرَقُسْطيّ (ت ٥١٦ هـ) في مُرسِيَةَ. وروى ابنُ الأبّار (المعجم ١٤١) أنّ أبا الطاهرِ التميميَّ كان في مُرسيةَ سَنَةَ ٥٠٨ وسنة ٥٠٩ هـ (١١١٤ - ١١١٦ م) كما كان في سَبْتَةَ في سَنَةِ ٥٠٩ هـ أيضاً.

ورَحَلَ أبو طاهرٍ كثيراً في طَلَبِ العلمِ فأخذَ عن أبي محمّدِ بنِ السِيدِ البَطَلْيَوْسِيِّ (ت ٥٢١ هـ) في بَلَنْسِيَةَ، وعن أبي عِمرانَ بنِ أبي تليدٍ وأبي محمّدِ بنِ ثابتٍ وأبي محمّدٍ الركليّ في شاطِبَةَ، وعن أبي محمّدٍ عبدِ الرحمنِ بنِ محمّدِ بنِ عتابٍ وأبي بحرٍ وأبي القاسمِ ابن أبي صوابٍ في قُرْطبَةَ. وكذلك راسلَ نفراً من العلماء في فنونٍ مختلفةٍ من العلم والأدب، من هؤلاء أبو بكرٍ غالبُ بنُ عَطِيّةَ وأبو الحسنِ بنُ الباذِشِ في غَرْناطةَ، وابنُ أختِ غانمٍ في مالَقَةَ، وابنُ الأخضر وابنُ العربي في إشبيلِيَةَ؛ وقد لَقِيَ بعضَ هؤلاء أيضاً.

وأقرأ أبو الطاهرِ وَحَدَثَ في قُرْطُبَةَ مُدّةً(٢).

وفي سَنَةِ ٥٣٨ هـ لَحِقَتْ أبا الطاهرِ زَمانةٌ (عِلّةٌ مُقْعِدَةٌ) تُوُفّيَ منها في ٢١ من جُمادى الأولى(٣) من سَنَةَ ٥٣٨ (١١٤٣/١٢/٢ م).

---

(١) يرد اسم صاحب هذه الترجمة في عدد من النسخ المخطوطة لكتاب «المسلسل» (راجع ص ٧ - ١٥ من النسخة المطبوعة): الشيخ أبو الطاهر محمّد بن يوسف بن عبد الله التميميّ.

(٢) لعلّ أبا الطاهر قد خدم بالكتابة في بعض أدوار حياته.

(٣) في نسختين مخطوطتين من كتاب «المسلسل» أنّ وفاة أبي طاهر الاشتركوبي كانت لثمان بقين من شهر ربيع الآخر (راجع المسلسل، ص ١٣، ١٥).

٢ - كان لأبي طاهرٍ التميميِ القُرطُبي إحاطةٌ باللُّغات (لهجات العرب) وبالآداب، وكان كاتباً ناثراً وشاعراً مُكثِراً وفقيهاً، ولكنْ غَلَبَ عليه العلمُ باللغةِ؛ وكانَ على شِعْرِهِ شيءٌ من الجَفاف والضَّعف وكثيرٌ من التكلّف. وله تصانيفُ منها كتاب المُسَلْسَل والمقامات اللزومية أو السَرَقُسْطية أو القُرْطُبية وغيرُها (فهرسة ابن خير ٤٥٠). وكتابُ المسلسل خمسونَ باباً لم يَجْعلْ أبو الطاهرِ لها عناوينَ. وهذا الكتاب في المُداخَل أو المُداخَلات، أي الألفاظِ التي يكونُ لكلّ معنًى كَلِمةٍ منها معنًى آخرُ (راجع النماذج)» وقدْ تَعَمّدَ التَميميُّ أن يَفْتَتحَ كلَّ بابٍ ويَخْتتِمَه بشاهدٍ شعريٍّ: يأخذُ من الشاهدِ الأوّلِ الكلمةَ التي يَجْعَلُها أساساً للتسلسل، ويكونُ الشاهدُ الأخيرُ استشهاداً على معنى الكَلِمَةِ الأخيرةِ في الباب »(مقدّمة « المسلسل » ص ٥).

ولأبي الطاهرِ التميميّ مقامات[١] أرادَ أن يُعارِضَ بها الحريريَّ (ت ٥١٦) فجَعَلَ مقاماتِه خمسينَ كما جَعَلَها مَظْهراً للبراعةِ في غريبِ اللغة وأوْجُهِ البلاغة. وفي مقاماتِه شَخْصيّتان رئيستانِ السائبُ بنُ تمّام والشيخُ أبو حبيبٍ. ثمّ هنالك ابنانِ للشيخِ أبي حبيبٍ هما حبيبٌ وغريبٌ وشخصٌ آخرُ هو المُنْذِرُ بن حُمامٍ ينقُلُ أحداثَ المقامة عن السائبِ. وقد دعا الاشتركوِيُّ « مقاماتِه » المقاماتِ اللُّزوميةَ تقليداً للمَعَرّيّ[٢] والسَرَقُسْطية (نِسبةً إلى بلدِ أصلِه) والقُرطبية (نِسبةً إلى بلدِ سَكَنِه) والتميمية (نِسبةً إلى أصلِه العربي القديم). ومِنَ المقاماتِ المُفْرَدَةِ ما له أسماءٌ (مقامةُ الشعراء، المقامةُ الهمزية، المقامة البائية، مقامةُ النَظْم والنثر، الخ)، ومنها ما لا اسمَ له. ومَعَ أن المقاماتِ تنطوي على نقدٍ اجتماعيٍّ، فإنّ أكثرَ أغراضِها مأخوذةٌ من المشرق. وفي هذه المقاماتِ اثنتانِ تنطويانِ على نقدٍ أدبيٍّ، إلّا أن هذا النقدَ لا ابتكارَ فيه، بل هو ترديدٌ لآراء النقّادِ القدماء. قال في الفَرَزْدَقِ وجَريرٍ[٣] مثلاً: « كُرسُفٌ وحريرٌ،

---

(١) الخصائص التالية قد جمع أكثرها من « تاريخ النقد الأدبي في الأندلس » لمحمّد رضوان الداية ومن « تاريخ النقد الأدبي عند العرب » لإحسان عبّاس.

(٢) للمعرّي ديوان اسمه « لزوم ما لا يلزم » فيه مقطوعات شعرية في الحكمة والنقد الاجتماعي مبنيه على حرفي رويٍّ أو أكثر من حرفي رويٍّ.

(٣) الفرزدق (ت ١١٤). وجرير (توفّي بعده بمدة يسيرة) كان بينهما مهاجاة وكان الناس منقسمين في شأنهما.

وخِطامٌ وجَريرٌ[١]. فَرَسَا رهانٍ كلاهما غيرُ مُذالٍ[٢] ولا مُهانٍ. أمّا هَمّام فَسيِّدٌ هُمامٌ مُسْتَهِلٌّ غَمامٍ وعارِضٌ جمامٍ[٣]. بحرٌ لا يُخاض غِمارُه وجوادٌ لا يُتَعاطى مسارُه: يَنْحِت من صَخْرٍ[٤] ويَنْطِقُ عن فخرٍ. وأمّا جريرٌ فسابقٌ دَريرٌ: أَحْزَنَ صاحِبُهُ فأسْهَل[٥] (هو) وأعجلَ فأسهلَ، وصَعَّبَ فذلّلَ، وأكْثَرَ وقلّلَ، وأعْوَصَ فلَيَّنَ، وشَدَّدَ فبيَّن[٦]: يَغْرِفُ من بحرٍ، ويَنْطِقُ عن سِحْرٍ، يُباري برقّةِ النسيمِ ويَبْرُزُ من قولهِ الرائِقِ والوسيمِ[٧].

ونقده عاديّ ومقصور على الشعراء المشارقة ثم ليس فيه شيء من التحليل بل هو أقوال مجموعة من آراء النقاد السابقين.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي طاهر الأشتركويي مُقَطَّعاتٌ من الشعر منها:

** ومُنَعَّمِ الأعطافِ معسولِ اللَّمى ... ما شِئْتَ من بِدَعِ المحاسن فيه[٨].
لـمّا ظَفِرْتُ بلَيْلةٍ من وصلهِ، ... والصبُّ غيرُ الوصلِ لا يَشْفيه[٩]،

---

(١) كرسف: قطن. الخطام: اللجام (الجدول أو المصنوع على شكل معيّن). الجرير: قطعة من حبل (يقاد بها الحيوان) ليس فيها صنعة ولا عناية.

(٢) مذال: مبتذل ومهان (مستخدم في غير الوجه الذي قصد به: نحن نذيل الحصان الأصيل إذا حملنا عليه حجارة).

(٣) اسم الفرزدق: همّام بن غالب. الهمام: السيّد الشجاع السخيّ. مستهلّ غمام: مطر منهمر بكثرة. عارض جمام......(؟)

(٤) ينحت من صخر (كناية عن صلابة شعره).

(٥) سابق (حصان) درير (سريع. - في الجمل التالية مقابلات: أحزن (الفرزدق) فأسهل (جرير) الخ. أحزن: سار في الأرض الصعبة. أسهل: سار في السهل.

(٦) أعجل: (أتى بالشيء قبل أوانه!)...... أعوص: أتى بالكلام العويص(الغريب: القليل الدوران على الألسن).

(٧) يغرف من بحر (كناية عن سهولة شعره). الوسيم: الجميل. الرائق: الذي يروق للنظر أو للفكر (الذي يعجب الناس). يجوز في الرائق والوسيم «الرفع».

(٨) العطف (بالكسر) الجانب الأعلى من الجسم. اللمى: السمرة في الشفاه. البدعة (بالكسر): الشيء الجديد، المخالف للمألوف.

(٩) الصبّ: المحبّ المشتاق راجع، تحت، ص ٢٩٠.

أنْضَجْـتُ وردةَ خدِّهِ بتَنَفُّسي وظَلِلْتُ أشرَبُ ماءَها من فيه!

★★ هيهاتَ مِنْ ذَنْبِ المُسيءِ تأسُّفُ، وله على هَوْلِ الذنوبِ تَعَسُّفُ[١]!

قالوا: طليقٌ في البسيطة سارحٌ. أنّى؟ وفي قيدِ الغَوايةِ يرسُفُ[٢]!

يا مُذنباً لم يَدْرِ ما جَمْرُ الغَضا، شَوْكُ القَتادِ إلى عذابك كُرْسُفُ[٣].

عاوِدْ أساكَ، لَعلّ توبةَ راجعٍ! فلقـد يُفيـدُ تَنَـدُّمٌ وتأسُّفُ[٤].

- وله من المقامة الخمسين[٥]:

.... قال حبيبٌ لغريب[٦]: هذا النظمُ والنثرُ، كيفَ القُلّ منه والكُثْر[٧]؟ وأيٌّ النصل أو الأُثر؟ وأيُّها أعقبَ صاحبَه أُثْراً وأحرز دونه أُثْراً[٨]؟ وأيُّها في النفوس أوقعُ وأشفى لغُلّة الصادي وأنقَعُ[٩]؟ وأحظى عند السوقة والملوك وأمضى بالسفارة والألوك[١٠]؟.... فقال حبيبٌ: الشعر أصعب مُرتقًى وأعذبُ مُنتقى[١١]، وأبدعُ

---

(١) تعسّف الطريق: سار فيه على غير هدى. - لا ينفع المذنب أن يندم على فعله إذا هو استمرّ يرتكب الذنوب بلا مبالاة.

(٢) أنّى: كيف. - قالوا: هو يسير (في عمل الذنوب) على هواه حرّاً طليقاً. هذا خطأ: إنّه يمشي وهو يرسف (مقيّداً) بقيود الضلال.

(٣) الغضا: شجر كثيف المادّة وجمره شديد الحرارة (المقصود: نار جهنّم عقاباً على الذنوب). القتاد: نبت صلب له شوك كالإبر. الكرسف: القطن.

(٤) عاود أساك: اجعل الأسى (الحزن) عادة لك، فلعلّك تتوب توبةً ترجع بها (نهائياً) إلى الله. فحينئذ يكون ندمك وأسفك نافعين.

(٥) النصّ التالي مجموع من الشواهد التي أوردها محمّد رضوان الداية من المخطوطة.

(٦) حبيب وغريب ابنان للشيخ أبي حبيب (رجل محتال من عُمان - بضمّ العين وإهمال الميم) هو والسائب ابن تمّام الشخصان الرئيسان في مقامات أبي طاهر الأشتركوني.

(٧) القلّ: الجانب القليل الأصغر من الشيء. والكثر: معظم الشيء.

(٨) الأثر: بريق السيف والأثر - العلامة - خلاصة السمن (الشيء الثمين).

(٩) أوقع: أشد أثراً. الغلّة: العطش. الصادي: العطشان. أنقع: أكثر قدرة على اطفاء العطش.

(١٠) السفارة: الذهاب في مهامّ رسمية إلى الملوك والرؤساء. الألوك: الرسالة (في هذين يستعمل النثر لا الشعر).

(١١) أعذب منتقى (إذا انتقيت، اخترت، بضعة أبيات من الشعر فإنّها تكفي عادة في الاستشهاد، بينما الاستشهاد بالنثر يحتاج إلى إطالة).

لفظاً وأسرع حِفظاً، وأوسع مَجازاً وأنصع إيجازاً[١] .... وأقصرُ معانِيَ وأنجدُ مبانِيَ، وأوْرى زنداً وأذْكى رَنْداً[٢]، وأجرى على اللسان وأجرى بالإحسان[٣]، وأبعثُ للطربِ وأذهب للكُرَب. وهل سَمِعْتُم بنثرٍ تُخلَعُ عليه اللُّحون؟.... (فقال أبوهما): كلٌّ- على حِياله- محمولٌ على الحَسَنِ معدودٌ من اللَّسَنِ[٤]. والشعر لحنٌ عقيم وسَفَر مُقيم، وبغضٌ مودود ومُعْذِرٌ مجدود[٥] .... وإن (هم) شابوه كَذِباً ومَيْناً فقد أغْضَوْا عليه عَيْناً[٦]. وإنّما حمدُه أوفرُ من ذمِّهِ، وشُهدُه أكثرُ من سُمّه[٧] .... وأمّا النثرُ فإنّه أُنثى وَلودٌ وزَنْد لا كابٍ ولا صَلُود[٨]. عينٌ ثَرّةٌ وأمٌّ بَرّةٌ، له موضعٌ ومكانة، وعِزّة واستكانة. يَحْلَوْلي ويَمَرّ ويَحِلّ ويُمِرُّ[٩]. يَلِجُ في كلّ نادٍ ويُقْدَحُ بكلّ زِناد. بادٍ حاضرٌ، وذابلٌ ناضرٌ[١٠].... وقد فضَّلَتْهُ الأكابرُ والأعاظم، فلا تُفَضِّلا (أنتما) قائلاً

---

(١) مجازاً: ممرّاً، طريقاً. أنصع: أشدّ بياضاً (أوضح) - الإيجاز (الاختصار) أكثر إمكاناً في الشعر منه في النثر.

(٢) أنجد: أعلى. أورى زنداً: أشدّ إشعالاً للنار (الزند: حديدة تقدح بها النار من الحجر). أذكى: أطيب رائحة. الرند: نبات طيِّب الرائحة.

(٣) أجرى (أكثر دوراناً) أكثر استعمالاً. أجرى بالإحسان: أسهل (الذين يحسنون النثر أكثر من الذين يحسنون الشعر). - لعلها أحرى (بالحاء المهملة) بالإحسان: أجدر، ألصق.

(٤) على حياله: (بإزائه)، في موضعه. محمول على (الوجه) الحسن: يحسن في المناسبة التي تقتضيه. اللسن: الفصاحة.

(٥) لحن (نغم) عقيم (لا يلد): ليس له شبيه، وحيد في بابه. السفر: الجماعة يسافرون معاً. مقيم: دائم (في الشعر كأنّك مسافر أبداً بين أشياء جميلة). بغض (كره) لصعوبة نظمه وإجادته. مودود: محبوب (ومع ذلك فكثيرون يحاولون قول الشعر أو يحبّون سماعه). معذر (مقبول العذر) مجدود (محظوظ): الناس يعذرون الشاعر إذا لم يكن كلّ شعره جيداً.

(٦) شاب: خلط، مزج. المين: الكذب. أغضى الرجل جفنيه (أدنى، قرّب، بعضهما من بعض): أغضوا عليه (على الشاعر) عيناً: عذروه إذا لم يحسن مرّة.

(٧) الشهد: العسل.

(٨) أنثى ولود (تعالج في النثر أغراض أكثر من تلك التي تعالج في الشعر). الزند: حديدة تقدح بها النار. الكابي: الزند الذي أصبح أملس جدًّا لا يحكّ الحجر حكًّا صحيحاً. الصلود: (الزند) الذي لا يخرج ناراً من الحجر.

(٩) العزّة: القوة. الاستكانة: الضعف والذلّة. يحلولي: يحلو (يصبح حلو الطعم) كثيراً. يمرّ: يصبح مرّاً الطعم. يحلّ (يبقى، يستقرّ) ويمر (يمضي، يذهب): يصلح لجميع الأحوال.

(١٠) يلج: يدخل. ناد: مجتمع. باد: ساكن البادية. حاضر: ساكن الحضر (المدن). ذابل: جافّ. ناضر: أخضر.

على قائلٍ. والإحسان ضُروبٌ، والشمس طُلوعٌ وغُروب.... وخُذا في كلّ الأحوالِ بالأعدلِ[1] الأقسَطِ[2].....

- من مقدّمة كتاب «المُسَلْسَل»:

.... قد كان لعلمِ اللِسان العربيّ، في صدرِ هذه الأُمّة، مَطارٌ ونَفاق[3]، وعلى تَقْديمه إجماعٌ وإصفاق[4]. فتجرّد لضَبْطها وتَقْييدها الخِيارُ الصُلحاء والخُلَّصُ الأفاضلُ الصُرَحاء[5]. وبذلوا فيها الاعتناءَ وقطعوا في جَمْعِها وضَبْطِها الأحيانَ والآناء[6]، حتّى أحْرزوا منها غايةً[7] ورفعوا لشأنها علماً وراية؛ حين رأَوْا أنّه لسانُ العلوم الشرعية والهادي إلى المعاني الأصلية والفرعية: بها يُتَوَصَّلُ إلى حقيقةِ معانيها ويُتَسَنَّمُ دَرَجُ مبانيها. وعنها يَصْدُرُ التأويلُ وتَتَوَجَّهُ الأقاويل[8]؛ وأنّه لا يُوصَلُ إلى مَعرفةِ كتابِ الله تعالى ومعرفة حديثِ رسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم، وصَحابتِهِ والتابعينَ وأئِمّةِ الهُدى. من أُمّتِه إلّا بحِفْظِ لُغات[9] العربِ وأنحائها والأُنس بإطنابها وإيمائها، وإبلاغها وإيجازها، وتوسُّعِها ومَجازها[10]، إلى ما في مَعْرِفتها من العَوْنِ

---

(١) الأعدل: المعتدل (لا نقصان ولا زيادة).

(٢) الأقسط: الأعدل (الحكم بالعدل).

(٣) المطار: علوّ الشأن، انتشار بين الناس. النفاق: الرواج، كثرة الاستعمال.

(٤) الإصفاق: الإجماع والاتّفاق على رأي واحد.

(٥) تجرّد للشيء: خصّه باهتمامه. لضبطها (كان يجب أن يقول: لضبطه، أي اللسان العربي. ولكنّه حمل اللسان على «اللغة» وأجرى الضمائر في الألفاظ التالية مجرى التأنيث). الصريح من الناس: الخالص النسب.

(٦) الحين والآن: الوقت.

(٧) أحرز الشيء: اكتسبه، امتلكه. غاية: منتهى (قدراً كبيراً جدًّا).

(٨) يتسنّم: يرتقي. التأويل: فهم المقاصد من الجمل (من آيات القرآن الكريم خاصّة). تتوجّه الأقاويل: تتشعّب الأقوال (يختلف التعبير عن الآراء).

(٩) اللغات (هنا): استعمال القبائل العربية المختلفة ألفاظاً مختلفة للشيء الواحد (كالسكّين والمدية).

(١٠) النحو: الوجه من الاستعمال. الإطناب: التفصيل في التعبير. الإيماء: الإشارة السريعة. الإبلاغ: التفنّن في التعبير. الإيجاز: الاختصار في التعبير. المجاز: استعمال الكلمة لغير المعنى الذي وضع لها في القاموس (الشمس: المرأة الجميلة. البحر: الرجل العالم والكريم).

على البلاغة والنُطْق، والاستظهار على قَمْعِ الباطلِ وبَسْطِ الحقّ[١]، والتمكّن من أنحاء القول ومسالك الكلام والتقلّب في مسارح الأخبار والأعلام[٢].

والآنَ فقد زَهِدَ الناس فيه زُهْدَهُمْ في الفضائل ورَغِبوا عنه رَغْبَتَهم عن الأواخر من العلمِ والأوائلِ[٣]. ولكلّ نَجْمٍ طُلوعٌ وأفول، ولكلّ حالة عُلُوٌّ وسُفول[٤].

وأنّه كان فيا سُمِعَ عليَّ كتابُ «المُداخَلِ في اللغة» لأبي عُمَرَ المُطَرِّزيّ[٥] رَحِمَه الله، فاستَنْزَرْتُه لِقَدْرِه و(لكن) لم أحْظَ بِهلالِهِ فيه ولا بدرِه. فرأيتُ أنّه رَأْيٌ لم يُسْتَوْفَ تَمامُه وغَرَضٌ لم تُقَرْطِسْهُ سِهامه[٦]. ولعلّه إنّما ارتجلَهُ ارتجالاً وجرَتْ[٧] رِكائبه فيه عجالاً، فلم يُدَمِّثْ حَزْنَهُ ولا أقام وَزْنَه[٨].

فحرّكني ذلك إلى صِلَةِ ما ابْتَدَأ وتمكينِ ما رَسَمَ منه وأنْشأ، واقْتَضَبْتُ[٩] في ذلك خمسينَ باباً ٱفْتَتَحْتُ كلَّ بابٍ منها بِشِعْرٍ عربيٍّ ثمّ خَتَمْتُ البابَ بمثلِ ذلك، وأوْرَدتُ ما أمْكَنَ من الشاهدِ على ألفاظِهِ هنالكَ. وعلى ذلك فما اعْتَمَدتُ مُجاراةً ولا قَصَدتُ

---

(١) الاستظهار: الاستعانة. قمع: قهر، إذلال. بسط الحقّ: إعلاء شأنه وتثبيت سلطانه، نشره.

(٢) التقلّب في مسارح الأخبار: التفهّم لأنواع الأخبار (التاريخ) والاستمتاع بها. الأعلام: مشاهير الناس.

(٣) رغب عن الشيء: فقد اللذة في الحصول عليه، تركه، مال عنه. فيه (في علم اللغة). الأواخر من العلم والأوائل (؟)، لعلّ هذه الجملة: رغبة الأواخر (المتأخرين في الزمن: المعاصرين للمؤلّف) عن علوم الأوائل (علوم الفلسفة القديمة، الفلسفة اليونانية). - يخبرنا ابن طفيل (ت ٥٨١ هـ) في مقدّمة «قصّة حيّ بن يقظان» أن علوم الفلسفة كانت قليلة الانتشار في الأندلس قبل أيامه.

(٤) الأفول: الغروب. السفول: الانخفاض.

(٥) محمّد بن عبد الواحد المطرّزي عالم لغوي (٢٦١ - ٣٤٥ هـ) له كتاب (المداخل - في غريب اللغة: الانتقال في اللفظة الواحدة من معنى إلى معنى؛ راجع النصّ التالي).

(٦) استنزرته (وجدتّ المذكور في كتابه قليلاً) لقدره (بالإضافة إلى مكانته العلمية وإلى ما كنت أنتظر منه أن يقول في كتابه). الغرض: الهدف (العلامة تنصب للتمرين على الإصابة بالسهام أو بالرصاص الخ). لم أحظ (لم أتمتّع) بهلاله ولا ببدره (لم أره وافياً كلّيًا ولا جزئيًا). غرض: هدف. قرطس: أصاب القرطاس (الهدف: علامة تنصب للتمرّن على الإصابة بالسهام أو بالرصاص، الخ).

(٧) ارتجل الخطيب خطبته (قالها وهو واقف على رجليه - بلا استعداد سابق). جرت: سارت، ركضت.

(٨) دمّث: ليّن، سهّل، سوّى (جعل سطح الشيء مستوياً). الحزْن: الأرض القاسية، التي يصعب السير فيها.

(٩) اقتضب: قطع أشياء يسيرة من رؤوس القضبان (أتيت بأشياء مختصرة).

مُباراةً[1] . وإنّي لأرى فضلَ السابق وأبْخَعُ بُخُوعَ الآبِق، وأحْمَدُ منه ذلك البَدْءَ والعَوْدَ[2] .....

- مطلع كتاب المسلسل:

أنْشَدَ أبو عُبيدةَ لصِبْيان الأعراب، وتُرْوى لامرئ القَيْس بن حُجْرٍ[3]:

لِمَنْ زُحلوقــــــــــةٌ زُلٌّ بِهــــا العَيْنــان تَنْهَــلّ[4]،

يُنــــــادي الآخِرُ الأُلُّ: ألا حُلّوا، ألا حُلّوا[5].

ويُروى: ألا خَلّوا، ألا خلّوا. ويروى: زحلوقة بالقاف والفاء والكاف[6].

الأُلّ الأوّل، وأوّل يوم الأحدُ، والأحدُ هو الوَحَدُ، والوَحَدُ الفَرَدُ[7]، والفَرَدُ الثَّوْر، والثور الظُّهور، والظهور الغَلَبة، والغَلَبَةُ جمع غالبٍ، وغالبٌ أبو لُؤيّ، ولُؤيٌّ تصغيرُ اللأي[8]، واللأيُ الثور، والثور فَحْلُ البَقَر، والبقر الفَرَق، والفرق تَباعُدُ ما بينَ الثنايا، والثنايا[9] العِقاب، والعِقاب المُوالاة.....

- من كتاب «المسلسل» (الباب الثالث والعشرون):

قال زهيرُ بنُ أبي سُلمى:

---

(١) ما اعتمدتَ مجاراة (لم أقصد أن أفعل مثله) ولا مباراة (ولا حاولت أن أصنع أفضل مما صنع).

(٢) بخع بالحقّ بخوعاً: أقرّ به. وأحمد له (أشكره على) ذلك البدء (التأليف في هذا الموضوع). والعود: الطريق (راجع القاموس ١: ٣١٨ س)، الطريقة التي اتّبعها في تأليف هذا الموضوع.

(٣) راجع ترجمة أبي عبيدة في الجزء الثاني من هذا الكتاب، وترجمة امرىء القيس في الجزء الأول.

(٤) الزحلوقة: لوح من خشب يرفع على محور بحيث يتوازن ثم يجلس على كلّ طرف من طرفيه صبيّ ويعملانه (بضمّ الياء) فيرتفع أحد الطرفين وينخفض الآخر، ويتوالى ذلك. زلّ: يتزلق الجالس عليها. انهلّت العينان: سقط دمعها بكثرة (القاموس ٣: ٢٤٠).

(٥) الأُلّ: الأوّل (الأولون، السابقون). حُلّوا: اتركوا أمكنتكم!

(٦) خلّوا: تخلّوا (فعل أمر، بفتح اللام المشدّدة). - يقال: زحلوقة وزحلوفة وزحلوكة.

(٧) الوحد والفرد: المنفرد (الذي يعيش أو يمكث في مكان وحده).

(٨) لؤيّ بن غالب جدّ بني قريش.

(٩) الثنيّة: السنّ (واحدة أسنان الإنسان). والثنية: الطريق في الجبل. العقاب (جمع عقبة): الطريق في الجبل. العقاب (مصدر): الموالاة (توالي الأمور واحداً بعد واحد).

فشَدّ- و لم يُفزِعْ بُيوتاً كثيرةً- لَدى حيثُ ألقَتْ رَحلَها أمُّ قَشْعَمِ[1].

أمّ قشعمٍ ههنا المَنيّةُ أو الحربُ أو الداهية. والقشعَمُ النَسْرُ، قالَ عنترةُ:

إن يَفْعَلا فلقد تركتُ أباهما جَزَراً لخامِعَةٍ ونَسْرٍ قَشْعَمِ[2].

والنَسْرُ النَتْفُ، والنتف الطَرْقُ، والطرق الضَرْبُ بالحَصا[3]؛ والحصا العددُ الكثيرُ..... والكثيرُ الدَّبسُ، والدبس الصَقْر، والصقرُ عَسَلُ الرُطَبِ[4]، الخ الخ.

٤ - المسلسل في غريب اللغة (قدّم له محمّد عبد الجواد) مصر (وزارة الإرشاد القومي- الإدارة العامّة للثقافة) ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م.

★★ الصلة ٥٢٩، ٥٣٠؛ التكملة ١٤٠ - ١٤١ (رقم ١٢٤)؛ فهرست ابن خير ٣٨٧، ٤٥٠؛ الوافي بالوفيات ٨: ١٣٣؛ الوعاة ١٢٠؛ نفح الطيب، راجع ١: ٢٩١؛ التشوّف ١٩٦؛ بروكلمن ١: ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٣؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢٢ (٧: ١٤٩)؛ بالنثيا ١٨١؛ تاريخ النقد الأدبي (لإحسان عبّاس) ٥٠٠ - ٥٠١؛ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (لمحمد رضوان الداية) ٣٥٢ - ٣٦٣؛ مجلّة المقتبس (دمشق) ٢: ٤٦٦.

ابن الفخّار المالَقي

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ الحسنِ بنِ كاملٍ المعروفُ بابنِ الفَخّار الحَضْرَميّ المالَقيّ- ويُعْرَف أيضاً بابنِ نِصْفِ الرَبَض- كانتْ وفاتُه في المَغْرِبِ سَنَةَ ٥٣٩ (١١٤٤ - ١١٤٥ م).

٢ - كان ابن الفَخّارِ المالَقيُّ فقيهاً وكان أديباً يَسْلُكُ في الشِعر مَسْلَكاً قديماً ومسلكاً جديداً، وله شيءٌ من توشيحِ العَروض[5] لم يبلُغْ إلى أن يكونَ توشيحاً. وفي

(١) شدّ: هجم. بيوتاً كثيرة: جماعات كثيرة أو أشخاصاً (لم يفزع أحداً).... هجم على النار (على هلاكه).

(٢) جزراً: مجزوراً (مقطّعاً). الخامعة: الضبع. القشعم: النسر المسنّ.

(٣) النسر (مصدر): نتف ريش الطير. الطرق: ضرب الصوف أو القطن بالعصا للتفريق بين أقسامها. الطرق بالحصا: تقليب الحصا اعتقاداً بأن مركز بعض تلك الحصا من بعض يدلّ على الحوادث المقبلة.

(٤) الرطب: التمر.

(٥) العروض (بالفتح): آخر الشطر الأول من البيت. وتوشيح العروض: التزام نسق معين في ختام أواخر الشطور الأولى من الأبيات مع بقاء الأبيات نفسها مختومة بقواف على رويّ آخر (كما نرى في القصيد).- راجع القطعة الثانية في «مختارات» هذه الترجمة.

جانبٍ من ألفاظِه وبعض تركيبِه ضَعْفٌ. وفنون شِعرهِ الفخرُ والحماسة والمدح والعِتاب والوصف.

۳- مختارات من شعره:

- قال ابن الفخّار المالَقي في الشيب:

أمُستَنكَرٌ شَيْبُ المفارق في الصِبا؟ وهلْ يُنكَرُ النَّوْرُ المُفتَّح في الغُصْنِ[١]!
أظُنُّ طِلابَ المجدِ شَيَّبَ مَفرِقي، وإنْ كُنتُ في إحدَى وعِشرينَ من عُمْري.

- وقال يعاتبُ صديقاً قديماً له كُنْيَتُه أبو حسنٍ:

أقِـلَّ عِتابَـك، ليس الكريمُ يُجازي عـلى حُبّـه بالقِلى[٢]؛
وخَـلِّ ٱجتنابَك، إن الزمـانَ يَمُرّ بتَكْديره مـا حَـلا[٣].
وواصِـلْ أخـاك بعِلّاتِـه، فقـد يُلْبَسُ الثوبُ بعدَ البِلى.
وقُـلْ كالـذي قالَـه شاعرٌ نبيـلٌ- وحَقّـك أن تَنْبُـلا-:
«إذا مـا صديـقٌ أسا مَرّةً، وقـد كـان في ما مَضى مُحْسِنا،
ذكرتُ المُقَـدَّمَ من فِعلـهِ فـلم يُفسِدِ الآخِرُ الأوَّلا!».
أبـا حَسَنٍ، إنْ أتـى حـادثٌ يُجَرِّدُ لي سَيْفَك [المُقْصَلا][٤]،
أُوَلّي المَلامـةَ، عنـك، الزمـانَ وأصْحبـك الأكرم الأفضـلا[٥].

---

(١) المفرق (بفتح فسكون فكسر): مكان افتراق الشعر في مقدم الرأس.

(٢) في الخريدة (الأندلس ٢: ٢٩٢): ليس الكريم يجازي (بالزاي أخت الراء وبالبناء للمعلوم)؛ وفي الخريدة (المغرب والأندلس ٢: ٣٣٨): يجاري (بالراء المهملة وبالبناء للمعلوم أيضاً). وكلا القراءتين مقبولة. أما في «قلائد العقيان» (ص ٣٣٩): إن الكريم يجازى (بالزاي أخت الراء وبلا نقطتين تحت الياء). وكذلك في نفح الطيب (٣: ٣٩٣): إن الكريم يجازي (بالزاي أخت الراء المشكولة بكسرة وبنقطتين تحت الياء). وقد اعتمدت أنا:... ليس الكريم يجازي... القلى: البغض والكراهة.

(٣) الاجتناب: الابتعاد، الهجر، الترك (والاخيرتان بالفتح). يمرّ: يصبح مرّ الطعم (؟).

(٤) في الخريدة (الأندلس ثم المغرب والأندلس): المنصل (بضم فسكون ثم بضم أو بفتح): السيف. وفي قلائد العقيان: المصقلا (ولعلها: المقصل- بكسر فسكون ففتح: القاطع من السيوف).

(٥) أجعل الذنب على الزمان ثم أبقى مصاحباً لك معتقداً أنك أكرم الناس وأفضل الناس.

أقولُ- وأنــتَ لسانُ المقــالِ وعــينُ الكمالِ ورأسِ العُــلا-:
«لئن جـار فيك عَلَيَّ الزمانُ فقـد كـان لي حَكَماً أعْـدلا[1]،
لَيالِيَ كنـتَ صحيـحَ الإخـاءِ صريــحَ الوفـاءِ بمـا أُمِّــلا.
تُدافِــعُ عنّي خُطوبَ الزمــانِ بضَرْبِ الرِقـابِ وطعنِ الكُـلى.
ولكنْ أطَعْــتَ غُواةَ الرجــالِ وبعْــتَ صديقَــك لا بالغَــلا.
سأصْبِرُ للخَطْــبِ حتّـى يزولَ وأدعو لـه رأيَـك الأجْمـلا»[2].
ودونَكَهــا كالعروس الكَعـابِ علَيْهـا من الحَلْيِ ما فُصِّـلا[3].

- وقال يخاطب شاعراً (على سبيل العتاب) بمقطوعة موشّحة العَروض (مختومة بقوافٍ معيّنة في صدورها أيضاً):

رُوَيْـدَكَ، أيّها الرَجُـلُ المُعَنّـى، فإنّ الرفْـقَ أجْمَـلُ باللبيب[4].
ولا تعجَـلْ، فربَّ فتًـى تأنّـى فـأدْرَكَ غايةَ القَرْمِ النجيب[5].
فـكم عقـد سديـد قـد تسنّـى بـلا تعب ولا طرب مريب[6].

* * *

فـإنّ الجيشَ ليس يُطيـق شَيْئاً لغايتِـه بـلا قَـدَرٍ مُصيـبِ[7].

---

(١) إذا جار عليَّ الزمان (ظلمني الآن في صحبتك) فقد طالما كان لي منصفاً من قبل.
(٢) الخطب: الحادث النازل، المصيبة. وأطلب منك أن تحكم بيننا برأيك الجميل (الثاقب، العادل).
(٣) فإليك مني هذه القصيدة كالعروس الكعاب (الشابّة) عليها من الحلي ما فصلا (لؤلؤ فصل بين حبّاته بقطع صغيرة من الذهب).
(٤) المعنّى: الذي يشغَل (بفتح الغين) نفسه بالأمور ويكثر الاهتمام بكلّ شيء. الرفق: اللطف والتأني. اللبيب: العاقل.
(٥) القرم: الفحل من الإبلِ لا يُركَب ولا يُحمل (بالبناء للمجهول) عليه، بل يكون مخصوصاً بالضراب (بالكسر) للنسل. السيد المعظم (من الناس). النجيب: الفاضل من أبناء جنسه.
(٦) العقد (بالفتح) مصدر من «عقد» الحبل ونحوه (والمقصود «عقدة» بالضم). سديد (محكم، شديد). تسنى: انحلّ، انفك رباطه. الطرب: هزة تدل على الفرح أو على الحزن، اضطراب وقلق. مريب (هنا): يحمل الرائي على الشك في أن هذا الطروب غير تام العقل. يدعو إلى التهمة وسوء الظن.
(٧) ......؟.

ولا يَقْضي الحَيا للنَبْتِ شَطْئاً   إذا لم يَقْضِ علّامُ الغُيوب[1].

* * *

أخوكَ محمّدٌ لمّا تغنّى   أصاخت نحوَهُ أُذُنِ الغريب[2].
وقَضّاها بواحدةٍ فثَنّى   كَمِثْلِ الرُمْحِ قُوّيَ بالقضيب.
فخُذْها غادةً خُضِبَتْ يرنّا   لها ثوبٌ تفدّم بالصبيب[3].
إذا ما رامَها من قد تبنّى   تعرّض دونَها شبح الحروب[4]؛
جَميع بيانها لَفْظاً ومعنى   كما جُمع الحبيبُ إلى الحبيب.

- وقال في الفخر والحماسة:

إلى كم يَجِدُّ المرءُ والدهرُ يلعَبُ،   ويبعُدُ عنه الأمنُ والخوفُ يقرُبُ؟
وهل نافِعي، إن كنتُ سيفاً مُصَمّاً،   إذا لم يكن يُلْقى بحَدّيَّ مِضْرَب[5]!
أُبَيِّتُهم والليلُ كالنِقْسِ أسودٌ،   وأهْجُمُهم والصبحُ كالطِرْسِ أشهَب[6]؛
فلا أنا عمّا رُمْت من ذاك مُقْصِرٌ،   ولا خيلُ عزمي للمقادير تُغلب.
أبا حَسنٍ، سائِلْ لِمَنْ شَهِدَ الوغى   لئن كنتُ لم أُصْبِحْ أهَشُّ وأطرَبُ[7]،
وأعْتَنِقُ الأبطالَ حتّى كأنّما   يُعانِقُني عنهم من البِيضِ رَبْرَبٌ[8].

---

(١) الحيا: المطر. الشطء: بدء النبات بالظهور فوق الأرض. علّام الغيوب (الله).

(٢) أصاخ: استمع. أذن الغريب (الجاهل، البعيد، العدوّ)...

(٣) غادة: امرأة جميلة (قصيدة). خضبت: صبغت. يرنّا: الحناء (مادة تصبغ الأشياء بلون أحمر) - كناية عن الجمال. تفدّم (ليست في القاموس): اكتسب حمرة خفيفة. الصبيب (ما ينصبّ - بتشديد الباء): ما يسيل من الصباغ (بغير قصد) فيلوّن الأشياء تلويناً خفيفاً على غير نسق معين.

(٤) رام: قصد. تعرض دونه شبح الحروب.... (لم يستطع أن ينظم مثلها)...

(٥) المصمّم: (السيف) الذي يقطع العظام. يلقى (يلفى = يوجد). للحركات على كلمة «مضرب» راجع تاج العروس (الكويت) ٣: ٢٤٧. المعنى غامض (لعل المقصود: إذا لم يوجد رجل شجاع يضرب بالسيف) أو إذا لم يستخدم (في الحرب).

(٦) بيّت الرجل القوم (هاجمهم ليلا). النقس: صباغ أسود. أهجمهم: اقتحم (عليهم) مكانهم (أهجم عليهم وهم في بيوتهم). الطرس: الورق. أشهب: أبيض.

(٧) هش: داخله سرور، فرح. - الوغى: الحرب (لأنه يكون قد انتصر).

(٨) اعتناق الأبطال في المعركة كناية عن المبارزة بالجسم (المغالبة). البيض (النساء الجميلات). الربرب في =

- وقال يذمّ السُّكنى في مدينة مَرّاكُش:

وأرضٍ سَكنّاها فيا بِئْسَ مسكَنٌ، بها العيشُ نُكْدٌ والجَناحُ مَهيضُ[1]:
نروحُ ونغـدو ليس إلّا مُرَوِّعٌ: عقاربُ سودٌ أو أراقمُ بيضُ[2]!

٤ - ** قلائد العقيان ٣٣٧ - ٣٣٩؛ بغية الملتمس ٦٠، (رقم ٩٠)؛ المغرب ١ : ٤٣٢؛ المطرب ١٩٧؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢ : ٣٣٤ - ٣٣٩؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٢٨٧ - ٢٩٦؛ المحمدون ٢٩٥؛ الوافي بالوفيات ١ : ٣٥٧؛ نفح الطيب ٣: ٣٩٢ - ٣٩٣؛ الأعلام للزركلي (٦ : ٨٥).

أبو العلاء عبد الحقّ بن الجنّان

١ - هو أبو العلاء عبدُ الحقِّ بنُ خَلَفِ بنِ مُفرِّجٍ المعروفُ بابنِ الجَنّان، وُلدَ نحوَ سَنَةِ ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م)، في شاطبةَ. ويبدو أنّه تولّى فيها الكِتابةَ لنَفَرٍ من الأمراء الذين تولَّوْها. وقد صَحِبَ الشاعرَ المشهورَ ابنَ خفّاجةَ (ت ٥٣٣ هـ). وكانت وفاةُ ابن الجنّانِ هذا سَنَةَ ٥٣٩ هـ (١١٤٤ - ١١٤٥ م).

٢ - كان أبو العلاء عبدُ الحقِّ بنُ الجنّانِ الشاطبيُّ ذا بصرٍ باللغةِ وبالأدب، كما كان أديباً وكاتباً مترسِّلاً وشاعراً بارعاً. وكذلك كانتْ له معرفةٌ بالطبّ. وهو شاعرٌ وُجْدانِيّ سَهْلُ الأسلوب قريبُ المعاني. وأبياتُه التي وَصَلَتْ إلينا كانتْ في الإخوانيّات والأدب (الحِكمة) والنسيب.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو العلاء عبدُ الحقّ بنُ الجنّان (المغرب ٢ : ٣٨٢) في النسيب:

= الأصل: تطبيع الغزلان (المقصود: أغالب الأعداء في المعركة كما لو كنت ألهو مع حبيبي: بيسر وسهولة وانشراح).

(١) نكد (بالضم): قليل (سيّئ). مهيض: مكسور.

(٢) نروح (في المساء) ونغدو (في الصباح): في كل وقت. مروّع: مخيف. الأرقم: الحية.

سرى بَعْـد الهُدُوءِ خَيالُ ليلي ولم تَـدْرِ الوُشاةُ أوانَ سارا[1].
وزارَ وأعـينُ الرُقبـاءِ تُذْكـي حِذاراً أنْ يَزور وأنْ يُزارا[2].
فـدونَ طُروقِ ذاك الحيّ سُمْرٌ تـدورُ بجانبَيْـهِ حيثُ دارا[3].
سأشكُرُ للكرى خُلَساتِ وَصْـلٍ كما لَقَطَ القَطا ثمّ استطارا[4].

- وقال من رسالة كَتَبَها إلى يحيى بن غانيةَ المُلَثّم[5] (المغرب ٢ : ٣٨٢):

أطالَ اللهُ بقاء الرئيسِ الأجلّ واضحَ آياتِ المساعي، مُجاباً في تأييدهِ دَعْوةَ الداعي، ولا زالَ مَعقودَةً بالظَفَرِ ألْوِيَتُهُ معمورةً بصالحِ الدُعاء ساحاتُه وأنْدِيَتُه. كتابي، وما خَطَطْتُ بحَرْفٍ إلّا رَمَقْتُ السماءَ بِطَرْفٍ أدعو وأتَوَسَّلُ إلى من يَسمَعُ الدعاء ويقْبَلُ، ويُسْني الحُظوظَ ويُجْزِل[6]، على ما أوْلى من قِسَمٍ أتاحها اللهُ على يديه وألقى أزِمَّتَها إليه، حتّى انقادتْ له بعد شِماسٍ وتأتّتْ على ياس[7]. وهل كانتْ إلّا خَبيئةَ الدهر وبيضةَ العُقْر[8]، صَعُبَتْ على مَنْ كان قبلُ من أولي السِياساتِ ومُدبِّري الرياسات.

- وقال أبو العلاء عبد الحقّ بن الجنّان أيضاً (الخريدة - المغرب والأندلس، ٣ : ٥٦٨):

---

(١) الهدوء: سكون الناس في الليل ونومهم. أوان: وقت.
(٢) أعين الرقباء تذكي: ترسل (تشدّد المراقبة على الناس).
(٣) الطروق: الطلوع (المجيء) فجأة. الأسمر: الرمح.
(٤) الكرى: النوم. الخلسة (بالضمّ): الفرصة (القصيرة). كما لقط القطا (كما تناول طير القطاء الحبة من الأرض بمنقاره) ثمّ استطار. في القاموس (٢ : ٨٠) انتشر الخ. والشاعر يقصد «استطير» (بالبناء للمجهول): ذعر (بضمّ فكسر)، أي خاف وطار.
(٥) هو يحيى بن عليّ بن يوسف المسوفي (ت ٥٤٣ هـ)، وغانية أمّه وكانت قريبة ليوسف بن تاشفين. ويحيى ابن غانية هذا كان أول الذين تولّوا الأندلس من قبل (بكسر ففتح) الملثّمين (المرابطين).
(٦) يسني الحظوظ ويجزل: يعطي جوائز سنية (ثمينة) جزيلة (كثيرة وقيّمة).
(٧) الشماس: الإباء والامتناع. يأس: قنوط (فقدان الأمل).
(٨) «بيضة العقر» (تاج العروس - الكويت ١٣ : ١٠٩) تطلق على أشياء كثيرة والمقصود بها (هنا) «الشيء النادر».

وكُنّا وريبُ الدهر وَسْنانُ، والنَّوى بعيدٌ مَداها لا تَروعُ لنا سِرْبا[1]؛
فَعُدْنا وقد صِرْنا بمَرْأى ومَسْمَعٍ، فأبْصِرْ بهِ عَيْناً وأسْمِعْ به قُرْبا[2].
أبا حسنٍ، إنْ كنتُ أصبحتُ نازحاً أُراقبُ لَمْعَ البرقِ أو أسألُ الرَكْبا[3]،
فكم قد تجاذَبْنا الحديثَ لياليًا نقلّده أجيادَها لؤلؤاً رَطْبا[4].
وهل كنتَ إلّا الشمسَ لاحتْ لناظرٍ فآونةً شرقاً وآونةً غربا[5].

٤ - * * المغرب ٢: ٣٨١ - ٣٨٢؛ التكملة ٦٤٧؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٥٦٨؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٥٤؛ نفح الطيب ٣: ٣١٠ - ٣١١.

أبو بكر بن الجنّان

١ - أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عبد الحقّ بن الجنّان شاعرٌ مُجيدٌ لم أعثَرْ على تاريخ وفاتِه فألْحَقْتُ ترجمتَه بترجمةِ أبيه. وفي ظنّي أنّه لم يَعِشْ طويلًا لأنّه دخلَ السِّجْنَ وعُذِّبَ فيه وقُتِل على الأرجح.

٢ - هو شاعرٌ مطبوعٌ متينُ السبكِ حَسَنُ الصِّناعة يُجيدُ القصائدَ والمُقَطَّعاتِ. وشِعْرُه مَدْحٌ وأدبٌ (حكمة) وغَزَلٌ. وقد مَدَحَ القاضِيَ أبا بكرِ بن أسدٍ الشاطبيَّ.

٣ - مختارات من شعره:

- جرتْ على أبي بكرٍ أحمدَ بنِ عبدِ الحقّ بن الجَنّان مِحنةٌ دخل على أثَرها إلى

(١) ريب (حادث، مصائب) الدهر وسنان (قد غلب عليه النعاس) والنوى (الفراق، البعاد) لا تروع (لا تخيف) لنا سرباً (جماعة).

(٢) صرنا بمرأى ومسمع (من الدهر) يصيبنا بأحداثه. فأبصر به الخ (والدهر قويّ البصر قويّ السمع فأصابنا بمصائب كثيرة).

(٣) نازح: بعيد، مغترب. الركب (الجماعة الراكبون: المسافرون معاً): أسأل عنك الناس وأحاول أن أعرف أخبارك في كلّ مناسبة. - راجع في خطاب «أبي حسن» ترجمة ابن الفخار المالقي (ت ٥٣٩ هـ).

(٤) كانت أحاديثك كالقلائد من اللؤلؤ الثمين لأجيادنا (لأعناقنا).

(٥) - كناية عن كثرة أسفاره.

السِّجْنِ ووُضِعَتِ الأكبالُ (القُيود) في يديه. ولمّا أيقَنَ بالموت كَتَبَ على حائط السجن بقطعة من الفَحْم (المغرب ٢ : ٣٨٢):

ألا دَرَى الصِّيدُ من قومي الصناديدُ ... أنّي أسيرٌ - بدار الهُون - مقصودُ .
لا أبسُطُ الخَطْوَ إلّا ظلّ يَقبضُه ... كَبْلٌ - كما التفّتِ الحيّاتُ - معقودُ .
وقد تألّبَ أقوامٌ لسَفْكِ دَمي ... لا يَعْرِفُ الفضلُ مَغْناهم ولا الجود

- وقال في غُلامٍ مرّ به يَقْفِزُ فارًّا (من نارٍ عَلِقَتْ به؟):

ووَسيمِ الخَلْـــق والخُلْـــقِ ... يَنْثَـــني كالغُصْنِ في الوَرَقِ ،
مرّ يَلْقى النــــارَ في ضَرَمٍ ... كفؤادِ الصَّـــبِّ مُحْـــترق .
ومضى يَجْتـــاب جاحِمَهـــا* ... كانصلاتِ النَّجْم في الأُفُـقِ .

- قال ابنُ الجنّانِ المُرسيُّ يمدحُ قاضياً اسمُه (أو كُنيته) أبو بكر بقصيدةٍ منها:

ألا طَرَقَتْنا في الدُجى رَبّةُ الخِدر ... وقد جَنَحَتْ في الأُفْقِ أجْنِحَةُ النسر[١]
ومالتْ إلى الغَرْبِ الثُرَيّا كأنّها ... مطارُ حَمامٍ رامَ نَهْضاً إلى وكْرِ[٢]،
فهبّتْ مَعَ الفجرِ النَعامى فجرّرَتْ ... ذُيولاً على الغيطانِ عاطِرةَ النَشْرِ[٣].
فمَنْ مُبلِغي - والدارُ بالقومِ غُربةٌ ... شَطونٌ - وصِدْقُ القولِ أجدرُ بالحُرّ[٤]،
عنِ الرَوْض بالرَوْحاء كيفَ نسيمُــه ، ... وهل جادَهُ بعدي مُلِثٌّ من القَطْرِ[٥] ،
وهـل حَلّ قَلْبي في معاهدِ زَيْنَبٍ ... بذاتِ النَقا أم راحَ في ذلك السَفْرِ[٦] .
ومِمّــا شَجــا نفسي تألُّقُ بارقٍ ... يقُدُّ جلابيبَ الدُجُنّةِ إذ يَسْري[٧] .

---

(١) طرق: طلع (جاء) فجأة. ربّة الخدر (المرأة المصونة). المقصود بالنسر هنا كوكبة (مجموعة نجوم). جنحت في الأفق: مالت إلى المغيب، كناية عن اقتراب نهاية الليل (راجع البيت الذي يلي التالي).

(٢) مطار جمع مطارة: مكان يكثر فيه الطير. نهض الطير: بسط جناحيه ليطير.

(٣) النعامى ريح الجنوب (وهي في شبه جزيرة العرب رطبة محبوبة).

(٤) الشطون (بالفتح): بعيدة.

* الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال.

(٥) الروحاء (اسم مكان). الملثّ (المستمرّ). القطر: المطر.

(٦) السفر (بالفتح): الجماعة المسافرون معاً.

(٧) شجا: حزن (بفتح ففتح) وأحزن. تألّق: لمعان. يقدّ (يشقّ) جلابيب (جمع جلباب: ثوب) الدجنّة (الظلام) إذ (حينما) يسري (يسير ليلا).

مَليحٌ إذا ما آهتاجَ قُلتُ: صفيحةٌ		من الهندِ أو رَجْمٌ من الأنجمِ الزُهْرِ[1]،
ينوء بـه مُسْتَمْطَرٌ ذو هيـادِبٍ		كما نَهَضَتْ بُدْنُ الحجيج إلى النَحْرِ[2].

إلى كَمْ أُطيـعُ القلـبَ في طلـبِ الصِبـا
وأُجْهِـدُ نفسي في هَوى البيـضِ والسُمْرِ[3]؟

سأثني عِنانَ الشِعر عن سُبُلِ الهوى		إلى مِدْحة القاضي الأجلِّ أبي بكر[4]:
فتًى أنهضَ الإسلامَ في سُبُلِ الهُدى		وصَيَّر طَيَّ المَعْلُواتِ إلى النَشْرِ[5]،
وشيَّدَ أركـانَ الديانـةِ فاغْتَـدَتْ		تُزاحِمُ أشباحَ النَعائمِ والنَسْرِ[6].
حفيظٌ عـلى ذاتِ الآلَـهِ ودينِهِ،		مَلِيءٌ بما يُرضيه في السِرِّ والجهرِ[7].
تحدَّثَ عن آثـارِه فِتْيَـةُ السُرى		كما حَدَّثوا في المَحْلِ عن سُبُلِ القَطْرِ[8].
وأصْفَرَ مصقولِ الأديمِ أجَلْتَـهُ		فَرِيعَتْ متونُ البيضِ والذُبُلِ السُمْرِ[9].

إذا اسْتَنْطَقَتْ يُمناكَ منه مُفَوَّهاً		أجابَ بما يَثْني بهِ نُوَبَ الدهرِ[10].
وإنْ خَضَّبَتْ أعلاه مَجَّةُ حِبْرِهِ		قضى بالحُبورِ الجَمِّ عن ذلك الحِبْرِ[11].

---

(1) صفيحة من الهند (صفحة سيف من صنع الهند). رجم (شهاب مضيء ساقط إلى جوّ الأرض). الأزهر: الأبيض، اللامع.

(2) مستمطر (قطع سحاب فيها مطر). الهيدب: ما يتدلّى من السحاب فيكون قريباً من الأرض (لكثرة الماء الذي فيه). البدنة (بفتح ففتح): حيوان (كالجمل والبقرة والخروف). الحجيج: الحجّاج. النحر: الذبح. ويستحسن في البدن (بالضمّ) التي يضحّي بها الحجّاج أن تكون سمينة.

(3) الصبا: الشباب (أفعال الشباب). أجهد: أتعب. البيض والسمر (النساء الجميلات).

(4) سأثني (أردّ) عنان (زمام) الشعر من الغزل (الهزل) إلى المدح (الجدّ - بكسر الجيم).

(5) المعلاة: مقبرة مكّة. طيّ (ما في بطن) المعلوات (جمع معلاة): المقابر. - أحيا آمال الناس (؟).

(6) تزاحم: تسابق (ترتفع، تعلو) أشباح (أجسام) النعائم والنسر (مجموعتا كواكب): جعل مكانة الدين سامية.

(7) المليء: الكثير المال، والمضطلع بالأمور (القدير على تصريف الأمور).

(8) السرى (السير ليلاً). المحل: الجدب، انقطاع المطر. القطر: المطر. - تحدّث الناس في أسمارهم عنه (باهتمام وسرور) كما يتحدّث الناس عادة عن سقوط المطر بعد زمن طويل من الجدب والقحط.

(9) وأصفر (قلم) أجلته (على الورقة). ريعت (المجهول من راع: خاف) المتن: الحدّ. البيض (السيوف) والذبل السمر (الرماح).

(10) المفوّه: القدير على الكلام. يثني: يردّ، يدفع. النائبة: الحادث، المصيبة.

(11) خضب: صبغ. أعلاه (أعلى القلم: الطرف المبرى الذي يكتب به). الحبور: السرور. الجمّ: الكثير.

إليكَ، أبا بكرٍ، بَعَثْتُ عقيلةً وما إنْ لها إلاّ قَبولُك من مَهْر[1].
ولستُ كَمَنْ يَبْغي نَوالَ مُمَدَّحٍ ولو نَوَّلَتْني الشِعْرَيَيْنِ يَدُ الشِعر[2].
فَدُونَكَها غَرّاءَ أمّا نَسيمُها فكالرَوْضِ يَنْدى أو كَعَنْبَرةِ الشِحْر[3].
بَقيتَ مَكينَ العِزِّ مُقْتَبِلَ العُلا فسيحَ المدَى سامي المراتب والذِكْر.

- وله في النسيب:

خَليلَيَّ من وادي اليَمامةِ، خَبِّرا هلِ البانُ في أرْجائه يتأوَّدُ[4]؟
وهلْ سرحَةُ القاعِ المَريعِ جَنابُهُ تَصيحُ إذا غَنّى الحَمامُ المُغَرِّدُ[5]؟
وما هِيَ إلاّ لِلْوَداعِ مَواقِفٌ يُراقُ بها دَمْعٌ ويَفْنى تَجَلُّدُ.
فيا راكِبَ الوَجْناءِ، هل أنتَ مُبْلِغٌ دِيارَ سُلَيْمى ما أقولُ وأُنْشِدُ[6]:
مَتى يَلْتقي جِسْمٌ بِرامَةَ مُتْهِمٌ وجِسْمٌ بأكنافِ العَقيقَيْنِ مُنْجِدُ[7]؟

٤ - ** الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٢٥٣ - ٢٥٥؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٤٩ - ١٥٣؛ المغرب ٢: ٣٨٢ - ٣٨٣؛ زاد المسافر ٧٣ (١١٥).

ابن مُجبر الصقلّيّ

١ - هو مُجْبِرُ بنُ مُحَمَّدِ بن عبد العزيز بنِ عبد الرحمن بنِ الحبابِ الأمويُّ، المعروف بابن مجبرٍ وُلِدَ في صِقِلِّيَةَ،سَنَةَ ٤٦٤ هـ (١٠٧١ - ١٠٧٢ م). وقد هاجرَ إلى مِصْرَ في مطلعِ حياتِه، سَنَةَ ٤٨١ هـ. وكانتْ وفاتُه قبلَ سَنَةِ ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م).

(١) عقيلة: زوجة كريمة (قصيدة).
(٢) الشعريان: الشعرى العبور والشعرى الغميصاء نجمان من القدر الكبير.
(٣) غرّاء: بيضاء (كريمة). الشحر (شاطىء في جنوب شبه جزيرة العرب).
(٤) البان: شجر أغصانه طويلة رشيقة وسمراء ملساء (لعلّه كناية عن المحبوبة) يتأوّد: يتمايل (سروراً وسعادة).
(٥) السرحة: الشجرة الطويلة الكبيرة (لعلّها أيضاً كناية عن المحبوبة). المريع: المخصب. جنابه: جانبه. تصيح (تعبّر عن سرورها أو عن حزنها؟).
(٦) الوجناء: الناقة.
(٧) المتهم: المقيم في تهامة (بالكسر: عند شاطىء البحر) والمنجد (الساكن في نجد: المكان العالي).

٢ - كان ابنُ مجبرٍ الصِقلّيُّ رجلَ جِدٍّ كريمَ الخُلُقِ، وكانَ شاعراً فَحْلًا مُكثِراً. وشعرُه فصيحُ الألفاظ متينُ التركيب مَعَ سهولةٍ واضحةٍ. وفنونُ شعرِه المديحُ والغَزَلُ والوصفُ والأدَب (الحكمة). ويبدو أنّه كان قد أخَذَ نفسَهُ بنَظْمِ مَلْحمةِ «السيرة المصرية».

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ مُجبرٍ الصقلّيُّ قصيدةً في مدحِ رجلٍ كريمٍ، منها:

امـلأْ كؤوسَكَ بالمُـدامِ وهاتِهـا . . . إنّ الهوى للنفسِ من لَذّاتِها[1].
اِصْرِفْ عنِ المُشتـاقِ صِرْفَ مُدامةٍ . . . رَشْفُ الرُضابِ ألذُّ من رَشَفاتِها[2].
وأحَـلُّ أشْرِبَـتي وأحلاهـا الـتي . . . أمسَتْ ثُغورُ البِيضِ من كاساتِهـا[3].
ومريضةِ الأجفانِ سامتْ في الهوى . . . قَتْـلي فَهانَ عليَّ في مَرْضاتِها[4].
ما زِلْتُ أصفَحُ في الهوى عن جُرمِها . . . وأغُـضُّ في الإعراض عن هَفَواتِها،
حتّـى تَوَهّمتُ الصـدودَ زِيادةً . . . في حُسْنِها عِنـدي وفي حَسَناتِها.
ما خِلْتُ أن النفسَ ينكُدُ عيشُها . . . حتّـى يكونَ الموتُ من شَهَواتِها.
أستَوْدِعُ اللهَ القِبــابَ وأوْجُهـاً . . . فيهـنّ كالأقمارِ في هالاتِهـا[5]،
والوردُ يحسُدُ نَرْجِساً وبَنَفْسَجـاً . . . في شُهْـلِ أعيُنِها ولُعْسِ لِثاتِها[6].
تلـك الرياضُ اللاءِ ما بَرِحتْ يدي . . . تَجْـني ثِمارَ الوصلِ من وَجَناتِها[7].

---

(١) المدام: الخمر.
(٢) الصرف: الخالصة (غير الممزوجة بماء). الرضاب: الريق ما دام في الفم.
(٣) الثغر: الفم. البيضاء: المرأة (الجميلة).
(٤) سام السلعة: عرضها للبيع وطلب فيها ثمناً. هان: سهل.
(٥) القباب جمع قبّة (بالضم): خيمة صغيرة أعلاها مستدير (تكون عادة للمرأة). الهالة: دائرة ترى أحياناً محيطة بالقمر أو الشمس أو السراج (يشبّه المرأة في القبّة كالقمر في وسط الهالة).
(٦) الورد (النبات الطبيعي) يحسد النرجس الذي يشبه عينيها (أو عينيها اللتين تشبهان النرجس). الشهلة (بالضمّ): أن يخالط بؤبؤ العين حمرة (أو صفرة). اللعس: السمرة. اللثة (بكسر ففتح بلا تشديد): اللحم الذي تنبت فيه الأسنان.
(٧) اللاء: اللائي، اللواتي، التي.

ولَرُبَّ قافيــــةٍ شَرودٍ شَرَّدتْ نَوْمي فبِتُّ أجولُ في أَبْياتها[1]،
حتّى وردْتُّ من التأسُّفِ بعدَها ناراً دموعي الحُمْرُ من جَمَراتها.
ما زِلْتُ أنْظِمُ طِيبَ ذِكْرِكَ عنبراً أرجاً خِلالَ الدُرِّ مِنْ كَلِماتها[2]،
حتّى إذا نَشَرَ الصباحُ رِداءه عن مِثْلِ نَفْحِ المِسْكِ من نَفَحاتها،
وتمثّلتْ عِقْداً تَوَدّ كواكبُ الـ ـجوزاءِ عُقْدَتَه على لَبّاتها[3]،
أعْدَدْتُها لِلِقاء مَدْحِك سُبْحَةً أدعو بها لأنالَ من بَرَكاتها.
ومدائحُ الكُرَماء خيرُ وسيلةٍ شُفِعت بها الآمالُ في حاجاتها.
وأحَقُّها بالنُجْحِ مدحُك إنّه للنفس عندَ الله من قُرُباتِها[4].
فاليومَ أنْثُرُها جواهرَ حِكمةٍ عَقُمَتْ بِحارُ الشعرِ عن أخَواتها.
قسَماً بِمَنْ قَسَمَ الحُظوظَ فنِلْتَ أفْـ ـضَلَها ونال الناسُ من فَضَلاتِها،
وبنى العُلى رُتَباً فكُنْتَ بفَضْلِه أَوْلى مَن آسْتَوْلى على غاياتِها[5]،
لولا وُجودُكَ في الزمانِ وجُودُك الـ ـمُحْيي المكارمَ بَعْدَ بُعْدِ وَفاتِها[6]،
لم يُعْرَفِ المعروفُ في الدنيا ولَوْ طُفْنا عليه في جميع جِهاتها.

٤ - ** الخريدة (مصر) ٢ : ٨٢ - ٨٩.

ابن بقيّ الأندلسي

١ - هو أبو بكرٍ يحيى بنُ أحمدَ (أو محمّد) بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ بقيٍّ[7] القَيْسيُّ، القُرطُبيُّ الطُلَيطُليُّ الأندلسيّ. ومن المستغرب أنّ المعروفَ من تفاصيلِ حياته نَزْرٌ

(١) القافية الشرود: السائرة في البلاد. يقصد قصيدة بارعة جعل قوافيها متخيّرة موافقة لأبياتها.
(٢) أرج: طيّب الرائحة.
(٣) اللبّة: أعلى الصدر.
(٤) القربة: ما يتقرّب به الإنسان إلى غيره (في الأصل: إلى الله).
(٥) استولى على الغاية: سبق المتبارين.
(٦) جودك (كرمك). بَعْد بُعْد وفاتها (موت المكارم منذ زمن بعيد).
(٧) ابن بقيّ من أهل وادي آش (جنوبيّ الأندلس) ووفاته في وادي آش (صلة الصلة ١٧٤).

قليلٌ برُغْمِ شُهرته وتَقدُّمِه في تاريخ الأدب.

كان مولدُ ابنِ بقيٍّ (في طليطلة؟) في أواخرِ القَرْنِ الهِجْريّ الخامس (الحادي عَشَرَ للميلاد) قضى حياتَه في التَطْواف في الأندلس نفسِها وفي المغرب من غيرِ أن ينالَ خيراً إلى أن قرَّبَهُ يحيى بنُ عليٍّ بنِ القاسمِ من بني العَشْرةِ القُضاةِ في سَلا (قُربَ الرِباط - في المغرب) فنال عنده حُظوةً يبدو أنّها لم تَطُلْ فعادَ من المغرب غاضباً يائساً. ثمّ كانت وفاتُه في سَنَةَ ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م)، في روايةِ ياقوتٍ (معجم الأدباء ٢٠ : ٢١) وروايةِ ابنِ خِلِّكانَ (وفيات الأعيان ٦ : ٢٠٥). وقيل سَنَةَ ٥٤٥ هـ.

٢ - أبو بكرِ بنِ بَقيٍّ ناثر[1] وشاعرٌ مُجيدٌ ووشّاحٌ بارع صاحبُ موشّحاتٍ وقصيدٍ في مقاطعَ وقصائدَ طوالٍ. كانتْ فنونه المديحَ، أكثَرَ من مديحِ يحيى بنِ عليٍّ ابن القاسم، والشَكْوى والغَزَلَ الرقيقَ والنسيب. ويبدو أنّه قد نُسِبَتْ إليه موشّحاتٌ لم تكن له، ولكنّ شُهرتَه دفعتِ الرُواةَ إلى ذلك. ومعَ أنَّ ابنَ بقيٍّ كان ذا مكانةٍ ساميةٍ في التوشيح، فإنّ الأعمى التُطيليَّ كان أكثرَ توفيقاً منه في بعض الأحيان (راجع مقدّمة ابن خلدون ٥٨٤/ ١١٣٩ - ١١٤٠). وكان في مُوشّحاتِه «خَرَجات» (والخَرْجة نِهايةُ الموشّحة) رومانسية، أي باللغة الأعجمية لغةِ نَصارى الأندلس (راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٢٩).

٣ - مختارات من شعره:

- موشحة ابن بقيّ:

غَلَبَ الشوقُ بقلبي فَاشتكى أَلَمَ الوَجْدِ فَلَبَّتْ أَدْمُعي.

* * *

أيُّها الناسُ، فُؤادي شَغِفُ،
وهو مِنْ بَغْيِ الهوى لا يُنْصَفُ،

(١) وهو ناثر أيضاً (صلة الصلة ١٧٤).

كَمْ أُداريـــــــه ودَمْعي يَكِـــــفُ؟
أيُّهـــا الشادنُ مَنْ علَّمكـــا بسِهام اللحظِ قَتْلَ السَّبُـعِ[1]؟

* * *

بـــــدرُ تِمٍّ تحتَ ليْــــلٍ أغْطَشِ ،
طالـــــعٌ في غُصْن بـــانٍ مُنْتَشِ ،
أهيـــفُ القـــدٌ بخـــدٍّ أرْقش.
ساحرُ الطرفِ، وكَمْ ذا فَتَكـــا بقلوبِ الأُسْد بـين الأضْلُـع[2]!

* * *

أيٌّ ريمٍ رُمْتَــــــه فاْجْتَنبـــــا ،
وآنثنـــــى يهتزّ مِنْ سُكْرِ الصِّبـــا
كقضيـــبِ هزَّه ريـــحُ الصَبَـــا.
قلتُ: هبْ لي، يا حبيبي، وَصْلَكا وآطَّرِحْ أسبـابَ هجرٍ ودَعِ[3].

* * *

قـــال: خَـــدّي زهرةٌ مُـــذْ فُوِّفـــا
جرَّدتْ عَينـــايَ سيفـــاً مُرْهَفـــا
حَـــذَراً منـــه بـــألّا يُقْطَفـــا.

(١) الوجد: ألم الحبّ. شَغِفٌ (ليست في القاموس). المقصود « مشغوف »: مجنون (من الحبّ). البغي: الظلم. يكف: يهطل، ينسكب. الشادن: الغزال الصغير.

(٢) أغطش: ضعيف البصر. والشاعر يقصد ليل غاطش (تاج العروس- الكويت ١٧ : ٢٩٢): مظلم. منتش: سكران (يتأوّد: يتمايل مثل السكران). أهيف القدّ: نحيل معتدل القامة. أرقش: (فيه ألوان): أحمر (؟).

(٣) ريم: غزال أبيض. رام: طلب. ريح الصَّبا: ريح الشرق. يجب أن يقول: هزّته.

إنْ مَنْ رام جَنـــاه هلَكـــا فسأزِلْ عنـك عـلالَ الطمـع[1].

* * *

ذاب قلـــبي في هوى ظـــبيٍ غَريرْ،
وجهُـــه في الدَجْنِ صُبْـــحٌ مستنـــير،
وفُؤادي بـــينَ كَفّيـــه أسير.

لم أجِـدْ للصـبر عنـه مَسْلكـا فأنتصاري بأنْسكابِ الأدْمع[2].

– شكوى مريرة من الدهر والناس في الوطن والغربة:

إلى الله أشكوهـا نَوًى أجنبيَّـةً | لها من أبيها الدهرِ شيمةُ ظالمِ[3].
إذا جاش صدرُ الأرض بي كنتُ مُنْجِداً | وان لم يَجِشْ بي كنتُ بين التهـائم[4].
أكُـلُّ بني الآدابِ مثلِيَ ضائعٌ | فأجعلَ ظُلمي أُسوةً في المظالم.
ستبكي قوافي الشعرِ ملءَ جفونِها | علـى عَرَبيٍّ ضـاع بينَ أعاجم.

– وقال في النسيب:

بـأبي غزالٌ غازلَتْـهُ مُقلـتي | بين العُذيب وبين شَطَّيْ بارقِ[5]،
وسألتُ منـه زيارةً تَشْفي الجَوى | فأجابني فيها بوَعْدٍ صادقِ[6].
بِتْنـا ونحنُ من الدُجى في لُجّةٍ، | ومن النُجومِ الزُهْرِ تحتَ سُرادقِ[7].

---

(١) التفويف: التلوين (كثرة الألوان). مرهف: رقيق (حادّ، قاطع). جناه = اجتناؤه: قطفه (تقبيله). علال (ليست في القاموس بالمعنى المقصود). الشاعر يقصد علالة (بالضمّ: ما يتلهّى الإنسان به) أو التعلّل: التأميل، الأمل.

(٢) الغرير (الصغير، القليل الاختبار). الدجن: الغيم.

(٣) نوى: بعاد، فراق. الأجنبية: الغريبة (البعيدة، في بلاد أجنبية؟). شيمة: خصلة.

(٤) جاش: تحرّك، اضطرب. جاش بي صدر الأرض: سرت في الأرض كثيراً. المنجد: المرتقي إلى النجد (المكان المرتفع). التهائم جمع تهامة (بالفتح أو بالكسر): الأرض المنخفضة.

(٥) العذيب وبارق من أسماء الأماكن (ولا يقصد بها هنا مكاناً بعينه).

(٦) الجوى: ألم الحبّ.

(٧) الدجى (الظلام). اللجة: معظم الماء (في ظلام شديد). الزهر جمع أزهر وزهراء (أبيض، لامع). السرادق: كلّ ما أحاط بك (خيمة كبيرة ممتدّة: كانت النجوم كثيرة؟). بات: قضى الليل.

عاطَيْتُه، والليلُ يسحَبُ ذَيْلَه، صَهباءَ كالمسكِ الفَتيقِ لناشقِ[1]؛
وضَمَمْتُه ضَمَّ الكَميِّ لسَيْفِهِ وذُؤابتاهُ حَمائلٌ في عاتقي[2].
حتّى إذا مالتْ به سِنَةُ الكَرى زحزحتُه شيئاً وكان معانقي[3]:
باعَدتُه عن أضلُعٍ تشتاقُه كيلا ينامَ على وِسادٍ خافقٍ[4]!

- وقال يتغزّل:

يا أقتلَ الناس ألحاظاً وأطيبَهم
ريقاً، متى كان فيك الصابُ والعَسَلُ[5]؟

في صَحْنِ خدِّك، وهوَ الشمسُ طالعةٌ، وَرْدٌ يزيدُك فيه الراحُ والخجل[6].
إيمانُ حبِّك في قلبي تُجدِّدُه مِن خدِّك الكُتْبُ أو من لحظك الرُسُل.
إنْ كنتَ تجهلُ أنّي عبدُ مَمْلَكَةٍ مُرْني لِمَا شئتَ آتيه وأمتثلُ[7].
لوِ اطّلَعْتَ على قلبي وجدتَ به مِنْ فِعْلِ عَيْنَيكَ جُرحاً ليسَ يَندَمِل.

٤ - ** قلائد العقيان ٣٢٢ - ٣٢٦؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢٣٦ - ٢٤٦، ٣: ٥٧٩؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٣٠ - ١٤٣؛ المطرب ١٩٨؛ المغرب ٢: ١٩ - ٢١، ٢٥؛ وفيات الأعيان ٦: ٢٠٢ - ٢٠٥؛ معجم الأدباء ٢٠: ٢١ - ٢٥؛ البيان المغرب ٣: ١٩٢؛ التكلمة؛ (رقم ٢٠٤٢) صلة الصلة ١٧٤؛ جيش التوشيح ٢ - ١٥، راجع ٢٢٧ - ٢٣٠؛ نفح الطيب ١: ٤٧١ - ٤٧٣، ٣:

---

(١) عاطيته: شربت وإيّاه. والليل يسحب ذيله (طول الليل؟). صهباء: خمر حمراء اللون. الفتيق= المفتوق (من إناء فتح لأوّل مرّة). الناشق (يقصد المتنشّق والمستنشق: الذي يقصد أن يشمّ رائحة ما).

(٢) الكميّ: الكامل السلاح. ضمّ الكميّ لسيفه (حبّاً له ومحافظة عليه). الذؤابة: الضفيرة. حمالة (ملقاة على). العاتق ما بين العنق والكتف.

(٣) السنة (بالكسر): النعاس. الكرى: النوم.

(٤) وساد: مخدّة. وساد خافق (يقصد قلبه).

(٥) الصاب: شجر مرّ.

(٦) لون الراح (الخمر - الحمرة) ولون الخجل (الحمرة) أو طعم الخمر (عند شمّ الخدّ وتقبيله) ولون الخجل.

(٧) حقّ «آتيه وأمتثل» الجزمُ (في جواب الأمر). ويستقيم الإعراب إذا قلنا: مرني، فما شئت آتيه وأمتثل (أطيع).

٢٠٨ - ٢٠٩، ٣٤٧ - ٣٤٨، ٤٠٤، ٤٣٩ - ٤٤٠، ٤٤٨، ٤: ١٣، ١٥٥، ٢٣٦ - ٢٤٠، ٧: ٦ - ٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٢٩؛ نيكل ٢٤١ - ٢٤٤؛ مختارات نيكل ١٦٣ - ١٦٥؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٨٨ (٨: ١٥٨).

ابن أبي الخِصال الغافقيّ

١ - هو ذو الوَزارتَيْنِ أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ مسعودِ بنِ طيّبِ بنِ فرجِ بنِ خَلَصَةَ الشَقوريُّ المَعْروفُ بابنِ أبي الخِصالِ الغافقيِّ (نفح الطيب ١: ٢٩٤)، وأوْلَيَّتُه من فَرَغليطَ، قُرْبَ شَقورةَ، وفيها كان مولدُه، سَنَةَ ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م)، وكانتْ نشأتُه أيضاً. ثمّ إنّ ابنَ أبي الخصال انتقلَ إلى قُرْطُبَةَ وسكنها.

وتردّد ابنُ أبي الخصالِ على أبي الحسنِ ابنِ مالكٍ اليَعْمُرِيِّ قاضي أُبّذة (راجع نفح الطيب ٣: ٥١٩ - ٥٢٠). ثمّ عُنِيَ بالحديث فقرأ على أبي عليٍّ الحسينِ بنِ محمّدِ بنِ سُكّرة الصَدَفيّ (ت ٥١٤ هـ) بالمَرِيَّةِ صحيحَ مُسلمٍ وجامعَ التِرْمِذيِّ ومُصنَّفَ أبي داوودَ وأكثرَ صحيحِ البُخاريّ.

وترقّى في مراتبِ الدولة فأصبحَ رئيسَ كُتّابِ الأندلس. وقد كان كاتباً لوالي غَرْناطةَ عليِّ بنِ يوسفَ بنِ تاشَفينَ (قبلَ أن يَلِيَ عليُّ بنُ يوسُفَ السَلْطَنَةَ، سَنَةَ ٥٠٠ هـ).

ولـمّا قام السُلطانُ عليُّ بنُ يوسفَ بحملتِهِ على طَلَبِيرةَ (غربَ طُلَيطُلَةَ) رافقه ابنُ أبي الخِصال. وسَكَنَ ابنُ أبي الخِصالِ مُدّةً في فاس.

ولـمّا استَوْلى المَصامِدةُ (المُوحِّدون) على الأندلس ظلّ يحيى بنُ غانيةَ (آخرُ وُلاة المُرابطين على الأندلس) يُقاوِمُ جيوشَهم. واتّفق يوماً أن كان مُحمّدُ بنُ أبي الخِصال في باب بيتِهِ في قُرْطُبَةَ فرأى الجُنود المَصامدةَ يهاجِمون الناسَ ويقتُلون نفراً منهم. فجَعَل (ثِقةً بمكانتهِ العِلمية وحُبًّا بدفاعِهِ عن الخُلُق والحقّ والدين) ينصَحُ الجنودَ بالكَفِّ عن قتلِ الناس. فجاء الجندُ إليه وقتلوه، في ثاني عَشَرَ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٥٤٠ (٢٧/٥/١١٤٦ م).

٢ - كان محمّدُ بنُ أبي الخِصال مُتَفَنّناً في العلوم مُستبحراً في الآدابِ واللُّغاتِ (لغات العرب: لَهَجات العرب) بارعاً في البلاغة أديباً مُترسِّلاً حتّى اشتهرَ بأنّه رئيسُ كُتّاب الأندلس في أيامه، وإن كانتْ عنايتُه الأولى مُتّجهةً إلى الحديث. وكذلك كان عالماً بالأخبار (التاريخ). ثمّ إنّه كان شاعراً يُحسنُ الارتجال، وكانتْ أكثرُ براعته في الوصف. غيرَ أنّه كان قليلَ الابتكار كما كان على شِعرِه شيءٌ من الجَفاف. ونَثرُه مُثْقَلٌ بالصِناعة.

وكان مُصنّفاً أيضاً له كُتُبٌ منها: مجموعُ ترسُّلٍ وشعرٍ في خمسةِ مجلّدات (معجم ابن الأبّار ١٤٤) - ظِلُّ الغَمامة (في مناقبِ الصَّحابة) - مِنهاج المناقب - مِنهاج العَشْرة (المُبَشَّرين بالجنّة؟) وعَمَّيِ الرسولِ (حَمزةَ والعبّاس؟).

٣ - مختارات من آثاره:

- كان لأبي عبدِ الله ابنِ أبي الخِصال أقوالٌ في الحِكمة منها (المغرب ٢: ٦٦ - ٦٧):

لولا الظلامُ ما سَطَعَ السِّراجُ ولولا الصبرُ ما نَفَعَ الإفراج - حقّ الأديبِ على الأديب حقُّ الوابلِ[1] على المكان الجَديب - أَعْفِ صديقَك من ريحِ العِتاب وإن كانَ نسيماً.

- وقال في مُغَنٍّ زارَه بعدَ أن كان قد أغَبّ (انقطع عنه مدّة):

وافى وقد عَظُمَتْ عليّ ذنوبُه ... في غَيْبَةٍ قَبُحت بها آثارُهُ.
فمحا إساءتَه بها إحسانُه، ... واستَغْفرت لِذُنوبِهِ أوتارُه[2].

- وكتب الفتحُ بنُ خاقانَ إلى أبي عبدِ الله بنِ أبي الخِصال يطلُبُ منه نُخبةً من شِعره فردّ ابنُ أبي الخِصال برِسالة يعتذرُ فيها مِنْ ذلك، منها (قلائد العقيان).

---

(١) الوابل: المطر الكثير.

(٢) الأوتار جمع وتر (كناية عن العزف على الآلة الموسيقية): غناني غناءً عذباً فنسيت هجرانه لي من قبل.

الحَذِرُ - أعزَّكَ اللهُ - يُؤتى مِنَ الثِقَةِ(١)، والحبيبُ يُؤذَى مِنَ المِقَةِ(٢). وقد كنت أرْضى من وُدّكَ، وهو الصحيحُ، بلَمْحة؛ وأقنع من ثنائِك، وهو المِسكُ، بنَفْحة. فما زِلْتَ تُعَرِّضني للامتحان وتطالِبُني بالبُرْهان، وتأخُذُني بالبيان، وأنا بنفسي أعلَمُ وعلى مِقداري أحْوَط وأحزمُ(٣). والمُعَيْدِيّ يُسمَعُ به لا أنْ يُرى(٤)، وإنْ وَرَدَتْ أخبارُه تَتْرى(٥)، فشخصه مُقْتَحَمٌ مُزْدَرَى(٦). ولا سيّما من لا يُجَلّي ناطقاً ولا يُبرِّزُ سابقاً(٧). فتَرْكُهُ والظنونُ تَرْجُمُه، والقالُ والقيلُ يَقْسِمه(٨) .... أوْلى به من كشفِ القناع والتخلّفِ عن منزلة الإمتاع(٩) . وفي الوقتِ فُرسانُ هذا الشان(١٠) .... وقُطّانُ هذه المناهلِ وهُداةُ تلك المجاهل(١١) ... وأنا أُنَزِّهُ ديوانَه النزيه(١٢) وتَوْجيهه الوجيهَ عن سَقَطِ من المَتاع(١٣) قليلِ الإمتاع.....

- وقال في الخمر والنسيب:

وليلـــــةٍ عَنْبرِيَـــــةِ الأُفُـــــقِ ... رَوَيْتُ فيها السرورَ من طُرُقِ(١٤)،

---

(١) الذي يحذر من الأشياء التي يشك فيها يُخدع أحياناً بالشيء الذي يثق به.

(٢) المقة: المحبة.

(٣) أنا على مقداري احوط (أكثر حذراً) من أن تنزل مكانتي عندك.

(٤) تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه مثل يضرب لمن كانت حقيقته أقلّ من ظاهره.

(٥) تترى: متوالية.

(٦) مقتحم: تقتحمه العين (لا تكبره إذا رأته). مزدرى: محتقر.

(٧) جلى الفرس: سبق (إذا نطقت أنا لم أحسن الكلام مثل أصحابي). برّز الفرس: سبق. وبرّز الرجل: فاق أصحابه في الفضل.

(٨) إذا تركت صاحبك ورأي الناس فيه مختلف بين الإجادة والإساءة خير من أن تكشفه فتثبت إساءته.

(٩) امتع الشيء: سرّ.

(١٠) وفي (هذا) الوقت (الذي نحن فيه) فرسان (بارعون). هذا الشأن (الشعر).

(١١) القاطن الساكن. الهادي: الدليل. المجهل: الأرض لا معالم (علامات) فيها. - هنالك من هو أبرع مني في ذلك.

(١٢) أنزّهه: أجلّه أبعده عن العيب. ديوانه (كتاب القلائد للفتح بن خاقان). النزيه (الذي لا مطعن فيه).

(١٣) توجيهه: اتجاهه (خطة، طريقة). الوجيه: السيد في قومه (الصحيح الاتّجاه). سقط المتاع: الأشياء الرديئة.

(١٤) عنبريّة: سوداء (كثيرة الغيم). رويت فيها السرور من طرق: تمتّعت بأنواع مختلفة من اللهو.

وافت بنا عاطلاً وقد لَبِسَتْ غُلالةً فُصِّلَتْ من الحَدَق[1] .
فاجا بها الدهرُ مِنْ بَنِيه دُجًى بِفِتْيةٍ كالصَّباح في نَسَق[2] .
قامتْ لنا في المَقام أَوْجُهُهُمْ وراحُهُمْ بالنجوم والشفق[3] ؛
وأطلعَ البدرَ من ذُرى غُصُنٍ تهفو عليه القلوب كالوُرُق[4] .
من عبدِ شمسٍ بدا سَناه، وهل ذا البدرُ إلّا لذلك الأفق[5] !
مَدَّ بحمراءَ من مُدامَتِه بيضاءَ كفٍّ مِسْكيّةِ العَبَق[6] .
يشرَبُ في الراحِ حين يشرَبُها ما غادرتْ مُقْلتاه من رَمَقي[7] .

٤ - ** قلائد العقيان ١٩٩ - ٢٠٦ ؛ المعجم لابن الأبار ١٤٤ - ١٤٩ ؛ المغرب ٢ : ٦٦ - ٦٧ ؛ المطرب ١٨٧ ؛ بغية الملتمس ١٢١ (رقم ٢٨٢)؛ الخريدة (الاندلس) ٢ : ٤٥٩ - ٤٦٤ (راجع ٤٦٥ - ٤٧٧) الإحاطة (القاهرة) ٢ : ٢٦٤ - ٢٧٥ ؛ المعجب ١٢٤ - ١٢٧ ؛ بغية الوعاة ١٠٤ ؛ بروكلمن ١ : ٤٥٤ - ٤٥٥ ، الملحق ٦٢٩ ؛ نيكل ٢٥٩ - ٢٦٠ ؛ مختارات نيكل ١٧٣ ، ١٧٩ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٣١٦ (٩٥ - ٩٦)؛ بالنثيا ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٧٠ .

رفيع الدولة الصُّمادحي

١ - هو الحاجبُ رفيعُ الدولةِ أبو زكريّا يحيى بنُ محمّدٍ المُعتصمِ (ت ٤٨٤ هـ) بن

(١) وافت بنا (وصلت تلك الليلة بنا) عاطلا (إلى امرأة جميلة لا تلبس حليًا لأنّ جمالها يغنيها عن لبس الحليّ). غلالة: ثوب رقيق. غلالة فُصّلت من الحدق (هي عارية، ولكنّ العيون تنظر إليها من كلّ جانب حتّى كأنّ تلك العيون ثوب لها).

(٢) فاجأ الدهر هذه المرأة الجميلة بفتيان كالصباح (شبّان لهم جمال) في نسق (متّفقين في الرأي الخ).

(٣) أوجههم كالنجوم (من جمالها) والراح (الخمر) كالشفق (حمراء اللون).

(٤) وهذا الدهر جاء لنا في تلك الليلة بغلام جميل من ذرى غصن (رشيق القوام كالغصن). تهفو...: تسقط الورقاء (الحمامة) على الغصن.

(٥) هو أمويّ من بني عبد شمس. ومثل هذا الغلام الجميل لا يكون إلّا من بني أميّة.

(٦) جعل هذا الغلام يسقينا الخمر، فيمدّ إلينا يده البيضاء بالخمر الحمراء.

(٧) الخمر ذهبت بأكثر نشاطي ووعيي ثمّ ذهبت عيناه الناظرتان إليّ ما بقي من ذلك.

مَعْنٍ (ت ٤٤٣ هـ) بنِ صُمادِحٍ . يبدو أن مَوْلدَه كان نحو ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م)، إذ كان أبوه المعتصمُ قد جعَله حاجباً له (رئيساً للوُزراء)، كما كان قد أصبحَ وله مكانةٌ سياسيةٌ وآجتماعيةٌ وأدبية: كان صديقاً للشاعرِ يحيى بن مَطروحٍ ، وكانت بينَه وبينَ الشاعر ابنِ اللبَّانةِ (ت ٥٠٧ هـ) مكاتبةٌ (نفح الطيب ٧ : ٤٢). ومَدَحه آبنُ الفرّاء الأخفشُ بنُ مَيْمونٍ ومدحه أيضاً الشاعرُ المنْفَتِلُ (نفح الطيب ٣ : ٣٨٧ - ٣٨٨).

ولـمّا آستَوْلى المرابطون على الأندلُسِ وخَلَعوا ملوكَ الطوائف (٤٨٤ هـ) كان رفيعُ الدولة لا يزالُ في عُنفُوانِ شبابه فوَصَل يدَه بيدِ المُرابطين. ثمّ لـمّا حاصرَ المُوحِّدون تِلِمْسانَ (في الجزائر اليومَ)، سَنةَ ٥٣٩ ، كان رفيعُ الدولة عاليَ المكانةِ عند واليها المُرابِطيِّ أبي بكر ابن القائدِ مَرْدَلِي بنِ سَلَنْكانَ. وكان لا يزالُ فيه يومَذاك بقيّةٌ من قوّةٍ وجَلَدٍ فجعله ابن مزدلي مُقدَّماً على بُنيانِ سور الرَّبَض (؟).

وكان برفيعِ الدولة عِلّةُ الحَصى (نفح ٣ : ٣٧٠). وقد أَسَنَّ كثيراً (الحُلّة ٢ : ٩٢) وعاش إلى آخرِ دولةِ المُرابطين (الحلّة ٢ : ١٩٢) التي انتهتْ مُدَّتُها سَنَةَ ٥٤١ هـ (١١٤٦ م).

٢ - كان رفيعُ الدولةِ ناثراً وشاعراً وُجدانيًّا ذا بديهةٍ. وله نَظْمٌ رائق (نفح ٣ : ٣٦٩). ولم يكن في بني صُمادِح أشعرُ منه، إلّا أنّ الخمولَ أَخْنى على مَحاسنِه، إذ كان مُنْهَمِكاً في ملاذِّ الدنيا من خمرٍ ولهو وما يتبعُها.

وكان رفيعُ الدولةِ فصيحَ الألفاظ سهلَ التراكيب ولكن رُبّما مرّ خطأٌ في أبياته (دِيارُهُمْ « التي » ذكَّرَتْني). وأكثرُ شعرِه جارٍ على الجَزالة في اللفظ والمتانة في التركيب، ولكنّ المُبْتكَر من المعاني عنده نادر. وشِعْرُه الذي وصلَ إلينا مُقطَّعاتٌ قِصارٌ في النسيبِ والخمر والأدب. وربّما أطال.

٣ - مختارات من آثاره:

- قيلَ يوماً لرفيعِ الدولة: لا تَقْرَبْ هذا اللعينَ (آبنَ الفرّاء الأخفشَ بنَ مَيْمونٍ) لأنّه مدَحَ الوزيرَ اليهوديَّ ابنَ النغريلَةِ ثمّ رثاه بعدَ موتِه. فردّ رفيعُ الدولة على القائل بما يلي:

هذا، والله، هُوَ الحُرُّ الذي يجب أن يُصْطَنَع، فلولا وفاؤه ما بكى كافراً بعدَ موتِه. وقد وَجَدْنا في أصحابِنا من لا يَرْعى مُسْلِماً في حياتِه.

- لرفيع الدولة مقطّعاتٌ في أغراضٍ مختلفةٍ، منها:

سَطا ظَبْيُ الخَميلةِ يا لَقَوْمي! - على أسدِ العَرينةِ واستطالا[١].
فأوْتَرَ قَوْسَ حاجبِهِ اختيالاً، وفَوَّقَ من لواحِظِهِ نِبالا[٢].

★ وأهيفَ لا يَلْوي على عَتْبِ عاتبٍ ويَقْضي علينا بالظُّنونِ الكواذبِ[٣].
يُحَكِّمُ فينا أمرَه فنُطيعُهُ ونَحْسَبُ منه الحكمَ ضربةَ لازبِ[٤].

★ ما لي وللبدرِ لم يَسْمَحْ بزَوْرَتِهِ؛ لعلّه تَرَكَ الإجمالَ أو هَجَرا[٥].
إن كان ذاك لذنبٍ ما شَعَرتُ به، فأكْرَمُ الناسِ من يعفو إذا قَدَرا.

★ هذي دِيارُهُمُ التي ذَكَّرَتْني عهدَ الصِبا وحديثَه المَعْسولا.
ما كان أجملَ عهدَهُم وفِعالَهم، لو كان فِعْلُك، يا زمانُ، جميلا.

★ إذا ما الأمرُ أخْفَقَ فيه سَعْيٌ وضاقَ مَرامُه عن كلِّ بابِ[٦]،
فلا تَقْنَطْ، فإنّ اللهَ يأتي بفَتْحٍ لم يكنْ لكَ في حِسابِ.

★ أبا العلاءِ، كؤوسُ الراحِ مُتْرَعَةٌ، وللندامى سُرورٌ في تَعاطيها.
وللغُصونِ تَثَنٍّ فَوْقَها طَرَباً، وللحَمائِمِ سَجْعٌ في أعاليها.
فاشْرَبْ على النهرِ من صَهباءَ صافيةٍ كأنّها عُصِرَتْ من خَدِّ ساقيها[٧].

★ باكِرْ إلى القَصْفِ، أبا عامرٍ، فإنّما نُجْحُ الفَتى في البُكَرْ[٨]،

---

(١) سطا: اعتدى، قهر. الخميلة: الشجر المجتمع الكثير الملتفّ. العرينة (العرين: مأوى الأسد). استطال: اعتدى.
(٢) فوّق السهم: وضعه في الوتر (ليطلقه).
(٣) الأهيف: النحيل الخصر (الرشيق). ألوى: التفت(اهتمّ).
(٤) ضربة لازب: ضرورة (لا بدّ منه).
(٥) الإجمال: حسن الصنيع (ترك الإساءة، المداراة).
(٦) أخفق: خاب. المرام: الطلب (الوصول).
(٧) صهباء: خمر حمراء. صافية (رائقة لأنّها عتيقة).
(٨) القصف: اللهو.

من قبلِ أن يمسَحَ كَفُّ الصَّبا دَمْعَ الفَوادي من خُدودِ الزَهَر[1].

– استأذَنَ رفيعُ الدولة يوماً على أحدِ وُجوهِ دولةِ المُرابطين فقال أحدُ جُلسائه: « تِلْكَ أُمَّةٌ قد خَلَتْ » (٢ : سورة البقرة ١٣٤ ، ١٤١) استِحْقاراً له واستثقالاً للإذْن له (يَقْصِدُ أنّ مكانةَ بني صُمادِحٍ قد زالتْ مَعَ زوالِ دَوْلَتِهم). وبَلَغَ الخَبَرُ إلى رفيعِ الدولة فكَتَبَ إلى الوجيهِ المُرابطي بهذه الأبياتِ (وهي من النَمَط العالي):

خَلَتْ أُمَّتي، لكنّ ذاتِيَ لم تَخْلُ. وفي الفَرْعِ ما يُغني إذا ذهب الأصلُ.
وما ضرَّكُمْ لو قُلْتُمُ قَوْلَ ماجدٍ يكونُ له، فيما يجيءُ به، الفضلُ.
وكُلُّ إناءٍ بالذي فيه راشحٌ، وهل يمنَحُ الزُنبورُ ما مَجَّهُ النَحْلُ.
سأصْرِفُ وَجْهي عن جنابِ تَحِلُّه، ولو لم تكُنْ إلاّ إلى وَجْهِكَ السُبْلُ.
فما مَوْضِعٌ تحتلُّه بمُرَفَّعٍ، ولا يُرتضى فيه مَقالٌ ولا فِعْلُ[2].
وقد كُنتُ ذا عذلٍ لَعَلّكَ تَرْعوي، ولكنْ بأربابِ العلا يجمُلُ العَذْلُ[3].

– وكَتَبَ إلى الشاعرِ أبي زكريا يحيى بنِ مَطْروحٍ، وكان يُنادِمُهُ، يَسْتَدْعِيه إلى مجلِسِ شرابٍ بالأبياتِ التالية:

يا أخي بلْ سَيِّدي بل سَنَدي في مُهِمّاتِ الزمانِ الأنْكَدِ،
لُحْ بأفْقي غابَ عنه بدرُه في اختفاءٍ من عُيونِ الحُسَّدِ[4].
وتَعَجَّلْ فحَبيبي حاضرٌ وفَمي ساقٍ وكأسي في يَدي[5]!

٤ – ★★ المغرب ٢ : ١٩٩ – ٢٠٠ ؛ الحلّة السيراء ٢ : ٩٢ – ٩٦ ، ١٩٢ ؛ نفح الطيب ٣ : ٣٦٩ – ٣٧٠ ، ٣٨٧ – ٣٨٨ ، ٧ : ٤٢ – ٤٣ ؛ نيكل ١٨٥ – ١٨٦ .

---

(١) قبل أن تجفّف ريح (النهار) الندى. الغادية (السحابة الآتية صباحاً).
(٢) المكانة التي تكون ساقطة لا يمكن أن يكون فيها عمل صالح ولا قول صالح.
(٣) كنت أودّ أن أعذلك (ألومك وأنصحك) لو ترعوي (لو كان بالإمكان أن ترجع عن غيّك). ولكن اللوم (والنصح) ينفع في خيار الناس فقط.
(٤) تعال إلينا بعد أن غبت عنّا، ولكن في ستر كيلا يراك الحاسدون لنا فيمنعوك من الوصول إلينا.
(٥) وفمي ساق (يسقي الخمر؟).

أبو محمّد بن عطيّة

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ الحقّ بنُ غالب بن عبدِ الرحمنِ بنِ غالب بنِ تمّام بنِ عبد الرؤوف بنِ تمّام بنِ عبد الله بنِ تمّام بنِ عطيّةَ بنِ خالدِ بنِ عطيّةَ المحاربيُّ، وُلِدَ في غَرناطةَ سَنَةَ ٤٨١ هـ (١٠٨٨ م).

بدأ أبو محمّدِ بنِ عطيّةَ تَلقّي العِلمِ على أبيه غالبٍ (٤٤١ - ٥١٨ هـ)، وسَمِعَ من أبي عليٍّ الغَسّاني، في غَرناطةَ، سَنَةَ ٤٩٥ هـ، أدباً وشعراً، ومن أبي عليّ الصَدَفيّ (ت ٥١٤ هـ) في مُرْسِيَةَ ومن ابن عَتّابٍ وابنِ بحرِ الأسديّ، وكان له اختصاصٌ بأبي الحسن بنِ الباذِشِ النحوي (ت ٥٢٨ هـ).

وكان أبو محمّدِ بنِ عطيّةَ يُكثِرُ الذهابَ إلى الغَزَوات مَعَ أُمراء المرابطين. وقد تولّى القضاءَ في المَرِيَّة، في المُحَرَّم من سَنَةِ ٥٢٩ (خريف ١١٣٤ م). وفي آخرِ أيامه ذَهَبَ إلى مُرسيةَ لتولّي القضاء فيها فلم يَتَمكّنْ من دُخولها فرَجَعَ إلى لورقة. وهنالك تُوُفّي في مُنْتَصَفِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٤١ (١١٤٧/٢/١٩ م) في الأغلب.

٢ - كان أبو محمّدِ بنُ عَطيّةَ عالماً في تفسيرِ القُرآن حافظاً للحديث وفقيهاً له المُحَرَّرُ الوجيزُ في تفسيرِ الكتاب العزيز (عشر مجلّدات) - برنامجٌ (فِهْرِسَةٌ بأسماء شيوخِه). ثمّ هو شاعر مجيد.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو محمّد بن عطيّة في قرطبة (نفح الطيب ١ : ٦١٦، راجع ١٥٣):

بأرْبَعٍ فاقتِ الأمصارَ قُرطبةٌ ... منهنّ قَنْطَرةُ الوادي وجامِعُها[1].
هاتان ثِنْتانِ، والزهراءُ ثالثةٌ. ... والعِلمُ أعظمُ شيءٍ وهو رابعها[2].

- وقال في وداع أهل قرطبة (نفح الطيب ١ : ٦١٥ - ٦١٦):

---

(١) القنطرة: الجسر. الوادي: الوادي الكبير (نهر قرطبة).
(٢) الزهراء: مدينة بناها عبد الرحمن الناصر قرب قرطبة واتّخذها بلاطا.

أستَوْدِعُ اللهَ أهــلَ قرطبــةٍ حيثُ عَهِدتُ الحياءَ والكَرَما،
والجامــعَ الأعظمَ العتيــقَ ولا زالَ مَدى الدهرِ مأمناً حَرَما.

- وقال يَصِفُ النَرْجِسَ:

نرجسٌ باكرتُ منه رَوْضَةً لَـذَّ قَطْعُ الدهرِ فيها وعَذُبْ،
حثَّتِ الريحُ بهـا خَمْرَ حَياً رَقَـصَ النَبْتُ لها ثمّ شَرِب[1].
فغــداً يُسْفِرُ عن وَجْنَتِــهِ نَوْرُهُ الغَــضُّ ويَهْتزُّ طَرَبْ[2].
خِلْـتُ لَمْعَ الشمسِ في مَشْرِقِه لَهَـبٌ يجمُـدُ منـه في لهب[3]،
وبيــاضَ الطَــلّ في صُفْرتــه نُقَطَ الفِضّة في خَطّ الذهب[4].

- وقال يذمّ أهل الزمان:

داءُ الزمــــانِ وأهلـــهِ داءٌ يَعِزُّ لـــه العِــلاجُ[5].
أطْلَعْـــتُ في ظَلْمائـــه وُدًّا كما سَطَـــعَ السِراجُ[6]
لِصَحابــةٍ أعْيــا ثِقــا في من قَناتِهِمُ اعْوِجــاجُ[7].
أخلاقُهم مـــاءٌ صفـــا مرأًى، ومَطْعَمُهم أُجــاجٌ[8]:
كالــدرّ مـــا لم تَخْتَبِرْ، فــإذا اختــبرتَ فهمْ زُجــاجُ!

---

(١) الحيا: المطر. يشبّه الشاعر المطر بالخمر، ولذلك جعل النبات بعد هذا المطر يرقص.

(٢) أسفر: كشف. أخذ النور (بفتح النون: الزهر) بعد هذا المطر يتفتّح (تتكشف أوراقه الخضر عن بتلاته الملوّنة).

(٣) خلت (ظننت) أن نور (بضمّ النون) الشمس لهب سائل يشرق على هذه الجنينة فيصبح فيها لهباً جامداً (زهرا).

(٤) ثمّ ظننت أن نقط الطلّ (ماء الندى) على تلك الأزهار نقط من الفضّة (البيضاء) فوق كلمات مكتوبة بالذهب.

(٥) يعزّ: يصعب.

(٦) - منحت أهل هذا الزمان المملوء بالعداوة ودًّا (صداقة ومحبّة) بيضاء كنور السراج.

(٧) الثقاف والتثقيف: التقويم. القناة: القصبة (السلوك والأخلاق). أعيا: أتعب. - استحال عليّ تقويم أهل هذا الزمان.

(٨) أجاج: شديد الملوحة حتّى أصبح مرًّا.

- وله من رسالةٍ يَصِفُ فيها نُزولَ الإفرنج حول سَرَقُسْطَةَ مُحاولين الاستيلاء عليها:

.... فإنّ الأميرَ الأجلَّ أبا عبدِ الله بنَ مَرْدَنِي - أيّدهُ اللهُ - أضاقَ بضَبْطِ الطُرُقِ وقَطْعَ المتصرّفين ذَرْعَهُمْ[1] وعَجّزَ بنَصْبِ حبائلِ الحِيلِ لمن شَدَّ أو فَرَّ وُسْعَهم[2]. فإنّه - دام أمرُه - أطلَّ إطلالَ الفَجْرِ على الظَلام وأخذ هنالك بضِبْعِ الإسلام[3]، وأقام مرّةً كالحيّةِ النَضْناضِ وطَوْراً كالأسد القَضْقاض[4]، يُسَرِّبُ إلى محلّتِهم مَنْ يُضْرِمُ نارَ الحرب في أكْنافِها ويأتي أرضَهم يَنْقُصُها من أطرافها[5]. ولولاه ما علا هنالك للإسلامِ اسمٌ ولا عادَ للمدافعة رسمٌ ولا لاح للمكافحة وسمٌ[6] ولا عنّ لتلك العلل المُجْهِزَةِ على تلك الأقطار جسمٌ.......

٤ - المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: تفسير ابن عطيّة (تحقيق الطاهر الفاسي وأحمد بن شقرون....)

** قلائد العقيان ٢٣٩ - ٢٤٧؛ بغية الملتمس ٣٧٦ - ٣٧٧ (رقم ١١٠٢)؛ معجم ابن الأبّار ٢٥٩ - ٢٦٢ (رقم ٣٤٠)؛ المغرب ٢: ١١٧ - ١١٨؛ المطرب ٩١ - ٩٢؛ قضاة الأندلس ١٠٩؛ الديباج المذهب ١٧٤ - ١٧٥؛ تحفة القادم ٣٠؛ وفيات ابن قنفذ ٢٧٩؛ بغية الوعاة ٢٩٥؛ نفح الطيب ١: ١٥٣، ٦١٥ - ٦١٦، ٦٧٩ - ٦٨٠، ٣: ١٧٩؛ بروكلمن ١: ٥٢٥، الملحق ١: ٧٣٢؛ نيكل ٢٦٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٥٣ (٣: ٢٨٢)؛ الخريدة (الاندلس) ٢: ٥٢٩ - ٥٤٠.

---

(١) ... أضاق (ضيّق) ذرع (قوّة، قدرة) لـمّا ضبط الطرق (سيطر عليها) وقطع المتصرّفين (المستبدّين) بها....

(٢) شدّ: هجم. فرّ: هرب. ونصب الحيل لهؤلاء حتّى عجز الموجودون عن الهرب وعجز الثائرون الجدد عن الهجوم. الوسع: القدرة.

(٣) الضبع: العضد، جانب الجسم. أخذ فلان بضبع فلان: ساعده وأنهضه.

(٤) النضناض: الحيّة تخرج لسانها وتحركه يميناً وشمالاً (احتيالاً للدغ). القضقاض: الأسد يأخذ الفريسة بفمه فيكسّر عظامها بين أضراسه.

(٥) يسرّب: يبعث جماعة بعد جماعة. الأكناف: الأطراف. ينقصها من أطرافها: يستولي على قطع منها من جوانبها البعيدة.

(٦) رسم: تنظيم، خطّة. وسم: علامة (ما كان يشعر أحد أن هنالك مكافحة، قتالا).

المخزومي الأعمى الغرناطيّ

١ - هو أبو بكرٍ محمّدٌ الأعمى المَخزوميُّ الغَرْناطيّ، أصلُه من حُصْنِ المُدوّرِ (شَمالَ شَرقيّ قُرطبةَ) تَنَقّلَ في عددٍ من مدنِ الأندلس كقُرطبةَ وطُلَيْطُلة وغَرْناطةَ. وطال مُكْثُه في غَرناطةَ حتّى لُقِّبَ «الغَرْناطيّ». وكان يَطوفُ يتكسّبُ بالشِعر. وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٥٤١ (١١٤٦ - ١١٤٧ م).

٢ - كان المخزوميُّ الأعمى رجلاً ذكيًّا فَطِناً سريعَ الجوابِ وشاعراً مطبوعاً مشهوراً مُقْتَدِراً في النظم. ولقد غَلَبَ عليه الهِجاء فكان فيه مُقْذِعاً مُوجِعاً شديدَ القِحَة والشَرَهِ مُغيراً على الأعراض غيرَ مُراعٍ للحُرمات فكان الأشرافُ يُدارونه. وله مَدْحٌ ضَعيفٌ وغَزَلٌ قليلٌ ضَعيفٌ. أمّا أسلوبُه فمتينُ السبكِ عالي النَفَسِ من نَجْرِ الشِعر القديم، ولكنّه يُصَرِّفُ ذلك الأسلوبَ الفَخْمَ في الهجاء:

ألا فاعْلَموا أنّي لكم غيرُ صابرٍ على لُؤمِكُمْ أُخرى الليالي الغوابرِ[1].
فعوجوا، بني اللَخْناء، نحوَ هِجائكم إلى لَعْنةٍ تُزْري بمَنْ في المقابرِ[2].
رأيْتُكُمُ لا تَتّقون مَذَمّةً، ولا عِندَكم مِنْ هِزّةٍ نحوَ شاكرِ[3].
فأينَ الأُلى كانوا إذا جاء ناظمٌ تَلَقّتْهُ منهم بالنَدى كَفُّ ناثرِ[4]!
سلامٌ عليهم كُلّما ارْتَحَتُ نَحْوَهم، فلا أثرٌ من بَعْدِهِمْ للمآثر.
أُعَيّرُكم جُهْدي بكلّ قَبيحةٍ، وما لَكُمُ من يَقْظَةٍ بالمعايرِ[5]!

٣ - مختارات من آثاره:

- قال المخزوميُّ الأعمى يمدَحُ عليَّ بنَ أَضحى قاضيَ غَرناطةَ ثمّ يَسْتَطْرِدُ إلى هِجاء

---

(١) أخرى الليالي (التي أصبحت كثيرة: لها أوائل وأواخر) الغابرة: الماضية.

(٢) عاج مال، اتّجه. (خذوا منّي هجاءً لكم). اللخناء: المرأة التي يكثر النتن في جسمها. تزري: تعيب من في المقابر (تصل إلى أجدادكم).

(٣) تتّقون: تخافون، تدفعون. الهزّة: نشاط، طرب (يهتزّ منه الجسم فرحاً).

(٤) الأُلى: الأوّلون، القدماء، الذين هلكوا. ناظم: شاعر. الندى: الكرم. ناثر (للمال).

(٥) المعاير (المعايب، نسبة المعاير إليكم) لا توقظكم (لا تؤثّر فيكم).

« فلانٍ »:

عَجَباً للزمان يطلُبُ ثأري ومَلاذي منه عَليُّ بنُ أُضحى(.)
الأبيُّ الذي يَمُدُّ من البأ سِ إباه إلى السماكَيْنِ[1] رُمْحا.
جاره قد سما على النَطْحِ عِزّا: ليس يَخشى من طالب الثأر نَطْحا[2].
فكأنّي عَلَوْتُ قَرْنَ فُلانٍ، أيُّ تَيْسٍ مُطَوَّلُ القَرْنِ ألْحى[3]!

فقال له عليُّ بن أضحى: يا أبا بكر، هلّا اقْتَصَرْتَ على ما أنتَ بسبيلهِ؟ فكم تَقَعُ في الناس[4]! فقال: أنَا أعمى، وهُمْ لا يَبْرَحونَ حَفْراً[5]! فقال (ابنُ أضحى): واللهِ، لا كنتُ لكَ حُفْرةً أبداً. وجَعَلَ يُوالي يَدَهُ عليه (يُحْسِن إليه).

- وقال يهجو بني سعيد (مُؤلّفي كتاب « المُغْرب ») في حديثٍ طويلٍ:

★★ لا تَرْجُوَنَّ بني سعيدٍ للندَى، فالظلُّ أفْيَدُ مِنْهُمْ للسائلِ[6].
فلقد مَرَرْتُ على مَنازِلِهِمْ فما أبْصَرْتُ منها غيرَ بُعْدِ مَنازلِ[7].
قوم مُصيبَتُهُمْ بطَلْعةِ وافدٍ، وسُرورُهم أبداً بخَيْبة راحلِ[8].
★★ أبني سعيدٍ، قد شَقِيتُ بقُرْبِكُمْ فَلْتَتْرُكُنّي حيثُ شِئْتُ أسيرُ[9]

(.) الملاذ: الملجأ.

(١) الأبيّ: المترفّع عن الأفعال التي لا تليق. البأس: القوّة والشدّة. إباؤه يمدّ للسماكين رمحا. السماكان صورتان للنجوم: إحداهما السماك الرامح (يحمل رمحاً) والثانية منهما السماك الأعزل (بلا رمح). - الممدوح يغلب بإبائه السماكين.

(٢) جاره: ضيفه، المستجير به (الشاعر يقصد نفسه). - لاحظ أن الشاعر يستعمل كلمة « النطح » هنا لأنّه قد ألف ألفاظ الهجاء.

(٣) في هذا البيت استطراد (خروج من المعنى المقصود) إلى هجاء فلان (ولم يكن الهجاء من مقصد الشاعر). ألحى: ذو لحية.

(٤) ما أنت بسبيله (ما تقصده من المدح). وقع في الناس: قال فيهم قولاً قبيحاً.

(٥) لا يبرحون حفرا: مستمرّون في محاولة الإضرار بي.

(٦) - الظل يدفع أذى الحرّ عن اللاجىء إليه، على الأقلّ.

(٧) ... غير أنّ منازلهم بعيدة (يأتي إليهم الإنسان من مكان بعيد ثمّ لا يحصل منهم على شيء).

(٨) الوافد: القادم (طلباً للعطاء).

(٩) في الأصل: فلتتركوني (والأمر بنون التوكيد هنا أجرى مع متانة الأسلوب).

أفني المدائحَ فيكُمُ: لا وعدُكم يُقضى، وقلبي في المِطال أسيرُ[1].
أعطَيْتُمُ نَزراً على طُول المَدى، ويقولُ وَغْــدٌ: إنّـه لَكثيـرُ[2].
ولشدَّ مـا عَرَّضْتُموني للعَنـــا: فَرَسٌ عتيقٌ عاشَرَتْهُ حَميرُ[3].
فإذا صَهَلْتُ غدا النُّهاقُ مُجاوبي. يـاربُّ،أنتَ علىالخلاصِ قديرُ[4]!

- ومن هجائه المُقذِعِ (مِمّا سُتِرَتْ معانيه):

** زَنْجيُّكُمْ بالفُسوق داري يُـــدلي من الحِرْص كالحمارِ
يخلو بنَجْـــلِ الوزيرِ سِرًّا فيُولِـجُ الليـلَ في النهــار.
** ألا قُلْ لِنَزْهونَ[5]: مـا لَهـا تَجُرُّ من التيـــهِ أذيالَهـــا؟
ولو أبصَرَتْ فَيْشَةً شَمَّرتْ - كما عَوّدَتْنيَ - سِرْبالَهـــا!
** يا فارسَ الخيلِ، ولا فارسٌ إلّا عـلى مَتْنِ جَوادِ الخِصى.
زدتَ عـلى موسى وآياتــهِ: تُفَجِّرُ المـاءَ وتُخفي العَصـا!

٤ - ** المغرب ١ : ٢٢٣ - ٢٢٧؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ١٥٤ - ١٥٥، ٦٦٨؛ الإحاطة ١ : ٤٣٢ - ٤٣٥؛ نفح الطيب ١ : ١٥٥، ١٩٠ - ١٩٣؛ ٢٩٠، ٣ : ٢٠٥؛ زاد المسافر ٧٥ (١١٧).

ابن بسّام الشنتريني

١ - هُوَ أبو الحسن عليُّ بنُ بسّامٍ الشَنْتريني، نِسْبَةً إلى شَنْترينَ على نهر تاجُه، قريباً من مَصبِّهِ، في غَربيِّ الأندلس (البرتغال اليوم).

وُلِدَ ابنُ بسّامٍ في شنترين، في الأغلب، بُعَيْدَ ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) في أسرةٍ غنيّةٍ وجيهة. وفي سَنَةَ ٤٧٧ هـ انحدر إلى أشْبونةَ (لشبونة) ثمّ إنّه انتقل إلى قُرطُبَةَ، سَنَةَ

(١) المطال: التلكؤ في الوفاء بالوعد.
(٢) النزر: القليل.
(٣) العناء: التعب. العتيق: الأصيل.
(٤) الصهيل: صوت الخيل. النهاق والنهيق: صوت الحمير.
(٥) نزهون شاعرة ماجنة كانت تهاجي المخزومي الأعمى، ولها ترجمة مفردة.

٤٩٤ هـ (١١٠٠ م) لِيَسْتَقِرَّ فيها. ومَعَ أنّه لم يَخدِمْ أحداً من الملوك(الأمراء والولاة وأغنياء الناس) بكتابةٍ أو وزارةٍ أو بديع، فإنّه ألّفَ كتابَه القيّمَ «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» برَسْمِ أبي بكرِ بنِ إبراهيمَ والي غَرْناطة وصِهْرِ عليِّ بنِ يوسفَ سُلطانِ المُرابطين.

وجاء ابن بسّامٍ إلى إشبيليةَ، سَنَةَ ٥٠٢ هـ، ولكنْ لم يَلْقَ فيها شيئاً من الإكرام بل عاشَ فيها مُدّةً مُعرّضاً للإزعاج ولشيْءٍ من الكُره والاحتقارِ. وكانتْ وَفاتُه سَنَةَ ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م).

٢ - كان ابنُ بسّامٍ الشَنْترينيُّ أديباً ذوّاقةً بارعاً في النَثْرِ غيرَ مُحْسنٍ في الشعر. وأسلوبُه جَزْلٌ أنيقٌ كثيرُ الخيالِ والسَجْعِ والتَّكلُّفِ.

لابن بسّامٍ عددٌ من الكتب منها: كتاب الاعتماد على ما صحّ من أشعار المعتمد بن عبّاد - كتاب الإكليل المشتمل على ذكر عبد الجليل (بن وهبون) - سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر (صاحب مرسية) - تحيّة الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكرِ بن عمّار - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (عارض فيه «يتيمة الدهر» للثعالبي). وتقوم شُهرةُ ابن بسّامٍ على كتاب «الذخيرة» وفيه مختاراتٌ مُطَوَّلَةٌ من الشعر والنثر لنَفَرٍ من المُعاصرين للمؤلّف ممّن عَرَفَهم المؤلّف شخصياً أو من طريق نفرٍ آخرين. والمؤلّف يُطري الذين اختار من آثارِهم بأُسلوبٍ أنيقٍ مسجّع يدلّنا على حماسة المؤلّف في تقديم ما اختاره من آثارهم من غير أن يُفيدَنا فائدةً كبيرةً تتعلق بتاريخ حياتِهِمْ أو بخَصائِصِهِمُ الفنّيّةِ. أما الذين اختار لهم فقسمهم أربعةَ أقسامٍ:

أ) أهلَ حَضْرةِ قُرْطُبةَ وما يُصاقِبُها من بِلادِ متوسّطةِ الأندلس (٣٣ شخصاً)،

ب) أهلَ الجانبِ الغَربيّ من الأندلس، وذكر حَضْرةَ إشبيليةَ وما اتّصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي (٤٦ شخصاً)،

جـ) أهلَ الجانبِ الشرقيِ من الأندلس، ومن نَجَمَ من كواكب العصر في أفق ذلك الثغر الأعلى إلى مُنْتَهى كلمة الإسلام هنالك (٣٢ شخصاً)؛

د) مَنْ طرأ على الجزيرة في المدّة المؤرخة من أديبٍ وشاعرٍ..... (١٥ شخصاً).

أمّا غايةُ ابن بسّام من تأليفِ «الذخيرة» ونَهْجُه فيها فثمّتَ طَرَفٌ منها في «المختارات من آثاره».

٣- مختارات من آثاره:

- في «المغرب» (١ : ٤١٨) أن الأبيات التالية من شعر ابن بسّام الشنتريني أعلى شعره مرتبة:

ألا بادِرْ فلا ثانٍ سوى ما ... عَهِدتَّ: الكأسُ والبدرُ التمامُ[١].
ولا تكسَلْ برؤيتهِ ضَباباً ... تَغَصُّ به الحديقةُ والمُدام[٢]؛
فإنّ الروضَ مُلْتَثِمٌ إلى أن ... تُوافِيَه فيَنْحَطَّ اللثام[٣]!

- من مقدّمة كتاب «الذخيرة»:

أمّا بعدَ حَمْدِ اللهِ وَلِيِّ حَمْدِه وأهله[٤]، والصلاةِ على سيِّدنا محمّدٍ خاتَمِ رُسْلِه، فإنّ ثَمَرَةَ هذا الأدبِ العالي الرُّتَبِ رِسالةٌ تُنْثَرُ وتُرْسَلُ وأبيات تُنْظَمُ وتُفْصَلُ[٥]: تَنثالُ تلكَ انثِيالَ القِطارِ على صَفَحاتِ الأزْهار، وتَتّصل هذه اتّصالَ القلائدِ على نُحورِ الخَرائد[٦]. وما زالَ في أُفُقِنا هذا الأندلسيِّ القَصِيِّ[٧] إلى وقْتِنا هذا من فُرْسان الفَنَّيْنِ وأئِمَّةِ النَّوْعَيْن قومٌ هم ما هم طِيبَ مَكاسِرَ وصفاءَ جواهِرَ وعذوبةَ مَوارِدَ

---

(١) - أسرع في التملّي من الحياة، فليس يليها أو يقارنها في الأهميّة (واللذة) سوى الكأس (الخمر) والبدر التام (المحبوب الجميل).

(٢) ولا تكسل على المجيء إذا رأيت الضباب لا يزال يملأ الحديقة (في الصباح) ولا تطيب فيه الخمر.

(٣) إن الروض الآن مُغطٌ وجهه (بهذا الضباب) انتظاراً لك حتّى تأتي...

(٤) وليّ الحمد (صاحب الحمد وحده) وأهله (أهل الحمد = مستحقّ الحمد وحده دون سواه).

(٥) تنثر: تكتب نثراً. ترسل = لا تقيّد (ليس فيها قافية ولا لها وزن معلوم). تفصل: تجعل لها فواصل (قواف) على نسق معلوم.

(٦) انثال: انصبّ، تتابع. القطار = القطر: المطر. القلائد جمع قلادة (بكسر القاف): عقد (بكسر العين). الخرائد جمع خريدة: الفتاة البكر (الصغيرة الجميلة). النحور جمع نحر: أعلى الصدر.

(٧) أفقنا: مكان سكننا. القصيّ: البعيد (عن المشرق): الأندلس.

ومصادِرَ[١]، لَعبوا بأطرافِ الكلامِ المُشَقَّقِ لَعِبَ الدُّجى بجُفونِ المُؤَرَّقِ[٢]، وحَدَوْا بفنونِ السِحْرِ المُنَمَّقِ حُداءَ الأعْشى بِبَناتِ المُحَلَّقِ[٣]. فصَبّوا على قوالبِ النجومِ[٤] غَرائبَ المنثورِ والمنظومِ، وباهَوْا غُرَرَ الأصائلِ[٥] بعَجائبِ الأشعارِ والرسائلِ: نَثْرٌ لو رآه البديعُ لَنَسِيَ اسْمَهُ، أوِ اجْتلاهُ ابنُ هِلالٍ لَولاّه حُكْمَه[٦]؛ ونَظْمٌ لو سَمِعَه كُثَيِّرٌ ما نَسَبَ ولا مَدَحَ، أو تَتَبَّعَهُ جَرْوَلٌ ما عَوَى ولا نَبَحَ[٧]. إلّا أنّ أهْلَ هذا الأُفُقِ أبَوْا إلّا مُتابعَةَ أهلِ الشَّرْقِ: يَرْجِعون إلى أخبارِهم المُعْتادَةِ رُجوعَ الحديثِ إلى قَتادةَ[٨]؛ حتّى لو نَعَقَ بتلكَ الآفاقِ غُرابٌ أو طَنّ بأقْصى الشام والعراق ذُبابٌ لَجَثَوْا على هذا صَنَماً وتَلَوْا ذلك كِتَاباً مُحْكَماً[٩]، وأخبارُهم الباهرةُ وأشعارُهم السائرةُ مَرْمى القَصِيّةِ ومُناخُ الرذيّة[١٠]. فغاظَني منهم ذلك وأنِفْتُ مِمّا هُنالك، وأخَذْتُ نفسي بَجمْعِ ما وَجَدْتُ من حَسَناتِ دهري وتَتَبُّعِ مَحاسِنِ أهل بَلَدي وعَصْري - غَيْرَةً لهذا الأُفُقِ

---

(١) قوم هم ما هم: ذوو قيمة ومكانة. طيب مكاسر: تظهر طبيعة نفوسهم بعد الاختبار (تشبيهاً بالجوز الذي يكسر فيلفى سلياً طيّباً لذيذاً). عذوبة موارد ومصادر (المقصود: طيب الأصل وحسن المعاملة).

(٢) الكلام المشقّق: الذي يلفظ لفظاً حسناً. الدجى: الليل. المؤرّق: الذي ذهب نومه (أدبهم حلوٌ يشغل الناس).

(٣) حدا: تغنّى، أنشد. السحر المنمّق: الأدب الغريب المزيّن الحسّن. الأعشى: الشاعر الجاهلي المشهور. المحلّق رجل كان له بنات لم يخطبهنّ أحد لفقره، فمدحه الأعشى (في حديث طويل) فتزوّجت بناته كلّهنّ وشيكاً.

(٤) على قوالب النجوم: (أدب جيل) مثل النجوم.

(٥) الغرّة: الشعر في مقدّم الرأس (أول كلّ شيء). الأصائل جمع أصيل وأصيلة: ميل الشمس إلى الغروب (أول الأصيل يكون جيلاً في البادية لأن الحرّ عندئذ يخفّ).

(٦) البديع = بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات. وابن هلال = ابن هلال الصابيء من مشاهير الناثرين في العصر العبّاسي. لَوَلاّه حكمه (لجعله حَكَماً في نثره هو = نثر ابن هلال الصابيء).

(٧) كثيّر = كثيّر عزّة: زعيم الغزل العُذري في العصر الأموي. نسب: تغزّل. جرول: الحطيئة. عوى (كالذئب) ونبح (كالكلب) كناية عن الهجاء. - لو قرأ كُثيِّرٌ والحُطيئة الشعر الأندلسي لما نظما شعراً في حياتهما.

(٨) قتادة بن دعامة تابعي مشهور كانت أحاديث الرسول التي تروى من طريقه صحيحة موثوقة.

(٩) الكتاب المحكم: الذي لا تفاوت ولا اختلاف فيه (القرآن الكريم).

(١٠) مرمى القصيّة (كالناقة الغريبة التي تطرد عن المرعى وعن الماء)، ومناخ الرذيّة: مبرك الرذيّة (الناقة المهزولة المريضة) لا يأتي أحد ليركبها أو يحمل حاجاته عليها (لا يهتمّون بأدبهم).

الغريب[1] أن تَعودَ بُدورُه أهِلّةً وتُصبِحَ بحارُه ثِماداً مُضمَحِلّةً[2] مَعَ كَثْرةِ أُدَبائه ووُفُور عُلَمائه؛ وقديماً ضَيّعوا العِلْمَ وأهلَه[3] ، ويا رُبَّ مُحْسِنٍ مات إحسانُه قبلَهُ. ولَيْتَ شِعْري، مَنْ قَصَرَ العِلْمَ على بعضِ الزمانِ وخَصّ أهْلَ المَشْرِقِ بالإحسان!

وقد كتبتُ لأرباب هذا الشان[4] . من أهلِ الوقتِ والزمان، مَحاسِنَ تَبْهَرُ[5] الألبابَ وتَسْحَرُ الشعراءَ والكُتّابَ؛ ولم أعرِضْ لشيءٍ من أشعار الدولةِ المَرْوانية ولا المدائحِ العامرية[6] ، إذ كان ابنُ فَرَجٍ الجَيّانيُّ قد رأى رأيِيَ في النَّصَفَةِ وذَهَبَ مَذْهَبي في الأَنَفَة[7] فأمْلَى في مَحاسِنِ أهلِ زمانِه كتابَ الحدائق مُعارِضاً لكتابِ الزَّهْرَة للأصفهانيِّ، فأضْرَبْتُ أنا عمّا ألّفَ ولم أعرِضْ لشيءٍ مِمّا صَنّفَ، ولا تَعَدَّيْتُ أهلَ عَصْري مّمن شاهدتُه بعُمْري[8] أو لَحِقَهُ بعضُ أهلِ دهري، إذ كلُّ مُرَدَّدٍ ثَقيلٌ وكُلّ مُتَكَرِّرٍ مَمْلول. وقد مَجّتِ الأسماعُ «يا دارَ مَيّةَ بالعَلياء فالسَّنَدِ» ومَلّتِ الطِباعُ «لخَوْلَةَ أطلالٌ ببُرْقَةِ ثَهْمَدِ[9] ...... والإحسانُ غيرُ محصورٍ، وليسَ الفَضْلُ على زَمَنٍ بمَقصورٍ. وعزيزٌ عليَّ الفضلُ أن يُنْكَرَ،[10] تَقَدّمَ بهِ الزمانُ أو تأخّرَ؛ ولَحَى[11] اللهُ

---

(١) الغريب: العجيب، الطريف، المستحسن.

(٢) تعود بدوره أهلّة: تنحطّ مكانته ويقلّ قدره. الثماد: الماء القليل المتبقّي من مطر أو غيره. اضمحلّ: انحلّ، ذهب، تلاشى.

(٣) الوفور: الكثرة. وقديماً ضيّعوا العلم وأهله: كان (الأندلسيّون) من قبل قد أهملوا علوم قومهم حتّى ضاعت تلك العلوم.

(٤) لأرباب (أصحاب) هذا الشأن (الأمر): المهتمّين بالأدب الأندلسيّ.

(٥) تبهر: (يغلب نورها) الألباب (العقول): (تجعل الناس يتعجّبون من جمالها).

(٦) دولة بني مروان بدأت بعبد الرحمن الداخل (سنة ١٣٨ هـ) وسقطت سنة ٤٢٢ هـ. ودولة المنصور بن أبي عامر (في الوزارة والاستبداد بالأمر دون الخليفة)، سنة ٣٦٦ ثمّ استمرّت في أولاده وأحفاده ومواليه إلى نحو ٤٧٠ هـ.

(٧) النصفة: الانتصاف (أن يسترد الإنسان حقّه المشروع أو يحصل عليه بداءة). الأنفة: الاستنكاف، إباء (رفض) الذل.

(٨) بعمري: في زماني، طول عمري.

(٩) «يا دار ميّة» مطلع معلّقة النابغة، و «لخولة أطلال» مطلع معلّقة طرفة (يقصد: ملّ الناس الأدب القديم).

(١٠) يعزّ (يصعب) عليّ أن ينكر إنسان فضل غيره.

(١١) لحى: لعن.

قولَهم: الفضلُ للْمُتَقدِّم! فكم دَفَنَ مِنْ إحسانٍ وأخْمَلَ من فُلانٍ[1]. ولو اقْتَصَرَ المُتَأخِّرونَ على كُتُبِ المُتَقَدِّمينَ لضاعَ عِلْمٌ كَثيرٌ وذَهَبَ أدبٌ غزيرٌ.

وقد أوْدَعْتُ هذا الديوانَ الذي سَمَّيتُه بكِتابِ الذَخيرة في مَحاسن أهلِ الجَزيرة من عجائبِ عِلْمِهِمْ وغرائبِ نَظْمهم ونَثْرِهم ما هو أحْلى من مُناجاةِ الأحِبَّة......

ولَعَلَّ بعضَ مَنْ يَتَصَفَّحُهُ سيقولُ إنّي أغْفَلْتُ كَثيراً وذَكَرْتُ خاملاً وتركتُ مَشْهوراً. وعلى رِسْله[2]! فإنّي جَمَعْتُه، بَيْنَ صَعْبٍ قد ذَلّ وغَرْبٍ قد فُلّ ونَشاط قد قَلّ وشَبابٍ ودّعَ فاسْتَقَلّ[3]، من تَفاريقَ كالقرونِ الخاليةِ وتَعاليقَ كالأطْلال الباليةِ بخُطوطِ جُهّالٍ كخطوطِ الراحِ أو مَدارجِ النَّمْلِ بين مَهابّ الرِياح[4]: ضَبْطُهُم تَصْحيف، ووَضْعُهم تَبْديلٌ وتَحْريف، أيأسُ الناس مِنها طالبُها وأشَدُّهُمْ اسْترابةً بها كاتِبُها[5]. فَفَتَحتُ أنَا أقْفالَها وفَضَضتُ قُيودَها وأغْلالَها فأضْحَتْ غاياتِ تَبْيينٍ وبَيانٍ وَوَضَحَتْ آياتِ حُسْنٍ وإحسانٍ[6].

على أنّ عامّةَ مَنْ ذكرتُه في هذا الديوانِ لم أجدْ له أخباراً مَوْضوعةً ولا أشعاراً مجموعةً تَفْسَحُ لي في طريقِ الاختيارِ منها؛ إنّما انْتَقَدتُ ما وَجَدتُ وخالَسْتُ في ذلك الخمولَ[7] ومارستُ هنالك البحثَ الطويلَ والزمانَ المُستحيلَ حتّى ضَمَّنْتُ كتابيَ

---

(١) فكم دفن... الخ: أضاع أدباً جيّداً كثيراً وأخمل ذكر أناس كثيرين.

(٢) على رسله: ليتمهّل قليلاً، ليخفّف من حميّة نقده.

(٣) الصعب: الجَمَل النشيط الذي لا يدع أحداً يركبه. ذلّ: ذُلّل، رُوِّض (بالبناء للمجهول فيهما) = أصبح ذليلاً طائعاً. الغرب: حدّ السيف. فلّ: تثلّم، أصبح لا يقطع. استقل: ذهب (يقصد بعد أن كبر في السن وذهب معظم قوّته ونشاطه).

(٤) تفاريق (أشياء متفرّقة) كالقرون الخالية (متباعدة، منسيّة) وتعاليق (إضافات مكتوبة على الصفحات) كالأطلال (أثر الديار بعد رحيل ساكنيها عنها) البالية (المتهرّئة، المحوّة). كخطوط الراح (جمع راحة: باطن الكفّ = رموز لا تقرأ). مدارج: آثار المسير. (كلّ هذا كناية على أن الخطّ سقيم تصعب قراءته).

(٥) تصحيف: تبديل حروف الكلمة (جهلا). تحريف: تغيير الشيء (قصداً). استرابة: شكّ. (حتّى الذي كتبها لا يستطيع قراءتها).

(٦) فضّ: كسر، شقّ، فتح. وضحت: ظهرت. آيات: عجائب، غرائب.

(٧) خالست الخمول: انتزعت أشخاصاً من طيّات الخمول وأبرزتهم.

هذا من أخبارِ أهلِ هذا الأُفُقِ ما لعلّي سأُرْبِي[1] بهِ على أهل المَشْرِقِ. وما قَصَدتُ بهِ - عَلِمَ اللهُ - الطَعْنَ على فاضلٍ، ولا التَعَصُّبَ لقائلٍ على قائلٍ......

وهذا الديوانُ إنّما هو لِسانُ منظومٍ ومنثورٍ لا مَيْدانُ بيانٍ وتَفْسير: أُورِدُ الأخبارَ والأشعارَ لا أَفُكُّ مُعَمَّاها في شيءٍ من لَفْظِها ولا مَعْناها[2]، ولكنْ رُبّما أَلْمَمْتُ بِبَعْضِ القولِ بين ذكرِ أُجْريهِ ووَجْهِ عَذْراءَ أُريه[3] لا سيّما أنواع *البديع ذي المَحاسنِ الذي هُوَ قَيِّمُ الأشعارِ وقِوامُها، وبهِ يُعْرَفُ تَفاضُلُها وتَبايُنُها[4]، فلا بُدَّ (من) أنْ نُشيرَ إليه ونُنبِّهَ عليه......

ومعَ أنّ الشعْرَ لم أَرْضَهُ مَرْكَباً ولا اتَّخَذْتُه مَكْسباً ولا أَلِفْتُه مَثْوَى ولا مُنْقَلباً[5]؛ إنّما زُرْتُه لِماماً ولَمَحْتُه تَهَمُّماً لا اهْتماماً[6]، رَغْبَةً بِعِزِّ نفسي عن ذُلّه وتَرَفُّعاً لِمَوْطِئِ أَخْمصي عن مَحلّه[7]؛ فإذا (أنا) شَعْشَعْتُ راحَهُ لم أَذُقْه إلّا شَمِيماً[8] وما كُنْتُ إلّا على الحديثِ نَديماً[9]. وما لي ولَهُ؛ وإنّما أَكْثَرُهُ خُدْعَةُ مُحْتالٍ وخِلْعةُ مُخْتالٍ[10]: جِدُّه تَمْويهٌ وتَخْييل، وهَزْله تَدْليهٌ وتضليل[11]، وحقائقُ العلومِ أَوْلى بِنا من أباطيلِ

---

(1) أربى: زاد (على).

(2) المعمّى: القول المصوغ في سياق يصعب على الفهم. (لم أفسّر معانيها).

(3) وجه عذراء (جملة مبتكرة لم يقل أحد مثلها بعد أو لم تفسّر جملة مثلها بعد).

(*) يكون الاسم المستثنى بعد لا سيّما (اذا كان نكرة) مجرور أو مرفوعاً أو منصوباً. أمّا إذا كان معرفة، فالأولى جرّه، ويجوز رفعه، ولكن لا يجوز نصبه.

(4) التفاضل أن يفضل شيء شيئاً آخر (يزيد عليه في المعنى أو الجمال الخ). التباين: أن يختلف شيء من شيء آخر.

(5) المثوى: المسكن: المنقلب: المرجع، المعتمد.

(6) لماما: غبّاً (بكسر الغين = مرّة بعد مرّة من غير استمرار). تهمّم الشيءَ: طلبه طلباً يسيراً في الحين بعد الحين. الاهتمام: أن تجعل الشيء همّك (موضع عنايتك الدائمة).

(7) الأخمص: باطن القدم. المحلّ (بكسر الحاء): المكان الذي يحلّ (ينزل) فيه الإنسان أو الشيء.

(8) شعشع: مزج (بالماء). الراح الخمر. شعشعت راح الشعر (مزجته بشيء من كلامي، قلت شيئاً قليلاً منه). الشميم: الشم. لم أذقه إلّا شميماً (لا أقول منه إلّا قليلا).

(9) ما كنت إلا على الحديث نديماً (رفيقاً، مؤانساً، محادثاً) = أسمع الحديث ولا أشترك فيه (أتذوّق الشعر ولا أنشده).

(10) الخلعة: الثوب. المختال: الذي يعرض نفسه على الناس مفتخراً متعاظماً.

(11) التمويه: طلاء المعادن (الخسيسة) بالذهب. التخييل: الاحتيال لإظهار الأشياء على غير حقيقتها. =

المنظومِ والمنثور. وعلى ذلك فقد وَعَدتُ أنْ أُلِمَّ في هذا المجموع بِلُمَعٍ من ذِكْرِ البديع [1] ، وأنْ أُمَهِّدَ جانباً من أسبابِهِ وأشرحَ جُمَلًا من أسمائه وألقابه. وإذا ظَفِرْتُ بِمَعنًى حَسَنٍ أو وَقَفْتُ على مَعْنًى مُسْتَحسنٍ ذكرتُ مَنْ سَبَقَ إليه وأشَرْتُ إلى مَنْ نَقَصَ عنه أو زاد عليه؛ ولستُ أقولُ: أَخَذَ هذا مِنْ هذا قَوْلًا مُطْلَقاً فقد تَتَوارَدُ الخواطِرُ ويَقَعُ الحافِرُ على الحافِرِ [2]، إذِ الشِعْرُ مَيْدانٌ والشُعَراءُ فُرْسانٌ.........

٤ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (منشورات جامعة فؤاد الأوّل)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٢ م وما بعد (لم تطبع الأجزاء بالترتيب)؛ تحقيق إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م.

** بغية الملتمس ٣٧٦ - ٣٧٨ (رقم ١١٠٣)؛ معجم الأدباء ١٢ : ٢٧٥ (سطران)؛ المغرب ١ : ٤١٧ - ٤١٨؛ بغية الوعاة ٢٩٥؛ نفح الطيب ٣ : ٢٠٣ و ٤٥٨ (سبعة أبيات لابن بسّام) ثم أماكن كثيرة (راجع فهرس نفح الطيب) فيها إشارات إلى ابن بسّام أو نُقُول قصار أو طوال من كتابه « الذخيرة »؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٣٤؛ بروكلمن ١ : ٤١٤ - ٤١٥، الملحق ١ : ٥٧٩؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٧٢ (٤ : ٢٦٦)؛ مجلّة البحث العلمي (الرباط) ماي - غشت ١٩٦٦ م، ص ٧٩ - ١٦٦؛ العربي (الكويت) تمّوز ١٩٦٦، ص ٦٣؛ تاريخ النقد (لإحسان عبّاس) ٥٠١ - ٥٠٧، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (لمحمّد رضوان الداية) ٣٧١ - ٣٩٠؛ بالنثيا ٢٨٨ - ٢٩٦؛ تراجم اسلامية لعنان ٢٩٨.

أبو القاسم الكَلاعِيّ

١ - هو أبو القاسمِ محمّدُ بنُ عبدِ الغفورِ *الكَلاعيُّ الإشبيليُّ، وُلِدَ في مطلَعِ القرنِ السادسِ للهِجْرة (الثاني عَشَرَ للميلاد) وتلقّى أشياءَ من العلم على أبي عبدِ الله بن أبي العافيةِ وأبي القاسمِ الزَّنجانيّ والحافظِ ابنِ إسماعيلَ. وتصدّرَ للتدريس في طَوْرٍ باكرٍ

= التدليه: الخيال الذي يذهب فيه العقل (الذي يقود إلى مثل الجنون). التضليل: الإيهام بغير الحق.

(١) اللمع جمع لمعة (بضم اللام): البقعة (من جسم الإنسان، مثلاً) لا يصيبها ماء (الوضوء)، شيء قليل. البديع: ذكر ألفاظ تتّفق في اللفظ أو تتقارب مع اختلاف في المعنى. * راجع ص ٢٨٣ (ح ٧).

(٢) الخاطرة: ما يخطر للإنسان (يمرّ في ذهنه أو خياله). تتوارد الخواطر: يأتي بعضها مع بعض متشابهاً. الحوافر (جمع حافر): منتهى قوائم الحيوان من ذوات الأظلاف (كالخيل). يقع الحافر على الحافر: يطأ حصان حيث كان قد وطيء حصان آخر (يقول إنسان ما قاله إنسان آخر تماماً).

من حياته ثمّ انتقل وشيكاً إلى الكِتابة في الدولة. وفي سَنَةِ ٥٣١ هـ (١١٣٦ - ١١٣٧ م) كان كاتباً لابن تاشفين[١]. ثمّ إنّه أدرَكَ وفاةَ ابنِ بسّامٍ صاحب «الذخيرة»، سَنَةَ ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م)، وتُوُفّيَ بعد ذلك مُعْتَبطاً[٢] قريباً من مُنْتَصَفِ القرنِ السادسِ للهجرة.

٢ - كان أبو القاسم الكَلاعيُّ من بيتِ علمٍ وأدبٍ ومن الكُتّاب. وقد كان مشاركاً في عددٍ من فنون المعرفة مُقَدّماً في الفِقه وفنونِ الأدب من البلاغة والنَّقْد والشعر، كما كان كاتباً مُترسِّلاً وشاعراً. وكذلك كان مُصنّفاً، له إحكام صَنْعةِ الكلام (وهو الكتابُ الوحيدُ الذي نعلم أنّه وَصَلَ إلينا). ثمّ إنّ له عدداً من الكتب عارض فيها عدداً من مُؤلّفات المعرّيّ: الانتصار لأبي الطيّب (المتنبّي) - الساجعةوالغربيب (عارض فيه «الصاهل والشاحج[٣]») - كتاب (على مثال «السجع السلطاني») - خطبة الإصلاح (معارضة لخطبة الفصيح) - ثمرة الأدب (معارضة لسَقْطِ الزَّنْد[٤]: ديوان المعرّي).

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي القاسم الكَلاعيّ مُقَطّعاتٌ منها:

** تركتُ التَّصابي للصواب وأهلِهِ، وبيضَ الطُّلا للبيضِ، والسُّمْرَ للسُّمْرِ[٥]

---

(١) يجب أن يكون أحد أعضاء البيت التاشفيني الذين تولّوا (بفتح اللام) الولاية على الأندلس. أمّا سلاطين المرابطين في مَرّاكُش، في مدّة حياة أبي القاسم الكلاعي فكانوا: عليّ بن يوسف (٥٠٠ - ٥٤٧ هـ) وتاشفين بن عليّ ثمّ إسحاق بن علي (٥٤٠ - ٥٤١ هـ).

(٢) اعتُبط (بالبناء للمجهول) مات عبطة (بالفتح): صحيحاً (بلا علّة) شابًّا.

(٣) الساجع والساجعة: الناقة أو الحمامة إذا ردّدت صوتها. والغربيب: الشديد السواد (والمقصود هنا: الحمامة والغراب!). الصاهل: الفرس. الشاحج: البغل أو الحمار (شحج البغل أو الحمار: رفع صوته. والشاحج: الغراب إذا أسنّ وغلظ صوته).

(٤) الزند: حديدة تقدح بها النار من الحجر. السقط: الشرارة التي تحدث من قدح الحجر بالحديدة.

(٥) التصابي: محاولة استمالة النساء. تركت التصابي وملت إلى العمل الصواب (اللائق بالإنسان الشريف). الطلا جمع طلاة (بالفتح): صفحة العنق (بيض الطلا كناية عن النساء الجميلات).. للبيض: للسيوف. السمر: النساء السمراوات. السمر: الرماح: فضلت القتال على الغزل.

مُدامي مِدادي، والكُؤوسُ مَحابري ونَدْمايَ أقْلامي، ومنقلتي سِفْري[1]!

** رُوَيْـدَكَ، يـا بـدرَ التَّمامِ، فإنَّـني
أرى العِيس حَسْرى والكواكـبَ ظُلَّعـا[2].

كأنّ أديمَ الصُبح قَدْ قُدَّ أنجُماً، وغُودِرَ دِرْعُ الليل فيها مُرقَّعا[3].
وإنّي وإنْ كان الشَّبابُ مُحَبَّباً إليَّ وفي قلبي أجلَّ وأوْقَعا،
لأنَفُ من حُسْنِ بشِعْريَ مُفْتَرَى وآنَفُ من حُسْنٍ بشَعْريَ قُنَّعا[4]!

- وله في الترجيح بين النثر والشعر (ص ٣٦):

إنّ الترجيحَ بينَ المنثورِ والمنظوم يَمٌّ قد خاض فيه الخائضون ومَيْدان قد رَكَضَ فيه الراكضون. ورأيي أنّ القريضَ قد تَزَيّنَ من الوزنِ والقافية بحُلّةٍ سابغةٍ ضافيةٍ[5]، صارَ بها أبدعَ مَطالعَ وأصْنَعَ مَقاطِعَ وأبْهَرَ مَياسِمَ[6] وأنْوَرَ مَباسِمَ وأبردَ أُصُلاً وأشْرَدَ مَثَلاً وأهزَّ لعِطْفِ الكريمِ وأفَلَّ لغَرْبِ[7] اللئيم. (وإنّ) النثرَ أسلمُ جانباً وأكرمُ حاملاً

(١) مدامي (خمري) ومدادي (حبري، كناية عن الاشتغال بالتأليف). المحبرة: إناء الحبر. المنقلة (بالفتح): المرحلة من السفر، و (بالكسر): أداة هندسية لضبط الخطوط والزوايا، وهو يقصد بالمنقلة (بالفتح!) وعاء يوضع فيه النقل (بالضمّ): ما يتفكّه به الناس بين وجبات الطعام أو على الشراب من لوز وجوز ومقليّات وأشباهها.

(٢) العيس (جمع عيساء أو أعيس): الإبل الكريمة. حسرى: كليلة (ضعيفة، حلّ بها التعب). الظالع: الذي به عرج.

(٣) أديم الصبح (البياض). قدّ (تقطع) أنجماً (قطعاً بيضاً) كناية عن تخلّل نور الصبح في ظلام الليل. الدرع: (هنا) الثوب (لون الليل الأسود مرقّع بقطع بيضاء من نور الصبح).

(٤) أكره أن أحسن شعري (بالكسر) بالافتراء (الكذب) أو أنّ أحسِّن شَعري (بالفتح) بقناع (بصباغ).

(٥) يمّ: بحر. الحلّة: ثوب فاخر. سابغ: يكسو الجسم كلّه. ضاف واسع طويل.

(٦) المطلع: البيت الأوّل في القصيدة. أصنع مقاطع (يسهل في الشعر صنع المقاطع - من أبيات أو بيتين أو بيت واحد - ممّا لا يمكن أحياناً كثيرة في النثر). أبهر: أكثر حسناً. الميسم (بالكسر): العلامة (أثر الجمال والحسن).

(٧) الأصيل: الوقت بين الظهر والمغرب. أبرد أصلا (كناية عن السرور عند قراءة الشعر). أشرد: (هنا): أندر وأحسن (للمثل في الشعر أثر أشد في النفس من المثل في النثر). العطف: الجانب الأعلى من الجسم (الشعر أكثر استمالة للمخاطب به من النثر). أفلّ: أشد تقطيعاً (كبحاً ومنعاً). الغرب: حدّ السيف.

وطالباً[1]...... لأنّ الشعرَ داعٍ لسوءِ الأدبِ وفسادِ المنقلب[2] لأنه - لِضيقه وصُعوبةِ طريقهِ - يَحْمِلُ الشاعرَ على الغُلُوِّ في الدين حتّى يَؤولَ إلى فسادِ اليقين[3]، ويَحْمِلُه على الكَذِبِ؛ والكَذِبُ ليس من شِيَمِ المؤمنين..... ومن مَعايِبِه أنّه قلّما يُجيده إلّا مُتَكَسِّبٌ به. والدليلُ على ذلك قولُهم: اللُّها تفتق اللَّها[4] ..... وأمّا الكِتابةُ فبعيدةٌ عن هذا كلِّهِ: سليمةٌ ممّا يدعو إلى المَهْجور أو يَتَشَبَّثُ بالمَحْجور[5].

(فصل): العاطِلُ. وإنّما سَمّينا هذا النوعَ «العاطِلَ» لِقِلّةِ تَحْلِيَتِهِ بالأسْجاع والفواصلِ[6]، وهذا هو الأصلُ. والتجمُّلُ بِكَثْرة السجعِ فرعٌ طارىءٌ عليه. ولم يَستعمِلْ ذلك إلّا المتقدّمون.... من أهلِ الفصاحة والبَيان. فكانوا إذا عَنّ لَهُمُ السجعُ ذكروه، وإذا أعْرَضَ عنهم لم يَسْتَجْلِبوه.....

٤ - إحكام صنعة الكلام (تحقيق محمّد رضوان الداية)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م.

** المطمح ٢٩ - ٣٠؛ قلائد العقيان ١٨٢ - ١٨٦؛ الذخيرة ٢: ٣٢٣ - ٣٢٥، ٤: ٥٤٨؛ الوافي بالوفيات ٣: ٢٦٥ - ٢٦٦؛ المغرب ١: ٢٣٦؛ نفح الطيب ٣: ٥٥١ - ٥٥٣؛ تاريخ النقد لإحسان عبّاس ٥٠٩ - ٥١٢؛ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (لمحمّد رضوان الداية) ٤٠١ - ٤١٣.

---

(١) أسلم جانباً (لأنّه لا يفرض على قائله نسقاً معيّناً فيخالف المعنى في سبيل اللفظ). حاملاً وطالباً....

(٢) المنقلب: آخر الأمر، تبدل الحال الراهنة بحال مقبلة.

(٣) يؤول: يرجع، يؤدّي. اليقين: العلم الثابت. الاعتقاد.

(٤) اللها (بالضمّ) جمع لهوة (بالضمّ): العطية. اللها (بالفتح) جمع لهاة (بالفتح): اللحمة المشرفة على مدخل الحنجرة (المال يساعد الشاعر على قول الشعر).

(٥) المهجور: الألفاظ التي بطل استعمالها. يتشبّث: يتمسّك بشدّة. والمحجور: الذي لا يستحسن استعماله من الألفاظ في النثر.

(٦) العاطل: المرأة الجميلة لا تحتاج إلى أن تتزيّن، والأحرف لا نقط عليها، والجمل ليس فيها صناعة (جناس أو طباق الخ). الفواصل: أواخر الجمل القصار.

(٧) في المغرب (١: ٢٣٦ - ٢٣٧): أبو القاسم محمّد بن عبد الغفور (المتوفّى في أيام المعتمد بن عبّاد (ت ٤٨٨ هـ) ثمّ ابنه أبو محمّد عبد الغفور ثمّ حفيده محمّد بن عبد الغفور (صاحب هذه الترجمة) وكلّهم كانوا أدباء. وهنالك مقطوعة مطلعها:

لا تنكروا أنّنـا في مَهْمَـه أبـداً نحثّ في نفنـف طوراً وفي هـدف

نسبت في المغرب (١: ٢٣٦) إلى محمّد (الجدّ) ونسبت إلى محمّد (الحفيد) في نفح الطيب (٣: ٥٥٢).

أبو بكر بن العربي

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عبد الله بن محمدِ بنِ عبدِ الله بنِ أحمدَ المُعافريُّ الأندلسيّ الإشبيليّ، وُلِدَ في إشبيلية في الثامن والعشرين من شَعبانَ من سَنَةِ ٤٦٨ (٣٠/٣/١٠٧٦ م).

بدأ أبو بكر بنُ العربي تعلّمه في الأندلس على أبيه عبد الله (٤٣٥ - ٤٩٣ هـ) وعلى خاله أبي القاسم حسن بن عمرَ الهوزنيّ (ت٥١٢ هـ) وعلى أبي عبد الله السرَقُسْطي.

وكان عبد الله من المتّصلين ببَلاط المعتمد بن عَبّادٍ. فلمّا استولى المرابطون على إشبيلية وحملوا المعتمدَ أسيراً (٤٨٤ هـ) كَرِهَ الإقامةَ في الأندلس فرَحَلَ عنها (في مُسْتَهَلّ ربيعِ الأوّل ٤٨٥) وأخذَ ابنَه مَعَه. ويبدو أنه في أثناء هذه الرحلة أخذ أبو بكر بنُ العربيَ شيئاً من الحديث في بِجايَة من أبي عبد الله محمّد بن عمّارٍ الكلاعيّ (ت ٤٨٥) ثمّ انتقل إلى المَهْدية وأخذ عن أبي الحسن عليّ بن محمّد الخَوْلانيّ المعروف بالحَدّاد المَهْدويّ.

وفي مصر سمع ابن العربي من أبي الحسن عليّ بن الحسن الخُلَعي (ت٤٩٢ هـ).

وفي[1] ذي الحِجّة من سَنَة ٤٨٩ (تشرين الثاني- نوفمبر ١٠٩٦ م) حجّ أبو بكر ابن العربي وسمع في مكّة من أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسين الطَبَري (ت٤٩٨ هـ). وسمع في دمشق من أبي الفتح نَصْرِ بن إبراهيمَ المَقْدسي (ت ٤٩٠ هـ).

وأمّ أبو بكر بنُ العربيّ بغداد وطال مُقامُه فيها، وكان يخرج منها ثمّ يعود إليها. وفي بغداد سمع من أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن طَلْحَةَ (ت٤٩٣ هـ) وقرأ الأدب على أبي زكريّا التبْريزيَ (ت٥٠٣ هـ). وقد لَقِيَ في بغداد أيضاً أبا بكرٍ محمدَ بنَ أحمدَ

---

(١) يمكن أن يكون تطوّف أبي بكر بن العربي في المشرق قد جرى على خلاف هذا الترتيب قليلاً أو كثيراً، فالمصادر لم تأبه كثيراً بضبط هذا الترتيب.

ابنِ الحسين الشاشيِّ (ت ٥٠٧ هـ) وأبا حامدٍ الغزّاليَّ إثْرَ رُجوعِ أبي حامدٍ من رحلتهِ[١].

غادر ابن العربي بغدادَ في سنة ٤٩١ مارًّا بدمشق ثمّ وصل إلى مصر فتوفّي أبوه (٤٩٣ هـ) في مدينة الإسكندرية، فعاد وَحْدَهُ إلى الأندلس ووصل إليها في السنة ٤٩٣ هـ نفسها[٢].

عاد أبو بكرٍ بنِ العربيّ إلى إشبيلية بعلمٍ كثيرٍ كان قد تلقّاه في المشرق. وفي سنة ٥٠٨ هـ. - بعد عودته بخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً - عُيّن قاضياً للقضاة (قاضي الجماعة) في كُورة إشبيلية كلّها. ولكن يبدو أنّه لم يَلْبَثْ في هذا المَنْصِب إلاّ مُدّة يسيرة، فقد عُزل عنه فانصرف إلى نشر العلم. ثمّ إنّه انتقل إلى قرطبة وحدّث فيها.

وسقطت دولةُ المرابطين في المغرب (٥٤٠ هـ) وقامت على أنقاضها دولة الموحّدين. وفي شَعْبانَ من سَنَة ٥٤١ (كانون الثاني - يناير ١١٤٧ م) استولى الموحّدون على إشبيلية. ويبدو أن أبا بكر بن العربي لم يكن راضياً عن الموحّدين - كما لم يكن هو وأبوه من قبلُ راضِيَيْنِ عن المرابطين - ومَعَ ذلك فقد ذهب في وفدٍ إلى مَرّاكُش، للتهنئة أو للإعراب عن الولاء، فسُجِنَ هنالك ومن مَعَه سَنَةً كاملة أو تَزيدُ. ولمّا أُطلِقَ سَراحُ المسجونين اتّخذ ابن العربي طريقَه إلى الأندلس، ولكنّه تُوُفّيَ في المغيلة (على مقربة من مدينة فاس)، في رَبيعِ الآخِرِ من سَنَةِ ٥٤٣ (صيف عام ١١٤٨ م).

٢ - أبو بكر بن العربي عالمٌ مُحدّث فقيه وأديب كاتب شاعر، إلاّ أنّ العلم بالحديث والفِقه أغلبُ عليه. أمّا شعره فمتينُ السبكِ في الأغلب على مذهب القدماء. وشعره الباقي لنا في الوصف والغزل وفي التشوّق أقربُ إلى أهل المشرق.

---

(١) يروى أن أبا بكر بن العربي لقي حجة الإسلام الغزّالي (ت ٥٠٥ هـ) في بغداد (نفح الطيب ٦٤ - ٦٥، راجع ٧٦ - ٧٧)، ولكنّ هذا مستبعد، لأن ابن العربي غادر بغداد قبل أن يرجع إليها الغزّالي. ويستبعد أيضاً أن يكونا قد التقيا في أثناء طوافهما في المشرق.

(٢) الخريدة (الأندلس) ٢ : ٢٢٠.

ولأبي بكر بن العربيّ تصانيفُ كثيرةٌ منها: كتاب القَبَس في شرح موطّأ مالك بن أنَس - كتاب ترتيب المسالك في شرح موطّأ مالك - كتاب أحكام القرآن - كتاب عريضة الأحوذي في شرح التِرْمِذي[1] - كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن - كتاب قانون التأويل - كتاب الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا - كتاب التوسُّط في صحة الاعتقاد والردّ على من خالف أهل السنّة من ذوي البدع والإلحاد - كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف (بين الفقهاء!) - كتاب المحصول في علم الأصول - كتاب ترتيب الرحلة (رحلة ابن العربيّ إلى المشرق).

٣ - مختارات من آثاره:

- رَكِبَ أبو بكرِ بن العربي يوماً مَعَ أحَدِ أمراء المرابطين - وكان هذا الأميرُ صغيراً - فهزّ عليه رمحاً كان في يده مُداعباً. فقال أبو بكر (المغرب ١ : ٢٥٠):

يَهُزُّ عليّ الرُّمْحَ ظَبْيٌ مهَفْهَفٌ ... لَعوبٌ بألباب الرَعِيّةِ عابثُ[2].
ولو كانَ رُمْحاً واحداً لاتّقَيْتُه؛ ... ولكنّه رمحٌ وثانٍ وثالثُ★.

- ودخل عليه غلام جميل في ثِيابٍ خَشِنَةٍ فقال (المغرب: (١ : ٢٥٠):

لَبِسَ الصوفَ لِكَيْ أُنْكِرَهُ ... وأتانا شاحباً قد عَبَسَا.
قُلْتُ: إيهِ، قد عَرَفْناك؛ وذا ... جَلٌّ سوءٍ لا يَعيبُ الفَرَسا[3].

(١) راجع نفح الطيب ٢ : ٢٨ - ٣٥ وبروكلمن (الملحق) ١ : ٨٠٠ (السطر ١٦ من أسفل)، راجع أيضاً ص ٢٦٨ و ٦٣٣، «الجواب المستقيم عمّا سأل عنه الترمذيّ الحكيم» أو عارضة (في بروكلمن: عريضة) الأحوذي في شرح الترمذيّ. والعارضة: القدرة على الكلام وقوّة الحجّة. والأحوذيّ (بفتح الهمزة): الخفيف الحاذق المشمّر في الأمور (المستعدّ لمعالجة الأمور). والترمذي، هو (في الأغلب) الحكيم الترمذي أبو عبد الله محمّد بن عليّ المتوفّى نحو سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م)، راجع الأعلام للزركليّ ٧ : ١٥٦ (٦ : ٢٧٢). وللترمذيّ الحكيم هذا كتاب عنوانه: «الدرّ المكنون في أسئلة ما كان وما يكون» (بروكلمن ١ : ٣٥٦، السطر ١٧ من أسفل)، ولعلّ هذا الكتاب هو الذي ردّ عليه ابن العربي.

(٢) مهفهف: دقيق الخصر (رشيق).

(★) ولكنّه رمح (الرمح الذي يحمله في يده) وثان وثالث (في عينيه).

(٣) الجلّ (بالفتح) والجلال (بالكسر): سرج (غطاء يوضع على ظهر الدابّة). سوء (سيّء، حقير المنظر).

كــلُّ شيءٍ أنــتَ فيــه حَسَنٌ؛ لا يُبــالي حَسَنٌ مــا لَبسا[1]!

- وقال قصيدة طويلة يتشوّق فيها إلى أيامه في بغدادَ وإلى إخوانه في بغدادَ (وعلى هذه القصيدة نفحة من قصيدة المتنبّي: أغالبُ فيك الشوقَ، والشوقُ أغلبُ). قال ابن العربي:

تقولُ ابنـةُ العَمْريِّ: ما لك مُوضِعاً — وقـد راق مَلْهًى للسرور ومَلعبُ[2]!
أفي كـلِّ عامٍ رائعُ القلبِ رَوْعةً — من البَيْنِ لا تُخْطي ولا تَتَكـذّب[3]؟
فقلت: دَعيني - لا أبَا لكِ - وانظُري — فقد يَخْسَرُ البادي ويَحْظى المُعَقِّب[4]؛
وكفّي من التأنيبِ شَيْئاً، فربّما — تَبَيَّنَ أعْقـابَ الأمورِ المُؤَنِّـبُ.
ومـا أنا في الدار الخَلاءِ بواقفٍ — أكفُّ عدى الأجفان فيها وأندُب★★
وقد قيل: يَشْقَى الحاسدون بسَعْيِهِمْ؛ — ألا إنّما المحسودُ أشقـى وأنصَب[5].
يريـدُ بيَ الأعـداءُ مـا اللهُ دافعٌ — وفَيْـضُ المَعالي والجلالُ المُهَذَّب.
ألا لَيْـتَ شِعْري، هل أبيتَنَّ ليلةً — - من الدهرِ لا أخْشى ولا أتَرَقَّب -
بِمَشْرَعةِ الكَرْخِ التي لم نَزَلْ بها — يَلَذُّ لنا شَرْخُ الشباب ويُعْجِبُ[6].
وكم شاربٍ للماءِ في غيرِ أرضهِ؛ — ومُذْعِبتُ عنه ماءَ عَيْنَيَّ أشْرب[7].
منــازلُ عزٍّ طــال فيهن مَفْخَرٌ، — ومنظرُ حُسْنٍ حار فيه التَعَجُّب.

---

(١) يبدو أن اسم المحبوب كان حسناً (كي يكون جناساً مع «حسن» في صدر البيت).

(٢) ابنة العمريّ (نسبة إلى عمرو بن حريث وإلى عمرو بن عوف، وهذا بطن من الأوس - والشاعر يكني بذلك عن محبوبة ما). الموضع (الذي يسوق دابته بسرعة): الذي يريد السفر عاجلاً.

(٣) راع: أخاف. البين: البعاد، الفراق.

(٤) البادي = البادىء (الذي يبدأ أمراً فيعمله مرّة واحدة؟). حظي: نال حظوة (حبًّا، مكانة، هدفاً). المعقّب: الذي يطلب الأمر بجدّ مرّة بعد مرّة.

(★★) عدى (؟). أكفّ عدى الأجفان (المقصود: أمسح دموعي، لكثرة بكائي).

(٥) أنصب (أكثر تعباً).

(٦) المشرعة: شريعة الماء (المكان الذي يشرب منه الناس). الكرخ: الجانب الغربيّ من بغداد (غرب نهر دجلة).

(٧) ماء عينيّ: دمعي (أي أنا أبكي كثيرا).

قطعنـا بأيّـامِ القَطيعة دَهْرنـا — نُوالي سَماعَ العِلم فيها ونكتب.
سلامٌ عـلى بَغدادَ في كلّ منزلٍ؛ — وحُقّ لها منّي السلامُ المُطيَّب.
فواللهِ، مـا فارقتُها عن قِلًى لها؛ — وكيف؟ولي فيها مَجال ومَرْحب[1]!
ولكنّهـا الأقدارُ يوماً إلى الفتى — بما ظلّ يَهْواه، ويوماً تُنَكّب[2].
فيـا برقُ، إنّ الكَرْخَ هَمّي وهِمّتي؛ — وأنـتَ إليها اليومَ أدنى وأقرب.
عسى فيك من ماء الصَراة صُبابةٌ — تَبُـلُّ غليلاً غَلّ قلبي فيذهب[3].

– وله يصف رحلته (الأولى) في البحر:

.... وقد سَبَقَ في علم اللهِ تعالى أن يَعْظُمَ البحرُ بزَوْلِهِ ويُغْرِقَنا في هَوْلِهِ[4]. فخَرَجْنا من البحر خروج المَيْتِ من القبر. وانْتَهَيْنا، بعدِ خطبٍ[5] طويل، إلى بيوت بني كعب بنِ سُلَيمٍ ونحن من السَغَب على عَطَبٍ[6] ومن العُرْيِ في أقبحِ زِيٍّ – قد قَذَفَ البحرُ زِقاقَ زَيْتٍ مَزّقتِ الحجارةُ مَنيئَتَها[7] ودَسّمتِ الأدهانُ وَبَرَها وجِلْدَتَها[8]. فاحْتَزَمْناها إزاراً واشتملناها لِفافاً تَمَجّنا[9] الأبصارُ وتَخذُلُنا الأنصارُ......

٤ – ** المطمح ٦٢ – ٦٣؛ الصلة ٥٣٢؛ بغية الملتمس ٨٢ – ٨٣ (رقم ١٧٩)؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٣٠؛ وفيات الأعيان ٤: ٢٩٦ – ٢٩٧؛ الديباج ٢٨١؛ ابن قنفذ ٢٧٩؛ النباهي ١٠٥ – ١٠٧؛ شذرات الذهب ٤: ١٤١؛ نفح الطيب ٢: ٢٥ –

---

(١) قلى: بغض، كره. مجال (سعة من العيش). مرحب (قوم يرحّبون بي، يحبّونني).
(٢) ...يوماً (تأتي) للفتى بما يهواه (يحبّه) ويوماً تنكّب (تبعده، تبعد به عمّا يحب).
(٣) الصراة: قناة في بغداد تصل دجلة بالفرات. صبابة: بقيّة. الغليل: شدّة العطش. غلّ: دخل، تخلّل، توسّط (وصل إلى وسط قلبي).
(٤) الزول (؟). الهول: الفزع، الأمر الشديد.
(٥) الخطب: الأمر الشديد (يتخاطب – يتبادلون الرأي فيه – فلا يجدون منه مخرجاً).
(٦) السغب: الجوع. العطب: الهلاك.
(٧) الزقّ: وعاء من جلد. المنيئة: الجلد (أول عهده بالدبغ).
(٨) ودسّمت (جعلت فيها دسماً، دهناً).....
(٩) احتزمناها: ربطناها على أوساطنا مثل الحزام. الإزار: ما يلفّ على القسم الأدنى من الجسم. اشتمل الشيء: جعله شملة (حول جسمنا كلّه). تمجّنا: تلفظنا (تكره رؤيتنا) الأبصار.

٤٣، ٤: ٤٧٦ - ٤٧٧؛ أزهار الرياض ٣: ٦٢ - ٦٥، ٨٦ - ٩٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٠٧؛ بروكلمن، الملحق ١: ٦٦٣؛ نيكل ٢٥٨؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٠٦ (٦: ٢٣٠)؛ سركيس ١٧٤ - ١٧٥.

أبو بكر الخشني

هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ مسعودِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ الخُشَنيّ المعروفُ بابنِ أبي رُكَبٍ (جمع رُكْبة) من أهلِ جَيّانَ، أخَذَ القراءاتِ عن ابنِ النحّاسِ وابن شفيعٍ وغيرِهما، وأخذ العربيةَ (النحو) والآدابَ عن أبي عبدِ الله بن أبي العافية وابنِ الأخضرِ وابنِ الأبرش كما أخذَ عن أبي الحُسين بنِ سِراجٍ وأبي عليٍّ الصَدَفيّ.

وفي أواخرِ عُمُرِهِ استوطنَ غَرْناطةَ وتصدّر فيها للإقراء وَوَلِيَ صلاةَ الفريضة والخُطْبة في جامِعِها. وكانتْ وفاتُه في النصفِ الأوّلِ من شهر ربيعٍ الأوّلِ من سَنَةِ ٥٤٤ (صيف ١١٤٩ م).

كان أبو بكرٍ الخُشَنيُّ من كِبارِ نُحاة المغربِ (القاموس ١: ٧٦) ومن مفاخرِها في اللغة والنحو، له من الكُتُب: «شَرْحُ كتاب سِيبويه». وكانَ له شيءٌ من النَظْم.

** بغية الملتمس ١٢١ (رقم ٢٨٣)؛ التكملة ١٨٨؛ معجم الأدباء ١٩: ٥٤ - ٥٥؛ معجم ابن الأبار ١٥٧ - ١٥٨؛ الوافي بالوفيات ٥: ٢٢ - ٢٣؛ بغية الوعاة ١٠٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣١٦ (٩٦).

ابن سلام المالَقي

١ - هو أبو الحسنِ سَلامُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ الباهليُّ الإشبيليّ المالَقيّ، وُلِدَ في إشبيليةَ سَنَةَ ٤٦٤ هـ (١٠٧٢ م) وكان أبوه من وُزراءِ المُعْتَمِدِ بنِ عبّادٍ.

وَسَكَنَ مالَقَةَ وكانتْ وفاتُه في شِلْبَ في نِصْفِ رَجَبَ من سَنَةِ ٥٤٤ (١١٤٩/١١/١٩ م).

٢ - كان ابنُ سَلامٍ المالَقِيُّ أديباً كاتباً وشاعراً رقيقاً وَصَلَ إلينا منه بضْعَةُ أبياتٍ

في الحِكمة والغَزَل والنَسيب وكتابُ «الذَخائر والأعلاق في أدب النفوس ومكارم الأخلاق».

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابنُ سَلامٍ المالَقِيُّ في الغَزَلِ:

لـمّا ظَفِرْتُ بَليلـةٍ مِنْ وَصْلِـه - والصَّبُّ غيرُ الوصلِ لا يَشْفِيـهِ[١] -
أنْضَجْـتُ وَرْدَةَ خَـدِّهِ بتَنَفُّسي وطَفِقْتُ أرْشُفُ ماءها من فِيه[٢].

- وقال في النسيب:

كيـفَ لي بالسُلُوِّ عنـكم، وأنتم مَوْضِعُ السُؤلِ والمُنى والمُرادِ[٣].
باعِـدوني إنْ شِئْتُمُ واهجُروني يَسْتَبِنْ قَدْرُ ما لكم في فُؤادي[٤].

- وله في الحِكمة:

إذا تَمّ عقلُ المرءِ تَمّتْ فضائِلُهْ، وقامتْ على الإحسان منه دَلائلُهْ:
فلا تُنْكِرُ الأبصارُ ما هو فاعلُهْ، ولا تنكر الأسماعُ ما هو قائلُهْ.

٤ - الذخائر والأعلاق، القاهرة (مطبعة مصطفى وهبي) ١٢٩٨ هـ.

** المغرب ١ : ٤٣٤؛ الذيل والتكملة ٤ : ٤٨ - ٥٥ (رقم ١٢٢)؛ نفح الطيب ٢ : ٣٣٣، ٤ : ٢٠٤ - ٢٠٥؛ بروكلمن، الملحق ١ : ٤٨١؛ نيكل ٢٤٠ - ٢٤١.

القاضي عياض

١ - هو أبو الفضلِ عياضُ بنُ موسى[٥] بنِ عياضٍ[٦] بن عَمْرون[٧] بن موسى بنِ

(١) الوصل: لقاء المحبوب. الصبّ: المحبّ. راجع، فوق، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.
(٢) ماء ورد خدّه (!).
(٣) السلوّ: النسيان، نسيان الحبّ. السؤل = السؤال: الطلب، المبتغى.
(٤) يستبين: يظهر (لكم). ما لكم في فؤادي (من الحبّ).
(٥) في سياقة هذا النسب شيء من الاختلاف.
(٦) ولد قبل ٣٩٧ هـ بمدة يسيرة (أزهار الرياض ١ : ٢٨).
(٧) في عدد من المصادر «عمرو». ولكن الثابت عند المقري (أزهار الرياض ١ : ٢٣، راجع ٢٥): عمرون (توفي سنة ٣٩٧ هـ).

عياض بن عبد الله[١] بن محمد[٢] بن عبد الله بن موسي بن عياض اليَحصبيّ[٣]، أصل أهله من الأندلس ثم إنّهُمْ انتقلوا إلى المغرب مُتنقّلينَ. وأخيراً استقرّوا في سبتةَ.

وُلدَ عياضُ بنُ موسى اليَحْصبيُّ في سبتةَ، في منتصف شعبانَ من سَنَةِ ٤٧٦ (٢٨/ ١٢/ ١٠٨٣ م). وفي سَنَةِ ٥٠٧ هـ (١١١٣ - ١١١٤ م) دخل الأندلسَ طلباً للعلم ودرس في قرطبة على نفرٍ كثيرينَ من المحدّثين والفقهاء خاصّةً[٤]. تولّى القضاءَ في سبتةَ مدّةً طويلةً، ثمّ انتقل إلى قَضاء غَرْناطةَ، سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م). بعدئذٍ عاد مدّة يسيرةً إلى قَضاءِ سبتةَ.

وكان عياضٌ قد دخل في طاعةِ المرابطين فأكرموه ورفعوا مَنْزِلَتَهُ. فلمّا اضْطَرَبَتْ أحوالُهم، سنة ٥٤٣ هـ، ساءت حالُه فخرج شريداً عن وطنه إلى مَرّاكُشَ حيثُ تُوُفّيَ وشيكاً، في سابعِ جُمادى الثانية من سنة ٥٤٤ (١٣/ ١٠/ ١١٤٩ م).

٢ - كان عياضُ بن موسى اليحصبيّ مُحَدِّثاً وفقيهاً كما كان عالماً باللغةِ والنحوِ وبأيّامِ العرب وأنسابهم وأدبهم. وكذلك كان أديباً خطيباً مُتَرَسِّلًا بليغاً وشاعراً مُكثِراً حَسَنَ الشعرِ رقيقاً. وهو مصنِّفٌ له تآليفُ كثيرةٌ منها: الشِفا في تعريف حقوق المُصْطفى (الرسول) - مشارق الأنوار إلى صحيح الآثار (في تفسير الألفاظ الغريبة في كتب الحديث الثلاثة: الموطّأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم، معَ التنبيه على موضع الأوهام والتصحيفات في أسماء الرجال الواردةِ أسماؤهم في تلك الكتب الثلاثة) - كتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدوّنة (في ضبط الألفاظ وتحرير المسائل) - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السّماع - ترتيبُ المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مَذْهب مالك - بُغْية الرائدِ لِما تضمّنه حديث أمّ زَرْعٍ من الفوائد - الإعلام بحدود قواعد الإسلام - الغُنْية (في شيوخه منْ فقهاء المغرب والأندلس) - كتاب العيون الستّة في أخبار سبتة - غُنْية الكاتب وبُغْية الطالب في الصدور

(١) (٢) هنالك خلاف على وجود «محمد» في سلسلة هذا النسب وعلى وجود «عبد الله» بعد «محمد».

(٣) اليحصبي يجب أن تكون بكسر الصاد عند المقري (أزهار الرياض ٢٧). وفضّل بعضهم الضم. وأبعد الأقوال في ذلك «الفتح».

(٤) راجع أسماءهم في «الديباج»، ص ١٦٩، وأزهار الرياض ٣: ٦٦ - ٣٢٦.

والترسّل - سرّ السراة في أدب القضاة - ديوان خطبه، الخ.

٣ - مختارات من آثار:

- للقاضي عياض من الوصف البارع:

انظُرْ إلى الزرعِ وخاماتِـــهِ   تَحْكي - وقد ماست أمامَ الرياحْ[١] -
كَتيبـــةً خَضراءَ مهزومـــةً   شَقائِـــقُ النُّعْمانِ فيهـا جِراحْ!

- وقال في التشوّقِ (من لزوم ما لا يلزم):

أللهُ يَعْلَمُ أنّي مُنْـــذُ لَمْ أرَكُمْ   كطائرٍ خانَـــهُ ريشُ الجَناحَيْنِ.
فلو قَدَرْتُ ركِبْتُ البحرَ نَحْوَكُمُ   لأنّ بُعْدَكُمُ عنّي جَنى حَيْني[٢]!

- وقال في التشوّق (من لزوم ما لا يلزم أيضاً):

يا مَنْ تَحَمّل عنّي غيرَ مُكْتَرِثٍ،   لكِنّهُ لِلضّنى والسُّقْمِ أوْصى بي[٣].
تَرَكْتَني مُسْتَهامَ القلبِ ذا حُرَقٍ   أخا جَوًى وتباريحٍ وأوصابِ[٤].
أُراقِبُ النجمَ في جِنْحِ الدُّجي سَمَراً   كأنّني راصدٌ لِلنَّجْمِ أو صابي[٥]!

- وقال القاضي أبو الفضلِ عِياضٌ لمّا رَحَلَ عن قُرطُبةَ (نفح الطيب ١ : ٥٤٤ - ٥٤٦):

---

(١) الخام من الزرع: أول ما ينبت منه، أو الضمّة منه. ماس: تمايل.
(٢) جنى: أثمر: سبّب. الحين (بفتح الحاء): الموت.
(٣) تحمّل: ارتحل، سافر. غير مكترث: مهتمّ، مبال. الضنى: المرض كلّما ظنّ المريض أنّه شفي منه انتكست حاله من جديد. السقم: المرض. للسقم أوصى بي: جعلني وديعة عند المرض (دام مرضي).
(٤) مستهام القلب: هائم القلب (كأنّه موسوس من شدّة الحبّ). الجوى: شدّة الحبّ حتّى كأنّ الحب فيه مرض. التبريح: التعذيب، شدّة الأذى. الوصب: الألم، الوجع.
(٥) جنح (جانب من) الليل= يقصد الشاعر: في ظلام الليل، طوال الليل. السمر (بفتح الميم): حديث الليل؛ والشاعر يقصد سمرا (بسكون الميم): بلا نوم (سمر سمرا: لم ينم). صابي= صابيء: عابد النجوم (الصابئة طائفة قديمة من عبدة النجوم، وهي غير الصابئين الوارد ذكرهم في القرآن الكريم في سورة البقرة والمائدة والحجّ - ٢: ٦٢، ٥: ٧٢، ٢٢: ١٧).

أقولُ وقد جدّ ٱرتحالي وغرّدتْ حُداتي، وزُمّتْ للفِراق ركائبي[1]،
وقد غَمِصَتْ من كَثْرةِ الدمعِ مُقْلتي، وصارتْ هواءً من فُؤادي تَرائبي[2]،
ولم يَبْقَ إلّا وقفةٌ يَسْتَحِثُّها وَداعِيَ للأحباب لا للحبائب[3]:
رَعى اللهُ جيراناً بِقُرْطُبَةِ العُلا وجادَ رُباها بالعِهادِ السَّواكب[4].
وَحَيّا زماناً بَيْنَهُم قد أَلِفْتُه طليقَ المُحَيّا مُسْتَلانَ الجوانب[5].
أإخوانَنا، باللهِ، فيها تَذكّروا مَودّةَ جارٍ أو مودّةَ صاحب.
غَدَوْتُ بهم من بِرِّهِمْ وٱحْتفائِهم كأنّيَ في أهْلي وبينَ أقاربي.

- كتبَ القاضي عِياضٌ إلى ٱثْنينِ من إخوانِه رسالةً مُثْقَلَةً بالصِناعة وقد مَلأها بأسماءِ النجومِ (كلّ ٱسمِ عَلَمٍ على نَجْمٍ أو مجموعِ نجومٍ أَتْبَعْتُه بهذهِ العلامة: ★)- من «الخريدة» (المغرب والأندلس ٣: ٤١٣ - ٤١٥)- وقدِ ٱخْتَرْتُ أَلّا أَحُلَّ أَلفاظَ هذه القِطعة لكَثْرةِ ما فيها مِنَ الاستعارات:

قد وَقَفْتُ- أعزّكُما اللهُ- على بَدائِعِكُما الغريبةِ ومَنازِعِكُما البعيدة، ورأيتُ تَرَقّيكُما من الزَّهْرِ إلى الزُّهْر، وتَنَقُّلَكُما إلى الدراري[6] بعدَ الدُّرّ، فأبَحْتُما حِمى

(١) جدّ الرحيل: اجتهد الراحلون بالاستعداد له وأسرعوا. غرّد: غنّى. الحادي: الذي يسوق القافلة ويغنّي للمسافرين كيلا يملّوا من طول السفر ومشقّته. الركوبة: الدابّة المعدّة للركوب. زمّت (بالبناء للمجهول) ركائبي: أخذ (بالبناء للمجهول) بزمامها لتبدأ سيرها. ويجوز زمّت (للمعلوم) ركائبي: رفعت ركائبي رؤوسها لتبدأ السير.

(٢) غمصت (بالغين المعجمة والصاد المهملة): كثر فيها الغمص أو الرمص:(القذى). في نفح الطيب (١: ٤٤٦) وفي الخريدة (المغرب ٣: ٥٠٣) والخريدة (الأندلس ٢: ٥٥٣) غمضت بالغين والضاد المعجمتين. وقد أشارت الخريدة (المغرب ٣: ٥٠٣، الحاشية ٥) أنّ الكلمة في «قلائد العقيان» بالغين المعجمة والصاد المهملة. راجع «قلائد العقيان» (ص ٢٥٧). الترائب: العظام في أعلى الصدر. صارت هواء... (تبخّرت عظام صدري من شدّة حرارة قلبي؟).

(٣) لم يبق من الوقت لبدء السفر غير وقفة قصيرة يستحثّها (يستعجلها: يطلب تقصيرها)... الأحباب جمع حبيب، والحبائب جمع حبيبة.

(٤) العهاد: المطر المعهود (الذي يسقط متتالياً).

(٥) طليق (يقصد: طلق، بالفتح) المحيّا (الوجه): مسرور. استلان الرجل العيش: وجده ليّناً ناعماً، هنيئاً. مستلان (في القلائد: مستلين) (؟).

(٦) الزهر (بالضمّ) والدراري: النجوم.

النجوم وقَذَفْتُماها من ثواقبِ أفهامِكُما بالرُّجوم، وتركْتُماها بعدَ الطَّلاقةِ ذاتَ وُجوم[1]. فَحَلَلْتُما بَسيطَها غارةً شعواء[2] لها عوتْ أكْلُبُ العوّاء ★. هُنالكَ اَفْتُرِسَتِ الفوارسُ ولم تُغْنِ عن السِّماك ★ الداعس (؟) وغُودِرَتِ النَّثْرة ★ نِثاراً وأُغْشِيَ لألاؤها نَقْعاً[3] مُثاراً كأنَّ لكُما عِندَها ثاراً. وأُشْعِرَتِ الشِّعْرَيانِ ★ ذُعْراً وقَطَعَتْ إحداهُما أواصِرَ الأخرى. فأخذتْ بالحَزْمِ منها العَبورُ ★ وبَدَرَتْ خيلكما وسيلكما[4] بالعُبور. وحَذِرَتِ اللِّحاقَ عن أن تَعوقَ عن مُنْحَنى العَيّوق★. فخلّفتْ أُختَها تندُبُ الوفاءَ وتَجْهَدُ جُهْدَها في الاختفاء. وكأنَّ الثُّريّا ★ حين ثُرْتُمْ بِقَطينِها[5] اتَّقَتْكُم بيمينها، فجَذَبْتم بَنانَها وبذلْتُمْ للخضيبِ ★ أمانَها[6]. فعندَها اَستهلَ سُهيلٌ ★ الفِرار فأبعد بيمينه القَرار. وولّى الدَّبَران ★ إثْرَهُ مُدبراً.

- وللقاضي عياض أيضاً خُطبةٌ جمع فيها سوَرَ القُرآنِ الكريم- وسيكون اَسْمُ كلُّ سورةٍ متبوعاً بنَجْمٍ ★ (نفح الطيب ٧: ٣٣٣ - ٣٣٤):

الحمدُ لله الذي افتتح بالحَمْدِ ★ كَلامَه وبيَّن في سُورة البَقَرة ★ أحكامَهُ، ومَدَّ في آلِ عِمرانَ ★ والنساءِ ★ مائدة ★ الأنعامِ ★ لِيُتِمَّ إنعامَهُ. وجَعَلَ في الأعرْاف ★ أنْفالَ ★ تَوْبَةٍ ★ يُونسَ ★ و «ألَرَ كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُه»[7]★ بمُجاورةِ يُوسُفَ ★ الصِدّيقِ في دار الكَرامة، وسبَّح الرَّعْدُ ★ بحَمْدِهِ، وجعل النار بَرْداً وسلاماً على إبراهيمَ ★ ليُؤْمنَ أهْلُ الحجْر ★ أنَّه إذا أتى أمرُ الله سُبحانَه فلا كَهْفَ ★ ولا ملجأ

---

(١) الرجم (بضمّ فضمّ) والرجوم (حجارة تتساقط من السماء - تكون دائرة في أفلاك لها حول الكواكب ثمّ تفلت من مدارانها فتسقط إلى الأرض بسبب جذب الأرض لها). الوجوم: السكوت.

(٢) حلّ: نزل. البسيط: الأرض المستوية. الشعواء: المنتشرة. فحللتم بسيطها غارة...(؟): ملأتم الارض بالحرب

(٣) النقع: غبار الحرب.

(٤) بدرت خيلكما وسيلكما. ...(؟): سبقت.الشعريان: أختان عبرت احداهما إلى الجانب الآخر من السماء. فبكت الثانية حتى عمصت.

(٥) القطين: الساكن معك في بيت واحد.

(٦) الكفّ الخضيب: نجم.

(٧) «ألَرَ. كتاب أحكمت آياته» بدء سورة هود (السورة الحادية عشرة في المصحف).

إلّا إليه لا يُظلمون قُلامة[1].

٤ - الشفا في تعريف حقوق المصطفى (الرسول)، استانبول ١٢٦٤ هـ الخ، الهند ١٢٧٦ هـ الخ، القاهرة ١٢٩٥ هـ الخ فاس ١٣٠٥ هـ الخ. هـ ١٣٢٩.
- مشارق الأنوار، فاس ١٣٢٨، ١٣٣٣ هـ، القاهرة ١٣٣٢ هـ.
- الألماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، الهند بلا تاريخ.
- المدارك (حققه أحمد بكير محمود).

★★ أزهار الرياض في أخبار عياض، تأليف شهاب الدين المقري التلمساني (ضبطه... مصطفى السقّا وابراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٨ - ١٣٦١ هـ= ١٩٣٩ - ١٩٤٢ م.

قلائد العقيان ٢٥٥ - ٢٥٨؛ بغية الملتمس ٤٢٥ (رقم ١٢٦٩)؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٤١٣ - ٤١٤، ٥٠١ - ٥٠٥؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٥٥٠ - ٥٥٥؛ إنباه الرواة ٢: ٣٦٣ - ٣٦٤؛ معجم ابن الأبار ٢٩٤ - ٢٩٨؛ وفيات الأعيان ٣: ٤٨٣ - ٤٨٥؛ ابن قنفذ ٢٨٠؛ النباهي ١٠١؛ الديباج المذهب ١٦٨ - ١٧٣؛ شذرات الذهب ٤: ١٣٨ - ١٣٩؛ نفح الطيب ١: ٥٤٤ - ٥٤٥، ٥: ٤٠٨ - ٤٠٩، ٧: ٣٣٣ - ٣٣٤؛ تاج العروس (الكويت) ٢: ٢٨٧، ١٨: ٤٥٠ (تحقيق الاسم والنسبة)؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٢: ٥٦٦ - ٥٦٧، (الطبعة الثانية) ٤: ٢٨٩ - ٢٩٠؛ بروكلمن ١: ٤٥٥ - ٤٥٦، الملحق ١: ٦٣٠ - ٦٣٢؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٨٢ (٩٩)؛ بالنثيا ٢٨٣، ٣٩٧ - ٣٩٨، سركيس ١٣٩٧ - ١٣٩٨.

أبو بكر الأبيض

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ أحمدَ الابيضُ[2] أصلُه من قرية هَمْدانَ[3] وتأدّبَ في إشبيليةَ وقُرطبةَ (المغرب ٢: ١٢٧). وكان أبو بكرٍ الأبيضُ قد وَلِعَ بهجاء الزُبير بنِ عُمَرَ المُلَثَّمِ[4] أميرِ قُرطُبَةَ مِنْ قِبَلِ المُرابطين فقتله الزبيرُ سَنَةَ ٥٤٤ هـ (وفيات

(١) القلامة: ما يقطع عادة من الظفر (شيء قليل جدًّا).
(٢) وقيل: أحمد بن محمّد (زاد المسافر ١٠٨، نفح الطيب ٣: ٤٦١). وقيل أيضاً: ابن الأبيض (جيش التوشيح ٤٦).
(٣) لعلّها جنوب غرناطة (إذ هي من مملكة إلبيرة).
(٤) الملثّم من الملثّمين (المرابطين، الطوارق اليوم) لأنّ رجالهم كانوا يضعون لثاماً على وجوههم.

الأعيان ٤ : ٤٣٧)، ١١٤٥ - ١١٤٦ م.

٢ - أبو بكرٍ الأبيضُ من الوشّحينَ المطبوعين (مقدّمة ابن خلدون ١١٤٠)، وهو شاعرٌ مشهورٌ ووشّاحٌ حَسَنُ التَصرُّفِ هَجّاءٌ (المغرب ٢ : ١٢٧) اخترعَ وولّدَ ونَظَمَ شعرَه وتوشيحَه في قالَبِ الإعجازِ مُتَصَرِّفاً فيه بالحقيقةِ والمَجاز (جيش التوشيح، ص ٤٦).

وشعرُه القصيدُ على عمودِ الشعرِ متينٌ فخمٌ. أمّا موشّحاتُه ففيها لِينٌ - حتّى حينما تُقاسُ بأشباهِها من المُوشّحاتِ الأندلسية - ولعلّه لا يستحقُّ المكانةَ التي يحتلّها في أقوالِ النُقّاد إذا نحنُ حَكَمْنا على مُوشّحاتِهِ التي وصلتْ إلينا[١].

وفنونُ أبي بكرٍ الأبيضِ - في قصيدِه وموشّحِه - المدحُ والهِجاءُ والغزل والمُجون وشيءٌ من الوصْفِ. وهجاؤه كثيرٌ مُقْذِعٌ. وقد هاجى ابن صارة الشنتريني (ت ٥١٧ هـ).

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو بكرٍ الأبيضُ في الفقهاء المرائين[٢]:

أهــلَ الريــاء، لَبِستمُ ناموسكم كالذئب يُدْلِجُ في الظلام العاتمِ[٣]،
فمَلَكْتُمُ الدنيــا بمذهــبِ مالكٍ، وقسمتمُ الأموالَ بآبنِ القاسم[٤]،

---

(١) نسب إليه ابن خلدون (المقدّمة ١١٤٠ - ١١٤١) الموشّحة المشهورة «ما لذ لي شرب راح» (هي ليست له في الأصحّ).

(٢) تروى أيضاً لابن البنّي (راجع نفح الطيب ٣ : ٤٤٨، الحاشية ٢).

(٣) الناموس: القانون أو الشريعة (تظاهرتم باتّباع الشريعة في أموركم). والقرينة هنا تدلّ على أن الناموس ثوب أسود (؟).

(٤) الإمام مالك بن أنس فقيه أهل المدينة وصاحب المذهب المالكيّ الذي يعمل به جميع أهل الأندلس والمغرب (استغللتم الدين في سبيل جرّ منافع الدنيا إليكم). ابن القاسم هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد فقيه مالكيّ صحب مالك بن أنس عشرين سنة وجمع بين العلم والزهد (ت ١٩١ هـ، في مصر). وهو صاحب المدوّنة (كتاب الفقه المعتمد في المغرب والأندلس) في رأي أتباع مالك، وعن ابن القاسم رواها سحنون (١٦٠ - ٢٤٠ هـ) وهو فقيه أهل المغرب. قسمتم الأموال: اقتسمتموها آحتزتموها لأنفسكم).

وركِبتمُ شُهْـبَ البِغـالِ بأشْهَبٍ، وبأصبـغٍ صُبِغتْ لكم في العالم[1].

- وقال يتهكّم برجل زعم أنّه ينال الخلافة:

أمــيرَ المؤمنــين، نِـداءَ شيـخٍ أفادَكَ من نصائحه اللطيفه[2]،
تَحفَّـظْ أن يكونَ الجِذعُ يومـاً سريراً من أسِرَّتِـكَ المُنيفـه[3].
أُفكِّرُ فيــك مَطوِيَّـا فأبكي، وتُضحِكُني أمانيك السخيفه[4].

- وقال يهجو الزبيرَ أميرَ قُرطُبةَ:

عَكَـفَ الزُبيرُ على الضلالةِ جاهِداً ووزيرُه المشهورُ كلـبُ النـارِ[5].
مـا زال يأخذُ سجدةً في سجدةٍ[6] بَـينَ الكؤوس ونَغمـةِ الأوتـار.
فـإذا آعتراه السَهْوُ سَبّحَ خلْفَهُ صوتُ القِيـانِ ورَنّـة المزمـار[7]!

- ومن أحسنِ شعرِه قولُه في مولود (المغرب ٢: ١٢٧):

يـا خيرَ مَعْنٍ وأَوْلاهـا بعارِفَةٍ، للهِ نَعماءُ عنها الدهرُ قد نَعَسا[8]،

---

(١) ركبتم البغال الشهباء (البيضاء) كناية عن المكانة الاجتماعية الرفيعة وعن الثروة. أشهب بن عبد العزيز القيسي فقيه الديار المصرية على مذهب مالك (١٤٥ - ٢٠٤ هـ). أصبغ بن الفرج (ت ٢٢٥ هـ) من كبار الفقهاء المالكية في مصر. وكان أعلم الخلق برأي مالك (القاموس المحيط ٣: ١٠٩). صبغت (شهرتكم، مكانتكم: حسنت) أو نلتم محاسن الدنيا.

(٢) أمير المؤمنين (نداء على التهكّم، لأنّ الرجل يدّعي أنّه سينال الخلافة). في نفح الطيب ٣: ٤٩٠ « من أماليه ».

(٣) تحفّظ: احترس، احذر. الجذع: جذع شجرة أو قطعة من خشب يعلّق عليها المصلوب. سرير: عرش أو مجلس وثير. منيف عال. (في « عال » تورية بين العالي (المرتفع في الجوّ) و العالي (المرتفع في المكانة).

(٤) في نفح الطيب: وأذكر منك مصلوباً فأبكي.

(٥) هو الزبير بن عمر الملثّم (المرابطي) أمير قرطبة (راجع نفح الطيب ١: ٤٧١، ٣: ٤٨٩ - ٤٩٠).

(٦) يداخل بين السجدات (يخطىء في صلاته) لأنّه لا يفيق من السكر ولا يعي من كثرة الغناء والعَزف عنده.

(٧) إذا نسي الإمام في الصلاة حركة أو ركعة نبّهه المصلّون وراءه بقولهم: سبحان الله. أمّا الزبير هذا فإنّه يخطىء كثيراً، ولكن بدلاً من أن يقال له: « سبحان الله »، يسمع وراءه غناء المغنّيات وأصوات المزامير (ولذلك لا ينتبه إلى ما ينساه من صلاته).

(٨) معن: بنو معن (لعلّهم آل صُمادحٍ - بضمّ الصاد - وهم أمراء المريّة في الأندلس). أولاها أولى قبيلة بني معن. العارفة: المعروف (فعل الخير). - أنتم في نعمة نعس (نام) عنها الدهر (نسيها) فدامت فيكم.

ليُهْنِكَ الفارسُ المَيْمونُ طائرُهُ؛ لله أنتَ، لقد أذْكَيْتَه قَبَسا[1].
أصاختِ الخيلُ آذاناً لِصَرْختهِ، وارتاعَ كلُّ هِزَبْرٍ حينما عَطَسا[2].
تَعلَّمَ الركْضَ أيامَ المَخاض به فما امتطى الخيلَ إلّا وهو قد فَرَسا[3].
تعشّقَ الدِرعَ مُذْ شُدّتْ لفائِفُهُ، وأنكَرَ المهدَ لمّا أبصرَ الفَرَسا[4].
بَشِّرْ قبائــلَ مَعْنٍ أنّ سيِّدَهـا قد أثْمَرَ الملكَ بالجدِ الذي غَرَسا[5].

- لمّا ولعَ أبو بكرِ الأبيضُ بهجاءِ الزُبيرِ بن عُمَرَ أمَرَ الزُبيرُ بإحضارِه فقرّعه وقال له: ما دَعاكَ إلى هذا؟ فقال له أبو بكرِ الأبيضُ: (نفح الطيب ٣ : ٤٩٠):

« إنّي لم أرَ أحقَّ بالهَجْو منكَ. ولو علمتَ ما أنتَ عليه من المَخازي لَهَجَوْتَ نفسَك إنصافاً ولم تَكِلْها إلى أحدٍ! »

فلمّا سَمِعَ الزُبيرُ ذلك منه قامتْ قيامتُهُ وأمَرَ بقَتْلِهِ.

- وقال في الخمر:

سَفَكَ المسيحُ سُلافَها وآختارَها ودَعا لها حوْلاً ببَيْتِ المَقْدِسِ[7].
فـإذا بدا لألاؤها سجدوا لـه مُتَطَوِّفـينَ بهـا ولَمّا تُلْمَسِ[8]،
يتوهّمونَ بـــأنّ عيسى كامِنٌ مُتَنَفِّسٌ في روحِهـا المتنفِّسِ.
مِنْ هـذه فَلْتَسْقِني، ودَعِ التي تَنْفَـلّ في جِلْبابِهـا المُتَدنِّسِ[9]!

---

(١) أذكيته قبساً: أوقدته فكان مشعالاً شديد الضوء.
(٢) أصاخ: مدّ أذنه ومال برأسه ليسمع جيّداً. لصرخته (لصرخته الأولى يوم ولد). ارتاع: خاف. الهزبر: الأسد. عطس (عطس عقب الولادة). - كان مهوباً (يخاف الناس منه) منذ ولادته.
(٣) الركض: السباق، الهجوم في الحرب. المخاض: آلام الولادة عند المرأة. - ما بلغ من السنّ ما يبدأ به الناس أن يركبوا الخيل حتّى كان قد فرس (أصبح من الفرسان الشجعان).
(٤) اللفائف: الأقمطة التي يلفّ بها الوليد. - حينما كان طفلاً في المهد أبصر حصاناً، فأصبح منذ ذلك الحين يكره البقاء في المهد رغبة في ركوب الخيل.
(٥) إنّ رئيس قبيلة معن قد غرس مجداً (الطفل الذي أنجبه) فكان ثمرة ذلك ملكاً (دائماً)!
(٦) لم تكلها (لم تعهد بها) إلى أحد.
(٧) السلاف: أفضل الخمر وأخلصها (أكثرها صفاء). دعا لها (صلّى عليها) حَوْلا (عاماً).
(٨) ولمّا تُلْمس: قبل أن يمسّها أحد (قبل أن يبدأوا بشربها).
(٩) انغلّ في الثوب: دخل فيه. الجلباب: الرداء الواسع. المدنّس: الملوّث.

- من موشّحات أبي بكر الأبيض (جيش التوشيح ٥٤) :

مَن سَقى عَيْنَيْكَ كأسَ المُدامْ؟ يــــا مُنــــى المُستَهـــامْ[١]!

* * *

رشأٌ أسْهَرَني وهو نائِمْ
رقَّ لي والموتُ بـــــينَ الحَيـــــازِمْ.
عَجَبـــــاً مِنْ دَمْعـــــهِ وهو باسِمْ
خَنِثٌ يَمْزُجُ تحتَ اللِثامْ عَبْـــرةً بـــابتِــسامْ[٢].

* * *

قلـــــب دنيـــــاي تسقى رُوَيْـــــدْ
تحتَ إحسانِ الوزيرِ ابنِ زَيْـــــــدْ.
فأنــــا أربَـــعُ في خــــيرِ قَيْـــدْ!
بــــينَ بِرٍّ وعطايــــا جِسامْ أخَــــواتِ الغَــمـــامْ[٣].

* * *

بائنُ الغَوْرِ بعيـــــدُ المسافــــــةْ.
قــــد كَفَــــى قُرطُبَــــةَ كــــلَّ آفــــةْ.
كم يــــدٍ أوْلَيْــــتَ دارَ الخِلافــــةْ.
طَوّقَــــتْ جيـــدَكْ طَوْقَ الحَمامْ في حُــــــــــلى الكِرامْ[٤].

* * *

(١) المستهام: الهائم (الذي حيّره الحبّ).

(٢) الرشأ: الغزال الصغير. الحيزوم: الصدر أو وسطه. والموت بين الحيازم: قاربت الروح أن تخرج من الجسم. الخنث (هنا): الليّن الجسم، والذي يفعل فعل المخنّث من لين الكلام.

(٣) قلب دنياي تسقى (؟) رويد (على مهل). أربع: أرتع، أسرح في الربيع. في خير قيد (تقيّدي به (انقطاعي إليه وحده) خيرٌ كبير لي. أخوات الغمام (السحاب) كثيرة كريمة.

(٤) بائن (بعيد، عميق) الغور (القعر)...: لا يدرك أحد دهاءه ولا يستطيع أحد أن يصل إلى ما وصل =

بِـــكَ، يـــا مُشْرِفُ، صـــحّ اليقـــينْ
أنـــتَ صبـــح الـمِشْـــكاة المبـــينْ.
أيَّ نَصْـــلٍ سلَّـــهُ مـــا.....
مَلِـــكٌ شرّفَـــه في الأنـــام حَمْـــــــلُ ذاك الحِمامْ.

* * *

شُرِّفَ الملـــكُ بـــه حـــين حاطَـــهْ
فَشَدَتْ وجـــداً بـــه غَرْناطـــهْ
إذ توخّـــى بِسِواهـــا ارتباطَـــهْ.
كلَّ يومٍ أُقريكَ، يا حبيبُ، سلامْ؛ ونَسِيـــتَ أنـــتَ ذِمـــامْ[1].

٤ - ** الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٢٥٨ - ٢٥٩، ٣: ٥٨٠ - ٥٨١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٦٠، ٦٧٠؛ وفيات الأعيان ٤: ٤٣٧؛ المغرب ٢: ١٢٧ - ١٢٨؛ المطرب ٧٦؛ زاد المسافر ١٠٨ - ١١٣؛ جيش التوشيح ٤٦ - ٥٨، راجع ٢٣٤ - ٢٤٠؛ مقدّمة ابن خلدون ٥٨٤ - ٥٨٥ (١١٤٠ - ١١٤١)؛ نفح الطيب ٣: ٢٨٧، ٤٠٤، ٤٤٨، ٤٦٠، ٤٨٩، ٧: ٧؛ نيكل ٢٤٥ - ٢٤٧؛ مختارات نيكل ٢١٩.

جعفر بن محمّد الشنتمري

١ - هو أبو الفضلِ جعفرُ بنُ محمّدِ بن يوسفَ بنِ سُليمانَ بن عيسى الشَنتمريُّ[2] من أهلِ شَنْتَ مَرِيّةَ الغَرْبِ (فارو، البرتغال اليومَ)، وُلِدَ فيها ونشأ وأقرأ النحوَ فيها منذ

= إليه هو. كم يد...: كم فضل لك على دار الخلافة (العاصمة) في حفظ الملك على أهله. لعدد من أنواع الحمام طوق (ريش مخالف لريش سائر الجسم يحيط بالعنق). الفضل ظاهر فيك ثابت (كثبات طوق الحمام). في (من) حلى الكرام: يدلّ على أصلك الكريم أو عملك الكريم.

(١) حاطه: (حماه من الأخطار) فشدت (تغنّت = افتخرت) وجداً به (حبّاله). إذ توخّى (أراد) بسواها ارتباطه (الانتقال إلى بلد آخر) (؟). أقريك = أقرئك. الذمام: العهد (المحبّة التي بيننا).

(٢) هو حفيد الأعلم الشنتمري يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ هـ).

صِباه الأوّلِ قبلَ أنْ يَلْتَحِيَ[1]. ويبدو أنّه تَطوّفَ بالأندلس قليلاً ومَدَحَ سُلطانَ المُرابطين عَلِيَّ بنَ يوسفَ بنِ تاشفينَ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). وقد تولّى القضاءَ في بَلدِهِ شنت مريّة. ويبدو أنّه تولّى الوزارةَ أيضاً. وعاشَ جانباً كبيراً من حياته مُنْغَمِساً في مَلاذِّه من الخَمْر والنساء. ثمّ إنّه تاب وزَهِدَ. وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٥٤٧ (١١٥٢ - ١١٥٣ م).

٢ - كان جعفرُ بنُ محمدٍ الشنتمريُّ فقيهاً وبارعاً في النحو، كما كان أديباً ناثراً وشاعراً. وفي نثرِه تكلُّفٌ ظاهرٌ للغَريب وللصِناعة. وفي بعضِ شعرِه إجادةٌ وإحسانٌ. ومن فنونهِ: الوصفُ والخمر والغَزَل والزُهد.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال جعفرُ بنُ محمدٍ الشنتمريُّ يَصِفُ فَرَساً وسَرْجاً:

انظُرْ إليه (إلى الفرس) سَليمَ الأديمِ كريمَ القديمِ كأنّما نشأ بين الغَبْراء واليَحْموم[2]: نَجْمٌ إذا بدا ووَهْمٌ إذا عَدا[3]، يَسْتقبلُ بغَزالٍ ويَسْتدبِرُ برالٍ ويتحلّى بشِياتِ تقسيماتِ الجَمال[4].... (وفي السرج): بِزّةُ جِيادٍ ومركبُ أجوادٍ[5]: جميلُ الظاهرِ رحيبُ ما بين القادمةِ والآخِر[6]، كأنّما قُدّ من الخُدودِ أديمُه واختَصّ بإتقان

---

(١) التحى الشابّ: ظهرت لحيته.

(٢) الغبراء فرس (مؤنّثة) لقيس بن زهير العبسيّ، وهي (أي الغبراء) خالة داحس (فرس مذكّر). وبسبب داحس والغبراء ثارت الحرب المشهورة باسمها في الجاهلية. واليحموم فرس مذكّر كان للنعمان بن المنذر وكان (أي اليحموم) من نسل الحرون (راجع القاموس ٤: ١٠١، ٢١٣ وتاج العروس-الكويت ١٣: ١٩١). كأنّما نشأ بين الخ: كأنّ أمّه الغبراء وأباه اليحموم.

(٣) وهم (خيال) إذا عدا (ركض): سريع جدّا.

(٤) يستقبل بغزال (أي: رأسه وعنقه كرأس الغزال وعنق الغزال). ويستدبر برال (أي: مؤخّرته تشبه الرال) الرأل: فرخ النعام. - والصورة لم تتضح (بكسر الضاد) لي. الشية: الصفة. تقسيمات (أقسام، أوجه؟).

(٥) بزّة (ثوب) جياد (جمع جواد: حصان أصيل) ومركب أجواد (جمع جواد: كريم، يعطي من ماله).

(٦) رحيب (واسع) القادمة (الجبهة، الرأس، الخ) والآخر (أي طويل الجسم): سرج واسع.

الحبك تقويمُه[1].

- وله في النسيب وفي الغزل:

** كَتَبْتُ ولاعجُ البُرَحاءِ يُملي، ونارُ الشوقِ تَسْتَمْري الدُموعا[2].
ولو نفسي أُطاوِعُها لَقَضَّتْ إليكم، يا أحِبَّتِيَ، الضُلوعا[3]!
** قالتْ- وقد أقبلتُ أَلْثِمُها، والخُرْصُ لا يلوي على الدَهَش-[4]:
أفضَحْتَ نفسَك. قلتُ: واحَرَبا! أأموتُ في غَرَقٍ من العَطَشِ[5]؟

- وقال لمّا تاب وزَهِدَ (وقد شارف الكُهولة):

أمّا أنا فقدِ ارْعَوَيْتُ عنِ الصِبا وَعَضَضْتُ من نَدَمٍ عليَّ بَناني[6].
قاطعتُ نُصّاحي، وربَّ نصيحةٍ جاءوا بها فلججتُ في العِصيان.
أيّامَ أسحَبُ مِنْ ذُيولِ شَبيبتي مَرَحاً، وأعثر في فُضولِ عِناني[7]؛
وأُجِلُّ كأسي أن تُرى مَوْضوعةً، فعلَى يَدي أو في يَدَيْ نَدْماني[8].
أيّامَ أحيا بالغَواني والغِنا وأموتُ بينَ الراحِ والرَيْحان،
في فِتْيَةٍ فَرَضوا اتّصالَ هواهُمُ، فمُناهُمُ دَنٌّ من الأدنان[9].

---

(١) كأنّما قُدَّ (قطع) من الخدود أديمه (جلده): أي ناعم الجلد (كأن الجلد الذي صنع منه بشرة خدود لنعومته). الحبك (النسج، الجدل) تقويمه (مثاله): أي جميل الصورة.
(٢) البرحاء: الشدّة (شدة حرارة الحُمّى)- اللاعج: الهوى المحرق. استمرى: استحلب (جعل الحليب يجري من ضرع الناقة، الخ).
(٣) قضّ فلان الشيء: دقّه وكسّره.
(٤) الخرص (بالكسر): الحلقة (بفتح فسكون) توضع في الأذن. الدهش: الحيرة وتشتّت الفكر. يلوي من الدهش (يجوز هنا في «يلوي» أن تكون على صيغة فعل وعلى صيغة أفعل): الخرص (الذي هو جماد) لا يلوي (لا يميل، لا يتحرك، لا يلتفت) من الدهش (لكثرة قبلاتنا وشدّتها).
(٥) أأموت في غرق من العطش (أأرى مجالاً واسعاً أمامي للتقبيل، ثم لا أقبّل حبيبي؟).
(٦) ارعويت (رجعت، تركت) عن الصبا (أفعال الشباب). عضضت الخ: ندمت.
(٧) حينما كنت أتمتّع بكلّ ما أستطيع بشبابي. وأعثر في فضول (ذيول، زيادة) عناني (رسني): كنت لا أبالي ما أفعل ثم أخطىء وأعاقب بنتائج خطأي.
(٨) أجلّ: أرفع قدر كأسي. الندمان (بالفتح) النديم، وقد تكون للجمع (القاموس ٤: ١٨٠).
(٩) الدنّ: الخابية (للخمر).

هزّتْ عُلاهُمْ أرْيَحِيّـاتُ الصِبـا،   فَهْيَ النسيمُ وهُمْ غُصونُ البـان،
من كُلِّ مخلوعِ الأعِنّـةِ لم يُبَـلْ   في غَيّـِهِ بمَصـارف الأزمـان[1].

٤ - ★★ المغرب ١: ٣٩٦ - ٣٩٧؛ خريدة القصر (الأندلس) ٢: ٤٩٣ - ٤٩٨؛ نفح الطيب ٤: ٣١ - ٣٥، ٧٣ - ٧٥، ٨٦.

ابن ينّق الشاطبي

١ - هو أبو عامرٍ محمّدُ بنُ يحيى بنِ محمّدِ بن خليفةَ الشاطبيُّ المعروفُ بابن يَنّقَ (من الإسبانية إنِيق من اللاتينية أنّيقوس)★، وُلِدَ سَنَةَ ٤٨٢ هـ (١٠٨٩ م).

أخذ ابنُ يَنّقَ عن أبي عليّ الصَدَفيّ ورَحَلَ إلى قُرطبةَ وسَمِعَ من أبي الحسينِ بن سِراجٍ. وكذلك لازمَ أبا العلاء زُهْرَ بنَ زُهرٍ في إشْبيلية وأخذ عنه شيئاً من الطّبّ. وكانت وَفاتُه في آخِرِ سَنَةِ ٥٤٧ هـ (١١٥٣ م).

٢ - كان ابنُ يَنّقَ الشاطبيُّ بارعاً في عددٍ من العلوم مؤرّخاً أديباً ناثراً وشاعراً. ثمّ هو مُصَنِّفٌ له: كتاب الحماسة (كبير) - ملوك الأندلس والأعيان والشعراء فيها - مجموعة خطب (عارض فيها ابن نُباتةَ).

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن يَنّقَ الشاطبيُّ في الغَزَلِ:

وما ظبيةٌ أدمـاءُ تألـفُ وَجْرَةً   تَرودُ ظِـلالَ الضالِ أو أثَلاتِها[2]
بأحسنَ منهـا يومَ أوْمَتْ بلَحْظِها   إلَيْنـا ولم تَنْطِقْ حَذارَ وُشاتِها[3]!

---

(١) مخلوع العنان: مستهتر. لم يبل (لم يبال): لم يهتمّ. مصارف الأزمان (تقلّب أحوال الزمان).

★ راجع نيكل ٢٤٥.

(٢) أدماء: سمراء اللون. وجرة: اسم مكان مشهور بالظباء. ترود (تتجوّل). الضال والأثل: نوعان من الشجر.

(٣) أومت = أومأت: أشارت. حذار (خوف).

- وقال قصيدة في المديح مَطْلَعُها في الشكوى من الزمان ومُداراة الحياة:

حَسْبي من الدهرِ أنَّ الدهرَ يُنْتِجُ لي ... بِكْرَ الخُطوب وأنّي عاثرُ الأمَلِ[1].

دَعْني أُصادِ زماني في تَقَلُّبِهِ، ... فهل سمعتَ بظلٍّ غيرِ مُنْتَقِلِ[2]؟

وكلّما راحَ جَهْماً رُحْتُ مبتسماً ... كالبدر يزدادُ إشراقاً مَعَ الطَفَلِ[3]!

أغرُّ إنْ تَدْعُهُ يوماً لنائبةٍ ... جُلّى، ولا يكْشِفُ الجُلّى سوى جَلَلِ[4].

قد أوسعَ الأرضَ عدلاً والبلادَ نَدًى،

فالرَّوْضُ طَلْقُ الرُبى والشمسُ في الحمل[5].

يرعى الممالكَ من قربٍ ومن بُعُدٍ ... ويأخذُ الأمر بينَ الرَّيْثِ والعَجَلِ[6].

دَعْ عنك ما أحرزتْ يونانُ من حِكَمٍ ... وسارَ من حكماء الفُرْسِ من مَثَلِ

وانظُرْ إليها تَجِدْها أحْرَزَتْ سَبَقاً ... في الجُهْدِ منها، وحاز السبقَ في مَهَلِ[7]!

- وكتب إلى هند جاريةِ أبي محمّدٍ عبدِ اللهِ بنِ مَسْلَمَةَ الشاطبيِّ يدعوها إلى جلسة غناء: (نفح الطيب ٤ : ٢٩٣):

يا هندُ، هلْ لكِ في زِيارةِ فِتْيَةٍ ... نَبَذوا المَحارم غيرَ شُرْبِ السَلْسَلِ[8].

سَمِعوا البلابلَ قد شَدَتْ! فتذكّروا ... نَغَماتِ عُودِكِ في الثَقيلِ الأوّلِ[9]!

(١) حسبي: يكفيني. ينتج: يلد. بكر الخطوب (المصائب): الخطوب التي لم يعرف أحد مثلها قبلي. العاثر (الذي يقع كثيراً في أثناء سيره). عاثر الأمل: قليل الحظّ.

(٢) أصادي: أداري (؟).

(٣) الجهم: العابس. الطفل (بفتح ففتح): ضعف النور قبيل الغروب.

(٤) أغرّ: أبيض (من قوم مشهورين). النائبة: المصيبة. الجلّى: العظيمة (ولا يجوز نعت النكرة باسم التفضيل، كان يجب أن يقول: جليلة مكان جلّى). الجلّى: الأمر الشديد والخطب العظيم. الجلل: (الرجل) العظيم.

(٥) الندى: الكرم. طلق الربى (التلال): مبتسم التلال (بالأزهار). الشمس في (برج) الحمل: في البرج الذي يبدأ به، عند المنجّمين، فصل الربيع (وهو برج السعادة أيضاً).

(٦) الريث: البطء والتأنّي.

(٧) إليها (إلى اليونان والفرس) - حكماء اليونان والفرس نالوا الفوز والنجاح ببذل الجهد (بضمّ الجيم: الكدّ).

(٨) السلسل: ما يجري في الحلق بسهولة (لعلّ المقصود هنا: الخمر).

(٩) شدا: غنّى. الثقيل الأوّل من نقرات العود.

٤ - ** قلائد العقيان ٢١٢ - ٢١٣؛ المغرب ٢: ٣٨٨ - ٣٨٩؛ خريدة (الأندلس) ٢: ٤٨٤ - ٤٨٦؛ طبقات الأطبّاء ٢: ٦٥؛ التكملة ١٩٨؛ معجم ابن الأبّار ١٦٢ - ١٦٣؛ الوافي بالوفيات ٥: ١٩٦؛ بغية الوعاة ١١٢ - ١١٣؛ نيكل ٢٤٥؛ مختارات نيكل ١٦٦؛ جيش التوشيح ١٨٢ - ١٩٦، راجع ٢٦٩ - ٢٧١؛ نفح الطيب ٣: ٥٩٦، ٤: ١٥ - ١٦، ٢٩٣ - ٢٩٤؛ الأعلام للزركلي ٨: ٧ (٧: ١٣٧).

ابن وكيل الأُقليشيّ

١ - هو أبو جعفرٍ (أو أبو العبّاس) أحمدُ بنُ مَعَدِّ بنِ عيسى بنِ وكيلٍ التُّجيبيُّ الزاهدُ - أصلُ أبيه من أُقْليشَ، وهي بلدة قرب طليطلة - ولذلك يعرف بابن الأُقليشيّ. وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) في دانيةَ، وفيها نشأ وبدأ تعلُّمَه: سَمِعَ الحديثَ من أبيه ومن الفقيهِ أحمدَ بنِ طاهرِ بنِ عيسى (المتوفّى في دانية ٥٣٢ هـ) وتتلمذَ له ثمّ رَحَلَ إلى بلنسيةَ فأخذ اللغةَ والنحو والأدب عن عبد الله بن محمّد البَطَلْيَوْسيّ (ت ٥٢١ هـ). ثمّ أخذ عن كثيرين، منهم صِهرُه طارقُ بنُ يعيشَ ومنهم أبو بكرِ بنُ العربيّ وعبدُ الحقّ بنُ عَطيّةَ وأبو العبّاس أحمدُ بنُ العَريف (ت ٥٣٦ هـ).

وبدأ ابنُ وكيلٍ الأُقليشيُّ الإقراءَ والتحديثَ في الأندلس. وفي سَنَةِ ٥٤٢ رَحَلَ إلى المشرق وحَجّ (٥٤٦ هـ) وجاوَرَ في مكّةَ مُدّةً. وعَزَمَ - منذ سَنَةِ ٥٤٧ هـ - على العَوْدة إلى الأندلس، ولكنّه تُوفّي في أثناء عَوْدته - في قوصَ، من صعيدِ مِصْرَ - في رابع رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٤٩ (١٣/ ١١/ ١١٥٤ م) أو في سَنَةِ ٥٥٠ هـ. وقيل كانت وفاتُه في مكّة.

٢ - كان ابنُ وكيلٍ الأُقليشيُّ راويةً للحديثِ عارفاً بالعلوم الشرعيةِ وباللغةِ والنحو والأدب، وكان شاعراً أيضاً له أبياتٌ في الزُهد والحِكمة والوَصْف. ثمّ هو مُصنِّفٌ له كتبٌ منها: الكوكبُ الدُّرّيُّ المُستَخْرج من كلام النبيّ العربيّ (مرتّب على حروف الهجاء) - النَجْمُ من كلام سيّد العُرْبِ والعُجْم[1] (عشرة أبواب عاشرها

(١) المفروض أن يكون بين «النجم» و«العجم» سجع وموازنة (فتح ففتح فيهما أو ضمّ وسكون فيهما...).

أدعية مأثورة عن الرسول) - الدُّرُّ المنظوم فيما يُزيل الغُموم والهموم - أنوار الأثر (أربعون حديثاً في الصلاة على النبيّ) - الأنباء في حقائق (أو شرح) الصفات والأسماء (أسماء الله الحُسنى) - شرح الباقيات الصالحات - أنوار الآثار (في أحاديثِ الرحمة) - ضياءُ الأولياء (في عدّة أجزاء) - محاسنُ المجالس (في التصوّف) - المُعشَّرات (مجموع من شعره في الزهد).

ولابن وكيلٍ الأُقليشيّ شعرٌ قليل منه المقطوعةُ الفائيةُ التي عارضَ بها المقطوعةَ الفائيةَ لابن الفَرَضيّ (ت ٤٠٣ هـ)، وقدِ استعارَ مطلَعَها.

٣ - مختارات من آثاره:

- لابن وكيلِ الأُقليشيّ أبياتٌ في الوصف والأدب منها:

تَتَحـدّرُ العَبَراتُ من أحداقـهِ ... فترَى لهـا في خـدِّه آثـارا.
ولَرُبّما امْتزجَـتْ دماً من قلبهِ ... حتّى كأنّ الدمعَ يطلُبُ ثارا!

** كـان حقّي ألّا أذكّرَ غـيري، ... وأنـا ما كُفِيتُ شَرّي وضَيْري[1].
غـيرَ أنّي برحمةِ الله ربّي ... أرتجي أن يُفيدني[2] كلَّ خير.

- وله أبيات في الابتهال هي[3]:

أسيرُ الخَطايا عنـد بابكِ واقفُ ... لـه في طريق الحقّ قلبٌ مُخالفُ[4].
قديماً عصى عَمـداً وجـهلًا وغِرّةً ... ولم يَنْهَهُ قلبٌ من الله خائف[5].
تزيـد سُنُوهُ وهْوَ يزدادُ ضِلّـةً ... فها هو في ليلِ الضّلالة عاكف[6].

---

(١) الضير: الضرر. - لا حقّ لي في أن أنصح غيري إذا كنت أنا لم أتخلّص مما يضرّ بي.
(٢) يفيدني (ربّي).
(٣) مطلع هذه المقطوعة كمطلع مقطوعة ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) في المعنى نفسه.
(٤) مخالف لطريق الحقّ.
(٥) الغرّة (بالكسر): الغفلة.
(٦) الضلّة: الضلال. العاكف: المقيم على الأمر المثابر عليه (المصرّ).

تَطلَّعَ صبحَ الشيبِ والقلبُ مُظلِمٌ فما طاف فيه من سَنا الحقّ طائف[1].
ثلاثون عاماً قد تولّتْ كأنّها حُلومٌ تقضّتْ أو بروقٌ خواطف[2].
وجاء المشيبُ المُنذرُ المرءَ أنّه إذا رحلتْ عنه الشبيبةُ تالف.
فيا أحدُ الخوّانُ، قد أدبرَ الصبا ونـاداك من سِنّ الكُهولة هاتف[3].
فهل أرّقَ الطَّرْفَ الزمانُ الذي مضى وأبكاه ذنبٌ قد تقدّم سالف[4]؟
فجُدْ بالدموع الحُمْر حُزناً وحَسرةً، فدمعُك يُنبي أنّ قلبَك آسِف.

٤ - النجم من كلام سيّد العرب والعجم، (مطبعة الاعلام) مصر ١٣٠٢ هـ.
تكملة الصلة ٧٤ - ٧٦؛ إنباه الرواة ١: ١٣٦ - ١٣٨؛ الوافي بالوفيات ٨: ١٨٣ - ١٨٤؛ أخبار وتراجم أندلسية ٢٤ - ٢٥؛ بغية الوعاة ١٧١؛ شذرات الذهب ٤: ١٥٤ - ١٥٥ (في وفيات ٥٥٠ هـ)؛ نفح الطيب ٢: ٥٩٨ - ٦٠٠؛ بروكلمن ١: ٤٥٦ - ٤٥٧، الملحق ١: ٦٦٣؛ نيكل ١٢١؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٤٣ (٢٥٩)؛ تاج العروس (الكويت) ١٧: ٢٣٩؛ سركيس ٦٢٨ - ٦٢٩.

ابن السرّاج الشنتريني

١ - هو الشيخُ الأديبُ الإمام الرئيس أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عبدِ الملكِ المعروفُ بابنِ السّرّاج الشَّنْتَريني[5]، سَكَنَ إشْبِيلِيَةَ وأخذَ العربيةَ (النحو) عن أبي عبدِ الله محمّدِ بن خَيْرةَ ابن أبي العافيةِ المُقرئِ النَّحْويِّ الأُمَويِّ (ت ٤٨٧ هـ) وعن عليِّ بنِ عبدِ الرحمن بن الأخضر الإشبيليِّ (ت ٥٤٥ هـ) ورَوَى الحديثَ عن أبي القاسم النَّفْطيِّ ثمّ حدّث عن أبي القاسم بكتاب «المُوَطّأ» (لمالكِ بن أنسٍ).

---

(١) السنا: الضوء. (واستخدم الشاعر «تطلع» متعدية، خطأ).
(٢) الحلم (بالضمّ): المنام (ما يراه النائم). الخاطف (هنا): السريع.
(٣) يا أحد (تجريد: مناداة الإنسان نفسه) الخوّان: المبالغ في الخيانة (لنفسه) والمصرّ على الخيانة. أدبر: تولّى، انقضى، ذهب. الهاتف: صوت يناديك ولا ترى صاحبه.
(٤) هل أرّقت (أسهرت) حوادث الزمان طرفك (عينك): هل أخذت تفكّر في أعمالك السيّئة؟
(٥) نسبة إلى شنترين: مدينة في غربي الأندلس على نهر تاجه شمال إشبونة (لشبونة اليوم، عاصمة البرتغال).

وفي سَنَةِ ٥١٥ هـ (١١٢١ م) رَحَلَ ابنُ السرّاج إلى المَشْرق فنَزَل في مِصْرَ وأقْرأ بها القُرآنَ والنحوَ وحدّث. ثمّ إنّه ذهبَ إلى اليَمَنِ فأقام فيها مُدّةً عاد بَعْدها إلى مِصْرَ حيثُ تُوُفّيَ في رَمَضانَ مِنْ سَنَةِ ٥٤٩ هـ (خَريفِ ١١٥٤ م) في الأغلب.

٢ - كان ابنُ السرّاج الشَنْتَرينيُّ بارعاً في القرآنِ والحديث والفِقْهِ وفي اللُّغة والنحو، أديباً ناقداً. وكان مؤلّفاً، له: المِعيار في أوزان (وزن) الأشعار - الكافي في علم القوافي - تنبيه الألباب على فضائل (فضل) الإعراب (أو تلقيح الألباب في عوامل الإعراب، كما ذكر السيوطي في بغية الوعاة) - اختصار كتاب العُمدة لابن رشيقٍ والتنبيه على أغلاطه (وقد أورده بروكلمن أيضاً باسم جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتّاب) - تقويم البيان لتحرير الأوزان.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابنُ السرّاج الشنترينيُّ في مقدّمة كتاب «المِعْيار في أوزان الأشعار»:

..... إنّ الشِعْرَ لمّا كان ديوانَ العرب المُثَقِّفَ لأخبارِها والمُقَيِّدَ لأوزانِ كلامِها والمُبَيِّنَ لمعاني ألفاظِها والمُنَبِّهَ على آدابِها ومكارمِ أخلاقِها، وكان حُجَّةً نَرْجِعُ إليها في تفسيرِ ما أشْكَلَ من كتابِ الله تعالى ومَفْزَعاً يُلْجأُ إليه في بَيان ما اسْتَبْهَمَ[1] من حديثِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم - رأيتُ أنّ العناية بِمَعْرِفةِ أوزانه مُهِمَّةٌ في الدين، مُتَعَيِّنَةٌ[2] على كافّةِ من يقومُ بها من كافة[3] المسلمين. (ذلك) لأنّ الجهلَ بالوزنِ يُؤدّي إلى تغيير اللفظ بتحريكِ ساكنٍ أو إسكانِ مُتَحَرِّكٍ أو تخفيف مشدّدٍ أو تشديد مُخففٍ، وذلك يُبْطِل الثِقَةَ بكَلِماتِه ويمنعُ الاستشهادَ بلُغاته[4] لِتَعَرُّضِها للاحتمالِ عند من يجهَلُ الوزنَ. وما كانَ هذا سبيلَه[5] فلا يجوزُ الاستدلالُ به إذْ ليس أحدٌ

(١) استبهم: كان معناه غامضاً.

(٢) متعيّن: واجب على شخص بعينه.

(٣) يقال: على المسلمين كافّة، لا «على كافّة المسلمين». متعيّنة على...: هذه الحجّة (البراعة في الشعر) واجبة على كلّ من يشتغل بتفسير القرآن الخ.

(٤) اللغات: الكلمات التي للمعنى الواحد فيها صيغ مختلفة.

(٥) ما كان هذا سبيله: ما كانت ألفاظه تحتمل أوجهاً مختلفة من الصيغ والتهجئة.

مُحْتَمَلاتِه بأوْلَى بِهِ من الآخَر...

٤ - المعيار في أوزان الأشعار (تحقيق محمّد رضوان الداية)، بيروت (دار الأنوار) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م؛ بيروت (المكتب الإسلامي) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م (على الغلاف الخارجيّ: ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.

- الكافي في علم القوافي (مطبوع مع الكتاب السابق).

** الوافي بالوفيات ٤: ٤٦؛ بغية الوعاة ٦٨؛ البلغة في أئمة اللغة ٢٣٢ - ٢٣٣؛ نفح الطيب ٢: ٢٣٨؛ بروكلمن ١: ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٠ و١٢٨ (٦: ٢٤٩)؛ معجم المؤلفين لكحالة ١٠: ٢٥٨.

يونس بن عيسى المرسي

١ - هو أبو الوليدِ يونُسُ بنُ عيسى[١] المُرسيُّ الخبّازُ، أصلُه من مُرْسِيَةَ لا نعلَمُ له مَشْيَخَةً، ولكن نَجِدُ في «المُطرب»[٢] أنّ محمّدَ بنَ أبي العافيةِ[٣] قدْ قرأ عليه. ولَعلّ وفاتَه كانتْ في أواسط القرنِ السادسِ (أواسط الثاني عَشَرَ للميلاد).

٢ - كان يونُسُ بنُ عيسى المرسيُّ أديباً عِصاميًّا ثَقّفَ نفسَه وقال شِعراً جيّداً ومُوشّحاتٍ كِثاراً فيها براعةٌ. وربّما شبّهوه بالخُبْزِ أرْزِيّ[٤] أو بالخَبّازِ البَلَديّ[٥]. قال فيه لِسانُ الدين بنُ الخطيب: «عَذُبَ سَبْكُهُ وراق ترصيعُه وحَبْكُه، مَعَ طَبْعٍ في نَظْمِ الكلامِ سَيّالٍ وإلى الإحسان ميّالٍ.... وهو في الأندلس شِبهُ الخُبْزأرزيّ في المَشْرق..... والذي حَداه[٦] إلى الاختراع والتوليد وأقْدَمَه على الابتداع وتَرْكِ التقليد ذكاءٌ أرهَفَ فُؤادَه.......».

(١) في المطرب (الخرطوم ٨٥): يونس بن أبي عيسى.
(٢) المطرب ٨٥.
(٣) انظر الكتندي (محمد بن عبد الرحمن الشاعر) تحت (ت ٥٨٣ هـ).
(٤) جيش التوشيح ١٣٥. والخبزأرزيّ هو أبو القاسم نصر بن أحمد البصري (ت ٣٢٧ هـ) انتقل إلى بغداد. وكان خبّازاً. وله شعر حسن. راجع الجزء الثاني ص ٤٣٠ - ٤٣١.
(٥) راجع تعليق في جيش التوشيح، ص ٢٥٧.
(٦) راجع هذا النصّ في جيش التوشيح ١٣٥. - الأصوب أن يقال حدا به: يقال عادة: حدا الجمل (ساقه) وحدا براكبه.

٣ - مختارات من شعره:

- قال يونُسُ بنُ عيسى من قصيدةٍ يمدَحُ بها فاضلًا من أهلِ مُرْسيَةَ انتقل إلى المَريّةِ واسمُهُ ابنُ الأسود:

كم سامعٍ غزَلي يقولُ تَعَجُّباً أتَجَدّدَتْ خُلُقُ الصبا في يونُسٍ؟
لا، والذي خصّ ابنَ أسودَ بالعُلا، ما أصبحَتْ أثوابُها من مَلْبَسي.
لا غروَ أنْ تُضحي المَريّةُ دارَه، وتفوزَ مُرْسِيَةٌ بحظٍّ أنفَسِ[1]:
فبمكّةٍ نشأ النبيُّ محمّدٌ؛ واختُصَّ بالمِعراجِ بَيْتُ المَقْدسِ[2].
لولا الذي أحْرَزَتْهُ من هَيْبةٍ لاهتزَّ من طَرَبٍ جِدارُ المجلسِ!

- وقال في الرثاء:

كلُّ كَمالٍ إلى مُحاقِ وكلّ جَمْعٍ إلى افتراقِ[3].
سَجِيّةُ الدهرِ شَتُّ شَمْلٍ، وما سِواه فعَنْ وِفاقِ[4].
أينَ ثوى آدمٌ ونوحٌ والمُصطفى صاحبُ البُراقِ[5]؟
إنْ قيل: إنّ السُمُوَّ يُجْدي! فلْيَدُمِ البَدْرُ في اتّساقِ[6].
للهِ ما تَحمِلُ المَطايا من نَعْيِكَ اليومَ في الرِفاقِ[7]!

- وقال يزعُمُ أن إقبال الدنيا على الإنسان يُغْنيه عن الشّباب:

---

(١) بحظّ أنفس: أغلى (لأنّها مولده).

(٢) بيت المقدس: القدس. المعراج: انتقال الرسول بالإسراء من مكّة إلى القدس ثمّ بالمعراج (بالرقيّ) إلى السماء).

(٣) المحاق: امّحاء القمر في آخر الشهر (نقص، موت).

(٤) سجيّة: طبيعة. شتّ: تفريق. وما سواه (دوام الاجتماع) عن وفاق (اتّفاقاً، شذوذاً، نادراً أو «صدفة»).

(٥) ثوى: استقرّ، بقي (ثوى في قبره). المصطفى: محمّد رسول الله. البراق: دابّة أصغر من الحصان عظيمة السرعة ركبها الرسول في المعراج (راجع فوق).

(٦) السموّ: العلوّ. يجدي: ينفع (يحمي من النقص والموت). ليدم البدر (ليبق) في اتّساق (على حال واحدة من الكمال، كما يرى في وسط الشهر).

(٧) - خبر موتك كان شديداً على رفاقك.

إذا أيّـــامَ دَولتِـــك استمرت عــلى شيء فلا رجع الشّباب.
فَيُطرِبُـــنِي الحَمامُ إذا تغنّـــى، ويُشجِيـــني إذا نَعَبَ الغُراب.

- وله من موشّحة:

مَنْ لي بَظبْيٍ رَبيبْ * يَسْطو بأسْدِ الغِياضِ * لوى بِدَيْنِيَ لَمّا * أمَّلْتُهُ للتَقاضي[1].

* * *

جَعَلْـــتُ حَظِّيَ منـــهُ بَـــينَ الرجـــا والتَمنّي.
لم أُظْهِرِ اليـــأسَ عنـــه لَمّـــا أطـــال التَجَنّي[2].
بـل قُلْـتُ: يـا قلـبُ، صُنْـهُ لَدَيْـــكَ عن سوءِ ظَنّي[3].

وأنـتِ،يانفسُ،ذُوبي*ويامُطيلَاعتراضِ *نَفِّذْباشِئْتَحُكْماً*إنّي بحُكْمِـكَراضِ .

* * *

مــا حــالُ قلــبٍ لديــكَ لا تَنْقَضي حَسَراتُـــــهْ،
يشكو جَواه إلَيْـــــكَ وليس تُجْـــدي شَكاتُـــهْ[4].
مَهْـــــلًا، ففي راحَتَيْـــكَ حياتُـــــهُ ومَماتُـــــهْ.

يامُمْرِضي وطَبيبي * بِفِيكَ بُرْءُ المِراضِ * ومنك قد ذُبْتُ سُقْماً * فَلْتَقْضِ ما أنت قاض[5]

* * *

(١) الربيب: (في الأصل) المربّى عند غير أبويه (المدلّل - إذ يجب أن يكون محبوباً جدًّا حتّى يربّيه غيرُ والديه). يسطو: يبطش. الغيضة: مكان فيه شجر ملتفّ (كثيف). لوى الدين (بفتح الدال): مطله (حاول ألّا يفيه، أنكره). أمّلته للتقاضي: رجوت أن يحكم في أمري بالحقّ (أو بالعطف).

(٢) التجنّي: نسبة جناية (ذنب) إلى من لم يأتها. * الحمام: الشعر الابيض. الغراب: الشعر الأسود.

(٣) صان: حفظ. من سوء ظنّي (من أن يصدق سوء ظنّي فيه).

(٤) الجوى: شدّة العشق التي تحول بصاحب العشق إلى الحزن والمرض. تجدي: تنفع. الشكاة: الشكوى.

(٥) بفيك: في فمك (ريقك). برء: شفاء. المراض: المرضى (جمع مريض ومريضة). فلتقض.... (افعل ما تريد). في القرآن الكريم (٢٠: ٧٢ طه): «قالوا: لن نؤثرك على ما جاءنا من البيّنات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض، إنّما تقضي هذه الحياة الدنيا» - (لن نسمع منك ونترك ما جاءنا من الله من قول الحقّ. فاحكم بما تريد لأنّ حكمك لا ينفذ إلّا في هذه الدنيا الفانية. أمّا الحكم الثابت الدائم فهو في الآخرة ويكون لله وحده).

- وله أيضاً من موشحة:

برّحَ بي الهوى في اشتياقي ★ فكم أذوبْ ★ وهذه النفسُ في التراقي ★ هلْ من طبيبْ[1]!

★ ★ ★

اللهُ! يـــا مَنْ بـــهِ أهـــيمْ،
فَعِنْـــدِيَ المُقْعِـــدُ المُقـــيمْ[2].
مَنْ رامَ يَسْلو فـــــــلا أريمْ[3].

هـذا غرامي عَلَيْكَ باقٍ ★ عَسى يَثوبْ ★ لا عَذّبَ اللهُ بالفِراقِ ★ غيرَ الرقيبْ[4]

★ ★ ★

يـــا شَدَّ في الحُـــبِّ مـــا لَقيـــتُ[5]:
دُهِيـــتُ فيـــه بمـــا دُهيـــتُ[6].
إنْ قُلْـــتُ ألحاظُـــهُ تُميـــتُ،

ففي الطُّلا منه والتَّراقي ★ مَحيا القلوبْ ★ لا شيءَ أشهى مِنَ العِناقِ ★ إلى الكئيـــبْ[7].

★ ★ ★

هِنـــدُ - وإنْ شَفَّ حُـــبُّ هِنـــدِ[8] -

---

(١) برّح بي: آذاني اشتدّ عليّ. الترقوة: عظمة في أعلى الصدر (وهما ترقوتان). بلغت النفس التراقي: أشرف صاحبها على الموت.

(٢) المقعد المقيم: الهمّ العظيم (الذي يجعل الإنسان يقوم ويقعد: حائراً في ما يجب عليه أن يفعل).

(٣) رام: أراد. سلا يسلو: ينسى، يتسلّى (عن همومه). رام يريم: ترك، بارح. - أنا لا أريد أن يذهب عنّي عذاب الحبّ.

(٤) ثاب يثوب: رجع. - عسى أن يرجع إليّ حبيبي (يرجع إلى العطف عليّ!).

(٥) يا شدّ (ما أشدّ).

(٦) دهي بالشيء: أصيب به (بمصيبة).

(٧) الطلا جمع طلاة (بالضمّ): العنق، جانب العنق. الترقوة: عظم في أعلى الصدر.

(٨) شفّ: أنحل (أسقم، أمرض).

بَـــــذرُ غَرامي وسِرُّ وَجْـــــدي[1]،
وإنْ عَـــــدا حُبُّهـــــا .وبُعْـــدي[2] .
عسى خِلالَ الذي أُلاقي * مِنَ الوَجيبْ * أنْ يسمَحَ الدهرُ بالتلاقي * عمّا قريـــــبْ[3] .

* * *

من غـــــابَ في العيـــدِ عن حَبيبِـــــهْ
وجــــــاء في ثوبـــــهِ وطِيبـــــهْ
فَشَدْوُهُ يُظْهِرُ الــــــذي بِـــــــهْ[4] .
ما العيدُ في حُلّةٍ وطاقٍ * وشَمِّ طِيبْ * وإنّما العِيدُ في التّلاقي * مَعَ الحبيبْ[5].

٤ - ** جيش التوشيح ١٣٥ - ١٤٦ (راجع ٢٥٧ - ٢٥٨).

الحجاري صاحب « المُسهِب ».

١ - هو جاحظُ المَغْرب (المغرب ٢ : ٣٥) وحافظ الأندلس (نفح الطيب ٢ : ٣٢٩) أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ بنِ أبي إسحاقَ إبراهيم[6] بن وزمر[7] الصِنهاجيُّ

---

(١) الوجد: شدّة العشق.

(٢) عدا حبّها (جاوز الحدّ في تعذيبي). يعدي: يصيب بالمرض. حبّها انتقل إليّ كأنّه مرض (لم أستطع أن أتجنّبه).

(٣) الوجيب: خفقان القلب (من الاضطراب).

(٤) إنّ المحبّ لو شدا (غنّى) لظهر ما به (من الحزن) في غنائه .

(٥) الحلّة: الثوب الجميل. الطاق: الطيلسان (ثوب ثمين من حرير).

(٦) سمّي والده باسم جدّه، لأنّ والده ولد بعد موت جدّه بقليل.

(٧) اسم والد جدّه ولقبه «وزمر» (بضمّ الميم، وربّما بتشديد الزاي) ممّا يدل على نسبه في البربر (راجع المغرب ٢ : ٣٣؛ نفح الطيب ٤ : ١٢٣).

وكان جدّه أبو اسحاق ابراهيم بن وزمر أديباً شاعراً (راجع المغرب ٢ : ٣٣ - ٣٤). وكذلك كان عمّه أبو محمّد عبد الله (وكنيته واسمه ككنية صاحب الترجمة واسمه) أديباً شاعراً أيضاً (المغرب ٢ : ٣٤).

الحِجاريُّ - نِسْبَةً إلى وادي الحجارة - وقد كانَ مولده في مدينة الفرج (أو وادي الحجارةِ نفسها: على نحوِ سِتّين كيلومتراً من مدريد شرقاً في شمال)، وذلك نحو سَنَة ٥٠٠ (١١٠٦ - ١١٠٧ م). ولقد نشأ الحِجاريُّ في أُسْرةٍ عُنِيَ أفراد منها بالأدب وآشتهروا به.

سَكَن آلُ الحجاري في سَرَقُسْطَةَ ثم آضطُرّوا إلى مغادرتها لمّا آستَوْلى عليها الإسبان، سَنَةَ ٥١٤ (١١١٩ م) فآنتقلوا - فيما يبدو - إلى بَلَنْسِيةَ (راجع المغرب ٢ : ٣٠٨). ثم سَكَنَ الحِجاريُّ نفسُه في شِلْبَ (في الجنوب الغربي من الأندلس - جَنوبيَّ البُرتُغال اليومَ)، ولكنِ آنتقل مُدة إلى غَرْناطةَ فأقرأ فيها البلاغة.

في سَنَة ٥٣٠ (١١٣٦ م) وَفَدَ الحجاريُّ على القائد عبدِ الملك بن سعيد مادحاً - وكان عبد الملك صاحبَ قلعةِ يَحْصِبَ[1] - فحاولَ الحُجّابُ أن يحولوا بينه وبين الدخول على عبد الملك لِزِيّه البَدْوِيّ[2]. ولكنه آستطاع الدخولَ على عبد الملك ونال عنده حُظْوةً. ورأى عبد الملك سَعَةَ معرفةِ الحِجاريّ بتاريخ الأندلس وبأدبها فَرَغِبَ إليه في أن يُصنِّفَ له كتاباً يضُمّ مختاراتٍ للبارعين من شُعراء الأندلس. فآستقرّ الحجاريُّ عند عبد الملك نحو عامين(٥٣٠ - ٥٣٢ هـ) ألّف له في خِلالها كتاب «المُسْهِب».

وفي سَنَةِ ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) غادر الحِجاريُّ قلعةَ يَحْصِبَ - مَعَ أنّ عبدَ الملكِ ابنَ سعيدٍ كان قد بالغَ في إكرامه - مُتَعَلّلا بأنّ نفسه توّاقةٌ إلى التنقّل والرِحْلة، وقَدِمَ على المستنصر بن هود في رُوطةَ (قُرْبَ سَرَقُسْطة). واتّفق أنّ المستنصر كان في ذلك

---

(١) بنو سعيد أسرة يمنية الأصل جاء أوّلهم مع جيش الفتح (مع طارق بن زياد)، ونزلوا منذ ذلك الحين قرب غرناطة في قلعة تدعى قلعة أسطلير فعرفت باسم «قلعة يحصب» (نسبة إلى قبيلة بني سعيد اليمنيّة) ثم اشتهرت باسم «قلعة بني سعيد». وفي الزمن الذي جاء فيه الحجاريّ إلى عبد الملك بن سعيد كان عبد الملك هو المتولّي للقلعة وكان يدين بالطاعة لعليّ بن يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). - راجع نفح الطيب (٢: ٢٧٠، ٣٢٩، ٣٣٠). القائد (هو الوالي على مقاطعة - ولا تزال هذه الكلمة تستعمل بهذا المعنى في المغرب إلى اليوم). ويحصب بفتح الياء وكسر الحاء.

(٢) راجع نفح الطيب ٤ : ١٣٢. - وكان الغالب على ما حول وادي الحجارة البداوة في طبيعة الأرض وفي عادات السكّان (راجع نفح الطيب ١ : ٣٤٣).

الحين خارجاً في غَزْوة إلى أرض نِبرّه (على مَقْرُبة من حدودِ بلادِ الفَرَنْجة على البحر) فرافقه الحِجاريّ. انهزمَ ابنُ هود في هذه الغزوة ووقع الحِجاريّ في الأسر. واستنجد الحِجاريّ بابن هود لِيَفْتَدِيَهُ فلم يفعلِ ابنُ هود ذلك. ثـمّ استنجدَ بعبدِ الملك بن سعيد فافتداه، فكان بذلك « طليق آل سعيد ».

ويبدو أنه في تلك الفترة- بعدَ تأليف كتاب « المُسْهِب » ومغادرةِ قلعةِ يحصبَ كَثُرَ تطوافُ الحِجاريّ في عددٍ من المُدُنِ الأندلسية: كان في باغةَ من كورة إلبيرةَ (نفح الطيب ٢: ١٥٥) ثم في أماكنَ أُخرى، كما نجد في كتاب « المغرب »: في لُوشة (٢: ١٥٨) ولورَقة (٢: ٢٧٥) وغَرْناطة (٢: ١٦٠).

ولعلّ وفاةَ الحجارِيّ[1] صاحبِ « المُسهِبِ » كانتْ نحو سَنَةِ ٥٥٠ (١١٥٥م) أو بَعدَ ذلك بقليلٍ.

٢- كان الحِجاريُّ أديباً بليغاً وناظماً ناثراً ومن ذَوِي البراعة في التصنيف (راجع المغرب ٢: ٣٥). وشِعرُه مدحٌ وخمرٌ وغَزَلٌ ووَصْف. ولكنّ نثرَهُ وتَصْنيفَه أعلى مرتبةً من شعره. ثـمّ إنّه كان ناقداً. ومَعَ أنّ النقدَ كان قدِ ارتقى، في ذلك الحينِ في الأندلس، فإنّ نقدَ الحِجاريّ ظلّ بِدائياً يَقِفُ عند اللفظةِ أو عندَ البيتِ أو عندَ القصيدة. وأكثرُ أحكامِه تجري في جُمَلٍ لفظيّةٍ عاطفية مَعَ كثيرٍ من المبالغة. فَمِنْ وُجوهِ نَقْدِه:

★ قال عن يحيى بنِ سَهْلٍ اليكّي (المغرب ٢: ٢٦٦): هو ابنُ روميٍّ عَصْرِنا وحُطَيئةُ دَهرِنا، لا تُجيدُ قريحتُه إلاّ في الهِجاء ولا تنشَطُ به في غيرِ ذلك من الأنحاء.

---

(١) في « تاريخ الفكر الأندلسيّ » (ص ٢٧٢) أنّ مولده كان سنة ٤٩٩ وأنّ وفاته كانت سنة ٥٤٩. وقال نيكل (ص ٢٦٣) إنّ الحجاريّ تُوُفّي سنة ٥٥٠ (١١٥٥ م) قبل ابن قزمان (الأصغر) بخمس سنوات. وقد اخترت أن أعتمد قول نيكل لتدقيقه في مثل هذه الأمور ولأنّه أكّد قوله بمقارنة بين وفاة الحجاري ووفاة ابن قزمان. ونيكل هو الثقة في بحوث ابن قزمان. وذكر خير الدين الزركلي مثل ذلك (الأعلام ٤: ١٨٧). وكذلك نسب الزركلي إلى الحجاري هذا كتاب « الحديقة في البديع » مع أنّ « الحديقة في البديع » (وهي كتاب في فنّ البديع من فنون البلاغة) لعمّه الأديب أبي محمّد عبد الله (المغرب ٢: ١٣٤؛ نفح الطيب ٥: ٥٧٢، راجع ٥٧١).

★ وقال... (المغرب ٢: ٣١٥): له نظمٌ أرقُّ من دَمْعة مَهْجورٍ تُدار عليكَ بِهِ صافيةُ الخُمور.

★ وقال في ابن الزَقّاق (المغرب ٢: ٣٢٣):... من فِتْيانِ عصرِنا الذين ٱشتهرَ ذِكْرُهم وطار شِعْرُهم. وهو جديرٌ بذلك، فَلِشِعْره تعشُّقٌ بالقلوب وتعلُّقٌ بالسَمْع[1]. وأعانه على ذلك مَعَ الطَبْعِ القابل كونُهُ ٱستمدَّ من خالِه أبي إسحاقَ بنِ خَفاجةَ ونَزَعَ مَنْزِعَه[2].

★ وقال.... (المغرب ٢: ٤٠٥): كاتبٌ بليغُ الكتابةِ كثيرُ الإصابة.

★ وأطنب الحجاريُّ في الثناء على ابنِ شَرَفٍ القيرواني، وعظّمه في الشعر بقولِهِ في ٱبْنِ صُمادِحٍ:

لم يَبْقَ للجَوْرِ في أيّامِكم أثرٌ   إلّا الذي في عُيونِ الغِيد من حَوَرٍ[3].

★ ولما قالَ عبدُ الرحمنِ المُسْتَظْهِرُ من أبياتٍ له:

ونجومُ الليلِ تَحْكي   ذَهَباً في لازَوَرْدِ[4].

قال الحِجاريُّ: لو قال «لُؤْلُؤاً في لازوردِ» لكانَ أحسَنَ تشبيهاً (نفح الطيب ١: ٤٣٦).

★ وقد قدّم الحِجاريُّ صاعداً اللُّغَويَّ البَغْداديَّ بقوله: (نفح الطيب ٣: ٩٦):

كأنّ إبريقَنا والراحُ في فَمِهِ   طيرٌ تناول ياقوتاً بِمنقار.

ويُكْثِرُ الحِجاريُّ عند النقد من المبالغة من مِثْل قولِهِ (المغرب ٢: ٤٠ و٣٦٧):

★ أبو تَمّامٍ غالبُ بنُ رَباحٍ المعروفُ بالحَجّام «شاعرُ القَلْعة الذي نَوّهَ بِقَدْرِها ورفع من فَخْرِها، لا أُحاشي حديثاً ولا قديماً ولا أخُصُّ لئيماً ولا كريماً».... وأبو

---

(١) تعشّق: التصاق. تعلّق بالسمع (حفظ سهل دائم).

(٢) نزع منزعه (سار على طريقه).

(٣) الجور: الظلم. الحوَر: اشتداد بياض العين واشتداد سوادها.

(٤) لازورد: لون أزرق مائل إلى الحمرة (بنفسجيّ قاتم).

إسحاقَ إبراهيمُ بنُ خَفاجَةَ « هو اليومَ شاعرُ الجزيرةِ، لا أَعْرِفُ فيها شَرْقاً ولا غَرْباً نَظيرَه ».

٣ - مختارات من آثاره:

- قرطبة (نفح الطيب ١ : ١٥٣) من « المسهب »:

كانت قُرطُبةُ في الدولة المَرْوانية[١] قُبّةَ الإسلام ومجتمعَ أعلامِ الأنام، بها ٱستقرّ سريرُ الخِلافة المروانية وفيها تَمَخّضتْ خُلاصة القبائل المَعَدّية واليمانية[٢]، وإليها كانتِ الرِحلةُ في الرِواية، إذ كانتْ مركزَ الكُرَماء ومَعْدِنَ العُلماء[٣]. وهي من الأندلس بمَنزِلة الرأسِ من الجسد. ونهرُها من أحسنِ الأنهار مُكْتَنَفٌ بدِيباجِ المُروجِ[٤] مُطرّزٌ بالأزهار، تصدَحُ في جَنَباتِه الأطيار وتَنْعَرُ النواعيرُ ويَبْسِمُ النُّوّارُ[٥]. وقُرْطاها الزاهرةُ والزَهْراء حاضِرَتا المُلك وأُفُقا النَعْماء والسرّاء[٦]. وإنْ كان قد أَخْنى عليها الزمانُ وغيّر بَهْجَةَ[٧] أوجُهِها الحِسانِ، فتلك عادتُه - وسَلِ الخَوَرْنَقَ والسديرَ وغُمْدانَ[٨] - وقد أعْذَرَ (الزمانُ) بإنذارِه إذ لم يَزَلْ يُنادي بصُروفِه[٩]: لا أمانَ، لا أمانَ. وقد قال الشاعر:

وما زِلتُ أسمَعُ أنّ المُلو ... كَ تَبْني على قَدْرِ أخْطارِها[١٠].

---

(١) الدولة المروانية: دولة بني أمية في الأندلس.

(٢) تمخّضت: صَفَتْ (أصبحت صافية). المعدّية (من معدّ): عرب الشمال. اليمانية: عرب الجنوب.

(٣) في الرواية (أخذ العلم والأخبار). المعدن: الأصل. المصدر.

(٤) مكتنف: محاط. ديباج: (هنا): اللون الأخضر (النبات الكثير).

(٥) نعر: صاح، صوّت، غرّد، غنّى. النّوّار جمع نوّارة (بالضمّ): زهرة.

(٦) القرط (بالضمّ): حلية تعلّق في الأذن. الزاهرة (مدينة بناها المنصور بن أبي عامر لتكون مركزاً لدولته ومسكناً لرجالها). والزهراء (مدينة بناها عبد الرحمن الناصر...). النعماء (النعمة) والسرّاء (السرور).

(٧) أخنى عليها الزمان (طال عليها وأهلك أهلها). البهجة: الحسن وتلألؤه.

(٨) الخورنق والسدير (قصران في العراق) وغمدان (قصر في اليمن) وصفت كلها بالعظم والجمال.

(٩) أعذر: أصبح له عذر (لا لوم عليه - لأنّه كان صريحاً في تنبيه الناس إلى عواقب الأمور). صرف (بالفتح) الزمان: الحادث، المصيبة.

(١٠) الخطر (بفتح ففتح): الشرف والمكانة.

- ابنُ بَسّامٍ الشَنْتَرِينيُّ (المغرب ١ : ٤١٧ - ٤١٨) من « المُسْهِب »:

العَجَبُ أنّه لم يكن في حِساب الآدابِ الأندلسية أنّه سَيُبْعَثُ مِنْ شَنْتَرِينَ قاصيةِ المَغْربِ ومَحَلِّ الطعنِ والضرب[١] مَنْ يَنْظِمُها قلائِدَ في جِيد الدهر ويُطْلِعُها ضرائرَ للأَنْجُمِ الزُهْر[٢] -. ولم ينشأْ بحَضْرةِ قُرطُبَةَ ولا بحضرةِ إشبيلِيَةَ ولا غيرِهما من الحواضر[٣] العِظامِ من يمتَعِضُ امْتَعاضَه لأعلامِ عصرِهِ ويَجْهَدُ في جَمْعِ حَسَناتِ نظمهِ ونَثْره. وسَلِ « الذخيرةَ » فإنّها تُعَنْوِنُ عن محاسِنه الغَزيرة[٤].

- وقال في وَصْفِ بَلَنْسِيَةَ (المغرب ٢ : ٢٩٧):

مَطِيبُ الأندلُسِ ومَطْمَحُ الأعيُنِ والأنفُس. قد خَصّها الله بأحسنِ مكانٍ وحَفّها بالأنهار والجِنان. فلا ترى إلّا مِياهاً تتفرّعُ، ولا تَسْمع إلّا أطْياراً تَسْجَعُ، ولا تَسْتنشقُ إلّا أزهاراً تَنْفَح، وما أجَلْتَ لَحْظاً بها في شيءٍ إلّا قُلْتَ: هذا أمْلَحُ! ولها البُحيرةُ التي يزيدُ في ضياء بَلَنْسِيَةَ صَحْوُ الشمسِ عليها. ويُقال إنّ ضوءَ بلنسيةَ يزيدُ على ضوء سائرِ بلادِ الأندلس؛ وجَوُّها صقيلٌ أبداً لا ترى فيه ما يُكَدِّرُ خاطِراً ولا بَصَراً، لأنّ الجَنّاتِ أحْدَقَتْ بها فلم يَثُرْ بأرْجائها تُرابٌ من سَيْرِ الأرجُلِ وهبُوب الرياح فيُكَدِّرَ جَوَّها. وهَواؤها حَسَنٌ لتَمَكُّنها من الإقليم الرابع* وأخْذِها من كلِّ حُسْنٍ بنصيب. ولها البحرُ على القُرْب والبرُّ المُتّسِعُ. وحيثُ خرجتَ من جهاتِها لا تَلْقى إلّا مَنازهَ ومسارِحَ، ومن أبْدعِها وأشْهرِها الرُصافةُ ومُنْيَةُ ابنِ أبي عامرٍ. وهي

---

(١) محلّ الطعن (بالرماح) والضرب (بالسيوف): بلد الاضطراب والحرب.

(٢) ينظمها = ينظم الآداب. القلائد: العقد يلبس في العنق. الضرّة (بالفتح): الزوجة الثانية (المنافسة، المبارية). الزُّهْر: اللامعة.

(٣) الحاضرة: البلد الكبير، العاصمة.

(٤) امتعض: غضب، شقّ، (كره)؟؟ يقصد: اهتمّ، واعتنى. الذخيرة= « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » (كتاب ابن بسّام الشنتريني). عَنْوَنَ عن (كشف، دلّ على). الغزير: الكثير.

(*) كان القدماء يعتقدون أنّ القسم المسكون من الأرض إنّما هو نصفها الشماليّ (من خطّ الاستواء الى القطب الشمالي). وقد قسموا هذا النصف الشماليّ من الأرض سبعة أقاليم، فكان الاقليم الرابع الذي في وسط هذه الأقاليم « أعدل بقاع الأرض » عندهم. -لتمكّنها من الاقليم الرابع (لوجودها في وسط الاقليم الرابع).

مدينةٌ مُتَمَكِّنَةُ الحضارةِ جليلةُ القدرِ.

- مَقاطِعُ مِنْ آثارِ الحِجاريِّ صاحبِ «المُسهِب» (من كتاب «المغرب»):

★★ كانَ ألزمَ للكأسِ من الأطيارِ للأغصانِ، وأولَعَ بها من خَيالِ الواصلِ بالهِجران (١ : ٨٥).

★★ وقال في أبي بكرٍ محمّدِ الأعمى المخزوميِّ(١) (١ : ٢٢٣): بشّارُ(٢) الأندلُسِ انطباعاً ولَسَناً وأذاةً(٣). وَهُوَ الذي أحيا سِيرةَ الحُطَيْئَةِ(٤) بالأندلُسِ فَمُقِتَ(٥). وكان لا يسلَمُ من هَجْوِهِ أحدٌ: ولا يزالُ يَخْبِطُ الآفاقَ بعصاهُ، ويَقَعُ في من أطاعَه وعَصاه(٦). وأصلُه من المدوَّرِ، وفرّ إلى قُرْطُبةَ. ثمّ جال على البُلدان وأكثرَ الإقامة في غرناطة وتعرّض لشاعرتها نَزهونَ وهَجاها......

★★ مُرْسِيَةُ أُختُ إشْبِيلِيَةَ: هذهِ بستانُ شرقِ الأندلُسِ، وهذه بستانُ غَرْبِها. قد قَسَمَ اللهُ بَيْنَهُما النهرَ الأعظمَ(٧) فأعْطى هذه الذِراعَ الشرقيَّ وأعطى هذه الذِراعَ الغربيَّ. ولمُرْسِيَةَ مَزِيَّةُ تَيْسيرِ السُقْيا منه. وليستْ كذلك إشبيليةُ، لأنّ نَهْرَ مُرسِيةَ يركَبُ أرْضها، وإشبيليةُ تركَبُ نَهْرَها(٨). ولِمُرسِيَة فضلُ ما يُصْنَعُ فيها من أصنافِ الحُلل والديباج، وَهِيَ حاضرةٌ عظيمةٌ شريفةُ المَكانِ كثيرةُ الإمكان(٩) (٢ : ٢٤٥).

---

(١) كان شاعراً زكيًّا، ولكنه معروف بالهجاء، مقذع في القول توفّي بعد ٥٤٠.

(٢) كان بشّار بن برد شاعراً أكمه (أعمى منذ الولادة)، بارعاً في فنون الشعر وأنواعه، شديد الهجاء (ت١٦٧).

(٣) الانطباع (هنا): الطبع في قول الشعر. اللسن: الفصاحة.

(٤) الحطيئة: شاعر إسلامي شديد الهجاء (ت ٥٩).

(٥) مقت: كره.

(٦) يخبط (يضرب) الآفاق (أطراف البلاد): يتطوّف في الأرض. وقع فلان في فلان: قال فيه قولاً قبيحاً.

(٧) الوادي (النهر) الكبير: نهر قرطبة.

(٨) يركب أرضها: يجري إليها من أماكن أعلى منها. إشبيلية تركب نهرها: تقوم على أرض أعلى من مستواه.

(٩) حاضرة: بلد السلطان (عاصمة). كثيرة الإمكان: ذات مرافق (أوجه للمعيشة والإدارة) كثيرة.

- وَفَدَ الحِجاريُّ على عبدِ الملك بنِ سعيدٍ يمدحُه (٢: ٣٥ - ٣٦؛ نفح الطيب ٤: ١٢٤) فقال:

عَلَيْكَ أحالَني الذِكْرُ الجميلُ فَجِئْتُ ومِنْ ثَنائِكَ لي دليلُ.
(.................. فصحَّ العزمُ واقْتُضِيَ الرحيل[١])
ووَدّعتُ الحبيبَ بِغَيْرِ صبرٍ ولم أسمعْ لِما قال العَذول[٢].
وأسْبَلْتُ الظلامَ عليَّ سِتراً، ونَجْمُ الأفْقِ ناظرُهُ كَليل[٣].
ولم أشْكُ الهجيرَ وقد دعاني إلى أفْيائِكَ الظِلُّ الظَليل[٤].
أتَيْتُ ولم أُقدِّمْ من رسولٍ، لأنّ القلبَ كان هو الرسول[٥].
أَجِلْ طَرْفاً لَدَيَّ، فإنّ عِنْدي مِنَ الآدابِ ما يَحْوي الخليل[٦]؛
ومَثّلْني بِدَنٍّ فيه سِرٌّ يَخِفُّ به ومَنْظَرُه ثقيل[٧]!

- وقال (نفح الطيب ٤: ٧٦ - ٧٧):

كَمْ بِتُّ من أسْرِ السُهادِ بلَيْلةٍ نادَيْتُ فيها: هل لِجِنْحِكَ آخِرُ[٨]؟
إذ قام هذا الصُبْحُ يُظْهِرُ مَلّةً حَكَمَتْ بأنْ ذُبِحَ الظلامُ الكافرُ[٩].

---

(١) جاء البيت الأول في «المغرب» (٢: ٣٥) كما أثبتّه. وجاء في نفح الطيب (٤: ١٢٤) وعَجُزه (بفتح فضمّ) ما أثبتّه بعد النقط.

(٢) العذول: الذي يلوم المحبّين.

(٣) أسبل: مدّ. كليل: ضعيف. - جئت في ليلة شديدة السواد (لشدّة حاجتي).

(٤) الهجير (اشتداد الحرّ).

(٥) حقّ «الرسول» (في القافية) أن تكون منصوبة (لأنّها خبر كان). أمّا الضمير «هو» فهو توكيد لاسم كان.

(٦) أجلْ طَرْفاً (نظراً، عيناً) لديَّ: انظر ما عندي. الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٤ هـ) من العلماء في صدر الدولة العبّاسية، سبق إلى تدوين علوم كثيرة: اللغة (في كتاب العين) والنحو ثمّ العروض (أوزان الشعر) وكان شاعراً.

(٧) الدنّ: خابية (وعاء كبير من فخّار) للخمر خاصّة: منظره الخارجي غير جميل، ولكنّ فيه خمراً تبعث في شاربها نشوة.

(٨) السهاد: السهر، وقلّة النوم. الجنح: الجانب من الليل.

(٩) الملّة، الملل، السأم. الكافر: الذي يغطّي الأشياء ويسترها. - بدأ الصبح يتململ من طول الليل =

- وقال الحجاريُّ (نفح الطيب ٣: ٣٤٦) من «المسهب»:

كَتَبتُ إلى القاضي أبي عبدِ الله محمّدِ اللّوشيّ[١] أستدعي منه شِعرَه لأكْتُبَه في كِتابي، فتَوقّفَ عنّي. فكتبتُ إليه:

يا مانعاً شِعرَهُ عن سَمْعِ ذي أدبٍ   نائي المَحَلّ بعيدِ الشَخْصِ مُغْتَرِبِ:
يسيرُ عنك به في كُل مُتّجَهٍ   كما يُمَرّ نسيمُ الريحِ بالعذَبِ[٢]،
إنّي وحقِّك أهلٌ أنْ أفوزَ به؛   وأسألْ -فَدَيْتُكَ- عن ذاتي وعن أدَبي.

فكان جوابه:

يا طالباً شِعرَ من لم يَسْمُ بالأدَبِ،   ماذا تريدُ بِنَظْمٍ غيرِ مُنْتَخَبِ؟

....

ثم كَتَبَ لي مِمّا أتْحَفَني به مِنْ نَظْمِهِ أبهى مِنَ الأقمار وأرقّ من نسيمِ الأسحار.

- قال الحجاريُّ يمدَحُ بني سَعيدٍ (نفح الطيب ٢: ٣٣٠):

قومٌ لهم في فَخْرِهِم   شَرَفُ الحديثِ مَعَ القديمِ،
وَرِثوا النَدى والبأسَ والـ   ـعَلْيا كريماً عن كريم[٣]:
مِنْ كلِّ وضّاحٍ به   يُجْلى دُجى الليلِ البهيم[٤].

- وقال في مدح بني عبد الملك بن سعيد:

مَلِـــــكٌ طُفَيْلِيُّ السَما   حِ على الأقارب والأباعدْ[٥].

= ويرسل أشعته الحمراء (الفجر الذي يشبه الدم في لونه)، فإنّ هذا يدلّ على انتهاء الليل (أيام شقائي). في الكافر (تورية) (كأن الليل قد ذبح).

(١) لم أعثر على أبي عبد الله محمّد اللوشي هذا. في نفح الطيب(٥: ١٢، ٧: ١٤٧، ١٦٦) أبو عبد الله اللوشي الخطيب البليغ من شيوخ ابن زمرك، وهو متأخّر جدًّا عن عصر الحجاري.

(٢) يسير عنك به... (ستشتهر إذا ورد ذكرك في كتابي) العذب جمع عذبة (بفتح ففتح فيهما): طرف العمامة المتدلّي وغير العمامة.

(٣) البأس: الشدّة (القتال، الحرب).

(٤) وضّاح: أبيض. البهيم: الذي لا علامة فيه تميزه من غيره (الليل البهيم: الشديد السواد).

(٥) طفيليّ (؟) السماح (التساهل وسعة الصدر)، ولعلّ الشاعر يقصد السماحة (الكرم). - سماح طفيلي: معروف يصل الى الناس قبل أن يطلبه الناس.

مـــــا فُرِّجَـــــتْ أبوابُـــه إلَّا تَفَرَّجَـــتِ الشدائـــدْ[1].

★ وفي مدح بني سعيد أيضاً:

وَجَدْنا سعيداً مُنْجِباً خيرَ عُصْبَةٍ هُمُ في بـــني أزمانِهِمْ كالمواسمِ[2].

مُشَنَّفَةٌ أسماعُهم بفضائلٍ، مُسَوَّرَةٌ أيمانُهُمْ بالصوارمِ[3].

فكم لَهُمُ في الحرب من فضلِ ناثرٍ، وكم لَهُمُ في السِلْم من فضل ناظم[4].

★ في الغزل والخمر:

زارَتْـــكَ في الليـــلِ البَهـــيمْ كالغُصْنِ يَثْنيـــــهِ النسيمْ.

سَلَبَـــتْ ظَـــلامَ الليـلِ مـــا أبْصَرْتَ في العِقْـد النظـيمْ[5].

فَلِذاك أمسى عاطلُ الآ فـــــاقِ مُسْودَّ الأديمْ[6].

لولا المـــــدامُ لَما آهْتَـــــدى فيـــه إلى كـــأسٍ نـــديمْ[7].

وتقومُ شُهرةُ الحِجاريِّ على كتابِهِ «المُسْهِب»[8]:

أ- أَلَّفَ الحِجاريُّ كتابَ «المُسْهِبِ» وهُوَ مُقيمٌ عندَ عبدِ المَلِك بنِ سعيدٍ (المغرب ٢: ١٦٠). وكان- في أثناء التأليفِ- يكتُبُ إلى الشعراء يطلُبُ منهم أشياءَ من نِتاجِهِمْ (نفح الطيب: ٣: ٣٤٦) وربّما زارَهُمْ في بُلْدانهم من أجلِ ذلك (راجع نفح الطيب: ٢: ٣٨١). وكتاب «المُسهِب» هذا هو الذي وسّعه بنو سعيدٍ في جوانبَ ثمّ هذّبوه واختصروه في جوانبَ أُخرى حتّى أصبح الكتاب المعروف باسمِ «المُغْرِب

(١) إذا فتحت أبوابه تفرّجت (زالت) الشدائد (الصبر في أسباب الحياة).

(٢) أنجب الرجل: رزق أبناء فاضلين. الموسم: العيد.

(٣) - أسماعهم (آذانهم) مشنّفة (معلّقة بها أقراط: تسمع دائماً) بالفضائل. أيمان جمع يمين (اليد اليمنى) مسوّرة (محمية) بالصوارم (بالسيوف) كناية عن شجاعتهم.

(٤) في الحرب ينثرون (يفرّقون، يقتلون) أعداءهم، وفي السلم ينظمون (يجمعون) أتباعهم.

(٥) ما أبصرت في العقد (اللؤلؤ الذي يشبه النجوم).

(٦) العاطل: المرأة الجميلة التي تستغني بجمالها الطبيعيّ عن الحليّ. الأديم: الجلد (صفحة السماء).

(٧) المدام الخمر. ضياء الخمر جمع الناس على المشاركة فيها. (شهرتكم بالكرم جعلت الناس يقصدونكم).

(٨) والمسهب (بكسر الهاء): المفصّل. أمّا المسهب (بفتح الهاء) فما كان فيه تطويل بلا فائدة.

في حُلى المَغرِب ». ويبدو أنَ كتابَ « المُسهب » قد بَقِيَ قائماً بنفسِه مُستقلّاً عن كتاب « المُغرِب » إلى أيامِ المَقّريّ (ت ١٠٤١ للهجرة) وقد وَصفه المَقّريُّ فقال (٢ : ٣٢٩):

« وقَصَـدَه ، * سَنَـة ٥٣٠ ، حافظُ الأندلسِ أبو محمّدٍ عبدُالله بنُ إبراهيمَ بن الحِجـاريّ وصَنّف له كتاب « المُسْهِب في غرائبِ المَغرِب »، في نحوِ سِتّة أسفارٍ[١]. وابتدأ فيه من فتحِ الأندلُسِ إلى التاريخِ الذي ابتدأه فيه، وَهُوَ سَنَةُ ثلاثينَ وخَمْسِمائَةٍ[٢]... ».

وذكر المقّريُّ هذا الكتابَ مرّةً (نفح الطيب: ٣: ١٨٣) باسمِ « المُسْهِب في فَضائلِ المَغرِب » ومرّتين (١ : ٥٧٥ ، ٤ : ٧٦) باسم « المُسْهِب في أخبارِ المَغرِب ». فإذا كانتْ هذه الأسماءُ الثلاثةُ عُنواناً لِكتابٍ واحدٍ، فمعنى ذلك أن الحِجاريَّ كان قد تَوَسّعَ كثيراً في الجانبِ التاريخيّ حتّى قال المَقّرِيُّ نفسهُ (١ : ٥٧٥):« وهذا منقولٌ من كلامِ الحِجاريّ في « المُسْهِب في أخبارِ المَغرِب » فإنّه أكثرُ فائدةً (ممّا في كتب التاريخ الأخرى) ». وكذلك ينقُلُ المَقّريّ أحياناً صَفَحاتٍ مُتَواليةً تتعلّقُ بتاريخ الأندلُسِ ، كما نَجِدُ مثلّا في أخبار مُغيثٍ فاتحِ قُرطبةَ (١ : ١٢ - ١٤) وفي أخبارِ عبدِ الرحمنِ الداخل (راجع ٣ : ٣٩ - ٤٧).

ب- « ... وكتابُ أبي محمّدٍ عبدِ اللهِ بنِ إبراهيمَ الحِجاريّ المُسمّى « بالمُسْهِبِ في فضائلِ المَغرب »،صَنّفه بعدَ« الذخيرةِ »و « القلائد »[٣] من أوّل ما عُمِرَتِ[٤] الأندلسُ إلى عَصرِه. وخرجَ فيه عن مَقْصِدِ (هذين) الكتابين[٥] إلى ذِكْرِ البِلادِ وخواصّها مِمّا يختَصُّ بعلمِ الجُغرافيا وخَلَطَهُ بالتاريخ وتفنّن الأدب[٦]... ولم يُصَنَّفْ في الأندلسِ مثلُه » (نفح الطيب ٣ : ١٨٣).

جـ- وفي كتاب المُسهب للحِجاريّ في هذا الشأنِ[٧]- وفي تذييلِنا عليه- في

---

(١) السفر (بالكسر): الجزء ، المجلد ، الكتاب.

(٢) ١١٣٥ - ١١٣٦ للميلاد.

(٣) « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لابن بسّام الشنتريني ثم « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان.

(٤) عمر (بالبناء للمعلوم أو للمجهول) الدار (سكنها الناس).

(٥) أي « الذخيرة » و « القلائد ».

(٦) تفنّن الأدب: تنوع (؟) أوجه الأدب.

(٧) في هذا الشأن: (هنا) في الجغرافيا.

هذا الكتابِ الجامع[1] ما جَمَعَ زُبَدَ[2] الأولينَ والآخرين في ذلك (نفح الطيب ٣: ١٨٥).

٤ - * * المغرب ٢: ٣٥ - ٣٦ ثمّ راجع الفهرس الهجائي؛ ويعدّ كتاب «المغرب» كلّه إيجازاً من جانب، وتوسيعاً (في عدد التراجم) من جانب آخر، لكتاب «المسهب»- نفح الطيب (راجع الفهرس الهجائي)؛ الأعلام للزركلي ٤: ١٨٧ (٦٣)؛ نيكل ٢٦٢، بالنثيا ٢٧٢ - ٢٧٣.

أبو جعفر بن عطيّة

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ أبي جعفرِ بنِ محمّدِ بنِ عَطيّةَ القُضاعيُّ، أصلُ أُسرتِهِ من طُرطوشةَ ثمّ انتقلت إلى دانيةَ ثمّ إلى مرّاكُشَ. وكان مولدُ أبي جعفرٍ سَنَةَ ٥١٧[3] في مرّاكُش، وفيها نشأ وتلقّى العلمَ على والِده وعلى نفرٍ كِثارٍ من عُلمائها.

دخلَ أبو جعفرٍ في خِدمةِ المُرابطينَ فكان كاتباً لدى عليِّ بنِ يوسفَ بنِ تاشفينَ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) ولدى ابْنَيْهِ تاشفينَ (٥٣٧ - ٥٤٠ هـ) وإسحاقَ (٥٤٠ - ٥٤١ هـ). ولمّا سَقَطَتْ دولةُ المرابطين، سَنَةَ ٥٤١ هـ (١١٤٦ - ١١٤٧ م) استترَ أبو جعفرِ بنُ عَطيّةَ وتزيّا بزيِّ الجُند. ثمّ تطوّعَ في جَيْشٍ للموحّدين لِمحاربةِ محمّدِ بنِ هودٍ الماسيّ الذي ثارَ في السوس (جَنوبِ المَغرب)، سَنَةَ ٥٤١ هـ، انتصاراً للمرابطين. وبعدَ هذه المعركة التي انْهَزَمَ فيها ابنُ هودٍ الماسيُّ وقُتل، كَتَبَ أبو جعفرِ بنُ عَطيّةَ (في خبرٍ طويلٍ) رسالةً بالفتح إلى الخليفةِ عبدِ المؤمن، فاتّخذه عبدُ المؤمن كاتباً. ثمّ جعله وزيراً.

ولمّا هاجَمَ الإسبانُ مدينةَ المَرِيَّةِ استنجدَ واليها السيدُ أبو سعيدٍ بعبدِ المؤمنِ، فأرسَلَ عبدُ المؤمن حملةً بقيادةِ ابنهِ يوسفَ وجعَلَ معه الوزيرَ أبا جعفرِ بنَ عطيةَ.

---

(١) أي في «المغرب في حلى المغرب».

(٢) زبد جمع زبدة (بالضمّ): خلاصة.

(٣) الأدب المغربي (ص ١٧٤) وفي الإحاطة (١: ٢٧٩) ٥٢٧ وأظنه خطأً مطبعياً.

وبعدَ نجاحِ الحملةِ زارَ أبو جعفرٍ مدينةَ غرناطةَ (٥٥١ هـ) وإشبيلية.

وبينما كان أبو جعفرٍ في الأندلس نَقَلَ حُسّادهُ إلى عبد المؤمن وِشايةً صَدَّقها عبدُ المؤمن. فلمّا عادَ أبو جعفرٍ من الأندلسِ قُبِضَ عليه وأُلقِيَ في السجن. وحَمَلَه عبد المؤمنِ مَعَه مُقيّداً لَمّا ذهب إلى تِينمِلَ لزيارةِ قبرِ المَهْديِّ بنِ تومَرْتَ. وفي أثناء الرجوع إلى مَرّاكُشَ، أمرَ عبدُ المؤمنِ بقتلهِ عندِ تاقمرت (نفح ٥ : ١٨٤) - على مقرُبَة من مَرّاكُشَ - لِلَيْلةٍ بَقِيَتْ من صَفَرَ من سَنَةِ ٥٥٣ (١١٥٨/٣/٢٧ م).

٢ - كان أبو جعفرٍ بنُ عطيةَ كاتباً مُترسِّلًا بليغاً سَهْلَ المأخذِ (قريبَ المعاني) سيّالَ الطَبْع. وكان له نَظْمٌ عاديّ.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو جعفرٍ بنُ عطيّةَ يستعطفُ عبدَ المؤمن:

تاللهِ، لو أحاطتْ بي خطيئةٌ[١]، ولم تنفكَّ نفسي عن الخيرات بطيئةً حتّى سَخِرْتُ بِمن في الوجودِ[٢] وأنِفْتُ لآدَمَ من السجودِ[٣].... وكتبتُ صحيفةَ القطيعة بدار النَدْوةِ[٤]، وظاهرتُ الأحزابَ بالقُصْوى من العُدْوة[٥].... وقلتُ إنّ بَيْعَةَ السقيفةِ لا توجب إمامةَ خليفةٍ[٦]، وشَحَذْتُ شَفْرَةَ غُلامِ المُغيرة بن شُعبة[٧].... ثمّ أتَيْت حَضْرةَ

(١) أحاطت به خطيئته (راجع القرآن الكريم ٢ : ٨١، سورة البقرة): كثرت خطيئاته وثبتت بالأدلّة عليه.

(٢) من في الوجود (؟).

(٣) لم أرضَ أن أسجد لآدم كما أمر الله (وأن أفعل فعل إبليس الذي عصى أمر الله ولم يسجد لآدم).

(٤) في نحو السنة الثالثة قبل الهجرة كتب القرشيّون صحيفة أخذوا فيها على أنفسهم أن يحصروا محمّداً رسول الله ومن كان قد آمن معه في شعب (بكسر الشين: حيّ) أبي طالب، وأن يقاطعوهم فلا يبيعونهم ولا يشترون منهم شيئاً، ولا يزوّجهونهم ولا يتزوّجون منهم....

(٥) في السنة الثانية للهجرة كانت معركة بدر. وكان القرشيّون يعسكرون على جانب الوادي المقابل لمعسكر المسلمين (يقصد لو كان مع الكفّار يحارب رسول الله). إنّ كلمة «الأحزاب» توهم بأن الإشارة إلى معركة الخندق (سنة ٥ هـ). ولكن الكلام على العدوة القصوى (الجانب الآخر من الوادي) - راجع القرآن الكريم ٨ : ٤٢، سورة الأنفال - تشير إلى معركة بدر (سنة ٢ هـ).

(٦) يوم سقيفة بني ساعدة: يوم بايع الناس أبا بكر بالخلافة (يعني لو فارق إجماع الأمّة).

(٧) غلام المغيرة هو أبو لؤلؤة الذي قتل عمر بن الخطّاب.

المعلوم لائذاً وبقبر المَهْديّ عائذاً[1]، لقد آنَ[2] لمقالتي أن تُسْمَعَ، وتُغْفَرَ الخطيئاتُ لي أجمعَ، مَعَ أنّي مُقْترفٌ[3] وبالذنب معترفٌ.

(وكتب مع هذه الرسالة):

عَطْفاً علينا، أميرَ المؤمنين، فقد ... بانَ العَزاءُ لفَرْطِ البَثّ والحَزَن[4].
قد أغرقَتْنا ذنوبٌ كلُّها لُجَجٌ؛ ... وعَطْفَةٌ منكُمُ أنجى من السُفُن[5].
من جاء عندكُمُ يسعى على ثِقَةٍ ... بنَصْره، لم يَخَفْ من بطشة الزمن.
فالثوبُ يطهُرُ بعدَ الغَسْلِ من دَرَنٍ، ... والطِرْفُ ينهَضُ بعدالركض في سَنَن[6].

- ومن رسالةٍ له بعدَ مقتلِ ابنِ هودِ الماسيّ:

.... هُزِمَ من كان له من الأحزاب وتساقطوا على وُجوهِهم تساقُطَ الذُباب، وأعْطَوْا عن بَكْرة أبيهم صَفَحاتِ الرِقابِ ولم تَقْطُرْ كلومُهُمْ إلّا على الأعقاب[7]. فامتلأتْ تلك الجِهاتُ بأجسادِهم، وآذَنَتِ الآجالُ بانقراضِ آمادِهم[8]. وأخذَهُمُ اللهُ تعالى بكُفْرهم وفسادِهم. فلم يُعايَنْ منهم إلّا من خَرَّ صريعاً وسَقى الأرضَ نَجيعاً[9].

٤ - ** إعتاب الكتّاب ٢٢٥ - ٢٢٩؛ المعجب ١٩٨ - ٢٠٠؛ الإحاطة ١: ٢٧١ - ٢٧٩؛ نفح الطيب ٣: ٥٠٨، ٥: ١٨٣ - ١٨٨؛ النبوغ المغربي ١٦٧؛ الأدب المغربي ١٧٤ - ١٨٠.

---

(١) المعلوم (؟)، وفي الإحاطة (١: ٢٧٦): المعصوم. لاذ: التجأ. عاذ: احتمى.
(٢) آن: حان، قرب الوقت.
(٣) اقترف ذنبا: ارتكب ذنبا.
(٤) بان: ابتعد. فرط: شدّة. البثّ: الحزن الشديد.
(٥) اللّجة: معظم الماء، (وسط الماء). ذنوب لجج (كثيرة تغمر أصحابها).
(٦) الدرن: الوسخ. الطِرف (بالكسر): الحصان السابق. في الإحاطة (١: ٢٧٦): بعد الركض من وسن (نوم، نعاس)، وفي نفح الطيب (٥: ١٨٥): بعد الركض في سَنن (نهج الطريق، اتّجاهه الصحيح، الشوط الذي يركض فيه الخيل). وأظنّ أن كلمة الركض خطأ في النسخ. وأرى أنّها «الكبو» (العثرة، السقوط).
(٧) عن بكرة أبيهم: جميعاً، كلّهم. كلوم جمع كلم (بفتح فسكون): جرح. قطرت جروحهم (دماً) على الأعقاب (مؤخّر الأرجل): قتلوا وهم فارّون.
(٨) آجالهم (مقادير حياتهم) آذنت (أعلمت، نادت) بانقراض آمادهم (بانتهاء مددهم في الحياة).
(٩) النجيع: الدم.

أبو محمّد بن الحاجّ

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ جَعْفَرٍ من أهلِ لُورِقَةَ سَكَنَ مُرْسِيَةَ وسمع، سَنَةَ ٥٠٣ وسنة ٥٠٤ هـ (١١٠٩ - ١١١١ م) من أبي عليٍّ الصدفي (ت ٥١٤ هـ) وقرأ عليه. وفي سَنَةِ ٥٢٨ هـ (١١٣٤ م) استُدْعِيَ إلى مَرّاكُشَ وتولّى الكِتابة فيها، ولكنّه استَعْفى بعدَ مُدّةٍ قصيرةٍ وعاد إلى مُرسِيةَ زاهداً في المناصب وفي أمورِ الدنيا. ولمّا اختلّ أمرُ المرابطين خَلَعَ أهلُ مُرْسِيةَ طاعة المرابطين وولّوْا على أنفسِهم أبا محمّدِ بنِ الحاجِّ، في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٣٩ (١١٤٥ م). ولكنّ أبا محمّدِ بنِ الحاجِّ تَرَكَ وِلايةَ مُرسيةَ بعدَ نحو شهرٍ وعادَ إلى زُهْده ونُسْكه. وكانتْ وفاتُه بعدَ سَنَةِ ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م).

٢ - كان أبو محمّدِ ابنِ الحاجِّ بارعاً في الآداب ناثراً وشاعراً على شِعرِه شيءٌ من الرَوْنق وفي نثرِهِ كثيرٍ من التكلّف. والغالبُ على شعره الوصفُ والنسيب.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو محمّدِ بنِ الحاجِّ في الوصف والنسيب:

سقاها الحَيا من مَغانٍ فِساحٍ، - فكم لي بها من مَعانٍ فِصاحٍ[1]-
وحلّى أكاليلَ تلك الرُبى ... ووَشّى معاطفَ تلك البِطاحِ[2].
فما أنْسَ لا أنْسَ عَهْدي بهما ... وجَرّيَ فيها ذُيولَ المِراحِ[3].
ونومي على حِبَراتِ الرياضِ ... يُجاذِبُ بُرْدَيَّ مَرُّ الرِياحِ[4]؛

---

(١) الحيا: المطر. المغاني جمع مغنى: المنزل أو المسكن وفيه أهله. وقد نظمت وصفها شعراً واضح المعاني.

(٢) الحيا (المطر) ملأ أكاليل (رؤوس) الربى (التلال) ووشّى (زيّن) معاطف (منحنيات) البطاح (الأرض المستوية) بالنبات والزهر.

(٣) المراح: نشاط الشباب. جرّ ذيل المراح: سار متبختراً معتزًّا بشبابه ونشاطه.

(٤) الحبرة (بكسر الحاء وفتح الباء): ثوب حرير من صنع اليمن (يقصد الأرض المغطّاة بالنبات والزهر المختلف الألوان). وتهبّ الريح فتكشف ثوبي عنّي مرة وتردّه إلى حاله الأولى مرة.

بحيثُ لم أُعْطِ النُهى طاعةً ولم أُصغِ سمعاً إلى لَحْيِ لاحِ[1].
وليلٍ كرجعةِ طَرْفِ المُريـ ـبِ لم أدرِ لي شَفَقاً من صَباحِ[2].

- كَتَبَ أبو محمّدِ بنُ الحاجِّ ردًّا على رسالةٍ إليه من الفَتْح بن خاقانَ:

قد رَماني- على فَوْتِ بَياني بيانُك، وقد تولّى إحساني وارْجَحَنَّ إحسانُك[3]- بعَيْنَيْنِ من النظم والنثر نَجْلاوينِ...... وفصلين من دُرٍّ وياقوتٍ، بل أصلينِ من سِحْرِ هاروتَ وماروتَ[4]. إذا لَمَحْتُ النثر قُلتُ: لو نُظِمَ هذا لَفَسَدَ، وإذا تصفّحتُ النظمَ قلت: لو نُثِرَ هذا لتَبَدَّدَ[5].... وفي القُطْرِ الذي أنتَ فيه- أطالَ اللهُ بَسْطةَ ناصرِه وحاميه، وَوَصَلَ عِزّةَ حاضرِه ونائيه[6]!- شرفٌ قديمٌ وسَلَفٌ كريمٌ وآداب وعلوم وألْبابٌ وحلوم وأوْدِيَةٌ يَجْتابُها الفضل والطَوْل عِذاب[7] وأنْدِيَةٌ ينتابها القول والفعل رحاب[8]. وعليكَ سلامُ اللهِ ما لاح شِهابٌ وَوَكَفَ سَحابٌ[9].

٤ - ** قلائد العقيان ١٦٤ - ١٦٨؛ معجم ابن الأبار ٢٣٣ - ٢٣٥؛ المغرب ٢ : ٢٧٦.

ابنُ قُزْمانٍ الأصغرُ

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عيسى بنِ عبدِ الملك بن عيسى بنِ قُزْمانَ الأصغرُ،

(١) النهى: العقل. اللحي: اللوم. اللاحي: اللائم.- لم أطع عقلي في (ترك محبّة المحبوب) ولا سمعت نصيحة الذي لامني على الانحراف في الحبّ.

(٢) كرجعة طرف المريب (المتّهم الخائف): قصير جدًّا. الشفق يكون في أول الليل. والصباح بعد انتهاء الليل (لم أدر متى بدأ الليل ولا متى انتهى لكثرة سروري في تلك الليلة).

(٣) البيان: المقدرة على التعبير بالكلام. الفوت: الذهاب، الانقضاء. تولّى: ذهب، انقضى. ارجحنّ: اهتزّ (من النشاط والنضارة).

(٤) رماني بيانك بعينين نجلاوين (واسعتين): أعجبني وجعلني أعشقه. هاروت وماروت ساحران قديران كانا في بابل.

(٥) لو جعل كلامك المنثور نظماً (شعراً) لذهب جماله. وكذلك لو نثر شعرك.

(٦) البسطة: اتّساع الملك والسيطرة. نائيه: بعيده (؟).

(٧) ألباب وحلوم: عقول. أودية: منازل، بلاد. يجتابها: يقطعها من طرف إلى طرف (يملأها). الفضل: الكرم. الطول: الفضل والقدرة والغنى. عِذاب: حلوة.

(٨) رحاب: واسعة.

(٩) شهاب: نجم. وكف (سال، أمطر).

تَميِيزاً له من عمّهِ أبي بكرٍ محمّدِ بن عبد الملك (ت ٥٠٨ هـ).

ولد أبو بكرٍ محمّدُ بنُ قزمانَ نَحْوَ سَنَةِ ٤٧٠ هـ (١٠٧٨ م) في قُرْطبة في بيتٍ جليل خرج منه أعلامٌ ونُبَهاءُ. وسلَكَ ابنُ قزمانَ الأصغرُ في حياتِه طريقَ اللهوِ والُمجون والاستهتار بالملذّات، وكان يُكْثِرُ التردُّدَ على إشبيلية للنُزهةِ واللهو (مقدمة ابن خلدون ١١٥٤).

ومدح ابنُ قزمانَ الصغيرُ يحيى بنَ غانيةَ آخرَ وُلاةِ المرابطين في الأندلس (ت ٥٤٣ هـ). وبعد سقوط دولة المرابطين (٥٤١ هـ) عاش في بُؤسٍ وذِلّة، ثمّ أصبحَ إمامَ مسجدٍ (بعد ذلك المجون والاستهتار) للحصول على الكَفاف من العيش.

وكانت وفاةُ ابن قزمانَ الصغير في قرطبة ٢٩ في رَمَضَانَ من سَنَةِ ٥٥٥ (٢/١٠/١١٦٠ م) في الأغلب.

٢ - اشتغل أبو بكرٍ بنُ قُزمانَ الأصغرُ في أولِ أمرِه بالشعر المُعْرَب (الفصيح) فلم ينتفعْ به كثيراً إذْ قصّر فيه عن أنداده ومُعاصريه كابنِ خَفاجةَ فانقلب إلى القول في الزَجَل (الشِعر العاميّ). وفي شعره جُرأةٌ وشيءٌ من النقدِ الاجتماعي. وله مديحٌ وخمريات وغزل مذكّر.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو بكرٍ بنُ قزمانَ الأصغرُ في الموازنة بين الفارس والأديب:

يُمْسِكُ الفــارسُ رُمحــاً بيــدٍ، وأنــا أُمسِك فيهــا قَصَبَــهْ[1].
فكلانـــا بــطلٌ في حربـــه؛ إنَّ ٱلآقْـلامَ رِمــاحُ الكَتَبَــهْ.

- وله في الهَرَم بعد الشَباب:

وعَهْـدي بالشبــابِ وحسنِ قَدّي حكى أَلِفَ ٱبن مُقْلَةَ في الكتــابِ[2].

---

(١) قصبة: أنبوب قصير من قصب رفيع (غزّار).

(٢) أبو عليّ محمّد بن عليّ بن مقلة (ت ٣٢٨ هـ) خطّاط عبّاسي مشهور وبارع. أَلِفُ ابن مقلة (لعلّ ابن مقلة =

فصِرتُ اليومَ مُنْحَنِيـــاً كأنّي أُفتّشُ في التُّراب عـلى شبابي.

– وكان ابنُ قزمان مليحَ المؤانسة فوجّه إليه الشاعرُ أبو عبد الله بنُ أبي الخِصال (ت ٥٤٠ هـ) غُلامَه يدعوه إلى ليلة أُنس. فأساء الغلام الإبلاغ. فردّه ابنُ قزمان. فكتب ابنُ أبي الخصال إلى ابنِ قزمانَ أبياتاً مطلَعُها: «إنّي أَهُزُّكَ هزّ الصارم الخَذِم *». فأجابه ابنُ قزمان بالأبيات التالية:

أتى من المجدِ أمرٌ لا مردَّ لـه ... نمشي على الرأسِ فيه لا على قدَمِ.

رقزٌ ورقصٌ وما أحببتَ من مُلَحٍ ... عندي وأكثرُ ما تَدريه من شِيَمِ[1]،

حتى يكونَ كلامُ الحاضرين بها ... عندَ الصباحِ «وما بالعهد من قدم»[2]

(يا ليلةَ السَّفحِ هلّا عُدتِ ثانيةً؛ ... سَقى زمانَكِ هَطّالٌ مِنَ الدِيَمِ)[3].

وجاء ابنُ قزمانَ إلى تلك الجلسة فأمتَعَ الحاضرين بكلامِهِ. ثمّ اتّفق أن بَدَرَتْ منه حركةٌ انطفأ بها السِراجُ فقال:

يـا أيُّهـا السادةُ العـالي محلُّكُمُ ... ما مِلْتُ، لكنّني مالَتْ بِيَ الراحُ[4].

فإنْ أكنْ مُطفِئاً مِصباحَ بيتكُمُ ... فكلٌّ مَنْ مِنكُمُ في البيتِ مِصباحُ[5].

٤ ☜ (ديوان) ابن قزمان El Cancionero de Aben Guzman بالحرف اللاتيني (نشره نيكل Nykl) مدريد ١٩٣٣[6].

= كان يطيل الألف على استقامة واحدة) كناية عن انتصاب القامة والرشاقة. الكتاب: الكتابة (الخطّ). * الصارم (السيف) الخذم (القاطع).

(١) الرقز: الرقص. والراقز: الضارب (على الدفّ – بضمّ الدال) راجع تاج العروس – (الكويت) ١٥: ١٥٨. الشيمة: الخصلة الجميلة.

(٢) حتّى يكون كلام الحاضرين بها (تمنّي عودتها لأنّها كانت ليلة سرور – راجع البيت التالي). وما بالعهد من قدم (عمّا قريب؟).

(٣) هذا البيت للشاعر العبّاسي الشريف الرضيّ (ت ٤٠٦ هـ). هطّال من الديم (مطر غزير)..

(٤) الراح: الخمر. مال: ترنّح (تمايل على غير نظام).

(٥) فكلّ من منكم (تعبير فاسد): كلّ واحد منكم.

(٦) إن ديوان ابن قزمان يجمع أزجاله. وليس من غاية كتابي أن يبحث في الكلام العامي. ولكن

** المغرب: ١ : ١٠٠ - ١٠١ ؛ مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٦٦) ص ١١٥٤ ، ١١٥٥ ؛ نفح الطيب ٤ : ٢٣ - ٢٥ ، ٢٩٦ - ٢٩٧ (؟)، ٧ : ١٥ - ١٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٨٤٩ - ٨٥٣ ؛ بروكلمن ١ : ٣٢١ - ٣٢٢ ، الملحق ٤٨١ - ٤٨٢ ؛ نيكل ٢٢٦ - ٣٠١ ؛ مختارات نيكل ١٧٨ - ١٨٠ ؛ تاريخ النقد لإحسان عباس ٥٠٨ - ٥٠٩ ؛ بالنثيا ١٥٨ - ١٦٦[٢] ؛ الخريدة (الاندلس) ٢ : ٤٨٧ ؛ سركيس ٢١٤ - ٢١٥[١].

ابن الإمام الشِلبيّ

١ - هو أبو عمرٍو عُثمانُ بنُ عليٍّ بن عُثمانَ، أصله من استَجةَ[٢] (نفح الطيب ٣ : ١٨٤) ومولده في شِلْب من جَنوبِ غربيِّ الأندلس. تلقّى جانباً من علومه في قُرطُبةَ وإشبيلية، وكان من شيوخه أبو بكرِ بن العربيّ (ت ٥٤٣ هـ). ولعلّ وفاة ابنِ الإمام الشِلْبيّ كانت نحو ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) أو بعد ذلك بوقت قليل.

٢ - كان ابن الإمام الشِّلْبيّ شاعراً وناثراً ومؤرخاً. والأبيات الباقية لنا من شعره في الشكوى التي تخالطها الحكمة، وهي على المنهج المشرقي. وعُرِفَ ابن الإمامِ الشِلبي بأنه مؤلف كتاب « سِمْط الجُمانِ وسَقَط اللآلي وسِقْط المَرْجان » - وقد ضاعَ ولكنْ بَقِيَ لنا منه نَماذجُ متفرقةٌ، وخصوصاً في كتاب « المغرب » لابن سعيد. وكان ابن الإمام مُعجَباً بنهج الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) وابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ) فأراد أن يجمع كتاباً فيه ذكر للشعراء الذين كان ابن خاقان وابن بسّام قد تركاهم، وأن يُتِمَّ هذه السلسلة إلى إيامه. ولعلّه أراد أن يقف عند السنة ٥٥٠ للهجرة. ونَثْرُ ابن الإمام أنيقٌ حسن الصناعة، مُسجَّعٌ أحياناً ومُطلَقٌ أحياناً؛ وربّما جرى في نثرِه على السجيّة كما نرى في كلامِهِ على أيوبَ بنِ سليمانَ السُّهيليِّ (المغرب ١ :

= المستشرق عبد الرحمن نيكل، وهو المختص بدراسة ابن قزمان، قد جعل لهذا الديوان مقدمة (باللغة الإسبانية) مفيدة جداً *؟

(١) يخلط نفر كثيرون بين أبي بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان هذا (ت ٥٥٥ هـ) وعمه المتوفى سنة ٥٠٨ هـ (وكنيته واسمه ككنية ابن أخيه واسمه ونسبه: أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان).

(٢) استجة (بفتح فسكون ففتح ففتح): بلد بالأندلس من أعمال قرطبة (تاج العروس - الكويت ٦ : ٢٨). وفي حاشية هذه الصفحة نفسها: بكسر فسكون فكسر (عن معجم البلدان).

٦٠ - ٦٢)؛ قال ابن الإمام: «إنه من ولد سهيل بن عبد العزيز بن مروان ممّن خَمَل ذِكْرُه في الفتنة[١]، كان يخدم ٱبنَ الحاجّ. فلما ثار ٱبنُ الحاجّ في مدّة الملثّمين (المرابطين) أنشده (أيوبُ) قصيدة منها:

إذا أنا لم أبلُغْ بكَ الأملَ الذي قطعتُ بهِ الأيامَ فالصبرُ ضائعُ.

فٱعتذر له بالفتنة، فقال (له أيّوبُ): إنْ لم يكن ما أرتقبه فَلْيَكُنْ وعدٌ والتفاتٌ أتعلّلُ بها وأعلَمُ مِنها أني في فكرِ الأمير. فالسُّكوتُ يَطْمِسُ أنوار الآمالِ ويُغلِقُ أبواب الرجاء...».

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو عمرو عثمانُ بنُ عليِّ بنِ الإمامِ الشِلبيّ (نفح الطيب ٣: ٤٨٧):

عذيري منَ الأيامِ، لا درَّ درُّها، لقد حَمّلَتْني فوقَ ما كنت أرهَبُ[٢].
وقد كنتُ جَلْداً ما تُنَهْنِهُني النّوى، ولا يَسْتَبيني الحادثُ المتغلّب[٣].
يقاسي صروفَ الدهرِ منّي مَعَ الصِبا جُذَيْلُ حِكاكٍ أو عُذَيْقٌ مَرَجَّبُ[٤].

---

(١) الفتنة (الاضطراب السياسي) التي كانت في آخر حكم المرابطين في الأندلس، لا الفتنة المشهورة في أواخر أيام الخلافة المروانية في قرطبة.

(٢) عذيري من الأيام (من ينصرني على فعل الأيام؟ - من يعذرني إذا رآني ألوم الأيام؟) لا درّ (جرى) درّها (لبنها): ليت لبنها يجفّ (ليتها تصاب بسوء). وكنت أخاف أن تصيبني مصيبة صغيرة فجاءتني بمصائب كبيرة كثيرة. أرهب: أخاف.

(٣) الجلد: القدرة على العمل الصعب والمستمرّ. نهنه فلان فلاناً عن أمر: كفّه (ردّه). النوى: (مؤنّثة): البعد (في الأصل ينهنهني النوى - وذلك خطأ). استباه = سباه، أسره. إنّ الحادث (الأمر النازل: المصيبة) المتغلّب (الشديد، القويّ) لا يقعدني، لا يقهرني.

(٤) صروف الدهر جمع صرف (بالفتح): النائبة، المصيبة. مع الصبا (برغم أنّي كنت شابًّا)، يقول: إنّ الدهر يقاسي منّي (وانا لا أقاسي منه). جذيل حكاك الخ. قال الحباب (بالضمّ) بن المنذر (ت نحو ٢٠ هـ) يوم السقيفة (يوم بايع الناس لأبي بكر بالخلافة): «أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب». الجذل (بالكسر) أصل الشجرة، وعود ينصب للإبل الجربى لتحكّ به أجسامها (يقال هو جذل حكاك: أي يستشفى برأيه). العذق (بالفتح): النخلة بحملها حينما تكون عليها العذوق (جمع عذق بالكسر): الغصن الذي فيه التمر. المرجّب المدعوم، المسند. هذا المعنى اللغويّ. أمّا المقصود الاجتماعي فهو: أنا رجل كثير الاختبار يستفتيني الناس في شؤونهم، وأنا رجل له قبيلة كبيرة قويّة تعضدني وتنصرني.

وكنتُ إذا ما الخَطْبُ مدّ جَناحَه　　علَيّ تراني تحتــه أَتَقَلَّـبُ[1]،
فقد صِرْت خَفّاقَ الجَناحِ يَروعُني　　غرابٌ إذا أبصَرْتُه وهو ينعَبُ[2].
وأحسَبُ من ألْقى حبيباً مُودِّعاً،　　وأن بلادَ اللهِ طُرًّا مُحَصَّبُ[3].

- وقال ابن الإمام الشِلبي في محمّدِ بنِ يحيى الشَلْطيشي المعروف بابن القابلة (المغرب ١ : ٣٥٢):

ذو المَنْزِعِ اللطيف، والتلوّنِ الشريف، وسالكُ مَهْيَعِ ابنِ العَريف[4]، ومُلْبِسُ سُوقةِ المعاني حُلَلَ اللفظِ الشريف. كلَّ حينٍ تَهْدِلُ غُصونُ آدابه وتَرْفِلُ أيامُ شَبابِهِ في ذيولِ آرابه. يَنْدَى مَجْلِسُه بقَطْرِ الأدبِ الغَضّ[5]، ويَفْرِي الفَرِيَّ لسانُه وعيناه لا يَبْرَحُ مغرزها في الأرض[6].

- وقال في عبدِ الله بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ معاويةَ بنِ هشامٍ[7] المَرْوانيِّ (المغرب ٢ : ٢٤٦):

---

(١) كنت إذا أصابتني مصيبة أو دهاني أمر تقلّبت تحته (عالجته، تخلّصت منه).

(٢) الجناح: جانب الجسم (حيث القلب؟). خفّاق الجناح (مضطرب القلب من الخوف). يروعني (يخيفني) نعيب (صوت) الغراب (مع أن صوت الغراب مألوف عندنا لا يجوز أن يخيف أحداً).

(٣) وأحسب: أظنّ (بمعنى أوقن) أن كلّ من ألقاه من الناس واتّخذه صديقاً سأفارقه يوماً ما؛ وأن جميع البلاد «محصّب» (مكان في منى - بكسر الميم - شرق مكّة يذهب الحجّاج إليه لرمي الجمار - بكسر الجيم: سبع حصوات - ويبيت الحاجّ في منى عادة ثلاث ليال في الأكثر). كلّ بلد تحلّ فيه ستتركه يوماً ما.

(٤) المنزع: الخطّة، الطريقة، الاتّجاه. التلوّن (تنوّع أدب الممدوح؟). المهيع: الطريق الواضح. ابن العريف أحمد بن محمّد الصنهاجي (ت ٥٣٦ هـ) كان يسلك مسلك الصوفيّة. لم أجد صلة بين ابن العريف وابن القابلة (ت ٥٣٩ هـ) توضح هذه الجملة.

(٥) رفل: تبختر في سيره. آراب جمع إرب (بالكسر): الحاجة، الدهاء، العقل. هدل الغصن: تدلّى إلى أسفل. وتهدل غصون آدابه الخ (؟). الغضّ: الطريّ الناضر.

(٦) يفري (يقطع) الفريّ (الكلام الباطل، الكاذب). وعيناه مغرزها (اقرأ: مغرزهما). يفري الفريّ لسانه (يبطل قوله الأقاويل الباطلة) وعيناه مغرزهما في الأرض (من التواضع).

(٧) -(١٥) لطلب الأمر (الحكم، الإمارة). ناقض: خالف لمّا توفّي عبد الرحمن الداخل (أوّل أمراء بني أميّة المتوارثين في الأندلس)، سنة ١٧٢ هـ، أوصى بالإمارة بعده لابنه هشام (ولم يكن أكبر إخوته، بل كان قد ولد في الأندلس، فاعتقد عبد الرحمن الداخل أن أهل الأندلس يمكن أن يطيعوا أميراً وُلِدَ =

سَمَتْ نفسُه بعدَ أبيهِ لطلبِ الأمرِ[1] فناقضَ أخاه هِشامَ بنَ عبدِ الرحمن سُلطانَ الأندلسِ، وشايَعَ أخاه الخارجَ عليه سُليمانَ بنَ عبدِ الرحمن[1]. ثمّ حاربَ ابنَ أخيه الحَكَمَ بنَ هشام[2]، ثمّ حاربَ عبدَ الرحمنِ بنَ الحَكَم[3]. وفي مُدّةِ كلِّ واحدٍ منهم (كان) يُهْزَمُ ويُقْصَى[4]، وبعد ذلك لا يَني عن طلبِ الأمرِ. وآلَ[5] أمرُه معَ عبدِ الرحمنِ إلى أن خَطَبَ في جامعِ مُرْسِيَةَ ودعا على الظالمِ بينَهما، فعاجَلَهُ اللهُ بالمَنِيّةِ دونَ بلوغِ الأُمْنِيّةِ.

٤ - ★★ التكملة ٦٦١ (رقم ١٨٣٣)؛ الحلّة السيراء ٢: ٩٢ (في الحاشية خاصّة)؛ المغرب (نصوص مختلفة من كتابه) ١: ٣٠٨، ٣٤٢، ٣٨٣، ٣٩٦، ٢: ١٠، ٤٣، ٥٥، ١٤٣، ١٩٩، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٧٦، ٣١٥؛ نفح الطيب ٢: ٢٦٢، ٣: ٤٧٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٠٧.

أبو بكر الصيرفيّ

١ - هو أبو بكرٍ يحيى بنُ محمّدِ بنِ يوسفَ الأنصاريُّ الغرناطيُّ المعروفُ بابن الصَّيْرَفيّ، أخذَ عن الحسنِ بنِ مُغيثٍ وأبي بكرِ بنِ العربيّ (ت ٥٤٣ هـ) وأبي مروانَ ابنِ بونةَ.

كان ابنُ الصيرفيّ كاتباً للأميرِ محمّدِ بنِ تاشفينَ والي غَرْناطةَ. ثمّ كانتْ وفاتُه في أوريوله (من أعمال مرسية) في سَنَةِ ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) في قولٍ أو في سَنَةِ ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) في قولٍ آخرَ، وقد أسنّ كثيراً.

٢ - كان أبو بكرٍ الصيرفيُّ كاتباً مُترسِّلاً مُجيداً وشاعراً رقيقاً مُكثراً. فصيحَ

= بينهم أكثر من طاعتهم أميراً ولد في خارج الأندلس). ولكنّ سليمان وعبد الله (أخوي هشام) قاوما أخاهما هشاماً. واستطاع هشام أن يترضّى عبد الله أخاه بمبلغ من المال فاعتزل إلى المغرب. فلمّا توفّي هشام، وقد جعل الإمارة في ابنه الحكم، عاد سليمان وعبد الله إلى العصيان. واستطاع الحكم أيضاً أن يترضّى عمّه عبد الله بمبلغ آخر فاعتزل إلى بلنسية وعرف بالبلنسيّ. وأمّا سليمان فقتل (سنة ١٨٤ هـ) في حديث طويل.

(١) آل: رجع، انتهى إلى.

الألفاظِ سهلَ التراكيبِ واضحَ المعاني. وبعضُ شعرِه جزلٌ مَشْرقيّ النَفَس. وله موشّحاتٌ بارعةٌ. ثمّ إنّه كان مُشاركاً في عددٍ من فنونِ المعرفة: في الحديثِ واللغة والنحوِ والأدب والتاريخ، وله كتابُ « الأنوار الجَلية في أخبار الدولة المُرابطيّة ».

٣ - مختارات من آثاره:

- لابن الصيرفي موشّحة منها:

قد جَنَحَتْ خَيْـــلِي إلى أبي بكرِ[١]
فلا إلى النيلِ ولا إلى مِصْرِ
أمـــا ترى لَيْـــلي حَيْرانَ لا يَسْري[٢]؟
كأنّما خطّـــا ★ من ذَيْلِهِ مَجْرى ★ وكلّما شَطّا ★ جرّ الدُّجى جرّا[٣]!

★ ★ ★

لَهْفي عـــلى مَوْعِـدْ لم يَقْضِهِ الدهرُ
عَلّ الذي أرصُدْ قــد عاقَــهُ عُـذْرُ[٤]
لـــذاك مـــا أُنشِدْ إذ عَزّني الصبرُ[٥]
مَحبوبي قـد أبطا ★ مَنْ غيّبَ البدرا ★ حتّى لقد أخطا ★ وأشغل السِرّا[٦]

- موشّحة لأبي بكر يحيى بنِ الصيرفي:

---

(١) جنح: مال (زار). أبو بكر لعلّه أبو بكر يحيى بن تاشفين والي فاس (؟)
(٢) سرى: سار ليلا.
(٣) عند بدء طلوع الفجر يبدو في السماء شبه عمود (من نور الشمس التي لا تزال تحت الأفق) يشبه المجرى (الممرّ) كأنّه أثر لذيل الليل (أواخره). وكلّما شطّ الليل (انحرف عن اتّجاه العمود): اتّسع النور في السماء مع اقتراب الشمس من الأفق، جرّ الدجى جرًّا (سحبه) أي أبطأ ظهور النور في السماء (بالإضافة إلى سرعة ظهور عمود الفجر).
(٤) أرصد: اترقّب، أنتظر.
(٥) عزّني (غلبني) الصبر: يئست من الانتظار.
(٦) أشغل (ليست في القاموس) يقصد « شغل »: صرف الإنسان عن عمله وألهاه. لعلّها « أشعل ». السرّ: ما يخفيه الإنسان في نفسه. يقصد: إبطاء محبوبي في الزيارة جعلني مشتعل البال.

جَرِّرِ الذَيْـــــــلَ أيَّما جَرِّ   وصِــلِ السُكْرَ مِنـــك بالسكرِ

★ ★ ★

واخْضِبِ الزَّنْـدَ منـك باللَّهَبْ   من لُجَيْنٍ تَحِـفُ بالذهــبْ(١)
تحتَ سُلوكٍ من لُؤلؤ الحَبَـــبْ   مَــعَ أحْوى أغَرَّ ذي شَنَبْ(٢)
أُودِعَـــــتْ كَفُّـــه من الخمرِ   جامـدَ المـاء ذائـبَ الجَمْرِ(٣)

★ ★ ★

ذاك ضوءُ الصبـاحِ قد لاحـا   ونسيمُ الريـاضِ قـد فاحـا
لا تَقِـدْ في الظـلامِ مِصباحـا   خَـلِّ عنـه وشَعْشِعِ الراحـا(٤)
حــينَ تَنْهَــلُّ أدْمُـــعُ القَطْرِ   وترى الروضَ باسمَ الزَهْرِ

★ ★ ★

نَظَمَـتْ جوهرَ العُـلا سِلْكـا   كَـــفُّ مَلْـكٍ يُزَيِّنُ المُلْكـا
مــا برى الله مِثْلَــه مَلْكـا   لاحَ بَـدْراً وفـاحَ لي مِسْكـا(٥)
كالحَيـــا، كالأمــانِ، كالدَهْرِ،   كعَلِيٍّ في الحربِ أو عمرِو(٦)

★ ★ ★

---

(١) خضب: صبغ. الزند: ما بين الكف والذراع. باللهب: بلون أحمر. من (من خلال) لجين (فضّة) يحفّ (يحيط) بالذهب (بالخمر - حينما يحمل الشارب كأس الخمر يمرّ لونها الأحمر من خلال كأسها الزجاجيّ الأبيض ويقع على اليد).

(٢) سلوك جمع سلك: الخيط الذي تنظم فيه اللآلي. يشبّه الحبب فقاقيع الهواء العائمة على وجه الخمر باللآلي، لجمالها وكثرتها). أحوى: ذو شفة سمراء. أغر: أبيض. الشنب: بياض الأسنان.

(٣) أودعت: وضعت. جامد الماء (زجاج أبيض) ذائب الجمر (خمر حمراء اللون).

(٤) لا تقد (من وقد يقد) بمعنى اشتعلت النار. والشاعر يجعل «وقد» فعلاً متعدّياً بمعنى أوقد. - اترك إضاءة المصابيح (في الليل) وشعشع الراح (امزج الخمر بالماء) واشربها، فالخمر تضيء لك الليل.

(٥) برى = برأ: خلق.

(٦) الحيا: المطر. علي (بن أبي طالب) وعمرو (بن العاص) أي جمع الشجاعة والدهاء.

أيُّ بحرٍ وأيّ ضِرْغــــــامٍ ؟ أيُّ رُمــحٍ وأيُّ صَمصام [1]
طاعنُ الصــدرِ ضــاربُ الهــامِ بــــينَ كَرٍّ وبــــين إقــدامِ
مُخلِّـفُ البِيـضِ بالحُـلى الحُمْرِ ومُروِّي القَنــــاةِ في النَحْرِ [2].

* * *

حيــــــــنا لاحَ وهو مُبْتَسِمُ كهِــــلالٍ تَحُفُّـــــه الدِيَمُ [3]
خافقــــــــاً فوقَ رأسِهِ عَلَمُ غَنَّــتِ العُربُ فيــه والعَجَمُ
عَقَــــدَ اللهُ رايـــةَ النَصْرِ لأمـــيرِ العُــــلا أبي بكرِ.

– وله في النسيب:

أجْرَتْ دمي تحتَ اللِثامِ لِثاما وسَقَتْ-ولم تَدْرِ-الكُؤوسَ مُداما [4].
شمسٌ إذا سَرَقَتْ مَعاطِفَ بانةٍ في ثَوْبِها سَجَعَ الحُلِيُّ حَماما [5].
وتنفَّستْ في الصُبْحِ منها رَوْضةٌ باتتْ تُنادِمُ بارقاً وغَماما [6].
نَجْــدٌ بـه عَثَرَ النسيمُ بِمِسْكَةٍ في تربها فتَفَرّقتْ أنساما [7]!

٤ – ** المغرب ٢: ١١٨ – ١١٩؛ التكملة ٢: ٧٢٣؛ صلة الصلة ١٨٣؛ جيش التوشيح ١٢٠ – ١٣٤ (راجع ٢٥٢ – ٢٥٦)؛ بغية الوعاة ٤١٦؛ الأعلام للزركلي ٩: ٢٠٨ (٨: ١٦٤ – ١٦٥).

---

(١) الضرغام: الأسد الشديد. الصمصام: السيف الذي يقطع العظم.

(٢) مخلّف (تارك، جاعل) البيض (السيوف) بالحلى الحمر (مصبوغة بدم الأعداء). مروّي (ساقي) القناة (الرمح) في النحر (في صدور الأعداء).

(٣) تحفّه: تحيط به. الديم جمع دية: غيمة فيها مطر.

(٤) تحت اللثام (ما تحت اللثام) وجهها. لثام: غطاء. - وجهها الشديد الحمرة أخذ حمرته من دمي (بإنحالي في حبّها). وريقها هو الذي ملأ الكؤوس مداماً (خمراً).

(٥) البانة: شجرة ذات أغصان طويلة مستقيمة سمراء. المعطف والمعطاف: ثوب واسع. سرقت معاطف بانة (ظهرت في ثيابها كأنّها غصن بان) وأحدث حليُها نغماً جميلاً كهديل الحمام كناية عن أنها فتاة جميلة وليست قضيب بان إلّا على التشبيه.

(٦) الروضة في الصباح أخذت من أنفاس المحبوبة اللمعان (الجمال والبياض) والبرودة المستحبّة (التي يسبّبها الغيم).

(٧) الترب (ليست في القاموس بالمعنى الذي قصده الشاعر) المقصود تربية مفرد ترائب (الصدر). - نسيم نجد وجد في صدر المحبوبة قطعة من مسك فعطّر بها جميع الرياح الطيّبة الرائحة.

أبو جعفر بن سعيد

١ - هُوَ أبو جَعْفَرٍ أحمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ سعيد بن سعيد بن خَلَفِ بن سعيدِ بنِ خلف بن محمَّدِ بنِ عبد الله بن سعيد بن الحسنِ بنِ عُثمانَ بن محمَّدِ بن عبد الله بن سعيدِ بن عمَّارِ بن ياسِرٍ العَنْسيِّ الصحابيِّ المعروفِ. وجَدُّه سعيدٌ هُوَ الذي دَخَل الأندلسَ وحلَّ في قلعة يَحْصِبَ[١]. ولمَّا جازَ عبدُ الرحمنِ بنُ مُعاويةَ الداخلُ الأمويُّ إلى الأندلسِ، سَنَةَ ١٣٨ هـ (٧٥٥ م) طلب والي الأندلسِ يوسفُ بن عبدِ الرحمن الفِهْرِيُّ من سعيدٍ أن يقاومَ عبدَ الرحمنِ بنَ مُعاويةَ[٢]. ويبدو أن سعيداً لم يستجبْ لذلك الطلبِ؛ فلمّا ظَفِرَ بهِ يوسفُ بنُ عبدِ الرحمن الفهريُّ ضرب عُنُقَهُ.

وفي أيامِ الفِتْنة وثَوْرة ملوكِ الطوائفِ (مطلع القرن الخامس الهجريِّ = مطلع القرن الحادي عَشَرَ الميلاديِّ) استبدَّ خَلَفُ بنُ سعيدِ بن محمَّدٍ بقلعة يَحْصِبَ. ثمّ لمّا مات خَلَفٌ تولّى القلعةَ بعدَه ابنُه سعيدٌ ثمّ تولّاها عبدُ الملك بنُ سعيدٍ.

ولمّا استولى الموحّدون على الأندلس قاوَمَهُمْ عبد الملكِ بن سعيدٍ ثمّ خَضَعَ لهم. ولكنَّ عبْدَ المؤمنِ بنَ عليٍّ سلطانَ الموحّدينِ لم يَثِقْ بولائه فسجنه ثمّ عاد فأطلق سَراحه. وَوَفَدَ أبو محمّدٍ عبدُ الله الحِجاريُّ على عبد الملك بن سعيدٍ (ت ٥٦٠ هـ) في قلعة يحصب ومدحه بقصيدةٍ مطلُعها: «عليك أحالَني الذِكْرُ الجميلُ» ثمّ ألّفَ له كِتابَ المُسْهِب في غرائب المَغرب. وأُعْجِبَ عبدُ الملك بكتاب «المُسْهِب» فهذّبه وزاد عليه. فعلى هذا يكون عبد الملك بن سعيد هو الذي ابتدأ تأليف كتاب المغرب في حلى المغرب.

ومن مؤلفي كتاب المُغْرب أيضاً أبو جعفرٍ أحمدُ بن سعيدٍ صاحبُ هذه الترجمة.

* * *

---

(١) قلعة يحصب (بفتح الياء وكسر الصاد) أو قلعة يعقوب، وفي الإسبانية: القلعة الملكيّة (بفتح الميم واللام) إلى الشمال الغربي من غرناطة. وقد سمّيت قلعة بني سعيد.

(٢) راجع الجزء الرابع.

أدركَ أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ سعيدٍ فترةَ الشُغور بين المُرابطين والموحّدين[1]. وإذا صحّ أنّه كان تلميذاً للشاعرين ابن الزقّاق (ت ٥٢٨ أو ٥٣٠ هـ) وابن خفاجة المشهور (ت ٥٣٠ هـ)، فيجب أن يكون مولده قبل سنة ٥١٥ هـ (١١٢٠ م).

وأرادَ عبدُ الملكِ بنُ سعيدٍ شيئاً من الحُظوة والجاه لابنه أبي جعفرٍ فأدخله على عبد المؤمن بن عليٍّ، فألقى أبو جعفرٍ بين يَدَيْ عبدِ المؤمن قصيدة، وذلك في أول سَنَةِ ٥٤٦ هـ (أول الربيع من عام ١١٥١ م) في الأغلبِ، حينما أذِنَ عبدُ المؤمن لأهل الأندلس بالوِفادة عليه في مدينة سَلا (شَمالَ مدينة الرِباط الحاضرة) في المغرب الأقصى.

ثم إنّ أبرزَ الأحداثِ في حياة أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ سَعيدٍ وأهمَّها كان حبُّه لِحَفْصَةَ الرُكونيةِ[2]، برُغْمِ الفارقِ في السِنّ بينهما. ونَعِمَ الحبيبانِ مدّةً بالزيارات والنُزَه ثمّ ألحّ عليهما الدهر بالشقاء.

في سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) استولى أبو سعيدٍ عُثْمانُ بن عبد المؤمن على غَرْناطةَ فكان أولَ وُلاةِ الدولة الموحّديّة على تلك المدينة. واحتاج عثمان إلى كاتبٍ قديرٍ فسُمّي له أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ سعيد. وتردّد أبو جعفر في قَبول المَنْصِبِ - لأنّه كان شخصاً يُحبّ الدَعَةَ ويَميل إلى الراحة؛ ولم يكن، فيما يبدو، بحاجةٍ إلى المناصب والمالِ - ثمّ قَبِلَ.

وكانت حَفْصَةُ تَتَردّدُ على بَلاطِ غَرْناطةَ فنشأتْ بينَها وبينَ عُثْمانَ بنِ عبدِ المؤمن ناشئةُ هوًى. ويبدو أن حفصةَ جعلت تُراوحُ بين المُحِبَّيْنِ فكان عثمانُ بنُ عبدِ المؤمنِ كثيرَ الغَيْرةِ من غريمه. أما أبو جعفرٍ بنُ سعيدٍ فكان يلومُ حفصةَ على قِلّة وفائها - ويقال إنّه، في أثناء ذلك، جعل يُغيظها بالتَحَبُّب إلى جاريةٍ سوداء، أو أنّه أحبَّ تلك الجاريةَ فِعلًا.

ويبدو أن هذه الحالَ قد طالتْ وبلغتْ غَيْرَةُ عُثْمانَ ذِرْوَتَها ثمّ تجمّعَ عددٌ من

(١) نحو عشر سنين بين ٥٣٩ و٥٤٦ هـ (١١٤٤ - ١١٥١ م).

(٢) ستأتي ترجمتها (ت ٥٨٩ هـ). ويقال إنّه كان بين حفصة وأبي جعفر بن سعيد فارق واضح في السّن.

الأسباب يدعو إلى النِقمة من أبي جعفر بن سعيد: منها أنّ أبا جعفر كان يُعَرِّضُ بعثانَ شعراً ونثراً ويتهكّم عليه؛ قال مرّة لحفصة: «ما تُحبّين في هذا الأسود (وكان لونُ عثانَ مائلاً إلى السواد)، وأنا أقدِرُ أن أشتريَ لكِ من سوق العبيد عَشْرَةً خيراً منه!». ومنها أن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد (أخا أبي جعفر) فرّ إلى محمّد بن مردنيش الثائر في مُرْسِيَةَ وشَرقي الأندلس منذ سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م) - وكان قد سبق لوالد عبد الرحمن أنِ اتّصل بابن مردنيش - فخاف أبو جعفر أحمدُ بنُ سعيد أن يؤخذ بجَريرة أخيه ففرَّ إلى مالَقةَ وتخفّى فيها. غير أن رجال عُثان بن عبد المؤمن عرفوا مكانه فألقَوُا القبضَ عليه ووضعوه في سجن مالَقَةَ. واستشار عثانُ أباه عبدَ المؤمن في قتل أبي جعفر بن سعيد على تُهْمة الاتّصال بابن مَرْدَنيشَ، فأذِنَ عبد المؤمن بذلك فقُتِلَ أبو جعفر في جُادى الأولى من سنة ٥٥٩ (نيسان - أبريل ١١٦٤ م).

٢ - كان أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ سعيدٍ أديباً بارعاً في الشعر والنثر وناقداً بصيراً. وهُوَ في الأصل شاعرٌ وجْدانيّ مُكثِرٌ، وشِعره أعلى مَرْتَبَةً من نثره. ولكنّ شِعرَه أيضاً مُتفاوِتٌ في الجَوْدة. وكان يقولُ رَوِيّةً وارتجالاً، ورُبّما أطالَ. غيرَ أنّ المقطّعاتِ المرويّةَ له كثيرةٌ وفنونهُ متعددةٌ، منها المدحُ والهجاء والفخر وأكثرُها الوَصْفُ والخمر والغَزَل والمُجون، وله عددٌ من الإخوانيّات؛ وكان يقولُ في المُناسبات. وقد كان مُصَنِّفاً أيضاً، إذْ قام بِقِسْطٍ في تأليفِ كتابِ «المُغرِبِ» (المغرب ٢: ١٦٤، راجع نفح الطيب ٢: ٤٢٩).

ويبدو أن أبا جعفرِ بنَ سعيدٍ كان حَسَنَ النَقْدِ للكلامِ، فقد قال عن حَمْدَةَ بنتِ زِيادٍ المؤدِّبِ: «هي خنساء المغرب» (المغرب ٢: ١٤٥)، كما كان يُثني على الشاعر أبي زكريّا يَحيى بنِ مَطْروحٍ (المغرب ٢: ١٥٥). ولمّا قالَ أخِيلُ بنُ إدريسَ الرُّنْديّ في مديح عبدِ المؤمن بنِ عليٍّ قصيدةً مَطْلَعُها:

ما الفَخْرُ إلّا فخرُ عبدِ المُؤمنِ ... أَثْنَى عليهِ كلُّ عبدٍ مؤمنِ،

قال أبو جعفرِ بنُ سعيدٍ: «دَعاه (الإغراق في) التجنيس إلى الضَعْفِ والخروج عن

المقصود ...... ولو قال: شادَ الخِلافةَ، وهو أوّلُ مُبْتَني (نفح الطيب ٤ : ٢٠٢) لكانَ أوْلى وأحْسَنَ.

٣- مختارات من آثاره:

-لـمّا قُبِضَ على أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ سعيدٍ في مالَقَةَ ووُضِعَ في السجن مُقيّداً دخل عليه ابن عمٍّ له؛ فلمّا رآه على هذه الحالِ دَمِعَتْ عينُهُ. فقال له أبو جعفرٍ:

أعَلَيّ تَبْكي بعْدَ ما بلغتُ من الدُنْيا أطايبَ لذّاتِها فأكلتُ صدورَ الدَجاجِ وشربتُ في الزُّجاجِ ولَبِسْتُ الديباجَ وتَمَتّعتُ بالسَّراري والأزواج واستعملتُ من الشَمْعِ السِراجَ الوهّاجَ وركِبْتُ كلّ هِمْلاجٍ[1]. وها أنا في يدِ الحجّاجِ مُنْتَظِرَ مِحْنَةَ الحلّاجِ[2] قادمٌ على غافرٍ لا يَحْتاجُ إلى اعتذارٍ ولا احتجاجٍ!

- من المُتَنَزَّهاتِ المشهورةِ في غَرْناطة حَوْرُ مُؤَمَّلٍ، وقد ذَكَرَهُ أبو جعفرٍ أحمدُ بن سعيدٍ في مُوَشَّحته البديعة (المغرب ٢ : ١٠٣ - ١٠٤):

ذهَبـــتْ شمسُ الأصيـــلْ فِضّـــــــــــــةَ النَهْرِ.

* * *

أيُّ نَــهْــرٍ كالمُدامـــــــــــــهْ

صَيّرَ الظِـــــلُّ فِدامَـــــــهْ

نَسَجَتْـــــه الريـــــحُ لامَـــهْ

وثَنَــــــتْ للغصن لامَـــــــهْ

فهو كالعَضْـــبِ الصقيـــلْ حُـــفَّ بالشَــفْــرِ[3].

* * *

---

(١) الهملاج: البرذون (بكسر الباء وفتح الذال): البغل الحسن السير والتبختر فيه.

(٢) الحجّاج بن يوسف الثقفي كان والي الأمويّين على العراق، وكان معروفاً بالشدّة (ينسبون إليه أشياء من الظلم لم تكن فيه). الحلّاج: مخرق مشعوذ يدّعي التصوّف وقد كان متّهماً في دينه وفي ولائه للدولة، وقد قتل.

(٣) الأصيل: بين العصر ومغيب الشمس. فضّة النهر: البياض الحاصل من تقلّب المياه في مجرى النهر. =

مُضحِكـــــــاً ثَغْرَ الكِمامْ
مُبْكِيـــــــاً جَفْنَ الغَمامْ
مُنْطِقـــــــاً وُرْقَ الحَمامْ
داعيـــــــاً إلى المُـــــــدام.
فبهـــــــذا لِلْقَبول خُـــــــطَّ كالسَّطرِ[١].

★ ★ ★

حَبَّـــــــذا بالغَوْرِ مَغْنـــــــى
هِيَ لفـــــــظٌ وَهْوَ مَعْنـــــــى
مُذْهِـــــــبُ الأشجـــــــانِ عنّـــــــا
ثم دَرَيْنـــــــا كيـــــــف سِرْنـــــــا
ثمّ في وقـــــــت الأصيـــــــلْ لم نكن نَـــــــدْري[٢].

★ ★ ★

قلـــــــتُ والمَزْج اسْتـــــــدارا
بـــــــذُرى الكـــــــأس سِوارا
سالبـــــــاً منّـــــــا الوَقـــــــارا

= المدامة: الخمر (؟). الفدام: غطاء يوضع على فم الإبريق ونحوه، أو ما يصفّى فيه الشراب. اللامة: أداة الحرب كلّها من درع ورمح وسيف وبيضة (خوذة تلبس في الرأس). ثنى (حنى) اللام (حرف الهجاء (بين الكاف والميم). لام الغصن: اعتداله. العضب: السيف. الصقيل: المصقول (الحادّ، الماضي، القاطع). الشفر: (اسم جمع للشفرة (حدّ السيف).

(١) الكمامة: غطاء الزهر (الكأس: الأوراق الخضر التي تحيط بالزهرة قبل أن تتفتّح الزهرة). داعياً إلى (شرب) المدام (الخمر). فبهذا (؟) للقبول: (ريح الصبا (بالفتح: الشرق – وهي محبوبة في نجد). خطّ كالسطر (يبدو أن الضمير (في «خطّ») يرجع إلى «النهر» (في البيت: المقطع السابق).: رسمت الريح على صفحة النهر خطوطاً متعرّجة، أو اشارة إلى الاشجار على شاطىء النهر.

(٢) الغور: المكان المنخفض (ويكون فيه ماء ونبات). مغنى: مكان للسكنى، مسكون. هي، أي الخمر (؟)، وهو معنى (؟). الشجن (بفتح ففتح): الحزن. تذهب الأشجان: الخمر (؟). ثم دربنا.... ندري: كنّا في أولّ النهار نسير سيراً صحيحاً (لأنّنا كنّا صاحين) وعند الأصيل (لمّا تمكّن منا السكر) لم نكن ندري كيف نسير.

دائراً من حيـــــــــــث دارا
صـــــادَ أطيـــــارَ العقولْ شَبَـــــــــكُ الخمر(١).

* * *

وعـــــد الحِـــــبُّ فأخلَـــــفْ
واشتهـــــى المُطـــــلَ فسَوَّفْ
ورســولـي قـــــد تَـعَـرَّفْ
منـــــه مـــــا أدري فحرَّف.
بـــالله قُـــلْ: يـــا رَسولي، لش يغـــب بـــدري(٢).

- طلب أبو جعفرِ بنُ سعيدٍ من محبوبته حَفصةَ أن يجتمع بها فمَطَّلَتْهُ شَهْرَيْنِ، فكتب إليها:

يـــا مَن أُجانـــبُ ذِكْرَ آســـمـــهِ، وحَسْبي علامَـــةْ(٣).
مـــا إنْ أرى الوعـدَ يُقْضَـى، والعمرُ أخشى آنصرامَـــه.
اليومَ أرجوكَ، لا أنْ تكونَ لي في القيامـــه.
لو قـــد بَصُرْتِ بحـــالي والليـــلُ أرخـــى ظلامـــه،
أنوحُ وَجْـــداً وشَوْقـــاً إذ تستريـــح الحمامـــه(٤).
صـــبٌّ أطـــالَ هواه عـــلى الحبيـــب غرامـــه(٥)

(١) المزج: مزج الخمر بالماء. ذرى أو ذرا جمع ذروة (بالكسر أو بالضمّ): أعلى الشيء. شبك الخمر (الحباب (بالفتح) الذي يطفو على سطح الخمر بعد مزجها بالماء.
(٢) الحبّ (بالكسر): المحبوب. هذه الخرجة (القفلة الأخيرة في الموشّح باللغة العاميّة): لماذا يغيب عنّي بدري (حبيبي)؟
(٣) إنّ إضرابي عن ذكر اسمه دليل على أني أحبّه.
(٤) الوجد: ألم الحبّ. الحمامة معروفة بأنها لا تهدأ عن الهديل (عن الصوت الذي يشبه النواح). ومع ذلك، فإذا وقفت الحمامة عن النواح فأنا أظلّ أبكي.
(٥) الصبّ: المحبّ. غرامه: تعذيبه (شدّة حبّ المحبّ للمحبوب- والمحبوب لا يبالي- تزيد في عذاب المحبّ).

لمنْ يَتيـــــــهُ عليـــــــه، ولا يردّ سلامـــــــــــــه.
إن لم تُنيـــــــــــلي أريحي، فاليـــأسُ يَثْـــني زمامـــه[1].

- وقال يذكر اجتماعه بحفصةَ في حَوْر مُؤمّل.

رعـــى اللهُ ليلًا لم يَرُحْ بمُذمَّمٍ عَشِيَّـــةَ وارانــا بحَوْرِ مُؤَمَّــلِ[2]
وقد خفقَتْ من نحوِ نجدٍ أريجةٌ إذا نفحَتْ هبَّتْ بِريّا القَرَنْفُل[3]،
وغرَّد قُمريٌّ على الدَّوْح وآنثنى قضيبٌ منَ الرَّيحان من فوق جَدْوَل.
يُرى الروضُ مسروراً بما قد بدا لـه: عِنـــاقٌ وضَمٌّ وآرتشافُ مُقَبَّــلِ.

- وقال يَصِفُ رِحلةَ لهوٍ وصيدٍ. والبيتانِ الأخيران تَعْريض بأبي سعيدٍ عثمانَ بنِ عبد المؤمن والي غَرناطةَ، وهذان البيتان من الأسباب التي زادت في نقمة والي غرناطة عليه:

ويومَ تجلّى الأُفْــقُ فيـه بعنبرٍ من الغيم لُذْنا فيه باللهو والقَنَص[4].
وقد بَقِيَتْ فينا مِن الأمسِ فَضْلَةٌ من السُكر تُغرينا بمنتَهَب الفُرَص.
رَكِبْنا لـه صُبحاً ولَيْلًا، وبعضُنا أُصيلا، وكلٌّ إن شدا جُلْجُلٌ رَقَص[5].
وشُهْـــبُ بُزاةٍ قـــد رجمْنـــا بشُهبِهـا
طيوراً يُساغُ اللهوُ إنْ شكَتِ الغُصَص[6]،
وعن شَفَقٍ تغري الصباحَ أوِ الدجـــى إذا أُوثقَتْ ما قد تحرّك أو قمـص[7].

---

(١) إن لم ترضي (بفتح الضاد) بمواصلتي أعلني أنّك لا تحبّينني، فيأسي حينئذ من وصالك يمكن أن يردّني عن حبّك فأنساك وأستريح.
(٢) لم يرح بمذمّم: لم ينته بفعل ذميم (إذ جعلنا نلتقي).
(٣) خفق: تحرّك (سار). أريجة: ريا (رائحة طيّبة).
(٤) تجلّى: انكشف، بدا. العنبر لونه أسمر. لاذ: التجأ. القنص: المصيد (الطرائد التي صيدت): جعلنا نأكل من الطرائد التي كنا قد اصطدناها من قبل.
(٥) الجلجل: جرس صغير. إن شدا: غنّى (رنّ). كنا في حال انشراح نرقص (نطرب جدًّا مهما يكن السبب ضعيفاً).
(٦) ...... (؟).
(٧) قمص: عدا في نشاط (ذهب يقفز قفزاً) ...... (؟).

ومِلْنـا، وقد نِلْنا من الصَّيْد سُؤْلَنا، على قَنَصِ اللَّذّاتِ والبردُ قد قرَصْ[1]،
بخيمـــةِ ناطورٍ تَوسَّطَ عَذْبَنــا جحيمٌ، به مَن كان عُذِّبَ قد خلص[2].
أدَرْنـــا عليـــه مثلَـــه ذهبيَّـــةً
دَعتْه إلى الكُبرى فلم يُجِب الرُخص[3].
فقـلْ لحريـصٍ أن يراني مُقيَّداً بخدمتـه: لا يُجْعَلُ البازُ في القفص.
وما كنتُ إلّا طوعَ نفسي. فهل أُرى مطيعاً لِمَنْ عن شأوِ فخريَ قد نقص[4]؟

- لأبي جعفرِ بنِ سعيدِ العَنْسيِّ مقطّعاتٌ بارعةٌ، منها (نفح الطيب ٣: ٥١٥ - ٥١٧):

لله يومُ مَسرّةٍ أضوى وأقصرُ من ذُبالـــهْ[5].
لـمّـــا نَصَبْنـــا للمُنـــى فيـــه بأوتـــارٍ حِبالـــهْ[6]،
طـــارَ النهـــارُ بـــهِ كَمُرْ تـــاعٍ، فأجفلـــتِ الغزالـــهْ[7].
فكأنّنـــا من بَعْـــدِهِ بِغْنـــا الهِدايـــةَ بالضَّلالـــهْ.
★ اسْقِـني مثـلَ مـا أنـارَ لِعَيْـني شَفَـقٌ ألْبَسَ الصبـاحَ جَمالـهْ[8]،
قبـلَ أن تُبْصَرَ الغَزالـةُ تستد رِجُ منـه علـى السماءِ غُلالـهْ[9].

---

(١) انصرفنا (بعد أن كنا قد اكتفينا بما صدناه من قبل) إلى قنص (صيد) اللذات. قرص البرد الإنسان (اشتدّ عليه وآلمه).

(٢) عذبنا (ماؤنا الحلو؟) - جحيم..... (؟؟) - لعله يقصد « ناراً موقدة (حمراء) طلباً للدفء».

(٣) ذهبية (خمر حمراء اللون - بلا مزج بماء). الكبرى (الفاحشة) فلم يجب (لم يفعل). الرخصة (حال تجيز للمتعبّد أن يترك شيئاً من العبادة: كقصر الصلاة في السفر).

(٤) الشأو: الشوط، الأمد، الغاية. نقص عن شأوي (قصّر عن مجاراتي).

(٥) أضوى: أضعف، أرقّ، أدقّ. ذبالة: فتيلة السراج.

(٦) الحبالة (بالكسر): مصيدة، شرك (من حبال). الوتر (كناية عن العزف على العود).

(٧) طار (أسرع) النهار في الذهاب. مرتاع: خائف. أجفلت (مضت، أسرعت) الغزالة (الشمس): غابت باكراً.

(٨) مثل ما أنار لعيني شفق (خمر حمراء اللون - غير ممزوجة بماء).

(٩) قبل أن تستدرج الغزالة (الشمس) بحرارتها) منه (من الشفق:اللون الأحمر الذي يُرى على الأفق الغربي بعد غياب الشمس) غلالة (ستراً رقيقاً). - قبل أن تغيب الشمس.

وتأمّــــلْ لعَسْجــــدٍ سالَ نهراً كَرَعــت فيه، أو تَقَضّى، غزالَهْ[1].

★ لو لم يكنْ شَدْوُ الحمائمِ فاضلاً شَدْوَ القِيانِ لَما استخفَّ الأغْصُنا[2].
طَرَبٌ ثَنى حتّى الجمادَ تَرَنُّحاً وأفاض من دَمْعِ السحائبِ أعْيُنا.

★ في الرَّوْضِ منكَ مَشابِهٌ من أجْلِها يَهْفو له طَرْفي وقَلْبي المُغْرَمُ[3]:
الغُصْنُ قَدٌّ، والأزاهرُ حِلْيَةٌ، والوردُ خدٌّ، والأقاحي مَبْسِمُ.

★ ولقد قلتُ للذي قال: حُلّوا ههنا: سِرْ، فإنّنا ما سَئِمْنا[4].
لا تُعَيِّنْ لنا مكاناً، ولكنْ حيثُما مالتِ اللواحظُ مِلْنا.

★ ألا هاتِها، إنّ المَسرّةَ قُرْبُها. وما الحُزْنُ إلّا من توالي جَفائها[5]:
مُدامٌ بكى الإبريقُ عند فِراقِها فأضْحَكَ ثَغْرَ الكأسِ عند لِقائها[6].

- وله أيضاً في المُتَنَزَّهِ المعروفِ بحَوْرِ مُؤَمَّل (نفح الطيب ٣: ٥١٧):

عَرِّجْ عــلى الحَوْرِ وخَيِّمْ بــه حيثُ الأماني ضافياتُ الجَناحْ[7].
واسْبِقْ له قبلَ ارتحالِ النَّدى ولا تَزُرْهُ دونَ شادٍ وراحْ[8].
وكُنْ مُقيماً منه حيثُ الصَّبا تمتارُ مِسْكاً من أريجِ البِطاحْ[9].

---

(١) ماء النهر كعسجد (ذهب) من نور الشمس الواقع عليه، أو الأشعّة الحمراء التي تملأ الجو. تقضّى: انقضى. غزالة: ظبية.- ...... (؟).

(٢) لو لم يكن شدو (غناء) الحمام أفضل (أعذب) من شدو القيان (النساء الجميلات المغنيات) لما استخفّ الغصون (جعل الغصون تطرب وتتايل).

(٣) مشابه (أوجه شبه). هفا: حنّ، اشتاق.

(٤) حلّوا: انزلوا هنا.

(٥) هاتها (هات الخمر).- إنّ السرور أن نقرب نحن من الخمر، والحزن أن يتوالى (يتتابع، يستمرّ) جفاؤها (بعدها عنّا).

(٦) مدام (خمر). حينما يصبّون الخمر من الإبريق يمكن أن تقطر منه نقاط (فكأنّه يبكي). وحينما يتتابع صبّ الخمر في الكأس تحدث قرقرة (فكأنّ الكأس حينئذ تضحك).

(٧) ضافي الجناح: متّسع (كثير).

(٨) قبل ارتحال الندى: قبل أن تجفّف الشمس قطرات الندى (أي باكراً، قبل شروق الشمس). الشادي: المغنّي. الراح: الخمر.

(٩) الصبا: ريح الشرق. امتار جمع الميرة (الطعام).- كأن الريح الهابّة عليّ تجمع الرائحة الطيّبة من كلّ مكان.

والقُضْبُ مالَ البعضُ منها على بعضٍ كما يَثْني القدودَ ارتياح[1].
وشَقَّ جَيْبَ الصُّبْحِ نورٌ، كما شقَّتْ جُيوبَ الطَّلِّ منها الرياح[2].

★ ألا حبّذا رَوْضٌ بَكَرْنا له ضُحًى وفي جَنَباتِ الروضِ للطَّلِّ أدْمُعُ.
وقد جَعَلَتْ بينَ الغصونِ نُسَيْمَةٌ تُمَزِّقُ ثَوْبَ الطَّلِّ منها وتَرْقَعُ[3].
ونحن، إذا ما ظلّتِ القُضْبُ رُكَّعاً، نَظَلُّ لها من هِزَّةِ السُّكْرِ نركَعُ[4].

- وقال يَصِفُ غلاماً ساقياً أسودَ وقد لبس ثياباً بيضاً:

وغُصْنٍ منَ الآبِنوسِ ارْتَدى بعاجٍ، كَلَيْلٍ عَلاهُ فَلَقْ[5].
يُحاكي لنا الكأسُ في كفّه صَباحاً بجِنْحٍ علاه شَفَقْ[6].

- وله في الحِكمة، وقد ترك قوماً فاعتذر إليهم بأنه فعل ذلك مضطرًا لا عن رَغْبةٍ منه في ذلك:

تَرَكْتُكُمُ لا كارهاً في جَنابكم، ولكن أبى رَدّي إلى بابِكم دَهْري.
وطاحتْ بِيَ الأطماعُ في كلّ وِجْهَةٍ تُنَقّلني من كلّ سَهْلٍ إلى وَعْرِ[7].
وما باختيارٍ فارقَ الخُلْدَ آدمٌ؛ وما عَنْ مُرادٍ لاذَ أيّوبُ بالصبرِ.
ولكنّها الأيّامُ ليست مُقيمةً على ما اشتهاه مُشْتَهٍ أمَدَ العُمْرِ.
وإنّك إنْ فكّرتَ في ما أتَيْتُه تَيَقّنْتَ أنّ التَّرْكَ لم يَكُ عن غَدْرِ؛

---

(١) القضب (جمع قضيب): الأغصان. الارتياح: النشاط والسرور.
(٢) .... (؟).
(٣) يسقط الطلّ (الندى) عن الأغصان على الأرض (فتبدو الأرض جافّة في مواضع ومبتلّة في مواضع - فكأن البقع المبتلّة رقع على الأرض).
(٤) القضب (الأغصان) تدنو من الأرض بفعل النسيم، ونحن في مشينا يدنو أعلى جسمنا من الأرض (بفعل الخمر).
(٥) الفلق: الصبح.
(٦) الجنح: الجانب من الليل (الشديد الظلام - السواد). الشفق: اللون الأحمر الذي يبدو على الأفق الغربي بعد غياب الشمس.
(٧) طاح: اضطرب، تاه، مضى.

ولكنْ لَجاجٌ في النفوس إذا انقضى رَجَعْتُ، كما قد عادَ طيرٌ إلى وكْرِ[1].
وإنّي لَمنسوبٌ إليكم وإنْ نأتْ بيَ الدارُ عنكم، والغديرُ إلى القَطْرِ[2].
وإنّي لَمُثْنٍ بالذي نِلْتُ منكُمُ مُقيمٌ على ما تَعلمونَ من البِرّ.
وإن خُنْتُكُمْ يوماً فخانَتنيَ المُنى، وساء - لديكم، بَعْدَ إحمادِه - ذِكْري.
على أنّني أقرَرْتُ أنّيَ مُذنبٌ، وذو المَجْد من يُغْني المُقِرَّ عن العُذْرِ.

- وقال يصف ناراً مُوقدةً في زمن الشتاء ليلاً:

نَظَرْتُ إلى نارٍ تَصولُ على الدُجى، إذا ما حَسِبْناها تناءت تُبَعَّدُ[3]
تُرَفِّعُها أيدي الرياحِ، وتارةً تُخَفِّضُها فِعْلَ المُكَبِّر يَسْجُدُ[4].
وإلّا فَمَنْ لا يَمْلِكُ الصبرَ قَلْبُهُ يقومُ به غَيْظٌ هناك ويَقْعُدُ[5].
لَها أَلْسُنٌ تشكو بِها ما أصابَها وقد جَعَلَتْ من شِدّة البرد تُرْعَدُ[6]!

- وقال يصف قَوّادة (أوردُ هذه الأبياتَ لأنّها لا فِسْقَ فيها، ما عدا إشارتين بعيدتين في البيت الرابع والبيت التاسع):

قَوّادةٌ تَفْخَرُ بالعـــارِ أقودُ من لَيْـلٍ عـلى سارِ[7].
ولّاجـــةٌ في كـلّ دارٍ، ومـا يَـدْري بها من حِذْقها دارِ[8].
ظريفـــةٌ مَقبولـــةُ المُلتقـى خفيفـةُ الوَطْءِ عـلى الجـارِ[9].

---

(١) اللجاج: التادي (في العناد)، الاستعجال في معرفة النتائج.
(٢) الغدير: مجرى من الماء يغادر النهر. القطر: المطر.
(٣) تصول: تسطو، تقهر (تتغلّب على) الدجى (الليل): نار كبيرة قويّة تضيء الليل.... كلّما اقتربنا منها نراها تبعد عنّا (رغبتنا في سرعة الوصول إليها توهمنا أنّها تبتعد عنّا).
(٤) الرياح الشديدة تتلاعب بها علوًّا وهبوطاً (كما يفعل المصلّي بيديه كلّما قام بركن من الصلاة كبّر ورفع يديه إلى أذنيه ثم خفضهما).
(٥) .... أو كالغضبان لا يستقرّ على حال (يقوم ويقعد لا يدري ما يفعل).
(٦) ألسنة اللهيب تتلاعب بها الريح الشديدة (فكأنّ تلك النار ترتعد مثلنا من شدّة البرد).
(٧) الساري (السائر في الليل) يستره الليل عن عيون الناظرين.
(٨) الولّاج: الكثير الدخول (والخروج): كثير الحركة. الداري (اسم فاعل من درى): العالم بالأمر.
(٩) خفيفة الوطء (الدعس: صوت الأقدام): على الجار (لا يشعر أحد بما تعمل).

لحانُوتهــــــا لا يَنْطوي دائماً — أَقْلَــقُ من رايــة بيطــار[1].

قــد رُبِّيــتْ - مذ عَرَّفَتْ نَفْعَها — - مــا بــين فُتّاك وشُطّار[2].

جاهلــةٌ حيــث ثَوى مَسْجِــدٌ — عارفــــةٌ حانــــةَ خَمّــــار.

بَسّامــــــةٌ مُكْثِرةٌ بِرّهــــــا — ذاتُ فُكاهــــاتٍ وأخْبــــار.

عِلْمُ الـريـاضـات حَوَتْــهُ وسا — سَتْــــهُ بتقويمٍ وأسحــــار[3].

مُبْتاعــــةٌ للنعْــــل من كِيسهــــا — موسرةٌ في حــــال إعسار[4].

تَكــــاد من لُطْــفِ أحاديثهــــا — تجمــعُ بــين المــاء والنــار!

★ ولّما رأيتُ السَّعْدَ في صَفْحِ وَجْهِهِ — مُنيراً، دعاني ما رأيتُ إلى الشُكْر[5].

وأقْبَلَ يُبدي لي غَرائبَ نُطْقِهِ، — وما كنتُ أدري قبلَهُ مَنْزِعَ السِّحْر[6]،

فأصْغَيْتُ إصغاءَ الجَديبِ إلى الحَيا — ، كان ثَنائي كالرِياضِ على القَطْرِ.

- ولّما أمَرَ عبدُ المُؤمنِ بنُ عليٍّ بِسَجْنِ ... بنِ سعيدٍ (والدِ أبي جعفرِ هذا)، قال أبو جعفرٍ (وكأنّه يُخاطب أباه) من ر... بالشعر والنثر:

مولايَ، غيرُك يُعَزَّى بِما لم يَزَلْ يَجْري على ... رام، ويُذَكَّرُ تأنيساً له في الوَحْشَةِ بما يطرَأُ من الخُسوف والكُسوف على الشمس المُنيرة والبَدْرِ التَّمام...... ماذا تُفيدُكَ من العِلْمِ[7] وصدرُكَ يَنْبوعُه، وبِخاطِرِكَ لا يزالُ غُروبُه وطُلوعُهُ. وإنّما هي

---

(1) .... أقلق من راية بيطار (؟).

(2) مذ عرّفت نفعها: منذ أقنعت (طلّاب اللهو) بقدرتها. الفاتك: الجريء على المعاصي. الشاطر: الخبيث الفاجر.

(3) الرياضة (هنا): ترويض الإنسان الصعب (الإقناع بالخداع والحيلة). تقويم: إصلاح (بأسلوب خيّر) وأسحار (جمع سحر): السيطرة النفسية (الشرّ).

(4) النعل: الزوجة. من كيسها الخ: تهيّىء اللهو للمعسر (المفلّ: الذي لا مال حاضراً معه) وتنتظر أن يفيها هذا الدين في المستقبل.

(5) صفح (جانب) وجهه.

(6) المنزع: الانتهاء إلى هدف (غاية، طريقة).

(7) العلم (بمعاني أبيات ذكرها أبو جعفر بن سعيد فيها حكم ونصائح).

عادةٌ تَبِعْناها أدَباً، وقَضَيْنا بها ما في النفس من الإعلام بالتَّوَجُّعِ والتَّفَجُّع أرَباً[1]. ولعلّ اللهَ يُتْبِعُ هذه التَّسْلِيَةَ بِتَهْنِئَةٍ، ويُعْقِبُ بالنِّعمةِ هذه المَرْزِئةَ[2].

٤ - * * المغرب ٢: ١٦٤ - ١٦٨ (وأماكن أخرى مفيدة - راجع الفهرس)؛ الإحاطة ١: ٢٢٢ - ٢٢٧؛ نفح الطيب ١: ٤٧٥، ٢: ٣٢٩، ٤: ١٧٩ - ٢٠٢، ٢٠٤ - ٢٠٥ (وأماكن أخرى فيها إشارات مفيدة)؛ نيكل ٣١٧ - ٣٢٢؛ بالنثيا ١٢٧ - ١٢٨.

نزهون بنت القلاعي الغرناطية

١ - هي نزهونُ القِلاعية (بنتُ القِلاعي، وقيل القُلَيعيّ - ولعلّه: أبو بكرٍ محمّدُ ابنُ أحمدَ بنِ خَلَفِ بنِ عبدِ الملكِ بن غالبِ الغَسّانيُّ). قرأَتْ على أبي بكرٍ المخزوميّ الأعمى فكانت تلميذةً له برُغْمِ ما كان بَيْنَهما من المُعارضة والمُهاجاة. وكذلك كان بينَها وبينَ الوزيرِ أبي بكرِ بنِ سعيدٍ (صاحبِ أعمالِ غَرناطةَ في أيامِ المرابطين) مُحاضرةٌ ومذاكرةٌ ومراسلة بالإضافة إلى ما كان بينَها من الحبّ واللقاء. ثمّ كان بينَها وبينَ ابنِ قُزمانَ (نحو ٤٨٠ - ٥٥٥ هـ) منافرةٌ. ولعلّ وفاتَها كانت سَنَةَ ٥٦٠ (١١٦٥ م)[3].

٢ - كانت نزهونُ ذاتَ جَمالٍ فائقٍ خفيفةَ الروحِ حُلوة اللفظِ سَريعةَ البديهةِ كثيرةَ النوادرِ بارعةً في الأدب حافظةً للأشعار مَعَ المعرفةِ بضَرْبِ الأمثالِ نابغةً في قولِ الشعر، إلّا أنّها كانتْ ماجنةً بلا احتشامٍ ولا عِفّةٍ. وشِعْرُها وُجْدانيّ أكثرُه الغَزَلُ والهجاء.

---

(١) الأرب: الحاجة.

(٢) المرزئة: المصيبة (الكبيرة).

(٣) نقل المَقّري (نفح الطيب ٤: ٢٩٥) عن الحجاري أنّ نزهون كانت «من أهل المائة الخامسة» (٤٠٠ - ٤٩٩ هـ). ولكنّ نزهون كانت تلميذة للمخزومي الأعمى، وقد كان حيًّا بعد ٥٤٠ هـ (نفح الطيب ١: ١٩٣) كما كانت معاصرة لابن قزمان (٤٨٠ - ٥٥٥ هـ). وعلى هذا قبلت أن تكون وفاتها سنة ٥٦٠ أو بعدها بقليل.

٣- مختارات من آثارها:

- لمّا تَعجّبَ الأعمى المخزوميُّ من مجلسِ أبي بكرِ بن سعيدٍ ومّا كان فيه من النعيم- وكانتْ نزهونُ حاضرة- قالتْ له:

وَتَراكَ، يا أستاذُ، قديم النعمةِ بمجْمَرِ نَدٍّ وغِناءٍ وشَرابٍ، فَتَعْجَبَ من تأتّيهِ وتُشَبِّهُهُ بنعيمِ الجَنّةِ وتقولَ: ما كانَ يُعْلَمُ إلّا بالسّماع ولا يُبْلَغُ إليه بالعِيان! ولكنْ من يجيءُ من حُصْنِ المُدَوَّرِ وينشأ بينَ تيوسٍ وبَقَرٍ، من أينَ له معرفةٌ بمجالسِ النعيمِ؟

فلمّا استَوفَتْ نزهونُ كلامَها تَنَحْنحَ المخزوميُّ الأعمى، فقالت نزهونُ: ذُبْحَةٌ!

- إنّ نزهونَ شاهدت ابنَ قُزمانَ الأصغرَ يلبَسُ غِفارةً (خُرْقَةً تُلْبَسُ تحت القلنسوة!) فقالتْ له:

أصبحتَ كَبَقَرَةِ بني إسرائيلَ، ولكنْ لا تَسُرُّ الناظرين.

- دخل الشاعرُ الكُتَنْديُّ على المخزوميِّ الأعمى، ونزهونُ عند المخزوميّ تقرأ عليه. فقال الكُتندي للمخزوميّ: أجزْ: «لو كنتَ تُبصِرُ من تُكَلِّمُه»! فأُفحِمَ المخزوميُّ ولم يَحِرْ جواباً، فقالتْ نزهونُ:

.... لَغَدَوْتَ أخْرَسَ من خَلاخِلِهِ[1].
البدرُ يطلُعُ من أزِرَّتِهِ، والغُصنُ يمرَحُ في غلائِلِهِ[2].

- قالتْ تُخاطبُ الأعمى المخزوميَّ بهجاءٍ فيه إقذاعٌ[3]:

قُلْ للوضيعِ مقالاً يُتلى إلى يومِ يُحشَرْ:
مِنَ المُدوّرِ أُنشِئتَ، والخَرا مِنكَ أعطَرْ،

---

(١) الخلخال (بالفتح): حلية (بالكسر) كالسوار تلبسها النساء في الأرجل. أخرس من خلاخله: كثير الصمت. (إذا كانت المرأة سمينة فإنّ الأساور والخلاخيل في يدي المرأة ورجليها لا تتحرّك فلا تحدث صوتاً).

(٢) الزرّ: مدخل الثوب في العنق. الغلالة (بالكسر): ثوب رقيق يلبس (مباشرة على البدن). البدر (الوجه الجميل) والغصن (القامة المشوقة).

(٣) في هذه المقطوعة كلام قبيح وصور قبيحة لا حاجة إلى تفسيرها.

حيــــثُ البــــداوةُ أمْسَتْ　　في مَشْيِهــــــــا تَتَبَخْتَرْ.
لـــذاك أمْسَيْـــتَ صبًّـــا　　بكُـــلِّ شيءٍ مُـــدوَّرْ:
خُلقْـــتَ أعْمَـــى، ولكنْ　　تَهِـــيمُ في كـــلِّ أعْوَرْ!
جازيـــــــتُ شِعْراً بشِعْرٍ،　　فقُـــلْ، لَعَمْري: مَن أشعر؟
إنْ كنـــتُ في الخَلْـــقِ أنثـــى،　　فـــــإنَّ شِعري مُذَكَّرْ!

- وقالتْ تَنْسِبُ بأبي بكرِ بنِ سعيدٍ:

حلَلْتَ، أبا بكرٍ، مَحَلًّا مَنَعْتُه　　سِواكَ. وهلْ غيرُ الحبيبِ له صَدْري؟
وإنْ كانَ لي كَمْ من حبيبٍ فإنّما　　يُقَدِّمُ أهلُ الحَقِّ حُبَّ أبي بكرٍ[1]!

- ولها في النسيبِ الصريح:

للهِ درُّ الليــالي مــا أُحَيْسَنَهــا،　　ومـا أُحَيْسَنَ منها ليلةَ الأحدِ!
لو كنــتَ حاضِرَنا فيها وقد غَفَلَتْ　　عـينُ الرقيبِ فلم تَنْظُرْ إلى أحَدٍ،
أبْصَرْتَ شمسَ الضُّحى في ساعِدَيْ قَمَرٍ،　　بـل ريمَ خازمةٍ في ساعِدَيْ أسدٍ[2]!

٤ - ** بغية الملتمس ٥٣٠ (رقم ١٥٨٨)؛ المغرب ٢: ١٢١، راجع ١: ٢٢٣؛ المقتضب ١٦٤ - ١٦٥؛ راجع الإحاطة ١: ٤٣٢ - ٤٣٥؛ نفح الطيب ١: ١٩٢ - ١٩٣، ٣: ٢١٨، ٤: ٢٩٥ - ٢٩٦، ٢٩٧ - ٢٩٨، راجع ١: ١٩٠ وما بعد؛ نيكل ٣٠٢ - ٣٠٨، مختارات نيكل ١٨٠ - ١٨١؛ الأعلام للزركلي ٨: ٣٣٢ (١٧)؛ بالنثيا، راجع ١٢٥ و ١٦٥.

أبو العبّاس الجراوي المالَقيّ

١ - هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ حسنِ بنِ سيدِ الجراوي المالقي[3] أخذ النحو عن

(١) يقدّم أبو بكر (عشير نزهون) على جميع محبّيها، كما قدّم أبو بكر الصديق في الخلافة على جميع المسلمين. - كم من حبيب (محبّون كثيرون).

(٢) شمس الضحى (المرأة الجميلة) والقمر (الرجل الجميل). الريم: الغزال الأبيض (المرأة الجميلة) الأسد (كناية عن الرجل القويّ).

(٣) هو غير أحمد بن عليّ بن سيد الإشبيلي المعروف باللصّ المتوفّى سنة ٥٧٦ هـ. وغير ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ).

سليمانَ بنِ محمّدٍ المالقي المعروفِ بابن الطراوة (ت ٥٢٨ هـ) وأخذ اللُغةَ عن محمّدِ بنِ مَعْمرٍ المعروفِ بابنِ أُختِ غانمٍ (ت بعيد ٥٢٤ هـ).

وقد وقعت وحشة بينَ أبي العبّاس الجراوي والقاضي ابن الوحيديّ[1] فاضطُرّ إلى الانتقال من مالَقَةَ فذهبَ إلى قُرطبة. ثمّ إنّ الجراويَّ استمال ابنَ الوحيدي فلَانَ ابنُ الوحيدي له فعاد إلى مالَقَة بَعْدَ غيابٍ أربعةِ أعوامٍ. ثمّ تولّى القضاءَ أبو الحكمِ ابنُ حسّونٍ فقرّبَ أبا العبّاس الجراويَّ. ويبدو أن ابنَ حَسّونٍ هذا قُتِلَ (٥٤٧ هـ)[2] فانتقل الجراويُّ إلى مَرّاكُشَ وأدّب أبناءَ أميرِ المُسلمينِ عبدِ المؤمن بنِ عليّ[3] فسما قدرُهُ وعَظُمَ صِيتُه.

وكانت وفاةُ أبي العبّاس الجِراويّ بُعيدَ سَنَةِ ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م).

٢ - كان أبو العبّاس الجراويُّ من كِبارِ النُحاة والأدباء في الأندلس، وكان كاتباً بليغاً وشِعرُهُ متينُ السبك. والأبيات القليلةُ المَرْوِيّةُ له هي في الأدب (الحكمة).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو العبّاسِ الجِراويّ المالَقي:

---

(١) هو أبو محمّد عبد الله بن عمر الوحيدي، ولي القضاء في مدينة ريّة (٥٢١ - ٥٣٩ هـ) فسار بالعدل وأدخل على إدارة الأحباس (الوقف) إصلاحاً كبيراً. ثمّ لمّا شاخ اعتزل القضاء واستغنى عن أخذ المرتّب الذي يعطى لأمثاله. وكانت وفاته سنة ٥٤٢ هـ. كتب إليه الخطيب ابن أبي العيش يوصيه بأحد المتخاصمين لديه فكتب إليه ابن الوحيدي:

« وهبك الله وإيّاي من نِعَمِهِ السوابغ الضوافي، وأوردك من نسمه العِذاب الصوافي. ولا زلت بصيراً بمكائد الناس... فإنّك كما تدريهم بريشهم الباطل ويبريهم (يفتنون من طريق الباطل ويفتقرون من طريق الباطل). والعاقل يعظهم ولا يغريهم (لا يستطيع استمالتهم إلى سماع الوعظ). ومثلك من الإخوان من علم تلوّن الزمان، وعرف سير العجم والعرب، ولم يغب عنه الفرق بين السمع (؟ - لعلّ المقصود هنا « الشمع »، وهو ما يعمله النحل بيوتا مسدّسة ثمّ يخزن فيها العسل). والضرب (بفتح ففتح: العسل). لا سيّما والدنيا قد صارت مكشوفة وأخلاق أهلها معروفة. فهناك يجب أن يحذر المرء أخاه.... والوليّ تكفيه الإشارة، وإن قصّرت عن الغرض المطلوب العبارة..... » (راجع المرقبة العليا ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) راجع المرقبة العليا ١٠٤، السطر الثالث وما بعده.

(٣) دخل عبد المؤمن بن عليّ مدينة مراكش وانتزعها من يد المرابطين سنة ٥٤١ هـ.

★ وبـيـنَ ضُلوعي للصَّبابـةِ لَوْعَـةٌ بِحُكْمِ الهوى تَقْضي عليَّ ولا أَقْضي[1].
جنى ناظري منها على القلبِ ما جنى فيا من رأى بعضاً يُعين على بعـض[2].

★ لَمّـا رأيتُـكَ عـينَ الزمـانِ وأنّ إليـك تُحَـثُّ الخُطـا[3]،
بَكَرْتُ إليـك بُكورَ الغُرابِ ورُحْتُ عليك رَواحَ القَطا[4].

★ ورأى أبو العبّاس الجراويُّ جريحاً أُصيبَ بسَهْمٍ فقال:

حَسَدَتْكَ نُشّابُ القِسِيِّ لأنْ رأتْ عَيْنَيْكَ أمضى في الإصابة مَقصِدا[5].
فجَنَتْ عليك. ويا لها مِمّا جَنَتْ. لَهفي عليكَ، فكم خَشِيتُ الحُسّدا!

- وللجراوي (؟) في الغزل (المغرب ٢: ٢٦٩):

يوسف، يــا بغيــتي وأنسي، صيّرني مُغرَمــاً هواكــا.
حويــت قلــبي، وأنــت فيــه. كيــف حويــت الــذي حواكــا؟

٤-★★ زاد المسافر ٣٤ (٤٩ - ٥١)؛ الوافي بالوفيات ٦: ٣٠٧ - ٣٠٨؛ تحفة القادم ٤٤؛ المطرب ٢٠٠؛ تكملة التكملة ٨٥؛ بغية الوعاة ١٣٠.

أخيل الرُّنْديّ

١ - هو أبو القاسم أخِيلُ بنُ إدريسَ، كان في أوّلِ أمرِهِ كاتباً للمرابطين ثمّ اتّخذه حَمْدينُ بنُ محمّدٍ كاتباً، وكان حمدينُ مُستبدًّا بقُرطبة. فلمّا استَوْلى ابنُ غانيةَ على قُرطبةَ رَجَعَ أخيلُ إلى بلدهِ رُنْدةَ واستطاع أن يستبدَّ بها مُدّةً يسيرةً. غيرَ أنّ ابنَ غرّون (وكان من رجال ابنِ حَمدينٍ) استَوْلى على رُنْدةَ فنجا أخيلُ بنفسهِ إلى مالَقَةَ

---

(١) الصبابة: الحبّ. لوعة: حرقة..... - بحكم المحبوب عليّ فأقبل حكمه وأنا لا أستطيع أن أحكم عليه.
(٢) عيني رأته فأحبّته فأصبحت معذّباً فيه. ومن العجيب أن بعضي (عيني) جنت على بعضي (قلبي).
(٣) عين الزمان: خير الناس. (ورأيت) أن جميع الناس تسرع إليك (تطلب فضلك).
(٤) القطا طائر سريع الطيران.
(٥) النشّاب جمع نشّابة (بضمّ النون فيها): النبل (بفتح النون): السهام. القسيّ جمع قوس. السهام حسدتك لأنّها رأت أنّ عينيك (سهام عينيك) أشدّ إصابة للهدف منها.

لاجئًا إلى صاحبها (؟) ابنِ حسّونٍ.

ثمّ إنّ أخيلَ ذَهَبَ إلى مَرّاكُشَ واتّصلَ بالوزيرِ أبي جعفرِ بنِ عَطيّةَ (قتل ٥٥٣ هـ) فعَطَفَ عليه أبو جعفرٍ وردّ إليه ما كان قد نُهِبَ من أمواله. واستَوْطن أخيلُ مَرّاكُشَ مدّةً ثمّ وقعتْ بينَه وبينَ السُّلطان عبدِ المؤمنِ وَحْشةٌ - لوشايةٍ نُقِلَتْ إلى عبدِ المؤمنِ زَعَموا فيها أنّ أخيل قال عن عبد المؤمن: كيفَ تَصِحُّ له الخِلافةُ وليسَ بقُرَشِيٍّ!- فعاد إلى الأندلس. وقد تولّى أخيلُ قضاءَ قُرطبةَ ثمّ قضاء إشْبيلية. وكانتْ وفاتُه في إشْبيلية سَنَةَ ٥٦٠ أو ٥٦١ هـ (١١٦٤ - ١١٦٥ م).

٢ - كان أخيلُ الرُّنديُّ فقيهاً وشاعراً وناثراً مُترسِّلًا (لأنّه كان يكتُبُ في الدواوين) وتَغلِبُ السهولةُ على شعرهِ ونثرهِ معاً. ولكنْ ربّما تطلّبَ التجنيسَ فلم يُحْسِنْهُ، كما قالَ في مدح السُّلطان عبد المؤمن بن عليّ:

ما الفخرُ إلّا فخرُ عبدِ المؤمن. أثنى عليهِ كلُّ عبدٍ مؤمن.

ولا رَيْبَ في أن التجنيسَ هنا باردٌ. ولكنْ لمّا عرّض أخيلُ بمحمّدِ بنِ سعدٍ المعروفِ بابنِ مَرْدنيشَ والثائرِ على المُوحِّدين في الأندلس فقال:

أمّا ابنُ سعدٍ فَهْوَ أولُ مارِقٍ. يا لَيْتَه بأبيهِ سعدٍ يَكْتَني[1].
ما قدرُ مُرْسِيَةٍ وحُكمُكَ نافذٌ إنْ شِئتَ من عَدَنٍ لأرضِ المَعْدِنِ[2].

سُرّ عبدُ المؤمن وقال له: أجَدتَ. فقال أخيلُ مُرْتَجِلًا بيتينِ من البحر والقافية:

من لي، أميرَ المؤمنين، بمَوْقِفي هذا؟ وقولُك لي: أجدتَ ولم تَنِ[3]!
فلقد مدحتُكَ خائفاً ألّا يَفي لَسْني بما يُعْيي جميعَ الألسُنِ[4].

---

(١) المارق: الخارج من الدين (الكافر). يا ليته..... هو لا يكتني بأبيه سعد لأنّه يعرف أن سعداً ليس والده.

(٢) أرض المعدن: انكلترة أو إسبانية (؟).

(٣) ونى يني: تعب (قصّر).

(٤) لسني (بفتح فسكون): كلامي، لغتي. الألسن جمع لسان: لغة. يعيي: يتعب، يجعل الإنسان عاجزاً.

٣ - مختارات من آثاره:

قال أخيلُ بنُ إدريسَ يُعاتبُ مَحْبوبَه:

شتّانَ ما بَيْني وبينَك في الهوى: أنا أبْتَغيكَ وأنتَ عنّي تَصْدِفُ[١].
وإذا عَتَبْتُكَ وارْعَوَيْتَ يَبينُ لي في الحينِ منك بأنّ ذاك تكلُّفُ[٢].
يا ليتَ شِعري، كيفَ يُقْضى وَصْلُنا؟ والعمرُ يَفنى والمواعدُ تُخْلَفُ!

- وقال في المديح:

إليك أخذتُ حِبالَ الذِمامِ وفيك تعلّمتُ نَظْمَ الكلام[٣]؛
فأرسلتُهُ جائلاً كالرماحِ، وصُلْتُ به ثائراً كالحسام[٤].
وما كُنتُ منه، ولكنّها أيادٍ تُفَجِّرُ صُمَّ السِلامِ[٥].
وتَثْني الغصونَ على هِزّةٍ كأنّ بها سَكَراتِ المُدامِ[٦].
فَتَسْي المكرُماتِ تَصدّى لها بحُكْمِ الكُهولِ وسِنِّ الغُلامِ.
وساق إلى المُسلمينَ التي أنارتْ لهم في اعتكارِ الظلامِ.

- وقيل لأخيلَ، وقد هَجَرَهُ عبدُ المؤمن، اكتُبْ إليه معتذراً وبَرْهِنْ على براءتِكَ، فقال:

«ما يكونُ أميرُ المؤمنين هَجَرني إلّا وقد صحّ[٧] عنده (ما نقل إليه عنّي). ولا (أُريد) أن أنسِبَهُ في أمري للجَوْرِ[٨] وقِلّةِ التَثَبُّتِ. وإنّما أرغَبُ في عفوِه ورحمته».

- وله من رسالة (المغرب ٣٣٥):

(١) أبتغيك: أريدك، أطلبك (أحبّك). صدف: مال.
(٢) إذا عتبتك (لمتك) وارعويت (رجعت عن هجري) يبين (يظهر) لي في الحين (حالاً).
(٣) الذمام العهد. إليك الخ: جعلت كلّ مودّتي لك (؟).
(٤) صال: سطا، قهر (هجم، قاتل).
(٥) الأصمّ: الصلب (بالضمّ). السلام (بالكسر) جمع سلمة (بفتح فكسر): الحجر.
(٦) المدام: الخمر.
(٧) صحّ: (ثبت). يريد الشاعر أن يجعل نفسه مذنباً على أن يجعل ظنّ السلطان كاذباً.
(٨) الجور: الظلم.

قد تخيّلتُ أنّ الهوى لا يبلُغُ إلى هذا الحدّ، كما تخيّلتُ أنّك لا تنتهي في الجَفاء إلى هذا الإعراض والصدّ. فبتُّ أرقُبُ الكواكبَ كأنّي مُنجِّمٌ حاسبٌ، مُنشِداً لأُفُقِ السماء - وقد تخيَّلَ[1] أنّي عَلِقتُ بقَمَرِه وقاسيتُ منه أشدَّ العَناء[2] -:

لو بــــاتَ عِنـــدي قَمَري مـــا بِـــتّ أرْعـــى قَمَرَكْ.

- ولأخيلَ الرُّنديِّ في الخمر (المغرب ١: ٣٣٥):

وَدِدتُ أنّ الْمُـــدامَ حِـــلٌّ فأصْرِفَ الهمَّ بالْمُـــدامِ[3].
لكنّنـــي خائـــفٌ عِقابـــاً مُجانِـــبٌ لَـــذّةَ المَـــلام.
يـا لَيْتَـني قد خُلِقْت من قَبْـ ـلِ حرّموهـــا بألـــفِ عـــام.

٤-* * * المغرب ١: ٣٣٥ - ٣٣٦؛ الحلّة السيراء ٢: ٢٤١ - ٢٤٥؛ نفح الطيب ٣: ٢٤٩، ٤: ٢٠٢ - ٢٠٣؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٦٥ (٢٧٨).

أبو بكر اليكّي

١ - هُوَ أبو بَكرٍ يَحيى بنُ عبد الجليلِ بنِ سَهْلٍ اليَكّيُّ نِسْبَةً إلى يَكّةَ (بالياء) وهي حِصْنٌ شَمالَ مُرْسِيَةَ. أفرطَ اليكّيُّ في هِجاء أهلِ فاسَ فلُفِّقَتْ عليه دَعْوَى بدينٍ، فيما قِيل، وسُجِنَ بها. وكانتْ وفاتُه بُعَيْدَ سَنَةِ ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م).

٢ - كانَ اليكّيُّ شاعراً له إجادةٌ. ومُعْظَمُ شِعرِهِ في الهجاء، وفي هجاء أهلِ فاسَ خاصّةً، بألفاظٍ مُقْذِعَةٍ. ويبدو أن شُهرتَه كانتْ لِوُقوعه في أعراضِ الناسِ أكثرَ منها لجَوْدةِ هِجائهِ من ناحيةِ اللّفَتاتِ والصُّوَرِ الشِعرية.

٣ - مختارات من شعره:

- قال اليكّيُّ يمدَحُ المُرابطين (وهم من بني لَمْتونَةَ البربرِ)، ويُقال لهم المُلَثَّمون

(١) تخيّل أفق السماء.
(٢) العناء: التعب.
(٣) المدام: الخمر. حلّ: حلال.

لأنّ رجالَهم يَضَعون على أوْجُهِهِمْ لِثاماً:

قومٌ لهم شَرَفُ العُلا في حِمْيَرٍ، وإذا انْتَمَوْا لَمْتُونَـــةَ فهُمُ هُمُ!!
لّما حَوَوْا إحرازَ كـلّ فَضيلـةٍ غَلَـبَ الحيـاءُ عَلَيْهِمُ فَتَلَثَّموا!

- ومن هِجائه الذي يُمْكِنُ أن يُسْتَشْهَدَ به:

إنّ المُرابِـطَ[1] باخـلٌ بنَوالـهِ لكنّـــه بعِيالـــهِ يَتَكرّمُ[2].
الوجهُ منه مُخَلَّقٌ بقَبيحِ ما يأتيـهِ فهو مِنَ اَجْلِـهِ يَتَلَثّمُ[3].

★ قَصَـــدتُ جِلّـــةَ فـــاسٍ أَسْتَرْزِقُ اللهَ فِيهِمْ[4].
فمـا تَيَسّرَ مِنهُمْ دَفْعَتُـــــــــه لِبَنِيهِمْ.

- وقال له فتًى اسمُه أيْمَنُ: هَجَوْتَني. فقال:

أيْمَنُ، لم أهْجُـكَ. لا، والـذي يَعْلَمُ مـــا أُخفي ومـــا أُظْهِرُ.
إن كُنْـتُ في ما قُلْتُهُ كاذباً، كَفَرْتُ بـــــــالله كما تَكْفُرُ؛
وحـلّ بي داؤكَ - ذاك الـذي إنْ ذُكِرَ الأدواءُ لا يُذْكَرُ.

٤ - ★★ المغرب ٢: ٢٦٦ - ٢٧٠؛ زاد المسافر ١١٩ - ١٢٣؛ بغية الملتمس ٤٨٨ - ٤٨٩ (رقم ١٤٧٩)؛ المطرب ١٣٢ - ١٣٣؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٦٩؛ صلة الصلة ١٧٧ - ١٧٨؛ نفح الطيب ٣: ٢٠٥ - ٢٠٦، ٣٢٤؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٨٧ (٨: ١٥٢).

---

(١) هنالك اعتقاد سائد بأن أصل البربر من حمير (أهل اليمن). - هؤلاء عظماء سواء أكان أصلهم من حمير أو إذا اكتفوا بالانتساب إلى قبيلتهم لمتونة.
(٢) المرابط: المدافع عن حدود البلاد الإسلامية (وهنا: واحد المرابطين، البربر من لمتونة).
(٣) مخلّق: مشكّل على هيئة معيّنة.
(٤) الجلّة: كبار القوم.

عصر الموحّدين

(نحو ٥٢٤ هـ إلى ٦٧٤ هـ)

لـمّا ضعُفَ أمرُ المرابطين قام رجلٌ يُدعى أمغارَ بنَ تومرتَ الهَرْغيُّ من قبيلةِ مصمودةَ من أهل السوس - ويسمّيه أتباعُه أبا عبدِ الله محمّدَ بنَ عبدِ الله بنِ تومرتَ، ويذكُرون أنّه من نسلِ الحَسَنِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ - بدعوةٍ للإصلاحِ في مدينةِ تِينَمَلَ (في جبال الأطلس). وكان ابنُ تومرتَ هذا قد تطوّفَ في البلاد ووصلَ إلى بَغْدادَ. ويذكُرون أنّه لَقِيَ الغزّاليَّ. ولكنّ الراجحَ أن ابنَ تومرتَ يَجِبُ أن يكونَ قد وَصَلَ إلى بغدادَ في سَنَةَ ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) أو قبلَ ذلك بمُدّة يسيرةٍ (ولم يكنِ الغزّالي، في ذلك الحينِ، في بغدادَ - بل كان قد اعتزل في طوسَ بفارسَ). ولكنّ لا شكّ أبداً في أنّه اتّصل بِنفَرٍ من أتباعِ الغزّاليّ وأنصارِه، غيرَ أنّ تأثّرَه بآراء الغزّاليّ لم يكنْ فاصلًا. وعِنْدي أنّ الذين رتّبوا هذه الرواية إنّما أرادوا أن يُسْبغوا على حركةِ ابنِ تومرتَ شيئاً من الوجاهة، لأنّ كلَّ دعوةٍ جديدةٍ مُحتاجةٌ إلى صِلَةٍ بحَركة كانت معروفةً من قبلُ وعلى شيءٍ من الثبات في نُفوس الناس.

ولـمّا عادَ ابن تومرتَ من رِحلتِهِ في المشرق وقامَ بحَركته ثمّ كَثُرَ أتباعُه سمّاهُمُ «المُوحِّدينَ» وتَسمّى هو «المَهْدِيَّ بنَ تومرتَ». بعدَئذٍ أرسلَ، سَنَةَ ٥١٧ هـ (١١٢٣ م)، جيشاً بقيادةِ أحدِ أتباعِهِ المُخلصينَ الأشدّاء - عبدِ المؤمنِ بنِ عليٍّ الكُومِيِّ - لِقتال المُرابطين.

ثمّ تُوُفِّيَ المَهْدِيُّ بنُ تومرتَ فجأةً - وقبلَ أن يبلغَ الخمسين من العُمُر، في الغالب - فكتم أتباعُه خبرَ موتِهِ حتّى اتّفقوا على خَلَفٍ له. ولا ريبَ في أن خِلافَهم كان حادًّا بينَ رؤساء القبائلِ الكبيرةِ، تلك القبائلِ التي لم يَرْضَ بعضُها أن يُقِرَّ

لبعضٍ بالتقدُّم والسِيادة، فاتّفقوا على ما يَجْري مِثْلُه، في مثل تلك الأحوال، على رجلٍ من قبيلةٍ غيرِ قويّةٍ هو عبدُ المؤمنِ بنُ عليّ. ولقد كان من الأسبابِ التي ساعدتْ على اختيار عبدِ المؤمن أنّه كان من المُقرّبين إلى المَهْدِيِّ بنِ تومرتَ وأنّه كان ذا سابقةٍ في الجِهاد في سبيلِ قيامِ الدولةِ التي دعا المَهْدِيُّ بنُ تومرتَ إلى قيامِها.

أخضعَ عبدُ المؤمن قبائلَ المغرب وطهّر سواحلَ إفريقية من النورمان ثمّ جاز إلى الأندلس واستولى على مُدُنِها من أيدي بقايا المُرابطينَ ومن أيدي الإسبانِ أيضاً. ولمّا توفّي عبد المؤمن (٥٥٨ هـ = ١١٦٣ م) كان حُكْمُ الموحّدين قد تَوَطّد في المغرب وفي الأندلس. وكان أعظمَ سلاطينِ المُوحّدينَ أبو يعقوبَ يوسفُ حفيدُ عبدِ المؤمن والمعروفُ بِلَقَبِ المنصور المُوَحّدي، وكان مُعاصراً للسُلطانِ صلاحِ الدين الأيوبي.

وفي أيامِ المنصورِ الموحّدي وصَل بنو هِلالٍ وبنو سُليمٍ إلى المغرب. وآسْتَنْجَدَ صلاحُ الدين بالمنصور الموحّدي فلم يَسْتَطِعِ المنصورُ إنجادَه لأنّ يَدَيْهِ كانتا مَغْلُولَتَيْنِ بالجِهادِ في الأندلس.

وفي سنة ٥٩١ هـ = ١١٩٤ كانت حشودٌ عظيمةٌ من الصليبيّين آتيةً إلى المشرق فنَزَلتْ على سواحل الأندلس واشْتَرَكَتْ مَعَ ألفونسَ الثامِن ملكِ قَشْتالةَ في قتالِ مُسْلِمي الأندلس وأكْثروا القتل والتدمير. فجاز المنصورُ الموحّدي إلى الأندلس، في تلك السَنَةِ نفسِها، وقاتل الإسبان والفِرنجةَ في معركة الأرَك وانتصر نصراً مُبيناً كالنصرِ الذي حازهُ يوسفُ بنُ تاشفين في مَعْركة الزلّاقة.

ولمّا توفّي المنصورُ الموحّديُّ (٥٩٥ هـ =١١٩٩م) خَلَفَه ابنُه محمّدٌ الناصر. ثمّ اشتد أذى الإسبان على المُسلمين في الأندلس فجاز الناصرُ، سَنَةَ ٦٠٢ هـ، وقاتل الإسبانَ في معركة العُقاب في مَوْضعٍ يُعْرَف بحُصْن العِقبان، ولكنّ المسلمين انهزموا. ثمّ جاء بعدَ الناصرِ ابنُه يوسفُ المُنْتَصر (٦١٠ هـ = ١٢١٣ م). ولـمّا ألحّ الإسبانُ على المُسلمين في الأندلسِ أمرَ المنتصرُ الولاةَ الموحّدين على الأندلس بمُحاربةِ الإسبانِ فوقعتِ المَعْركة في قَصْر أبي دانِسٍ وانْهَزَم المسلمون فيها هزيمةً كالهزيمةِ في معركة العُقاب. وقدْ دَلّتْ هذه المعركةُ على ذَهابِ قوّة الموحّدين وعلى ضَعْفِ أمرِ المسلمين في الأندلس.

كانَ عبدُ الواحدِ الحَفصيّ والياً للموحّدين على تونسَ، فلمّا تُوُفّيَ، سَنَةَ ٦١٨ هـ (١٢٢١ م)، خَلَفَه ابنُه عبدُ الرحمن ثمّ ابنُه الآخرُ عبدُ الله (سنة ٦٢٠ هـ). ثمّ جاء أبو زكريّا يحيى بن عبد الواحد وأمْرُ الموحّدين في إدبار فأعلن استقلالَه ونازع الموحّدين، ثمّ نازع بني مَرينٍ حتّى امتدّ مُلْكُه من طَنْجَةَ في الشّمال إلى سِجِلْماسةَ في الجَنوب. وأغزى أبو زكريا الحفصي جيشاً إلى الأندلس، ولكنْ لم يَنَلْ مَراماً. وقدْ كان أبو زكريا الحفصي أعظمَ الحَفْصِيّين، وهُوَ الذي بنى، في تونسَ، جامعَ القَصَبَةِ وصَوْمَعَتَه الجميلةَ وبنى سوق العَطّارينَ وكثيراً من المساجدِ والمدارسِ. ولمّا تُوُفّيَ (٦٤٧ هـ = ١٢٤٩ م) كانتْ أمورُ بني حَفْصٍ قد تلاشت.

أما بنو مَرينٍ فكانوا يَنْزِلون في بلادِ القِبْلة ما بينَ الزاب وسِجِلْماسةَ (في المغرب الأقصى). فلمّا ضَعُفَ الموحّدون، بعدَ وقعة العُقاب انتشرَ بنو مَرينٍ في المغرب بقيادة رئيسِهِمْ عبد الحقّ بن محيو، لكنّه قُتِلَ في حَرْبِ زِناتة (٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م). وكان أعظمَ ملوكِ بني مَرينٍ يعقوبُ المنصورُ المَرينيّ فقدِ اتّسعَ مُلْكُه من فاس إلى سلا قُربَ الرِباط وسِجِلْماسة ثمّ إلى وادي أمّ الربيع جَنوباً. وقد جاز المنصورُ المرينيُّ إلى الأندلس أربع مراتٍ سيأتي الكلامُ عليها في الكلامِ على بني الأحمر. وفي سَنَةِ ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) استولى الإسبان على مَرْفأ سَلا فأخرجَهُمُ المنصورُ منه ثمّ حَصّنه.

وأمّا بنو عبدِ الوادِ فكانوا وُلاةً للموحّدين على المغرب الأوسط. فلمّا ضَعُفَ الموحّدون أسّس جابرُ بنُ يوسفَ دولةَ بني عبد الواد، سَنَةَ ٦٢٧ هـ (١٢٣٠ م). وفي سَنَةِ ٦٣٣ هـ استقلّ يَغْمَراسَنُ بن زَيّانَ بالمغرب الأوسط واتّخذ تِلِمْسانَ عاصمةً، ولكنّ الحربَ ظلّت سِجالاً بينه وبين الحفصيّين أصحاب تونسَ وبين المَرينيّين أصحابِ المغرب الأقصى. وفي سَنَةِ ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) استَوْلى بنو مَرينٍ على تِلِمْسانَ وزالتْ دولةُ بني عبد الواد.

وعظُمتْ شُهرةُ المنتصر بالله الحَفصيّ الأولِ، وهو أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ أبي زكريّا (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) في المغربِ كُلّهِ وفي الأندلس أيضاً، واستبحرتْ في أيامه الحضارةُ وكَثُرَ العُمرانُ.

ولمّا تتابعتِ المعاركُ على الإفرنج الصليبيّين في المَشْرقِ أرادَ البابا وملوكُ أوروبّة أنْ يُحرزوا شيئاً من النصر في المغرب فأقنعوا لويسَ التاسعَ مَلِكَ فرنسةَ بأنْ يقودَ حملةً صليبيّةً على تُونسَ فجاء على رأسِ أربعينَ ألفَ جُنديٍّ ونزل على الشاطىء التونسيّ فتصدّى له أهلُ تُونِسَ، وسارعتْ إلى نَجْدةِ التونسيّين قبائلُ من المغرب الأوسط (القطر الجزائري). وبعد حربٍ اتّصلتْ سِتّةَ أشهُرٍ هلَكَ لويسُ التاسعُ، في العاشرِ من المُحَرَّم من سَنَةِ ٦٦٩ (١٢٧٠/٨/٢٩ م) وهلك معه مُعظَمُ جيشهِ.

ظلّ الموحّدونَ في نِزاعٍ وقِتال حتّى زالتْ سُلْطَتُهم عن الأندلس. ثمّ قَوِيَ أمرُ بني مَرينٍ فقاتلوا الموحّدين وساروا على مَرّاكُشَ. وقد تَصدّى لَهُمُ المَلِكُ أبو العلاء إدريسُ المَرينيُّ المعروفُ بِلَقَبِ أبي دبّوسٍ ولكنّه قُتِلَ في المَعْركة (٦٦٨ هـ = ١٢٦٧) ودخل المرينيّون مَرّاكُش. وانسحبَ الموحّدون إلى تِينمَلّ وبايعوا فيها إسحاق بنَ أبي إبراهيمَ. وفي سنة ٦٧٤ هـ قَبَضَ السلطانُ يعقوبُ بنُ عبدِ الحقّ المرينيُّ على إسحاقَ ابن أبي إبراهيمَ وقتله فانقرضتْ بمَقْتَله دولةُ الموحّدين.

ولمّا بدأ أمرُ بني حفصٍ يضعُفُ بتنازُعِ أمراءِ البيت المالك قاد أبو الحسنِ المَريني جيشاً كبيراً، سَنَةَ ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) وانتزع قُسَنْطينَةَ من يدِ الحفصيّين ثمّ استولى على عاصِمَتِهِمْ تُونِسَ. غيرَ أنّ أبا الحسنِ المَرينيَّ أساءَ السيرةَ فثارت عليه فِتنةٌ شديدةٌ فاضْطُرَّ إلى الرجوعِ عمّا كان قدِ استولى عليه (٧٥٠ هـ).

أما أعظمُ سلاطين الدولةِ الحَفْصيةِ فكان أبا فارسٍ عزّوزاً (عبدَ العزيز) فإنّه وسّع مُلكَه ووطّدَ الأمنَ فيه وسالَمَهُ بنو مرينٍ وبايعه أهلُ الأندلسِ وأطاعه أهلُ المَغرب كُلُّهُمْ. وبعد وفاة أبي فارسٍ عزّوزٍ الحفصيّ (٨٣٧ هـ = ١٤٣٤ م) بدأت أمور الدولة الحفصية بالفساد.

الحياة الاجتماعية في عصر الموحّدين...

اتّخذَ الموحّدون اسْمَهُمْ من الرَغْبة في «التوحيد» بالاقتصار في أمورِ الدين على ما جاء في القرآنِ الكريم والحديثِ الشريف، فهُمْ في ذلك سَلَفِيّون لا يَنْتَمون إلى مذهبٍ من المذاهب التي كانتْ قد نشأتْ من قبلُ. وقد نَهَى يعقوبُ المنصورُ (٥٨٠ -

٥٩٥ هـ) عن الإفتاء إلّا بالكتاب والسُنّة، وأباحَ الاجتهاد لِمَن اجتمعتْ فيه شرُوط الاجتهاد (من العِلم والعَدالة والمعرفةِ بالأصول التي تُستَخرَجُ بها الأحكام). كما نَهى عن التقليدِ وعن الأخذِ بالأمور الخِلافية (إختِلاف الفقهاء في فُروع الفِقه والجِدال في تقديم وَجْهٍ على وجهٍ منها).

وكان الناسُ في أيامِ الموحّدين - مُنذُ بدءِ حَرَكتِهم على يدِ المَهْديِّ بنِ تومرتَ - ثلاثَ طبقاتٍ هي: السابقون الأوّلون (الّذينَ كانوا أنصارَ المَهْديِّ بنِ تومرتَ في حركته وفي أيامِه) ثمّ الأتباعُ (الذين جاءوا بعدَ ابنِ تومرتَ أو لم يكونوا قدِ اتّصلوا به) ثمّ العامّةُ (وهُمْ جُمهورُ الناس). وخَصَّ أعضاءَ الأسرةِ المالكةِ من أبناءِ عبدِ المؤمن ابن عليٍّ - أولِ سلاطينِ الموحّدين - أنفُسَهُمْ بلقب « السيّد ».

واتّسعتْ مرافقُ الدولة في أيام الموحّدين وخصوصاً في القضاء والوزارة وفي نظامِ الجيش والأُسطول. بَلَغَ جيشُ الموحّدين نحوَ نصفِ مِليونِ جُنديٍّ تامّي العُدّة والشارات (بالإضافة إلى زمنه) وكان يجري عَرْضُه (استعراضه) مرّةً بعدَ مرّةٍ، كما بلغ العددُ في مراكبِ الأسطولِ إلى أربَعمِائةِ مركب.

غير أن عصرَ الموحّدين لم يَخلُ من مُنَغِّصاتٍ كانتشارِ البدوِ في أقطارِ المغرب. ومَعَ أنّ البَدْوَ (من عَرَبِ بني هِلالٍ وبني سُلَيمٍ وغيرِهم) كانوا قد جاءوا إلى المغرب مُنذُ أواسطِ القرنِ الخامس للهجرة (أواسطِ القرن الحادي عَشَرَ للميلاد) فإنّهم ظلّوا إلى ذلك الحين رُحَّلًا (ينتقلون من مكانٍ إلى مكانٍ). ثم بدأوا في أيام الموحّدين يستقرّون في الأرض. وكان نفرٌ من الثائرين أو الناقمين على الدولة يستخدمون أولئك البَدْوَ في العِصيان على سُلطة الموحّدين. ومُنذُ السَنَةِ الأُولى لِحُكم السُلطان يعقوبَ المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ثارَ يحيى بنُ إسحاقَ بنِ غانِيةَ - وهُوَ من بني غانِيَةَ ومن أقارب سَلاطينِ المُرابطين - في إفريقِيَةَ (القُطر التونسيّ) وفي طرابُلُسَ (الجانبِ الغربيّ من ليبيا اليومَ) ودعا للخليفةِ العبّاسيِّ أحمدَ الناصرِ لدينِ الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ).

وقدِ اتّسعَ العُمرانُ في أيامِ الموحّدينَ، وخصوصاً في أيام يعقوبَ المنصورِ، فإنّه بنى المساجدَ والقلاعَ والمُستشفيات (للمَرْضى وللمجانينِ) وبنى القناطرَ (الجُسورَ)

والأقنية لجرّ المياه وحَفَرَ الآبارَ وأجرى على الفُقهاء وطَلَبةِ العلم مُرتَّباتٍ. ومن آثارِ يعقوبَ المنصورِ الجامعُ الأعظمُ في مَرّاكُشَ والمِئذنةُ المعروفةُ باسم « الكُتُبيّة ». ثمّ إنّه أنشأ مدينة الرِباط (أو رِباطِ الفتح) لِتكونَ مركزاً لتجمّع الجنودِ إذا أراد الموحّدون الجَوازَ إلى الأندلس للدِفاع عنها في وَجْهِ الإسبان. وبنى يعقوبُ المنصورُ في مدينةِ سَلا، على مسافةٍ يسيرةٍ من الرِباط الجامعَ الأعظمَ والمدرسةَ التابعةَ للجامع، كما بنى في ظاهرِ مدينةِ الرِباط جامعَ حَسّانٍ ومِئْذَنَتَهُ الجميلةَ. وهذا الجامعُ اليومَ بقايا من الأعمدةِ ما عدا الصَوْمَعَةَ (المِئذنة) التي لا تزالُ قائمةً إلّا شيئاً يسيراً من أعلاها. وقد أتمّ يعقوبُ المنصورُ جامعَ إشبيلية (الأندلس) ومِئذنتَه التي هي طِرازٌ رائعٌ من العَظَمة والزُخْرُفِ، وارتفاعُها خمسةٌ وتِسْعونَ متراً.

... وفي أيام المرينيّين

(٥٩٢ هـ = ١١٩٦ م وما بعد).

كان بنو مرينٍ فخذاً من زِناتةَ (تصحيف « جانا »: وهو جَدُّهُمُ الأعلى)، وكانتْ حياتُهم بَدْوِيّةً ومساكنهم، في الأكثر خِياماً، وكانوا يَرْحَلون من مكانٍ إلى آخرَ ويعتنون بتربيةِ الإبلِ والخيل. من أجل ذلك يبدو أن أثارَهم الحضاريّة لم تكنْ كثيرةً برُغْمِ الثروة العظيمةِ التي كانت في أيديهم، وهذا، كما يقولُ عبدُ الرحمن بنُ محمّدٍ الجيلاليّ (تاريخ الجزائر العامّ ٢ : ٨٩) صعبُ التعليل. ومع هذا كُلّهِ فنحنَ نَجِدُ في المغربِ وفي الجزائر أيضاً عدداً من المنشآت التي ترجعُ إلى أيامِ بني مَرينٍ وتتّصفُ بجمالِها وقيمتها الأثَرية. من ذلك مثلًا المدينةُ البيضاءُ (فاسُ الجديدةُ) التي يَرْجعُ زمنُ بنائها إلى أيام يعقوبَ بنِ عبدِ الحقّ (٦٥٦ - ٦٨٥ هـ) خامسِ سَلاطينِ بني مرينٍ، إلى جانبِ عددٍ من المدارس والمساجد والأبراج. وفي « تاريخ الجزائر العامّ » (٢ : ٨٧ - ٩٥) تفاصيل لأوجُهٍ من الحضارة والثقافة تَنْطِقُ بشيءٍ من الرقيّ ولكنّها لا تبلُغُ إلى أنْ تكون وافية باتّساعِ مُلْكِ بني مرينٍ وبِعِظَمِ الثروة التي اجتمعت في خزائنهم.

... وفي أيام الدولة الحفصيّة

(٦٢٥ هـ = ١٢٢٨ م وما بعد).

بدأ الحفصيّون، وهم أحفادُ أبي حفصٍ عمرَ بنِ يحيى الهِنتاتيّ الحَفصيّ أحدِ أنصارِ عبد المؤمن بن عليّ الموحّديّ، ولاةً للموحّدين على تُونسَ، قامَ بذلك منهم ثلاثةٌ هم الشيخُ عبدُ الواحدِ (٦٠٣ - ٦١٨ هـ) ثمّ ابناهُ من بعدهِ عبدُ الرحمن ثمّ عبدُ الله عبّو (٦٢٠ - ٦٢٥ هـ). ولمّا جاء ثالثُ أبناء الشيخِ عبدِ الواحد - وهو أبو زكَريّا يحيى - إلى ولايةِ تُونسَ، سَنَةَ ٦٢٥ هـ، في حديثٍ طويلٍ، كان أمرُ الموحّدين في تراجعٍ، فأعلَنَ استقلالَه عنِ الموحّدين، وهو - في الحقيقة - مؤسّسُ الدولةِ الحفصية.

وتمتّعتِ الدولةُ الحفصيةُ، في تُونسَ بعزٍّ وقوّةٍ، ثمّ اتّسعَ مُلكُها اتّساعاً كبيراً، ولكنْ غَلَبَ على رجالِها وعلى تَمَدُّنِها الاتّجاهُ البربريُّ في الحياة (البَدْوِيّة)، كما غَلَبَ عليها سوء الإدارة. غيرَ أن الحفصيّين عادوا فساروا في طريقِ الحضارة والثقافة شوطاً بعيداً. فمنذ أيامِ ولايَتِهِمْ قرّبوا الشعراء. ثمّ إنّ أبا زكريا يحيى أنشأ المساجدَ والمدارسَ والمكتباتِ وقَصَدَهُ الشعراءُ، كما كان هو نفسُه أيضاً كاتباً شاعراً. وهو الذي بنى جامع القصبة (القلعة) وصَوْمَعَتَه الجميلة. ولمّا انتهى بناءُ هذا الجامع (غُرّةَ رَمَضانَ ٦٣٠ : ١٢٣٣/٦/١١ م) أذّن فيه السلطانُ أبو زكريّا بنفسِه.

وجاء بعد أبي زكريا يحيى ابنُه محمّدٌ المُستنصرُ باللهِ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) - وكانتِ الخلافةُ العبّاسيّة في بَغْدادَ قد سقطتْ (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) على يدِ هولاكو المغوليّ، فأرسلَ أميرُ مكّةَ أبو نُمَيّ محمّدُ بن عليٍّ (٦٥٢ - ٧٠١ هـ) إلى المستنصر الحفصي بمبايعةِ أهلِ مكّةَ والمدينةِ، سَنَةَ ٦٥٧ هـ، فسُرّ المستنصرُ بذلك سُروراً بالغاً واحتفل بذلك اليوم احتفالاً عظيماً وتلقّبَ بلقبِ أميرِ المؤمنين، إذْ كانتِ الخلافة العبّاسية قد سقطت ثمّ كان هو أكبرَ سلاطينِ المسلمين في زَمَنِه. وكذلك هاداه ملك برنو (وبرنو سلطنةٌ في أواسطِ السودان أهلُها مسلمون).

وعاشَ بنو حفصٍ في المُلكِ مدّةً طويلةً بعدَ المستنصر، ولكنّ تلك المُدّة تخرُجُ من نِطاق هذا الفصلِ الذي خُصّتْ به دولةُ الموحّدين.

العلوم الدينية عامة

كثُرَ التأليفُ في علوم القرآن والحديث والفِقه لِمَيْلِ الموحّدين إلى التوسّع في هذه العلوم. فمن علماء هذه الحِقبة أبو القاسم محمدُ بن فِيرُّه الشاطبيّ (٥٣٨ - ٥٩٠ هـ) وكان عالماً بكتاب الله تعالى قراءةً وتفسيراً وبحديثِ رسولِ الله، اشتهر بمنظومته « الشاطبية » أو « حِرْز الأماني ووجه التهاني » (وهي ألف ومِائة وثلاثة وسبعون بيتاً) نظم فيها الشاطبيّ القواعدَ التي وردت في كتاب « التيسير » لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٣٧٠ - ٤٤٤ هـ) في القراءات. وكذلك نظم الشاطبي قصيدة دالية في خمسِمائةِ بيتٍ لخّص فيها كتاب « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » لابن عبد البرّ (ت ٤٦٣ هـ). وكتاب « التمهيد » هذا يقع في سبعين جزءاً رتّبَ فيها ابنُ عبدِ البرّ أسماء شيوخ مالكٍ على حروف المُعجم. وللشاطبي أيضاً تفسيرٌ للقرآن - ناظمة الأزهار في عدد آيات القرآن - عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، الخ (وللشاطبي في هذا الجزء ترجمة مفردة).

ومن المُفسّرين في هذا العصر أبو عبد الله عليُّ بنُ أحمدَ الحراليّ المَرّاكُشيّ (ت في حماة ٦٣٧ هـ) وابنُ خليلٍ العشّابُ الإفريقيّ (ت ٦٣٧ هـ) وأبو إسحاقَ ابراهيمُ بنُ محمدٍ الإشبيليّ (ت ٦٥١ هـ) له كتاب في تجويد القرآن ومخارج الحروف.

ولابن فَرْحٍ الإشبيليّ - شهابُ الدين أبو العباس أحمد بن فَرْحٍ بنُ محمدٍ - مولدُه في إشبيلية، سَنَةَ ٦٢١ هـ (وقيل ٦٢٥) ووفاته في تاسع شعبان من سَنَةِ ٦٧١ (٢٩/٤/١٢٧٣ م) - وقيل ٦٩٩ - له: « جامعُ أحكام القرآن » و « قصيدة غَزَلٍ في ألقاب الحديث » (دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٣؛ بروكلمن ١: ٥٢٩، الملحق ١: ٧٣٧).

الحديث خاصة

أما في الحديث فهنالك أبو عبدِ الله محمدُ بنُ عليٍّ الجيّانيّ (ت ٥٦٣ هـ) له كتاب الأربعين من رواية المحمدين ثم هنالك أبو إسحاق إبراهيم بن قُرقولٍ أو ابن قُرقُلٍ (ت ٥٦٩ هـ) وكان من المتحقّقين بعلوم الحديث؛ وأبو حفصٍ محمدُ بنُ عبد الحميد

الميانشي (ت ٥٧٩ هـ) له كتاب « ما لا يسَعُ المحدِّثين جهلُه »؛ ثم عبدُ الحق بنُ عبدِ الرحمن بنِ الخَرّاط الإشبيلي (ت ٥٨١ هـ) كان حافظاً للحديث عالماً بعِلَلِه ورجالِه وفقيهاً، له: الجمع بين الصحيحين (صحيح مُسلِمٍ وصحيح البخاري) - الأحكام الكبرى - الأحكام الوسطى - الأحكام الصغرى - كتاب الجمع بين المصنّفات الستة - كتاب المعتلّ من الحديث - كتاب الزقائق.

وفي هذا الباب أيضاً محمدُ بنُ عبد الله القرطبيُّ (ت ٦٢٩ هـ) له موجز كتاب « التمهيد » لابن عبد البَرّ؛ وأبو الربيعِ الكِلاعيُّ (ت ٦٣٤ هـ) وأبو المكارم محمد بن محمدِ بن مُسدي الغَرْناطي (ت ٦٦٣ هـ) له كتابٌ عُنوانه « الأربعون المختارة في فضل الحج والزيارة » (الأعلام للزركلي ٨: ٢٤ و٧: ١٥٠).

الفقه

وفي أيام المنصور الموحِّدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) تُركت دِراسةُ فروعِ الفقه (لما كان فيها من الآراء المختلفة في مُفردات العبادات وأوجه المعاملات) فقد أمر المنصور بإحراق كتب المذهب (المالكي) بعدَ أن يجرَّد ما فيها من الآيات والأحاديث. قال عبد الواحد المرّاكُشيّ (في المعجب): « فأحرقَ منها جُملةٌ في سائر البلاد، كمُدوَّنة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابنِ أبي زيد ومختصَرِه وكتاب التهذيب للبراذعي وواضحةِ ابن حبيبٍ وما جانس هذه الكتبَ ونحا نحوَها..... وتقدّم (المنصور) إلى الناس في تَرْكِ الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه وتوعّد على ذلك بالعُقوبة الشديدة. وأمر جماعة ممّن كان عنده من العلماء المحدِّثين بجمع أحاديثَ من المصنّفات العَشْرة في الصلاة وما يتعلّق بها - على نحوِ الأحاديث التي جمعها محمدُ بنُ تومرت في الطهارة. فأجابوه إلى ذلك وجمعوا ما أمرهم بجمعه فكان يُمليه بنفسه على الناس ويأمُرُهم بحفظه. وانتشرَ هذا المجموعُ في جميع المغرب وحَفِظه الناسُ من العوامِّ والخاصة..... وكان قصدُه في الجملة مَحْوَ مذهبِ مالكٍ وإزالَتَه من المغرب مرةً واحدة وحَمْلَ الناسِ على الظاهر من القُرآن والحديث. وهذا المقصِد بعَينِهِ كان مَقْصِدَ أبيه وجَدّه، إلّا أنهما لم يُظهراه وأظهرَه يعقوبُ هذا..... قال الحافظ أبو بكرٍ

ابن الجدّ... « لما دخلتُ على أمير المؤمنين أبي يعقوب* - أول دخلةٍ دخلتُها عليه - وجدتُ بينَ يديه كتابَ ابن يونُسَ. فقال لي: يا أبا بكرٍ، أنا أنظُرُ في هذه الآراء المتشعِّبَة التي أُحدِثَتْ في دين الله! أرأيتَ، يا أبا بكرٍ، المسألة فيها أربعةُ أقوالٍ أو خمسةُ أقوالٍ أو أكثرُ من هذا؟ فأيُّ هذه الأقوال هو الحقّ؟ وأيُّها يجب أن يأخُذَ به المقلِّدُ؟ فافتتحتُ أُبيِّنُ له ما أشكل عليه من ذلك. فقال لي - وقطع كلامي - يا أبا بكرٍ، ليس إلّا هذا (وأشارَ إلى المصحف) أو هذا (وأشار إلى سُنَنِ أبي داوود، وكان عن يمينه) أو السيفُ! » (ص ٢٠١ - ٢٠٣).

ومن فقهاء هذا العصر أحمدُ بن محمدِ بن خَلَفِ الحَوْفي القَلَعي الإشبيلي (ت ٥٨٨ هـ)، له كتاب في الفرائض (تقسيم الإرث)، وأبو الوليد هشامُ بنُ عبد الله بنِ هشامٍ (ت ٦٠٦ هـ) له كتاب « مفيد الحكام »، وأبو عبد الله بن عيسى بن أصبغ القرطبي (ت ٦٢٠ هـ) وعبدُ السلام بنُ غالبِ المِسْراتي (بكسر فسكون) الليبيّ المعروفُ بابنِ غلّابٍ (ت ٦٤٨ هـ)، له كتاب « الوجيز » (في الفقهِ المالكيّ)، وأبو العبّاس أحمدُ بنُ عُمَرَ القُرطُبيُّ (ت ٦٥٦ هـ)، له « كشف القناع عن حكم الوَجْد والسَّماع » (في التصوّف؟) وشرحُ صحيحِ مُسْلِمٍ. ولأبي البقاء صالحِ بنِ شريفٍ الرُّنْديّ الشاعر (ت ٦٨٤ هـ) أرجوزةٌ في الفرائض.

وهنالك أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ أبي بكرٍ التِلِمْسانيّ (ت ٦٩٠ هـ) له المنظومةُ التِلِمسانيةُ (في الفرائض: الإرث؟) - وقد شرَحَها كثيرون، وله أيضاً نتائجُ الخِيَرِ ومُزيلةُ الغِيَرِ في نَظْمِ المَغازي والسِيَر (بروكلمن الملحق ١ : ٦٦٦). وكذلك نجدُ في القرن السابع أيضاً أبا عبدِ اللهِ محمّدَ بنَ موسى بنِ النُّعمانِ الفاسيَّ المَراكُشيَّ المُزاليَّ، له كتاب النور الواضح.

ونذكُرُ من فقهاء الإباضيّة، في عصرِ الموحّدين، أبا زكريا يَحيى بنَ الخَيْر الجنوونيّ من أهل جبل نفّوسةَ (بروكلمن، الملحق ١ : ٦٩١)، له كتاب « الوَضْع » (في فروع الفقه) ثمّ كتاب النِكَاح والطَّلاق. وهنالك أيضاً من هؤلاء أبو يعقوبَ يوسفُ ابنُ إبراهيمَ بنِ ميّادٍ السِدْراتيّ الوَرْغلانيّ (ت ٥٧٠ هـ)، له: الدليلُ لأهلِ العقول (و؟)

* كذا في الاصل. اقرأ: يعقوب.

لباغي السبيل بما (هو؟) الدليل لتحقيق مذهب الحقّ بالبرهان والصدق ثمّ له أيضاً ترتيبُ مُسنَدِ الربيعِ بن حبيبِ بنِ عمرٍو الفراهيديّ البصريّ (بروكلمن، الملحق ١ : ٦٩٢).

الفلسفة والتصوف

وبلغتِ الفلسفةُ والصوفيةُ في العصر الموحدي ذِروتَيْها.

أما في الفلسفةِ فيكفي أن نُشيرَ هنا إلى آبنِ طُفيل (ت ٥٨١ هـ) وإلى ابنِ رُشدٍ (ت ٥٩٥ هـ) ولهما تَرْجمتان مُفردتان. ثم جاء بعدَهما ابنُ طُملوسَ (ت ٦٢٠ هـ) وكانت له شروحٌ على عددٍ من كتب أرسطو في المنطق. وقد بَقِيَ منها «المُدخِلُ إلى صناعة المنطق» نشره آسين بالاثيوس (مدريد ١٩١٦ م). ولقد تأثّر آبنُ طملوسَ بآبنِ رشدٍ خاصةً، إذْ كانَ تلميذاً له (آخذاً عنه)، كما تأثر بكُتُبِ الفارابيّ وبكتب الغزّالي على الأخص. وآستعرض آبنُ طملوس حالَ الفلسفة معَ الناس عامةً ومَعَ الفُقهاء خاصةً ثم قال:

« .... ولمّا آمتدّتِ الأيامُ وَصَلَ إلى هذه الجزيرة (الأندلس) كُتُبُ أبي حامدٍ الغزّالي مُتفنّنة. فقرعتْ أسماعَهم بأشياءَ لم يألَفوها ولا عَرَفوها، وبكلام خرج بهم عن مُعتادِهم من مسائلِ الصوفية.... فبَعُدَتْ عن قَبوله أذهانُهم ونفرت منه نفوسُهم، وقالوا: إن كان في الدنيا كُفْرٌ وزندقةٌ فهذا الذي في كتب الغزّالي. وأجمعوا على ذلك وآجتمعوا للأمير إذ ذاك وحملوه على أن يأمر بحرق هذه الكتب المنسوبة إلى الضلال بزعمهم، فأُحرقت كتب الغزّالي وهم لا يَعْرِفون ما فيها.... ثم لم تكن تمتدّ الأيامُ إلاّ قليلًا حتى جاء اللهُ بالإمام المهدي، رَضِيَ الله عنه، فبان للناس ما كانوا قد تحيّروا فيه. ونَدَبَ الناسَ إلى قراءة كتب الغزّالي، رحمه الله، وعُرِف من مذهبه أنه يُوافِقُه. فأخذ الناس في قراءتها وأُعجِبوا بها وبما رأَوْا فيها من جودةِ النِّظام والترتيب (مِمّا) لم يَرَوْا مِثْلَه في تأليفٍ (آخَرَ). ولم يَبْقَ في هذه الجهات مَنْ لم يَغْلِبْ عليه حُبُّ كُتُبِ الغزّالي إلاّ مَنْ غَلَبَ عليه إفراطُ الجُمود من غُلاةِ المُقلّدين، فصارتْ قراءتُها شرعاً وديناً بعدَ أنْ كانت كُفْراً وزندقة. فلما رأيتُ هذا الذي ذكرتُه - وما جرى عليه أمرُ الناس في القديم والحديث، مِنْ إنكارهم أولاً ما آستحسنوه آخِراً - قلتُ في نفسي:

ولعلّ صِناعةَ المنطق هكذا يكون حُكمُها: تُنكَرُ أولاً وتُستعمل آخِراً.... تشوّقتُ إلى معرفتها..... » (بالنثيا ٣٦٢ - ٣٦٦).

وكان السلطانُ يعقوبُ المنصورُ شديدَ الرَّغبة في علوم الفلسفة. فلما أرادَ الجَوازَ إلى الأندلس لِقتال الإسبان الذين كانوا يُلحّون بالاستيلاء على المدن الأندلسيّة من أيدي المسلمين، أنبرى الفقهاءُ له ثمّ جعلوا يُثبّطون الناسَ عن الانضمام إلى جيشِ سُلطانٍ يقرّبُ إليه الفلاسفةَ ويشتغل بعلومِهمُ المخالفةِ للدين. فاَضطُرّ المنصورُ إلى ترضّي الفقهاءِ فأظهر التبرُّؤَ من الفلسفة وأهلها ونفى الفيلسوفَ اَبنَ رُشدٍ إلى أليسانة (وكان مُعظمُ أهلها من اليهود)، ثم تقدّم إلى الناس بترك هذه العلوم جُملةً واحدةً. ثم إنه أمر « بإحراق كتب الفلسفة، إلّا ما كان من الطِبّ والحساب وما يُتوصَّل به من علم النجوم إلى معرفة أوقات الليل والنهار وأخْذِ سَمْتِ القبلة. فاَنتشرتْ هذه الكتبُ في سائر (جميع) البلاد وعُمل بمقتضاها » (المعجب ٢٥٥).

وعبّأ المنصورُ جيشاً عظيماً وجاز إلى الأندلس وواقع الإسبانَ في معركة الأَرَك (سَنَةَ ٥٩١؛ نفح ١ : ٤٤٣) واَنتصر اَنتصاراً باهراً. « ثم لمّا رَجَع إلى مَرّاكُش نزع عن ذلك كُلّه وجَنح إلى تعلُّم الفلسفة وأرسل يستدعي أبا الوليد (اَبنَ رُشْدٍ) من الأندلس إلى مَرّاكُشَ للإحسان إليه والعفو عنه فحضَر أبو الوليد - رحمه الله - إلى مَرّاكُش.... » (المعجب ٢٢٥).

ومن المتصوّفةِ في هذا العصر أبو مَدْيَنٍ شُعيبُ بنُ الحسينِ الأندلسيّ[1] (٥٢٠ - ٥٩٤ هـ)، أصلُه من قطنيانة (قُربَ إشبيليةَ) بدأ حياتَه حائكاً ثمّ مالتْ نفسُه إلى العلم. اَنتقل إلى المَغْرب وسكن فاسَ وأخذ التصوّفَ عن أبي يَعَزّى (يعزّة) الحرميزي وعنْ عليٍّ بن حَرْزهم وعن الدقّاق الذي ألبسه الخِرقةَ (أجازه بسلوك طريق التصوّف مُنفرداً). ورَحَلَ أبو مَدْيَنٍ وحجّ ولعلّه اجتمع في مكّةَ بعبدِ القادرِ الجيلانيّ وبنَفَرٍ من أتباع الغزّالي فرَجَعَ متأثّراً جدًّا بآراء الغزّالي (ت ٥٠٥ هـ) والجيلاني (ت ٥٦١ هـ)

---

(١) راجع: عنوان الدراية ٥٥ - ٦٥؛ نيل الابتهاج ١٢٧ - ١٢٩؛ العربي ٦٩/١٢ ص١٠٦؛ الأصالة ٤ : ٢٦ ص ٢٨٤؛ دائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٣٧ - ١٣٨؛ الأعلام للزركلي ٣ : ٢٤٤ (١٦٦).

الصوفيَّيْن. ولمّا عادَ أبو مَدْيَنٍ إلى المَغْربِ آستقرّ في بِجايَةَ. ثمّ إنّ المنصورَ المُوحّديَّ دعاه إلى مَرّاكُش فَلبّى الدعوةَ، ولكنّه مَرِضَ في أثناء الطريق وتُوُفّيَ قُرْبَ تِلِمْسانَ، سَنَةَ ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م)، وله إلى اليومِ مقامٌ ومسجدٌ في إحدى ضواحي تلِمْسانَ.

ومن أقوالِ أبي مَدْيَن: لا يصلُحُ سمَاعُ هذا العِلْمِ (علمِ التصوّف) إلّا لِمَنْ جُمِعَتْ له أربعةٌ: الزُهدُ والعِلمِ والتوكّل واليقين - مَنْ تعلّق بدَعْوى الأماني لم يُفارِقِ التواني - من لم يَجِدْ في قلبه زاجراً فَهُوَ (قلبه) خرابٌ - من عرَفَ نفسَه لم يغترَّ بثناء الناسِ عليه - علامةُ الإخلاص أن يَغيبَ عنك الخَلْقُ في مُشاهدةِ الحقّ.

ومن المتصوفين في هذا العصر الموحّدي: أبو القاسم عبدُ الرحمن بنُ يوسُفَ البجائي (ت ٥٧٧ هـ) وابن طُفيلٍ الذي نحا في التصوف منحًى عقليًّا ثم أبو الفضل عبدُ المؤمن بنُ عُمَرَ (ت ٦٠٢ هـ)، له: آداب السلوك (في الطريقة الصوفية) - ديوان الحِكَم وميدان الكَلِم - ديوان المدائح - ديوان الديباج (وفيه قصائد في مدح صلاح الدين الأيوبي قالَها عبد المؤمن فيه حينما آستقر عبد المؤمن مدة في القدس). ثم هناك عبد السلام بن مَشيشٍ (ت ٦٢٥ هـ) وأبو العباس أحمد بن محمد الشريشيّ السلويّ (ت ٦٤١ هـ) وكبيرُ المتصوفة في الإسلام آبنُ عربي (ت ٦٣٨ هـ) وأبو الحسن الشُّشْتري (ت ٦٦٨ هـ) وابن سَبعينَ المُرسيّ (ت ٦٦٩ هـ) تلميذُ آبنِ عَرَبيّ والناقمُ عليه فيما يبدو، مع أنه سلك في أقواله مسلَكَ ابنِ عربيّ في المزج بين التصوف وأشياء من فلسفَتَيْ أفلاطونَ وأرسطو. غيرَ أنه ظلّ - بخِلافِ آبنِ عربيّ - حريصاً على الاعتقاد بخلق العالم وبقاء النفس بعد الموت. ولابنِ سَبْعينَ كُتُبٌ منها: بُدّ[1] المعارف وعقيدة المحقّق المقرّب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف - الدَرَج - الدُرّة المُضية والخافية الشمسية (في علم الجفر) - رسائلُ متنوعةٌ (إحداها وَصاةٌ إلى تلاميذه لَعَنَ فيها نفراً من معاصريه من الذين يُنكرون البعثَ والجنة والنار).

---

(١) بروكلمن، الملحق ١: ٨٤٤. اقرأ: بدو أو بده (؟).

التاريخ

في هذا العصر اتسعَ التأليفُ في التاريخ على اختلافِ أنواعه: التاريخ العامّ تاريخ العُصورِ وتاريخ المُدُنِ وكتب الفهارس (لأسماء المشايخ الذين تخرَّجَ بهم نَفَرٌ من العلماء). ولكنْ يبدو أنّ عدداً كبيراً من الكتب التي أُلِّفتْ في هذا العصر قد ضاع. ثم إنّنا لا نجدُ مُصنَّفاً تاريخيًّا ذا قيمةٍ راجحةٍ إلّا في أواخِر هذا العصر.

فمن المؤرخين أبو بكر بن محمد بن عبدِ الله بنِ سيدالّة التجيبيّ (ت ٥٥٨ هـ)، له كتاب « مجموع من رجال الأندلس »؛ ثم أحمدُ بن عبد الرحمن بن الصقر (ت ٥٥٩ هـ)، له كتاب « أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار ». ثم هناك يوسفُ بن أبي زيد اللّرّيّ (ت ٥٧٥ هـ) ألف كتاباً في طَبَقاتِ الفُقهاء في القرنين الخامس والسادس؛ ثم أبو بكرٍ محمد بن خيرِ الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) له فهرستٌ مفيدٌ في أسماء شُيوخه.

ومن كبار المؤرخين أبو القاسم خَلَفُ بنُ عبد الملك المعروف بابن بَشْكُوال (٤٩٤ - ٥٧٨ هـ) ألّف عدداً كبيراً من كتب التاريخ أهمّها كتابُ « الصِلة » جعله استمراراً لتاريخ علماء الأندلس لابْنِ الفرضي (ت ٤٠٣ هـ).

ومن المؤرخين أبو القاسم عبدُ الرحمن بنُ محمدِ بنِ حُبيشٍ (ت ٥٨٤ هـ)، له كتاب « الغَزَوات الضامنة الكافلة والفتوح الجامعة الحافلة »؛ ثم محمدُ بنُ أبي بكر بن عفيونٍ الشاطبيّ (ت ٥٨٤ هـ)، له كتاب في أخبار الزُّهّاد والعُبّاد. ثم يأتي أبو جعفرٍ الضبّيّ (ت ٥٩٩ هـ) وقد اشتهرَ بكتابةِ « بُغيةِ المُلتمِس في تاريخ رجال الأندلُس » وهو استمرارٌ لكتابِ « جُذوة المقتبس » للحُميدي (ت ٤٨٨ هـ). ثمّ هنالك أحمد بن هارون بن عات النقريّ الشاطبي (ت ٦٠٩ هـ) له كتاب في قضاة بلده و(كتاب آخر؟) في قضاة الأندلس؛ ثم محمد بن عبد الرحمن التُجيبيّ (ت ٦٠٩ هـ) ألّف كتاباً في أسماء شُيوخه. هذا الكتاب قد ضاع، ولكنّ ابْنَ الأبّارِ نقلَ منه كثيراً إلى كتابه « التَكمِلة لكتاب الصِلة ». ثم هنالك أبو عمرٍو محمدُ بن عيشونٍ (ت ٦١٤ هـ) ألّف كتاباً في « تاريخ الكتّاب الأندلسيّين »، ثمّ أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن حمّادِ

(ت ٦٤٢ هـ)، ألّف (نحو سنة ٦١٧ هـ) كتاب « النُّبَذ المحتاجة في أخبار صِنهاجةَ » (الأعلام للزركلي، الطبعة الرابعة، ٦ : ٢٨٠).

ويأتي في هذا الباب أبو العباس أحمدُ بنُ سعيدِ بنِ سُليمانَ بنِ عليّ بن إيخلاف (أو إخلاف) الدرجيني (بلغ أشُدَّه نحو ٦٢٦ هـ)، وهو فقيه ومؤرخ وشاعر إباضي من تيمجار في جبل نفّوسة ومن أسرة كان لها نشاط في نشر المذهب الإباضي. وقدِ اشتهر بكتابه « طبقات المشايخ ».

ومن كبار المؤلفين في التاريخ أبو الخطّاب بن دِحْيةَ (ت ٦٣٣ هـ)، له كتاب « النّبراس في خلفاء بني العباس - الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صِفّين - المُطرب من أشعار أهل المغرب (وفيه لمحات تاريخية مُهمة ومفيدة).

ومنهم أبو العباس محمدُ بنُ أحمدَ العَزَفي السَّبْتيّ ألّف (نحو ٦٣٣ هـ) « الدرّ المنظّم في مولد النبيّ المعظّم » (ثم أتمّه آبنُه). ومن كِبارِهم آبنُ الأبّار القُضاعيُّ المتوفّى سَنَةَ ٦٣٥ هـ (راجع ترجمته). ولأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عليٍ المالَقيّ (ت ٦٣٦ هـ) « تاريخ مالَقةَ ». ثم إن هنالك أبا القاسم الطيلسانَ (ت نحو ٦٤٢ هـ)، له: زَهْر البساتين ونَفَحات الرياحين - غرائبُ أخبار المُسندين ومناقبُ آثار المهتدين - تاريخ صلحاء الأندلس - أخبار القُرطُبيّين والتّبيين عن مناقب من عُرِفَ بقُرطبة من التابعين والعلماء الصالحين. ثم هنالك أبو عبدِ الله محمدُ بنُ سعيدِ الطرّاز الغَرْناطيّ (ت ٦٤٥ هـ) وله فهرسةٌ مُشتمِلةٌ على أسماء شُيوخه. ثم هنالك عبدُ الواحدِ المَرّاكُشيّ (ت ٦٤٧ هـ) - وله في هذا الجزء ترجمة مفردة؛ ثم جمالُ الدين أبو الحجّاج يوسفُ بنُ محمدِ البيّاسيّ (ت ٦٥٣ هـ) صاحب « الحماسة المَغْربيّة » له في التاريخ كتاب « الإعلام في الحروب والوقائع في صدر الإسلام » (من مقتل عُمَرَ بنِ الخطّاب إلى أيام هرونَ الرشيد). ثم إنّ لأبي المطرِّف أحمدَ بنِ عبدِ الله بن عُميرةَ المخزوميّ (ت ٦٥٨ هـ) كتاباً في فضائل ميورقة وتاريخها وكتاباً آخر في « كائنة ميورقة وتغلُّب العدُوّ عليها ». ثم هنالك محمدُ بنُ الحسنِ الحسنيُّ المِصْري ألّف (نحو ٦٥٩ هـ) كتاباً في أنساب القبائل، ألّفه برسْمِ السلطان أبي عبدِ الله محمدِ بنِ زكريا الحفصي صاحبِ تُونِسَ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). ولبني سعيدٍ في هذا الجزء ذِكْرٌ خاص؛ ويأتي الكلام على كِتابهم « المُغرب »

في ترجمة أبي عليٍّ الحسن بن موسى (ت ٦٨٥ هـ).

الجغرافية

أما المُصنَّفاتُ في الجُغرافية - في هذا العصر - فقليلةٌ جدًّا. ولا بأسَ في أن نُشيرَ هنا إلى أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي (٤٩٣ - ٥٦٠ هـ) من أهل سبتة سَكَنَ الأندلسَ مدة ثم آنتقل إلى جزيرة صِقلّية وآتصل بملكها رُجّار الثاني (٥٦٢ - ٥٨٥ هـ) وألّف له كتاب «نُزهة المُشتاقِ في آختراق الآفاق»، ويُعْرَفُ أيضاً باسم الكتاب الرُّجّاري. وقيمةُ هذا الكتاب إنما هي في شمُوله وفي الخُرُط الكثيرة الدقيقة التي تُوضِحُ جانباً من مواقعِ الأماكن الواردة فيه. وقد صنع الإدريسيُّ خارطةً للعالم تُعَدُّ قريبةً من الواقع. وكان هنالك كُرَةٌ من فِضّة للعالم صُنعت بإشراف الإدريسيّ، ولكن لم تصلْ إلينا.

وهنالك الرحالةُ أبو حامدِ الغَرناطيّ (ت ٥٦٥ هـ) وله في هذا الكتاب ترجمة خاصة. كما تحسُنُ الإشارة إلى آبن طُفيلٍ (ت ٥٨١ هـ) وله أيضاً ترجمة مفردة. وكذلك لابن عَفْيونِ الشاطبيّ (ت ٥٨٤ هـ) في الجغرافية كتاب في عجائب البحر. ثم هنالك آبن جُبيرٍ (ت ٦١٤) الرحالةُ المشهور وله ترجمة خاصة.

العلوم الرياضية والطبيعية

كان للعلم الرياضيّ وللعلم الطبيعيّ نهضةٌ في عصر الموحّدين. فمن الكتب العامة ذات الدّلالة: بَرْنامَجُ أبي بكرِ محمدِ بنِ خيرِ بن عُمَرَ بنِ خليفةَ الإشبيليّ (ت ٥٧٥ هـ) فهو مُعجمُ شُيوخهِ أو «فِهرست مَا رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة في ضُروب العلم وأنواع المعارف»[1]. أما أبو جعفر أحمدُ بنُ محمدٍ الحشّاء التونسي فقد بلغ أشُدَّه في أيام السلطانِ أبي زكريا يحيى الحفصيّ (ت ٦٤٧ هـ) وكتب كتاباً هو «مُفيد العلوم ومُبيد الهموم» أو تفسيرُ الألفاظ الطبية واللغوية الواقعة في الكتاب المنصوريّ[2].

---

(١) تحرير كوديرا وريبيرا، سرقسطة ١٨٩٣ م.

(٢) المنصوري: كتاب في الطبّ لأبي بكر محمّد بن زكريّا الرازي (ت ٣٢١ هـ = ٩٢٤ م).

وكان في القرن السادس أبو عبد الله محمدُ بنُ عمرَ البَلَنْسيّ صاحبُ كتاب «اختيار الجبر» ثم أبو محمد بن مُعاذ الجيّاني صاحبُ الشرح على كتب (فصول) أُقليدس الخمسة (في الهندسة).

وازدهرَ عِلما الجغرافية والفلك في هذا العصر، فإنّ ابنَ طُفيلٍ خالفَ مُعاصريه والسابقين على زمانه وأعلن أن خطّ الاستواء أعدلُ بِقاعِ الأرض بقلّة الاختلاف فيه بين دَرَجَتَيِ الحرارة في الليل والنهار. وألّف أبو عليٍ الحسنُ المَراكُشي (ت ٦٦٠ هـ) «جامع المبادىء والغايات في علم الميقات». وله خارطة للمغرب ظهرت عليها لأول مرة خطوط الطول وخطوط العرض (الدالّة على الساعات في أقطار الأرض)، كما أنه وضعَ جدولاً يضمّ مائتين وأربعين نجماً رَصَدَها (وعيّن مواقعَها) بنفسه.

وكان الفيلسوف ابنُ رُشْدٍ أولَ من رأى الكَلَفَ[١] على وجهِ الشمس. ثم عَرَفَ بوساطة الحساب الفلكيّ عُبورَ كوكبِ عُطاردَ على وجه الشمس.

ولابن طُفيلٍ ولتلميذه أبي إسحاق نور الدين البِطروجي جهودٌ مختلفة في الفلك ومحاولةٌ لإصلاح نظام بَطْلَيْموسَ[٢] في تفسير حركات الكواكب المتحيرة[٣]. وقد «ابتدع البِطروجيّ نظرية جديدة في حركات النجوم..... نقض (بها) نظرية بطليموس من أساسها..... وقال بالحركة البيضاوية للكواكب ودورانها حول الشمس.....»[٤].

---

(١) الكلف: بقع غير مضيئة على وجه الشمس.

(٢) بطليموس القلوذي (كلوذيوس بطولومايوس) عالم رياضيّ وفلكي ولد في صعيد مصر وقضى حياته في الاسكندرية وتوفّي فيها نحو عام ١٧٠ م. وبطليموس هذا لا صلة له بالبطالسة حكّام مصر اليونانيّين. والأغلب أن بطليموس لم يكن يونانيًّا.

(٣) الكواكب المتحيّرة هي الكواكب التي ترى مرّة تسبق الشمس والقمر ثم ترى مرّة أخرى تتأخّر عن الشمس والقمر (في رأي العين). وجاءت هذه التسمية «متحيّرة» من ان بطليموس كان يعتقد أن الأرض ثابتة والشمس متحركة. ولو أنّه عرف أن الشمس والنجوم ثابتة (بالإضافة إلى الأرض) وأن الأرض هي المتحركة (حول نفسها وحول الشمس) لاستطاع تعليل هذه الظاهرة تعليلاً صحيحاً.

(٤) كان الاعتقاد القديم أن مدارات الكواكب حول الأرض (والصحيح: حول الشمس) مستديرة. وقد =

وتحسُنُ الإشارةُ هنا إلى ابن شكر (أو يشكر) وهو يحيى بن محمد المَغْربي الأندلسي (ت ٦٨٠ هـ أو بعدها بقليل)، وقد كان من علماء الرياضيات والفلك كثير التأليف فيها (بروكلمن ١ : ٦٢٦، الملحق ١ : ٨٦٨ - ٨٦٩).

وفي أواخر القرن السادس كان أبو عليٍ الحسينُ بنُ أحمدُ «أمينَ الأوقات» (الموقِّتَ أو الميقاتيَّ) في قُرطبةَ. وقد وضع رسالةً في الأوقات ووضع الصفيحة الجامعة لجميع عُروض الأرض.

ونجد آبنَ أرفع رأسه - وهو أبو الحسن عليُّ بنُ موسى (ت ٥٩٣ هـ) - من المهتمين بالصَنعة (الكيمياء القديمة) ألّف عدداً من الكتب، منها: شَذَرات الذهب في فنّ السلامات (؟) وهو مجموعُ أشعارٍ في حجر الفلاسفة - الطِّبّ الروحاني بالقرآن الرحماني - الجهات في علم التوجيهات في شرح قصيدة ثابت بن سليمان - رسالة في الكيمياء.

وكان أبو العباس أحمدُ بن يوسفَ التيفاشي (ت ٦٥١ هـ) مؤلفاً لعددٍ من الكتب الطريفة والجريئة فمن كتبه العلمية «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» (في الحجارة الكريمة) ثم «مطالعُ البدور في منازل السرور» (في المعادن). ثم له أيضاً: «نُزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب» (قصص وأشعار في النكاح) - رُجوعُ الشيخ إلى صِباه في القوة على الباه (وقدِ اشتهر باسم «الباه في رجوع الشيخ إلى صِباه». وربما أُشيرَ إليه باسم «رُجوع الشيخْ» - رسالة فيما يحتاج إليه الرجال مَعَ النساء في استعمال الباه ممّا يضُرُّ وينفع.

وبرع ابنُ طُفيلٍ في التشريح وفي التطبيب، كما برع ابنُ رشْدٍ في التأليف في الطب، ممّا نرى في كتابه «الكُلّيّات»، فقد تكلم فيه على التشريح ووظائفِ الأعضاء وعلى الأمراض وأعراضها وعلى الأغذية وحفظ الصِّحّة والعِلاج.

غير أنّ الذين ملأوا عصرَ الموحّدين بالزهْو في التطبيب كانوا بني زُهْرٍ، وكان

= ذكر البطروجّي أنها إهليليجية، أي بيضاويّة. وقد كان ابن طفيل (ت ٥٨١ هـ) قد طلب من تلميذه البطروجّي إصلاح نظام بطليموس القائل بالكواكب المتحيّرة (راجع أيضا بالنثيا ٤٥٦).

أشهرَهم أبو مروانَ عبدُ الملك (ت ٥٥٧ هـ) وآبنُه أبو بكر محمد (ت ٥٩٥ هـ) الذي كان شاعراً ووشّاحاً أيضاً.

ويأتي في هذا الباب أبو محمدٍ محمدُ بن عليّ الإلبيريُّ له كتاب «النتائج العقلية في الوصول إلى المناهج الفلسفية والقوانين الطبية».

والصيدلة لاحقةٌ بالطّب ومتصلةٌ بعلم النبات. ونحن نجد أبا العباس أحمدَ بنَ محمدِ ابنِ الرومية الإشبيلي (ولد سنة ٥٦٠) يَدْرُسُ النباتَ على أنه علمٌ ولم يقتصرْ على درس منافعه الطبيـة فقط. أما أشهر علماء النبات فكان آبنَ البيطار المالَقيّ (ت ٦٤٦ هـ). وضع كتاب «الجامع لمفردات الأغذية والأدوية» (على ترتيب المعجم). قال آبنُ البيطار يوجز طريقته في التأليف:

«جمعتُ هذا الكتابَ في القول في الأدوية المُفْرَدَةِ والأغذية المستَعْمَلة على الدوام والآستمرار عندَ الآحتياج إليها في ليلٍ كان (ذلك) أو نهارٍ..... وأذكر ما ينتفع به الناس من شِعار (ثوب يُلبَسُ مما يلي البدن) ودِثار (ثوب يلبس فوق الشعار). وآستوعبتُ فيه جميعَ ما في الخمسِ مقالاتِ من كتاب الأفضل ديسقوريدس بنصّه. وكذلك فعلت أيضاً بجميع ما أورده الفاضل جالينوسُ في الستِ مقالاتِ بنصّه. ثم ألحقتُ بقولها من أقوالِ المُحْدَثين في الأدوية النباتية والمعدِنية ما لم يذكراه، ووصفتُ عن ثِقاتِ المُحدَثين وعلماء النباتيّين ما لم يَصِفاه. وأسندتُ - في جميع ذاك -(تلك) الأقوالَ إلى قائِلها وعرّفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها.

واختصصتُ بما تمّ لي به الآستبداد * وتوضّح لي القول ووضح عندي الاعتماد.... وسمّيته «بالجامع» لكونه جمع بين الدواء والغِذاء واحتوى على الغرض المقصود مع الإنجاز (الإيجاز؟) والاستقصاء.......»

اللغة والنحو

برزَ في هـذا العصر نفرٌ من مشاهير اللغويين والنُحاة نَعُدُّ منهم السُّهيليَّ (ت ٥٨١ هـ) وأبا الحجاج البَلَويَّ (ت ٦٠٤ هـ) وابنَ يَلّبختَ (ت ٦٠٧ هـ) وشرفَ الدين أبا عبد الله محمدَ بنَ عبدِ الله المُرسيَّ (ت ٦٥٥ هـ) اللُّغويَّ النَحْويَّ وأبا المطرّفِ

أحمدَ بنَ عبد الله المخزوميَّ (ت ٦٥٨ هـ) وابنَ عُصفورٍ (ت ٦٦٩ هـ) صاحبَ المقرِّب في النحو وأبا الحسينِ عبدَ الله بنَ أحمدَ بنِ أبي الربيع القُرَشيّ (ت ٦٨٨ هـ). ولمعظم هؤلاء تراجمُ في هذا الجزء.

في الأدب وتاريخه

في عهد الموحِّدين آزدهرَ الشِعر وكثُرَ الشعراء لاحتفالِ الموحّدين - خِلافاً للمرابطين - بشعر المديح وبالإجازة عليه، وخصوصاً في أيام السلطان يعقوبَ المنصورِ (ت ٥٩٥ هـ)، فليس غريباً إذَنْ أن تكثُرَ مجاميعُ الشِعر التي صُنعت في هذا العصر، ثم وصَلَ إلينا كثيرٌ منها. من هذه المجاميع: رَوْح الشعر ودَوْح الشجر لأبي عبد الله بن محمد بن الجلّاب الفِهْري المعاصر للمنصور الموحّدي - زادُ المسافر لأبي بحرٍ صَفوانَ بنِ إدريسَ (ت ٥٩٨ هـ) - المُطرِبُ لابن دِحْيةَ الكلْبيّ (ت ٦٣٣ هـ) - الحماسة المَغْربية لأبي الحجاج البيّاسي (ت ٦٥٣ هـ) - ثم الحُلّةُ السِّيَراءُ - تحفة القادم - إعتاب الكتاب (والثلاثةُ الأخيرةُ لابن الأبّار المتوفى سَنَةَ ٦٥٨ هـ). - المُغْرب لابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ).

ومن هذا العصر وصل إلينا مُوشّحاتٌ بارعةٌ لأبي بكرِ بنِ زُهرٍ (ت ٥٩٦ هـ): «أيها الساقي، إليك المشتكى» ثم «ما للمُوَلَّه مِنْ سُكرِهِ لا يُفيق؟» ثم موشحةُ ابن سهلٍ الإشبيلي (ت ٦٤٩ هـ): «هل درى ظبيُ الحِمى أنْ قد حمى»، وهي الموشحةُ التي نَظمَ نَفَرٌ كثيرون على مِثالها منهم لسانُ الدين بنُ الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) في قوله: «جادَكَ الغيثُ إذا الغيثُ همى».

وبما أن المُدنَ الأندلسية أخَذَتْ تسقُطُ في أيدي الإسبان في أواخر هذا العصر، فإنّ قصائدَ «رثاء المدن» كثُرَتْ، نذكُرُ منها: «أدرِكْ بخَيْلِكَ خيلِ اللهِ أندلسا» لابن الأبّار القُضاعي و«لكلّ شيءٍ إذا ما تَمَّ نُقصانُ» لأبي البقاء الرُنديّ (ت ٦٨٥ هـ).

وكذلك برزَتِ العِناية بالمقامات، فمن الذين وضعوا مقاماتٍ تقليداً للحريري (ت ٥١٦ هـ): أبو الطاهر الأُشتركوني أو الأُشترقوني (ت ٥٣٨ هـ) ثمّ أبو محمد عبد الله الأزْديّ (ت ٥٧٥ هـ). وشَرَحَ مقاماتِ الحريري نفرٌ كثيرون أيضاً منهم: أبو طالبٍ

عقيـلُ بن عطيـةَ القُضاعي المَرّاكُشي (ت ٦٠٨ هـ) ثم الشَريشي أبو العباس (ت ٦١٨ هـ).

في النقد

وفي النقد في هذا العصر نبدأ بابن طفيل (ت ٥٨١ هـ) مبتدع القِصة الفلسفية (سياقة الحقائق العلمية والآراء الفلسفية في أسلوب أدبي). ولّما وصل إلى وصف ما يراه أصحاب المشاهدة والأذواق والحضور في طور الوِلاية (أي وصف الملأ الأعلى: عالم الألوهية كما يتخيله رجال التصوّف). جعل يتكلم « رمزاً » ثم قال: « إذ لا نجد في الألفاظ الجُمهورية (الدائرة في الاستعمال بين جمهور الناس) ولا في الاصطلاحات الخاصة (الألفاظ الفنيّة التي وضعها العلماء والفَلاسفة) أسماء تدلّ على الشيء الذي يُشاهَدُ به هذا النوع من المشاهدة ».

وانتقدَ ابنُ طفيل طريق الغزّالي (ت ٥٠٥ هـ) في التأليف فقال عنه إنه قد بنى كتبه على عقلية عوامّ الناسِ ثم هو « يَرْبِطُ في مكانٍ ويَحُلّ في آخَرَ، ويكفّر بأشياء ثم ينتحلها. فمن جُملة ما كفّر به الفلاسفة مثلًا إنكارُهم لحشر الأجساد وإثباتهم الثوابَ والعقابَ للنفوس خاصةً. ولكنه عاد فقال في أوّل كتاب « الميزان » إن هذا الاعتقادَ هو اعتقادُ الصوفية على القطع. بعدَئذٍ أعلن في « المنقذ من الضلال » أنّ اعتقادَه كاعتقاد الصوفية. »

وقال ابنُ طفيل عن ابن باجّه (ت ٥٣٣ هـ): ولم يكن في زمن ابنِ باجّه في الأندلس مَنْ هو أثقبُ ذِهْناً وأصحُّ روِيّةً منه، ولكنه مات قبلَ أن يقولَ كلَّ ما عرفه. وأكثرُ كتبهِ ناقصةٌ أو وجيزةُ العِبارة أو معقّدةُ التركيب. ولقد كان وقتُه يضيقُ عن ترتيبِ عبارته على وَجْهِها الأكمل.

ومن يُنْظَمُ في هذا السِلك أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ يحيى الحِمْيَري المؤدب (٥١٤ - ٦١٠ هـ) « آخِرُ مَنِ انتهى إليه علم الآداب بالأندلس » لم يكن فيها، في أيامه، أحدٌ « أرْوى لشعرٍ قديمٍ أو حديثٍ، ولا أذكَرُ بحكاية تتعلّق بأدبٍ أو مثلٍ سائرٍ أو بيتٍ نادر أو سجعةٍ مستَحْسَنَةٍ منه. قال عبد الواحد المَرّاكُشيّ - وكان أبو

جعفرِ الحِميري شيخَه -: أنشدتَه يوماً (من أيام سنة ٦٠٦)، وكان من عادته أن يَسْتَنْشِدَني أشياءَ من شِعري، بيْتَيْن ارتجلتُها في شابٍّ كان يقرأ معنا شديدِ العِفة - رحمه اللهُ - مَعَ حُسْنٍ رائع وظَرْف ناصعٍ، وكان اسمه فَتْحاً، وهما:

يـــا مَنْ لـــه عن كِنـــاسٍ من المُتَيَّم قلبُـــــــــه،
مـــا أنـــتَ كاسِمِـكَ فتـحٌ، وإنمـــا أنـــت قَلْبُـــه!

فَطَرِب والْتفتَ إلى ٱبنه وقال له: هذا - واللهِ - الشِعرُ، لا ما تُصدِّعُني به طولَ نهارِكَ. إن كنت تقولُ مثلَ هذا (فَقُلْ) أو فاسكُتْ.

« فلمّا كان من الغَدِ قال لي:.... لم يَزَلْ (عصام) أمس يُعمِلُ فكرته، فبعدَ الجُهدِ الشديد أخذَ معنى بَيْتِكَ فسلبه روحَه وأعدمه رَوْنَقَه ومَسَخَه جملة فقال:

سَبـــــــــى فؤادِيَ خَشْفٌ فقوتي اليومَ ضَعْـــــــفٌ.
سَمَّوْهُ فتحـــــاً مجـــــازاً وفي الحقيقـــــة حتـــــفٌ.

ما زاد فيه أكثر من المجاز والحقيقة. فقلت أنا: هذا - واللهِ - أحسن من شعري. فتغيَّر لي وقال: يا بُنَيَّ، دَعْ عنك هذه العادة، فإنّ أسوأ ما تخلّق به الإنسانُ المَلَقُ وتزيينُ الباطل، (ولا) سيّما إذا أضاف إلى ذلك الحَلَفَ الكاذبَ. واللهِ، إنك لتعلمُ إنّ هذا ليس بشيءٍ، وإلا فقدِ ٱختلّ مَيْزُك وساء ٱختيارك. وما أظُنّ هذا هكذا » (المعجب ٢١٩ - ٢٢٢).

وكان لعنايةِ ابن رُشدِ (ت ٥٩٥ هـ) بكتب أرسطو أن أبدى عدداً من آرائه في النقد في أثناء شرحه لكتاب أرسطو « في الشعر ». إلاّ أن آراءَ ابن رشد كانت أكثر صلة بالبلاغة عامة منها بالنقد الأدبي خاصة (راجع ترجمة ابن رشد).

واتفق أن حرّش أميرُ سبْتَةَ أبو يحيى بنُ أبي زكريا بين أبي الوليد الشُّقُنْديّ (ت ٦٢٩ هـ) وأبي يحيى بن المعلم الطنجي (ت ؟ هـ) ودعاهما إلى أنْ يؤلف كلُّ واحدٍ منهما رسالة في تفضيل عُدوته. فكتب الشقنديُّ رسالة في تفضيل عُدوة الأندلس، وافتخر فيها بكل شيءٍ في الأندلس: بملوكها وعلمائها ومؤرخيها وشعرائها وبمدنها أيضاً. أمّا القسم المتعلق بكبار شعراء الأندلس فقد نحا الشُّقنديّ فيه نحوَ

الفخر والدفاع، ولا يمكن أن يسمى هذا نقداً إلّا على المجاز. من ذلك قوله مثلًا (نفح الطيب ٣: ١٨٦ وما بعد):

« .... وإنّك إنْ تعرّضتَ للمفاضلة بالعلماء فأخبِرْني: هل لكم في الفِقه مثلُ عبدِ الملك بن حبيب[١] الذي يُعْمَلُ بأقوالِهِ إلى الآنِ، ومثلُ أبي الوليدِ الباجيّ، ومثلُ أبي بكرِ بنِ العربيّ، ومثلُ أبي الوليدِ بنِ رُشْدِ الأكبرِ، ومثلُ أبي الوليدِ بنِ رشدِ الأصغر[٢] - وهو ابنُ ابنِ الأكبر -: نجومِ الإسلام ومِصباحِ شريعةِ محمّدٍ عليه السلام؟ وهل لكم في الحِفْظ[٣] مثلُ أبي محمّدِ بنِ حزمٍ الذي زَهِدَ في الوِزارةِ والمالِ ومالَ إلى رُتْبةِ العلم ورآها فوق كلّ رُتبةٍ، وقال وقد أُحْرِقَتْ كُتُبُهُ: « دَعُونيَ من إحراقِ رَقٍّ وكاغدٍ » (راجع ترجمته، ت ٤٥٦ هـ) ومثلُ أبي عُمَرَ بنِ عبدِ البَرّ صاحبِ كتاب « الاستذكار » و « التمهيد » ومثلُ أبي بكرِ بنِ الجَدّ حافظِ[٤] الأندلس في هذه الدولة؟ وهل لكم في حُفّاظ اللُّغةِ كابنِ سِيده صاحبِ كتاب « المُحْكَم » وكتاب « السماء والعالم » (وهو) الذي إنْ أعمى اللهُ بَصَرَهُ فما أعمى بَصيرَته؟ وهلْ لكم في النَحْو مثلُ أبي محمّدِ بنِ السِيد وتصانيفهِ ومثلُ ابن الطراوةِ ومثلُ أبي عليٍّ الشَلوبينِ الذي بينَ أظهُرِنا الآنَ، وقد سار في المشارقِ والمغارب ذِكْرُه؟ وهلْ لكم في علومِ اللُّحون[٥] والفلسفة كابن باجّه؟ وهل لكم في عِلمِ النجوم والفلسفةِ والهندسة مَلِكٌ كالمقتدرِ بنِ هودٍ صاحبِ سَرَقُسْطَةَ فإنّه كان في ذلك آيةً؟ وهل لكم في الطِبِّ مثلُ ابنِ طُفيلٍ صاحبِ رسالةِ « حيّ بن يَقْظانَ » المُقَدَّم في علم الفلسفة ومثلُ بني زُهْرٍ: أبي العلاء ثمّ ابنهِ عبدِ الملك ثمّ ابنهِ أبي بكرٍ: ثلاثةٌ في نَسَقٍ؟ وهل لكم في علم التاريخ كابن حَيّانَ صاحبِ « المَتين » و « المُقْتَبَسِ »؟ وهل عندكم في رُؤساء علم الأدبِ مثل أبي عُمَرَ بنِ عبدِ ربّهِ صاحبِ (كِتاب) « العِقد »؟ وهل لكم في الاعتناء بتخليد مآثرِ فُضلاء إقليمه

---

(١) إن الكثرة من الأعلام الذين ترد أسماؤهم في هذا النصّ، يجد القارىء لكل واحد منهم ترجمة مفردة في هذا الجزء أو في الجزء الذي سبقه.

(٢) أبو الوليد محمد بن احمد بن رشد المتوفى سنة ٥٢٠ هـ كان فقيهاً، وهو جدّ أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (ت ٥٩٥ هـ) الفيلسوف المشهور والذي كان أيضاً فقيهاً.

(٣) و(٤) في حفظ أحاديث رسول الله. وحافظ الأندلس (أشهر حفّاظ الحديث في الأندلس).

(٥) الموسيقى.

والاجتهاد في حَشْدِ محاسنهم مثلُ ابن بسّامٍ صاحب « الذخيرة »؟ وهَبْ أنّه كان يكونُ لكم مثلُه، فما تصنعُ الكَيِّسة في البيت الفارغ[1]؟ وهل لكم في بلاغةِ النثر كالفَتْح بنِ عُبيدِ الله الذي إنْ مَدَحَ رَفَعَ وإن ذمّ وَضَع؟ وقد ظَهَرَ له من ذلك في كتاب « القلائد » ما هو أعدلُ شاهدٍ. و(هل لكم) مثلُ ابن أبي الخِصالِ في ترسيلِهِ ومثلُ أبي الحَسَنِ سَهْلِ بنِ مالكٍ[2] الذي بينَ أظهُرِنا الآنَ في خُطَبِه؟ وهل لكم في الشِعر مَلِكٌ مثلُ المُعْتَمِدِ بنِ عبّادٍ..... ومثل ابنِهِ الراضي؟.... وهل لكم مَلِكٌ أَلّفَ في فنونِ الآدابِ كتاباً في نحوِ مِائَةِ مُجلّدةٍ مثلُ المُظَفَّرِ بن الأفطسِ صاحب بَطَلْيَوْسَ، ولم تَشْغَلْهُ الحروبُ ولا المَمْلكةُ عن هِمّة الأدب؟

« وهل لكم في الوُزراءِ مثلُ ابنِ عمّارٍ في قصيدته التي سارتْ أشْرَدَ من مَثَل وأحبَّ إلى الأسماع من لِقاءِ حبيبٍ وصل[3]؟ (تلك التي) منها:

أثْمَرْتَ رُمْحَكَ من رُؤوسِ مُلوكهم لَمّا رأيتَ الغُصْنَ يُعْشَقُ مُثْمِرا؛
وصَبَغْتَ دِرْعَكَ من دِماءِ كُماتِهم لَمّا رأيتَ الحُسْنَ يُلْبَسُ أحمرا[4].

و(هل لكم) مثلُ ابنِ زَيْدونٍ في قصيدته التي لم يُقَلْ مَعَ طولِها في النسيبِ أرَقُّ منها؟ وهي التي يقول فيها:

كأنّنا لم نَبِتْ والوصلُ ثالثُنا، والسعدُ قد غَضّ من أجْفانِ واشِينا[5]:
سِرّانِ في خاطرِ الظَلْماءِ يَكْتُمُنا حتّى يكادَ لِسانُ الصبح يُفْشِينا.

وهل لكم في الشُعراءِ مثلُ ابن وَهْبونٍ في بديهتِهِ بينَ يَدَي المُعْتَمِدِ.... وهل لكم مثلُ شاعرِ الأندلس ابنِ درّاجٍ الذي قال فيه الثعالبي[6]: هو بالصِقْعِ الأندلسيّ

(١) المقصود: يمكن أن يكون في المغرب (شمالي إفريقية) نفر من المؤرخين، ولكن ليس في المغرب أدباء كبار يستحقون أن يؤرخ لهم مثل أدباء الأندلس. - الكيّس (بتشديد الياء): العاقل، البارع.
(٢) أبو الحسن سهل بن مالك الأزدي فقيه وخطيب بليغ وشاعر أندلسي (ت ٦٣٩ هـ).
(٣) المثل الشرود: البارع المشهور. من حبيب وصل (اتصل بمُحِبِّه).
(٤) الكميّ: الشجاع والتامّ السلاح.
(٥) غض (كفّ، صرف) من أجفان (عيون) واشينا (عدوّنا): خيّبَ ظن الذين يريدون سوءاً بنا.
(٦) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) صاحب « يتيمة الدهر » من مشاهير أدباء المشرق.

كالمتنبّي بصِقْع الشام، والذي إن مَدَحَ الملوكَ قال مِثْلَ قوله:.......

وأنا أُقْسِمُ بما حازَتْه هذه الأبياتُ من غَرائب الآياتِ لو سَمِعَ هذا المديحَ سَيِّدُ بني حَمْدانَ لَسَلا به عن مدح شاعِره[1] الذي ساد كلَّ شاعرٍ، ورأى أن هذه الطريقةَ أوْلى بمدح المُلوكِ من كلّ ما تَفَنَّنَ فيه كلُّ ناظمٍ وناثر........ »

ولابن دِحيةَ الكلبيّ (ت ٦٣٣ هـ) أحكامٌ عارضة في النقد منثورة في كتابه « المطرب » على غير قاعدة. إنه اختار أشعارَ « المطرب » اعتماداً على « ذوقه الشخصي »، وإلّا فما الحُجّةُ مثلًا لاختيار الرمادي (ت ٤٠٣ هـ - راجع ترجمته) في شعراء المطرب ببيتين- هما سهلان عذبان ولكنهما لا يمثلان الرماديَّ؟ وباعتماد ذوقه الشخصيّ أيضاً جاء بأحكامه في النقد.

وابن دِحيةَ يورد أحكامه في النقد في جُمَلٍ عامّة مسجوعة قلّ أن تفيد « حكماً » كقوله مثلًا: « له مُقَطّعاتُ غزَلٍ أحسن من الرياض وأغزل من العيون المراض -.... مَنْ نُسِج على منواله وضُرب في بديع المعاني والألفاظ على مِثاله ».

وقد أكثر الشعراء من تشبيه عيون النساء الجميلات بالنرجس، فقال ابنُ دحية في نقد ذلك: « هو تشبيه غير وثيق إذا حُكَّ بمِحَكّ التحقيق، لأن بينَ نَرْجس الحدائق والأحداق الموصوفة بالدَعَج وتكحيل الآماق[2] من التباين ما بين الأضداد. وليس يحسن أن تَحِلَّ الصفرة في موضع السواد. فتشبيهه بعيون الهرر أولى من تشبيهه بعيون الناس في حكم القياس. ولكنه حَسُنَ تشبيهه بذلك لموضع إحاطة البياض بالصُفرة كإحاطة بياض العين بسوادها ». ولكنّ مثلَ هذا التحليل قليل عند ابن دحية.

ويقف ابن دِحية في نقده موقف الدفاع عن شعراء الأندلس ويُسوِّغ قِلة سَيْرورة

---

(١) سيد بني حمدان (سيف الدولة أمير حلب). سلا: تسلى (عن)، نسي، أهمل. شاعره (شاعر سيف الدولة: أبو الطيب المتنبي).

(٢) الدعج: سَعة العين مع الحوَر (شدة اسوداد البؤبؤ وشدة البياض حوله). تكحيل (سواد). المؤق: طرف العين (المقصود: أطراف الجفون).

شعر الأندلسيين على الألسنةِ بالإضافة إلى سيرورة شعر المشارقة بشُهرة المشارقة ومَيْل أهل الأندلس إليهم.

واختار ابنُ دِحية ليحيى بن حَكَمٍ الغَزالِ (ت ٢٥٠ هـ) مقطوعته في تود الجوسية (راجع ترجمته): «كُلِّفتَ، يا قلبي، هوىً مُتعِباً» ثم علّق عليها بقوله: «وهذا الشعر لو رُوِي لِعُمَرَ بنِ أبي ربيعةَ أو لبشارِ بن بُرْدٍ أو للعباس بن الأحنف[١] ومَنْ سلك هذا المسلك من الشعراء المحسنين لاسْتُغْرِبَ له؛ وإنّ ما أوجبَ أن يكون ذكْرُه مَنْسِيًّا أنْ كان أندلسيًّا. وإلّا فما له أُخمِلَ؟ وما حقّ مثله أن يُهْمَلَ!... «يا لأَهلِ المشرق»، قَوْلَةَ غاصٌّ بها شَرِقٍ[٢]! ألَا نظروا إلى الإحسان بعين الاستحسان، وأقصروا عن استهجان الكرِيم الهجان[٣]، ولم يُخرجْهُمُ الإزراءُ بالمكان عن حَدِّ الإمكانَ... »[٤].

وعبدُ الواحد المَراكُشي (ت نحو ٦٤٧ هـ) مؤرخ في الدرجة الأولى، إلّا أنه كان أديباً بارعاً في عَرْض الخصائص واستعراض الشعر والنثر - وقد أكثر من نماذجها في كتابه «المُعجب في تلخيص أخبار المَغْرب». وكان له نثرٌ رشيق مَعَ سهولته، ولكنّ شعرَه كان عاديًّا - ولقد قال هو نفسُه على قصيدة من قصائده (ص ٣٠٩): «مع ركاكتها وقِلّة انطباعها وظهور تكلّفها».

ولعبد الواحد المراكشي أحكامٌ في النقد متفاوتة بعضُها إنشائي فقد قال في قصيدة ابن عبدون (ت ٥٢٩ هـ) الرائية: «الدهر يفجَعُ بعد العين بالأثر»: «....

---

(١) راجع في هؤلاء الجزأين الأول والثاني.

(٢) «يا لأهل المشرق» قولةً.... (يقول: أنا أفضل أدباء المشرق على أدباء الأندلس، وأنا كاره لذلك: برغمي).

(٣) أقصر: كفّ، اعتدل، استهجان: تقبيح الهجان: الكريم الأصل، الجيّد من كل شيء.

(٤) الإزراء (أن يعيب الإنسان إنساناً آخر ويحتقره). عن حدّ الإمكان (البقاء في نطاق الأحكام الممكنة: المعقولة، المنصفة، العادلة).

قصيدته الغراء، لا بل عقيلته العذراء[1] التي أزْرَتْ على الشعر[2] وزادت على السِّحرْ وفعلتْ في الألباب فعلَ الخمرِ، فجلّت عن أنْ تُسامي وأنِفَتْ من أن تُضاهى[3]. فقلّ لها النظيرُ وكَثُرَ إليها المُشيرُ وتساوي في تفصيلها وتقديمها باقلٌ وجرير[4].... (ص ٧٥ - ٧٦).

غير أن له أيضاً أحكاماً دقيقةً صحيحةً، كقوله عن عبد الجليل بن وهبون (ص ١٠٢): « كان حسنَ الشعر لطيفَ المأخذِ حسنَ التوصّل إلى دقيق المعاني ». أو كقوله في الرصافي الرفّاء (ص ٢٢١): « هو من مُجيدي شعراء عصره، ولا سيّما في المقاطع، كالخمسة الأبياتِ فما دونها... وقد رأيتُ أنْ أُوردَ من (شعره) ها هنا نُبذةً يسيرةً تَدُلّ على ما وصفناه به. فمن ذلك قوله يصف نهرَ إشبيلية الأعظمَ.... ».

ونستطيعُ أن نَنْسِبَ جميعَ أحكام النقد الواردة في كتاب « المُغرب » إلى أبي الحسن عليّ بن موسى بن سعيد (ت ٦٨٥ هـ) لأنه آخرُ مُصَنِّفي الكتاب. والمفروض أنّـه قد تقبل هذه الأحكام كلِّها، سواءٌ أكانت للحِجاريّ (ت نحو ٥٥٠ هـ) الذي كان قد بدأ تحرير هذا الكتاب باسم « المُسهِب » أو كانت لآله الذين سبقوه في العمل على تتميم « المغرب ».

ومعَ أنّ ٱبنَ سعيدٍ ينحو أيضاً نحوَ الدفاع عن الشعراء الأندلسيين، فإنه لا يدفع المشارقة عن الإحسان والإبداع، فالفريقان لا يقتصران على قُطر دون قطر. ونحن نستطيع أن نرى ٱتجاهَ ٱبنَ سعيد في تطبيق الشعر (جعلِه طبقاتٍ) من العناوين التي

---

(١) الغرّاء: البيضاء (البارعة، الجيّدة). عقيلته: حليلته، زوجته. العذراء (التي لم يتزوّجها أحد غيره): لم ينظم مثلها شاعر سواه.

(٢) أزرت على الشعر: عابت جميع الشعر (كانت أفضل القصائد، فظهرت جميع القصائد الأخرى بجانبها قليلة القيمة).

(٣) جلّت (عظمت، ارتفعت عن أن) تُسامى (ترتفع قصيدة أخرى إلى مستواها) وأنفت (كرهت، ترفّعت عن أن) تُضاهى (تماثل: يكون لها مثيل أو شبيه).

(٤) النظير: المثيل. باقل: رجل كان عَيِيًّا (لا يحسن اللفظ ولا التلفّظ بالكلام). جرير: الشاعر الأموي المشهور (كان فصيحاً عذب الكلام سهل التعبير، بخلاف معاصره ومهاجيه الفرزدق الذي كان في شعره فخامة مع شيء من التعقيد).

توّج بها كتبه في أختياراته من الشعراء، فله: المُغرب في حُلى المَغْرب - رايات المُبرّزين وشارات المُميّزين - عُنوان المُرقصات المطربات - المُشرق في حُلى المَشرق - القِدْح المُعلّى في التاريخ المُجلّى - المُقْتطَف من أزاهر الطُرَف.

والمختارات في هذه «الجاميع» ليست متحيِّزة (لكلٍ منها حيِّزه الخاص به) بل هي متداخلة (تجد بعضَ ما في مجموعٍ مُثبتاً في مجموعٍ آخر). والذي يَغْلِبُ على هذه الجاميع (كما غَلَبَ على «المُطرب» لابن دِحية، وكما غلب على الحِجاري) «النكتة الطريفة». إن هذه الجاميعَ كلّها لا تُثبت للشاعر مختاراتٍ تمثل اتّجاهَه أو تُنصِفُ عبقريتَه أو ما يَدُلّ على قيمةٍ ذاتيةٍ في القطعة المختارة، بل تثبت ما فيه نُكتةٌ أو لَفْتةٌ أُعْجِبَ بها الجامعُ المختار. وربما خصّ آبنُ سعيد (كما فعل ابن دِحية من قبلِه والفتحُ ابن خاقان من قبلهما) شاعراً بفصل من كتابه ثم اختار له بيتين أو ثلاثة أبياتٍ فقط.

ابن خِيَرَة[١] المواعيني

١ - هو أبو القاسمِ محمّدُ بنُ إبراهيمَ القرطبيُّ الإشبيليُّ - من أهلِ قُرطبةَ ثمّ سكن إشبيليةَ وأصبحَ من أعيانها - تَلقّى العِلْم على أبي بكرِ بنِ العربيّ (ت ٥٤٣ هـ) وابن أبي الخصالِ (؟ محمد بن مسعود المُتوفّى سنة ٥٤٠). ويبدو أنّه بدأ حياتَه العامّةَ بالدُخولِ في خِدمةِ المُوحّدين، فقد كان كاتباً لوالي غَرناطةَ أبي سعيدِ بنِ عبدِ المؤمن ثمّ لأخيه أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ عبدِ المؤمن والي إشبيليةَ. ولمّا جاء أبو يعقوبَ يوسفُ إلى عرش الموحّدين، سَنَةَ ٥٥٨، أصبحَ ابنُ خيرةَ كاتباً له وانتقل إلى مَرّاكُشَ ثمّ تُوُفّيَ فيها سَنَةَ ٥٦٤ (١١٦٨ - ١١٦٩ م).

٢ - كان ابنُ خِيَرَةَ المواعينيُّ أديباً ناثراً ومُتَرَسِّلًا وشاعراً وناقداً. ولَعلّ النقدَ أبرزُ فُنونهِ. له كتابُ «رَيْحان الألباب ورَيْعان الشباب في مراتب الآداب» (في

(١) خيرة (بالفتح أو بالكسر) من أسماء البنات، ولعلّ الفتح أشهر وأكثر (راجع تاج العروس - الكويت ١١: ٢٤٧ وما بعد).

النقد الأدبي) جعَله سَبْعَ مراتبَ (في أبوابٍ متنوّعةٍ) هي: مرتبةُ تدريج النُمُوّ والارتقاء إلى مراقي السُمُوّ والاعتلاء - مرتبةُ لُمَعٍ من قانونِ العربية ونُبَذٍ من الألفاظ اللغوية- مرتبة الإبهام بالمعاريض والكلام المُحتملِ التعريض- مرتبة الفصاحة في البلاغة وجامعٌ في لوازمِ إنشاء الصناعة - مرتبة نظامِ القريض والتزام ميزانِ العَروض - مرتبة اقتضاب شَجَرة النَسَب ومنتهاه من وَلَد آدمَ ونوحَ إلى جذْم العرب- مرتبة اختيار الأشعارِ والأخبار وما يتعلّق بها من مأثور الحديثِ والآثار.... وفيه تاريخُ بني أُميّةَ وبني العبّاس وفتحُ الأندلس وذِكرُ وُلاتِها إلى سَنَة ٥٥٩.

والمواعيني يعتمدُ في آرائهِ كُتُبَ المشارقة، وخصوصاً كتابَ البيان والتبيين للجاحظِ. وتَجِدُ في «تاريخ النقد الأدبي عند العرب» لإحسان عبّاس عَرْضاً وافياً لآراء المواعيني في النقد. ولعلّ من آراء المواعيني البارزةِ أنّه كان يُحاولُ أن يرى الصواب في جَوْدة الشعر اجتماعَ الجَزالة (العربية القديمة) والرِقّة (الأندلسية الحديثة) في القصائدِ كَيْ يُوَفّقَ بينَ آراء النقّاد في الأندلس.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو محمّدِ بنُ خيرةَ الإشبيليُّ من قصيدةٍ يمدَحُ بها أبا حفص بن عبدِ المؤمن:

كأنّما الأفْـقُ صَرْحٌ والنجومُ به كواعـبٌ وظلامُ الليلِ حاجِبُهُ[١].
وللهِـلالِ اعـتراضٌ في مَطالِعِـهِ كأنّـه أسْوَدٌ قد شاب حاجِبُه[٢].
وأقبَلَ الصُبحُ فاستَحْيَتْ مَشارِقُهُ، وأدْبَرَ الليلُ فاسْتَخفَتْ كواكِبُه[٣]،

---

(١) الصرح: القصر (البناء العظيم). الكاعب: المرأة في أول شبابها. الحاجب: الحارس (الذي يمنع العامة من الدخول على السلطان).

(٢) وقد بدأ طلوع الهلال (في الشرق) في أواخر الشهر القمري. الأسود (العبد الأسود). الحاجب (الشعر النابت فوق العين).

(٣) استحيت مشارقه (ظهر عليها الفجر بلونه الأحمر).

كالسيّدِ الماجدِ الأعلى الهُمام أبي حَفْصٍ لرحْلَتِه ضُمّتْ مضاربُه[1].

- وقال في الكلام الحَسَن مكتوباً بخطٍّ جميلٍ:

يا مَنْ له مَنْطِقٌ كالدُّرّ في نَسَقٍ يُزهى به الحِبْرُ في وَشْيٍ من الحَبَر[2]،
ويُشْرِقُ الطِرْسُ مَمْشوقاً بأسْطُرِهِ كأنّما هُوَ مُشْتَــقٌّ من الحَوَر[3]!

- وقال يمدحُ الزُبيرَ بنَ عُمَرَ:

بَرقَـتْ ثُغورُهُمُ وسالتْ أدمُعي، فانْظُرْ إلى برقٍ وصَوبِ عِهاد[4].
طولوا وصولوا فالمناسِبُ حِمْيَرٌ: أهـلُ المفاخر والنَّدَى والنادي[5].
للقوم في كـــلِّ البـــلادِ رئاسةٌ تَحْكي بـني العبّاس في بغداد.
أضْحَتْ مجالِسُهُمْ سُروجَ جيادِهِمْ، إنّ السروجَ مجالسُ الأمجـــاد[6]!

- وقال في صِفات أمير (من رسالة):

أطالَ اللهُ بقاءَ الأميرِ محفوفاً بالراياتِ الخافِقَةِ، موصوفاً بالآراء المُتوافقةِ. ولا زالتْ أمْصارُه تُنير ومضاؤه يُبير[7]. يا له - أيّده اللهُ - من مضاءٍ[8] لا يبيت له جارٌ على وَجَلٍ، ورَدًى يَستَوهِبُ من كُماتِه كُلَّ أجَلٍ!

---

(١) اختفاء النجوم مع قدوم الصبح يشبه انطفاء المصابيح في مضارب (خيام، قصور الممدوح) لكثرتها (؟).

(٢) يُزْهى (يعجب بنفسه، يفتخر) الحِبر (المداد الأسود الذي يكتب به: كناية عن تدوين كلامه). وشي: تطريز (زخرف). الحبر (بفتح ففتح أو بكسر ففتح): ملاءة (ثوب واسع) من حرير.

(٣) المشق: نوع من الخطوط تكون الحروف فيه طويلة. الحور: شدة سواد العين مع شدة بياضها.

(٤) الثغر: الفم. الصوب: الدفعة من المطر الغزير. العهاد: المطر (المتوالي).

(٥) طولوا: افتخروا. صولوا (تسلطوا). حمير: عرب الجنوب. الندى: الجود والكرم. النادي: المكان الذي يجتمع فيه رؤساء القوم وكذلك أسرة الرجل. أنت واهل بيتك أشراف البلاد وحكامها.

(٦) الأمجاد جمع ماجد (؟): الشريف الكريم. السروج مجالس الأمجاد (كناية عن ركوب الخيل للحرب)، دلالة على القوة.

(٧) المصر: البلد الكبير. المضاء: النفوذ في الأمور. ومضاء (بالكسر): السيف. أبار: أهلك، أفنى.

(٨) مضاء بتشديد الضاد (شديد العزم؟). الوجل: الخوف. ردى: موت. الكميّ: الشجاع الذي يتقلد سلاحه الكامل. رجاله (جنوده)، إذا هم لم يحاربوا أحداً عاش ذلك الشخص طويلا.

– شروط الفصاحة في اللفظة :

..... أن تَجِدَ لتأليفِ اللفظةِ في السَمْعِ حُسْناً ومَزِيّةً على غيرِها ، وإنْ تَساوَيا في التأليفِ من الحروف المُتباعدةِ ، كما أنّك تَجِدُ لِبَعْضِ النَغَمِ والألوان حُسْناً يُتَصوَّرُ في النفس ويُدْرَكُ بالبصرِ والسَمْعِ والحِسّ. مِثالُ ذلك من الحروف ع ذ ب ، فإنْ قُدِّمَتْ بعضُ هذه الحروفِ على بعضٍ ذَهَبَتْ حَلاوةُ الكَلِمَةِ ولم تَجِدْ حُسنها على الصِفة. فإنْ قالوا : فأتونا بكَلامٍ يَتَبَيّنُ مَوْقِعُ حُسنِهِ بلفظٍ يَشِفُّ رَوْنَقُه عن غيرِه ، فمِثالُ ذلك مِمّا يُخْتارُ قولُ أبي القاسمِ المَغْرِبيِّ[1] من رِسالةٍ : فَرَعَوْا جَمِيماً قد تأَنَّفَتْ رَوْضَتُه[2] ورادوا مَسْرحاً مَسَحوا عن أعطافِ نَباتِهِ قَطْرَ نَداه[3] ونَشَروا مِن لَبّاتِه عِقْدَ طَلِّهِ. فتأنّفتْ كَلِمَةٌ لاخفاء بِمَوْقِعِها وحُسْنِ مَوْضِعِها....

..... ولمّا لم تَجِدِ الصوفيةُ كلاماً أَهَزَّ للنفوسِ وأبْعَثَ لإطرابها من أشعارِ النسيبِ ووَصْفِ المحبوبِ تناشَدَتْها وتفانَتْ على أعراضها[4]! وهامتْ بظواهرِ ألفاظها ، ولكنّهم يَعْنونَ المحبوبَ[5] الذي لا يُوجَدُ منه الاضطرابُ ولا الصدودُ إذا صَدّ الأحبابُ.....

٤ – ** المغرب ١ : ٢٤٢ ؛ الوافي بالوفيات ١ : ٣٥١ ؛ نفح الطيب ٣ : ٤٢٦ ؛ بروكلمن ١ : ٣٧٧ – ٣٧٨ ، الملحق ١ : ٥٤٣ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٨٦ (٥ : ٢٩٦) ؛ تاريخ النقد لعبّاس ٥١٣ – ٥٢١ ؛ تاريخ الفكر الأندلسي ١٧٨ .

---

(١) لعلّه الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن عليّ بن الحسين ، (ت ٤١٨ هـ) ، كان وزيراً من العلماء والأدباء (من أهل مصر) وكان أيضاً مصنّفاً له عدد من الكتب (راجع الأعلام للزركلي ٢ : ٢٦٦ – ٢٦٧ (٢٤٥).

(٢) رعى الجميم (العشب الكثير النامي). تأنفت روضته (لم يرع أحد فيها).

(٣) راد : قصد . المسرح : المرعى . العطف (بالكسر) : الجانب . مسحوا الخ (هم أول من رعى أنعامه في هذا المكان).

(٤) تفانت على أعراضها (؟).

(٥) الله تعالى.

أبو حامد الغرناطي

١ - هو أبو حامدٍ (أو أبو عبدِ الله) محمّدُ بنُ عبدِ الرحيمِ (أو عبد الرحمن) بنِ سُليمانَ بن الربيعِ بنِ تميمِ بنِ محمّدِ بنِ عليِّ بن عبدِ الصمد المازنيُّ القَيْرواني القَيْسي[1] الغَرْناطي الأندلُسيُّ المَغْربي، وُلدَ سَنَةَ ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ م) وسَكَنَ أُقْليشَ[2].

تَرَكَ أبو حامدٍ الأندلسَ وَوَصَلَ إلى الإسكندريةِ في سَنَةِ ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م) فَسِمَعَ فيها (الحديث) من أبي محمّدٍ الرازيِّ وسَمِعَ في مِصْرَ (القديمة) من أبي صادقٍ مُرْشِدِ بنِ يَحْيى المَدينيِّ ومن أبي الحَسن الفَرّاء ومن أبي عبدِ الله بنِ بَركاتِ بنِ هلالِ النَحْويِّ (٤٢٠ - ٥٢٠ هـ) وغيرِهم. ثمّ عادَ إلى الأندلس.

وأصابتْ أبا حامد ضائقةٌ ماليةٌ فرَحَلَ، سَنَةَ ٥١١ هـ (١١١٧ م) إلى المشرقِ فمرّ بجزيرةِ ساردانيةَ وجزيرة صِقِلِّيَةَ ثمّ نَزَلَ في الإسكندريةِ وانتقل منها وشيكاً إلى القاهرة. ثمّ غادرَ القاهرةَ إلى دِمَشْقَ (بعد ٥١٢ هـ) وتصدّرَ فيها للتدريس، وفي الوقتِ نفسهِ كان يسمَعُ من أبي العزِّ أحمدَ بنِ عبيدِ الله بن كادش.

وفي سَنَةِ ٥١٦ هـ انتقلَ إلى بغدادَ ومَكَثَ فيها أربعَ سَنَواتٍ فنال حُظوةً لدى الوزيرِ عونِ الله يحيى بنِ هُبيرةَ بنِ محمّدِ بنِ هُبيرةَ (٤٩٩ - ٥٦٠ هـ)، وكان فقيهاً أديباً شاعراً مَدَحَهُ الشعراءُ فأكثروا. وقد كان يُحَدِّثُهُ بعجائبِ ما رأى في أقطارِ المَشْرق والمَغْرب فرَغِبَ إليه آبنُ هُبيرةَ أن يُؤلّفَ في ذلك كلّهِ كتاباً فألّفَ له «المُعْرِبَ في عَجائب المَشْرِق والمَغْرب».

ومِنْ بَغْدادَ بدأ أبو حامدٍ رِحلةً إلى شَرقيِّ آسيةَ وشرقيِّ أوروبّةَ: كان في أبْهر (٥٢٤ هـ) وفي سَخْسين[3] (٥٢٥ هـ) ثمّ انحدرَ إلى بلادِ البُلْغار (٥٣٠ هـ) عند نهر

(١) المازني (مازن قبيلة عربية). القيرواني (أصله من القيروان). القيسي (نسبة إلى قيس، إحدى القبائل الكبرى من عرب الشمال - بفتح الشين). أو نسبة إلى آل قسي الإسبان. وذكر حسين مؤنس (هنا لندن، آب ١٩٦٨، ص ٥) أنّ أبا حامد الغرناطي ولد في قرية صغيرة تسمّى قيس قرب غرناطة (وسط العمود الثاني).

(٢) شرق طليطلة.

(٣) سخسين أو سقسين أو سخستين ولعلّها سخستي (عند مصبّ نهر الفولغا في شمال بحر قزوين).

الفولغا[1]. وقد رأيناه، سَنَةَ ٥٢٥ هـ (١١٣١ م) يعودُ من بلاد المَجَر[2] إلى بَغْدادَ لِيَسْتأنفَ منها رِحلةً إلى خُراسان حيث بَقِيَ مُدّةً يتطوّفُ في بُلدانها قبلَ أن يذهبَ إلى الحجّ.

وعاد إلى بَغْدادَ، سَنَةَ ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) ثمّ جاء في ٥٥٦ هـ إلى المَوْصِلِ ونال فيها حُظوةً لدى مُعينِ الدين أبي جَعْفرٍ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ محمّدِ بنِ خَضِرٍ الأَرْدَبِيليّ المَلّاء وألّفَ له « تُحْفة الألباب ». ثمّ رَجَعَ إلى الشام وأقامَ في حَلَبَ سَنَتَيْن. وبَعدَها عاد إلى دِمَشْقَ حيثُ تُوفّي في صفر من سَنَةِ ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م).

٢ - كان أبو حامدِ الغَرناطيُّ شيخاً فاضلاً حافظاً للحديثِ عالماً به، كما كانَ أديباً يَنْظِمُ الشعرَ. واشتهرَ أبو حامدٍ بالرِحلة في المَغْرب والمشرق وفي شَرقيّ أوروبّة: طاف المغربَ كلَّه وعَرَفَ قبائلَ كثيرةً في السودانِ الغَرْبي ووَصَفَ لنا أحوالَها. ولم يكُنْ أبو حامدِ الغَرناطيُّ جُغرافيًّا ولا فَلَكيًّا ولا نَسّابةً، ولكنّه كان رَحّالةً يُدوِّنُ ما يرى وما يسمَعُ، مَعَ مَيْلٍ ظاهرٍ إلى الاهتمام بالأشياء الغَريبة والمُسْتَغْربة وإلى المبالغة في وصفِها وحِكايةِ الأخبارِ المُتَعَلِّقةِ بها. ومَعَ أنّه كان يُحْسِنُ التحديثَ فإنّ لُغَتَه تَنُوءُ بشيءٍ من الضَعْفِ في اختيارِ الألفاظِ وفي بِناء التراكيب. ولرِحلةِ أبي حامدٍ الغَرناطيِّ قيمةٌ ظاهرةٌ هي أنّه وَصَفَ لنا فيها معالمَ في مِصْرَ قد زالتْ فيما بعدُ، كما وَصَفَ كثيراً من أحوال البلادِ في شَرقيّ أوروبّةَ ومن أحوالِ التجارة في جَنوبيّ الرُوسية.

٣ - مختارات من آثاره:

- من تحفة الألباب (الديباجة):

.... ولمّا وَصَلْتُ إلى المَوْصل سَنَةَ سَبْعٍ وخمسينَ وخَمْسِمِائةٍ (نَزَلْتُ بها) في جَنابِ

---

(١) البلغار كانوا لا يزالون، في أيام أبي حامد الغرناطي، قبائل رحّلا بين نهر الفولغا ونهر الطونة (الدانوب) قبل استقرارهم في منازلهم الحالية شمال بلاد اليونان.

(٢) المجر ويسمّيهم أيضاً باش كيرد وباش كورد (بلاد هنغارية).

الشيخ الإمامِ الزاهدِ مُعين الدين... أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ محمّدٍ مُحيِي سُنَنِ سيّد المُرسلين بتأليف «وَسيلةِ المُتَعَبِّدين»[1] مُتَوخّياً بتأليفها رِضا اللهِ تعالى وشفاعةَ نَبيّهِ المُصطفى....

جَمَعَ الوَسيلةَ مُشْبِهُ الفاروقِ وسَمِيُّه فَسَما على العَيّوق[2].
باهى بها فَلَكَ البُروجِ فأصبحتْ كالشمسِ لا تَخفى بكلِّ طريق[3].
خُتِمَتْ تواليفُ العلومِ بها كما خَتَمَ النُبُوَّةَ أحمدُ الصدّيق[4] (؟).

فَشَهِدتُّ من كَرَمِهِ وإكرامِهِ وتواضُعِه وإنعامِهِ، لجميعِ المسلمين، وإطعامه للقاصدين منهم والقاطنين، وتقشّفِهِ في لِباسه على زِيِّ الصَحابة والتابعين، والاقتداء بالأئمّة الصالحين العالمين العاملين، كأنّه مَلِكٌ في زِيِّ مسكينٍ، فهو في هذا العصر مَعدومُ القرين..... ولم يَزَلْ- أيّدَهُ اللهُ وأبقاهُ، ومن المكارهِ وَقاهُ، يَحُثُّني كلّما كنتُ ألقاه على أن[5] أجْمَعَ ما رأيتُه في الأسفار من عجائبِ البُلدانِ والبحار وما صحّ عِندي من نَقَلَةِ الأخبار والثِقاتِ الأخيار. وأجَبْتُه إلى ذلك وإنْ لم أكُنْ هنالك، لِعُزوبِ الفِطَنِ وضيق العَطَن[6] وبُعد الأهل والوطن، وتَشَتُّتِ الأحوالِ وركوب الأهوال وطولِ الاغتراب والبُعد عن الأحْباب ومُساوَرَةِ العَذاب[7].... ورأيتُ أنْ

---

(١) معين الدين الأردبيلي له كتاب وسيلة المتعبّدين (راجع بروكلمان، الملحق ١: ٧٨٣ – ٧٨٤) في عدة أجزاء.

(٢) الفاروق: عمر بن الخطّاب... معين الدين الأردبيلي يشبه عمر بن الخطّاب في أعماله وباسمه أيضاً (لأنّ اسمه عمر).

(٣) باهى فلان فلاناً: غلبه في البهاء (زاد عليه في الجمال). الفلك: الخط الوهمي الذي يسير فيه الكوكب (واستعمال الكلمة هنا بمعنى «الكوكب» خطأ). البروج جمع برج: (هنا) منازل تمرّ بها الشمس في أثناء العام (بحسب رأي القدماء).

(٤) كتاب معين الدين الأردبيلي (وسيلة المتعبّدين) آخر كتب العلماء وأفضل كتبهم كما أنّ أحمد (محمّد صلّى الله عليه وسلم) آخر الأنبياء وأفضلهم. الصدّيق حقّها الجرّ وهي هنا مرفوعة.

(٥) وقاه: حفظه. حثّ: حضّ، شجّع على عمل شيء.

(٦) لم أكن هنالك: لست من أهل هذا الميدان (التأليف). العزوب: البعد. الفطنة: الذكاء (الذكاء بعيد عنّي). ضيق العطن: قلّة الصبر (على العمل المجهد).

(٧) مساورة العذاب: إحاطة العذاب (أي من كلّ جانب).

أُسَمِّيَ هذا المجموعَ «تُحْفةَ الألبابِ» وأُرَتِّبَه على مُقدّمةٍ وأربعةِ أبوابٍ. فالمقدّمةُ للبيانِ والتمهيد، والأبوابُ لِتَتِمّةِ المقصود: البابُ الأوّلُ في صِفةِ الدنيا وسُكّانها من إنْسها وجانِّها. - البابُ الثاني في صِفةِ عجائبِ البلدانِ وغرائبِ البُنْيان. - البابُ الثالثُ في صِفة البحار وعجائب حَيَواناتها وما يَخرُجُ منها من العَنْبر والقار وما في جزائرِها من أنواع النِفْط والنار[1]. - الباب الرابع في صِفات الحفائرِ والقبور وما تضمَّنتْ من العِظام إلى يوم النشور[2] ليكونَ ذلك سَبَباً إلى الاعتبار وداعياً إلى الفِرارِ من دار البَوار إلى دار القَرار[3].....

- من المقدّمة:

إنّ اللهَ تعالى فرّق بينَ العالمين في العقول ومَنَحهم منه ما شاء من كثيرٍ وقليلٍ كما فضّل الناسَ بعضَهم على بعضٍ في الرِزْق وسَعَة المال، كذلك فضّل بعضَهم على بعض في العقل.... وبقَدْرِ هذا التفاوُتِ يَقَعُ الإنكارُ لأكثرِ الحقائق من أكثرِ الناس لنُقصان العقل لأنّ الذي يَعْرِفُ الجائزَ والمستحيلَ يعلَمُ أنّ كلَّ مقدورٍ بالإضافة إلى قُدرة الله تعالى قليلٌ. فالعاقلُ إذا سَمِعَ عَجَباً جائزاً استحسَنَهُ ولم يُكَذِّبْ قائلَه ولا هَجَّنه[4]. والجاهلُ إذا سَمِعَ ما لم يشاهِدْ قطعَ بتكذيب (قائله) وتزييف ناقله لقلّة عقله وضيق باع فضله[5]....

- من متن الكتاب: بلاد السودان الغربي (ص ٤١ -).

.... لأنواعِ السودانِ، وبلادُهم مِمّا يَلِي المغربَ الأعلى المتّصلَ بطَنْجةَ[6]. وقد

---

(١) العنبر: المادّة التي توجد في الحوت المسمّى بهذا الاسم، وهي مادّة ثمينة مرغوب فيها سمراء اللون طيّبة الرائحة. القار: الزفت. النفط (بفتح النون أو كسرها): البترول (المادّة السائلة القابلة للاشتعال). النار (نار البراكين التي تخرج من عدد من جزائر البحار).

(٢) الحفائر جمع حفير وحفيرة: القبر، البئر الواسعة (كلّ حفرة كبيرة تنكشف عن أثر أو ثروة). النشور: البعث (يوم القيامة).

(٣) دار البوار (الهلاك)الدنيا . دار القرار (الهدوء والاستقرار والدوام): الآخرة.

(٤) هجّنه: عابه وقبّحه.

(٥) التزييف: الغشّ. (زيّف ناقله: نسب إلى ناقله الجهل والزيادة في الكلام).

(٦) طنجة بلد على ساحل المغرب الشمالي على البحر المحيط.

أسلَمَ من مُلوكهم فيما يُقال خمسُ قبائلَ أقربَهُم غانَةُ[1] يَنْبتُ في رمالِهُمُ الذهبُ التِبْرُ الغايةُ[2]، وهو كثيرٌ عندَهم يَحْمِلُ التّجارُ إليْهم حِجارةَ المِلْح[3]على الجمال من المِلْح المَعْدِنيّ فيخرُجونَ من بلدةٍ يقال لها سِجِلْماسَةَ آخر بلادِ المغربِ الأعلى[4] فيمشونَ في رمالٍ كالبحار ويكون معَهُم الأدلّاءُ يهتدون بالنُّجوم وبالجبال في القِفار يحملون مَعَهُمُ الزادَ لستّةِ شُهورٍ. فإذا صاروا إلى غانةَ باعوا المِلْح وَزْناً بوزنِ الذهب، وربّما باعوه وزناً بوَزْنَيْنِ أو أكثرَ على قَدْرِ كَثْرةِ التُّجّار وقِلّتهم. وأهلُ غانةَ أحسنُ السودانِ سيرةً وأجملُهم صورةً سُبْط الشعورِ[5] لهم عقولٌ وفَهْمٌ ويَحِجّون إلى مَكّةَ. وأمّا فاوَه وقوقو وملّي وتَكْرور وغُدامِسُ فَقومٌ لهم بأسٌ[6] وليس في أرضهم بَرَكَةٌ، ولا خيرَ في أرْضِهم، ولا دينٌ لهم ولا عقولٌ. وشَرُّهم قوقو قِصارُ الأعناقِ فُطْسُ الأنوفِ[7] حُمْرُ العيونِ كأن شعورَهم حَبُّ الفِلْفِلِ وروائحُهم كريهةٌ كالقرون المُحْرَقَةِ يَرْمُونَ بِنَبْلٍ مسمومةٍ بدماءِ[8] حيّاتٍ صُفرٍ لا تلبَثُ ساعةً واحدةً حتّى يَسْقُطَ لحمُ من أصابه ذلك السهمُ عن عظمِهِ، ولو كان فيلًا أو غيرَه من الحَيَوانات. والأفاعي عِنْدَهُمْ كالسَمَكِ يأكلُونها لا يُبالون بسمومِ الأفاعي ولا الثعابينِ إلّا بالحيّةِ الصفراء التي في بِلادِهم فإنّهم يَتّقونها[9] ويأخُذون دَمَها لسِهامهم. وقِسِيُّهُمْ[10] صِغارٌ قِصارٌ رأيْتُهم في بلادِ المَغرب ونَبْلَهُم[11]. ورأيتُ قِسيَّهم. وأوتارُهم من لِحاءِ[12] الشجرِ الذي في بِلادهم، ونَبْلُهم

(١) «غانة» لقب ملوك البلد الذي عاصمته كومبي. وتطلق على البلد أيضاً.

(٢) الذهب التبر الغاية: الذهب الصافي تماماً.

(٣) حجارة الملح = الملح المعدني (الذي يستخرج من مناجم في الأرض لا المستخرج من ماء البحر).

(٤) سجلماسة: مدينة كانت في المغرب الأعلى (جنوبيّ المغرب) على حدود الصحراء.

(٥) الشعر السبط (بفتح السين ثم بسكون الباء أو فتحها أو كسرها): المسترسل غير الجعْد.

(٦) بأس: قوّة، شدّة (في القتال).

(٧) الأنف الأفطس: العريض غير البارز.

(٨) يعتقد أبو حامد الغرناطيّ أنّ سمّ الأفعى إنّما يكون في دمها (والسمّ موجود في كيسين في رأس الأفعى يتّصلان بالنابين).

(٩) يتّقونها: يخافونها، يتجنّبون الاقتراب منها.

(١٠) القسيّ جمع قوس. والسهام جمع سهم. المقصود منها أن تصيب الأعداء.

(١١) النبل جمع نبلة: السهم.

(١٢) الوتر (بفتح ففتح): الخيط الذي يربط بين طرفي القوس ثم يستخدم في إطلاق السهم. لحاء: قشر الشجر (وتعمل منه الأوتار إذا كان ليناً أو يشبه الخيوط).

قصار كلّ سَهْمٍ شِبْرٌ. ونصالُهم[١] شوكُ شجرٍ كالحديد في القوّة قد شدّوه في نَبْلِهِمْ بِلحاءِ شجرٍ يُصيبون الحَدَقَ[٢]. وهم شَرُّ نوعٍ في السودان. وسائرُ السودان يُنْتَفَعُ بهم في الخِدمة والعَمَل إلّا قوقو فلا خيرَ فيهم إلّا في الحرب. ولهم ألواحٌ صِغارٌ مُثَقّبةٌ يُصَفّرون في تلك الثُقَب[٣] فتُصَوِّتُ بأصواتٍ عجيبةٍ فتخرُجُ إلى ذلك الصوتِ جميعُ أنواعِ الحيّات والأفاعي والثعابينِ فيأخذونها ويأكلونها. وفيهم من يَشُدُّها على وَسَطِهِ كما يُشَدُّ الحِزام. ومنهم من يَتَعَمَّم بالثُّعبانِ الطويل ويدخُلُ السوقَ على غَفْلةٍ فيَكْشِفُ ثوبَه ويرمي على الناس أنواعَ الثعابينِ والحيّاتِ فيُعْطونه شيئاً حتّى يخرُجَ، وإنْ لم يُعْطوه ألقى في دكاكِينِهِمْ من تلك الحيّات. ويَجيءُ من بِلاد السودان أنواعٌ من جلودِ الماعِزِ مدبوغةٌ دِباغةً عجيبة، الجِلْدُ الواحدُ يكونُ غليظاً كبيراً لَيِّناً مُحَبَّباً في لون البَنَفْسَجِ إلى السواد[٤] يكونُ الجلدُ الواحدُ عِشرينَ مَنّاً يُتَّخَذُ منه الخفافُ[٥] للملوكِ ولا يُبَلُّ بالماء ولا يَبْلى ولا يَفْنى مَعَ لِينهِ ونُعومتِه وطِيب رائحتهِ يُباع الجِلْدُ الواحدُ بعَشْرَةِ دنانيرَ تَبْلى خُيوطُ الخُفّ ولا يَبْلى هو ولا يَتَقطّعُ فيَغْسِلونه في الحَمّام بالماء الحارّ فيعودُ كأنّه جديدٌ يتوارثه الحفيدُ من أبيهِ عن جَدِّهِ، وهو من عجائبِ الدنيا.

- في بلاد سخسين (ص ١١٦):

ولمّا دخلتُ سخسينَ، سَنَةَ خَمْسٍ وعِشرين وخَمْسِمِائةٍ، اجتمعَ إليَّ الناسُ من أهل العلم وغيرِهم وفي جُمْلَتِهِم شيخٌ ضعيفٌ له ثيابٌ خَلقة[٦] فألقى عِندي سِوارَ ذهبٍ وزنُه أربعونَ مِثقالاً وقال: «ما أصنَعُ بهذا السِوارِ»؟ فقلت: «لا أدري ما تصنَعُ به، لستُ صائغاً حتّى أعلَمَ ما تصنع به». فقال: «اشتَرَيْتُ سَمَكَةً بطسّوجٍ[٧] فوجدتُ هذا

(١) النصل (بفتح فسكون) حديدة السيف أو الحديدة التي تكون في رأس الرمح أو السهم.
(٢) الحدقة (بفتح ففتح): بؤبؤ العين (الجزء الملوّن منها).
(٣) الثقب جمع ثقبة (بالضمّ): الخرق (بالفتح) النافذ.
(٤) محبّباً: غير أملس، سطحه مغطّى بما يشبه الحبوب. إلى السواد: ضارب (مائل) إلى السواد.
(٥) الخفاف جمع خفّ (بالضمّ): حذاء خفيف من جلد.
(٦) خلقة ليست في القاموس بالمعنى المراد هنا. يقال: ثوب خلق (بفتح ففتح): المتهرّىء، والجمع خلقان (بالضمّ) وأخلاق.
(٧) طسّوج: ربع الدانق، والدانق سدس الدرهم (الدرهم جزء من الدينار يكون عشره أو أقل إلى جزء من عشرين).

السوارَ في بطنِها ». فقُلْتُ: « عرَّفه »[1]؟! فقال: « قد عرَّفتُه ثلاثَ سنينَ أشُدّه على عكّازي وأطوفُ به في المساجد والأسواق والبيوت والطُّرُقات وفي دور الأمراء فلا أجِدُ له من يَدّعيهِ ». فقلت: « خُذْهُ أنتَ! فإنّه مالٌ حَلالٌ وأنفِقه على نفسِك ». فَغَضِبَ من كلامي وقال: « واللهِ، لا تراني آكُلُه! ». فقلت: « لماذا تقولُ هذا الكلامَ؟ » قال: « لأنّي رَجُلٌ صانعٌ، أعمَلُ الخِفافَ وآخُذُ ما يَكفيني ». فقلت: « افدِ به الأسارى من أيدي التُرْك ». ففرِحَ وقال: « بارَكَ اللهُ عليك، فَرَّجْتَ عنّي كُرْبَةً »[2]. فقلت: « أوَلَيْسَ ها هُنا من أهلِ العِلمِ مَنْ يأمُرُكَ بِمِثْلِ هذا؟ » فقال: « ها هنا من أهلِ العِلْمِ مَنْ يقول أعْطِنا إيّاه ونحنُ نَعْرِفُ ما نصنَعُ به. وإنّما يريدون أكْلَه ».

- في بلاد البُلغار: (ص ١١٧ -):

وسَمِعْتُ ببُلغارَ، وهي مدينة في آخرِ بِلادِ الإسلامِ في الشَمال، هي فوق سَقْسينَ بأربعينَ يوماً، يكونُ النهارُ في الصيفِ عِشرينَ ساعةً والليلُ أربعَ ساعاتٍ.... ويشتدُّ البردُ فيها حتّى إذا مات لأحدٍ مَيْتٌ لا يَقْدِرُ أن يَدْفِنَهُ سِتّةَ شُهورٍ، لأنّ الأرضَ تصيرُ كالحديدِ ولا يُمْكِنُ أن يُحْفَرَ فيها قبرٌ. ولقد مات لي بها وَلَدٌ، وكان في آخرِ الشتاء فلم أقدِرْ على دَفْنِهِ فبَقِيَ في البيت ثلاثةَ أشهُرٍ حتّى أمكن دَفْنُه. ويبقى المَيْتُ كالحجر. ويخرُجُ التُّجّارُ من بُلغارَ إلى وِلايةٍ من الكفّار يُقال لهم ويسوا (ويسو) منه[3] يجيء القندر[4] الجيّدُ، ويحملون إليهِمُ السيوفَ التي تُتّخَذُ في آذربَيْجانَ نِصالاً غيرَ محليةٍ[5] تُشترى في آذربَيْجانَ أربعةَ سيوفٍ بدينار ويسقونَها[6] سَقْياً كثيراً حتّى إذا علّقوا

---

(١) عرّفه: ناد في الناس به (أعلن أنّك وجدته).

(٢) كربة: حزن وغمّ.

(٣) اقرأ: منها (من ولاية الشعب ويسو).

(٤) القندر (لم أعثر عليها في القاموس). في تاج العروس (١٣ : ٤٨٠): القندورة من ملابس النساء. ولعلّه القندس (بضمّ فسكون فضمّ): حيوان يتّخذ منه الفراء.

(٥) محلية (؟).

(٦) يسقونها: (لعلّ المقصود: يضعونها في النار حتّى تحمّر من الحرارة ثمّ يغمسونها في الماء فتصبح شديدة الصلابة).

النَصْلَ بخَيْطٍ ونُقرَ طَنّ[1] كثيراً. فذلك الذي يصلُحُ لهم فيشترونَ به القندرَ. ويذهب أهلُ ويسوا بتلك السيوفِ إلى ولاية قريبة من الظُلُمات[2] مُشْرِفةٍ على البحر الأسود فيبيعون تلك السيوفَ منهم بجلودِ السَمّور ويأخُذون تلك النُصولَ[3] فيُلقونها في البحر الأسود فيُخرِجُ اللهُ تعالى لهم سَمَكَةً كالجَبَل تَتْبَعها سَمَكَةٌ أكبرُ منها أضعافاً تريدُ أكلَها فتُلقي نفسَها قريباً من البرّ بحَيْثُ لا يُمكِنُها الرجوعُ فيدخُلون إليها بالسفن ويقطَعون من لَحْمها شهوراً حتّى يملأوا بيوتَهم ويَدّخِرون ويُقَدِّدون[4] ما لا نهايةَ له من لحمها ودُهْنها. وربّما يكبُرُ البحرُ[5] فترَجْع تلك السَمَكَةُ إلى البحر وقد ملأتْ مِائَةَ ألفِ بيتٍ أو أكثرَ من لَحْمها. وإذا كانتِ السمكةُ صغيرةً يخافون أن تصيح إذا وَصَلوا إلى موضع القطع من لَحْمِها إلى عِظامها يُخرِجونَ أولادَهم ونساءهم إلى موضع بعيدٍ من البحر حتّى لا يسمَعوا صوتَها.

ولقد حدّثني بعضُ التّجار أنّها خرجتْ إليهم سَنَةً من السنينَ سمكةٌ عظيمةٌ فثقَبوا أُذُنَها وجعلوا فيها الحِبالَ وجرّوها فانفتحتْ أُذُنُها وخرجَ من أُذُنِها جاريةٌ حسناءُ جميلةٌ بيضاءُ سوداءُ الشعرِ حمراءُ الخَدّينِ عَجْزاءُ[6] من أحسنِ ما يكون من النساء، ومن سُرّتِها إلى نِصْفِ ساقِها جِلْدٌ أبيضُ كالثّوْبِ خلقةً[7] يتّصلُ بجَسَدِها يستُرُ حيَّها وجَسَدَها ودُبُرَها[8] كالإزارِ دائراً عليها. فأخذَها الرجالُ إلى البرّ وَهِيَ تلطُمُ وَجْهَها وتَنْتِفُ شَعْرَها وتَعَضُّ ذِراعَها وثَدْيَها وتَصيحُ وتفعَلُ ما تفعل النساءُ في الدنيا حتّى ماتتْ في أيديهم.

٤- تحفة الألباب ونخبة الأعجاب (حرّره غبريال فرّان)، باريس (غونتر) ١٩٢٥ م (منشورة

(١) نقر: ضرب عليه بعود أو بالأصبع. طنّ: أحدث صوتاً.
(٢) الظلمات: البلاد التي يطول فيها الليل في الشتاء (؟).
(٣) السمّور: حيوان يتّخذ منه الفراء. النصول جمع نصل (بالفتح): حديدة عريضة قاطعة.
(٤) يقدّدون: يجفّفون.
(٥) يكبر البحر: يهيج. يعلو (يحدث فيه مد بعد الجزر؟)
(٦) العجزاء: الكبيرة العجز (بفتح فضم) أي مؤخّرة الجسم.
(٧) خلقة: مخلوقاً (طبيعي غير صناعي).
(٨) الحيّ والحياء: فرج المرأة. الدبر: الجانب الخلفي.

في جورنال آزياتيك، باريس ١٩٢٥ م).

- المعرب عن بعض عجائب البلدان (قسم شرقي أوروبة)(تحرير ضبلر)، مدريد؟ ١٩٥٣ م.
- وصف رومية (عن تحفة الألباب - حرّره كرسبو مونكادا)، بالرمو ١٩٠٠ م.

** الوافي بالوفيات ٣: ٢٤٥؛ نفح الطيب ٢: ٢٣٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٢٢؛ بروكلمن ١: ٦٢٨ - ٦٢٩؛ نيكل ٢٦٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٧١ (٦: ١٩٩ - ٢٠٠)؛ بالنثيا ٣١٢؛ المكتبة العربية الصقلية ٧٤ - ٧٥؛ سركيس ٢٩٩.

ابنُ ظَفَرٍ الصِقِلّيّ

١ - هو حُجّةُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ (أبي) محمّدِ بنِ محمّدِ بن ظَفَرٍ، وُلِدَ في صِقِلّيَةَ سَنَةَ ٤٩٧ هـ (١١٠٣ - ١١٠٤ م) ونشأ في مكّةَ. وقد تنقّلَ في البلاد كثيراً: رَحَلَ إلى مِصْرَ وإفريقِيَةَ (تُونس) فأقام في المَهْدِيّة مُدّةً وشَهِدَ فيها الحربَ بينَ المُسلمينَ والنورمانِ حُكّامِ صقلّية واستيلاءَ الإفرنجِ النورمانِ عليها، في ثاني عَشَرَ صَفَرَ من سَنَةِ ٥٤٣ (١/ ٧/ ١١٤٨ م). ثمّ انتقل إلى صِقِلّيَةَ ثمّ عاد إلى مِصْرَ ورَحَلَ منها إلى حَلَبَ فأقامَ في مدرسةِ ابنِ أبي عَصْرونٍ. ولمّا وَقَعَتِ الفتنةُ بين الشِيعة وأهلِ السُنّة نُهِبَتْ كُتُبُهُ فيما نُهِبَ فانتقل إلى حَماةَ فلَقِيَ فيها شيئاً من الرِزْقِ ومِنَ الاطمئنان، ولكنَّ رِزْقَه ظلّ قليلًا دونَ الكَفاف. وقد زوّج ابْنَتَه - وهُوَ في حماةَ - بغيرِ كُفُؤٍ، من الحاجةِ والضرورة، فخرج الزوجُ بها من حماةَ وباعها في بعض البلاد.

وكانتْ وفاةُ ابنِ ظَفَرٍ الصقلّيِّ في حَماةَ سَنَةَ ٥٦٥ هـ (١١٧٠ م) أو بعدَ ذلك بقليلٍ.

٢ - كان ابنُ ظَفَرٍ الصِقلّيُّ أحَدَ الأُدباءِ الفُضلاء عارفاً باللغة والنحو وكان ناثراً وشاعراً. أمّا شِعرُه فشعرٌ عاديٌّ كثيرُ المعاني قليلُ الرونقِ، ومُعظَمُهُ في الحِكمة. وحِكَمُهُ في نَثرِه أحسنُ من حِكَمِهِ في شِعره، وإن كان قدِ آستقى كثيراً من هذهِ الحِكَمِ من أقوالِ الأوائل، وخُصوصاً من عبدِ الله بن المُقفّع. غيرَ أنّه يُحْسِنُ سَبْكَ ما يأخُذه عن الآخرين. وقد كان مُصَنِّفاً مُكثِراً مُجيداً. من كتبه: اليَنْبوع أو ينبوع الحياة في تفسير القرآن الحكيم (اثنا عَشَرَ جُزءاً) - التفسير الكبير[1] - إكسيرُ كيمياء

(١) الينبوع والتفسير الكبير كتابان مستقلّان (راجع معجم الأدباء ١٩: ٤٨).

التفسير- أساليب الغاية في أحكام آية- خيرُ البُشَرِ بخير البَشَرِ (ذكر الإرهاصات التي كانتْ بين يَدَيْ ظُهور[1] النبي صلّى اللهُ عليه وسلّم)- البشحين[2] في أصول الدين- كتاب المَعادات[3] (بفتح الميم: في الاعتقاد)- الجُنّة[4] (بضمّ الجيم) من فِرَقِ أهل السُّنّة (في الاعتقاد)- مُعاتبة الجريء على مُعاقبة البريء- مالك[5] الأذْكار في مسالك الأفكار- الخُوَذُ الواقية والعُوَذُ[6] الراقية (في الوعظ)- نصائحُ الذِكرى- أُرجوزة في الفرائض (تقسيم الإرث)[7]- كشف الكسف في نَقْضِ الكتاب المسمّى بالكسف- الإنباء عن الكتاب المسمّى بالإحياء[8]- سُلوان المُطاع وعُدوان الأَتْباع[9] (فيه خمسُ سُلواناتٍ: في التفويض ونتائجه، في التآسي وفوائده، في الصبر وعوائده، في الرِضا وميامنه، في الزُهد. وقد صَنَعَ المؤلّفُ من هذا الكتابِ عدداً من النُسَخِ كَتَبَ إحداها في صِقِلّيّةَ، سَنَةَ ٥٥٤ هـ برَسْمِ القائدِ أبي عبدِ اللهِ محمّدِ بنِ أبي القاسمِ القُرَشيّ. والكتابُ مشتمل، كما قال العِمادُ الأصفهانيّ الكاتبُ، على حُسْنِ مَعْنًى ولفظٍ وذِكرِ تنبيه ووَعْظ)- الاشتراك اللغوي- مُلَحُ اللغة (وهُوَ فيما اتّفق لفظُه واختلف معناه) على حروف المعجم- كتاب الاستنباط المَعْنويّ- الإشارة إلى علم العِبارة- القواعد والبيان (في النحو)- مختصر في النحو. وله على كُتب الحريريّ مُصنّفاتٌ منها: شرح المقامات (كبير)- شرح المقامات (صغير)- التنقيب على ما في المقامات من الغريب- حاشيةٌ على دُرّة الغَوّاص (رَدّ فيها على الحريري). ثمّ له أيضاً: أنباءُ نُجباءِ الأبناء (ويُلفى أيضاً بعُنوان الغُرَرُ والدُرَرُ في نجباء الأولاد).

---

(١) البشر (بضمّ ففتح) جمع بشرى (بالضمّ): الخبر المفرح. الإرهاص: الأمر الخارق يظهر للنبيّ قبيل بعثته، بين يدي ظهور النبي: قبيل ظهوره.

(٢) راجع الوافي بالوفيات ثم إنباه الرواة ٣: ٧٦، الحاشية ٣.

(٣) المعاد (بالفتح): البعث يوم القيامة.

(٤) الجنّة (بالضمّ): الوقاية، الترس.

(٥) الموازاة تقضي أن تكون كلمة «مالك» على وزن مفاعل (مثل مسالك).

(٦) الخوذة (بالضمّ) بيضة من معدن يلبسها المحارب في رأسه. العوذة (بالضمّ): حرز يقال إنّه يمنع الأذى عن حامله.

(٧) هنالك كتاب لابن ظفر اسمه «أرجوزة في الفرائض والولاء» (والأغلب أنّه الأرجوزة نفسها).

(٨) المقصود: كتاب إحياء علوم الدين للغزّالي (ت ٥٠٥ هـ).

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابنُ ظَفَرِ الصِقِلّيُّ (في مقدّمة « سُلوان المُطاع »):

الحمدُ للهِ جاعلِ الصبرِ للنجاحِ ضَميناً والمحبوبِ في المكروه كميناً(١)، الذي ضرب دونَ أسرارِ الأقدار حِجاباً مستوراً، وقضى أن الخيرَ على الفَطِنِ لا يزالُ حِجْراً محجوراً(٢)...... (ثمّ يلتفت إلى القائدِ الذي صنع نسخة من الكتاب برسمه فيخاطبه قائلًا):

بارك اللهُ له فيما أَلْهَمَهُ كَسْبَهُ، وكان وَلِيَّهُ وحَسْبَه(٣). فلقد أنزلَ الدنيا بدَرَكِ مَنْزِلتها وكُوشِفَ بِشَرَكِ مَزَلَّتِها(٤) فعَمِلَ للبقاء لا للفناء وجمع للجُود لا للاقْتِناء، وجادَ للهِ لا للثناء، وآخى للتعاوُنِ على البِرّ والتقوى لا للتَهافُتِ في هُوى الهَوى(٥). وزانَ الرئاسةَ بنَفْسٍ لا تَضيقُ بنازلةٍ ذَرْعاً ولا تُصْغي إلى الوشاةِ سمعاً(٦)، ولا تُدَنِّسُ بطَبَعٍ طَبْعاً(٧)، وبحِلْمٍ لا يرفعُ الغضبُ لَدَيْهِ رأساً وحَزْمٍ لا تخافُ الإيالة مَعَه بأساً(٨). فالحمدُ لله الذي أباحَني من إخائه حِمًى مَنيعاً وحَرَماً أميناً ومرتَعاً مَريعاً ومَوْرِداً مَعيناً(٩):

---

(١) ضمين: ضامن. والمحبوب في المكروه كمين (قد يكون ظاهر الأمر مكروهاً أو ضارًّا ويكون باطنه محبوباً أو نافعاً).

(٢) الذي ضرب دون.... (إنّ الله أخفى الغيب عن الناس). وقضى أن الخير... الخ (الذكيّ لا يعظم رزقه).

(٣) ما ألهمه كسبه: ما قدّر (الله) له أن يكسبه. الوليّ: الصاحب (المعتني بغيره). حسبه: كافيه، ما كان وحده كافياً.

(٤) أنزل الدنيا بدرك (أدنى المكان): عرف المنزلة الحقيقية للدنيا. كوشف (كشف الله له) بشرك (عن شرك: فخّ) مزلّتها (المزلّة: ما تنزلق الرجل عليه. والهاء ضمير راجع إلى الدنيا).

(٥) التهافت: التفرّق، السقوط. الهوى (بالضمّ) جمع هُوّة: المكان العميق.

(٦) الذرع: القياس بالذراع، سعة الصدر، الاحتمال. تصغي: تميل (بالضمّ).

(٧) الطبع (بفتح ففتح): الفساد.

(٨) الإيالة: المنطقة، المقاطعة، البلد المجموع تحت حكم حاكم.

(٩) المرتع: المكان الذي يكثر فيه العشب فترعاه الماشية. مريع: خصيب. مورد: مكان الشرب. معين (بفتح الميم): قريب من سطح الأرض (لا يحتاج أحد إلى أن يستعين على جلب الماء منه بحبل).

فنحنُ بقُرْبِهِ فيما اشْتَهَيْنا وأحْبَبْنـا وما اخْتَرْنا وشِينا[1].
يقينـاً مـا نخـافُ، وإنْ ظَنَنّا بـه خـيراً رأيْنـاه يَقينـا.
نَميـلُ عـلى جوانِبِـهِ كأنّـا إذا مِلْنـا نَميـلُ عـلى أبينـا!

وأُقْسِمُ لولا أنّ الشُكْرَ عقدٌ شرعيٌ وحقّ مَرْعيّ لأقْرَرْتُ عَيْنَه بِطَيِّ ما نَشَرْتُ والتَوْرِيَةِ عمّا إليه أشَرْتُ، إذ كان- وقاني اللهُ بُعْدَهُ ولا أبقاني بَعْدَه- يرى أن الشُكرَ في وُجوهِ آلائهِ نُدوبٌ[2] والمدحَ من خَواصّ أوْليائِه ذنوبٌ.

- وله مُقَطّعاتٌ حِكْمِيّة كثيرةٌ منها:

أيّهـا المُسْتَجيشُ من ألْسُنِ الوُ عاظِ، قد أسْهبوا وما أيْقَظوكا[3].
هاكَ بَيْتاً يُغنيكَ عن كلِّ سَجْعٍ وقريـضٍ كانوا بـه وَعَظوكـا:
لا تَشاغَلْ بالناسِ عن مَلِكِ النـ ـاسِ، فلولا نُعماه مـا لَحَظوكا[4]!

★ حَمَلْتُـكَ في قلبي، فهل أنتَ عالمٌ بأنّـكَ مَحمولٌ وأنـتَ مُقـيمُ؟
أَلا إنّ شَخْصاً في فؤادي مَحِلُّهُ وأشتاقُـه شخـصٌ عـليٌّ كريمُ!

★ مَرْحَبـاً بالكَفافِ عَيْشاً هَنيئاً، ثمّ لا مرحبـاً بحِرْصٍ وكـدٍّ[5].
مـا عَلِمنـا- وقـد رأينـا كثـيراً وسَمِعنـا- مَنْ حازَ جَدًّا بجِدٍّ[6].
لا يزالُ الحريـصُ يَسْتامُه الحِرْ صُ بنُصْبٍ من الشقا وبِكَدّ[7]،

---

(١) شينا: شئنا: أردنا.
(٢) آلاء جمع أَلْى (بفتح الهمزة أو كسرها): النعمة. ندوب جمع ندب (بفتح ففتح): أثر الجرح بعد شفائه (عيب).
(٣) المستجيش من ألسن الوعّاظ: الحريص على أن يسمع كثيراً من الواعظين. الإسهاب: الكلام الكثير الذي يعبّر عن معان قليلة.
(٤) ملك الناس هو الله (راجع السورة ١١٤): قل: أعوذ بربّ الناس ملك الناس إله الناس...
(٥) الحرص: الرغبة الشديدة في جمع الأشياء والاحتفاظ بها. الكدّ: بذل الجهد والتعب.
(٦) الجدّ (بالفتح): الحظّ. الجدّ (بالكسر) بذل الجهد (بالضمّ).
(٧) يستامه الحرص: يطلب شراءه (الحريص يبيع حياته بجمع الأشياء المادية من غير أن ينتفع بها). النصب (بالضمّ): الشرّ والبلاء. وبكدّ (كذا في الأصل المطبوع. وفي بعض المخطوطات بجهد: بضمّ الجيم أي بتعب). الحرص يملّك الإنسان أشياء ماديّة ثمّ يسلبه راحته وسعادته.

ثمّ لا يستطيـــعُ أن يَتَعــدّى   قَـدَراً مـا لِحُكْمِـه من مَردٌ[1]!

- وله أقوال حِكْمِيّةٌ منثورةٌ:

مُعارَضَةُ العَليلِ طبيبَه تُوجبُ تَعْذيبَه - المالُ كالماء، فَمَنِ اسْتَكْثَرَ منه ولم يجعَلْ له مَسْرَباً، يَنْسَرِبُ به ما زادَ على قدرِ الحاجة، غَرِقَ به[2] - المُؤاساةُ في المالِ والجاه عُوذَةُ بقائِها - المَوْثوقُ مَوْموقٌ، والأمينُ بالمودّة قَمينٌ[3] - كُنْ من عَيْنِكَ على حَذَرٍ: فرُبَّ جُنوحِ حَيْنٍ جَناه جُموحُ عينٍ[4] - السآمةُ من أخلاقِ العامّة - من لَزِمَ الرقادَ حُرم المُرادَ - الغريبُ ميّتُ الأحياء - العاقل يُقَدِّمُ التجريبَ على التقريب، والاختبارَ على الاختيار، والثِقَةَ على المِقَةِ - الرأيُ سيفُ العقل - رُبَّ حيلةٍ أنفعُ من قبيلةٍ.

٤ - سلوان المطاع في عدوان الاتّباع (أماري)، فلورنسا ١٨٥١ م، ١٨٨٢ م (؟)؛ مصر (طبع حجر) ١٢٧٨ هـ؛ (بتصحيح عليّ بن عليّ العزّي الخلّاتي)، تونس ١٢٧٩ هـ؛ استانبول ١٢٨٥ هـ؛ بيروت ١٣٠٠ هـ.

- خير البشر في خير البشر، مصر (طبع حجر) ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م).
- أنباء نجباء الأبناء (نشره مصطفى بن محمّد القبّاني)، القاهرة (مطبعة التقدّم) بلا تاريخ.

** الخريدة (الشام) ٣: ٤٩ - ٦٠؛ معجم الأدباء ١٩: ٤٨ - ٤٩؛ الوافي بالوفيات ١: ١٤١ - ١٤٢؛ إنباه الرواة ٣: ٧٤ - ٧٦؛ وفيات الأعيان ٤: ٣٩٥ - ٣٩٧؛ وفيات ابن قنفذ ٢٨٥؛ بغية الوعاة ٥٩ - ٦٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٠؛ بروكلمن ١: ٤٣١ - ٤٣٢، الملحق ٥٩٥ - ٥٩٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٠٧ (٦: ٢٣٠ - ٢٣١)؛ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٥: ١٤٩؛ سركيس ١: ١٤٩؛ المكتبة العربية الصقلية ٦٨١ - ٦٩٦.

---

(١) لا يستطيع الإنسان، مهما يكن حريصاً، أن يتخطى ما قدّره الله عليه.

(٢) إذا لم يكن للماء في مكانه منفذ يخرج منه ما يزيد على ما يستوعبه ذلك المكان فاض الماء من المكان وأغرق صاحبه.

(٣) موموق: محبوب. قمين: أهل، مستحقّ.

(٤) جنوح: ميل (بالفتح)، مجيء، هجوم. حين (بالفتح): موت. جموح عين: تطلّع الإنسان إلى ما لا يجوز له التطلّع إليه.

ابن المنخّل الشِلبيّ

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ الله بنِ المُنَخّل المَهْريّ[١] الشِلْبي، نِسْبَةً إلى شِلْبٍ (جَنوبيّ غربيّ الأندلس)، انتقل إلى إفريقية واتّصل بالمُوحّدين منذ قيام دولتهم. وكانت وفاتُه في عَشْرِ الستين وخَمْسِمِائَةٍ للهجرة[٢]، وقد أسَنَّ كثيراً.

٢ - كان ابنُ المنخّل الشِلبي أديباً ومن الشُعراء المُجوِّدين وذوي النَفَسِ العالي على عَمود الشعر القديم، بارعاً في الوصف والحماسةِ، كما كان مُشاركاً في علم الكلام[٣].

٣ - مختارات من شعره:

- في شهرِ ذي القَعْدة، من سَنَةِ ٥٥٥ (تشرينَ الثاني - نوفمبر ١١٦٠ م) أجازَ عبدُ المؤمن بنُ عليٍّ أوّلُ سلاطينِ الموحّدين البَحْرَ من سَبْتَةَ إلى جبلِ طارقٍ، بعد أنْ جَمَعَ كلَّ بلادِ إفريقية في حُكْمه وانتقل إلى الأندلسِ لِيُدافع عن المُدُنِ الإسلاميةِ التي كان الإسبانُ يُهدِّدونها بالاستيلاء عليها. فقام بينَ يَدَيْهِ الخطباءُ والشعراء (في معسكر جبل طارق) يمدَحونه. فقال أبو بكرِ بنُ المُنَخّل قصيدةً فَخْمَةً يُعارِضُ بها القصيدةَ التي كان المتنبّي قد مَدَحَ بها سيفَ الدولة، سَنَةَ ٣٤١ هـ ومَطْلَعُها:

فَدَيْناكَ من رَبْعٍ، وإن زِدتَّنا كَرْبَا، فإنّكَ كنتَ الشرقَ للشمسِ والغَرْبا[٤]

والحقُّ أنّ قصيدةَ ابن المنخّل الشِلْبيّ كانتْ بارعةً. فمِمّا جاء فيها:

---

(١) الوافي بالوفيات ٢: ١٧ في تعليق لعبد الهادي التازي (المنّ بالإمامة، ١٥١، الحاشية الأولى) «الفهري».

(٢) في عشر الستين وخمسمائة: ٥٦١ - ٥٦٩ (والذين يجهلون التعبير العربي يقولون: الستينات، (نقلاً للتعبير الانكليزيّ). وذلك بالتاريخ الميلادي ١١٦٥ - ١١٧٣ م. ويبدو أن مولده كان نحو ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م).

(٣) علم الكلام: الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلّة العقلية وتفسيرها بالعقل.

(٤) الربع: المسكن (الذي كان فيه المحبوب). الكرب: الحزن والغم. زدتّنا كرباً لأنّك تذكّرنا بالمحبوب الذي ارتحل عنك، بينما كنت له كالشرق والغرب: (يخرج منك صباحاً ثم يعود إليك مساء: (كان ساكناً فيك).

فَتَحْتُمْ بِلادَ الشَّرْق، فاعتمدوا الغَرْبا؛ فإنّ نَسيمَ النَّصْرِ بالفَتْح قد هبّا[١].
أصَرْتُمْ إليه الخيلَ وهي أجادِلٌ فسالتْ بِكُمْ بحراً وطارتْ بكم رَكْبا[٢].
ودُسْتُمْ بها هاماتِ كلِّ مُضَلِّلٍ ولم تتركوا عُجْماً هناك ولا عُرْبا[٣].
رَمَيْتُم بها مِثْلَ السِهام فأصبحتْ كُماتُهُمُ صَرْعى وأموالهم نُهْبى[٤].
[أتَوكُمْ يَجرّونَ الحديدَ] سَوابِغاً كأنَّهُمُ البحرُ الغالط إذْ عَبّا[٥].
وظنّوا – وفي الظنّ الجَهالةُ – أنّهم يَفُلّونَ من أجنادِكَ الصارمَ العَضْبا[٦].
فلمّا تلاقَيْتُمْ وَبَيَّنَتِ الوغى تَوَلَّوْا وقد طارتْ قلوبُهُمُ رُعْبا[٧].
أظَلَّتْهُمُ البيضُ الصوارمُ والقَنا[٨] فكانتْ لهم رَفْعاً وكانوا لها نُصْبا[٩].
وقادَتْهُمُ تلك السيوفُ إلى الرَّدى وما غادرت سَهْلَ القيادِ ولا صعبا.
وراموا فِراراً والرماحُ تَنوشُهم، فما قَطَعوا فَجّاً ولا سَلَكوا شِعبا[١٠].

---

(١) بلاد الشرق (هنا: بلاد افريقية). اعتمد: قصد. الغرب (بلاد الأندلس).

(٢) أصار: (بعث، أرسل، نقل). الأجدل: الصقر (تشبّه به الخيل لشدّة جسمه وسرعة طيرانه). فسالت بكم بحراً (كالبحر) لكثرتها. تطير بكم ركباً: تسرع بكم جداً وأنتم على ظهورها.

(٣) الهامة: الرأس. المضلّل: الداعي إلى ضلالة (الثائر). العجم (عجم الأندلس: الذين لم يعتنقوا الإسلام ولا تعلّموا العربية) العرب (البدو) القبائل العربية التي سرّحها الفاطميّون من مصر لإزعاج البربر في افريقية (وهم بنو هلال وبنو سليم – بضمّ السين).

(٤) بها = بالخيل. مثل السهام (سريعة ومصيبة!). الكميّ: البطل، الشجاع. الصريع: القتيل. النهبى: الشيء المنهوب.

(٥) «أتوكم...» من قول المتنبي:

أتوك يجرّون الحديد كأنّما سروا بجياد ما لهنّ قوائم!

سروا (بفتح الراء). السابغة: الدرع. الغالط .... عبّ: عظم عبابه (بضمّ العين: الموج) هاج وعظم موجه.

(٦) فلّ: قطع (هزم). الصارم: السيف. العضب: القاطع.

(٧) بيّنت الوغى (الحرب) برهنت على قوتك. تولّى: فرّ، هرب.

(٨) البيض الصوارم: السيوف القاطعة. القناة: الرمح. أظلّتهم: ارتفعت فوق رؤوسهم بكثرة. في الأصل: أضلّتهم (بالضاد المنقوطة – وهو هفوة من أهل المناطق التي يلفظ أهلها الضاد ظاء).

(٩) كانت لهم رفعاً (ترفع عليها رؤوسهم!). النصب (بالضمّ): المنصوب (الهدف المرفوع الذي يصاب بسهولة).

(١٠) ناشه بالرمح: أصابه. الرماح تنوشهم: تتناولهم من كلّ جانب. الفجّ: الطريق الواسع. الشعب: (بالكسر) الطريق (الفرعي، الضيّق). لم يستطيعوا أن يهربوا.

وخرّوا جميعـاً هامـدينَ كأنّهم ... نَدامى تساقَوْا بينَهم أكْؤُسَ الصَهْبا
لقد حَكّمتْ فيهم ظُبا الهندِ رأيَها ... تُقَتّلُهم ضرباً وتؤسرهم سِرْبا[1].
وكانوا لَكُمْ جُنداً فصاروا غَنيمةً، ... كذلك من يُزهى بآرائه عُجْبا[2].
قَرَوْكُم عِتاقـاً شُزَّبـاً وعَواتِقـاً ... بما قد قَراهُمْ جَيْشُكَ الطَعْنَ والضربا[3]
أقيموا ،إلى ابنِ الريق بَعدُ ،صُدورَها ؛ ... وليس عليكم أن تُرى ضُمَّراً قُبّـا[4].
رَعَتْها الفيافي فاسْتَدَقَّتْ جُسومُها ... بما قد رَعَتْ فيها الكَلا يابساً رَطْبا[5].
عليهـا رجـالٌ كالقِـداحِ، وإنّما ... يكونون في الهَيْجاء هِنْديَّةً قُضْبا[6] .
فإن تبدأوا بالغَرْبِ فالفَتْحُ واضـحٌ ؛ ... وإنّ نجومَ الدين طالعةٌ غَرْبا[7].
تَعاف نَميرَ الماء صَفْواً، فإنْ جرى ... بهِ مِنْ دَمِ الأعداء أفْنَيْنَهُ شُرْبـا[8] !
يَلوذون في الهيجا بأرْوَعَ ماجدٍ ... إذا دارتِ الهَيْجاءُ كان لها قُطْبا[9] .
وإنْ عَصَفَتْ ريحُ الوغى أحْدقوا به، ... فكانوا لـه جِسماً وكان لهم قَلْبا[10].

---

(١) الظبا جمع ظبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف. ضرباً (بالسيوف). تؤسرهم (كذا في الأصل)= تأسرهم. سرباً (جماعات، بالجملة).

(٢) في هذا البيت يتكلّم على بدو إفريقية من العرب الذين ثاروا على الموحّدين. يزهى: يظهر الإعجاب برأيه.

(٣) قروكم: قدّموا لكم (في الضيافة) عتاقهم (خيلهم الأصيلة) وعواتقهم (العاتق: المنكب، ما بين العنق والكتف) أي أنفسهم (أبيدوا هم وخيلهم).

(٤) ابن الريق (ويقال: ابن الرنك) هو ألفونسو أنريكويز صاحب البرتغال. بعد (بعد ذلك). أقيموا صدورها (صدور الخيل): سيروا إلى حربه.- لا تهتمّوا إذا كنتم ترون خيولكم ضمّراً (ضامرة، نحيلة) قبّاً (جمع قبّاء: ضامرة البطن)، فإنّ ذلك ليس من مرض أو عيب، بل من صفاتها الحميدة.

(٥) مناخ البادية (الفيافي) ورعيها الكلأ (العشب) في البادية، وكثرة سيرها في الفيافي (الصحارى) جعل أجسامها دقيقة (نحيلة).

(٦) القدح (بالكسر): السهم. القضيب: السيف. هندية (من صنع الهند: جيّدة).

(٧) طالعة: مشرقة (تتّجه من الشرق إلى الغرب).

(٨) خيولكم تعاف (تكره) غير الماء (الماء الصافي). أفنينه شربا (شربنه كلّه). في الأصل: أفنيته (بتاء الخاطب) والصواب (كما أثبتّه) بنون النسوة.

(٩) - في هذا البيت يتكلّم الشاعر على جنود الموحّدين. يلوذون: يلجأون، يحتمون (يتبعون). الأروع: الشجاع. القطب: المحور الذي تدور حوله الأشياء (قطب الحرب: الذي يحمل العبء الأكبر من القتال).

(١٠) أحدق: أحاط.

مليكٌ كأنّ الأرضَ قبضةُ كَفِّهِ، فلا بُعْدَ - فيما يَنْتَحيهِ - ولا قُربا[1] .
لِكَفَّيْهِ فضلٌ بانَ عن كلِّ فاضلٍ، إذا شَدَّ عَقْدَ السِلمِ أو بَعَثَ الحَرْبا[2] .
إذا أجْدَبتْ أرضٌ نَحاها بجُودِهِ، فما أغزرَ السُقيا وما أكثرَ الخِصبا!
وقد كان هذا الدينُ وَلّى شَبابُه، فلمّا تولّى الدينَ لم يَعْدُ أن شَبّا[3] .
إذا ما ذَكَرْناه، وقد ضاقَ أمرُنا، تفرّجَ حتّى صارَ مُتّسِعاً رَحْبا.
نَسينا به أبْناءنا ودِيارَنا، فها نحن لا نرتاحُ إنْ ذَكَروا شِلْبا[4].
بلادٌ قضى فيها الشبابُ مآربي وأبقى لِنفسي ما بَقِيتُ بها إرْبا[5].
فقُلْ لابنِ رَيْمُونْدٍ: تأهّبْ لغَزوةٍ يَسُدُّ عليكم جيشُها الأفيحَ السَهْبا[6] .
إذا جُرّدتْ فيه السيوفُ حَسِبْتَها جَداولَ رَوْضٍ والرماحَ بها قُضْبا[7]!
وإنْ عَثَرَتْ أعلامُه لِمُحاربٍ جرى دَمُهُ من تحتِها وابلًا سَكْبا[8].
ويَسْتَنْشِدُ البطريقُ في عَرَصاتِكم: [فَدَيْناكَ من رَبْعٍ وإنْ زِدتَّنا كَرْبا][9]

---

(١) انتحى: قصد.

(٢) بان: اختلف (هو مختلف - أفضل - من كلّ أحد، في وقت السلم وفي وقت الحرب).

(٣) ولّى: ذهب (ولّى شبابه: ضعفت سلطته السياسية). فلمّا تولّى (عبد المؤمن بن عليّ الخلافة - الحكم السياسي في الإسلام) - لم يعد أن شبّا (عاد إلى الإسلام شبابه). في الأصل: فلمّا تولّى الدين (مرفوعة بضمّة). عدا يعدو: تخطّى، تجاوز

(٤) شلب بلدة الشاعر (في الطرف الجنوبي الغربي من الأندلس). به: بالعيش معه (مع عبد المؤمن بن عليّ).

(٥) الإرب: الحاجة. - مع أنّي تمتّعت بلهوي كلّه فيها، ولا أزال - كلّما كنت فيها - أتمتّع ببقية من ذلك اللهو!

(٦) ريموند الرابع (١١١٥ - ١١٦٢ م) ابن ريموند الثالث (١٠٩٦ م) وخليفته: قومس برشلونة (١١٣١ - ١١٦٢ م) وأمير أرغونة (١١٣٧ - ١١٦٢ م)، وكان قد ساعد ملك قشتالة في الاستيلاء على طرطوشة ولاردة (١١٤٨ - ١١٤٩ م). والقصيدة مقولة في ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م). الأفيح (الواسع) السهب (المتّسع البعيد المكان). سيكون جيشنا كبيراً بحيث يملأ الأرض بيننا وبينكم. في الأصل: الأفتح (بتاء بنقطتين من فوقها)، ومرفوعة على أنّها نعت لجيش. والصواب ما أثبتّه.

(٧) القضب (جمع قضيب) أغصان الأشجار. - ستظنّون أن سيوف جيشنا ورماحه أنهاراً وأغصاناً (لكثرتها).

(٨) عثرت أعلامه (أعلام عبد المؤمن بن علي). لمحارب (؟)، اقرأ: بمحارب (إذا لقيت مقاتلاً عدوًّا، ولو اتّفاقاً) جرى دم هذا العدّو تحت تلك السيوف والرماح وابلاً (كالمطر) سكباً (منهمراً بكثرة).

(٩) سيطلب ريموند، وهو أسير لديكم (العرصة بفتح فسكون: باحة مكشوفة) أن ينشده أحد قصيدة المتنبّي =

أمرسِلَها شُعْثَ النواصي سَواهِماً ومُصْدِرَها شُقراً، وقد وَرَدَتْ شُهْبا(١)
تَرَفَّقْ عليها إنّها خيرُ مكسبٍ. وأفضلُ مالِ المرءِ أفضلُهُ كَسْبا(٢).
فلو لم تُجِزْها السُّفْنُ نحوَ عَدُوِّها، لَجازَتْ إليه البحرَ تَقْطَعُه وَثْبا.
فما أعطَتِ العُرْبُ القِيادَ طَواعةً ولا أسْمَحَتْ وُدّاً ولا أذْعَنَتْ حُبّا(٣)،
ولكنْ رأتْ شُهْبَ الهُدى مُستنيرةً فخافتْ نجوماً من أسِنَّتِهِ شُهْبا(٤).
رأوْا بكَ دينَ اللهِ كيفَ اعتزازُه، وأنتم لـه حِزبٌ فكانوا له حِزبا(٥)!

٤ - ** المغرب ١: ٣٨٧؛ الوافي بالوفيات ٢: ٧ - ٨؛ المنّ بالإمامة ١٥٠ - ١٥١، ٢٤٣ - ٢٤٥، راجع ٤٥٧ ح، ٤٦١؛ بغية الوعاة ٨٦؛ نفح الطيب ٤: ١١٧، راجع ٣: ٥٢٠ - ٥٢١، ٤: ٧٣؛ زاد المسافر ٨٧ (١٢٩ - ١٣٠).

ابن الصقر الخزرجيّ

١ - هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الصَّقْرِ الأنصاريُّ الخزرجيُّ، أصلُ أهلِهِ من سَرَقُسطةَ: خَرَجَ منها جَدُّه لأبيهِ لحدوثِ بعضِ الفِتَنِ فيها وجاء إلى بَلَنْسِيَةَ. وفي بلنسية وُلِدَ عبدُ الرحمن (والدُ صاحبِ هذهِ التَّرْجمة). ثمّ انْتَقَلَتِ الأسرةُ إلى ٱلْمَرِيّةِ، وفي ٱلْمَرِيّةِ وُلِدَ أحمدُ في آخِرِ شَهْرِ ربيعٍ

= في سيف الدولة «فديناك...» حتّى يعلم ماذا فعل الدمستق (بضمّ فضمّ فسكون فضمّ) البطريق (قائد جيش الروم) حينما سار سيف الدولة لحربه (كان يجب على ريموند هذا أن يهرب من حرب عبد المؤمن ابن عليّ كما هرب الدمستق من حرب سيف الدولة).

(١) أمرسلَها: يا مرسل الخيل، شعث (مغبّرة) النواصي (شعر مقدّم الرأس) لكثرة أسفارها: حروبها، ومُصدِرَها (راجعاً بها من الحرب) شقراً (حمراً، من دم الأعداء) وقد وردت (ذهبت إلى مكان المعركة) شُهباً (بيضاء، لا دم عليها).

(٢) خير مكسب: أفضل ما يجمع الإنسان من ثروة.

(٣) العرب (البدو): طواعة (يقصد: طواعية): طاعة، عن رضا. أذعن: انقاد، أقر للآخرين بحقّ لهم.

(٤) شهب (نجوم) الهدى (الإسلام): حقائق الإسلام وبراهينه. نجوم من أسنّته شهباً (بيضاً): رؤوس رماحه المسنونة.

(٥) في الأصل: حرب (مرّتين) مكان «حزب».

الأوّلِ من سَنَةِ ٤٩٢ (٢٤/٢/١٠٩٩م).

وفي نحو سَنَةِ ٤٩٩ للهجرة (١١٠٥ - ١١٠٦م) انْتقلتْ أُسرةُ بني الصقر إلى سَبْتَةَ (في العُدوة المَغْربية) فَسكَنَتْها مُدَّةً، ثمّ إلى فاسَ وبَقِيَتْ فيها مُدَّةً أقصرَ، ثمّ إلى مدينة مَرّاكُشَ. ورحَلَ أبو العبّاس أحمدَ إلى الاندلس رحْلة قصيرةً ثمّ عاد إلى مدينة مَرّاكُشَ واسْتَوْطَنَها.

ولأبي العبّاس أحمدَ بنِ الصّقْر عددٌ كبيرٌ من الشُّيوخ ملأوا ثلاثَ صَفَحاتٍ كاملةً من كتابِ الذّيل والتّكْملة (١: ٢٢٤ - ٢٢٦).

تولّى أبو العبّاسِ بنُ الصقر القضاء والإمامة في مرّاكش منذُ أيام المُرابطين، ثمّ في بَلَنْسِيةَ. ثمّ تولّى القضاء في غَرْناطة. ولكن تَوَلّيَهُ القضاءَ كان مُدّةً يسيرة - وقد خَبَرَ الناسُ منه في القضاء سيرةً حميدةً ونَزاهةً - لأنّ اتّجاهَه في الحياة نحوَ الزُّهْدِ صَرَفَه عن مناصبِ الدولة (راجع الذيل والتكملة ١: ٢٢٧).

وكانتْ وفاتُه في مَرّاكُش في ثامنِ جُمادى الأولى من سَنَة ٥٦٩ (١٥/١٢/١١٧٣م). ورثاهُ جارُه وصديقُه ابْنُ طُفيلٍ (ت ٥٨١ هـ) فقال (الذيل والتكملة ١: ٢٣١ - ٢٣٢):

لأمرٍ مـا تَغيّرتِ الدُّهورُ، وأظْلَمتِ الكواكبُ والبُدور[1]....
أبا العبّاسِ، جادَتْك الغوادي، ولاقَتْك الكرامةُ والحُبور[2].
لقد فَقَدَ الأيامى واليتامى مكانَك والمَحافل والصُّدور[3].
وعُطِّلتِ المدارسُ مِنْ مُفيضٍ علومَ الوَحْي ليسَ له نَظير....

٢ - كان أبو العبّاس بنُ الصّقر مُقْرِئاً مُجَوِّداً ومُحَدِّثاً مُكْثِراً ثِقَةً وفقيهاً متقدّماً في علم الكلام وزاهداً، كما كان شاعراً مُحْسِناً سَهْلَ التراكيبِ واضحَ المعاني. يُضاف

---

(١) لأمر (عظيم): موت ابن الصقر الخزرجي.

(٢) الغادية: السحابة (الممطرة) المقبلة في الصباح. ولاقتك الكرامة والحبور (السرور) في الجنة.

(٣) الأيّم والأيّمة: التي مات عنها زوجها. المحفل: مكان اجتماع الناس. الصدور صدور المجالس: لأنّ ابن الصقر كان، لمكانته ولعلمه، دائماً في صدر كل مجلس.

إلى ذلك كُلّهِ نَفسٌ أبيّةٌ وسيرةٌ محمودةٌ في الناس وخدمةٌ آجتاعيةٌ. ثمّ هو مُصَنِّفٌ، ولكنّ كُتُبَهَ في مَكْتَبَته وكتُبَه مِن تَصْنيفه قد فُقِدَتْ، سَنَةَ ٥٤١ للهجرة (١١٤٦ م)، لَمّا دخل الموحّدون مَرّاكُشَ وآنتزعوها من يد المُرابطين. له كتاب «أنوار الأفكار فيمن دَخَل جزيرةَ الأندلُس من الزهّاد والأبرار»، آبتدأه ثمّ لم يُتمّه فكمّلَه آبنُه عبدُ الله.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن الصَّقْرِ الخَزْرجيُّ (الوافي بالوفيات ٧ : ٤٨ ؛ نفح الطيب ٣ : ٣٣٣) في الحفاظ على الإخوان مهما تكن حالهم:

لله إخوانٌ تنـــــاءتْ دارُهُمْ، حَفظوا الودادَ على النّوى أو خانوا[1].
يُهدي لنا طِيبَ الثناء ودادُهم كالنَّدِّ يُهْدي الطيبَ وهْوَ دُخـانُ[2].

- وقال في مصانعة الأعداء (الوافي بالوفيات ٧ : ٤٨ ؛ الإحاطة ١ : ١٩٢ ؛ الذيل والتكملة ١ : ٢٣٠ ؛ نفح الطيب ٤ : ٣١٩):

أَرْضِ العدوَّ بظاهرٍ متصنِّعٍ، إنْ كُنْتَ مُضطَرًّا إلى آسترضائِهِ[3].
كَمْ من فتًى ألقى بوَجْهٍ باسمٍ، وجوانِحي تَنْقَـدُّ مِنْ بَغْضائـه[4].

- وقال في الزهد (الإحاطة ١ : ١٩١ ؛ الديباج ٥٠):

إلَهي، لـك المُلْكُ العظيمُ حقيقةً؛ ومـا للوَرى - مهما نَمَتْ - نقيرُ[5].
تجافـى بنو الدنيا مكاني فسرّني. ومـا قَـدْرُ مخلوقٍ جَداه حقيرُ[6].
وقالوا: فقـيرٌ - وهو عِنْدي جَلالةٌ. نعم، صَدَقوا. إنّي إلَيْـه فقيرُ[7].

---

(١) تناءى: ابتعد. النوى: البعاد.
(٢) إنّ الثناء القليل من خصمك (أو عدوك) يدلّ على عظم هيبتك في نفسه.
(٣) أرض: فعل أمر من أرضى.
(٤) كم من فتى ألقى (ألقاه أنا). تنقدّ: تتقطّع (بغضا له).
(٥) الورى: الناس. مهما نمتّ (مهما أصفهم بالغنى) نقير: شيء قليل. ليس ما يملكه الناس، إذا قيس بملك الله، شيئاً.
(٦) تجافى (فعل لازم) تباعد. يقصد الشاعر: تجافى بنو الدنيا عن مكاني (عنّي). الجدا: الكرم.
(٧) اليه: إلى الله.

- في الذيل والتكملة (١ : ٢٣٠ - ٢٣١): «وقوله في وَداعِ القبر المُكرَّم، قبرِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم»، مع أنّنا لا نَعْرِفُ له رِحلةً إلى المَشْرق:

حَسْبُ المُحِبِّ من الحبيبِ سَلامُ ... يُقْضى بـه يومَ الوَداعِ ذِمـامُ[1].
رُحْنا ورَوْعُ البَيْنِ يُخْرِسُ أَلْسُناً، ... ومِنَ الدموعِ إشارةٌ وكـلام[2].
يا أرضَ يَثْربَ، لا عَداكَ غَمامٌ. ... أنتِ المُنى لو تُسْعِفُ الأيّامُ[3].
للقلبِ في تلك العِراصِ غَرامةٌ ... مَضمونُـه كَلَـفٌ بها وغَرامُ[4].
قَـبـرٌ تضمَّنَ أعظُماً تَعْظِيمُهـا ... عنـهُ يَصِـحُّ الـدينُ والإسلام
وَرَدَتْ بهـا نَفْسُ المَشوقِ مناهِـلاً ... كـلُّ المناهـلِ بعدَهُنّ حَرام.

٤ - ** تحفة القادم ٤٩؛ الذيل والتكملة ١ : ٢٢٣ - ٢٣٢؛ الإحاطة ١ : ١٨٩ - ١٩٣؛ نفح الطيب ٣ : ٣٣٣، ٣١٩.

ابن ميمون القرطبي

١ - هو، في الأغلب، أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ مَيْمونِ بنِ إدريسَ بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الله العَبْدَريُّ القُرطبيُّ المعروفُ بلقب مركوش (أو مُرْقُس، لأنّه من أصلٍ غيرِ عربي)، وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٤٩٨ هـ (١١٠٣ - ١١٠٤ م) في قُرطبةَ.

روى ابنُ ميمونٍ القُرطبيُّ عن أبي بكر بنِ العربي وشُريح وأبي الحسن الباذِشِ ولازمَ أبا الوليدِ بْنَ رُشْدٍ عَشْرَ سَنَواتٍ. ثمّ إنّه خَرَجَ إلى المَغْرب واستوطنَ مدينة

---

(١) الذمام: العهد، الحق، الحرمة (بالضم: ما يجب المحافظة عليه).
(٢) رحنا (رجعنا مساء)، غادرنا المكان. روع (الخوف من) البين (الفراق، البعاد).
(٣) يثرب: المدينة المنورة. لا عداك (لا تخطاك). غمام (أدعو الله أن تمطر كل سحابة تبك - أن تكون الرحمة دائمة فيك). تسعف: (تساعد) الأيام (على اللقاء).

مَرّاكُش وتصدَّرَ فيها لإقراءِ النَحْوِ خاصّةً. وكان يحضُرُ مَجْلِسَ السلطان عبدِ المُؤمن ابن عليٍّ (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ) مَعَ العُلماء، فاتّفق يوماً أنْ أنْشَدَ أبياتاً فيها زَنْدَقةٌ (راجع المختاراتِ) فهَجَرَهُ عبدُ المؤمن ومَنَعَهُ من الحضور في مَجْلسه وصَرَفَ بَنيه عن القراءة عليه واقتدى كثيرون بعبدِ المؤمن.

وكانتْ وفَاةُ ابن ميمونِ القُرطبيِّ في ثامن عَشَرَ جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٥٦٧ (١٧/ ١/ ١١٧٢ م).

٢ - كان ابنُ ميمونِ القُرطبيُّ حَسَنَ العُشْرَةِ فَكِهَ الحديثِ وفيه شيءٌ من الدُعابة. وكان عالماً بالقِراءاتِ والتفسيرِ والفِقْه واللُغة والأدب مُبَرِّزاً في النَحْو، كما كان كاتباً وشاعراً. ثمّ هو مُصنِّفٌ، ألّف عدداً من الكتب، منها: شرحُ (أبيات) الإيضاح - شرح مقامات الحريريّ - مَشاحِذُ الأفكار في ما أُخِذَ على النُظّار (علماء الكلام وأصحابِ النظر العقلي).

٣ - مختارات من آثاره:

- من رِسالة لابنِ ميمونِ القُرطبيِّ إلى محبوبٍ له:

.... فباللهِ إلّا ما لَقِيتَ الرسولَ بوجهٍ يَدُلُّ على القَبول، وتَفَضّلْتَ بأنْ تَصِلَ قبلَ رُجوعِهِ إلَيْنا وتُخالفَهُ من طريقٍ مُخْتَصَرٍ حتّى تَطْلُعَ قبلَه علينا[1]. هنالك كُنّا نَخِرُّ للفضائلِ سُجَّداً، ولا نَزال نُوالي شُكْرَكَ وذِكْرَكَ أبداً[2].

- أنشد ابنُ ميمونِ القُرطبيُّ مرّةً في مجلسِ عبدِ المؤمن بن عليٍّ أبياتاً كان قد نَظَمَها في أبي القاسمِ عبدِ المُنْعِمِ بنِ محمّدِ بنِ تيسيتَ:

---

(١) تخالفه: تأتي من طريق غير الطريق التي سيأتي منها (وأقصر). تطلع علينا (مثل البدر).

(٢) فإذا فعلت ذلك فإنّنا نشكر نعمة الدهر علينا ونوالي (نستمرّ) في شكره.

أبـــا قاسمٍ، والهوى جِنَّـــة — وها أنا من مَسِّها لم أُفِقْ[1] —
تَقَحَّمْـــتَ جاحمَ نـــارِ الضلوعِ كما خُضْـتَ بحرَ دُموعِ الحَدَقِ[2].
أكنتَ الخليـلَ، أكنتَ الكليمَ: أمِنْـتَ الحريقَ، أمِنْتَ الغَرَقْ[3]!

— وقال في النسيب والعِتاب:

طَرْفي، وحَقِّـــكَ، يرعـــى النُّـ ـنُجومَ نَجْماً فنجمـــــــــا[4]
مُرَدَّداً: فكأنّي أُفُـــكُّ منهـــا مُعَمّـــى[5]!

— وقال في غُلامٍ قَصَّ شيئاً من شَعْرِه:

تَبَسَّمَ عن مِثْـــلِ نَوْرِ الأقاحي وأقْصَدَنـــا بِمِراضٍ صِحـــاحٍ[6].
ومرَّ يَميسُ كما مـــــاس غُصْنٌ تُلاعِبُ عِطْفَيْهِ هُوجُ الرِياحِ[7].
وقصَّرَ من ليلـــــهِ ساعـــةً فأعْقَبَ ذلكَ ضوءُ الصَّباحِ[8].

---

(١) الجِنَّة (بكسر الجيم): الجنون. المسّ: الإصابة بالجنون. لم أفق: لم أبرأ (لم أشف).

(٢) تقحّمت: هجمت، رميت بنفسك. جاحم: شديد الحرارة. الحدق: العيون.

(٣) أكنت مثل الخليل (إبراهيم الذي أُلقي في النار فلم يحترق) ومثل الكليم (موسى الذي خاض البحر الأحمر فلم يغرق). وقد غضب السلطان الموحّدي عبد المؤمن بن عليّ على ابن ميمون لأنّه شبه ممدوحه بإبراهيم وموسى.

(٤) طرفي = ناظري: عيني. يرعى: يراقب، يتأمّل.

(٥) مردّداً: مكرِّراً، معيداً. المعمّى: اللغز.

(٦) تبسّم (فظهرت أسنانه جميلة منتظمة) مثل نَوْر (بفتح النون: زهر) الأقاح. وأقصدنا: قتلنا (بعيون) مراض (مريضة بمعنى ناعسة) صحاح (سليمة).

(٧) يميس: يتمايل. العطف (بكسر العين): جانب الجسم (يشبّه الغصن بإنسان). هوج الرياح: الرياح الشديدة.

(٨) قصرّ من ليله...: قصّ من ليله (من شعره الأسود) ساعة (جزءاً يسيراً). فأعقب (تلا، تبع) ذلك (تقصير شعره) ضوء الصباح (ظهور جزء أكبر من وجهه).

وانّي - وإنْ زَعَمَ العاذلو ن - من خَمْرِ أجفانِه غيرُ صاحِ[1].

٤ - ** جذوة المقتبس ٨٦؛ بغية الملتمس ١٢١ (رقم ٢٨٤)؛ المغرب ١: ١١١ - ١١٢؛ معجم الأدباء ١٩: ٦٣ - ٦٤؛ الوافي بالوفيات ٥: ١٠٤؛ إنباه الرواة ٣: ٢١٨؛ المطرب ١٩٨ - ١٩٩؛ المنُّ بالإمامة ٢٢٦ - ٢٢٨؛ بغية الوعاة ٦١ - ٦٢، ١٠٩؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٠٧ (٦: ٢٣١).

أبو الحسن بن عيّاش

١ - هو أبو الحسن عبدُ الملكِ بنُ عيّاشِ بنِ فرجِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ هرونَ الأزديُّ القُرطبيّ، أصلُه من مدينةِ يابُرةَ (في غربيّ الأندلس: البرتغال اليومَ، شرقَ أُشبونة أو لشبونة). صَحِبَ بني حَمْدينَ بقُرطبةَ - وكانوا أُسرةً نَبَغَ فيها نَفَرٌ من القُضاة - ثمّ استخدمَه المُوحّدونَ في الكِتابة. وكانتْ وفاتُهُ في إشبيليةَ في غُرّةِ جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٥٦٨ (١٨/ ١/ ١١٧٣ م).

٢ - كان أبو الحسنِ ابنُ عيّاشٍ كاتباً مُتَرَسِّلاً واسعَ المعرفةِ بالعربيةِ وبفُنون الأدبِ يُكثِرُ التضمينَ والاقتباسَ من كتابِ اللهِ. وكان له نَظْمٌ أدْنى مرتبةً من نَثْرِهِ.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو الحسن بنُ عيّاشٍ القُرطبيُّ يَحُثُّ قبائلَ العَرَبِ (البَدْو) من بَني هِلالٍ على الجهاد:

أقيموا إلى العَلياءِ عُوجَ الرواحلِ وقودوا إلى الهَيْجاءِ جُرْداً الصواهلِ[2].
وقوموا لنَصْرِ الدينِ قَوْمَةَ ثائرٍ وشُدّوا على الأعداءِ شَدّةَ صائلِ[3].

---

(١) سأظلّ سكران من خمر عينيه ولو قال العاذلون (اللائمون، المبغضون) أنّي سأصحو منها.

(٢) أقام: رفع (أنهض الدابّة من مربضها استعداداً للسير، للسفر). الراحلة: الدابّة التي تستخدم في الرحلة (السفر والانتقال). العوج جمع عوجاء: الضامرة البطن (تسرع في سيرها). الصاهل: الحصان. الأجرد: الحصان القصير الشعر (وذلك من صفات الخيل الجياد).

(٣) شدّ: هجم. الصائل: المهاجم الذي يبغي قهر خصمه.

فما العِزُّ إلّا ظهرُ أجردَ سابحٍ تموتُ الصَّبا في شَدّهِ المُتواصل[١]،
وأبيضُ مأثورٌ كأنّ فِرِنْدَه على الماءِ محبوكٌ وليس بسائل[٢]
بني العَمِّ من عُليا هِلالِ بنِ عامرٍ وما جَمّعَتْ من باسلٍ وابنِ باسلٍ[٣]،
تَعالَوْا فقد شُدّتْ إلى الغَزْوِ نيّةٌ عواقبُها مقرونةٌ بالأوائل[٤].

- ولمّا تغلّبَ المُوحّدونَ على ابنِ مرّدنيشَ[٥] في الأندلس، كَتَبَ أبو الحسنِ بنُ عيّاشٍ كِتابَ البُشرى بالنَصْرِ إلى مَرّاكُش. فممّا جاء في هذا الكتاب:

.....فلمّا كان يومُ السابعِ مِنْ ذي الحِجّة في حينِ الزَوالِ استخارَ اللهَ الموحّدون[٦] على أنْ يأخذوا بَيْنَه وبينَ الثَنايا التي تحولُ بينَه وبينَ مُرْسِيَةَ[٧]. فتَمَيّزوا شُعوباً وقبائلَ وصَدَقوا ما عاهدوا الله عليه من إخلاصِ التَوْبةِ وإمحاض النيّةِ[٨]. فرأى الأعداءُ ما هالَهم وأحالَ حالَهم[٩]. هذا على احتدادِ شَوْكَتهم[١٠] وكَثْرة عِدّتهم. وتَرَدّدوا بسَفْحِ الجبلِ زُهاءَ ثمانيةِ آلافِ فارسٍ أكثَرُهم أرْغونُ[١١]

---

(١) السابح: الحصان (السريع). تموت الصبا الخ: تقصّر الريح عنه في السرعة (؟).

(٢) أبيض: سيف. مأثور: متوارث (جيّد الجنس، مختبر). الفرند: البياض في حدّ السيف. (هذا السيف كأنّه منسوج من سطح الماء، ولكنّه جامد غير جار).

(٣) هلال بن عامر: قبائل عربية (بدوية) كان الفاطميّون (بعد انتقالهم من القيروان إلى القاهرة وبعد ترك البربر للمذهب الفاطمي) قد سرّحوها إلى المغرب لتحدث فيه قلاقل. الباسل: الأسد (الشديد في الحرب).

(٤) عواقبها (نتائجها) مقرونة (مرتبطة، معتمدة على) الأوائل (الأسباب، المقدّمات، الاستعداد).

(٥) هو محمّد بن سعد (٥١٨ - ٥٦٧ هـ) ثار على الموحّدين في شرقيّ الأندلس ووصل يده بيد الإسبان. طمع في الاستيلاء على اشبيلية وقرطبة. قاتله المُوحّدون وحاصروه في مرسية فمات في أثناء الحصار.

(٦) من سنة ٥٦٠ هـ (١٤/ ١٠/ ١١٦٥ م). الزوال (زوال الشمس عن خط كبد السماء): وقت الظهر. استخار اللهَ الموحّدون= الموحّدون استخاروا الله (طلبوا من الله أن يختار لهم ما هو أصلح لهم).

(٧) بينه (بين ابن مردنيش) وبين الثنايا (الطرق في الجبال).

(٨) تميّزوا (افترقوا) شعوباً وقبائل (بحسب أقسامهم القبلية). «من المؤمنين رجالٌ صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه...» (٣٣: ٢٣، سورة الأحزاب). المحض: الخالص (الصافي، الصادق).

(٩) هالهم: أفزعهم. أحال: بدّل.

(١٠) احتداد: اشتداد. الشوكة: القوة.

(١١) أرغون: نصارى أرغونة (شمال شرقيّ إسبانية).

وَقَفوا يتشاورون ويتنازعون. ولم يَجِدوا مَحيداً عنِ الطريق التي ضَمّتْهم، ولا مَنْفَذاً إلاّ في المسافات التي حَفّتْ مُحيطةً بِهِمْ وعَمّتهم..... وصافَّهم جُنودُ اللهِ من ضُحى النهار إلى أن نُودِيَ للصلاةِ مِنْ يَومِ الجُمُعة[١]، في أيامٍ يُقْبَلُ فيها التَوْبُ[٢] ويُغْفَرُ فيها الذَنْبُ ويخشَعُ القلبُ ويُعبدُ الرب. فلمّا كان وقتُ الصلاةِ اختار اللهُ للموحّدين أنْ ناشَبوهم القتالَ، وقد كَثُرَ الذِكرُ والإهلال[٣]. وزَحَفَتِ العساكرُ إلَيْهم حتّى دنا السَوادُ من السوادِ، وتَشوَّفَهُ بالكَلِمِ والطِراد[٤]. وحَمَلَتِ الرومُ[٥] حَمْلَتَهُمُ المعلومةَ المَعهودةَ[٦].... والْتَفَتْ عليهم قبائـلُ الموحّدين، واحْتَدَمَتِ الحربُ وحَمِيَ الوطيسُ[٧].... وثَبّتَ اللهُ أقدامَ المُوحّدينَ وزَلزلَ أقدامَ المُلْحدين. وثَبَتَتِ الساقةُ التي فيها الأعلامُ كأنّها الجبالُ الراسياتُ والأعلامُ[٨]. وانبَرى المُوحّدون الأوَلُ من أهلِ تِينَمَلّلَ وهَنْتاتَةَ[٩] فصَبَروا صَبْرَ أمثالِهِمْ وخَوّلَهُم إقبالاً في استِقْبالِهِمْ[١٠]. وأجْفَلَ الكَفَرةُ مُنْهزمين ووَلّوا الأدبارَ مُدبرينَ[١١]، والسيفُ يأخذُ منهم فوقَ ما يدَعُ، وحِزبُ

---

(١) صافّهم: أقام صفوف القتال في مواجهتهم. الضحى: الوقت الذي ترتفع فيه الشمس فوق الأفق قليلا. «إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة» (٦٢: ٩، سورة الجمعة): وقت انتصاف النهار.

(٢) التوب: التوبة.

(٣) ناشبه القتال: نابذه (طالبه بالقتال، استفزّه للقتال). الذكر: ذكر الله تعالى. الإهلال: قول: «لا إلٰه إلاّ الله».

(٤) دنا السواد (الجسم) من السواد (أصبح الفريقان يرى بعضهما بعضاً). تشوّف: رأى عن بعد. الكلم: الكلام (المناداة). الطراد: معالجة الخصم بالهجوم.

(٥) الروم: (في الأندلس) النصارى، الفرنجة (من أي جنس كانوا).

(٦) الحملة: الهجمة. المعلومة المعهودة: (فيها غدر ووحشية!).

(٧) الوطيس: حفرة صغيرة يخبز فيها ويشوى (تنّور)، كناية عن اشتداد القتال.

(٨) الساقة: مؤخّرة الجيش (ويكون فيها الطعام والصنّاع لإصلاح ما يتكسّر من السيوف والدروع الخ). العلم (بفتح ففتح): الراية والجبل.

(٩) تينملّل أو تينملّ: البلدة (في جبال الأطلس) التي ظهرت منها دولة الموحّدين. هنتاتة: قبيلة كبيرة كانت مناصرة للموحّدين.

(١٠) الأمثال (المقصود: الأماثل): خيار القوم وشجعانهم - صدق الجميع في الحرب كأنّهم كلّهم من خيار القوم. خوّلهم (أعطاهم) إقبالاً (سعادة، حظّاً، نصراً) في استقبالهم (في مقاتلة العدوّ وجهاً لوجه).

(١١) أجفل: مضى مسرعاً. ولّى (أعطى، أدار) الدبر (بضمّ فضم): القفا (كناية عن الهرب). مدبر: راجع، منصرف إلى الخلف. هارب.

اللهِ يتقدّمُ غالباً فيصرَعُ ويصدَعُ[1]. وقُتِلَ رجال الشَقِيّ ومشاهيرُه[2]، والرومُ أكثرُ القتلى فيهم. فخرّوا كأنّهم أعْجازُ نَخْلٍ خاويةٍ[3]..... ولاذَ الشَقِيُّ.... للفرار، وقد خَبَرَ من حَدِّ السيوف وأنْبائها ما أغناهُ عن الأخبار.

٤ - ★★ المنّ بالإمامة ٨٣، راجع ١٦٠ ح، ٢٥٢، ٢٧٦ - ٢٨٢، ٣٠٢ - ٣٠٧، ٣٠٩ - ٣٢٣، ٣٧٦ - ٣٨٠، ٤١٥ - ٤١٧؛ التكملة ٢: ٦١٨ (رقم ١٧٢١)؛ الذيل والتكملة ٥: ٢٦ - ٣٠؛ زاد المسافر ٩٣ (١٣٥)؛ نفح الطيب ٣: ٤٤٦ - ٤٤٧، ٣٢٧ - ٣٢٨.

أبو عامر بن الحمارة

١ - هو أبو عامرٍ محمّدُ[4] بنُ الحِمارةِ الغَرْناطيُّ - من المَهْديَّةِ في القُطْر التونِسيّ - وُلِدَ سَنَةَ ٥٠٠ هـ (١١٠٦ - ١١٠٧ م)، ويُقْرَنُ آسْمُه بلَقَبِ «الوزير». تَتَلْمَذَ على ابنِ باجّه (ت ٥٣٣ هـ) في صِناعة الغِناء وفي الفلسفة. وكانتْ وَفاةُ أبي عامرِ بنِ الحِمارةِ، سَنَةَ ٥٧٠ هـ (١١٧٤ - ١١٧٥ م).

٢ - كان أبو عامرٍ بنِ الحِمارةِ، فيما قيلَ، من فلاسفةِ الأندلُس. ولكنّنا لا نَعْرِفُ من حياتِه كُلِّها سِوى إشاراتٍ جُزئيةٍ. وقيل فيه: كان عارفاً بِصناعة الألحان: يصنَعُ العودَ بنفسِه ثمّ يَنْظِمُ الشِعْر ويُلَحِّنُه ويُغنّيه فَيُطْرِبُ سامِعِيه. وقد وَصَلَ إلينا أبياتٌ يسيرةٌ من شِعْرِه تدُلُّ على براعةٍ وعليها طَلاوةٌ، وكان يرتجِلُ أيضاً. وفنونُه المَدْحُ والرِثاء والهجاء (وهجاؤه خبيثٌ) والغَزَل والوصف.

---

(١) ودع يدع: ترك. صرع: ألقى (خصمه) أرضا، قتل. صدع: شقّ، كسر.

(٢) الشقيّ: ابن مردنيش. مشاهيره: أبطاله وخاصّة أنصاره.

(٣) أعجاز النخل: أصولها (جذوعها). خاوية: فارغة، نخرة. «كأنّهم أعجاز نخل خاوية» (٦٩: ٧، سورة الحاقة).

(٤) هنالك قصّة واحدة (راجع نفح الطيب ٤: ١٣ و ١٤٠) تروى مرّة عن أبي عامر محمّد بن الحمارة ومرّة عن أبي الحسين عليّ بن الحمارة.

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي عامرٍ محمّدِ بن الحِجارةِ هذا البيتُ الذي اقْتَنَصَ فيه صُورةَ الحُلْمِ (المنام) الذي يَنْفِرُ عن النائم (المغرب (٢ : ١٢٠):

إذا ظنّ وكْراً مُقْلَتي طائرُ الكَرى ... رأى هُدْبَها فارْتاعَ خَوْفَ الحبائلِ[١].

- وله في رثاء زَوْجتهِ (المغرب ٢ : ١٢٠):

ولَمّا أنْ حَلَلْتِ التُّرْبَ قُلْنا: ... لقد ضلّتْ مَواقِعَها النجومُ.

ألا يا زَهْرةً ذَبَلَتْ سريعاً، ... أَضَنَّ المُزْنُ أم رَكَدَ النَسيمُ[٢]؟

- ولمّا بنى أبو العبّاسِ بنُ القاسمِ بنِ العَشْرةِ قَصْرَهُ في مدينةِ سَلا[٣]، وَصَفَ الشعراءُ ذلك القصر. واتّفق أنْ كان أبو عامرِ بن الحِجارةِ حينَئِذٍ في سَلا - ولم يكُنْ قد أعدَّ شيئاً من الشِعر لتلك المُناسبةِ - ففكّر قليلاً وقالَ (نفح الطيب ٤ : ١٣ و ١٤٠):

يا واحدَ الناسِ، قد شَيّدتَ واحدةً ... فحُلَّ فيها مَحَلَّ الشمسِ في الحَمَلِ[٤].

فما كدارِكَ في الدنيا لِذي أملٍ، ... ولا كدارِكَ في الأُخرى لذي عَمَلِ[٥].

- وقال في مُداراة الأصدقاء (نفح الطيب ٣ : ٥٩٧):

ولي صاحبٌ أحنو عليه، وإنّه ... لَيُوجِعُني حيناً فلا أتَوَجّعُ.

---

(١) شبّه الحلم (بضمّ فسكون) بطائر ثمّ قال: إنّ ذلك الطائر قد ظنّ أن مقلتي (عيني) وكر يمكن أن يلجأ إليه، ثم أبصر أهداب عيني (الشعر في جفنيها) فارتاع (خاف) إذ ظنّ أهدابي حبالة (بكسر الحاء: مصيدة، شركا) لكثرة ما كان قد رأى الطيور في الحبائل.

(٢) يشبّه زوجته التي ماتت بزهرة ذبلت (جفّت وذوت) لانقطاع المزن (المطر) أو لركود (هدوء) الهواء (إذ حلّ محلّ النسيم المنعش ريح حارّة تقتل النبات).

(٣) سلا: مدينة قرب الرباط (في المغرب).

(٤) واحد الناس (أعظم الناس، لا مثيل له). واحدة (داراً هي أعظم الدور). حُلَّ فيها (انزل فيها، اسكنها) كما تنزل الشمس في برج الحمل (إيذاناً بحلول فصل الربيع).

(٥) دارك هذه أجمل من جميع الدور في هذه الدنيا، وأفضل من منازل غيرك في الجنّة في الآخرة.

أُقيمُ مَكاني ما جَفاني، ورُبّما يُسائِلني الرُّجْعى فلا أتَمَنّعُ[1].
كأنّيَ في كَفّيْهِ غُصنُ أراكةٍ تَميل على حُكْم النسيمِ وتَرْجِعُ[2].

- لأبي عامرِ بن الحِمّارة مقاطعُ حسانٌ منها:

★★ للهِ يومٌ كان فيه مُنادمي وجهُ الحبيب وزهرةُ البستان،
صَرَعَتْنِيَ اللّذّاتُ فيهِ مَصْرعاً ما شِئتَ من رَوْحٍ ومن رَيْحان[3].
يا صاحبيّ، تمتّعا من ساعةٍ شُغِلَ الزمانُ بها عن الحَدَثان[4]

★★ لو كنتُ آملُ أن ألقاكَ في الحُلُمِ لَمَا قرعتُ عليك السِنّ من نَدَمِ[5].
يحمي وصالَكَ أعداءٌ لهم رَصَدٌ ويَصْرِفُ الطيفَ أنّي بتُّ لم أنَمِ[6].
يا مرسلاً سهمَ عينيه ليقتُلَني، من ذا أباحَ لذاك اللحظِ سفكَ دمي؟

★★ أتانا فَتيتُ المِسكِ يَعْبَقُ عَرْفُه ويُثني على ذاك النّدى والتكرُّمِ[7]؛
فأشعَرَني ريّا حبيبٍ أُعيرُه، على رِقبةٍ، لحظَ المَشوق المُتيَّمِ[8].
فواللهِ، لولا أنْ تقولَ ليَ المُنى: رُوَيْدَكَ، لا تُقْدِمْ على غير مُقْدَمِ[9]،
لَحَدَّثْتُ نفسي عندَ ذلك أنّني أشُمُّ الذي ما بينَ عَيْنَيْكِ والفم!

---

(١) إذا جفاني (صديقي): ابتعد عنّي (كره لقائي) أقمت مكاني (لا أزوره). وإذا سألني أن أعود إلى صداقته فلا أرفض.

(٢) الأراكة: شجرة (لينة الأغصان؟).

(٣) صرع الرجل خصمه: ألقاه أرضاً (على الأرض، قتله). الروح: الراحة، النسيم المنعش. الريحان: نبات ذو رائحة طيّبة. - انغمست (ذلك اليوم) في اللذات حتّى فقدت وعيي.

(٤) .... نسي فيها الزمان أن يجيء إلينا بمصائب.

(٥) قرع السنّ ندماً (ندم ندماً كثيراً).

(٦) رصد: مراقبة. الطيف: الخيال (الطارق في النوم). بتّ (قضيت الليل). أنا لا أرى خيالك في النوم (لأني سهران في حبّك ولا أنام).

(٧) فتيت المسك (إذا فت المسك: طحن) يزيد انتشار الرائحة منه. عبق (بفتح فكسر): ضاع (مضارعه: يضوع): فاح، انتشر. العرف: الرائحة الطيّبة. الندى: الكرم.

(٨) الريّا: الرائحة الطيّبة. رقبة (مراقبة وحذر). المتيّم: الذي ذلّله الحبّ. إنّ الرائحة الطيّبة دلّتني على وجود حبيبي فجعلت أعيره لحظي (أنظر إليه بحذر).

(٩) المنى جمع أمنية. رويدك: مهلاً. مقدم (أمر يقدم الناس عادة عليه).

- وقال أبو عامر بنُ الحِجارة يَرْثي أُستاذَه ابنَ باجّه (الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٢):

يا صاحبَ القبرِ القريبِ - ودُونَه هَمٌّ تَبينَتُ له الكواكبُ تسهَرُ - :
قُمْ ،إنْ أطَقْتَ ،وهاتِ عن صُوَرِ الرَّدى خبراً ، فقد عايَنْتَ كيف تُصَوَّرُ[1].
أخْبِرْ عنِ الملكوتِ كيفَ رأيْتَه: إنّ الغريبَ عن الغرائبِ يُخْبِرُ.

٤ - ★ ★ بغية الملتمس ٥١٧ (رقم ١٥٥١)؛ ١٠٥٥)؛ المطرب (الخرطوم) ١٠٧ - ١٠٨؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٢ (الأسطر ١١ - ١٤)؛ المغرب ٢ : ١٢٠؛ نفح الطيب ١ : ٢٠٥ ، ٣ : ٥٩٧ ، ٤ : ١٣ ، ١٤٠ .

الأصمّ المرواني

١ - هو الشريفُ الأصمُّ المروانيُّ القرطبيُّ[2]، كان من نسل الطليق المرواني (ت نحو ٤٠٠ هـ) من جهةِ أُمّه[3]، وكان في مَطْلَعِ دولةِ المُوحِّدين في أيامِ عبدِ المؤمنِ ابن عليٍّ. ويُمْكِنُ أن تكونَ وفاتُه بالتَخْمينِ بينَ ٥٧٠ و ٥٧٥ هـ (١١٧٥ - ١١٨٠ م).

٢ - الأصَمُّ المروانيُّ شاعرٌ جَزلُ الألفاظِ متينُ الأُسلوبِ مشرقيّ الديباجةِ بَرَعَ في المَديح والوَصْف. وقدِ اشتهر بقَصيدته البائية التي قالها ، في أواخر سَنَةِ ٥٥٥ للهجرة (أوّل ١١٦٠ م) في مديحِ عبدِ المؤمن بن عليّ (راجع المختارات) يَعارِضُ فيها قصيدةَ أبي تمّامٍ : « السيفُ أصْدقَ إنباءً من الكُتُبِ ».

٣ - مختارات من شعره:

- لمّا جاز عبدُ المؤمن بن عليّ، أولُ خُلفاء المُوحّدينَ، بَحْرَ الزُّقاقِ (مضيقَ جَبَلِ

(١) قم (انهض من قبرك). أطاق: قدر ، استطاع. كيف تصوّر (كيف تكون صور الأمور في الآخرة).

(٢) بعد سقوط الدولة المروانية (الأموية) في الأندلس (٤٢٨ هـ) ثم مجيء المرابطين (٤٨٤ هـ = ١٠٩١) ثم الموحّدين، تفرّق الأمويّون في البلاد واستخفوا (بفتح الفاء) واستغنى أكثرهم عن التمدّح بأسمائهم الشخصية. ولكن ظلّوا يعرفون باسم الشرفاء. من هؤلاء، كان الطليق المرواني (ت نحو ٤٠٠ هـ) والأصمّ المرواني صاحب هذه الترجمة والشريف الغرناطي (٦٩٧ - ٧٦١ هـ).

(٣) المعجب ١٥٣ (٢١٥ - ٢١٦).

طارقٍ) مِنَ المَغْرِبِ إلى الأندَلُسِ ، وافاه الشُعراءُ فألقَوْا بينَ يَدَيْهِ القصائدَ. في هذه المُناسبة ألقى الأصمُّ المروانيُّ قصيدتَه البائية. ومّما جاء فيها:

ما للعِدا جُنّةٌ أوْقى من الهَرَبِ. كيفَ المَفَرُّ، وخَيْلُ اللهِ في الطَلَبِ(١).
وأين يذهَبُ مَنْ في رأسِ شاهقةٍ إذا رَمَتْهُ سماءُ الله بالشُهُبِ(٢).
حَدِّثْ عن الرومِ في أقطارِ أندَلُسٍ والبحرُ قدملأ العَبْرَيْنِ بالعَرَبِ(٣)،
وطَوْدُ طارقَ قد حلّ الإمامُ به كالطُورِ كان لموسى أيْمَنَ الرُتَبِ(٤).
لو يَعرِفُ الطَوْدُ ما غَشّاه من كَرَمٍ لم يَبسُطِ الغَوْرُ فيهِ الكَفّ للسُحُبِ.
مِنْهُ يُعاوِدُ هذا الفتحُ ثانيةً أضعافَ ما حدّثوا في سالفِ الحِقَبِ(٥)،
ويلبَسُ الدينُ غضًّا ثوبَ عِزّتهِ كأنّ أيامَ بدرٍ عنه لم تَغِبِ(٦).
تدبيرُ مَنْ قارَعَ الأيامَ واختلطتْ آراؤه في الوَغى بالسُمْرِ والقُضُبِ(٧).
إنْ آبَ مِنْ غزوةٍ أفْنَتْ أعادِيَهُ كانَ الإيابُ لأخرى أعظَمَ النَسَبِ(٨).

---

(١) الجنّة (بضمّ الجيم): الوقاية (ما يحجب الإنسان عن الخطر).

(٢) في رأس شاهقة (جبل عال): مكشوف معرّض للأخطار. الشهب جمع شهاب: حجر يفلت من مداره حول كوكب من الكواكب فيدخل جوّ الأرض ويشتعل وهو ساقط (إذا كان الله يريد إهلاكهم).

(٣) الروم كانت تُطلَقُ على جميع النصارى في الأندلس سواء أكانوا روماً أو قوطاً. حدّث عن الروم..... كانت الجيوش التي تجمّعت في الأندلس من الروم لمحاربة المسلمين كثيرة، وكذلك كان جيوش العرب كثيرة جدًّا تملأ العبرين (الجانب الإفريقي والجانب الأندلسي).

(٤) طود طارق: جبل طارق (الطرف الجنوبي من الأندلس). الإمام: عبد المؤمن بن عليّ. الطور: الجبل الذي وقف عليه موسى. أيمن: أكثر يمناً (بضمّ الياء: بركة). إنّ جبل الطُور كان أبرك المواقف في حياة موسى. ونزول عبد المؤمن بن علي في جبل طارق (للدفاع عن المسلمين في الأندلس) كان برتبة وقوف موسى على جبل الطور.

(٥) سالف: ماضي. الحقبة (بكسر الحاء): المدّة من الزمن. - من جبل طارق سيعاد فتح الأندلس مرّة ثانية كما كان طارق بن زياد قد فتح الأندلس في المرّة الأولى من هذا المكان.

(٦) الغضّ: الطري، الجديد. بدر أول معارك الإسلام (سنة ٢ هـ = ٦٢٤ م).

(٧) قارع الأيام: قاومها (اختبرها) الوغى: الحرب. السمر جمع أسمر: الرمح. القضب جمع قضيب: السيف. - اختلطت آراؤه الخ: آراؤه في خوض الحروب مهمّة وفعّالة مثل السيوف والرماح.

(٨) آب: رجع. - إذا انتصر في غزوة انتصاراً عظيماً (كاد يفني أعاديه) كان ذلك سبباً مهمًّا ليعود إلى خوض غزوة ثانية.

مَلْكٌ إذا ما دَعَتْهُ الحربُ من بُعُدٍ — طار السَّفينُ أمامَ الجَحْفَلِ اللَّجِبِ[1]،
ما بَيْنَ مُخْضَرَّةِ الأقطارِ نازِحةٍ — وأخضرٍ في غِمارِ الريحِ مُضْطَرِبِ[2].
حتّى أناخَ بأمِّ الشِرْكِ مُرْضِعَةً — أولادَها حَلَباً جَمًّا على حَلَبِ[3]،
منيعــةً من ذُرى سُورٍ تَكَنَّفَهــا — وزاخرٍ مُزْبِدِ الأمواجِ مِنْ غَضَبِ[4].
تَغَلْغَلَتْ في خِنــاقِ الجوِّ صاعــدةً — حتّى حَسِبنا مَدارَ النجمِ في صَبَبِ[5].
وحين غادَرَها طولُ الحِصار لها — كأنّها مركَبٌ أشْفى على العَطَبِ[6]
ألْقَتْ إليكَ بأيْدي الذُّلِّ طائعةً — ومَكَّنَتْكَ من المَسْلوب والسَّلَبِ.
سارَ العُلوجُ وفي أعناقِهِمْ مِنَنٌ — من عَفْوِ مُقْتَدِرٍ للغَزْوِ مُنْتَدَبِ[7].
مَدّوا الأكُفَّ لِلَمْسِ الشمسِ من فَرَحٍ، — وشَمَّروا لِوثوبِ البحرِ من طَرَبِ[8].
إنّ الجزيرةَ من طولِ انتظارِكُمُ — لها بكُلِّ طريقٍ لَحْظُ مُرْتَقِبِ[9].

---

(١) من بعد: من مكان بعيد (مهما يكن مكان المعركة بعيداً). السفين: جمع سفينة. الجحفل: الجيش الكبير. اللجب: الكثير الأصوات (لكثرة ما فيه من الجنود ومن السلاح). طار السفين.... سبقت سفن البحر جيوش البرّ (شوقاً إلى الجهاد).

(٢) مخضرّة (كتيبة، قسم من جيش): مسودة (لكثرة ما فيها من السلاح). نازحة: بعيد ما بين أطرافها (واسعة، كبيرة). أخضر (أسطول): أسود (لكثرة سفنه - وتكون السفن عادة مطليّة بالقار الأسود). غمار: وسط. مضطرب: كثير الحركة (شوقاً إلى الجهاد).

(٣) أمّ الشرك: عاصمة الإسبان التي هاجمها عبد المؤمن آنذاك. مرضعة أولادها: مربّية أهلها ومهيّئة لهم (لخوض الحرب). الحلب: الحليب (اللبن). جمًّا: كثيراً - المقصود: أعدّتهم إعداداً جيّداً وافياً. حلباً جمًّا على حلب: مرّة بعد مرّة.

(٤) ذرى سور تكنّفها: سور عالٍ يحيط بها. زاخر: (بحر) مملوء بالماء. مزبد الأمواج: شديد الهياج (مما يجعل الوصول إلى المدينة صعباً).

(٥) صبب: انحدار. هذه المدينة عالية حتّى ليخيّل إلى الناظر أن النجوم أدنى (أقرب إلى الأرض) منها.

(٦) أشفى: قرب. العطب: الهلاك.

(٧) العلج: القويّ، الشديد (هنا: غير العربي). في أعناقهم منن (جمع منّة: فضل) لأنّك عفوت عنهم. منتدب: انتدبه الله للجهاد.

(٨) فرحوا كثيراً (لمّا عفوت عنهم) حتّى أصبحوا لخفتهم ونشاطهم كأنّهم يستطيعون الوصول إلى الشمس أو الوثوب من فوق البحر.

(٩) الجزيرة: الأندلس. لها بكل طريق...: كانت تنتظر مجيئك من كل مكان.

يا وافداً عَلِقَتْ مِنْ يُمْنِ مَقْدَمِهِ أيدي الأماني بحَبْلٍ غيرِ مُنْقَضِبِ[1]
ما بَيْنَ راحَتِه الطُولى وخاطِرِه يَفيضُ بحرُ النَّدى بالعِلْمِ والأدبِ[2] ؛
ألْقت عِصِيَّ النَّوى أشْياخُ قُرطُبَةٍ في مَنْبِتِ العِزِّ والحاجاتِ والطلبِ[3] .
أتَتْكَ تَشْكُرُ ما أوْلَيْتَ من نعَمٍ ، وإنّها أرَجُ النَّوّارِ للسُحـــبِ[4] .
تزدادُ نوراً إذا اسْوَدَّ الزمانُ بها كأنّها سُرُجٌ في حالِكِ النُوبِ[5] .
والصَبْرُ في كلِّ خَطْبٍ طعْمُهُ صَبِرٌ ، لكنْ عواقِبُهُ أحلى من الضَرَبِ[6] !

٤ - ** زاد المسافر ١٢٦ - ١٢٧ ؛ المعجب ٢١٥ - ٢١٧ ؛ نفح الطيب ١ : ٤٧٥ ، ٣ : ٥٩٢ - ٥٩٣ ؛ المنّ بالإمامة ١٥٩ - ١٦٤ (وفي تعليق محقّق « المنّ بالإمامة » عبد الهادي التازي - ص ١٥٩ - ما يوهم أن الأصمّ المرواني هو الطليق المرواني ، مع أن هذا حفيد ذاك).

ابن حبّوس

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ الله بنِ حبّوسٍ ، أصلُه من فاس ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) أو قُبيل ذلك في إشبيلية وفيها نشأ .

---

(١) الوافد: القادم (عبد المؤمن بن عليّ). اليمن: البركة. منقضب: منقطع. علقت أيدي الأماني بحبل...: وثقت واطمأنّت.

(٢) الطولى (بالضمّ): مؤنّث الأطول (من الطول بالضمّ بمعنى القياس والطول بالفتح بمعنى الفضل والنعمة). الندى: الكرم.

(٣) الأشياخ: كبار القوم وأعيانهم. العصيّ جمع عصا. ألقت عصا النوى: استقرّت واطمأنّت ثقة بك (من قول الشاعر: فألقت عصاها واستقرّ بها النوى).

(٤) أرج (رائحة طيّبة) النوّار (الأزهار) للسحب (من فضل الغيم الذي يسقط فيسقي الأرض فتنبت الأرض نباتها وأزهارها).

(٥) السرج جمع سراج: المصباح، القنديل. الحالك: المظلم. النوب جمع نوبة (بفتح النون): النازلة (المصيبة).

(٦) الخطب: الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب (المصيبة). صبر (بفتح فكسر): ذو الطعم المرّ. الضرب (بفتح ففتح): العسل.

قرأ ابنُ حبّوسٍ القرآنَ الكريمَ على ابنِ عَيْشونٍ المُقرىء (ت ٥٣١ هـ) وعلى القاضي أبي الحسنِ شُريحِ بنِ محمّدِ بنِ شريحٍ (ت ٥٥٧ هـ) ودرس النحو على ابن الرمّاكِ (ت ٥٤١ هـ) وقرأ الأدبَ على الأديبِ البليغِ أبي محمّدِ بنِ عبدِ الغفورِ (ت ٥٤٢ هـ). ثمّ تَصدّرَ للإقراء في إشبيلية.

وتكسّبَ ابنُ حبّوسٍ بالشعرِ فمَدَحَ الأمراء وكَثُرَ اتّصالُه بسلطانِ المُوحّدين عبدِ المؤمنِ بن عليّ (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ). وكانتْ وفاتُه في إشبيلية سَنَةَ ٥٧٠ هـ (١١٧٤ - ١١٧٥ م)، في الأغلب.

٢ - عُرفَ ابنُ حبّوسٍ بأنّه شاعرُ الدولةِ المَهْديّة (نِسبةً إلى المَهْديِّ بن تُومرتَ مؤسّس دولةِ الموحّدين). وهُوَ شاعرٌ كبيرٌ بلا ريبٍ واسعُ القول فخمُ الكلامِ متينُ الأسلوب غزيرُ المعاني بارعٌ في الصناعة متنوّعُ الأغراض. ولكنّه متطرّفٌ في عددٍ من آرائهِ حتّى لَتظُنُّ حيناً أنّه فاطميّ. قال في مديحِ رجالِ دولة الموحّدين:

بَلَـغَ الزمـانُ بهَدْيِكُمْ مـا أمّـلا، وتعلّمـتْ أيامُـه أن تَعْـدِلا[1].
فَلأنْتُمُ الحـقُّ الـذي لا يُمترى فيه، وليس بجائزٍ أن يُجْهلا[2].
ولأنْتُمُ سِرّ الإلـــــهِ، وأمرُكمْ ملأ العوالمَ مُجْمَلاً ومُفَصَّلا.
عُزِلَتْ وُلاةُ الحِسِّ عن إدراكه، فَهو المُنَزَّهُ حَسْبُه أن يُعْقَلا[3].

٣ - مختارات من شعره:

- حاصرَ عبـدُ المؤمنِ بنُ عليٍّ مدينةَ بَجايةَ فلجأ الناسُ إلى قَصْرِ صاحِبها يحيى ابنِ العزيزِ بنِ حَمّادٍ يستنجدون به ويسألونه أن يخوضَ بِهِمُ المَعْرَكَةَ. ولكنّه تَسلّلَ إلى زَوْرَقٍ كان قد أعدّه وهَرَبَ. فأنشدَ ابنُ حَبّوسٍ في تلك الساعةِ، بين يَدَيْ عبدِ المؤمنِ ابنِ عليٍّ، قصيدةً - قيل ارتجالاً - منها:

(١) الهدي (بفتح فسكون) كالهدى (بضمّ ففتح).

(٢) لا يمترى فيه: لا يشكّ أحد فيه.

(٣) إنّ سرّ الإلّه الذي هو فيكم (راجع البيت السابق) لا يدرك بالحسّ. هو منزّه (أعلى، أسمى) من اختبار البشر، ويكفي البشر أن يدركوه بعقولهم.

مَن القومُ في الغَرْبِ تُصغي إلى ... حَديثِهِمُ أُذُنُ المَشْرِقِ!
جَرَوْا والمنايا إلى غايةٍ ... فلم يَسْبِقوها ولم تَسْبِقِ،
بأيديهِمُ النارُ مشبوبةً؛ ... فمها تُصِبْ باطلاً تُحْرِقِ.
يقودُهُمُ مَلِكٌ أرْوَعٌ ... تفرّدَ بالسُّؤددِ المُطلَقِ[1]،
تَخَيّرَه اللهُ من آدمٍ ... فما زالَ مُنحدِراً يرتقي[2].
إلى الناصريةِ سِرْنا معاً، ... ولمّا تَفُتْنا ولم تُلْحَقِ[3]:
إلى بَرْزَةٍ في ذُرى أرْعَنٍ ... تَجِلُّ عن السورِ والخَنْدقِ[4].
فلاذوا بقَصْرٍ لمَوْلاهُمُ ... ومولاهُمُ لاذَ بالزَوْرَقِ[5].
وفارَقَهُ أحمراً أبيضاً ... ولَجَّجَ في أخضرٍ أزرقِ[6]،
وأوْرَثَهُ خَوْفُكم خِفّةً، ... فلو خاض في البحرِ لم يَغْرَقِ.

- ولابنِ حبّوسٍ قصيدةٌ في مدح الوزيرِ أبي جعفرِ بنِ عَطيّةَ منها:

ألا زارَ من أمّ الخُشيفِ خَيالُها ... ومِنْ دُونِها البَيْداءُ يَخفِقُ آلُها[7].
لقد أوْقَدَتْ في القلبِ مِنّيَ جَمْرةً ... بدا في سَوادِ العارضَيْنِ آشْتِعالُها[8].
ثَكِلْتُ الليالي: عندَ غَيْرِيَ سِلْمُها ... ورَوْقَةُ دُنْياها، وعِندي قِتالُها؛

(١) أروع: شجاع. السؤدد (بضمّ السين وفتح الدال الأولى أو ضمّها): المجد.
(٢) - ما زال ينحدر منذ أيام آدم في أصلاب آبائه ولكنّه يكتسب رفعةً كلّما اقترب مولده.
(٣) الناصرية: بجاية. لم تفتنا: لم تنج منا. لم تلحق: لم تصل إليها نجدة قبل آستيلائنا عليها.
(٤) البرزة: البارزة، المرأة الشريفة الواثقة من نفسها تبرز للرجال، قلعة حصينة بعيدة المنال. أرعن: (هنا) له فضول (أي: جبل تحيط به مرتفعات ومنخفضات تجعل الوصول إليه صعباً). تجلّ (تكبر، لا تحتاج) عن السور والخندق (لأنّها حصينة بطبيعتها).
(٥) لاذ: التجأ.
(٦) فارقه (فارق القصر) أحمر (من الغضب أو الخجل) أبيض (من الخوف لذهاب لونه من وجهه). لجّج: خاض في لجّة (معظم الماء) البحر (على غير هدى). أخضر (أسود). الأخضر الأزرق: البحر البعيد عن الشاطىء العميق القعر.
(٧) الخشيف تصغير الخشف (بسكون الشين، وفتح الخاء أو كسرها أو ضمّها) ولد الظبية ساعة يولد. يخفق (يضطرب) آلها (سرابها) لشدّة الحرّ عند انتصاف النهار.
(٨) العارضان: جانبا الوجه. بدا في سواد العارضين اشتعالها: بدا الشيب في شعري من جانبي الوجه.

أتحسُدُني في أنْ أعيشَ، كأنّما إذا فَسَدَتْ حالي سَتَصْلُحُ حالُها.
أمـا تَتّقي أن يَشْرَئِبَّ لِنُصْرتي قَوِيٌّ إذا رامَ السماء يَنالُهـا[1].
وزيرَ العُـلا، عِندي من القولِ فَضْلَةٌ: رَوِيَّتُها في مَدْحِكم وآرتجالُها[2].
وما كُنْتُ أخشى مُدّةَ الدهرِ أن أرى تَميـدُ بِيَ الدُنيا وأنتم جِبالُها!

- وله قصيدةٌ يشكو فيها الناس ويُبدي رأياً سيّئاً في مُعامَلَتِهِمْ، منها:

وعامِـلْ بالخديعـةِ من لَقيـتَ وبـادِرِ الفُرصـا.
وهُزَّ لِمَعْشَرٍ سَيفـاً. وهُزَّ لآخَرينَ عَصا.
وسُؤْ ظَنّـاً بكـلِّ أخٍ يُقاسِمُكَ الثَنا حُصَصـا[3].
ولا تَحْرِصْ، فرُبَّ فَتًـى مُضـاعٌ عندمـا حرَصـا؛
وحِرْصُ الطائرِ الواقِـعِ صَيَّرَ جَوَّه قَفَصـا[4].
وقـد ذَهَبَ الوفاءُ، فـلا يقولُ مُغالِطٌ: نَقَصا!
ومن شَهِدَ الخطوبَ وعـاش مِثْلي يَشْرَحُ القصَصا.

٤-** المحمّدون من الشعراء ٢٦٣ - ٢٦٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ١٦ - ١٧؛ التكملة (رقم ١٠٥٥)؛ زاد المسافر ٤٣ - ٤٨؛ المطرب ١٩٩ - ٢٠٢؛ المعجب ١٥١ - ١٥٣؛ النبوغ المغربي ١٦٧ وما بعد، ٦٨٠، ٨٥٢ - ٨٥٤، ٩٠٨ - ٩٠٩؛ الأدب المغربي ١٦٩ - ١٧٣؛ تاريخ الجزائر العامّ ١: ٣٦٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣٣٣ (١٠١).

أحمد بن مالك السرقسطيّ

١ - هو أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الوزيرِ أبي الوليدِ محمّدِ بنِ مالكٍ الأنصاريُّ أصلُه من سَرَقُسْطة، انتقلَ أبوه منها وسَكَنَ بَلَنْسِيَةَ. ويبدو أنّه هو أيضاً قد تولّى الكِتابة

(١) تتّقي: تخاف. اشرأب: تطاول، نهض.
(٢) ...- وقفت جميع شعري (الذي أقوله ارتجالاً والذي أقوله بعد رويّة وتفكير) على مدحكم وحدكم.
(٣) يقاسمك الثنا حصصاً: يثني عليك كلّما أثنيت أنت عليه (يعاملك معاملة حسابية).
(٤) - طمع الطائر في أن يلتقط كلّ حبّة (حتّى تلك القريبة من الفخّ) هو الذي يوقعه في يد الصائد.

والوزارة. وقيل إنّه ذهب إلى مَرّاكُش. وقد كانت له رِحْلةٌ إلى مِصْرَ واشتَهَرَ هنالك. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٥٧١ (١١٧٥ - ١١٧٦ م).

٢ - كان أحمدُ بنُ مالك السَرَقُسْطيُّ أديباً شاعراً مُقَصِّداً ووشّاحاً. وكانتْ له مشاركةٌ في الفلسفة.

٣ - مختارات من شعره:

- موشّحةٌ لأحمدَ بنِ مالكٍ السَرَقُسْطيِّ فيها مَدْحٌ وغزلٌ وخَمْرٌ:

حُـثَّ كأسَ الطَـلا عـلى الزَهْرِ وأدِرْهـــــا كالأنْجُمِ الزُهْرِ[1].

* * *

أنسيمٌ يفوحُ أم عِطْرُ
وغُصونٌ أمالَهــــــــا القَطْرُ
تَنْثَـــني ومـــا بِهـــا سُكْرُ؟
وطيورٌ نَطَقْنَ بالسِحْرِ حـينَ هــبّ النسيمُ في السحرِ[2]

* * *

اطردِ الهَمَّ بابنـــةِ العِنَـــب،
وامزُجِ الراحَ من لَمَّـى شَنَـب.
إنّما طيـــبُ عيشِ ذي أدَب
قَطْـــعُ أيـــامِ دهرهِ الغُرِّ بسُلافٍ وشادِنٍ غِرِّ[3].

* * *

(١) الطلا: الخمر. الأنجم الزهر (البيضاء، اللامعة).

(٢) القطر: المطر (؟). السحر (بفتح ففتح أو بفتح وسكون أو بضمّ فسكون): آخر الليل قبيل مجيء الصباح.

(٣) اللمى: سمرة الشفاه. الشنب (الريق) البارد. الغرّ (بالضمّ جمع أغرّ وغرّاء): البيض. السلاف: الخمر. الشادن: الغزال الصغير. الغرّ (بالكسر): الذي لا اختبار له (محبوب لطيف طيّب القلب).

بمَعـــالي أبي عــلـيٍّ أهــيمْ
رقّ طَبْعـــاً كالمـــاء أو كالنَسيمْ
ذي جَبينٍ طَلْقٍ ووَجْـهٍ وَسيمْ
ويمـــينٍ تَنْهَـــلُّ بالتِبْرِ   وسيوفٍ هـامَ العِـدا تَبْري[1].

* * *

ذو جــلالٍ سامٍ وعِزٍّ أثــيرْ
طالـــبٌ حافــظٌ ذَكيٌّ وزيرْ
زادَ مِنّــا قُرْبــاً بقُرْبِ الأمــيرْ
وَهْوَ فوقَ السِماكِ والنَسْرِ   إن دَجــا ليلُنــا بــه نَسْري[2]

* * *

صِـلْ ثَنـاءً عـلى ابنِ أبي زَيْدِ
بَطَـــلٌ في الحروبِ ذو كَيْـــدِ
وعـــلى المارِقـــينَ ذو أيْـــدِ
لم يَهِمْ بالحِسان والسُمْرِ   إنّما هــامَ بالقَنــا السُمْرِ[3]

* * *

رُبَّ هَيْفـــاءَ شَفَّهـــا بُعْــدا
عَـفَّ عنهــا فـلم تَجِـدْ بُـدّا

---

(١) طلق: بشوش. وسيم: جميل. التبر: الذهب (العطايا). تنهلّ (تمطر) بالتبر: كريم، كثيرة العطايا. هام: رؤوس. برى: قص، قطع.

(٢) أثير: مكين، ثابت. السماك والنسر: نجمان (كناية عن العلوّ والرفعة). دجا: أظلم. نسري: نسير ليلاً (إذا اضطربت الأمور اهتدينا به).

(٣) المارق: الخارج على إرادة جماعته. الأيد: القوة. هام: اشتدّ حبّه. القنا (الرماح) السمر (جمع أسمر: رمح ذابل: دقيق قويّ).

مِنْ هواهُ فأنْشَدَتْ وَجْـــــدا:

رَبِّ، قَوِّ في ذا الهوى صَـــبري إنّ هَجْرَ الحبيــــبِ كالصـــبرِ[1]

٤ - ★★ التكملة ١: ٧٧ (رقم ٢٠٥). المغرب ٢: ٤٤٦؛ جيش التوشيح ٢١٣ - ٢٢٤ (راجع ٢٧٧)؛ أخبار وتراجم أندلسية ١٦.

ابن سعد الخير البلنسيّ

١ - هو الأستاذ أبو الحسنِ عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ عيسى بنِ سعدِ الخير الأنصاريُّ البلنسيُّ، قشتيليُّ الأصلِ، وُلِدَ في بَلَنْسِيَةَ نحو سَنَةِ ٥١٠ (١١١٦ م) وسَكَنَها. وتلقّى ابنُ سعدِ الخيرِ العِلْمَ على نفرٍ منهم أبو الحسنِ بنُ النعمة ولازمه وتأدّب به، ومنهم أبو محمدِ بنِ السيّدِ واختُصّ به. وكان منهم أبو الوليد محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ بن خِيَرةَ وأبو الوليدِ بنُ الدبّاغ. وقد تصدَّرَ للتدريس في بلنسيةَ طولَ عُمُرِهِ. وكانت وفاتُه في ربيعٍ الآخِرِ من سَنَةِ ٥٧١[2] (خريف ١١٧٥ م) في إشبيلية.

٢ - كان ابنُ سعدِ الخيرِ بارعاً في علومِ اللسانِ (اللغةِ والنحوِ والأدب)، وكان كاتباً بليغاً وشاعراً مُجيداً جيّدَ الوصفِ. وكذلك كان مُصنِّفاً له رسائلُ بديعةٌ وكتبٌ منها: الحُلَل في شَرْح الجُمَل[3] (للزجّاجي المُتوفّى ٣٣٧) والقُرْط المُذَيَّل على الكامل (للمبرِّد المُتوفّى سنة ٢٨٦) وله جذوةُ البيان وفريدة العُقْيان.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحسن الأنصاريّ البلنسيُّ يَصِفُ سَحابةً يَظْهَرُ البرقُ من خِلالِها:

---

(١) الهيفاء: المشوقة القوام. شَفّها: أنحلها (من الهمّ أو من المرض). الوجد: الحبّ. الشوق. الصبر (بفتح فكسر): الطعم المرّ (والشاعر استعمل الكلمة بسكون الباء).

(٢) في فوات الوفيات (٢: ٤٩): سنة «إحدى وسبعين وستّمائة» (بالأحرف) - وهو خطأ.

(٣) شرح الأبيات التي في كتاب الجمل (في النحو) للزجّاجيّ.

وساريـــةٍ سَحَبَستْ ذَيْلَهــا   وهزّتْ على الأفْقِ أعْطافَها[1]؛
تسلُّ البُروقَ بأرْجائِهـــا   كما سَلّتِ الزَّنْجُ أسيافَها[2].

- وقال يصف طلوعَ البدر في لَيْلةٍ داكنة[3]:

بَــدا البـدرُ في أُفقِـه لابِساً   ثِيابـاً من الشَّفَـقِ الأحْمرِ.
فشَبَّهْتُـه - والدُّجـى حائِـلٌ   عَروساً تُزَفُّ إلى أسْمَر!

- وقال يصف ناعورةً يدورُ دولابُها:

للّــهِ دولابٌ يَفيــضُ بِسَلْسَلٍ   في رَوْضةٍ قد أيْنَعَتْ أفْنانا[4].
قد طارَحَتْهُ بها الحَمامُ بِشَجْوِها   فيُجيبُهــا ويُرَجِّـعُ الألحانا[5].
فكأنّــه دَنِـفٌ يـدورُ بِمَعْهَـدٍ   يَبْكي ويَسألُ فيه عَمّنْ بانا[6].
ضاقتْ مَجاري جَفْنهِ من دَمْعِه   فتَفَتَّحَـتْ أضْلاعُـه أجْفانا[7]!

٤ - ** زاد المسافر ١٤٥ - ١٤٧ (رقم ٥٥)؛ التكملة ٢ : ٦٧١ (رقم ١٨٦٨)؛ تحفة القادم ٥١ - ٥٣؛ المغرب ٢ : ٢١٣ - ٢١٤؛ الذيل والتكملة ٥ : ١٨٧ - ١٩١؛ فوات الوفيات ٢ : ٤٩ - ٥٠؛ صلة الصلة ٩١؛ نفح الطيب ٣ : ٣٣٠؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٥٣ (٤ : ٢٥١).

---

(١) السارية: الغيمة الآتية في المساء. سحبت ذيلها (كناية عن قربها من الأرض: تكون ثقيلة كثيرة الماء). العطف (بكسر العين): جانب الجسم (تتحرك كثيراً لاشتداد الريح).

(٢) تظهر أقسام البرق من خلال فجواتها كأنّ تلك الأقسام من البرق سيوف. سلت الزَّنْجُ أسيافها (شبّه السحابة السوداء التي تَسُلُّ بروقها بالزَّنج الذين يَسلُّون أسيافهم).

(٣) الداكن (المائل إلى السواد). الحائل (في البيت الثاني): متغيّر (الليل قليل السواد - لكثرة البرق!).

(٤) السلسل: (الماء) العذب الذي ينحدر في الحنجرة بسهولة. الأفنان: الأغصان. أينعت (الأغصان): نضج الثمر الذي عليها.

(٥) طارحه: بادله، تداول الحديث معه. الشجو: الحزن. رجّع: أعاد (الصوت) وكرّره.

(٦) الدنف: المريض المقبل على الموت (من الحبّ). المعهد: المكان الذي كان مسكوناً. بان: ابتعد، هجر (المكان).

(٧) في دولاب الناعورة قواديس (علب صغيرة) ترفع الماء من النهر أو البئر ثمّ إذا علت ألقته في مجرى أو حوض (فكأنّ تلك القواديس عيون). ولكنّ أصابع الدولاب ترفع أيضاً ماء (فكأنّ الماء يخرج من ضلوع الدولاب).

الرصافيّ الرفّاء البلنسي

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ غالبِ الرفّاءُ الأندلسيُّ الرُصافيّ البَلَنْسيُّ، نسبةً إلى رُصافةِ بَلَنْسِيَةَ.

وُلِدَ الرُّصافِيُّ الرفّاءُ الأندلسيُّ في رُصافةِ بَلَنسِيَةَ، في سَنَةٍ نَجْهَلها. وخرجَ به أهلُه من الرصافةِ إلى مالَقَةَ - طَلَباً للرِزْقِ - وله من العُمُرِ نحوُ عَشْرِ سِنينَ. وفي مالَقةَ بدأ الرصافيُّ يَتَلَقّى شيئاً من فنونِ العِلْمِ والأدبِ لا نَعْرِفُ شيئاً من تفاصيلها. غير أنّ الذي نَعْرِفُهُ أنَ الرصافيَّ عاش في مالَقةَ عيشةَ لهوٍ ومَجانةٍ، وأن مواهِبَهُ الشِعرية تفتَّحتْ باكراً.

في سَنَةِ ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م). جاءَ سُلطانُ المُوحّدينَ عبدُ المؤمنِ بنُ عليٍّ إلى الأندلسِ ونَزَلَ بجبلِ الفَتْحِ (جبلِ طارقٍ) ثمّ اسْتَدْعى الشُعراءَ فوفَدوا عليه، وألقى الرصافيُّ بينَ يديهِ قَصيدةً - فيها ثلاثةٌ وستّونَ بيتاً - صحيحةَ البناء تفيضُ بالروح الدينيّ وتَكْثُرُ فيها الإشاراتُ التاريخيةُ. ولقدْ بَشّرتْ هذه القصيدةُ الرصافيَّ الذي لم يَكن بعدُ قد جازَ العِشْرين بمستقبلٍ زاهرٍ في الشعر.

ثمّ إنَ الرُّصافِي انْتَقَلَ إلى غَرْناطةَ واسْتَوْطَنها - وواليها يومَذاكَ محمّدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ سعيدٍ - من غيرِ أن يَترُكَ التردّدَ، في الحينِ بعد الحينِ، على مالَقَةَ. غيرَ أنّه في هذه الأثناءِ زَهِدَ في الدنيا فانصرفَ إلى التكسُّبِ بالرَّفْوِ أنَفَةً من التكسّبِ بالشعر. ومَعَ ذلك فقد كانت عطايا الأُمراءِ والأعيانِ تَصِلُ إليه. وقضى الرُّصافيّ عُمْرَهُ عَزَباً.

وفي ١١ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٧٢ هـ (١٣/٢/١١٧٧ م) تُوُفّيَ الرُّصافيُّ البَلَنْسِيُّ في مالَقةَ.

٢ - كان الرُصافيُّ الأندلسيُّ شاعراً كبيراً مشهوراً في عصرهِ. وكان يُطيلُ أحْياناً ويُجيدُ في المُقَطّعاتِ وفي القصائدِ. ومَعَ أنّه كانَ من الذين يُنَقّحون شِعْرَهم ويُجَوّدونه ويتكلّفون فيه أحياناً، فقد كان في شِعْرِهِ رقّةٌ وعُذوبة. وفي شعره أيضاً تقليدٌ ظاهرٌ للمشارقة: كان يُشبَّهُ بابنِ الروميّ في الغَوْصِ عن المعاني وفي تَوْليد بعضِها من بعضٍ، كما كان يُقلّد ابنَ خَفاجةَ الأندلسيَّ، إلّا انّه كان أميل إلى الخيال. وللرُّصافي مدح

قليلٌ ورثاء بارعٌ فيه من التصوير أكثر مّما فيه من التفجّع؛ ثمّ له وصف جيّد للطبيعة يُكْثِرُ فيه من وصف الطبيعة في وطنه؛ كما تكْثُرُ في شعره أوصاف الحياة الدنيا (كوصف النجّار والصفّار - صانع الأدوات من الصُفْر أو الشَبَه، أي من النُحاس الأصفر). وفي شعره وصفٌ للخمر وغزل مؤنّث وغزل مذكّر ومُجون. ويَغْلبُ على شعره النسيبُ والشكوى والحَنين إلى الوطن وإلى الماضي.

٣ - مختارات من شعره:

- قال الرُصافيُّ البلنسيُّ يمدح أبا جعفرٍ الوَقَّشِيَّ وزيرَ ابن هَمُشْكَ بقصيدةٍ منها:

يا سعدُ، قد طاب الحديثُ فزِدْ	منه أخا نَجْواك، يا سعدُ[١].
فلقد تَجَدَّدَ لي الغرام، وإنْ	بَليَ الهَوى وتقادَمَ العَهْدُ.
ذِكَرٌ تَمُرُّ على الفؤادِ كما	يُوحي إلَيْك بسَقْطِه الزَّنْدُ[٢].
وإذا خَلَوْتُ بها تَمَثَّلَ لي	ذاك الزمانُ وعَيْشُه الرَغْد[٣].
ولِقاءُ جيرتِنا، غَداتَئذٍ،	مُتَيَسِّرٌ ومَرامُهم قَصْدُ[٤].
من كلِّ أرْوَعَ حَشْوَ مِغْفَرِه	وَجْهٌ أغرُّ وفاحِمٌ جَعْدُ[٥].
ذُكِرَ الوزيرُ الوَقَّشِيُّ لهم	فأثارَهم لِلِقائِه الوُدّ.
قد رَنَّحَتْهم من شَمائِلِه	ذِكَرٌ كما يَتَضَوَّعُ النَّدّ[٦]
نِعْمَ الحديثُ الحلوُ تَمْلِكُه الـ	ـرُكْبانُ حيثُ رمى بها الوَخْد[٧].

(١) النجوى: التسارّ (التخاطب بصوت منخفض جدّاً). أخو النجوى: الصديق الحميم.

(٢) الزند: حديدة تقدح بها النار من الصوّانة. السقط: الشرر المتساقط من قدح الصوّانة بالزند. ذكر.... (يجب أن تكون بعيدة غائمة في النفس).

(٣) إذا خلوت بها (أستعيد ذكراها) تمثّل لي (وضح في ذهني). الرغد (خصب، كثير، ناعم).

(٤) مرامهم (هدفهم) قصد (معتدل): لا يطلبون أموراً يصعب تحقيقها.

(٥) أروع: شجاع. المغفر: غطاء للرأس. حشو مغفره (أي رأسه). وجه أغرّ (أبيض): كريم الأصل والأعمال. وفاحم (شعر أسود) جعد: كناية عن الشباب والقوّة.

(٦) رنّحت الريح القوم: أمالتهم، حركتهم، هزّتهم، (سرّتهم). الشمائل: الصفات الحميدة. تضوّع النّد (نوع من الطيب): انتشرت رائحته.

(٧) الركبان: المسافرون. الوخد: السير، السفر (البعيد الشاقّ).

رَجُـلٌ إذا عَرَضَ الرِجـالُ لـه   كَثُرَ العديـدُ وأعْوَزَ النِّـدُّ[1]
سَتَرى الوزيرَ ومَجْـدَه فـترى   جَبَـلًا يُـلاذُ بـه ويُعْتَـدُ[2]؛
وترى مآثِرَ لا نَفـادَ لهـا   بالعَـدِّ حتّـى يَنْفَـدَ العَـدُّ[3]!
ولقـد أراني بالبِـلادِ وآ   مـالُ البـلادِ ببابـهِ وَفْـدُ[4]؛
وهِباتُـه تَصِـفُ النَّدى بيـدِ   عَلْيـاءَ أقْـدَمُ وَفْرِهـا المَجْدُ[5]
وكَفـى بِـأنْ وَسَمَ النّدى سِمَـةً   لم تَمْحُهـا الأيـامُ من بَعْـدُ[6]
بِعَوارِفٍ عَمَرَ البـلادَ بهـا   فاخْضَرّ مِنْها الغَوْرُ والنَّجْدُ[7].
هَيْهـاتِ يَذْهَـبُ عنـك مَوْضِعُه   هَطَلَ الغَمامُ وجَلْجَلَ الرَّعدُ[8].
أعْرَبْـتُ عن مَكْنونِ سُؤْدُدِه   مـا تُعْجِمُ الوَرْقـاءُ إذْ تَشْدو[9]:
سُوَراً مِنَ الأمْـداحِ مُحْكَمَـةً   من آيِهِنَّ الشُكْر والحَمْـدُ[10].
ولَعَـلّ مـا يَخْفـى وراءَ فَمي   من وُدّهِ أضْعـافُ مـا يَبْـدو.

– وقال يصف جماعة مسافرين قد نهكهم السفر فأخذوا يترنّحون على العِيسِ

---

(١) كثر العديد (كثر عدد الناس العادّين). وأعوز النّد: استحال وجود شبيه له.

(٢) يلاذ به: يلجأ الناس إليه، يحتمون به. يعتدّ: يتّخذ عدّة (ذخيرة، وسيلة للدفاع) في المستقبل.

(٣) المآثر: المحامد: لانفاد له بالعد.....: مها تـطـل في العدّ لا تستطع عد مآثره.

(٤) آمال البلاد ببابه وفد: آمال الناس كلّهم تتّجه إليه.

(٥) هباته: عطاياه. تصف الندى (الكرم): هي التعريف الصحيح للكرم (لأنّ عطايا الناس صغيرة لا تدلّ على كرم، بينا عطاياه هو كبيرة جدًّا). أقدم وفرها (غناها) المجد: تعوّدت ذلك منذ القدم.

(٦) وسم الندى سمة: وضع على الندى (الكرم) علامة (خاصّة به). لم تمحها الأيّام من بعد: لم يأت بعده أحد أكرم منه حتّى ينسى الناس كرمه هو.

(٧) العوارف (جمع عارفة): المعروف (الصنيع الحسن). الغور: المكان المنخفض. النجد: المكان المرتفع.

(٨) هيهات يذهب عنك موضعه: إنّك لا تضلّ الطريق في الوصول إليه. جلجل: أحدث صوتاً قويًّا. (إنّك تبصر المطر وتسمع الرعد من نحو أرضه) – عطاياه دائمة لا تنقطع، وكثيرة لا تخفى.

(٩) أعربت: أوضحت، بيّنت. مكنون: مستتر، خفي. السؤدد: المجد. أعجم الشيء: ستره، الورقاء: الحمامة. تشدو: تغنّي. – الحمام يذكر كرم هذا الممدوح ولكنّ الناس لا يفهمون كلام الحمام فجئت أنا بشعري أشرح كلام الحمام هذا وأبيّنه......

(١٠) .... سُوَراً من الأمداح: الحمائم تتلو على الناس سوراً في مديحه. من آيهنّ: من آيات تلك السور. – أنّ الحمد والشكر اللذين تغنّى بها الحمام هما ما يستوجب هذا الممدوح على بعض أعماله.

(النياق) من النعاس كأنّهم سكارى:

ومُجِــدّينَ لِلسُّرَى قــد تَعاطَوْا غَفَواتِ الكَرى بغير كُؤوسِ[1].
جَنَحوا وانْثَنَوْا عـلى العِيسِ حتّى خِلْتَهم يَلْثِمون أيْديَ العِيسِ[2].
نَبَـذوا الغَمْضَ، وَهْوَ حُلْوٌ، إلى أنْ وَجَـدوه سُلافَـةً في الرؤوسِ[3]!

- كان الرصافي بظاهرِ مالَقَةَ مَعَ طائفة من أصحابه على أُنس، فصَعِدَ غلامٌ أسودُ لأحدِهم شَجَرَةَ لَوْزٍ مُنَوَّرةً ثمّ قطع منها غُصْناً وجاءهم به. فسأل الجماعةُ الرُّصافيَّ أن يَصِفَ ذلك لهم، فقال بَديهةً:

وزَنْجِيٍّ أَلَمَّ بنَوْرِ لَوْزٍ، وفي كاساتِنـا بِنْتُ الكُرومِ[4].
فقـالَ فتًـى من الفِتْيانِ صِفْهُ فقلتُ: اللَّيْـلُ أقْبَلَ بالنُّجومِ[5]!

- وقال يصف حائكاً (صغير السنّ جميلاً):

قالوا وقدْ أكْثَروا في حُبِّه عَذَلي: لو لم تَهِمْ بمُذالِ القَدْرِ مُبْتَذَلِ[6]!
فقلتُ: لو كانَ أمْري في الصَبابـةِ لي لاَخْتَرْتُ ذاك؛ ولكن ليس ذاك لي.
عُلِّقْتُــه حَبَبِيَّ الثَغرِ عاطِرَهُ، حُلْوَ اللَّمَى ساحرَ الأجفانِ والمُقَلِ[7].
غُزَيِّـل لم تزل في الغَزْلِ جائلـةً بنانُـه، جَوَلانَ الفكرِ في الغزَلِ[8].

---

(١) السرى: السير ليلاً. - يشبّه النوم كأنّه خمر يشربها الإنسان.

(٢) جنحوا: مالوا. انثنوا: انحنوا (بفتح النون). - كان أحدهم ينحني على ظهر ناقته كثيراً (وهو بلا وعي من عمق نومه) حتّى يكاد رأسه يصل إلى الأرض.

(٣) لم يريدوا أن يناموا فقهرهم النوم كأنّه خمر يغيب شاربها عن وعيه.

(٤) ألمّ: أصاب، قطف. النور (بفتح النون): الزهر الأبيض. بنت الكروم: الخمر.

(٥) الليل = الغلام الزنجي. النجوم = زهر اللوز الأبيض.

(٦) العذل: اللوم. هام: ضلّ، جرى على غير هدى (أحبّ حبّاً بلا وعي). مذال القدر: مهان، قليل القيمة. مبتذل: معروض ومبذول لكلّ طالب.

(٧) علّقته: تعلّق قلبي به، أحببته. الحببيّ: نسبة إلى الحبب = فقاقيع الهواء التي تطفو على سطح الخمر في الكأس. حببيّ الثغر (الفم): طعم ريقه كالخمر (!). اللمى (بفتح اللام أو كسرها أو ضمّها): السمرة في الشفاه. حلو اللمى: حلو الريق، عذب التقبيل. المقلة: العين.

(٨) غزيّل = مصغّر غازل. الغزل: خيوط القطن والصوف الخ. البنان جمع بنانة: طرف الإصبع =

جَـذْلانُ تلعَـبُ بالحواك أنْمُلُـه   علـى السَّدى لَعِبَ الأيّام بالأمل[1].
ضمًّا بكفّيه أو فَحْصاً بأخْمَصه   تخبُّطَ الظبْيِ في أشراك مُحْتَبِـل[2].

- وقال يتشوّق إلى بلنسية (وكان قد نشأ فيها):

خَليليَّ، ما للبيد قد عَبِقَتْ نَشْرا،   وما لرُؤوس الرَّكْب قد رُنِّحَتْ سُكْرا[3]
هلِ المِسْكُ مَفْتوقاً بِمَدْرَجَةِ الصَّبا   أمِ القومُ أجْرَوْا من بَلَنْسِيَةٍ ذِكْرا[4]!؟
بِلادي الـتي رِيشَتْ قُوَيْدِمَتي بها   فُرَيْخاً، وآوَتني قَرارتُها وَكْرا[5].
مَبادىءُ لينِ العيشِ في رَيِّقِ الصِّبا   أبى اللهُ أنْ أنْسى لها أبَداً ذِكْرا[6].
أكُــــــلُّ مكان راحَ في الأرض مَسْقَطـــــاً
لرأسِ الفَــتى يَهْواه - مــا عــاش - مُضْطَرّا؟
بَلَنْسِيَــةٌ تلكَ الزَّبَرْجَــدةُ الّتي   تَسيـلُ عليها كلُّ لُؤلُؤةٍ نَهْرا[7].
كــأنَّ عَروساً أبْدَعَ اللهُ حُسْنَها   فَصيَّر من شَرْخِ الشّبابِ لها عُمْرا.

= (الإصبع). - تتفنّن أصابعه في نسج الثياب (بطرق وأنواع كثيرة) كما يذهب الفكر مذاهب كثيرة في تأمّل جماله.

(١) جذلان: فرحان. الحواك ليست في القاموس، والشاعر يقصد «الوشيعة»، والعامّة تقول: المكّوك (وقد أقر مجمع اللغة العربية كلمة «المكّوك»): بكرة تلفّ عليها خيوط ثمّ تقذف فوق السّدى (الخيوط المنصوبة طولاً على المنوال) يميناً ويساراً لتؤلّف اللحمة (بضمّ اللام: الخيوط العرضية في النسج) فينشأ النسيج.

(٢) قذفاً بالوشيعة بيده اليمنى إلى اليسار، وبيده اليسرى إلى اليمين - بسرعة عظيمة حتّى يبدو وكأنّه يضم يديه. فحصاً بأخمصه (باطن قدمه): تحريكاً برجليه (على خشبتين تفصلان السدى طبقتين حتّى تمر بينهما الوشيعة). المحتبل: الذي يصيد الحيوانات بالحبالة (بضم الحاء): شرك من حبال.

(٣) البيد (جمع بيداء: الأرض الواسعة). عبقت نشرت: انتشرت (في البيد) رائحة طيّبة. الركب: المسافرون. رنّحت: ترنّحت، تمايلت.

(٤) المسك المفتوق: المسك حينما يفتح وعاؤه للمرّة الأولى. مدرجة: مكان تدرج فيه الريح (تهبّ وتستمر). الصّبا: ريح الشرق.

(٥) القويدمة = مصغّر قادمة: الريشة الكبيرة في جناح الطائر. - بلادي (بلنسية) شببت فيها وكانت سكناً (وطناً) لي.

(٦) ريّق (أول) الصّبا (الشباب). - عرفت أول حياتي الناعمة الهنيّة في بلنسية.

(٧) الزبرجد: حجر كريم أخضر. - بلنسية كثيرة الجنائن كثيرة الأنهار.

- وقال من قصيدة يرثي بها:

وقد وَدَّعتُ قَبْلَكَ كلَّ سَفْرٍ، ولكنْ غابَ حيناً ثم آبا[1].
وأهْيَجُ ما أكونُ لك ادّكاراً إذا ما النَّجم صَوَّبَ ثُمَّ غابا[2].
أرى فَقْدَ الحبيبِ من المنايا إلى يأسٍ كَمَنْ فَقَدَ الشبابا.
وما معنى الحياةِ بلا شَبابٍ؟ سواءٌ مات في المعنى وشابا.
وليلٍ أسىً كصُبْحِ الشَّيْبِ قُبْحاً أكابِدُه سُهاداً وانتِحابا[4]
تَزيدُ بهِ جَوانِحِيَ اتِّقاداً إذا زادتْ مَدامِعِيَ انسكابا.
أبا عبدَ الإلٰهِ، نداءُ يأسٍ؛ وهلْ أرجو لَدى رَمْسٍ جَوابا!
أصِخْ لي كيفَ شِئْتَ، فإنَّ أُنساً لِنَفْسي أن تُبَلِّغَكَ الخِطابا[5].
سَقاكَ - ولا أَخُصُّ - رَبابُ مُزْنٍ؛ لَعَلَّ ثَراكَ قد سَئِمَ الربابا[6].
ولكنْ ما يَسوغُ على التكافي لِقَبْرِكَ أن يكونَ لَه شَرابا[7]
فإنّي رُبّما اسْتَسْقَيْتُ يوماً لَكَ الجَوْنَيْنِ: جَفْنِيَ والسَحابا[8]
فَتَخْجَلُ من مُلوحَتِها دُموعي إذا ذَكَرَتْ شَمائِلَكَ العِذابا[9]!

---

(١) السَّفر: المسافر، المسافرون. آب: رجع. عاد.

(٢) ادّكار: اذدكار: تذكّر. صوّب: انحدر، مال إلى المغيب.

(٤) وليل أسى: الليل الأسود من الأسى (الحزن) يشبه صبح الشيب (بياض الشعر). السهاد: السهر. الانتحاب: البكاء بصوت مرتفع.

(٥) أصاخ: ألقى بسمعه. سمع.

(٦) الرباب (بفتح الراء): جمع ربابة: السحابة البيضاء. - لا أطلب لقبرك أن تسقيه السحب، فإنّي أرى أن قبرك قد سقته سحب كثيرة (لأنك أنت تستحق رحمة الله على ما كان منك من أعمال صالحة في الدنيا). حتى سئم قبرك المطر من السحاب.

(٧) ساغ: سهل مجرى الشراب في الحلق. ساغ له الأمر: جاز له أن يفعله. التكافي: المماثلة. - إنّ مطر السحاب وحده ليس أهلاً أن يكون الماء النازل على قبرك.

(٨) الجون: الأسود، السحاب الأسود (الممطر). - كنت أحياناً أستسقي لك (أطلب لك السقيا) من دموعي أيضاً.......

(٩) .... ولكن كنت أخجل من طلبي هذا حينما أذكر أن دمعي مالح وأن شمائلك (خصالك) عذبة (حلوة، رقيقة).

٤ - ديوان الرصافي البلنسي (جمعه وقدّم له إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة ١٩٦٠ م).
** بغية الملتمس ١٠٩ - ١١٠ (رقم ٢٥١)؛ المغرب ٢: ٣٤٢ - ٣٤٤؛ الوافي بالوفيات ٤: ٣٠٩ - ٣١٢، ٥: ٢٥٣؛ تحفة القادم ٥٦ - ٥٧؛ وفيات الأعيان ٤: ٤٣٢ - ٤٣٤؛ المعجب ١٥٤ - ١٥٩؛ أعمال الأعلام ٢٦٦ - ٢٦٨؛ شذرات الذهب ٤: ٢٤٢؛ نفح الطيب ١: ١٨١، ٢: ٣٣٥ - ٣٣٦، ٣: ٢٠٣، ٤٠١، ٤٨٦، ٥١٣ - ٥١٥، ٤: ١٥٩ - ١٦١؛ نيكل ٣٢٧؛ مختارات نيكل ١٩٢ - ١٩٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢١٧ (٦: ٣٢٤).

ابن هردوس

١ - هو أبو الحكم أحمدُ بنُ عليّ بن هردوس ، من أهلِ حِصن مَرشانة * سكنَ مالقة (مِنطقة المريّة)، كان كاتباً للسيّد عُثمانَ بنِ عبدِ المؤمن بن عليّ والي غَرناطة. كانتْ وفاتُه سَنَةَ ٥٧٢ أو٥٧٣ هـ (١١٧٦ م) في مَرّاكُش.

٢ - كان ابن هردوس كاتباً مترسّلاً وشاعراً ووشّاحاً.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحكم بنُ هردوسٍ في الأرضِ تَضيقُ عليكَ فترحَلُ إلى غيرِها:

إذا ضاقتْ عليك فَوَلِّ عنها ... وسِرْ في الأرضِ واختبرِ العِبادا
ولا تُمْسِكْ رِحالَكَ في بلادٍ ... غَدَوْتَ بأهلِها خبراً مُعادا[1].

- وله مُوشّحةٌ في مديحِ عُثمانَ بنِ عبدِ المؤمن، منها:

يا ليلةَ الوصالِ والسعودِ، ... بالله، عودي.

* * *

كم بِتُّ في ليلةِ التمنّي

---

(١) خبر معاد: يتحدّثون عنك كثيراً (لطول إقامتك بينهم). * قرب إشبيلية.

لا أعرفُ الهَجْرَ والتَجَنّي
أَلْثِمُ ثَغْرَ المُنـى وأجْـني،
من فوقِ رُمّانَتَيْ نُهودٍ، زَهْرَ الخُـدودِ.

* * *

مَـدْحُ الأمـيرِ الأجـلِّ أوْلى
السيِّـدِ الماجـدِ المُعَلّـى
تـاجِ المُلوكِ السَنِيِّ الأعـلى
أفضـلِ مَنْ سارَ بالجُنودِ تـحـتَ البـنُـود

* * *

أكْرِمْ بعَلْيـاهُ من هُمامِ
إمـامِ هُـدًى وابنِ الإمـامِ
مُبَـدِّدِ الرومِ بالحُسامِ
يَغْمِـدُ في هامـةِ الأسود بيـضَ الهنود[1].

٤ - * * المغرب ٢ : ٢١٠ - ٢١١ ؛ التكملة (طبع الجزائر) ١٨٧ ؛ الوافي بالوفيات ٦ : ٥٧ ؛ المقتضب من تحفة القادم ٥٤ ؛ صلة الصلة ٩٢ ؛ نفح الطيب ٤ : ٢٠١ - ٢٠٢ .

أبو الحسن بن نزار

١ - هو الأميرُ أبو الحسنِ بنُ نِزارٍ حسيبُ وادي آشَ ومن أعيانها وحُكّامها. لمّا سقطت دولة المُرابطين (٥٤١ هـ = ١١٤٦ م) خلَعه أهلُ بلدِه وبايعوا لمحمّدِ بنِ مردانيشَ صاحبِ مُرْسِيَةَ (توفي ابن مردنيش ٥٦٧ هـ) ثمّ وَشَوْا به إلى ابنِ مردانيش. فحمله ابنُ مردانيشَ إلى مُرسيةَ وسَجَنه فيها ثمّ أطلقَ سَراحَه وردّه إلى

(١) بيض (سيوف) الهنود (جمع هندي: سيف من صنع الهند).

حُكم وادي آشَ في حديثٍ طويل. عاش أبو الحسن بنُ نِزارٍ في النِصف الثاني من القرن السادس للهجْرة (النصف الثاني من القرن الثاني عَشَرَ للميلاد).

٢ - أبو الحسن بنُ نزارٍ شاعرٌ ومُتَرَسِّلٌ. وشعرُه كثيرٌ جيّدٌ رقيقٌ. وله قصيدٌ ومُوشَّح.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحسن بنُ نزارٍ في الفَخْر (بعد أن خَسِرَ مُلكه في الأغلب):

الآنَ أعرِفُ قدرَ النفعِ والضَرَرِ، وكَيفَ أُصْدِرُ ما للمُلْك من صَدَرِ[1]،
وكيف أطْلُعُ في أُفْقِ العُلا قمراً ويستهلُّ بكفّي واكِفُ الدُرَرِ[2]،
وكيف أملأ صدرَ الدهرِ من رُعُبٍ وأستقلُّ بحملِ الحادثِ النُكُرِ[3]،
وأستعدُّ لما ترمي الخُطوبُ بهِ وأستطيلُ على الأيام بالفِكَرِ[4].
لكنّني رُبّما بادرتُ مُنْتَهِزاً لفرصةٍ مَرَقَتْ كاللَمْح بالبصر.
في أمّ راسيَ ما يَعيا الزمانُ به شَرْحاً، فسَلْ بعدَه الأيامَ عن خَبَري!

- في المغرب (٢ : ١٤٧)، موشّحة لابن نزار، وتروى لابن حزمون، منها:

اشْرَبْ على نَغمةِ المَثاني ثانِ،
ولا تكنْ في هوى الغواني وانِ،
وقُلْ لِمَنْ رام في معانٍ: عانِ
ماذا من الحُسْن في بُرودِ رُودِ[5].

* * *

(١) كيف أصدر ما للملك من صدر: كيف أدبّر أمور الملك.
(٢) وكيف يستهلّ بكفّي واكف (منهمر) الدرر (اللؤلؤ، المال): كيف أصبح غنيًّا.
(٣) وأستقلّ بحمل الحادث النكر (المنكر، الفظيع): احتمل الحوادث وحدي.
(٤) وأستطيل على الأيام بالفكر: أغلب أحداث الدهر بالرأي الصائب.
(٥) المثاني جمع مثنى وتر في العود. المثاني: آلات الغناء. ثان= ثانياً: مرّة ثانية أو ثانياً من عِطفك =

يهيـــجُ وَجْــدي إذا الأنـــامُ   ناموا .
قومٌ إذا عَسْعَسَ الظـــــــلامُ   لاموا ،
ومـــا بـــه هـــامَ مُستهـــامُ   هاموا .
فقـــــل لعَيْنٍ بـــــلا هُجودٍ:   جودي[1]!

★ ★ ★

أفْنَيْـــتُ في الرّوْنَـــقِ الصقيـــل   قِيلي .
يـــا ربّـــةَ المَنْظَرِ الجميـــلِ   ميلي؛
فإنّما   أنتِ،   والرسولِ ،   سُولي .
رأيـــتُ في وجهـــكِ السعيـــدِ   عِيدي[2].

★ ★ ★

٤ - ★★   المغرب ٢ : ١٤٧ ؛ نفح الطيب ٣ : ٤٩٢ - ٤٩٨ .

أبو جعفر الوقّشي

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أحمدَ الوَقّشِيُّ مِنْ وَقّشَ بنواحي طَلَبيرَةَ، سَكَنَ مالَقَةَ ثمّ وَزَرَ للأميرِ إبراهيمَ بنِ هَمُشْكَ المُستبدِّ بمدينة جَيّانَ. ولمّا انهزمَ ابنُ همشكَ في وقعةِ السبيكةِ قُربَ غَرْناطةَ، سَنَةَ ٥٥٧ هـ ، أمامَ جيش المُوحِّدينَ سلّم

= (مفتخراً، معجَباً بنفسك). وان = وانياً: ضعيفاً، تعِباً. رام: قصد، أراد. في معان (تعبير عاميّ): معونة، عون، مساعدة (أو مثل معانيّ، مثل المعاني التي آتي أنا بها في الشعر). عانِ (فعل أمر من عانى: قاسى، جرّب). برود جمع برد (بضمّ الباء) ثوب من حرير. الرود: الفتاة اللّينة المنعّمة

(١) الأنام: البشر، الناس. عسعس الليل: أقبل ظلامه. وما به هام مستهام هاموا: إذا أحبّ أحد حبّاً شديداً هاموا هم: أحبّوا أن يكثروا التحدّث في شأنه. الهجود: النوم. جودي: ابكي كثيراً.

(٢) الرونق: الجمال. الصقيل: المصقول الناعم (دلالة على أول الشباب). قيلي: قولي. - كان جميع شعري في وصف الجمال. والرسولِ = أقسم بالرسول (محمّد صلّى الله عليه وسلّم). سولي = سؤلي: سؤالي، مطلبي - كل قافية ردهف جزء من القافية الأصيلة: السعيدي = عيدي

مدينةَ جيّانَ إلى وزيرِه أبي جعفرِ الوقّشي فحماها الوقّشي. ثمّ إن ابنَ همشكَ أرسلَ أبا جعفرِ الوقّشيَّ إلى مَراكُشَ، سنة ٥٦٤ هـ، في بعض شؤونه. ويبدو أن الوقّشيَّ مال إلى الموحّدين ومَدَحَ السُلطانَ يوسفَ بنَ عبدِ المؤمن، سَنَةَ ٥٦٦ هـ، بقصيدةٍ يَصِفُ فيها حالَ المسلمين في الأندلس ويدعو الناس إلى الجهاد.

ورَجَعَ الوقّشيُّ من مَرّاكُشَ إلى الأندلس. فلّمّا وصل إلى مالَقةَ تُوُفّيَ فيها، سَنَةَ ٥٧٤ هـ (١١٧٨ - ١١٧٩ م).

٢ - كان أبو جعفرِ الوَقْشيُّ من الوزراء الدُهاة المقتدرين، وكان أديباً شاعراً بَرَعَ في الوصف والمدح والأدب (الحكمة).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو جعفرِ الوقّشيُّ في كِتْمان السِر:

ومُسْتَوْدِعٍ عِندي حديثاً يَخاف من ... إذاعته في السِرّ إنْ يَنْفَدِ العُمْرُ(؟).
فقلتُ له: لا تَخْشَ مِنّي فضيحةً ... لسرٌ غدا مَيْتاً وصدري له قبر.
على أنّ مَنْ في القبرِ يُرجى نُشورُه؛ ... وسِرُّكَ ما يُرجى له أبداً نَشْرُ!

- وقال يمدَحُ أبا يعقوبَ يوسفَ سُلطانَ الموحّدينَ بقصيدةٍ مطلَعُها: «أبتْ غيرَ ماءٍ بالنخَيلِ وُروداً» جاء فيها:

ألا ليتَ شِعري، هَل يُمَدُّ لِيَ المَدى ... فأُبصِرَ شَمْلَ المُشركينَ طريدا[1].
ويغزو أبو يعقوبَ في شَنْتِ ياقِبٍ ... يُعيدُ عَميدَ الكافرين عَميدا[2]،
ويُلقي على إفرِنْجِهِم عِبءَ كَلْكَلٍ ... فيترُكَهم فوقَ الصعيد هُجودا[3]،
ويَفْتَكُ من أيْدي الطُغاة نواعِماً ... تَبَدّلْنَ من نَظْم الحُجول قيودا[4]،

---

(١) أن يمدّ لي المدى: هل يطول عمري.
(٢) شنت ياقب: بلدة في أقصى الشمال الغربي من جزيرة ايبيرية (إسبانية) كانت معقل الإفرنج الإسبان. يعيد = فيعيد. عميد: رئيس. عميد = معمود: مضروب بالعمود (قتيل).
(٣) عبء (ثقل) كلكل (صدر): شدة الحرب. الصعيد: التراب (الأرض). هجوداً: نائمين (قتلى).
(٤) افتكّ = فكّ: أطلق سراح (الأسرى). نواعم: نساء شابّات. الحجل (بفتح الحاء أو كسرها): الخلخال.

وأقبلْن في خُشْنِ المُسوحِ؛ وطالَما سَحَبْنَ من الوَشْيِ الرقيقِ بُرودا(١).
وغَبَّرَ منهنّ الـــترابُ ترائبــاً، وخدّدَ منهنّ الهَجير خدودا(٢).
حَمَلْتُ إليه من نظامي قــلادةً يُلَقِّبُها أهلُ الكلام قصيدا(٣).
غَدَتْ يومَ إنشادِ القريض وحيدةً، كما قَصَدَتْ في المعلُوات وحيدا(٤)!

- وحضر يوماً قتل أسدٍ (مصارعة أسد) فقال:

جَهْمُ المُحيّــا إنْ تبسّمَ هِبْتَــه؛ ومن العجائب هيبةُ المُتَبسّم(٥).
وكأنّما هو ناظرٌ عن زِئْبَـــقٍ، وكأنّما هو كاشرٌ عن مِخْـذَم(٦).
وكــأنّ لِبدتَــه بقيّـــةُ فَرْوةٍ قَصُرَتْ على طول الزمان الأقدم(٧).
لَـــا تمرّدَ في العَرينـــةِ فُتّحَـتْ أبوابُها فانسابَ مِثْلَ الأرقم(٨).
وعــلا زئـيرٌ منه حتّى خِلْتُه كالفحـل يَهْدُرُ عند شُول هيَم(٩)،
وظَنَنْتُ أنّ الرعدَ من حيثُ الحيا، حتّى سمعتُ اليومَ رعداً من فَم(١٠).

---

(١) المسح (بكسر الميم): ثوب أسود من جلد (أو من نسيج خشن). البرد (بضمّ الباء): ثوب من حرير. الوشي: الزخرف في النسيج. سحبن برودا: سرن مختالات فخورات.
(٢) الترائب: جوانب الصدر. خدّد: شقّق. الهجير: وقت اشتداد الحرّ.
(٣) من نظامي: من نظمي، من شعري (من صنعي). قلادة: عقد يلبس في العنق (قصيدة، صنعاً جيلاً).
(٤) القريض: الشعر. المعلوات جمع معلاة: الشرف، والمعلاة مقبرة في مكة.
(٥) جهم: عابس. المحيّا: الوجه. هاب: خاف.
(٦) ناظر عن زئبق: تتحرّك عيناه بسرعة يميناً ويساراً (من الغضب أو الحذر). كاشر: فاتح فمه مظهراً أسنانه. مخذم: سيف.
(٧) اللبدة: شعر حول رقبة الأسد (الذكر). الفروة: ثوب صوف سابغ سميك. بقيّة فروة (يشبه الشاعر لبدة الأسد بالفروة التي قصرت بعد مرور زمن عليها).
(٨) العرين والعرينة: مأوى الأسد (والمقصود هنا: القفص الذي كان فيه ذلك الأسد). تمرّد في العرينة: اشتدّت حركته يريد الخروج (للصراع). الأرقم: الحيّة.
(٩) الزئير: صوت الأسد. خال: ظنّ. الفحل: الذكر التامّ الخلقة والقوي (من الحيوان والإنسان). هدر الفحل: صوّت (من الهياج أو الغضب). الشول جمع شائلة: الناقة ترفع ذنبها في موسم اللقاح. الهيّم يقصد الهيّام (بضمّ الهاء): العشّاق، العطاش (الراغبات في اللقاح).
(١٠) الحيا: المطر. - كنت أظنّ أن الرعد يصدر عن السحاب فقط، وقد سمعت الآن رعداً من فم (الأسد).

وتناولــتْ زُرْقُ الأسِنَــةِ زرْقَــه   حتّى بدا في شكله كالشَّيْهم[1] .

٤ - ★★ الحلّة السيراء ٢ : ٢٥٧ - ٢٦٧ ؛ الذيل والتكملة ١ : ١٩٧ - ٢٠١ ؛ نفح الطيب ٤ : ٤٧٧ - ٤٧٨ ؛ نيكل ٣٢٦ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٤٢ .

أبو بكر بن خير الإشبيليّ

هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ خيرِ بنِ عُمَرَ بنِ خليفةَ، وُلِدَ في إشبيلية سَنَةَ ٥٠٢ هـ (١١٠٨ - ١١٠٩ م) وبدأ تلقّيَ العِلمِ فيها. ثمّ إنّه قضى حياتَه بالتطوّفِ في بُلدانِ الأندلس في طَلَبِ العلم: غادر إشبيليةَ (٥٢٧ هـ) فكان في قُرطبةَ (٥٢٩ هـ) والمَرِيَّةِ وطَريفَ (٥٤٠ هـ) وشِلْبَ (٥٤٩ هـ) ومورور (٥٦٣ - ٥٦٤ هـ). ويبدو أنّه كان في أثناء ذلك يعودُ مرّة بعدَ مرّةٍ إلى إشبيليةَ (٥٣٥ هـ، مثلاً).

وفي سَنَةِ ٥٧٢ هـ تَولّى أبو بكرِ بنِ خيرِ - وكان قد ضَعُفَ جِسْمه بتقدّمِهِ في السِنّ - الإمامةَ في جامعِ قُرطبةَ. وكانت وفاتُه في قُرطبةَ في رابعِ ربيعِ الأولِ من سَنَةِ ٥٧٥ هـ (١١٧٩/٨/٩ م) ثمّ نُقِلَ رُفاتُه إلى إشبيلية.

قضى أبو بكرِ بنُ خيرٍ حياتَه كلَّها في طَلَبِ العِلم، فلا غروَ إن عَزَّ نظيرهُ في هذا الباب. وقد صنّف ابنُ خيرٍ فِهرِسْتاً للكتبِ التي قرأها على شيوخِ العلم والأدب في بلدانِ الأندلس. هذا الفهرستُ اليومَ ذخيرةٌ ثمينةٌ بما فيه من تراجمِ أولئك الشيوخ ومن وَصْفِ كُتُبِهِمُ التي بلغت في هذا الفِهرستِ ألفاً وخَمْسَةً وأربعين كتاباً. ولا ريبَ أن ثمّتَ كتباً لم يَصِفْها ابنُ خيرٍ في « فهرسته » لأنّها غابتْ عنه أو لأنه لم يجدْها خليقةً بالوَصْفِ إلى جانب الكتبِ التي وَصَفها.

- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة....... أبو بكر محمّد بن خير.....

(١) زرق الأسنّة: الأسنّة (رؤوس الرماح والسهام): الأسنّة الصافية اللامعة لمضائها وقوّتها على الطعن والقطع الخ. زرقه (ليس في القاموس معنى يوافق هذه الكلمة في موضعها هنا. في القاموس: « زرقه » بالنصل: رماه به. فيكون « زرقه » هنا - بفتح الزاي - مسافة جسم الأسد التي يمكن أن تصاب بالنبال). الشيهم: القنفذ الذكر (أصبح جسم الأسد مملوءاً بالنبال كجسم الشيهم المغطّى بالشوك).

الإشبيلي (تحرير قداره ورباره وطرّاغو)، سرقسطة (مطبع قومس) ١٨٩٣ م؛ طبعة ثانية (بإشراف زهير فتح الله)، بيروت، بغداد، القاهرة (المكتب التجاري، مكتبة المثنى، مؤسّسة الخانجي) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م.

** الوافي بالوفيات (رقم ٢٣٩)؛ التكملة ١ : ٢٤٠؛ المنّ بالإمامة ٣٠١ - ٣٠٢؛ وفيات ابن قنفذ ٢٨٧؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٥٢؛ تاج العروس (الكويت) ١١ : ٢٤٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٨٣٧؛ بروكلمن ١ : ٦٥٨؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣٥٤ (١١٩)؛ بغية الوعاة ٤١؛ سركيس ٤٥٠.

اليَسَعُ بنُ عيسى

١ - هو أبو يحيى اليَسَعُ بنُ عيسى بنِ حَزْم بن عبدِ الله بنِ اليَسَعِ بنِ عبدِ الله الغافقيُّ، وُلِدَ في جيّانَ؛ وانتقل أبوه من جيّانَ إلى المَرِيّة، ثمّ سَكَنَ في بَلَنْسِيَةَ وبَعْدَها في مالَقَةَ.

كان اليَسَعُ بنُ عيسى قد أخذَ القراءاتِ عن أبيهِ وعن أبي العبّاس القَصَبي وسِواهما، كما سَمِعَ (الحديث) من أبي عبدِ الله بن زُغيبةَ، سَمِعَ منه صَحيحَ البُخاريِّ وصحيحَ مُسْلِمٍ. ثمّ أخذَ عن نَفَرٍ كثيرين. وقدِ اتّخذَه بعضُ الأمراء في شَرْقِيِّ الأندلُسِ كاتباً.

وفي سَنَةِ ٥٦٠ هـ (١١٦٤ - ١١٦٥ م) رَحَلَ اليَسَعُ بن عيسى إلى مِصْرَ فسَكَنَ الإسكندريةَ ثمّ انتقَل إلى القاهرة. ولمّا قَضى صَلاحُ الدين الأيّوبيُّ على الخِلافةِ الفاطمية، كان اليَسَعُ بن عيسى أوّلَ مَنْ خَطَبَ على منابرِ مِصْرَ بالدعوةِ العبّاسية، في المُحَرّمِ مِنْ سَنَةِ ٥٦٧ (أيلول - سبتمبر ١١٧١ م) ولم يَجْسُرْ أحدٌ قبله على ذلك. من أجلِ ذلك عَلَتْ مكانَتُهُ عندَ صلاح الدين.

وكانتْ وفاةُ اليَسَعِ بنِ عيسى في القاهرة، في ١٩ رَجَبَ مِنْ سَنَةِ ٥٧٥ (١١٧٩/١٢/٢٠ م).

٢ - كان اليَسَعُ بنُ عيسى مُقرئاً ومُحَدِّثاً وفقيهاً ومؤرّخاً وشاعراً وخطيباً. ولكنّ

كتاب المُغْرب يقولُ فيه (٢ : ٨٨): « نثرُهُ كَزٌّ ثقيلٌ، ونَظْمُه مَغْسولٌ[١] ليس عليه طَلاوةٌ، وكأنّه أرادَ مُعارضة كِتاب القلائد[٢] ». وهو مُصَنِّفٌ له كِتابُ « المُغْرب في آداب المغرب »[٣] صَنَّفه بِمِصْرَ لصلاح الدين الأيّوبي.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال صدرُ الدين أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ محمّدٍ الأصفهانيُّ السِّلَفيّ المتوفّى سَنَةَ ٥٧٦ هـ (أخبار وتراجم أندلسية ١٤٩): أنْشَدَني أبو يحيى اليسعُ بنُ عيسى بديار مِصْرَ لنفسهِ:

قُلْ لمن تاهَ بدُنْياً ساعَدَتْهُ ... وتَرقّيّ فوقَ أفلاكِ المعالي:
ذاك قُطْبٌ يَقْلِبُ العاليَ سُفْلاً، ... ويَرُدّ السُّفْل في الأغلبِ عالي.
لو توسّطتَ سَماه كنتَ نَجْماً ... آمِناً من صَرْفهِ في كلّ حال.

- وقال اليسعُ بنُ عيسى في كتابِ المُغرِب عند ذكر مدينةِ شَنْتَرَةَ[٤] (نفح الطيب ١ : ١٦٤):

إنّ مِنْ خَواصِّها أنّ القَمْحَ والشعيرَ يُزْرعان فيها ويُحْصدان عند مُضيّ أربعينَ يوماً، وأنّ التُّفّاحَ فيها دَوْرُ كلِّ واحدةٍ ثلاثةُ أشبارٍ وأكثرُ. قال لي أبو عبدِ الله الباكوريُّ، وكان ثِقَةً: أبصرتُ عند المُعْتَمدِ بنِ عبّادٍ رجلًا من أهلِ شنترةَ أهدى إليه أربعاً من التفّاح ما يُقِلُّ الحاملُ على رأسهِ غيرَها[٥]، دَوْرُ كلٍّ واحدةٍ خمسةُ أشبارٍ. وذَكَرَ الرجلُ أنّ المعتادَ عِنْدَهم أقلُّ من هذا. فإذا أرادوا أن يجيء (التفّاح) بهذا العِظَمِ قطعوا أصلَها[٦] وأبقَوْا منه عَشْراً أو أقلَّ وجعلوا تَحْتها دِعامات من الخشب.

---

(١) نظمه (شعره) مغسول: ليس فيه شيء من أوجه البلاغة (لا جناس ولا استعارة ولا غيرها).
(٢) معارضة (محاكاة، تقليد) القلائد (كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان).
(٣) المغرب ٢ : ٨٨. ولعنوان هذا الكتاب قراءات أخرى.
(٤) شنترة: بلدة في غربيّ الأندلس (البرتغال اليوم).
(٥) ما يقلّ (يستطيع أن يحمل) الحامل على رأسه غيرها.
(٦) أصلها (كذا في المصادر). اقرأ: أُكُلَها (بضمّ الهمزة والكاف): ثمرها.

٤-★★ التكملة (رقم ٢١١٢)؛ أخبار وتراجم أندلسية ١٤٩؛ المغرب ٢: ٨٨؛ معجم الصدفي ٣٢٢ - ٣٢٣ (رقم ٣١٥)؛ شذرات الذهب ٤: ٢٥٠؛ نفح الطيب ١: ١٦٤، ٢: ٣٧٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٢٤٨ - ٢٤٩ (٨: ١٩١).

الوهرانيّ صاحب المنامات

١ - هو الشيخُ رُكْنُ الدينِ (أو جمال الدين)[1] أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ مُحْرِزِ بنِ محمّدٍ الوهرانيُّ (نسبةً إلى وَهرانَ، في الجزائر) المَغْربيّ. رَحَلَ إلى المشرق، نحو ٥٥٠ هـ: خرج من وهرانَ ومرّ بجزيرة صِقِلّيَةَ ثمّ انتقل إلى الشام وطاف بعددٍ من بلدانها واستقرّ في دِمَشْقَ، وذلك في أيام نور الدين محمودِ بنِ زَنْكي (٥٤١ - ٥٦٩ هـ). وفي سَنَةِ ٥٥٥ هـ ذهب إلى بَغْدادَ طلباً للتكسُّبِ بشعرِه فيما يبدو، لأنّ بَغْدادَ دارُ الخلافة. ولكنّه لم يوفّقْ في الأغلب فعاد إلى دِمَشْقَ في ٥٥٦ هـ وبعدَ رجوعِه من بَغْدادَ تولّى الخَطابةَ في داريّا (وهي قريةٌ في الغوطة على مقرُبَةٍ من دِمَشْقَ).

وزار الوهرانيُّ مصر مرّتين على الأقلّ. يبدو أنّه زارَها في المرّة الأولى للتكسّبِ بالشعرِ وللدخول في ديوانِ الإنشاء، وذلك في أيام السُلطانِ صلاحِ الدين الأيوبيّ (٥٦٤ - ٥٨٩ هـ). فلمّا رأى فيها القاضيَ الفاضلَ (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ) والعِمادَ الكاتبَ الأصفهانيَّ (٥١٩ - ٥٩٧ هـ) وتلك الحَلْبة من أمثالِها في مَيْدان الإنشاء عادَ إلى دِمَشْقَ. ثمّ إنّه زار مصر مرّة أخرى أو أكثر من مرّة وتطوّف فيها وعمل في التجارة، ولكنّ حظَّه من التكسّب بالتجارة لم يكن أوْفَرَ من حظّه في التكسُّب بالشعر.

وكانت وفاةُ الوهرانيّ في داريّا، سَنَةَ ٥٧٥، في الأغلب - وقد وَصَلَ خبرُ وفاتِه إلى القاهرة في سابعَ عَشَرَ رَجَبَ (١٨/ ١٢/ ١١٧٩ م) - أو في سَنَةِ ٥٧٤. ولعلّه لم يُعَمَّرْ طويلاً.

٢ - الوهرانيّ أديبٌ متعدِّدُ نواحي الشخصيةِ، له مشاركةٌ في الأدب والفِقه والعلمِ والفلسفة، وله معرفةٌ بألفاظِ الفِرَقِ الإسلامية الظاهرية والباطنية، ويبدو أنّ له

(١) لعله اتخذ هذا اللقب لما استقرّ في المشرق.

اطّلاعاً على علم الفَلَك. وهُوَ يُصرّفُ كلَّ ذلك في آثاره الكتابية. ثمّ هو مُنشِئٌ ظريفٌ بارعٌ في وجوه الصِناعة اللفظيّة خاصّةً، غيرَ أنّه يَتّكئ على تعابيرِ بديع الزمان الهَمَذانيّ (ت ٣٩٨ هـ) كثيراً وعلى تعابيرِ الحريريّ (ت ٥١٦ هـ) قليلاً. ولا ريبَ في أنّه أدنى في الإنشاء طَبَقَةً من الهمَذاني والحَريريّ والقاضي الفاضلِ والعماد الأصفهاني. ومَعَ أنّه عَدَلَ عن طريقةِ هؤلاء وأمثالِهم في الجدّ إلى الهَزْلِ والسُخْرِيَةِ، فإنّه انحدرَ إلى الإسفاف والإحماض المكشوفَيْنِ النابِيَيْنِ، ولم يستطعْ أنْ يسوقَ الهزلَ والإحماض في الكِنايات البريئةِ كما فَعَلَ بديعُ الزمان والحريريُّ مَثَلاً.

ويبدو أنَّ الوهْرانيَّ قد تَرك الكُدْيَةَ أو الاستجداءَ في مقاماته. أما مقاماتُه الوهرانيّةُ فتنوء بترديد مملّ.

وللوهراني نظمٌ عاديٌّ. وعلى آثارِه كُلِّها شيءٌ من الضَّعف.

وكان الوهرانيّ مُتَكَسِّباً قليلَ الاحتفالِ بالمبادئ السامية. ومَعَ كَثْرةِ إيرادِ الأقوالِ الدينية في آثاره، فإنّنا لا نستطيعُ أن ندفَعَ عنه أشياءَ من قِلةِ الوَرَعِ تقتربُ من أنْ تكونَ شواهدَ على زَنْدَقته.

وللوهرانيِّ من الكتب « جليسُ كلّ ظريفٍ » فيه عددٌ من رسائله وفصولِهِ الهزلية. وله « المنامات » وفيه مقاماتُه ورسائله. ولا يتّضح من تحقيق إبراهيم شعلان ومحمّدِ نغش ولا من تصدير عبد العزيز الأهوانيّ إذا كان « الجليس » و « المنامات » كتابين مستقلَّيْنِ أو إذا كانا يَجْمَعان نُصوصاً مُتداخلةً. (وسلَكَ الوهرانيُّ في « المنامات » مسلَكَ أبي العَلاء المَعَرّيّ في « رسالة الغُفران ». - وقد مدَحَ ابنُ خلكانَ هذا الكتّاب).

---

٣ - مختارات من آثاره:

- من المقامة الفاسيّة:

دَخَلْتُ مدينةَ فاسَ في أيامِ أبي العبّاس، فرأيتُها تُجاوِزُ الأوصافَ على طريق الإنصاف. فعَشِقَها شَيْطاني فأقَمْتُها مَقام أوطاني. فحَضَرْتُ يوماً في بَعْضِ بساتينها مَعَ

قومٍ من أهلِ دينها[١]، وفيهم أبو الوليدِ القُرطبي[٢] سُلطانُ الكلامِ يأْمُرُهُ فَيُوالِفُه وينْهاه فلا يُخالفه. وجرَى بَيْنَهم حديثُ أهلِ البلادِ ومن فيها من الأعيان والنِقاد[٣]، فقالوا: يا أبا الوليد، أنتَ حَجَرُ مِحَكّنا وبُودَقَةُ سَبْكِنا[٤]. وها نحنُ سائلوك ففصِّل من يَسْتَحقّ وعَيِّبْ، لِيُمَيِّزَ الخبيثُ من الطيِّب.

فقال: أنا أُوضِحُ إشكالَكُمْ فاسألوا عمّا بدا لكم. فقُلنا: ما تقول في القاضي أبي القاسم[٥]؟ فقال: عَلَمٌ من الأعلام وشيخ الإسلام ومُنْجِزُ الأحكام وحاكمُ الحكّام. غيرَ أنّه - رَحِمَهُ الله - يتَنَاعس للخَصْمَيْنِ فلا يُوقِظُه إلّا صَلْصَلَةُ الكَفَّيْنِ، ولو قَبَضْتَ على أنفِه بالكُلبتين......

قُلنا: فما تقول في ابنِ الأبّارِ[٦]؟ فقال: رَجُلٌ عطّار وبائع أبزار. فإنْ تناولَ غيرَ هذا فهو بَيْطار؛ يتعلّم حِجامة الحَجّامِ في أقفِيَة الأيتام. قلنا: فما تقولُ في ابنهِ أبي بكرٍ[٧]؟ فردَ وَجْهه وقَطَّبَ، وقام على أن يَذْهَبَ؛ وقال: أبا بَخْرٍ[٨] انقلب!

قال الراوي لهذه الحِكاية: فعَنَّفْتُه لهذهِ الغِواية. فقال: إنّي في كلِ هذا معذورٌ، وما هِيَ إلّا نَفْثَةُ مصدور. وأنشد:

إذا أنـا لم أشْكُرْ على الخيرِ أهلَه ولم أذْمُم الحَيْسَ[٩] اللئيمَ المُذَمَّما،
ففيمَ عرفتُ الخيرَ والشرَّ باسمِه وشَقّ لِيَ اللهُ المسامـــعَ والفَما!

قال: فودّعناه وسارَ القومُ، وخَرَجْنا من المدينة في ذلك اليوم.

- من مطلع مقامته التي يصف فيها بغداد:

---

(١) الدين: العادة. أهل دينها (الذين يتّبعون طريقتهم في المعيشة).
(٢) يبدو أن أبا الوليد القرطبي بطل مقامات الوهراني.
(٣) النِقاد (بكسر النون وتخفيف القاف): نوع من الغنم الرديئة.
(٤) حجر المحكّ تختبر به المعادن. البودقة: وعاء تصهر فيه المعادن.
(٥ و ٦ و ٧) أسماء مرتجلة (لا تدلّ على أشخاص بأعيانهم).
(٨) البخر: الرائحة الكريهة في الفم. فردَ - لعلّها: اربدّ: تغيّر لونه.
(٩) الحيس: الأمر الرديء.

قال الوهرانيُّ: لمّا تعذّرتْ مآربي واضْطَربتْ مغاربي، ألقَيْتُ حبلي على غاربي[1] وجعلتُ مُذْهَباتِ الشعر بِضاعتي ومن أخْلاف الأدب رِضاعتي[2]. فما مررتُ بأميرٍ إلّا حَلَلْتُ ساحتَهُ واستَمْطَرْتُ راحتَه، ولا وزير إلّا قرعتُ بابَه وطلبت ثَوابَهُ[3]، ولا بقاضٍ إلّا أخذتُ سَيْبَهُ وأفرغتُ جَيْبَه[4]. فتقلّبَتْ بي الأعصار وتقاذَفَتْ بي الأمصار، حتّى قَرُبْتُ من العِراقِ وسَئِمْتُ من الفِراق. فقصدتُ مدينةَ السلامِ لأقْضِيَ حَجَّةَ الإسلام[5]. فدخلتُها بعدَ مقاساةِ الضُرِّ ومُكابدة العَيْشِ المُرّ. فلمّا قَرّ بها قَراري وانجلى فيها سِراري[6]، طُفْتُها طَوافَ المُفْتَقِدِ وتأمَّلْتُها تأمُّلَ المُنْتَقِد، فرأيتُ بحراً لا يُعْبَرُ زاخِرُهُ ولا يُبْصَرُ آخِرُهُ، وجَنّةً أبدعَ جَنّانُها وفاز باللّذّة سُكّانُها....... وتاقتْ نفسي إلى مُحادثة العُقلاء واشتاقتْ إلى معاشرةِ الفُضلاء، فدلّني بعضُ السادة المَوالي إلى دُكّانِ الشيخ أبي المعالي[7]، وقال: هُوَ بُستانُ الأدب وديوانُ العرب، يَرْجِعُ إلى رأيٍ مُصيبٍ ويَضْرِبُ من كلِّ علمٍ بنصيب. فقصدتُهُ قَصْدَهُ وجلستُ عِنْدَه. وسألني عن حالي وعن طريق انْتِحالي[8]. فقلتُ: إنّي رَجُلٌ غريبٌ وعَهْدي بالسَفَر قريب. فقال: من أيِّ البلادِ خرجتَ وعن أيّها دَرَجْتَ[9]؟ فقلتُ له: من المَغْرب الأقصى والأمدِ الذي لا يُحصى[10]، ومن البلدِ الذي لا تَصِلُ

---

(١) تعذّرت مآربي: استحال عليَّ الحصول على ما أريده (في بلدي). اضطربت مغاربي: تعدّدت أسفاري بين بلد وبلد. ألقيت حبلي على غاربي (على كتفي): سرت في البلاد على غير خطّة مرسومة.

(٢) مذهبات الشعر: القصائد الجياد (تشبيهاً لها بالمعلّقات التي قيل إنّها كانت تكتب بالذهب). الأخلاف جمع خلف (بكسر الخاء: ضرع الناقة). - جعلت أتكسّب بالشعر والأدب.

(٣) استمطرت راحته (كفّه): طلبت منه عطاء (مالا).

(٤) السيب: العطاء. الجيب (في الأصل) مكان العنق من الثوب (وهنا): شبه كيس في ظاهر الثوب أو باطنه توضع فيه الأشياء.

(٥) مدينة السلام: بغداد. حجّة الإسلام: وجوب زيارة بغداد (عاصمة الإسلام السياسية).

(٦) السرار: آخر الشهر القمري (حينما لا يظهر الهلال في السماء). انجلى (انكشف) سراري: بدأ هلالي يبدو في السماء (بدأت حالي تتحسّن).

(٧) الدكّة والدكّان: مرتبة عالية يُجلس عليها. أبو المعالي: (في منامات الوهراني، ص ٢، ح ١): هو غالباً أبو المعالي الكتبي المتوفّى سنة ٥٦٨ هـ.

(٨) انتحالي: تحلّتي (بكسر النون) من المعاش: طريقة تحصيل معاشي.

(٩) درج: بدأ سيره (خرج من طفولته إلى شبابه).

(١٠) الأمد: الغاية والنهاية: وهنا: المسافة. الأمد الذي لا يحصى: لا يعرف قياسه (البعيد).

إليه الشمسُ حتّى تَكِلَّ أفلاكُها وتَضِجَّ أملاكُها[1] ....

قال: كيفَ مَعْرِفَتُكَ بدَهْرِكَ ومَنْ تركتَه وراء ظَهْرك؟ قلتُ له: أمَّا البلادُ فقد قلَّبْتُ جُنوبَها وكشّفت عُيُوبَها[2] . وأمّا الملوكُ فقد لَقِيتُ كِبارَها وحَفِظتُ أخبارَها. فأيَّ الدُّوَلِ تجهَلُ وعن أيِّها تسأل؟...

قال: فما تقولُ في عبدِ المؤمنِ وأولادِه وسِيرتِه في بِلادِهِ[3]؟ فقلتُ: مُؤَيَّدٌ مِنَ السماء خوَّاضٌ للدِماء مُسَلَّطٌ من فوقِ الماء[4]. حَكَّمَ سيفَه في القِمَم وأَعْمَلَه في رِقابِ الأُمم[5]، حتّى خَضَعَتْ له التِيجانُ ودانتْ له الإنسُ والجانّ. فأَغْمَدَ الحِلْمُ شِفارَه وقَلَّمَ العِلْمُ أظْفارَه[6]، فلانَ مَسُّه وهدأ حسّه[7]. ولو أنّ للعلمِ لساناً وللوَرَقةِ إنساناً لتألّمتْ وتظلّمتْ[8] ولأَنْشَدَتْكَ في المَلا قولَ الشيخ أبي العَلا[9]:

---

(١) تكلّ: تتعب. أفلاك جمع فلك (المدار الذي يسير فيه الكوكب). والكلمة هنا مستعملة في غير محلّها. ضجّ: صاح صياحاً يدلُّ على مشقّة أو فزع الخ. أملاك جمع ملك (بفتح الميم: واحد الملائكة). – كان الاعتقاد الوثني اليوناني أن الشمس تسير في مركبة يسوقها ويدفعها أشخاص سماوية.

(٢) الجنوب جمع جنب: طرف، جانب قلّبت جُنوبها الخ: أكثرت من زيارة مناطقها وعرفت كثيراً من أحوالها.

(٣) عبد المؤمن بن عليّ، أمير المسلمين، وأوّل سلاطين دولة الموحّدين (٥٢٤ – ٥٥٨ هـ)، كان له ستّة عشر ولداً من الذكور، منهم أبو يعقوب يوسف، خلفه في الملك (٥٥٨ – ٥٨٠ هـ)– ولم يدرك الوهراني أحداً من سلاطين الموحّدين بعده. ثمّ كان من أبناء عبد المؤمن نفر تولّوا (بفتح اللام) عدداً من المدن في المغرب وفي الأندلس ويظهر أن الوهراني لم يكن ميّالاً إلى دولة الموحّدين لأنّه لم ينل حظوة عند أهلها.

(٤) خواض للدماء: كثير المعارك أو كثير القتل للناس. مسلّط من فوق الماء (؟) السماء (سلطة الله على الناس.

(٥) حكّم سيفه في القمم (قتل كثيراً من رؤساء الناس) وأعمله في رقاب الأمم (ظلم الناس والشعوب وأبادهم).

(٦) الحلم (بكسر الحاء): العقل، سعة الصدر، ضبط النفس. الشفار جمع شفرة (بفتح فسكون): حديدة عريضة مسنونة (سيف). قلّم أظفاره: جعله عاجزاً عن الظلم أو القتل أو الاعتداء.

(٧) لان مسّه: أصبح ظاهره بريئاً لا يدلّ على خطر أو ضرر. راجع قول عنترة:

إنّ الأفاعي وإن لانت ملامسها عند التقلّب في أنيابها العطب.

هدأ (قلّ، بطل) حسّه (بكسر الحاء): الشعور، ولا معنى لها هنا. وحسّه (بفتح الحاء) القتل.

(٨) ... لساناً (يتكلم)... إنساناً (بؤبؤاً للعين) يرى.

(٩) الملا = الملأ: أشراف القوم وجمهرتهم. أبو العلاء المعرّي الشاعر الحكيم والناثر النقّادة (ت ٤٤٩ هـ).

جَلَوْا صارمــــاً وتَلَوْا باطلًا   وقالوا: صَدَقْنـا. فقُلنـا: نَعَمْ[١]!

ولكنَّ السكوتَ عن هذا أرْجَحُ ومُسالمةُ الأفاعي أنجحُ. وعند الله تَجْتَمِعُ الخُصومُ[٢].

- للوهراني جوابٌ طويلٌ على رسالةٍ وردتْ إليه. سَلَكَ الوهرانيُّ في هذا الجواب مَسْلَكَ الترسُّلِ حيناً ومسلكَ المقامةِ أحياناً، ثمّ طواه على مَنامٍ زَعَمَ أنّه رآه. وهذا الجوابُ الرسالةُ المقامةُ طويلٌ يبلُغُ نحوَ سَبْعٍ وعِشرينَ صفحةً (٥٣٠ سطراً) قلّد في بعضِه رسالة الغُفران للمعرّيّ: الشاعر الحكيم والناثر النقادة (ت ٤٤٩ هـ)).

- من هذا الجواب:

.... ثمّ ترتفعُ الضوضاءُ، وإذا بَموْكِبٍ عظيمٍ قد أقبلَ من المَقامِ المحمودِ[٣] كأنّهمُ الشموسُ والأقمار، رُكبانٌ على نَجائبَ من نورٍ يَؤُمّونَ المَشْرعةَ العُظمى من الحَوْض المورود[٤]. فسألْنا عنهم فقيل لنا: هذا سيّدُ المُرسلين، محمّدُ بنُ عبدِ الله، صلّى الله عليه وسلّم، في أصحابِهِ وأهلِ بَيْتِه. فنَجْري خَلْفَه ونُجْهِدُ أنفُسَنا في طلبِهِ. فلم نَصِلْ إليه من شِدّة الزحام. فطَلَعْنا على تَلٍّ مُشرفٍ من جِبَال الأعْرافِ[٥] نَرْقُبُه حتّى عَبَرَ علينا - عن يَمينه أبو بكرٍ وعن يسارِهِ عُمَرُ، وبينَ يَدَيْهِ أولادُه الصِغارُ مَعَ الحَسَنِ والحُسين وعُثمانَ يَقْدُمُهم[٦]. ومِنْ ورائِهِ حَمْزةُ والعَبّاسُ وجَعْفَرٌ وعَقيلٌ[٧]، وبَقيّةُ

(١) جلا: أظهر، أبرز، شهر. الصارم (السيف). وتلا (قرأ) باطلاً (أحاديث غير صحيحة). وقالوا صدقنا: (ادّعَوْا الصواب في أعمالهم) فقلنا نعم (اضطررنا إلى الطاعة).

(٢) أرجح: أثقل (أقرب إلى العقل) الأفاعي: الحيّات. و «عند الله تجتمع (يوم القيامة) الخصوم» عجز (بفتح فضمّ) بيت صدره «إلى ديّان يوم الحقّ نمضي» ديّان يوم الحق (يوم القيامة): الله تعالى.

(٣) المقام المحمود: الجنّة. في القرآن (١٧ : ٧٩، سورة الإسراء) في خطاب الرسول: «عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً» (مقام الشفاعة يوم القيامة).

(٤) نجائب جمع نجيبة (الناقة الكريمة الأصيلة). الحوض المورود (الذي يشرب منه المؤمنون يوم القيامة). المشرعة العظمى (المكان الأرفع في ذلك الحوض).

(٥) الأعراف مكان بين الجنّة والنار

(٦) أبو بكر الخليفة الأوّل ثمّ عمر بن الخطّاب الخليفة الثاني الحسن والحسين ابنا عليّ بن أبي طالب. ثمّ عثمان بن عفّان الخليفة الثالث يقدمهم = يتقدّمهم (يسير أمامهم قائداً لهم) الضمير المستتر في «يقدمهم» يمكن أن يرجع إلى «عثمان».

(٧) حمزة والعبّاس ابنا عبد المطّلب (عمّا الرسول). جعفر الطيّار وعقيل ابنا أبي طالب وأخوَا عليّ

أصحابِهِ يَمشونَ في رِكابِهِ مَعَ المهاجرين والأنصار[1] - وهو يُصغي أحياناً إلى حديثِ عليٍّ عليه السلامُ وتارةً إلى عُثمانَ، وهما فيما بَيْنَهُ وبينَ أولادِهِ الصِغار. والناسُ يَضجّونَ بالبكاء ويُشيرون إليه بالأيدي ويَسْتَغيثون عليه من كلِّ مكانٍ[2].

٤ - منامات الوهراني ومقاماته ورسائله (تحقيق ابراهيم شعلان ومحمّد نغش)، مصر (الجمهورية العربية المتّحدة- وزارة الثقافة: المكتبة العربية: التراث)؛ الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، فرع مصر ١٩٦٨ م.

★★ وفيات الأعيان ٤: ٣٨٥ - ٣٨٦؛ الوافي بالوفيات ٤: ٣٨٦ - ٣٨٩؛ شذرات الذهب ٤: ٢٥٢؛ بروكلمان ١: ٣٢٩، الملحق ١: ٤٨٩؛ أعلام الجزائر ١٧٨؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٤١؛ البحث العلمي ٢: ٦ (سبتمبر ١٩٦٥) ص ١٩٥؛ تعريف الخلف ٤٨٧ - ٤٨٨.

يونس بن محمّد القسطليّ

١ - هو أبو الوليدِ يُونُسُ بنُ محمّدِ القَسْطَلّيّ من أهلِ الجزيرة الخَضْراء (على الساحل الجَنوبيّ للأندلس)، كان كاتباً لبعض الولاة. وقد رَحَلَ إلى المشرق. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٥٧٦ هـ (١١٨٠ - ١١٨١ م).

٢ - أبو الوليدِ القَسطلّيُّ مِن خِيار البُلغاء وشاعرٌ مُكثِرٌ من فُحول الشعراء كان يُقلِّدُ شُعراءَ المشرق. وله مقطّعاتٌ وقصائدُ طوالٌ وأراجيزُ؛ وأكثرُ شعره المديحُ.

٣ - مختارات من شعره:

- قال يونُسُ القسطليُّ يَمدحُ ابنَ عبدِ المؤمن بنِ سعيدٍ (الموحّدي)، وقد جاء إلى البلد (خريدة المغرب ١: ٣٤٨):

---

(١) المهاجرون أهل مكّة من الذين هاجروا مع الرسول من مكّة إلى المدينة. الأنصار أهل المدينة الذين استقبلوا الرسول وأصحابه المهاجرين وحموه (بفتح الميم) وحاربوا معه.

(٢) يستغيثون عليه (؟) يستغيثون عليه (يسترونه من كثرة ازدحامهم حوله). في القرآن الكريم (٧١: ٧، سورة نوح): «واستغشَوْا ثيابهم»: غطّوْا بها رؤوسهم.

أهلًا بمَرْآكَ السعيـدِ ومرحبـا،   اليومَ رَقّ لنـا الزمانُ وأعْتَبا[1].
بكُمُ تَحلّى الدهرُ أحسنَ حِليةٍ   فغدتْ لياليه صباحاً أشْهبا[2]،
وأنـارتِ الدنيـا بهَدْيكُمُ الـذي   أحيا مَشارِقَها وخصّ المَغْربا[3].
ولـه شمائـلُ كالخمائـل جادَهـا   صَوْبُ السحائب عَطّرَتْ نَوْرَ الرُبى[4]؛
ويَشوبُ ذاك مرارةٌ لِمَنِ اعتـدى.   للهِ دَرُّك مـا أمرّ وأعْذبـا!
يَهْتَزُّ للمعروف يفعَلُـه كما   يهتزّ عِطْفُ البان تحتَ يدِ الصَبا[5]؛
ويَهِشُّ نحو المَكْرُمـات سَجيّـةً،   ويمُدّ للمجدِ الذِراع الأرحبا[6].

- وقال يصف غديراً يصبّ في بركة كبيرة:

وفوقَ الدَوْحـةِ الغَنّـا غديرٌ   تـلألأ صفحـةً وسَجا قرارا[7].
إذا مـا انصـبّ أزرقَ مُستقيماً   تَدوّرَ في البُحيرة فاستدارا[8].
يُجَرّدُه فَمُ الأنبوبِ صَلْتـاً   حُسامـاً ثمّ يَفْتِلُـه سِوارا[9]!

٤ - ** التكملة ٤٧١؛ زاد المسافر ٥٧ - ٦١؛ خريدة المغرب ١: ٣٤٨ - ٣٥٠؛ المغرب ١: ٣٢٨؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٤٨ (٨: ٢٦٣).

---

(١) أعتبنا الزمان: أرضانا (صفا لنا).
(٢) أشهب: أبيض.
(٣) الهدي (بفتح الهاء): الهدى (بضمّ الهاء).
(٤) الخميلة: جانب من الروضة فيه أشجار كثيفة كثيرة الزهر. جادها صوب الحيا: هطل عليها مطر كثير. النور (بفتح النون): الزهر.
(٥) العطف: الجانب (هنا: الغصن). البان: شجر أغصانه طوال مستقيمة. الصبا: ريح الشرق.
(٦) يهشّ: يرتاح ويسرّ. سجيّة: طبيعة. الأرحب: الأوسع (هنا: الأطول)، يمدّ للمجد الخ: ينال من المجد ما لا يستطيع غيره أن يصل إليه.
(٧) فوق الدوحة (الشجرة الكبيرة): بعيداً عنها. الغنّاء: الناضرة المملوءة بالورق. غدير: ماء يغادر النهر (بخلاف الرافد: ماء يصبّ في النهر). سجا: سكن، هدأ. قرار: قعر. الملموح هنا أن الماء آت من النهر بأنبوب ضخم.
(٨) أزرق: صاف (غير ممتزج بالهواء حتّى يبدو أبيض).
(٩) الصلت: الواضح، الأملس.

ابن سيد اللصّ الإشبيليّ

١ - هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ علي بنِ عبدِ الملكِ بن سليمانَ الكِنانيُّ المعروفُ بابن سِيدِ اللص[١] الإشبيليُّ، وُلدَ سنة ٥٠٧ هـ (١١١٤ م).

قرأ ابنُ سِيدِ الإشبيليُّ القرآنَ على ابن عَيْشونِ (ت ٥٣١ هـ) وعلى أبي الحسن شُريحِ بن محمّدٍ (ت ٥٥٧ هـ) وقرأ كتابَ سِيبَوَيْهِ (في النحو) على ابن الرمّاك (ت ٥٤١ هـ) مرّتين وقرأ الأدبَ على أبي محمّدِ بنِ عبدِ الغفور (ت ٥٤٢ هـ). ثمّ تصدَّرَ لإقراء اللُّغة والنحو والأدب. وعشق حفصة شاعرة الأندلس.

ولمّا جاء أوّلُ سلاطينِ الموَحّدين عبدُ المؤمن بنُ عليٍّ إلى الأندلسِ وذَهَبَ إليه الشعراء في جَبَلِ الفَتْح (جبل طارق) يمدحونه كان ابنُ سيدِ الأشبيليُّ مَعَهم. وكانت وفاتُه في إشبِيليَةَ سَنَةَ ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) أو في السنة التالية.

٢ - كان ابنُ سيدِ الإشبيليُّ مُقْرِئاً مُحَدِّثاً ومن علماء اللغة والنحو المُبرّزين، كما كان من أهل البلاغة والأدب، ناثراً قديراً وشاعراً بارعاً. وهُوَ من مشهوري شعراء الأندلس. وكان حسوداً متوثّباً بالهجاء على الناس، مُحبًّا لحَوْك المكائد. وهنالك في آثاره عددٌ من الكلماتِ لا يَجْري على المنهج اللغوي القويم.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن السِّيد الإشبيليُّ في النسيب:

كِلْـــني إلى أدْمُـــعٍ تَسْحو ... تكتُـــبُ شَرْحَ الهوى وتَمْحو[٢].
أفْدي التي لو بَغَتْ فساداً ... ما كان بين الأنام صُلْحُ[٣].
صاحيـــةٌ والجفونُ سَكْرى: ... من أسْكَرَتْـــه فليس يصحو.

(١) لقّب بذلك لأنه كان في حداثته يغير على أشعار الشعراء (الوافي بالوفيات ٧: ٢١٨).
(٢) كِلْني (فعل أمر من « وكل- يَكِلُ »: عهد به إلى، تركه. سحا: (انهمر المطر بشدة).
(٣) بغى (أراد).

جـــارَ عليــكِ الأنـــامُ ظُلْماً   سَمَّوْكِ لَيـــلى وأنـــتِ صُبْـــحُ!

- ومن قصيدة له يمدَحُ بها أبا بكرِ بن مزدلي:

نَداكَ الغَيْثُ إنْ مَحْلٌ تَوالى،   وأنتَ اللَّيْثُ إن شَهِدوا القِتـــالا[1].
غَصَبْـــتَ الليـــثَ شِدّةَ ساعِدَيْـــهِ   - نَعَمْ- وَسَلَبْتَ عَيْنَيْهِ الغزالا،
ومـا أفنـى السُّؤالُ لـكم نَوالًا،   ولكنْ جودُكمْ أفنـــــى السؤالا!
نوالٌ طَبَّـــقَ الآفـــاقَ حتّـــى   جَرَى مَثَلًا بهـا وغـدا مِثالا.

- وكان مُغْرًى بهجاء آل فَنْدَلَةَ ظُلْماً فقال فيهم:

الموتُ لا يُبْقي عـــلى مُهْجـــةٍ:   لا أسداً يُبْقي ولا نَعْثَلَـــهْ[2]،
ولا شريفـــاً من بـــني هاشمٍ،   ولا وضيعـــاً لبـــني فَنْدَلَـــهْ.

- وكتب ابنُ سيدِ الإشبيليُّ إلى أبي جعفرِ بنِ سعيدٍ[3] يعتذرُ من وِشايةٍ كانت حُمِلَتْ إليه عنه:

سلامٌ كتَسْنيمٍ[4] على ذلك المقامِ الكريمِ، ورحمةُ الله تعالى وبَركاته، وإن كانَ مَوْلايَ لم يُفاتِحْني بالسلام ولا رآني أهْلًا لِمُقاوَمَةِ الكِرام، لكنْ حَطَّ قَدْرِيَ عندَه ما نُسِبَ لي من الذنْبِ المُخْتَلَق. ولا، واللهِ، ما نَطَقْتُ بلسانٍ ولا كُنْتُ مِمَّن رَمَق[5]؛ بلِ الذي زَوَّرَ لِسَيِّدي في هذه الوِشايةِ كان المُعينَ عليها والمُلِمَّ إليها. فبادَرَ إلَيْكُمْ قبلَ أن أَسْبِقَهُ فاتَّسَمَ بأسْقطِ خِلَّتَيْنِ: النذالةِ الأُولى والوِشايةِ الأُخرى. لولا أنّ المَجالسَ بالأماناتِ وأنّ الخلاعةَ بساطٌ يُطوى على ما كان فيه، لَكُنْتُ أَسْبَقَ منه ولكنّي يأبى ذلك خُلُقي وما تأدّبتُ به......

ولولا ما أخْشَى من التَثْقيل وما أتوقّعُ من الخَجَل إذا الْتَقَى الوَجْهان لأَتَيْتُ

---

(١) المحل (بالفتح): الجدب وانقطاع المطر.
(٢) النعثل: الذكر من الضباع. والنعثلة: الحمق (والشاعر يقصد: الثعلب؟).
(٣) أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي (قتل ٥٥٩ هـ).
(٤) التسنيم: عين في الجنة.
(٥) رمق: تابع الأشياء ببصره (؟).

حتّى أبْلَغتُ في الاعتذار بالْمُشافَهَةِ ما لا يَسَعُ القِرْطاسُ. لكنّي مُتّكِلٌ على حِلْم سَيِّدي وإغضائِه مُتَوَسِّلٌ إليه في الغُفْران بعَلائه......

٤ - ** زاد المسافر ٩٤ - ٩٥؛ الوافي بالوفيات ٧: ٢١٨؛ المغرب ١: ٢٥٢؛ المطرب ٢٠٠ - ٢٠٢؛ المنّ بالإمامة ١٥٥ - ١٥٦، ١٦٨ - ١٧٠، ٤٥٣ - ٤٥٧؛ المعجب ٢١٧؛ بغية الوعاة ١٤٩ - ١٥٠؛ نفح الطيب ٤: ١٩٣، ١٩٦ - ٢٠٤؛ الأعلام للزركلي (١: ١٧٤).

أبو الطيّب المسيليّ

١ - هو أبو الطيّب أحمدُ بنُ الحسين بنِ محمّدٍ المَهْدَويُّ (نسبةً إلى مدينة المَهْديّة، وتسمّى المحمّدية) المَسيليُّ، نِسبةً إلى المسيلةِ في المَغْرب الأوسطِ (الجزائر). وُلِدَ سَنَةَ ٥١٢ هـ (١١١٨ - ١١١٩ م) وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٥٧٨ هـ (١١٨٢ - ١١٨٣ م).

٢ - كان أبو الطيّب المَسيليُّ من أعيان شُعراءِ المغرب الراسخين في الأدب، له مُقَطّعاتٌ حِسانٌ في الغزل. وله مديحٌ ونسيبٌ وخمر.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الطيّب المسيليُّ في النسيب:

خَطَرْتُ على وادي العُذيب بأدمعي، فما جُزْتُـه إلّا وأكثَرُهُ دَمُ[1].
وقد شَرِبَتْ منه كِرامُ جِيادِنا فكادت بأسْرار الهوى تتكلَّمُ[2].
رَحَلْتُم، فهذا الليلُ فيكم فلم يَعُدْ إليّ سواهُ فيكُمُ إذ رَحَلْتُمُ[3].

---

(١) خطرت (مررت عرضاً، اتّفاقاً) على وادي العذيب (نهر العذيب) وأنا أبكي. فما جزته (قطعته) إلّا وقد أصبح أكثر مائه دماً من أدمعي.
(٢) حتّى جيادنا: خيلنا (وهي بهائم) لمّا شربت من وادي العذيب (بعد أن سال دمعي فيه!) أصبحت تتكلّم في الهوى والحبّ.
(٣) منذ ذلك الليل الذي رحلتم فيه لم أنم (ولذلك لا أذكر أنّه جاء ليل آخر بعده).

ومـا أنـا صبٌّ بالنُجوم، وإنّما تُخيّـلُ لي الآفاقُ أنّكُمْ هُمُ[1]!

– وله في النسيب أيضاً:

سلَّمَ إذ مرّ؛ ولي همّـــــــةٌ تَسْتَنْزِلُ الأقمارَ والأنجُما[2].
تَظْما ولا تَرْوى، ولو أنّني ألثَمْتُهـــا وَجْنَتَــه والفَما[3].
هذا كثيرٌ؛ فاشْكُري واحمدي. فكيـــف لو مرّ ومـا سَلّما[4].

٤ – ** المطرب ٤١ – ٤٧.

ابن بشكوال

١ – هو أبو القاسم خَلَفُ بنُ عبدِ الملكِ بن مسعودِ بنِ بَشكُوالِ..... الخَزْرجيُّ الأنصاريُّ القرطبيُّ، أصلُه من شَرَّبْنَ من قرى إشبيلية.

وُلِدَ ابنُ بشكوال في قُرْطبةَ في الثالث من ذي الحِجّة من سَنَةِ ٤٩٤ (١١٠١/٩/٢٩ م) وسَمِعَ كثيراً من الحديثِ والتاريخ في قُرطبةَ وإشبيليةَ على نفرٍ من العلماء منهم أبو محمّدِ بنُ عتّابٍ وأبو الوليدِ بنُ رشدٍ والقاضي أبو بكرٍ بنُ العربي.

وناب ابنُ بَشْكُوال عن القاضي أبي بكرِ بنِ العربيّ في بعضِ جهاتِ إشبيلية ثمّ تولّى عَقْدَ الشّروط ببلده. غيرَ أنّه فضّل أخيراً أن يقتصرَ على إسماعِ العلم.

وكانت وفاةُ ابنِ بشكوال في الثامن من رَمَضان ٥٧٨ (١١٨٣/١/٦ م).

٢ – كان ابنُ بشكوال من علماء الأندلس، وقد كان له نحوُ خمسين مُصَنَّفاً ضاع

---

(١) أنا لا أحبّ نجوم السماء، ولكنّي أسهر كلّ ليلة أتطلّع إليها، لأنّ كل شيء يوهمني أنّها تشبهكم، فأنا أتطلّع إلى ما يشبهكم. أنكم أنتم تلك النجوم لأنكم بعيدون عني مثلها.

(٢ – ٤) في هذه الأبيات حديث بين الشاعر وبين نفسه: تقول نفسه: إنّ المحبوب مَرّ وسلّم فقط (وكان المنتظر أن ينزل ويحادثني). وأنا لا أصبر على مثل هذه المعاملة. فقال الشاعر لنفسه: هذا كثير من المحبوب (مرّ بكِ ثمّ سلّم عليكِ)، فاحمدي الله على ذلك. لقد كان بالإمكان أن يمرّ ولا يسلّم أو ألا يمر أيضاً!

مُعْظَمُها فمن كتبه: الصِلَةُ في أخبار أئِمّة الأندلس (وهو استمرار لكتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفَرَضي) - تاريخ صغير في أحوال الأندلس - أخبار قضاة قرطبة - كتاب الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة (وهو مختصر لكتاب المنتخب من تاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة بطُلَيطلة لأبي جعفر بن مُطاهر) - كتاب الغوامض والمُبهمات (في أسماء نفر من رجال الحديث) - جزء صغير ذكر فيه الذين رَوَوْا كتاب الموطّأ عن الإمام مالك نفسه - كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمّات والحاجات الخ - أصحاب الأندلس (نفح الطيب ٣: ١٨١) - التنبيه والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين (نفح الطيب ٣: ٦٤، راجع ١٠ و ٦٠).

٣ - من مقدمة «الصلة» لابن بشكوال:

.... أمّا بعدُ، فإنّ أصحابَنا - وَصَلَ الله توفيقَهم ونَهَجَ إلى كُلِّ صالحةٍ من الأعمال طريقَهم - سألوني أن أصِلَ لهم كتاب القاضي الناقدِ أبي الوليدِ عبدِ الله بن محمدِ بنِ يوسفَ الأزديِّ، الحافظِ المعروفِ بابن الفَرَضيِّ رَحِمَهُ اللهُ[1].... وأنْ أبتدىء من حيثُ انتهى كتابُه وأين وَصَلَ تأليفُه مُتّصلاً إلى وقتِنا.

وكنتُ قد قيدتُ كثيراً من أخبارِهم[2] وآثارهم وسِيَرِهِمْ وبُلْدانهم وأنسابِهم ومواليدهم وَوَفَياتِهم، وعَمّنْ أخذوا مِنَ العُلماء ومَنْ رَوَى عنهم من أعلامِ الرُواة وكِبارِ الفقهاء. فسارَعْتُ إلى ما سألوا وشَرَعْتُ في ابتدائه على ما أحبّوا، ورتّبتُه على حروفِ المُعجَمِ ككتابِ ابن الفَرَضيّ وعلى رَسْمِه وطريقته. وقَصَدتُ إلى ترتيب الرِّجالِ - في كُلّ بابٍ - على تقادُمِ وَفَياتِهم، كالذي صَنَعَ هو رحمه الله. ونسبْتُ كثيراً من ذلك إلى قائلِه، واختصرتُ ذلك جُهْدي. وقدّمتُ هنا ذِكْرَ الأسانيدِ إليهم مَخافةَ تَكْرارِها في مواضِعِها[3]..... وكثيراً من ذلك ما سألتُ عنه شُيوخَنا وثِقاتِ

---

(١) ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ).

(٢) .... من أخبار الأشخاص الذين أريد جمع أخبارهم في كتابي المقترح.

(٣) ذكر ابن بشكوال الرواة الأساسيّين الذين أخذ عنهم في مقدّمة كتابه كيلا يضطرّ إلى تكرار ذكرهم مع كلّ شخص أخذ عنهم خبراً من أخباره.

أصحابِنا وأهلِ العِنايةِ بهذا الشأنِ ومَنْ شُهِرَ منهم بالحِفْظِ والإتقان وقد نَسَبْتُ ذلك إلى من قالَه لي منهم، إلّا ما لَحِقْتُه بِسِنّي[1] وشاهدتُه بنفسي وقيّدتُه بخطّي، فلَسْتُ أُسْنِدُه إلى أحدٍ وأقْتَصِرُ في ذلك على ما عَلِمْتُه وتحقّقتُه

٤ - كتاب الصلة في تاريخ أئمّة الأندلس (كوديرا)، مدريد ١٨٨٢ - ١٨٨٣ م؛ (عزّة العطّار)، القاهرة وبغداد (مكتبة الخانجي ومكتبة المثنّى) ١٩٥٥ م راجع نقد الكتاب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢ : ٢٨٨ .

** الصلة ٦٥٠؛ التكملة لكتاب الصلة ١ : ٥٤ (رقم ١٧٩؛ معجم ابن الأبار ٨٢ - ٨٥؛ المغرب ٢ : ٢٩٨ - ٢٩٩، ٣٤٢ - ٣٥٣؛ وفيات ابن قنفذ ٢٩٠؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢٤٠ - ٢٤١؛ الديباج المذهب ١١٤؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٦١؛ نفح الطيب ١ : ٢٣٠ - ٢٣١، ٤٦٣ - ٤٦٦؛ ٥٤٦ - ٥٤٧، ٥٥٠ وما بعد، ٥٥٥ - ٥٥٦، ٥٦٠، ٥٦٢ - ٥٦٣، ٢ : ٥٣ - ٥٤، ١٢٩، ٣: ١٠، ٦٠، ٦٤، ١٨١ (نقول وإشارات مفيدة)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣٣ - ٧٣٤؛ بروكلمن ١ : ٤١٥، الملحق ١ : ٥٨٠؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٣٥٩ (٣١١)؛ بالنثيا ٢٧٣ - ٢٧٧؛ المكتبة العربية الصقلية ٥٨٧ - ٥٧٩؛ سركيس ٤٦ - ٤٧ .

الخزرجيّ الصقلّيّ[2]

١ - هو أبو عُمَرَ عُثمانُ بنُ عليِّ بنِ عُمرَ الخزرجيُّ الأنصاريُّ السرقوسيُّ الصِقلّيُّ النحويُّ المُقرِئ، أصلُه من الخَزْرج الأنصارِ أهلِ المدينة ومَوْلدُه أو مسكنه في سَرَقوسةَ عاصمةِ صِقلّيةَ. ويجب أن يكونَ الخزرجيُّ الصقلّيّ قد عاش طويلًا حتّى أمكنَ أنْ يتّصل بالذين اتّصلَ بهم على تباعُدِ أزمانهم.

قرأ الخزرجيُّ الصقلّي القرآنَ الكريمَ على الحسنِ بنِ خَلَفِ بنِ بَلّيمَةَ القيروانيّ (ت ٥١٤ هـ) وابن الفحّام الصِقلّي (٤٢٢ - ٥١٦ هـ) وغيرِها. ثمّ إنّه غادرَ صِقلّيةَ

(١) لحقته بسنّي (عمري): أدركته وهو حيّ.

(٢) للخزرجي الصقلّي ترجمتان في معجم الأدباء (١٢ : ١٣٠ وما بعد)، رقمها ٣٨ و ٣٩.

فمرّ بالقيروان واتّصل بالمُرتضى يحيى بنِ تميمِ ابنِ باديسَ الصِنهاجيّ ملكِ القَيْروان (٤٥٣ - ٥٠١ هـ). ثمّ انتقل إلى مِصْرَ ولازمَ الحافظَ أبا طاهرٍ أحمدَ بنَ محمّدٍ السِلَفي (٤٧٨ - ٥٧٦ هـ) في أثناء إقامة السِلَفيّ في مِصْرَ (معجم الأدباء ١٢ : ١٣١) فقرأ على السِلفي وعلى من كان السِلفي قد قرأ عليهم كمحمّدِ بن بَركاتٍ المِصري اللُّغوي (٤٢٠ - ٥٢٠ هـ) وأبي صادقٍ مُرشدِ بنِ يحيى المَدَني المِصْريّ الذي درس عليه في مِصْرَ ابنُ سعدونِ القُرْطُبيّ[1] (ت ٥٦٧ هـ) وكالفرّاء المَوْصِليّ أبي الحُسينِ عليّ بن الحسين بن عمر (وفيات الأعيان ٦ : ٦٧ ؛ ٧ : ٣٣٢) في مصر. ثمّ صارت له حَلْقةٌ في جامع عَمْرو (في مصر القديمة) فروى عنه، سنة ٥١٧ هـ، أبو طاهرٍ أحمد بن محمّد السلَفي[2] (الذي سبق أن قرأ عليه الخزرجيُّ الصقلّي نفسُه) وابن برّيّ النحوي (٤٩٩ - ٥٨٢ هـ). وكان السلفي في مصر فبنى له الأمير العادل وزير الظافرِ العُبيديّ مدرسةً في الإسكندرية سَنَةَ ٥٤٦ هـ. وقال القِفْطيّ (إنباء الرواة ٢ : ٣٤٢ - ٣٤٣): «وكان (الخزرجيّ الصقليّ) قريباً من زماننا في المِائةِ السادسة للهجرة». مِنْ كُلِّ ما تقدّمَ هنا نَميل إلى القولِ بأن الخزرجيَّ الصقلّي قد عاش بين سَنَةِ ٤٩٠ و ٥٨٠ هـ (١٠٩٧ - ١١٨٥ م).

٢ - كان الخزرجيُّ الصِقلّي عالماً باللغة والنحو مُقرئاً للقرآن. وله شعرٌ على النَهج المَشْرقيّ بينَ التقليدِ والجَوْدة. وله نثرٌ خيرٌ من شعرِه. أمّا نقدُه فجيّدٌ (راجع المختارات). ثمّ هو مُصَنِّف، له: حاشيةٌ على كِتاب الإيضاح[3] أو شرح الإيضاح وهي غاية في الجودة - مخارجُ الحروف (مختصر) - مختصر في القوافي (وهو الذي رواه السلفي عن الخزرجيّ الصِقلّي) - مختصرُ عُمدةِ ابنِ رشيقٍ (وقد زادَ فيه أشياء كان ابنُ رشيقٍ قد أخلّ بها) - كتابٌ فيه نثر ونظم (له).

٣ - مختارات من آثاره:

- كَتَبَ أحمدُ بنُ سِلَفَةَ (السلفي) إلى الخزرجيّ الصِقلّي كِتاباً فيه شيء من النظم

(١) ابن سعدون القرطبي (ت ٥٦٧ هـ) درس على أبي صادق المدني (وفيات الأعيان ٦ : ٧٦ و ١٧١).

(٢) روى السلفي عن الخزرجي كتاباً مختصراً في القوافي (معجم الأدباء ١٢ : ١٣٧).

(٣) الكتب المسمّاة «الإيضاح» كثيرة جدًّا، ذكر بروكلمان منها (راجع فهرست بروكلمان، الملحق ٣ : ٩٠٧ - ٩٠٨) نحو خمسة وعشرين (معرفة باللام، غير المضافة إلى ما بعدها).

منه « ما وَقَعَتْ عيني على مِثْلِهِ ». فأجابَ الخزرجيُّ الصقلّي بقولٍ منه:

وَقَفتُ على ما تَفَضَّلتْ بهِ حَضْرتُهُ وانْتَهَتْ إليه من الآداب هِمَّتُه. فمِنْ نثرٍ رأيتُ العِلمَ مضمونَه، والدُرَّ مكنونَه، والحِكمة قرينَه[١]؛ ومِنْ نظمٍ كانتِ الفصاحةُ يمينه وفصلُ الخطابِ عِرْنينه[٢]. وودَّ فصيحُ الكلام أن يكونَه، وأحيا القلوبَ وكشف المحجوبَ

تَوَّجَنِي مَوْلايَ مِنْ قَوْلِهِ تاجاً علا التِيجانَ من قَبْلِه[٣]
لأنّها تَبْلى، وهذا إذا مرّتْ بهِ الأيّامُ لم تُبْلِهِ[٤].
فعِلْمُهُ يُشْتَقُّ من لَفظِهِ، ولفظُهُ يُشتقّ من فَضلِهِ.
تكاملتْ أوْصافُهُ كلُّها، ومثلُهُ مَنْ كانَ مِنْ مثلِهِ[٥].

- وله من الشعرِ مَعَ شيءٍ من النَقدِ. قال:

يهونُ عليها أن أبيتَ مُتَيَّما وأُصبحَ محزوناً وأُضحِيَ مُغْرَما.
صِلِي مُدْنَفاً أو واعِديه وأخْلفي فقدْ يَتَرجّى الآلَ من شَفَّه الظما[٦].
ضَمانٌ على عَيْنَيْكِ قَتْلِي، وإنّما ضَمانٌ على عَيْنيّ أن تَبْكِيا دَما[٧].

ثمّ قرأتُ بعدُ ديوانَ البُحتري فوجدتُ مُعْظَمَ هذه الألفاظِ مُبَدّدَةً فيه. فإذا كانتْ أكثرُ المعاني يشتركُ فيها الناسُ حتّى قَطَعَ ابنُ قُتَيْبَةَ[٨] أنّ قولَه تعالى « يُريدُ أن

---

(١) مضمونه (ما كان ضمنه، فيه) ومكنونه (ما كنّ، اختبأ فيه) وقرينه (المربوط معه، المساوي له).

(٢) يمينه (أحسن قسميه وأقواها، في مقابلة شماله بكسر الشين). فصل الخطاب: القول أو الرأي الصحيح البات الجازم. العرنين: أعلى الأنف (عرنين الشيء: أفضله).

(٣) كان أسمى وأغلى من جميع التيجان السابقة (تيجان الملوك).

(٤) بلي (بكسر اللام) يبلى (بفتح اللام) الشيء: تهرّأ.

(٥) ليس في البشر رجل كامل الأوصاف إلّا إذا كان مثل هذا الممدوح.

(٦) صلي (بكسر الصاد واللام) واصلي، أنعمي بالوصل أو اللقاء على المحبوب. المدنف: الذي مرض من الحبّ وأشرف على الهلاك. واعديه: اقطعي له وعداً أو عهداً. اخلفي: انكثي في وعدك. الآل: السراب. شفّه: أنحله (جعل جسمه ناحلاً أو نحيلا: ضعيفاً). الظمأ: العطش.

(٧) ضمان (هنا) عزم وتأكيد.

(٨) ابن قتيبة ناقد مشرقي (ت ٢٧٦ هـ) له كتاب الشعر والشعراء.

يَنْقَضَّ »[1] لا يُعَبَّرُ عنه إلّا بهذه العِبارةِ ونَحْوِها فغيرُ مُسْتَنْكَرٍ أنْ يشتركوا[2] أو تتّفق ألفاظهم في العبارة عنها. ولكن أبى المُوَلَّدونَ إلّا أنّها سرقة[3].

- وله في الغزل:

رحلــتْ فعلّمــتِ الفؤادَ رحيــلا   وبكــتْ فصيّرتِ الأسيلَ مسيلا[4].
وإذا المحبُّ أراد قتلَ حبيبـهِ   جعـلَ الفراقَ إلى المماتِ سبيلا!

٤ - * * معجم الأدباء ١٢: ١٣٠ - ١٣٥ ثمّ ١٣٥ - ١٤١ (ترجمة مكرّرة)؛ إنباه الرواة ٢: ٣٤٢ - ٣٤٣؛ البلغة ١٣٩؛ بغية الوعاة ٣٢٣؛ المكتبة العربية الصقلية ٦٧٦.

ابنُ الفَرّاء الضريرُ

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ (بنِ محمّدٍ) الأُستاذ الأديبُ الخطيب المُقرِئ النَحْويُّ، كان يُقرِئ القرآنَ والشِعْرَ والنحوَ واللُّغة في المَريّةِ في القرنِ السادسِ للهجْرة (الثاني عشر للميلاد). ويبدو أن وفاتَه كانت في أواخرِ القرنِ السادس[5] لأنّ جَدّه أبا عبدِ اللهِ (نفح ٣: ٣٨٦ - ٣٨٧) كتب رِسالةً إلى يوسفَ بنِ تاشفينَ (ت ٥٠٠ هـ) يُعاتبه فيها لأنّه طلب مَعونةً ماليةً من أهلِ المَريّةِ. ولَعَلَّ أبا عبدِ الله هذا (جدَّ صاحب الترجمة) هُو الذي استُشْهِدَ في مَعْركَةِ قَتَنْدَةَ (نفح الطيب ٤: ٤٦٠ - ٤٦١)، سَنَةَ ٥١٤ هـ.

---

(١) في القرآن الكريم (١٨: ٧٧): «فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ» (على وشك أن يتهدّم) وقد نسبت الإرادة إلى الجدار هنا على سبيل الاستعارة.

(٢) اقرأ: فغير مستنكر على الشعراء أن يشتركوا...

(٣) المولّدون (في المشرق) الذين كان أحد أبويهم عربيّاً والآخر غير عربي. اقرأ: إلّا أن يسمّوا الآراء المتقاربة في الأشعار سرقة (قد سرقها بعض الشعراء من بعض).

(٤) لمّا فارقتني المحبوبة رحل قلبي معها (فقدت الصبر والتفكير). ولمّا بكت هي أصبح الأسيل (أي خدّي أنا) مسيلاً (مجرىً دائماً للدموع).

(٥) يروي المقرّي في نفح الطيب (٤: ٢٨٦ - ٢٨٧) «أنّ ابن صمادح أرسل جارية إلى الأستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها، وكان (ابن الفرّاء) كفيفاً.... » ويصعب أن تكون هذه الرواية موثوقة لأنّ ابن صمادح قد توفّي سنة ٤٨٤ هـ.

٢ - كان ابنُ الفرّاء الضريرُ إماماً في اللغةِ والنحو كما كان شاعراً مُجيداً مُحسناً. وفنونُه العِتاب والغَزَلُ المؤنَّثُ والغزل المذكّر.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ الفرّاء الضريرُ:

إذا كـــان وَرْدُكَ لا يُقْطَــفُ ... وثَغْرُ ثَنايـــاك لا يُرْشَفُ[١]،
فأيُّ اضطرارٍ بنا أن نقولَ: ... «ألاَ بــأبي شادِنٌ أوْطَــفُ!»[٢]

- وقال:

قِيــل لي: قــد تَبَـدّلا؛ ... فاسْلُ عنـــه كما سَلا[٣].
لـــك سَمْـــعٌ وناظِرٌ ... وفُؤادٌ! فقلـــتُ: لا.
قيـــل: غـــالٍ وِصالُــه؛ ... قلــت: لَمـا غَـلا حَـلا.
أيُّهـــا العـــاذلُ الـــذي ... بِعـــذابي تَوكّــلا[٤]،
عُـــدْ صحيحـــاً مُسَلَّماً؛ ... لا تُعَيِّرْ فتُبْتَـــلى[٥]!

٤ - * * نفح الطيب ٣: ٣٨٢ - ٣٨٣، ٤: ٢٨٧؛ نيكل ٢٥٦ - ٢٥٨؛ مختارات نيكل ١٧١ - ١٧٢.

عبد الحقّ الإشبيلي البجائي

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ الحقِّ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الله بنِ الحسينِ بنِ سعيدٍ الأزْديُّ الإشبيليُّ الأندلسيُّ البِجائيُّ، ويُعْرَفُ بابنَ الخرّاط؛ وُلِدَ في ربيعِ الأوّلِ من

(١) وردك (= ورد خدك) لا يقطف: إذا كنّا لا نستطيع تقبيلك.
(٢) الشادن: الغزال الصغير. الأوطف: طويل أهداب العينين.
(٣) تبدّل: تغير عن عهدك (ترك حبّك). سلا: نسي، أهمل.
(٤) العاذل: اللائم (الذي يلوم العشّاق خاصّة). توكّل بالشيء: جعله همّه وعمله.
(٥) عد: ارجع، اذهب عنّي. صحيحاً مسلّماً: غير مريض بالحبّ وغير محبّ. لا تعيّرني (لا تلمني ولا تعب عليّ حبّي) فتصبح مثلي مريضاً بالحبّ.

سَنَةِ ٥١٠ (تموز - يوليو ١١١٦ م).

رَوَى عبدُ الحقِّ الإشبيليُّ عن نفرٍ من العلماء منهم الحَسَن بن شُريح وعبدُ السلام ابن عبدِ الرحمن بن بَرْجانٍ (ت ٥٣٦ هـ) وعُمَرُ بن أيّوبَ وطارقُ بنُ موسى بن يعيش (إشبيلية ٤٩٨ - حلب ٥٤٩ هـ) وطاهرُ بن عَطيّةَ وأبو الإصبعِ عبدُ العزيزِ بن عليّ ابن الطحّان (ت ٥٥٩ هـ). وقد كَتَبَ إليه مُحَدِّثُ الشام ابنُ عساكرَ (ت ٥٧١ هـ) وأجاز له روايةَ (ما كَتَبَ إليه به).

ولمّا اضطربَ أمرُ المُرابطين في الأندلس ونَشِبَتِ الفِتْنَةُ آثرَ عبدُ الحقِّ الإشبيلي أن يُغادِرَ إشبيليةَ فانتقل إلى بِجايةَ (في العُدْوة الإفريقية)، قُبيل ٥٤٧ هـ.

انصرفَ عبدُ الحقّ في بِجايةَ إلى التدريس والتأليف. وقد كانت الخُطبة (يوم الجمعة). والصلاةُ في الجامع الأعظم في بجاية له، كما كان يَجْلِسُ للتوثيقِ والشهادة[1]. ووَلِيَ أيضاً القضاءَ في بِجاية مُدّةً يسيرةً في أيام استيلاء عليِّ بنِ اسحاقَ بنِ غانيةَ على بجاية[2] من أيدي المُوحّدين. وكان من الطبيعي أن يَطْلُبَ ابنُ غانيةَ من عبدِ الحقِّ ألّا يذكُرَ المُوحّدينَ في الخُطبة، وأنْ يَدْعُوَ في الخُطبة لبني العبّاس[3] في بغدادَ (لا للموحّدين في مَرّاكُشَ). غير أنّ الموحّدين استطاعوا استردادَ بجايةَ بعدَ قليلٍ[4]، فكان المنصور المُوحّديُّ (أبو يوسفَ يعقوبُ) يتوعّدُ عبدَ الحقّ بالقتل. ولكنّ عبدَ الحقّ نجا من الموت على يدِ الموحّدين لِيَموتَ حَتْفَ أنفِهِ على فراشِه وشيكاً بعدَ دخولِ جيش الموحّدين إلى بِجايةَ، فقد مات في ربيعِ الثاني من سَنَةِ ٥٨١ (تموزَ - يوليو ١١٨٥ م) في الأغلب.

٢ - كان عبدُ الحقّ ابنُ الخرّاط الإشبيليُّ فقيهاً كبيراً وحافظاً للحديث ذا معرفةٍ بعلَله وبرِجالِهِ، كما كان موصوفاً بحبّ الخير وبالوَرَعِ والزُّهد. ثمّ إنّه كان مشاركاً في

---

(١) التوثيق: كتابة الوثائق (الصكوك والاتّفاقات بين المتبايعين وأمثالهم) والشهادة (تحرير الشهادات أمام الحاكم!).

(٢) في سادس شعبان ٥٨٠ (١٣/ ١١/ ١١٨٤ م).

(٣) إذ كانت العادة أن يكون الدعاء في خطبة الجمعة للخليفة.

(٤) في صفر ٥٨١ (أيار - مايو ١١٨٥ م).

عدد من فنون الأدب ويقولُ الشِعرَ. وقدِ اشتهرَ بالتأليف، وخصوصاً في الجَمْعِ بين كُتُب الحديث[1]، له كتابُ «الجمع بين الصحيحين» (صحيح مسلم وصحيح البخاري - وقد أضافَ إلى ما فيها أحاديثَ لم تكُنْ فيهما من كُتُبٍ أخرى) ثمّ له كتابُ «الجامع الكبير في الحديث» (- وكان مقصودُه فيه الجمعَ بينَ الكتب الستّة: صحيح البُخاري (ت ٢٥٦ هـ) وصحيح مُسلمٍ (ت ٢٦١ هـ) وسُنَنِ ابنِ ماجةَ (ت ٢٧٣ هـ) والسُنن لأبي داوودَ (ت ٢٧٥ هـ) والجامع الكبير (أو الصحيح) للترْمذيّ (ت ٢٧٩) والسنن الصُغرى للنّسائي (ت ٣٠٣) - . ثمّ أضافَ إليها أحاديثَ ليستْ فيها كلِّها من كتابَيِ البزّارِ (ت ٢٩٢ هـ) وهُما المُسْنَدُ الكبيرُ (أو البحرُ الزاخر) والمسندُ الصغير. وكذلك صَنّفَ كتاب الأحكام وصَنَعَ منه ثلاثَ نُسَخٍ: النُسخة الكبرى (مفصّلة) والنسخة الصُغرى (موجزة) والنسخة الوسطى. وله الرقائقُ والأنيسُ في الأمثال والمواعظِ والحكمِ والآداب من كلامِ رسولِ الله والصالحين. ثمّ له أيضاً: مُعجزاتُ الرسولِ - مقالةٌ في الفقر والغنى - تلقينُ الوليد (كتابٌ صغيرٌ في الحديثِ لِيُثَقَّفَ به الصِغارُ) - الواعي (في اللُّغة) ضاهى (أحبَّ أن يزيدَ فيه على) كتاب الغريبَيْن للهَرَويّ[2] - مختصر كتاب الرشاطي في الأنساب[3] - كتاب الأحكام (نفح الطيب ٣: ١٨٠ و ٤: ٣٢٩) - الأحكام الصغرى[4] (نفح الطيب ٥: ٣٨٩)، وقد شرحه الخطيب أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن مرزوق المتوفّى سنة ٧٨١ (راجع نفح الطيب ٥: ٤١٨) - العاقبة (نفح الطيب ٤: ٣٢٨)، وغيرها من كتب الحديث والفقه

---

(١) الجمع في كتب الحديث: سياقة الأحاديث التي فيها سياقة واحدة (وحذف المكرّر).

(٢) هو أبو عبيد (بالضمّ) أحمد بن محمّد بن محمّد بن عبد الرحمن الهرويّ الباشاني (٤٠١ هـ = ١٠١١ م) له كتاب عنوانه «كتاب الغريبين في القرآن والحديث» أو «كتاب غريبي القرآن والحديث» أو «كتاب الغريبين في لغة كلام الله وحديث رسوله» أو «كتاب غريبي القرآن والسنّة وتفسيرها» (تفسير الألفاظ الغريبة فيها) راجع بروكلمان ١: ١٣٧، الملحق ١: ٢٠٠.

(٣) هو عبد الله بن عليّ الرشاطيّ (بضمّ الراء) الأندلسي (٤٦٦ - ٥٤٢ هـ) له كتاب «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار» (الأنوار جمع نور بضمّ النون، والأزهار لعلّها جمع أزهر أي الأبيض النبيل من الرجال. والآثار جمع أثر أحاديث الرسول).

(٤) يذكر نفح الطيب كتاب «الأحكام» وكتاب «الأحكام الصغرى» على أنها، فيا يبدو، كتابان مستقلّان (راجع نفح الطيب ٣: ١٨٠ و ٤: ٣٢٨ ثم ٢: ١٦٤ و ٥: ٣٨٩، ٤١٨).

٣ - مختارات من آثاره:

- قال عبدُ الحقّ الإشبيليُّ في الموت:

* إنّ في الموتِ والمَعـــادِ لشُغلًا … وادّكاراً لذي النُهى وبَلاغا[١].
فاغْتَنِمْ خُطّتَيْنِ قبلَ المنايـا: … صِحّةَ الجسمِ، يا أخي، والفَراغا[٢].

* قالوا: صِفِ الموتَ، يا هـذا، وشِدّتَه. … فقلتُ - وامتدَّ منّي عندَها الصوتُ - :
يَكفيكُمُ منه أن الناسَ إن وَصَفوا … أمراً يَروعُهم، قالوا: هُوَ الموت[٣]!

- في نفح الطيب (٥: ٣٢٧):

رقيقةٌ - أَلْفَيْتُ لعبدِ الحقِّ الإشبيليِّ بيتاً هو عِندي أفضلُ من قصيدة:

قـد يُساق المُرادُ وهو بعيـدٌ، … ويريـدُ المريـدُ وهو قريـبُ[٤].

٤ - ** بغية الملتمس ٣٧٨ - ٣٧٩ (رقم ١١٠٤)؛ التكملة (رقم ١٨٠٧)؛ فوات الوفيات ١: ٣١٦؛ وفيات ابن قنفذ ٢٦٣؛ الديباج المذهب ١٧٥ - ١٧٧؛ صلة الصلة ٤ - ٧؛ شذرات الذهب ٤: ٢٧١؛ نفح الطيب ٢: ٦٣٤، ٣: ١٨٠، ٤: ١١٧، ٣١٥، ٣٢٨ - ٣٢٩، ٥: ٣٢٧، ٣٨٩، ٤١٨ (إشارات مفيدة)؛ بروكلمن ١: ٤٥٧، الملحق ١: ٦٦٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٥٢ (٣: ٢٨١)؛ الأصالة (الجزائر) ٤: ١٩ (ص ٢٥٩)؛ عنوان الدراية ٧٣ - ٧٦.

أبو القاسم السهيليّ

١ - هو أبو القاسم (أبو زيد، أبو الحسن) عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ

(١) المعاد: البعث يوم القيامة. شغل: ما يشغل (بفتح الغين) الإنسان ويقلقه. الأدّكار: الذكر والتفكير في العواقب. النهى: العقل. بلاغ: تنبيه، تحذير.
(٢) المنايا جمع منية: الموت. الفراغ: اتّساع الوقت للعمل المنتج.
(٣) يروعهم يدهشهم ويخيفهم معاً.
(٤) المقصود في هذا البيت غير واضح. ربّما: يصل الشيء المراد إلى الإنسان بينما ذلك الإنسان يظنّ أن ذلك الشيء بعيد المنال. ويتضح المعنى إذا نحن قرأنا: ويُراد المُراد (يذهب الناس في طلبه إلى مكان بعيد).

أحمدَ بنِ أصبغَ بنِ حُسينِ بنِ سَعدونِ بنِ رِضوانَ بنِ فتّوحٍ الخَثْعَميُّ السُهيليُّ - نِسبةً إلى سُهيلَ، وَهِيَ قريةٌ قُربَ مالَقَةَ - المالقي. وجَدُّه فتّوحٌ هُوَ الذي دَخَلَ الأندلسَ.

وُلِدَ أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ السُّهَيْليُّ في سُهَيْلَ، سَنَةَ ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م) وتلقّى العلمَ في غَرْناطة وإشبيلية، وروى عن الحافظ أبي بكرٍ بنِ العربي (ت ٥٤٣ هـ). ثمّ إنّه انتقلَ إلى مالَقَةَ وجَعَلَ يُحَدِّث فيها (يدرّس الحديث).

وفي نحو سَنَةِ ٥٧٧ هـ بَعَثَ المنصورُ المَوحِّديُّ دَعْوَةً إلى السهيليّ فذهب السُّهيلي إلى مَرّاكُشَ ونالَ حُظْوةً عند المنصور، ولكنّه لم يُمَتّع بها طويلاً، فقد عَمِيَ وشيكاً ثمّ توفّي، في ٢٦ شَعْبانَ ٥٨١ (٢٢/ ١١/ ١١٨٥ م)، في مَرّاكُشَ[١].

٢ - كان السُّهَيْليُّ مُحدِّثاً ولُغَوِيّاً نَحْوِيّاً وأديباً شاعراً ومُؤلّفاً. ومَعَ أنّه شاعرٌ مُقِلٌّ فإنّ له أبياتاً مَشهورةً في الرثاء وفي المُناجاة والاستغاثةِ بالله. غير أن شُهْرَةَ السُهيليّ قائمةٌ على كتابه «الرَّوْضُ الأُنُفُ» (وهو شَرْحٌ للأحاديث الواردة في سِيرة ابن هشام في حياةِ الرسول). وله كُتُبٌ أخرى منها: التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من أسماء الأعلام[٢]. - نتائج الفكر (في النحو) - مسألة رُؤية الله تعالى في المنام ورؤية النبيّ صلى الله عليه وسلم - الأمالي (أمالي السُهيلي في اللغة والنحو والحديث والفقه) - المشروع الروَى[٣] فيما اشتمل عليه حديث السيرة والمحتوى.

٣ - مختارات من آثاره:

- القصيدة العَيْنِيّة في الابتهالِ إلى الله (المُناجاة والاستغاثة بالله):

يا مَنْ يَرى ما في الضَميرِ ويَسْمَعُ، أنتَ المُعَدُّ لكلّ ما يُتَوَقّعُ.
يا مَنْ يُرَجّى للشَدائدِ كلِّها، يا من إليه المُشتكى والمَفْزَعُ،

---

(١) في نفح الطيب (٣: ٤٠١): كانت وفاته ٥٨٣.

(٢) أي التعريف بالذين أشير إليهم في القرآن الكريم من غير أن تذكر أسماؤهم، نحو «صاحبه» (٩: ٤١ التوبة) فإنّه أبو بكر الصدّيق، في قوله تعالى: «إذ يقول لصاحبه: لا تحزن».

(٣) الروى: الرواء (الكثير، العذب).

يا من خزائنُ رزْقهِ في قولِ: « كُن »! امْنُنْ، فإنَّ الخَيْرَ عندك أجْمع[1].
ما لي سوى فَقْري إلَيْك وسيلةٌ، فبالافْتِقار إليك فَقْري أدْفَع[2].
ما لي سوى قَرْعي لِبابِكَ حيلةٌ، فلَئِنْ رَدَدتَ فأيَّ بابٍ أقْرَعُ!
ومَنِ الذي أدْعو وأهْتِفُ باسْمِهِ، إنْ كان فَضْلُكَ عن فَقيرك يُمْنَع.
حاشا لِجودِكَ أن يُقَنِّطَ عاصياً. الفَضْلُ أجْزل والمواهِبُ أوْسَع.

- أغار الإفرنج على سُهَيْلَ وخرّبوها فقتل نفرٌ من أهل السُهيلي وأقاربِهِ، وكان هو غائباً عن القرية، فجاء إليها ووَقَفَ على دُور أهلهِ وأنشد:

يا دارُ، أينَ البِيضُ والآرامُ، أم أينَ جيرانٌ عليَّ كِرامُ[3]؟
رابَ المحبَّ من المنازلِ أنّه حَيّا فلم يَرْجِعْ إلَيْه سلام.
لمّا أجابَنِيَ الصَدى عنهم- ولم يَلِجِ المسامعَ للحبيب كلامُ[4]-
طارحتُ وُرْقَ حَمامِها مُتَرَنِّماً بمَقالِ صَبٍّ، والدموع سِجام[5]:
(يا دارُ، ما فعلتْ بكِ الأيّامُ؟ ضامَتْكِ، والأيّامُ ليس تُضام)[6].

- وقال في العتاب:

جَعَلْتُ طريقي على بابه وما لي على بابه من طريقْ.
وعاديتُ مِن أجلِه جِيرتي وآخيتُ مَن لم يكُن لي صديق.
فإنْ كان قتلي حَلالاً لكم فسيروا بروحيَ سيراً رفيقْ.

- من مقدّمة كتاب « الروض الأنف »:

(١) في قول: كُنْ (بالإرادة والسرعة) من قوله تعالى (٣٦: ٨٢ يس): « إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون! ».
(٢) فقري (مفعول به مقدّم) أدفع (فعل مضارع).
(٣) الرئم: الغزال الأبيض. البيض والآرام (النساء الجميلات).
(٤) ولج: دخل (لم أسمع جواباً من المحبوب).
(٥) الورق جمع ورقاء: الحمامة. سجام: منهمرة بكثرة.
(٦) هذا البيت لأبي نواس. ضامه: ظلمه وأذلّه.

وبعدُ، فإنّي قدِ انتحَيْتُ هذا الإملاءَ[١]، بعدَ ٱستخارةِ ذي الطَّوْلِ والاستعانةِ بِمَنْ له القُدْرَةُ والحَوْلُ[٢]، إلى إيضاحِ ما وَقَعَ في سِيرة رسولِ الله - صلّى اللهُ عليه وسلّم - (تلك) التي سَبَقَ إلى تأليفها أبو بكرٍ محمّدُ بنُ إسحاقَ المُطّلبيّ[٣] ولَخّصها عبدُ الملكِ بنُ هِشامٍ المُعافِريُّ المِصْريّ النسّابةُ النَّحْويّ[٤] مِمّا بَلَغَني عِلْمُه ويُسِّرَ لي فَهْمُه: من لفظٍ غريبٍ أو إعرابٍ غامضٍ أو كلامٍ مُسْتَغْلِقٍ أو نَسَبٍ عويصٍ أو موضعِ فِقْهٍ يَنْبغي التنبيهُ عليه أو خبرٍ ناقصٍ يُوجَدُ السبيلُ إلى تَتْميمه، مَعَ الاعترافِ بكُلولِ الحَدّ عن مَبْلغِ ذلك الحدّ[٥]. فليس الغَرَضَ المُعْتَمَدَ أنْ أَسْتوليَ على ذلك الأمدِ[٦].

إنّ هذا الكتابَ سَيَرِدُ الحَضْرةَ العَليّةَ المُقدّسةَ الإماميةَ، وإنّ الإمامةَ[٧] ستَلْحَظُه بعينِ القَبولِ، وإنّه سيُكْتَتَبُ للخِزانةِ[٨] المباركة - عَمّرها الله - بحِفْظه وكَلاءَته[٩] وأَمَدَّ أميرَ المؤمنين بتأييدِه ورِعايته... فتَبَجّسَتْ لي - بِمَنّ[١٠] اللهِ تعالى - من المعاني الغريبة عُيونُها، وانثالتْ عليّ من الفوائد اللطيفةِ أبكارُها وعُونُها[١١].... فأعْرَضْتُ

(١) يبدو أنّ السهيليّ قد أملى هذا الكتاب على سامعين له (طلّاب أو مستجيزين - طالبي شهادة) ولم يدوّنه بنفسه (أو دوّنه في زمن متقدّم ثمّ أملاه في التاريخ الذي ذكره في آخر المقدّمة - إذ ليس من المعقول أن يتمّ شرح سيرة ابن هشام على الوجه الذي ترد فيه في «الروض الأنف» في مدى خمسة أشهر.

(٢) الطول: الغنى والفضل (التفضّل على الآخرين). الحول القوّة. ذي الطول....: الله تعالى. استخارة الله: الطلب من الله أن يخير لنا (أن يوفّقنا إلى الخير فيما نعمل).

(٣) محمّد بن اسحاق من أهل المدينة (توفّي في بغداد، سنة ١٥١ هـ = ٧٦٨ م) أقدم الذين كتبوا في سيرة رسول الله. وسيرته هذه مفقودة. ولكن نجد جانباً كبيراً منها في «سيرة ابن هشام» (راجع الحاشية التالية) وبعضها في كتاب «الرسل والملوك لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ = ٩٢٣ م). وقيل إنّ شيئاً منها محفوظ مستقلّاً.

(٤) محمّد بن هشام من أهل البصرة (توفّي في مصر، سنة ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م).

(٥) الكلول والكلال: الضعف. الحدّ (الأولى): غرار السيف (الجانب الذي يقطع). كلال السيف (ذهاب حدّته وقدرته على القطع). الحد (الثانية): المدى، الفاصل، الغاية.

(٦) استولى (الحصان) على الأمد (الغاية، النهاية): سبق جميع الخيل.

(٧) كتاب «الروض الأنف» جعل برسم الخليفة عبد المؤمن بن عليّ (أول سلاطين الموحّدين).

(٨) الخزانة (خزانة الكتب): المكتبة.

(٩) كلأ الله فلاناً: حفظه ورعاه.

(١٠) تبجّست: تفجّرت. المنّ: النعمة.

(١١) عيون الشيء: خياره (أحسن ما فيه). انثال: انصبّ، هطل، سقط بكثرة. الفكرة البكر (التي لم تخطر لأحد من قبل). الفكرة العوان (بالفتح: التي سبق أن خطرت للناس).

عن بَعْضها إيثاراً للإيجاز ودَفَعْتُ في صدور[1] أكثرِها خَشْيةَ الإطالةِ والإملال. ولكنْ تحصَّلَ في هذا الكتابِ من فوائدِ العلوم والآداب، وأسماء الرجال والأنساب، ومِنَ الفِقْهِ الباطِنِ اللُّباب[2] وتعليلِ النحوِ وصنعةِ الإعراب ما هو مُسْتَخْرَجٌ من نَيِّفٍ[3] على مائةٍ وعِشرينَ ديواناً، سِوى ما أنتجه صدري ونَفَحَه فِكري ونَتَجَه نَظَري[4] ولَقِنْتُه عن مَشْيخَتي[5] من نُكَتٍ[6] عِلمية لم أُسْبَقْ إليها ولم أُزْحَمْ عليها[7]. كلُّ ذلك بِيُمْنِ اللهِ وبَرَكةِ هذا الأثر[8] المُحْيي لِخواطرِ الطالبين والمُوقظ لِهِمَم المُسْتَرشدين.

وكان إملائي هذا الكتابَ في شَهْرِ المُحَرَّمِ من سَنَةَ تسعٍ وسِتِّين وخَمْسِمِائَةٍ[9]. وكان الفراغُ منه في جُمادى الأولى من ذلك العام[10].

٤ - القصيدة العينية في المناجاة أو الاستغاثة، القاهرة (في مجموع) ١٣١١ هـ.
- الروض الأنف (عبد السلام شقرون)، (مصر المطبعة الجمالية) ١٣٣١ هـ؛ القاهرة (دار الكتب الحديثة) بلا تاريخ؛ (طبعة جديدة مضبوطة ومنقّحة- عبد الرؤوف سعد)، القاهرة (مكتبة الكلّيات الأزهريّة) ١٩٧١ - ١٩٧٣ م.
- أمالي السهيليّ (تحقيق محمّد ابراهيم البنّا)، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٧٠ م.

** تخميس القصيدة العينية (لابراهيم السنوسي)، القاهرة (؟) طبع حجر، بلا تاريخ.
بغية الملتمس ٣٥٤ - ٣٥٥؛ زاد المسافر ١٣٨ - ١٤٠؛ التكملة ٥٧٠ (رقم ١٦١٣)؛ المغرب ١ : ٤٨٨؛ المطرب ٢٣٠ وما بعد؛ إنباه الرواة ٢ : ١٦٢ - ١٦٤؛ نكت الهميان ١٨٧ - ١٨٨؛ وفيات الأعيان ٣ : ١٤٣ - ١٤٤، راجع ١٧٧، ٤٣٦ - ٤٣٧، ٦ : ٩٨،

---

(١) دفع فلان في صدر فلان: ردّه، أخّره (تركه).
(٢) الباطن اللباب صفتان للفقه (؟): المقصود من الفقه وخلاصته.
(٣) نيّف: أكثر.
(٤) ما نفحه (نشره) فكري ونتجه (ولّده) نظري (بحثي في الأمور).
(٥) ما لقنته (فهمته) عن مشيختي (أساتذتي).
(٦) النكتة (بالضمّ): المسألة الدقيقة (من مسائل العلم أو الأدب)، اللمحة اللطيفة الرائقة.
(٧) لم أزحم عليه: لم يسابقني أحد إليه.
(٨) الأثر (هنا) سيرة رسول الله.
(٩) آب (أغسطوس)- أيلول (سبتمبر) من عام ١١٧٣ م.
(١٠) كانون الأوّل (ديسمبر) من ذلك العام.

٧ : ٢٣٩؛ الديباج المذهب ١٥٠ - ١٥١؛ ابن قنفذ ٢٩٢؛ بغية الوعاة ٢٩٨ - ٢٩٩؛ نفح الطيب ٢ : ١٠٢ - ١٠٣، ٣٣٥، ٣ : ٤٠٠ - ٤٠١؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٧١ - ٢٧٢؛ بروكلمن ١ : ٥٢٥ - ٥٢٦، الملحق ١ : ٧٣٣ - ٧٣٤؛ الاستقصا ١ : ١٨٧؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٨٦ (٣ : ٣١٣)؛ نيكل ٣٢٩؛ مختارات نيكل ١٩٠؛ سركيس ١٠٦١ - ١٠٦٢.

ابن طفيل

١ - هو أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ طُفيلٍ القيسيُّ، وُلِدَ نحوَ ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) في وادي آشَ قُربَ غَرناطةَ. وبعدَ أن درَّس وطبَّب مدةً في غَرناطة تَولى الحِجابة (الوزارة) فيها.

واتصل ابنُ طُفيلٍ (٥٤٩ هـ) ببَلاط الموحِّدين في إفريقية وأصبحَ كاتماً لأسرارِ أبي سعيدِ بنِ عبدِ المؤمن والي سَبْتَةَ وطَنْجة. ولما جاء أبو يعقوبَ يوسفُ إلى عرشِ الموحِّدين (٥٥٨ هـ) أصبحَ ابنُ طُفيلٍ طبيبَهُ الخاصَّ. ثم اعتزل هذا المَنْصِبَ (٥٧٨ هـ) ولكنه ظل يتمتعُ بالحُظْوة في بلاط الموحّدين إلى حينِ وفاته، سَنَةَ ٥٨١ (١١٨٥ م) في مَرّاكُشَ.

٢ - لم يصل إلينا من كتب ابنِ طُفيلٍ سِوى رسالةٍ واحدة، هي «قِصة حَيِّ بنِ يَقْظانَ»، وغايتُها أن تدُلَّ على نُشوء الإنسان الأولِ من باطن الأرضِ بلا أبٍ ولا أُمٍّ، ثم على مقدرة الإنسان ذي الفِطرةِ الفائقة على أن يَعْرِفَ كلَّ شيءٍ من مظاهر العالم المادّيّ ومن العالَم الإلَهيِّ مِنْ تِلقاءِ نَفسِه من غيرِ حاجةٍ إلى معلِّم[1]. وتدُلُّ هذه القِصّةُ على براعةِ ابن طفيل في عددٍ كبيرٍ من العلوم إلى جانبِ أُسلوبٍ أدَبي بارعٍ. وابنُ طُفيلٍ أوّلُ من ساق الآراءَ الفلسفيّةَ والعلميّةَ سِياقاً قَصَصِيّاً[2].

(١) إن هذه القصة تمثل تطور الإنسانية وارتقاءها في المدنيّة لا تطور إنسان واحد. وإن كان بعض آراء ابن طفيل ينطبق على الفرد الفائق الفطرة (الكثير الذكاء).

(٢) لقد قلّد هذه القصة كتّاب كثيرون، أشهرهم وأقربهم إليه السياسي القصصي الأدبي دانيال ده فوه (ت ١٧٣١ م) في قصته «روبنسون كروزه». (راجع ابن طفيل وقصة حي بن يقظان (للمؤلف)، ط ٢، ٩٣ - ٩٧).

٣ - مختارات من آثاره:

- قالَ ابنُ طُفيلٍ في الغَزَلِ الصوفي (بالعِزّة الإلَهية):

أَلَمَّتْ وقد نامَ المُشيحُ وهَوَّما،
وأَسْرَتْ إلى وادي العَقيقِ مِنَ الحِمى[1]

وجرّتْ على تُرب المُحصَّبِ ذَيْلَها، فما زال ذاك التُّرْبُ نَهْباً مُقَسَّما[2].

ولمّا رأتْ أن لا ظلامَ يَجُنُّها، وأنْ سُراها فيه لن يَتَكَتَّما[3]،

نَضَتْ عَذَباتِ الرَّيْطِ عن حُرِّ وجهها فأَبْدَتْ مُحَيّاً يُدْهِشُ المُتَوَسِّما[4].

فكان تَجَلِّيها حِجابَ جمالِها
كشمس الضُحى يَعْشى بهاالطَرْفُ كلّما[5]...

ولمّا الْتَقَيْنا بعدَ طولِ تهاجُرٍ وقد كادَ حبلُ الوُدِّ أن يَتَصرَّما

جَلَتْ عن ثَناياها وأَوْمَض بارقٌ، فلم أدْرِ مَنْ شَقَّ الدُجُنَّةَ منهما[6].

وقالت، وقد رَقَّ الحديثُ وأبصرتْ قرائِنَ أحوالٍ أذَعْنَ المُكَتَّما[7]:

نَشَدتُّكَ، لا يذهَبْ بكَ الشَوْقُ مَذْهَباً يُهوِّنُ صَعْباً أو يُرَخِّصُ مأثَما[8].

---

(١) ألمّت (العزّة الإلَهية): زارت عرضاً، اقتربت. المشيح: المعرض بوجهه، الذي أدار وجهه (غفلةً عمّا ينبدَى له). هوّم: نام نوماً خفيفاً، جعل رأسه يتمايل من النعاس. أسرى: سار ليلاً. وادي الحمى... أسماء الأمكنة في الشعر الصوفي كناية عن «المحبوب» ولا قيمة جغرافية لها.

(٢) نهباً مقسّماً: يتنازعه الناس حرصاً على الحصول عليه (لأنّ مرورها بذلك المكان جعل له رائحة طيّبة).

(٣) يجنّها: يسترها.

(٤) نضا، رفع، كشف. العذبة: طرف من العمامة يتدلّى إلى جانب الرأس. الريط: الحرير. المتوسّم: المتطلّع: الناظر المتأمل (الذي يرجو الخير من ناحية أو يعجب بجمال المنظور).

(٥) التجلّي: الظهور. حجاب: غطاء، ستر. الضحى: أول النهار. يعشى: يضعف. الطرف: البصر. (إذا كان نور الشمس ضعيفاً، فإنّ الإنسان يستطيع أن يرى جسمها، استدارتها. أمّا إذا قوي نورها جدًّا فإنّ الإنسان يعجز - بكسر الجيم - عن ذلك).

(٦) جلت: كشفت - الثنايا: الأسنان. أومض: لمع. الدُجُنّة: الظلام.

(٧) قرائن (دلائل) أحوال (وجوه من السلوك الإنساني) أذعن (كشفن، أظهرن) المكتّم (السرّ: الحبّ).

(٨) نشدتّك: طلبتك (استحلفتك). يهوّن صعباً (يوهمك أنّك تستطيع الاتّصال بالعزّة الإلَهية) أو يرخّص (يجيزه خلافاً للقاعدة). المأثم: الذنب. (تعتقد أن الحبّ في شأن الله كالحبّ في شأن البشر).

فأمْسَكْتُ، لا مُسْتَغْنياً عن نَوالها ولكنْ رأيتُ الصبرَ أوفى وأكْتَما[1].

- من مطلع قِصة حيٍّ بن يقظان:

ذَكَرَ سَلَفُنا أنّ جزيرةً من جزائرِ الهِنْدِ التي تحتَ خطِّ الاستواء يَتَولَّدُ بها الإنسانُ من غيرِ أمٍّ ولا أبٍ.... لأنَّ تلك الجزيرةَ أعدَلُ بِقاع الأرض هواءً[2].... وهذا القولُ يحتاجُ إلى بَيانٍ... لا يليقُ بما نحنُ بسبيلِهِ. وإنّما نَبّهناكَ عليه لأنّه من الأمورِ التي تَشهَدُ بصِحّةِ ما ذُكِرَ من تَجْويزِ تَوَلُّدِ الإنسانِ بتلك البُقْعة من غيرِ أمٍّ ولا أبٍ. فمِنَ (العلماء) مَنْ بتَّ الحُكْمَ وجَزَمَ القَضيّةَ بأنّ حَيٌّ بنَ يَقْظانَ من جُملة من تَكَوّن في تلك البُقعة من غيرِ أمٍّ ولا أبٍ، ومنهم من أنْكَرَ ذلك وروَى من أمرِ (حيٍّ ابن يقظانَ) خبراً نَقُصُّه عليكَ فقال: إنّه كان بإزاء تلك الجزيرةِ جزيرةٌ عظيمةٌ مُتّسعةُ الأكنافِ كثيرةُ الفوائدِ عامرةٌ بالناس يَمْلكُها رجلٌ منهم شديدُ الأنَفَةِ والغَيْرة[3]. وكانتْ له أُخْتٌ فَعَضَلَها[4] إذ لم يَجِدْ لها كُفُؤاً. وكان له قريبٌ يُسمّى يَقْظانَ فتزوّجَها سِرًّا على وَجْهٍ جائزٍ مشهورٍ في زَمَنِهم. ثمّ إنّها حَمَلَتْ منه ووَضَعَتْ طِفلًا. فلمّا خافتْ أن يفتضحَ أمرُها وينكشفَ سِرُّها، وَضَعَتْه في تابوتٍ[5] أحْكَمَتْ زَمَّه بعدَ أن أرْوَتْهُ من الرَضاع. وخَرَجَتْ به في أوّلِ الليلِ في جُملةٍ من خَدَمِها وثِقاتِها إلى ساحلِ البحر - وقَلْبُها يحترقُ صبابةً وخوفاً عليه - ثمّ إنّها ودّعتْه وقالتْ:

اللّهمّ، إنّك خلقتَ هذا الطِفلَ، ولم يكُنْ شيئاً مذكوراً، ورزَقْتَه في ظُلُماتِ الأحشاءِ وتكفّلْتَ به حتّى تَمّ واستوى. وأنا قد سلّمْتُه إلى لُطفِكَ ورَجَوْتُ له فضلَكَ خوفاً من هذا الملكِ الغَشوم الجبّار العَنيد. فكُنْ له ولا تُسْلِمْه، يا أرحَمَ الراحمين!

ثمّ قَذَفَتْ به في اليَمّ. فصادفَ جَرْيُ الماءِ بقُوّةٍ فاحتَمَلَهُ من ليلتهِ إلى ساحلِ الجزيرةِ المُتَقدّمِ ذِكْرُها.

(١) النوال: العطاء (الوصال، نيل المأرب من المحبوب).
(٢) المقصود باعتدال المناخ على خطّ الاستواء: قلّة الفرق بين درجتي الحرارة في النهار والليل.
(٣) الأنفة: الاستكبار والرفض. الغيرة: الخوف من أن يحصل على الأمر من لا يليق أو من لا يستحقّ.
(٤) عضل الرجل المرأة: منعها أن تتزوّج.
(٥) تابوت: صندوق.

٤ - حيّ بن يقظان (نشرها بوكوك)، أكسفورد ١٦٧١ م ثمّ ١٧٠٠ م؛ القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة وادي النيل) ١٢٩٩ هـ؛ الاسكندرية (المطبعة المصريّة) ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ)؛ القاهرة (مطبعة مصر) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٧ هـ؛ (نشرها ليون غوتييه)، الجزائر ١٩٠٠ م ثمّ ١٩٣٦ م؛ القاهرة (مطبعة النيل) ١٩٠٥ م (١٣٢٣ هـ)؛ (نشرها جميل صليبا وكامل عيّاد - مع دراسة وافية)، دمشق (مكتب النشر العربي ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م ثمّ ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م ثمّ.... ثمّ ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠ م..... (؟).

- حيّ بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي (تحقيق أحمد أمين)، مصر (دار المعارف؟) ١٩٥٢ م (ذخائر العرب - رقم ٨).

** ابن طفيل وقصّة حيّ بن يقظان، تأليف عمر فرّوخ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م ثمّ ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م.

- ابن طفيل (مختارات)، تأليف يوحنّا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٨ م.
- ابن طفيل، تأليف تيسير شيخ الأرض، بيروت (دار الشروق الجديد) ١٩٦١ م.
- نظرات في طبّ ابن الطفيل (كذا) الأندلسي، تأليف شوكت الشطي. دمشق (جامعة دمشق) ١٩٦٢ م.

الوافي بالوفيات ٤: ٣٧؛ وفيات الأعيان ٧: ١٣٤ - ١٣٥؛ المغرب ٢: ٨٥ - ٨٦؛ المعجب ٢٣٩ - ٢٤٢؛ المنّ بالإمامة ٤١١ - ٤١٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٥٧؛ بروكلمن ١: ٦٠٢ - ٦٠٣، الملحق ١: ٨٣١ - ٨٣٢؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٢٨ (٦: ٢٤٩)؛ بالنثيا ٣٤٨ - ٣٥٣؛ سركيس ١٤٦؛ تراجم إسلامية لعبد الله عنان ٣١٥ - ٣٢٧.

ابن غلنده الإشبيليّ

١ - هو أبو الحَكَم عُبيدُ الله بنُ عليِّ بن عبيدِ اللهِ بن غَلَنْدُهْ (أو غلندو) الإفرنجيُّ الأصلِ الأمويُّ بالوَلاء، وُلِدَ في سَرَقُسْطَةَ، سَنَةَ ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م). ولمّا استولى الإسبانُ على سَرَقُسْطَةَ، سَنَةَ ٥١٢ (خريف ١١١٨ م) غادرَها آلُ غَلَنْدُهْ إلى قُرْطُبَةَ ثمّ انتقلوا إلى إشْبِيلِيَةَ.

اشتغل أبو الحكم بن غَلَنْدُهْ بالطِبِّ في إشبيلية. ولمّا استولى عبدُ المؤمنِ بنُ عليٍّ - أوّلُ سلاطين الموحّدين - على الأندلُسِ، سَنَةَ ٥٥٦ هـ (١١٦١ م)، اتصّلَ بهِ أبو الحكم ثمّ انتقل معه، إلى مدينة مَرّاكُشَ وَبَقِيَ فيها حتّى تُوُفّيَ سَنَةَ ٥٨١ هـ (١١٨٥ م).

٢ - كان أبو الحكم بنُ غَلَنْدُهْ طبيباً بارعاً كما كان أديباً مُتَفَنِّناً وشاعراً مُجيداً. ثم إنّه كان حَسَنَ الخطِّ يكتبُ الخَطّينِ الأندلسيَّ (المَغْربيَّ) والمَشْرقي. والأبياتُ القليلةُ التي وصلتْ إلينا من شِعر ابن غَلَنْدُهْ أبياتٌ وُجْدانيةٌ في الوصف والغَزَل والنسيب والحِكمة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحكم بن غَلَنْدُهْ في الغَزَل والوصف:

ماسَتْ فأَزْرَتْ بالغُصون المُيَّسِ ، وأتَتْكَ تخطُرُ في غِلالةِ سُنْدُسِ (١).
وتَبَرَّجَتْ جُنْحَ الظَّلامِ كأنّها شَمْسٌ تجلّتْ في دياجي الحِنْدِسِ (٢).
تختال بينَ لداتِها فتخالُها بدراً بدا بين الجواري الكُنَّسِ (٣).
أرِجَتْ بريّاها الصَبا فتَضَوّعتْ أنفاسُها، والصبحُ لم يتَنَفَّسِ (٤).

- وقال في النسيب:

لَئِنْ غِبْتَ عن عيني وشَطَّتْ بكَ النَوى ، فأنتَ بقلبي حاضرٌ وقريبُ.
خَيالُك في وَهْمي وذِكْرُكَ في فَمي ومَثْواكَ في قلبي، فأينَ تَغيبُ!

- في نَفح الطِيب (٣ : ٥٩٧ - ٥٩٨): ومَرِضَ أبو الحَكَم بنُ غَلَنْدُهْ فعاده جماعةٌ

(١) ماست: تمايلت. أزرى الشيء بالشيء: عابه وأظهر نقصه. خطر: مرّ وهو يتبختر (معجباً بنفسه). الغلالة (بكسر الغين): ثوب رقيق يلبس قريباً من البدن. السندس: ثوب رقيق من الديباج (الحرير).

(٢) تبرّجت المرأة: تزيّنت، أظهرت زينتها. الجنح: قطعة من الليل يشتدّ فيها الظلام. تجلّت: ظهرت، زال عنها الغطاء. الدياجي: الظلمات. الحندس (بكسر الحاء والدال): الظلمة الشديدة (ثلاث ليال في آخر الشهر القمري لا يرى فيها القمر).

(٣) اختال: مشى وهو يتمايل. اللدة (الفتاة المقاربة لأخرى في العمر). الجواري الكُنّس: النجوم التي تغيب وراء الأفق (في ليلة البدر يبقى البدر ظاهراً في السماء إلى الصباح. أمّا النجوم فتكنس (بكسر النون): تغيب في أوقات مختلفة في أثناء الليل) - يستر البدر نورها.

(٤) أرج الطيب: فاحت رائحته. الريّا: الرائحة الطيّبة. الصبا: ريح الشرق. تضوّع المسك: انتشرت رائحته. - ريح الصبا اكتسبت رائحة طيّبة من هذه الفتاة فأخذت ريح الصبا تنشر الرائحة العطرة من قبل أن يقترب الصبح ويبدأ تحرّك النسيم (الذي يحمل الرائحة وينشرها).

من أصحابِهِ فيهم فَتًى صغيرُ السِنّ، فوفّاه (ابن غَلَنْدُه) مِنْ بِرِّهِ ما أوْجَبَ تغيّرَهم (استغرابَهم ونُفْرَتَهم). ففَطِنَ (ابنُ غَلَنْدُه) لذلك وأنشدَ ارتجالاً.

تَكَثَّرْ مِنَ الإخوان للدهر عُدَّةً، فكَثْرَةُ دُرِّ العِقْدِ مِنْ شَرَفِ العِقْدِ.
وعَظِّمْ صغيرَ القومِ وابدأ بحَقِّهِ، فمن خُنْصُرَيْ كَفَّيْكَ تبدأ بالعَقْـد[1].

ثمّ نَظَرَ إليهم وأنْشَدَهم ارتجالاً قولَه:

مُغيثُ أيوبَ والكافي لذي النونِ يُحِلُّني فَرَجاً بالكافِ والنونِ[2].
كَمْ كَرْبَةٍ من كُروب الدهرِ فَرَّجها عنّي، ولم يَنْكَشِفْ وَجْهي لِمَنْ دُوني[3]!

٤ - معجم الأدباء ١٠ : ٢٤٥ - ٢٤٦؛ تكملة الصلة ٢ : ٥٣٩؛ نفح الطيب ٣ : ٥٩٧ - ٥٩٨؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٣٥١ (١٩٥).

أبو الحسن بن لَبّال

١ - هو أبو الحَسَن عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عليِّ بن لَبّالٍ (ولبّالٌ اسمُه فَتْحٌ) بن أميّةَ بن إسحاق القُرشيُّ الأُمويّ الأندلسيّ، وُلِدَ في شَريشَ شَذونةَ (بجَنوب الأندلس) سَنَةَ ٥٠٩ هـ (١١١٦ م). وروى ابن لَبّالٍ عن جماعةٍ، منهم ابنُ العربي وشُريح وأبو بكر ابن طاهرٍ وأبو الحجّاج الأنديّ وأبو الفضل بن الأعلم وابن قَنْدله.

احتاج أهلُ شَريشَ إلى قاضٍ فأجمعوا على أن يكون قاضِيَهم ابنُ لبّالٍ فأبى ولكنّهم أصرّوا فوَلِيَ القضاءَ مُكْرَها. ثمّ عُزِلَ عنه.

وكانت وفاةُ ابن لبّال في ثالثِ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٥٨٣ هـ (١١٨٨/٢/٤ م).

---

(١) حينما يبدأ الإنسان بالعدّ على أصابعه بعقد (بكسر القاف)، أي يطوي خنصره (إصبعه الصغيرة) للدلالة على «الواحد» ثمّ البنصر للدلالة على «الاثنين» الخ.

(٢) النبي أيّوب مرض مرضاً شديداً طويلاً ثم أغاثه (شفاه) الله. وذو النون سقط في البحر وابتلعه الحوت فأنجاه الله. وإنّ الله سيحلّني (ينزلني فرجاً ويكشف عنّي الضيق) بين الكاف والنون (بسرعة) - في القرآن الكريم (٣٦ : ٨٢ يس): «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون».

(٣) لم ينكشف وجهي (لم أشك، لم أتذلّل) لمن دوني (لمن هو أقلّ مني: لأحد من الناس).

٢ - كان أبو الحسنِ بنُ لبّالٍ رجلًا صالحاً وَرِعاً زاهداً، وكان مُحَدّثاً وفقيهاً وأديباً ناثراً شاعراً، له شعرٌ في الرسولِ صلّى اللهُ عليه وسلّم، وفي الحِجاز وفي عددٍ من الأغراضِ الوُجْدانية ثم في المدح والرثاء والوصف والألغاز. وَصنّفَ شرحاً لمقاماتِ الحريريّ.

٣ - مختارات من شعره:

- لمّا وَلِيَ أبو الحسن بنُ لَبّالٍ القضاءَ كارهاً قال:

كنــتُ، مــذُ كُنْــتُ، كارهــاً أن ألي خُطّـــةَ القضـــا.
لم أُرِدْهـــــــا، وإنّما ساقـــني نحوها القضـــا[1]!

- ثمّ قال حينَ زالَ عن القضاء:

حُمِلْتُ على القضاء ولم أُرِدْهُ، وكــان عليّ أثقلَ من ثَبيرِ[2].
فلمّا أن عُزِلْتُ جَعَلْت أشْدو: لقـــد أُنْقِـــذْتُ من شرٍّ كبــير.

- وقال لمّا تقدّمتْ به السِنُّ:

لَمّا تَقَوّسَ منّي الجسْمُ عن كِبَر فابيضّ ما كان مُسْوَدًّا من الشَعَر،
جعلتُ أمْشي كأنّي نصْفُ دائرةٍ تمشي على الأرض أو قوسٌ بلا وَتَر!

- وقال في مثل ذلك:

قَوّسَ ظَهْري المَشيـــبُ والكِبَرُ. والدهرُ، يا عمرُو، كلُّه غِيَرُ[3].
كأنني، والعصـــا تَـــدِبُّ معي، قوسٌ لها؛ وَهْيَ في يَدي وَتَر.

- وقال في الجَلَمَيْن (المِقَصّ):

ومُعْتَنِقَيْن مـــــا اتُّهِما بعِشْقٍ، وإن وُصِفَـــا بضَمٍّ واعتنـــاق.

---

(١) ألي: أتولّى. خطّة (منصب) القضاء.
(٢) ثبير: اسم جبل.
(٣) الغير = غير الدهر: أحداثه التي تتغيّر بالناس وتنزل بهم المصائب.

لَعَمْرُ أبيكَ، ما اجْتَمعا لمَعْنًى　　سوى معنـى القطيعةِ والفِراق.

٤-** المغرب ١: ٣٠٣ - ٣٠٤؛ المطرب ٩٧ - ٩٩؛ تحفة القادم ٧٤؛ التكملة رقم ٦٧٣ (رقم ١٨٧٤)؛ الذيل والتكملة ٥: ١٦٩ - ١٧١؛ صلة الصلة ١٠٨ - ١٠٩؛ نفح الطيب ٣: ٤٤٢، ٤: ٢٣١ - ٢٣٤؛ الأعلام للزركلي ٥: ٦١ (٤: ٢٥٦).

ابن غالب الغرناطي

١- هو الحافظُ محمّدُ بنُ أيوبَ بن غالبِ الغَرناطيُّ الأندلسيُّ، ولا نعلَمُ من أخباره سوى أنه عاصَرَ أبا سعيدٍ عُثمانَ بنَ عبدِ المؤمن واتّصلَ به حينما كان أبو سعيدٍ والياً على غَرناطةَ (٥٥٥ - ٥٧١ هـ). وهنالك إشارة في نفح الطيب (٢: ١٨١ - ١٨٢) أكثرُ دِقّةً، هي: ذَكَرَ ابنُ غالبٍ أنّ الفقيهَ أبا جعفرٍ بنَ عبدِ الحقّ الخَزْرَجيَّ القُرطُبيَّ له كتابٌ كبيرٌ بدأ فيه من بدْءِ الخليقةِ إلى أنِ انتهى، في أخبارِ الأندلسِ، إلى دولةِ عبدِ المؤمنِ (بن عليٍّ). قال (ابنُ غالب):« وفارَقْتُه سَنَةَ ٥٦٥ ».وبما أنّ الأدباءَ والعلماء لا يتّصلون عادةً بالحُكّام والأغنياء إلّا في مطالعِ حياتِهم أو عندَ بلوغِ أشُدِّهم، فمن المُمْكِنِ أن يكونَ ابنُ غالبٍ قد عاشَ إلى أواخرِ القرنِ السادس للهجرة (أواخرِ القرن الثاني عشر للميلاد).

٢- عُرِفَ لابنِ غالبٍ كتابٌ يُشارُ إليه عادةً باسم « فرحة الأنفُس ». أمّا عُنوانُه الكاملُ فَيَرِدُ في المصادر القليلةِ التي عُنِيَتْ بابنِ غالبٍ على صُوَرٍ مختلفةٍ: فرحةُ الأنفس في تاريخ الأندلس- فرحة الأنفس في أخبار الأندلس- فرحة الأنفس للآثارِ الأوّليّة التي في الأندلس- فرحة الأنفس في فضلاء العصر في الأندلس (... في فضلاء العصر من أهل الأندلس).

ويبدو- ممّا ذكَرَه لُطفي عبدُ البديع (راجع رقم ٤) أن كتابَ فرحة الأنفس كان كبيراً وأنّه قِسمانِ أوّلُهما القِسم المُسمّى « فرحةَ الأنفس للآثار الأوليّة التي في الأندلس » (وهُوَ قسم جُغرافيٌّ واسعٌ) ثمّ ثانيهما القِسمُ المُسمّى « فرحة الأندلس في أخبار أهل الأندلس،- أو في فضلاء العصر من أهل الأندلس- » (وهُوَ قسمٌ تاريخيٌّ أدبيٌّ).

والظاهرُ أيضاً أنّ ابنَ غالبٍ كان يريدُ بكتابهِ هذا أن يُعَدِّدَ مآثرَ الأندلسيّين وأن يُبيِّنَ فضلَهم على غيرهم ويذكُرَ جمالَ بلادِهم ومكانَتَها.

٣- مختارات من آثاره:

- أهل الأندلس (نفح الطيب ٣: ١٥٠ - ١٥١) عن «فرحة الأنفس»:

وأهلُ الأندلسِ عربٌ في الأنساب والعِزّة والأَنَفة[١] وعُلُوِّ الهِمَمِ وفصاحة الألسُن وطيب النفوس وإباء الضَيْم وقلّة ٱحتمال الذُلّ والسَماحة[٢] بما في أيديهم والنزاهة عن الخُضوع وإتيان الدَنيّة. (وهم) هِنديّون في إفراط عِنايتهم بالعلوم وحُبّهم لها وضَبْطِهم لها ورِوايتهم، بَغداديّون في ظَرْفهم ونظافتهم ورِقّة أخلاقهم ونَباهتهم وذَكائهم وحسن نظرهم وجَوْدة قرائحهم ولَطافة أذهانهم وحِدّة أفكارهم ونُفوذ خواطرهم، يونانيّون في ٱسْتنباطهم للميـــاه ومُعاناتهم لِضُروب الغِراسات[٣] واختيارهم لأصنافِ الفواكهِ وتدبيرهم لتركيب الشَجَر[٤] وتحْسينهم للبساتين بأنواع الخُضَر وصُنوف الزهر. فَهُمْ أحكَمُ الناسِ لأسباب الفِلاحة. ومنهم ابنُ بَصالٍ صاحبُ «كتاب الفِلاحة» الذي شَهِدَتْ له التَجْرِبة بفضله. وهم أصبرُ الناس على مُطاولة التعب في تجويد الأعمال ومُقاساة النَصَب[٥] في تحسين الصنائع، أحذَقُ الناسِ بالفُروسيّة وأبْصَرُهم بالطَعْن والضرب.

- عبد الرحمن الناصر والعِلّيّة[٦] الصُغرى في قصره (قطعة من كتاب فرحة الأنفس ٣٣ - ٣٤):

وكان (عبدُ الرحمنِ الناصرُ) قدِ ٱتّخذَ، لِسُقُفِ العلّية الصُغرى التي كانت مائلةً

(١) العزّة: القوّة (المادّية والمعنوية). الأنفة: الحميّة (الترفّع عن الأعمال التي لا تليق).
(٢) السماحة: الكرم.
(٣) ضروب: أنواع. الغرس: نصب الأشجار (الزرع لما له ساق ليّنة، والغرس لما له ساق قاسية خشبية).
(٤) تركيب الشجر: نصبه والعناية به، (تطعيمه= مزج نوع من فصيلة بنوع آخر منها؟).
(٥) النصب: التعب.
(٦) العلّيّة: غرفة (مفردة) في أعلى البناء.

على الصَرْح الممدود، قراميدَ[1] ذَهَب وفِضّة، وأنفق عليها مالاً جزيلًا وجعَلَ سُقُفَها صفراءَ فاقعةً إلى البياض[2]، بيضاءَ ناصعةً تسلُبُ الأبصارَ بَطارح أنوارها المُشَعْشِعَة[3]. وجلَسَ فيها، إثْرَ تَمامها، لأهل مملكتِه، فقال لِقَرابَتِهِ ومَنْ حَضَرَهُ من الوزراء وأهل الخِدمة مُفْتَخِراً عليهم بما صنعه من تلك البدائع: هل رأيْتُمْ أو سَمِعتم مَلكاً قَبْلي فعل مثلَ فِعلي أو قَدَرَ عليه؟ قالوا: لا، واللهِ، يا أميرَ المؤمنين. وانّك لأوْحَدُ في شأنك كلّه، وما سَبَقَكَ في مُبْتَدَعاتِكَ هذه مَلكٌ، وما بَناه، ولا انْتَهى إلينا خَبَرُهُ. فأبْهَجَهُ قَوْلُهم وسَرّه ثَناؤهم. وبَيْنا هو كذلك سادِراً ضاحكاً[4] دخلَ عليه القاضي مُنْذِرُ بنُ سعيدِ البَلّوطيُّ واجِماً ناكِساً رأسَه[5]. فلمّا استقرّ في المجلس قال له (عبدُ الرحمنِ الناصرُ) كالذي (كان قد) قالَ لوزرائه مِنْ ذِكْرِ السُّقُفِ واقتداره. فأقبلتْ دموعُ القاضي تَنْحَدِرُ على لِحيَتِه، وقال: واللهِ، يا أميرَ المؤمنين، ما ظَنَنْتُ أن الشَيْطانَ - أخزاهُ اللهُ - يبلُغُ منك هذا المَبْلَغَ، ولا أنْ تُمَكِّنه من قِيادِكَ هذا التمكينَ، مَعَ ما آتاك اللهُ وفضّلَك على العالمين، حتّى أنزلَكَ منازلَ الكافرين. قال: فاقشعرّ[6] عبدُ الرحمن من قَوْلِهِ، وقال: انْظُرْ ما تقولُ. كيف أنْزَلَني (اللهُ) منازلَ الكافرين؟ قال (مُنْذِرٌ): نَعَمْ. أليسَ اللهُ تعالى يقولُ[7]: «ولولا أن يكونَ الناسُ أمّةً واحدةً[8] لَجَعَلْنا لِمَنْ يكفُرُ بالرحمن لِبُيوتِهِمْ سُقُفاً من فِضّةٍ ومعارجَ عليها يظْهَرون»[9]؟ قال فَوَجَمَ عبدُ الرحمنِ ونَكَسَ رأسَه مَليّاً[10]، ودُموعُه على لِحيتِهِ تجري

---

(١) القرميد: الآجرّ (طين مطبوخ على شكل حجارة البناء).

(٢) الفاقع: اللون الصافي الناصع. لعلّ الجملة .... صفراء فاقعة (مائلة) إلى البياض (أو) بيضاء ناصعة.

(٣) مطارح الأنوار: الأماكن التي يقع عليها الضوء حول الجسم المنير.

(٤) السادر: المتحيّر البصر.

(٥) واجما (ساكتاً) ناكساً (خافضاً) رأسه.

(٦) اقشعرّ (جلد الإنسان): رجف (من هول أو خوف مفاجىء).

(٧) القرآن الكريم ٤٣: ٣٣، (سورة الزخرف).

(٨) تفسير الآية: إنّ الناس كلّهم (قبل الإسلام) كافرون لا فرق بينهم. ولولا ذلك لجعلنا للذي يكفر (وهو واحد من جمع مؤمنين) كلّ أسباب الترف (في هذه الحياة الدنيا وحدها) ثم لا ينال شيئاً في الآخرة سوى العذاب.

(٩) المعراج (بالكسر) والمعرج (بالفتح أو بالكسر) جمعها معارج. المصعد (أو المكان العالي يبرز عليه الناس من مكان يطلّ على مشهد ما).

خُشوعاً لله تعالى. ثمّ أقبلَ على مُنْذِرٍ وقال: جَزاكَ اللهُ خيراً عنّي وعن جميعِ المسلمين، وكَثّرَ في المسلمين أمثالَكَ، فالذي قُلْتَ، واللهِ، الحقُّ. وقام مِنْ مَجْلسهِ وهو يستغفرُ اللهَ. وأمرَ بِنَقْضِ[1] سُقُفِ القُبّة وأعادَ قراميدَها تُراباً.

٤ - نص أندلسي جديد: قطعة من كتاب «فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس» (تحقيق لطفي عبد البديع)، مصر (مطبعة مصر) ١٩٥٦ م.

★★ المغرب ١: ١٧٧ - ١٧٨، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢: ٢٥٠ - ٢٥١، ٢٢٧؛ نفح الطيب ١: ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢ - ٢٠٣، ٢٩٠ - ٢٩١، ٢٩٥، ٤٥٩، ٣: ١٥٠-١٥٢، ٣٨٦، ٤٠٥ - ٤٠٧ (؟) سوى إشارات في أماكن أخرى.

الكتنديّ

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ العزيز بنِ خليفةَ بنِ أبي العافيةِ الكُتُنْدِيُّ أوِ القُتُنْديُّ[2] الأزْديُّ الغَرْناطيُّ الإلْبيريُّ الأصلِ، وُلِدَ (بغية الوعاة ٦٥) سَنَةَ ٥٠٦ هـ (١١١٢ - ١١١٣ م). بدأ تَعلُّمه في مُرْسِيَةَ ثمّ انتقل إلى غَرناطةَ فسكَنَها مُدّةً ثمّ سكن مالَقَةَ.

سَمِعَ الكتنديُّ من أبي بكرٍ بنِ العَرَبيِّ (ت ٥٤٣ هـ) ومن أبي الوليدِ بن الدبّاغ (ت ٥٤٦ هـ) وأبي بكرٍ بنِ مسعودٍ الخُشَني. وقد لَقِيَ الشاعرَ ابنَ خفاجةٍ (ت ٥٣٣ هـ) وابنَ دِحْيَةَ صاحبَ «المُطْرب» (ت ٦٣٣ هـ). وكانت وفاة الكتنديِّ في غَرناطةَ سَنَةَ ٥٨٣ أو ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م).

٢ - كان الكُتُنديُّ لُغَويًّا وأديباً وشاعراً مُكثِراً مُجيداً، حَسَنَ الغَزَلِ والرثاءِ.

---

(١٠١) مليًّا: طويلاً.

(١) نقض: هدم.

(٢) كتندة قرب سرقسطة. القتندي (راجع المطرب، ص ٨١، السطر العاشر، والحاشية ١).

٣- مختارات من شعره:

- قال الكُتُنديُّ في النسيب يُخاطب سَرْحَةً، ممّا يُذكّرنا بحُمَيدِ بن ثَوْرٍ(١):

يـا سَرحـةَ الحيِّ يـا مَطُولُ، شَرْحُ الـذي بيْنَنـا يَطولُ(٢).
عِنْـدي مَقـالٌ، فهـل مُقـامٌ تُصغـينَ فيـه لِما أقولُ(٣)؟
ولِي ديـونٌ عليـكِ حَلَّـتْ لو أنّـه ينفَـعُ الحُلولُ(٤)
مـاضٍ من العَيْش كـان فيـه منزِلَنـا ظِلُّـكِ الظليـلُ(٥)!
زالَ. ومـا عليـه، مـاذا، يا سَرْحَ، لو لم يكُنْ يَزولُ(٦)؟
حَيّـا عنِ المُدْنَـفِ المُعنّـى مَنْبِتَـكِ القَطْرُ والقَبولُ(٧)!

- وفي المغرب (٢ : ٢٦٤) مطلعٌ بارعٌ رقيقٌ في رثاء السيدِ عثمانَ بنِ عبدِ المؤمن المُوحِّديِّ:

يذهَبُ المُلْكُ، ويبقى الأثرُ. هـذه الهالـةُ، أينَ القمرُ؟

- وله في النسيبِ (ذِكرى نهرِ شَنيلَ في غَرناطةَ):

هذا لسانُ الدمعِ يُملي الغرامْ في صفحةٍ أثَّرَ فيها السَقامْ(٨).

(١) لمّا أعلن عمر بن الخطّاب أنّ الذي يشبّب بامرأة يعاقب بالجلد، احتال حميد بن ثور (ت نحو ٤٠ هـ = ٦٦٠ م) بأن خاطب سرحة (شجرة) فقال: «أبى الله إلّا أن سرحة مالك.... تروق».

(٢) المطول: (المرأة) التي تخلف مواعيدها.

(٣) مقام (بضمّ الميم): إقامة، وقوف.

(٤) الحلول: حلول وقت الوعد (أنت تقولين: ألقاك في اليوم الفلاني. ثم يحلّ اليوم الفلانيّ فلا تجيئين إلى الموعد).

(٥) كان ظلّك منزلنا (كنّا نلتقي دائماً ولا نفترق).

(٦) يا سرح (منادى مرخّم: حذف آخره - يا سرحة)، فالفتحة على الحاء هي فتحة الحاء الأصلية وليست علامة للإعراب.

(٧) المدنف: المريض (المحبّ) الذي اقترب من الموت (الهلاك والعذاب في الحبّ. المعنّى: المشغول، المهموم، المعذّب. القطر: المطر. القبول: ريح الصبا (الشرق) أحسن الرياح في نجد تهبّ باردة بليلة (لأنّها تأتي من جبال فارس مارّة فوق خليج البصرة). - حيّا القطر (نزل فيك المطر) والقبول (طاب مناخك) في منبتك (بيتك).

(٨) في صفحة: في وجه. السقام: المرض والنحول.

عهــدٌ لِهِنْــدٍ لم يكُنْ بالــذي تقـدَحُ فيـه نَفَثاتُ المَلامْ[1].
يــا نهرَ إشْنيـــلَ، ألا عَودَةٌ لذلــك العهــدِ ولو في المنــامْ؟
مــا كــان إلّا بارِقــاً خاطفــاً ما زِلْتُ مُذْ فارقَني في ظَلامْ.
للهِ يومٌ منســـــــــه لم أنْسَهُ، وذكرُ مــا أولاه أولى ذِمـامْ[2]،
إذ هِنــدُ غُصنٌ بَينَ أغصانِهــا كالدَوْحِ يَثْنيهِ هَديلُ الحَمامْ[3].

٤ - ★ ★ زاد المسافر ٩٥؛ منهاج الرعيني ١٦٦؛ المغرب ٢: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ المطرب ٨١ - ٨٢؛ الوافي بالوفيات ٣: ٢٣٢؛ بغية الوعاة ٦٥؛ نفح الطيب ٣: ٤٩٧ - ٤٩٨، ٥١٣ وما بعد، ٤: ٢٩٧ - ٢٩٨؛ الذيل والتكملة ٦: ٣٤٩ - ٣٥٠ (رقم ٩٣٥).

ابن زرقون

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ سعيدِ بنِ أحمدَ بنِ سعيدِ بنِ عبدِ البَرِّ بنِ مُجاهدٍ الأنصاريُّ، أصلُ أهلِه من بَطَلْيَوْسَ، وكانَ مَوْلِدُه هو في شَريشَ في مُنتَصف ربيعٍ الأولِ من سَنَة ٥٠١ (١١٠٧/١١/٢ م). تلقّى العلمَ على نَفَرٍ منهم أحمدُ بنُ محمّدٍ الخَوْلانيُّ (ت ٥٣٥ هـ) وعبدُ الرحمنِ بنُ محمّدِ بن عتّابٍ (ت ٥٢٠ هـ). ونقلَه أبوه إلى مَرّاكُش فَلَقِيَ فيها أبا عِمرانَ موسى بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ تليدٍ الشاطبيَّ (ت ٥١٧ هـ).

ثمّ عاد ابنُ زرقونٍ إلى الأندلس وتجوّلَ فيها وصَحِبَ الفقيهَ الكاتبَ ابنَ عَبْدونٍ (ت ٥٢٩ هـ). ولازمَ أيضاً القاضِيَ عِياضَ بنَ موسى (ت ٥٤٤ هـ) مُدّةً طويلة.

وقد تولّى ابنُ زرقونٍ القضاءَ في سَبْتَةَ (من المَغْرب) وشِلْبَ (في جَنوبِ غربيِّ الأندلس). وكانتْ وفاةُ ابنِ زرقونٍ في إشبيليةَ في مُنتَصف رَجَبَ من سَنَة ٥٨٦ (١١٩٠/٨/١٦ م).

(١) تقدح فيه: تشفه، تعيبه، تؤثر فيه. النفثة: النفخة (كانت الساحرات إذا أردن الإضرار بشخص قرأن اسمه على خيط مراراً، وكلّما قرأن الاسم مرّة عقدن في الخيط عقدة ثمّ نفثن عليها).

(٢) وذكر ما أولاه (ما صنعه بنا من المعروف) أولى (أحق أجدر) ذمام (عهد): احق العهود بالحفظ (الحب).

(٣) الدوحة: الشجرة العظيمة. يثنيه: يميله، يميل به. الهديل: صوت الحمام.

٢ - كان ابنُ زرقونٍ عارفاً بالحديثِ وبالفقه، وكان قاضياً قديراً نزيهاً. ولكنْ يبدو أنّه كان ظريفاً فنَظَمَ أشياءَ من الشِعر كان يَتَملّحُ بها ولم يكنْ يُواقِعُ ما ذَكَره فيها من المَزْح أوِ المُجون. وفي شِعره شيءٌ من السُهولة والعُذوبة وشيءٌ من الجَفاف. وكان له نثرٌ جيّد.

وابن زرقونٍ مؤلِّفٌ له: الأنوارُ في الجمع بين المُنتقى والاستذكار (والثاني منها لابنِ عبدِ البَرِّ على القَطْع) - وكذلك جَمَعَ بين «الجامعِ الكبير» للتِرمِذيِّ و«سُنَنِ» أبي داوودَ (في الحديثِ).

- مختارات من آثاره:

- قال أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ زرقون في النسيب والمُجون والزُهْد (نفح الطيب ٣: ٤٧٤ - ٤٧٥):

ذَكَرَ العَهْـدَ والديـارَ غريـبٌ ... فجرى دمعُـه ولَـجّ النحيـبُ[1].
ذكر العهدَ والنَّوى من حبيبٍ؛ ... حبّذا العهدُ والنَّوى والحبيبُ[2]،
إذ صفـاءُ الوِدادِ غـيرُ مَشوبٍ ... بِتَجَنٍّ، ووُدُّنـــا مَشبوب[3]؛
وإذا الدهرُ دَهْرُنـا، وإذا الـدا ... رُ قريبٌ؛ وإذْ يقولُ المُريـب[4]: ....
وقيـانُ الأوتـار تُسْعِدُها الأطـ ... ـيـارُ، والروضُ زاهرٌ مَخْضوب[5].
ووشاحي مَعاصمٌ لَوَتِ الشو ... قَ علينـا وظاهَرَتْها القلوب[6].

---

(١) العهد (المدّة السعيدة التي كان قد قضاها، أو كان يتخيّل أنّه قضاها). لجّ: تمادى، استمرّ، ازداد قوّة. النحيب: ارتفاع الصوت بالبكاء.

(٢) النوى: البعاد، الفراق.

(٣) مشوب (ممزوج بشيء أقلّ قيمة منه). التجنّي: اتّهام شخص شخصاً آخر بذنب ظلماً. مشبوب: متوقّد (قويّ، فائر، عظيم).

(٤) الدهر دهرنا: مؤات لنا (موافق لهوانا). المريب: السيّيء الظنّ بالناس (وهو على غير الحقّ).

(٥) القينة: المرأة المغنّية الجميلة. قيان الأوتار (العازفات على الآلات الموسيقية). تسعدها: تساعدها، (تجاريها بالغناء). مخضوب: (ذو ألوان عديدة).

(٦) الوشاح (ثوب مزركش يوضع على القسم الأعلى من الجسم) معاصم (المقصود: أيد). لوى: عوج. كلّ =

وفِراشي بطنٌ وصَــدْرٌ ونَهْــدٌ،	وعليهـا مِني رَفيـقٌ طبيـب[1].
واللمى والرُّضـابُ كأسي وخمري،	حبّـذا الكأسُ، حبّذا المشروب[2].
وحِمى الأُزْرِ لي مُباحٌ، وحُكمي	نافـذٌ فيـه. والفِعالُ ضُروب[3].
وإذا مـا الحِمـى أغـار علَيْـه	حـاذقُ الطعنِ، فالحمـى منهوب.
أسألُ الله عَفْوَهُ، فلئن سا	ء مقـالي لقـد تَعَـفّ القلوب.
قد ينـالُ الفتى الصغائرَ ظَرْفاً	لا سِواهـا، وللذُّنوب ذَنوبه[4].
وأخو الشعر لا جُنـاحَ عليـه؛	وسَواءٌ صَدوقُـه والكَـذوب[5].

٤ - ** التكملة ٢٥٦ - ٢٥٧ (رقم ٨٢٤)؛ بغية الملتمس ٧٠ (رقم ١٣٨)؛ الوافي بالوفيات ٣: ١٠٢؛ المطرب ٢١٩ - ٢٢٢؛ وفيات ابن قنفذ ٢٩٥؛ نفح الطيب ٢: ١١٥ ثم ١٦٢، ١٦٤، ٥٩٧، ٦٠٣ (لعلّها لابن زرقون هذا، مع أنّها وضعت في الفهرس لابن زرقون آخر) ثم ١٠٣ و ١٠٤ (ولا يظهر اسم «ابن زرقون» في الصفحتين المشار إليها)، ٣: ١٣٥، ١٣٧، ٤٤٦، ٤٤٧ (بيت شعر)، ٤٧٤ - ٤٧٥ (سبعة أبيات من الشعر)، ٥٢٠، ٤: ٣٢٣ - ٣٢٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٠ - ١١ (١٦: ١٣٩)؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٠٣ - ٢٠٨ (رقم ٥٩٧).

أبو بكر بن مغاور

١ - هو أبو بكرٍ عبدُ الرحمن بنُ محمّدِ بنِ مُغاورِ بنِ حَكَمِ بنِ مُغاوِرٍ السُّلَميُّ من أهل شاطبةَ وُلِدَ فيها سَنَةَ ٥٠٢ هـ (١١٠٨ - ١١٠٩ م). واتّخذَهُ أبو الربيعِ بنُ عبدِ الله بن عبد المُؤمنِ كاتباً. وكانتْ وفاتُه في شاطبةَ سَنَةَ ٥٨٧ هـ (١١٩١ م).

= واحد منّا كان يحيط الآخر بذراعيه. وظاهرتها (نصرتها، وافقتها): حبّنا كان حقيقيّاً (من القلب إلى القلب).

(١) مني (بكسر فكسر): منّي (بكسر فتشديد). رفيق: متأنّ، لطيف. طبيب: عارف، عالم.

(٢) اللمى: السمرة في الشفاه. الرضاب: الريق ما دام في الفم.

(٣) الإزار (بالكسر) ثوب يلفّ به القسم الأدنى من الجسم. حمى الإزار: ما يغطّيه (ما يستره الإزار). الفعال (بالكسر): الأفعال، الأعمال. ضروب: أنواع (كناية عن البراعة في أعمال عديدة).

(٤) الصغائر (الذنوب الصغيرة). ظرفاً: تسلية وتملّحاً. ذنوب (بالفتح): حظّ (قسم) من العقاب.

(٥) الجناح: الذنب. الصدوق: (الشعر) الصادق (في الجدّ). الكذوب (الشعر) الكاذب (في المزح).

٢ - كان أبو بكرِ بنِ مُغاوِرٍ من جِلّةِ الأدباء والكُتّاب ومِنَ الفُقهاء أيضاً. له نثرٌ وشعرٌ. في شعرِه مَتانةٌ وشيءٌ من المَرَحِ وهجاءٌ كثير. وقد جَمَعَ ابنُ مُغاوِرٍ شيئاً من نثرِه وشِعرِه في كتابٍ سمّاه «نَوْرَ الكمائم وسَجْع الحمائم».

٣ - مختارات من شعره:

- عَلِقَ أخو أبي بكرِ بنِ مُغاوِرٍ امرأةً من بني يَنّقَ فقال أبو بكر:

بَني يَنّقٍ، كُفّوا عيونَ ظِبائكم؛ فما بَيْنَنا ثأرٌ ولا بَيْنَنا ذَحْلُ[1].
أسَوَّغْتُمُ الشَهْدَ المَشورَ لطاعِمٍ وقلتُمْ: حرامٌ أن يُلِمَّ به النَحْلُ[2]؟
إذا ما تَصدّتْ بالطريقِ طَروقةٌ فغيرُ نكيرٍ أن يَهيجَ لها الفَحْلُ[3]!

- وقال أبو بكر بن مُغاوِرٍ يهجو قاضياً يرتشي فينقُضُ في المساء ما كان قد حكم به في الصباح:

لا تظنّوا ابن بيّش في قضاياه يرتشي.
إنّما الشيخ هَلْهَلٌ؛ فهو يصحو وينتشي[4]
فترى الحُكْمَ غُدوةً وترى النقْضَ بالعشي[5]!

- كان ابنُ مغاورٍ في شيخوختِهِ يَحْمِلَ عصاً، فرآه شخصٌ وقال له - كأنّه يهزأ به -: أنتَ صحيحُ الجسم! فقال ابنُ مغاورٍ:

قال لي - يهزأ - مَنْ لم يتوقَّعْ! من مَلامَهْ[6]،
إذ رأى كَفّيَ دأباً بعَصاها مُستهامهْ[7]:

---

(١) ظباؤكم: نساؤكم. الذحل: العداوة والحقد. طلب مكافأة عن جريمة.
(٢) الشهد: العسل. المشور: المقطوف حديثاً. - معنى البيت غامض، ويجب أن يكون فيه تعريض بشرف بني ينّق (كما يبدو من البيت التالي).
(٣) الطروقة: الناقة بلغت من العمر إلى أن يطرقها الفحل (وكذا المرأة).
(٤) في رواية: بيبش.
(٥) الهلهل (بضمّ الهائين): الثوب السخيف (الرقيق النسج).
(٦) يتوقّع (كذا في الأصل): ينتظر (؟).
(٧) دأباً: على التوالي، باستمرار. مستهام: محب، متعلّق بالأمر إلى حدّ الجنون.

انـــتَ، والله، صحيـــحٌ؛ سوف تَبْقـــى للقيامـــه[1].
قلـــت: دعـــني من مُحـــال؛ قـــد شكـــا الشيـــخُ السآمـــه.
كيـــف يُرجـــى لي بقـــاءٌ وجـــــداري بدِعامـــــه[2]!

٤ - * * زاد المسافر ٧٩ - ٨٢؛ التكملة ٥٧٨ (رقم ١٦٢٢)؛ معجم ابن الأبّار ٢٤٣ - ٢٤٥؛ المغرب ٢: ٣٨٥ - ٣٨٦؛ المطرب ٨٠ - ٨١؛ شذرات الذهب ٤: ٢٨٩؛ الأعلام للزركلي ٤: ١٠٤ (٣: ٣٢٨).

ابن مُجْبَر

١ - هو أبو بكرٍ يحيى بنُ عبدِ الجليلِ بنِ عبد الرحمن بنِ مُجْبَرٍ الفِهريّ، من أهلِ بلّش مالَقةَ (صخرة مالَقة)، وُلِدَ نحو سَنَةِ ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م) في بلدةِ شَقُورَةَ. وتعلّم ابنُ مُجْبَرٍ في مُرْسِيَة وسَكَنَ إشبيلية ثمّ أخَذَ يَفِدُ على بَلاطِ مَرّاكُشَ عاماً بعدَ عامٍ من قَبْلِ أن يَلِيَ يعقوبُ بنُ يوسفَ المُلْكَ على المُوحّدين بأسم المنصور (سَنَةَ ٥٨٠ هـ). ثمّ سَكَنَ مَرّاكُش. وكانتْ وفاتُه في مَرّاكُشَ، لَيلةَ الأضحى (تاسعَ ذي الحِجّة) من سَنَة ٥٨٨ (١٦/١٢/١١٩٢ م).

٢ - كان أبو بكرٍ يحيى بنُ مُجْبَرٍ شاعرَ المَغربِ في وقته، وقال فيه المَقّريّ في نفح الطيب: الشاعرُ الكبيرُ الشهيرُ (٤: ٣٣٥) وأديبُ الأندلس (٤: ٣٨٠)، وهو شاعرٌ مُكثِرٌ كان له ديوانٌ في مُجلّدينِ كبيرين يَضُمّانِ أكثرَ من تِسعةِ آلاف وأربَعِمِائةِ بيتٍ أكثرُها في مديح المنصور المُوحّديّ (أميراً وخليفةً). وهو يقولُ القصائدَ الطِوالَ والمُقطّعاتِ القصارَ ويرتجلُ أيضاً. وفنونُ شِعرِه المديحُ والرثاء والهِجاء والوصف والأدبُ (الحِكمة)، وهو مقتدرٌ في الهجاء.

---

(١) للقيامة = إلى يوم القيامة: ستعيش طويلا.
(٢) جداري: جانبي (جانب من جسمي). بدعامة: مستند إلى عصا (إذا ذهبت العصا يقع).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو بكرٍ يحيى بنُ مُجْبَرٍ يمدَحُ المنصورَ المُوَحِّديَّ (وفيات الأعيان ٧: ١٣ - ١٤):

أتراهُ يـــــــتْرُكُ الغزَلا ... وعليــــه شَبَّ واكْتَهـــلا؟
كَلِــفٌ بالغِيــد مــا عَقَلَــتْ ... نفسُه السُّلوانَ مُــذْ عَقَــلا[١].
أيُّهـــا اللُّوّامُ، وَيحَكُمو، ... إنّ لي عن لَوْمِــكم شُغُــلا.
ثــقـلــــتْ عن لَوْمِكُم أُذُني ... لم يَجِــدْ فيهـا الهوى ثِقَــلا[٢].
نظرتْ عيـــني - لِشَقْوتهـــا - ... نَظَراتٍ وافقـــتْ أجَـــلا[٣]:
غــادة لمـا مَثَلْـــتُ لهـــا ... تَرَكَتْـــني في الهوى مَثَــلا[٤].
يــــا سَراةَ الحيِّ، مِثْلُكُمُ ... يتلافــى الحــادِثَ الجَلَــلا[٥]،
قـــد نَزَلْنـــا في جوارِكُمُ ... فشكرنـــا ذلـــك النُّزُلا[٦].
ثمّ واجَهْنـــــا ظِباءكُمُ ... فَلَقِينـــا الهَوْلَ والوَهَـــلا[٧].
أضَمِنْتُم أمْنَ جيرَتِكُم ... ثمّ مـــا أمَّنْتُمُ السُّبُـــلا[٨]؟

---

(١) الكلف: شديد الحبّ والولع بالأشياء. الأغيد (والغيداء) - والجمع فيهما: غيد: الناعم، المتثنّي، و(هنا): النساء الجميلات.|

(٢) عقلت (كذا في الأصل): أدرك ،ميّز الأمور ، لجأ ، انقبض، ثنى (طوى) ساعده (بين المرفق والكفّ) على عضده (بين المرفق والكتف)... الخ. وليس في هذه المعاني معنى يوافق المقصود من البيت. لعلّها علقت (لحو « علق فلان فلاناً وعلق به »: أحبّه ، أمسك به. السلوان: النسيان ، التسلّي (عن الحبّ). عقل: أدرك ، بلغ الرشد.

(٣) ثقلت أذني (قلّ سمعها). لم يجد فيها الهوى ثقلا (صمما عن سماع كلامه).

(٤) وافقت أجلا (نهاية العمر): سبّبت موتي.

(٥) السريّ: الوجيه في قومه. يتلافى: يستطيع أن يتجنّب أمراً مكروهاً أو أن يجنّب غيره ذلك الأمر المكروه. الحادث: النازلة (المصيبة). الجلل: العظيم.

(٦) النزل (بضمّ فضم): المنزل، ما يهيّأ للضيف من مكان ينزل فيه ويأكل وينام.

(٧) ظباؤكم (النساء الجميلات في بلادكم). الهول: الأمر المخيف. الوهل (بفتح فسكون أو بفتح ففتح): الفزع.

(٨) السبيل: الطريق. الجيرة: الجيران.

وأرَدتُمْ غَضْبَ أنفسِهِم ... فبَثَثْتُمْ بينَهـا المُقَـلا[1].
لَيْتَنـا خُضْنـا السيوفَ ولم ... نَلْقَ تلك الأعْيُنَ النُّجُلا[2].
عَطَّلَتْنـي الغِيـدُ من جَلَدي ... وأنـا حَلَّيْتُهـا الغَزَلا[3].
حَمَلَـت نفسي عـلى فِتَنٍ ... سُمْتُهـا صبراً فما احْتُمِلا[4].
ثُمّ قالـتْ: سوف نَتْرُكُهـا ... سَلَبـاً للحسبِ أو نَفَلا[5].
قُلْتُ: أمّـا وَهْيَ قـد عَلِقَتْ ... بأمـيرِ المؤمنـينَ، فـلا.
مـا عـدا تأميلُهـا مَلِكـاً ... من رآه أدْرَكَ الأمَـلا[6].
أوْدَعَ الإحسانُ صَفْحَتَـهُ ... مـاءَ بِشْرٍ ينقَـعُ الغُلَلا[7].
فـإذا مـا الجودُ حرّكَـهُ ... فـاضَ من يُمنـاه فانهملا[8].

- وقال أيضاً يمدَحُ المنصورَ المُوحّديَّ (نفح الطيب ٣ : ٢٤٠ - ٢٤١):

مَلِـكٌ تُرْوِيـكَ منـه شِيمَـةٌ ... أنْسَتِ الظمآنَ زُرْقَ النُّطَـفِ[9]،
جُمِعَـتْ من كـلِّ مجدٍ فحَكَتْ ... لفظـةً قد جُمِّعتْ من أحْرُفِ[10].
يعجَبُ السامعُ من وَصْفي لها؛ ... ووَراءَ العَجْزِ مـا لم أصِفِ[11].

---

(١) بث: نشر، فرّق الأشياء في مكان ما. المقلة: العين (كناية عن المرأة الجميلة).
(٢) النجلاء: الواسعة (= المرأة الجميلة).
(٣) عطّلتني (سلبتني) الغيد (النساء الجميلات) جلدي (احتمالي للأمور القاسية: صبري عن حبّ النساء). وأنا حلّيتها (ألبستها حلى) من غزلي (من شعري في الغزل).
(٤) على فتن: افتتان: (إعجاب بالجمال) سمتها (طلبت منها) احتملا (بالبناء للمجهول) لم يكن بالإمكان احتماله (لم أقدر عليه).
(٥) نفل: غنيمة.
(٦) عدا: تجاوز.
(٧) صفحته (وجهه). البشر: انطلاق الوجه وظهور السرور عليه. نقع الماء الغلّة (بالضمّ): أذهب الماء العطش.
(٨) يمناه: يده اليمنى. انهمل: انسكب بكثرة.
(٩) أروى: أذهب العطش (ملأ، كفى). شيمة (خصلة جميلة). النطفة: الماء القليل. زرق النطف (الماء الصافي الذي يروي العطشان).
(١٠) حكى: شابه.
(١١) - صفات أخرى جميلة عجزت أنا عن وصفها.

لو أعارَ السهْمَ ما في رأيهِ، من سَدادٍ وهُدًى، لم يَصِفِ[1].
حِلمُه الراجحُ ميزانُ الهُدى يَزِنُ الأشياءَ وَزْنَ المُنصِفِ.

- حَضَرَ ابنُ مُجْبَرٍ في مَجْلِسٍ ، وكان في المجلسِ زُجاجةٌ سوداءُ فيها خمرٌ، فقيل له: قُلْ في هذا شيئاً، فقالَ ارتِجالاً (نفح الطيب ٣ : ٢٠٦):

سأشكو إلى النُّدمانِ أمرَ زُجاجةٍ تردّتْ بثوبٍ حالكِ اللونِ أسحمِ[2].
نَصُبُّ بها شَمْسَ المُدامةِ بَيْنَنا فتَغْرُبُ في جُنْحٍ من الليلِ مُظلمِ[3].
وتجحَدُ أنوارَ الحُمَيّا بلَوْنِها كَقلبِ حَسودٍ جاحدٍ يدَ مُنْعِمِ[4].

- ولمّا صُلِب الثائر ابو عبد الله محمد بن عبد الله الجزيريُّ * ومنْ أُخِذَ من أصحابه في إشبيلية، وعايَنَهُمْ ابنُ مُجبرٍ قد رُفعوا في خَشَبِهم أنشد (بغية الملتمس ٩٤):

رَكْبٌ إلى نارِ الجحيمِ مَسيرُهم ورِكابُهم لا تستطيعُ مَسيرا[5].
الحيُّ منهم لا يُرى مُسْتَوْطِناً، والمَيْتُ منهم لا يُرى مقبورا[6].
مِمّا يزيدُ الأرضَ طِيباً أنّها لَفَظَتْ عُداتَك أبْطُناً وظُهورا[7].

---

(١) السداد (بالفتح): صحّة الرأي والاستقامة. صاف السهم يصيف: مال، انحرف عن هدفه.

(٢) الندمان (بالضم) جمع نديم: الرفيق الذي يشرب الخمر مع اخرين- الملموح أن الزجاجة هنا كأس أو قدح.

(٣) نصبّ بها (فيها) شمس المدامة (الخمر). يشبّه الخمر (الحمراء المنيرة) بشمس تغرب في (زجاجة أو وعاء أسود). الجنح (بالضمّ): جانب من الليل.

(٤) حينا تنزل الخمر في الزجاجة السوداء ، فإنّ تلك الزجاجة السوداء (تجحد: تنكر، أي تستر) لون الخمر (الأحمر الجميل).

* راجع المغرب ١ : ٣٢٣ - ٣٢٤ ونفح الطيب ٤ : ٦٥ - ٦٦. وكان الجزيري هذا شاعراً أيضا.

(٥) الركب: الجماعة يركبون الإبل أو الخيل معاً (في السفر). الركاب (هنا): الإبل المركوبة (يشبّه الشاعر الخشب الذي صلب عليه أولئك الأشخاص بالإبل التي يسافر الناس عليها.

(٦) مستوطن: ساكن في بلد. الحيّ... (الذي لا يزال حيًّا على الخشبة التي صلب عليها).

(٧) في الأصل غداتك (بالغين المعجمة). عداتك (بالضمّ) أعداؤك. لفظت الأرض عداتك (لم تقبل أن تحويهم) أبطنا (جمع بطن) أن يدفنوا في جوفها، وظهوراً (جمع ظهر) أن يطرحوا على سطحها. فازدادت الأرض بذلك طيباً (رائحة طيّبة وطهارة).

٤ - ** زاد المسافر ٥١ - ٥٧؛ بغية الملتمس ٤٩٣ - ٤٩٤ (رقم ١٤٩٣)؛ وفيات الأعيان ٧ : ١٣ - ١٤؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٩٥؛ نفح الطيب ٣ : ٢٠٦، ٢٣٧ - ٢٤١، ٤ : ٣٣٥ - ٣٣٧؛ نيكل ١٨٧ - ١٨٨؛ مختارات نيكل ١٩٧ - ١٩٩؛ الأعلام للزركلي ٨ : ١٧٨ - ١٨٨ (١٥٢).

حَفْصةُ بنتُ الحاجِّ الرُكونيّةُ

١ - هِيَ حَفْصةُ بنتُ الحاجِّ، كان مَوْلدُها في غَرْناطةَ بُعَيْدَ سَنَةِ ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م) في أُسْرةٍ ذاتِ شرفٍ وجاهٍ وغِنًى. وشَبَّتْ حَفصةُ فكانتْ فتاةً جميلةً ذكيّةً متأدِّبةً مُثَقَّفةً.

لا نَعْرفُ من الأحداثِ الأولى في حياة حفصةَ بنتِ الحاجِّ إلّا حبَّها لأبي جعفرٍ أحمدَ بن سعيدٍ العنسيِّ، وقد تَبادلا الرسائلَ نثراً ونظماً ونَعِما بالحبِّ مُدّةً ثمّ حالت حياتُها مأساةً حينما وَلِعَ بها أبو سعيدٍ عثمانُ بنُ عبدِ المؤمن والي غَرناطةَ ووَلِعَتْ هِيَ بِهِ أيضاً، فيما يبدو.

في سَنَةِ ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) جازَ عبدُ المؤمن بنُ عليٍّ إلى الأنْدَلُس للجهادِ، فبَعَثَ أبو سعيدٍ عثمانُ حفصةَ بنت الحاجِّ وافدةً على أبيهِ عبدِ المؤمن، فأكْرَمها عبدُ المؤمنِ ووَهَبَها قريةً قُرْبَ غَرناطةَ تُدْعى الركونةَ (بفتح الراء أو بضمها). ومنذُ ذلك الحينِ أصبحَت تدعى «الركونية» (فَهِيَ حفصةُ بنتُ الحاجِّ الركونيةُ لا حفصةُ بنتُ الحاجِّ الركونيِّ).

ولَمّا قُتِلَ أبو جعفر بن سعيدٍ، سَنَةَ ٥٥٩ هـ، حَزِنَتْ حَفْصةُ عليهِ ولَبِسَتِ السَوادَ ومالت إلى الزُّهْدِ وتركتْ قولَ الشِعْر. ويبدو أن حَفصةَ انْتَقَلَتْ، فيما بعدُ وشيكاً إلى مَرّاكُشَ ثمّ دَخَلَتْ بلاطَ المُوحِّدين لتعليمِ الأميراتِ وتَهْذيبِهِنَّ. وأُرَجِّحُ أنْ يكونَ ذلكَ في أيامِ أبي يعقوبَ يوسفَ بن عبدِ المؤمن ثاني سَلاطينِ الموحِّدين (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ). ثمّ استمرّت تفعلُ ذلك في أيام المنصور. ويُسْتَبْعَدُ أن تكونَ بَدأتِ التعليمَ لبناتِ أبي يوسفَ يعقوبَ المنصورِ الذي وُلِدَ سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) وجاء إلى العَرْشِ سَنَةَ ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م).

وكانتْ وَفاةُ حَفصةَ الرُّكونيَّةُ، سَنَةَ ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) في الأغلبِ، وفي مدينةِ مَرّاكُشَ. ووَفاتُها في معجم الأدباء (١٠ : ٢٢٧، بالأحرف) سَنَةَ ٥٨٦ هـ.

٢ - كانت حفصةُ بنتُ الحاجِّ الركونيةُ أستاذةً قديرةً وأديبةً بارعة وشاعرةً كبيرة؛ وهي بلا ريبِ أشهرُ شاعراتِ الأندلس، ولعلّها أكبرُهُنّ. كانت سريعةَ الخاطر رقيقةَ الشعر تميلُ إلى شيءٍ من الصِّناعة؛ وفي شعرِها كثيرٌ من الصِدْق وشيءٌ من التَهَكُّم والفُكاهة. وتدورُ فنونِ شعرِها على المدحِ والعِتاب والغَزَل في الأكثرِ؛ ومُعْظَمُ شِعْرِها في المُناسبات التي رَبَطَتْها بأبي جعفرِ أحمدَ بنِ سعيدٍ وبالمناسبات التي جمعتها به. ويَرى نيكل (ص٣١٧) أنّ قِصّةَ حفصةَ وابنِ سعيدٍ تشبهُ قِصّةَ ولّادةَ وابنِ زيدونٍ، إلّا أنّها أقربُ إلى النفس وإنْ كانت أقلّ تلويناً وعُنْفا.

٣٠ - مختارات من شعرها:

- من مقطّعات حفصة في صلتها بأبي جعفر بن سعيد:

★★ يـــا مدّعي في الحُسْنِ والغرام الإمامَـــةْ[1]،
أتـــى قريضُـــك، لكن لم أرضَ منـــه نظامَـــهْ.
أمدّعي الحـــبّ يَثْـــني بـــأسُ الحبيـــبِ زمامَـــهْ؟
ضَلَلْـــتَ كـــلَّ ضـــلال، ولم تُفِـــدْك الزَعامَـــه.
مـــا زِلـــتَ تصحَـــبُ مـــذ كنـــتَ في السُّبـــاق السلامَـــه،
حـــتى عَثَرْتَ وأُخجِلْـــتَ بِأفتضـــاح السآمَـــه[2]
بـــالله، في كـــلّ وقـــتِ يُبـــدي السّحـــابُ أنسجامَـــه[3]؛

---

(١) في هوى الحسن و (في) الغرام الإمامة.

(٢) - لم تكن تغامر (وتعلن حبّك لي)... ثم سئمت (مللت) هذا الكتمان فبحت بالحبّ (في أبيات أرسلتها إليّ) فافتضحت!

(٣) كذا في الأصل. والتخريج المعقول: بالله (للقسم). في كلّ وقت (ليس في كلّ وقت) لأنّ حرف النفي يحذف بعد القسم - في القرآن الكريم (١٢ : ٨٥، يوسف): قالوا: تالله، تفتأ تذكر يوسف (= تالله، لا تفتأ تذكر يوسف). وقال السري الرفاء (ت ٣٦٢ هـ): =

والزهرُ في كـــلّ حـــين | يَشُقُّ عنـــه كِمامَـــه[1].
لو كنـــتَ تعـــلم عُـــذري | كففـــتَ غربَ المَلامَـــه[2].

★★ أزورُكَ أم تَزورُ! فـإنّ قلـبي | إلى ما تشتهي أبداً يَميلُ[3].
وقد أُمِّنـتَ أن تظما وتَضحى | إذا وافى إليّ بك القَبول[4]:
فثَغري مَوْرِدٌ عَـــذبٌ زُلالٌ، | وفَرْع ذوائبي ظِلٌّ ظَليلُ[5].
فعَجِّـــل بالجواب؛ فما جميـــلٌ | إباؤك عن بُثَيْنَةَ، يا جميلُ[6]!

★★ ثَنـــائي عـلى تلـك الثَنايا لِأنّني | أقولُ على عِلمٍ وأنْطِقُ عَنْ خُبْرِ[7]،
وأُنْصِفُها - لا أكذبُ الله - إنّني | رَشَفْتُ بها ريقاً أرقَّ من الخمرِ!

★★ سلُوا البارقَ الخفّاقَ والليلُ ساكنٌ: | أظلَّ بأحبابي يذكّرني وَهْنا[8]؟
لَعَمْري لقد أهدى لقلبي خَفْقَهُ | وأمْطر عن مُنْهلٍّ عارضهِ الجَفْنا[9].

★★ أغارُ عليك مِن عَيْنَيْ رقيبي | ومنك ومن زمانك والمكان.
ولو أنّي خَبَأْتُـــكَ في عيوني | إلى يوم القيامة ما كفاني.

★★ لَعَمْرُكَ ما سُرَّ الرياضُ بوصلنا | ولكنّـه أبدى لنا الغِلَّ والحَسَدْ؛

تـــالله، أغـــدر في الهوى | مـــا دمـــت مسودّ الغدائر.

أي: لا أغدر في الهوى.

(١) الكمامة: كأس الزهرة قبل أن تتفتّح (الأوراق الخضر التي تغلّف الزهرة). والكمامة هنا جنّة (جنينة) لابن جعفر بن سعيد. وذكر الكمامة هنا إشارة فهمها ابن سعيد على أنّها كانت دعوة من حفصة إلى الاجتماع به في ذلك المكان (راجع نفح الطيب ٤: ١٧٤).

(٢) الغرب: الحدّ (حدّ السيف). غرب الملامة: اللوم القاسي.

(٣) في معجم الأدباء (١٠: ٢٢٥): وكتبت حفصة إلى بعض أصحابها: «أزورك... الخ».

(٤) تظما: تعطش. تضحى: تبرد.

(٥) الفرع: الشعر (بفتح الشين).

(٦) بثينة حبيبة جميل بن معمر (من المحبّين العذريّين في العصر الأموي).

(٧) الثنايا: الأسنان.

(٨) وهنا: بعد منتصف الليل.

(٩) المنهلّ: الساقط بكثرة. الجفن: جفن العين- جعلني هذا البرق (لمّا تذكّرتك به) أبكي بدموع أكثر غزارة من المطر.

ولا صَفَّقَ النهر ٱرتياحاً لقُربنا ... ولا صَدح القُمْريُّ إلا لـما وجد[1].
فـلا تُحسِن الظنَّ الذي أنت أهلُه، ... فما هو في كلِّ المَواطِن بالرَّشَد[2].
فما خِلـتُ هذا الأُفقَ أبدى نجومَه ... لأمرٍ سِوى كيما تكونُ لنا رصد[3].

٤ - ** معجم الأدباء ١٠ : ٢١٩ - ٢٢٧؛ المغرب ٢ : ١٣٨ - ١٣٩؛ المطرب ١٠؛ تحفة القادم ١٦٧؛ الإحاطة ١ : ٤٩٩ - ٥٠٢؛ نفح الطيب ١ : ١٧٦، ٣ : ٢١٨، ٤ : ١٧١ - ١٨١؛ نيكل ٣١٧ (راجع ٣١٧ - ٣٢٤)؛ بروكلمان؛ ملحق ١ : ٤٨٢؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٢٩٢ (٢٧٤)؛ بالنثيا ١٢٧ - ١٢٨.

الإمام الشاطبي

١ - هو أبو محمّدٍ القاسمُ بنُ فِيرُّه بن خَلَفِ بنِ أحمد الشاطبيُّ الرُّعَيْنيُّ، نسْبةً إلى ذي رُعَيْنٍ أحدِ أقيالِ (ملوك) اليمن.

وُلِدَ الشاطبيُّ في آخر سَنَةِ ٥٣٨ هـ (مطلع صيف ١١٤٤ م) في مدينة شاطبة. وقرأ الشاطبي القراءاتِ على أبي عليٍّ بن محمد بن علي النَّفْزيّ. ثمّ إنّه انتقل إلى بَلَنْسِيَةَ وقرأ كتاب التسهيل على أبي الحسن محمّد بن عليّ بن هُذيل (ت ٥٦٤ هـ) وسَمِعَ من أبي عبدِ الله محمدِ بنِ عبد الرحيم (ت ٥٦٧ هـ). وكذلك سمع من أبي الحسن عليّ بن عبد الله ابن النعمة (ت ٥٦٧ هـ) ومن ابن سعادة[4].

ورَحَلَ الشاطبي إلى مِصْرَ واستوطن القاهرةَ وحَضَرَ مُدّةً مجالس الحافظ أبي طاهرٍ أحمدَ بن مُحمدٍ السلفي (ت ٥٧٦ هـ). ولمّا أنشأ القاضي الفاضلُ مدرستَه «الفاضلية» (٥٨٠ هـ) عيّن فيها الشاطبيَّ لإقراء القراءاتِ واللغة والنحو.

---

(١) صدح: غنّى. وجد يجد موجدة: أبغض.
(٢) الظنّ الذي أنت أهله (يليق بك): أن تظنّ ظنًّا حسناً في كلّ شيء.
(٣) الرصد = الراصد: من يرصد النجوم (هنا: الرقيب، المنتظر الذي يريد إيقاع الشر بالآخرين).
(٤) هنالك اثنان يعرفان بابن سعادة: أبو عبد الله محمّد بن يوسف (توفي في شاطبة سنة ٥٦٦ هـ) ثمّ أبو عبد الله محمّد بن عبد العزيز (ت ٦١٤ هـ) من أهل شاطبة.

ويبدو أن الشاطبي عَمِيَ، وهو في مصر[1]. وكانت وفاتُه في القاهرة في ٢٨ جُمادى الآخرة ٥٩٠ (١١٩٤/٧/١٤ م).

٢ - كان الشاطبي مُقْرِئاً فقيهاً حافظاً للحديث بصيراً باللغة والنحو واسعَ العلم. وكان له شعرٌ فيه شيء من التعقيد. غير أن شُهرتَه تقوم على مؤلّفاته، وأهمُّ هذه المؤلّفات وأشهرُها حِرزُ الأماني ووجه التهاني،وَهِيَ قصيدةٌ في القراءات(قراءات القرآن)فيها ١١٧٣ بيتاً وتُعْرَفُ باسم القصيدة الشاطبية أو بالشاطبية فحسب. ثم له عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد (خمسمائة بيت على رويّ الدال، في الرسم- أي الهجاء في المصاحف- من قرأها أحاط بكتاب التمهيد لابن عبد البرّ). وللشاطبي كتب أخرى منها: كتاب الوُقوف (المواضع التي يجب الوقوف عليها في القرآن الكريم أو يَحْرُمُ أو يجوز أو يُستحسن الخ). - تفسير القرآن - رسالة في طبقات المفسّرين - رسالة في إعجاز القرآن - طبقات القرّاء - نظيمة الزهر في عدد آيات القرآن الشريف واختلاف أهل الأمصار فيها - الخ.

٣- مختارات من شعره:

- في نفح الطيب (٢ : ٢٣): بعث الأميرُ عِزُّ الدين بنُ موسك[2]إلى الشيخ الشاطبيّ يدعوه إلى الحضور عندَه، فأمرَ الشيخُ بعضَ أصحابِهِ أن يكتُبَ إلى عزّ الدين هذا:

قُلْ للأميرِ مقالةً ... من ناصحٍ فَطِنٍ نَبيهِ:
إنّ الفقيهَ إذا أتى ... أبوابَكم لا خيرَ فيه.

- ومن نظمهِ (نفح الطيب ٢ : ٢٣):

خالصتُ أبناءَ الزمانِ فلم أجدْ ... من لم أرُمْ منه ٱرتيادِيَ مَخْلصي[3].

---

(١) راجع معجم الأدباء ١٦ : ٢٩٥ و٥٩٦.
(٢) موسك (تصغير موسى)، وهو ابن خال صلاح الدين الأيوبي.
(٣) خالصت...: عاشرت الناس باخلاص فلم أجد أحداً منهم لم أتمنّ أن أتخلّص من شرّه.

ردُّ الشبـاب، وقد مضى لسبيلهِ، أهيـا وأمكنُ من صديقٍ مُخلص[1].

- من الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني):

هذه الأرجوزةُ تجمع القراءاتِ في القرآن الكريم معَ نسبة كلّ قراءة إلى قارئها. ولكنْ هذا الموضوعَ لا يَلينُ للشعر ولا يُطيع الوزنَ والقافية إلّا معَ التكلّف الشديد. من أجل ذلك جاءت هذه الأُرجوزةُ (بخِلاف ما يُقال فيها) غامضةً مُعقّدةً، وفيها كثيرٌ من الجوازات في النظم وفي القوافي وفي اللغة أيضاً. وقلَّ أنْ ينتفعَ بها إلّا من كان يَعْرفُ القراءات معرفةً واسعةً (والغايةُ من هذه الأُرجوزة أن تُذَكِّرَ مثلَ هذا الرجل بما يحفَظُ).

ولقدِ آخترتُ من هذه الأرجوزةِ عدداً من أبياتها وحاولتُ شرحَ تلك الأبياتِ بقَدْر الحاجة إلى فَهْم الأبياتِ وبقَدْر طاقتي.

- من الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني):

(أ) المقدّمة:

بـدأتُ ببِسْم اللهِ في النظم أوّلا. تبـاركَ رحمانـاً رحيماً ومَوْئِلا[2].
وثنّيتُ صلّى الله ربّي على الرضا محمّـدِ المَهْدِي إلى الناس مُرسَلا،
وعِترتـــهِ ثمّ الصّحابـــةِ ثمّ مَنْ تلاهُمْ على الإحسان بالخير وُبّلا[3].
وثلّثـــتُ أنّ الحمـــدَ لله دائماً؛ وما ليس مَبْدوءاً به أجْذَمُ العَـــلا[4].
وبعـــدُ، فحَبْـلُ الله فينـا كتابُـه فجاهِدْ به حبلَ العِدا مُتحبِّلا[5].

---

(1) أهيأ: أسهل في الوصول إليه. أمكن: أكثر ثباتاً ودواماً.

(2) موئل: ملجأ. التجاء (إلى الله واتّكال عليه).

(3) العترة: الأقارب. الصحابة: أصحاب رسول الله. تلاهم: تبعهم (من تلاهم: التابعون، الذين لم يعرفوا رسول الله، ولكن عرفوا أصحابه). وبّل - المقصود جمع وابل: مطر كثير.

(4) أجذم: مقطوع. العلا: الرأس.

(5) الحبل (هنا): ما يتمسّك الناس به (كيلا يهلكوا أو يضلّوا). تحبّل الرجل الصيد: أخذه بشرك من الحبال (نصب الحبائل لمكائد أعداء الدين).

وأخلِقْ به، إذ ليس يخلُق جِدّةً، جديداً مُواليه على الجدّ مُقبلا[1].

وقارِئُـــه المَرْضِيّ قَرّ مِثالُـــه كالأتْرُج حاليه مُرِيحاً ومُوكِلا[2].

هو المُرْتضى أمّا إذا كان أُمّةً ويَمّمَـه ظِـلُّ الرزانة قَنْقَلا[3].

هو الحرّ، إن كان الحَرِيّ حواريا لـه بَتحَرّيهِ إلى أنْ تَنَبّـلا[4].

وإنّ كتـابَ الله أوثـقُ شافـعٍ وأغنى غَنـاءً واهباً مُتفضّلا[5]؛

وخيرُ جليسٍ لا يُمَلّ حديثُه، وتَرْدادُه يزدادُ فيـــه تَجمُّـلا.

وحيثُ الفتى يرتاعُ في ظُلُماته من القَبْر يلقاه سَناً مُتهلّلا[6].

هنالـك يهْنيـه مَقيـلاً وروضةً، ومن أجله في ذِروة العِزّ يُجتلى[7].

يُناشِدُ في إرضائـــه لحبيبـــه، وأجْدِرْ به سُؤْلاً إليه مُوصَّلا[8].

فيـا أيّها القاري بهِ متمسكـاً مُجِلّاً لـه في كلّ حالٍ مُبَجِّلا،

هنيئـاً مريئـاً، والـداك عليهما ملابِسُ أنوارٍ من التاج والحُلى[9].

---

(١) أخلق به (ما أحقّه، ما أحسنه، أي القرآن). لا يخلق (لا يبلى، لا يصبح قديماً). جدّة: (سيظل جديداً مهما يقرأه الناس ولا تنتهي عجائبه). مواليه (هنا) مصافيه (المقبل على قراءته باخلاص).

(٢) قرّ مثاله: صحّ تشبيهه. كالأترجّ (اجعل الهمزة همزة وصل ليستقيم الوزن): نوع من الليمون طيّب الرائحة. حاليه (حالاه؟) مريحاً وموكلا (للشم وللأكل: طيّب في الحالين).

(٣) إذا كان أمّة: إذا كان الفرد الواحد يقوم في الحياة والاصلاح مقام جماعة. يمّمه: قصده. ظلّ الرزانة (الوقار): هو لمكانته تنسب الرزانة اليه. القنقل: المكيال الضخم، وتاج لكسرى (اكتسبت الرزانة من صفاته؟).

(٤) الحريّ: الجدير (بالعلم). حواريا (بتخفيف الياء، وحقّها التشديد): تابعا (ناصراً للحق والعلم). التحرّي: البحث عن الحقيقة والصواب. تنبّل: مات.

(٥) أغنى غناء: أحق الكتب بأن تستغني به عن كلّ ما سواه.

(٦) - وإذا دفن الإنسان في قبره، فإنّ حفظه الماضي للقرآن يصبح له نوراً (في قبره). السنا: الضوء. متهلّل: فرح. يرتاع: يخاف.

(٧) يكون القبر له مقيلاً (مسكن) وروضة (متنزّه). يجتلى: يرى.

(٨) - ومن حفظ القرآن طلب القرآن له المغفرة بإلحاح من حبيبه (الله تعالى). وإذا شفع القرآن لأحد فإنّ الله تعالى يقبل هذه الشفاعة.

(٩) وأجر حفظ القرآن ينال والدي الحافظ أيضاً.

فما ظنُّكم بالنجلِ عند جَزائه؟ | أولئك أهلُ الله والصفْوة المَلا[1]:
أولي البِرِّ والإحسان والصبر والتُّقى، | حُلاهُمْ بها جاء القُرانُ مُفصَّلا[2].
عليكَ بها ما عِشتَ فيها مُنافساً، | وبعْ نفسكَ الدنيا بأنفاسِها العُــلا[3].
جزى اللهُ بالخيراتِ عنّــا أئمّـةً | لنـا نَقَلوا القرآنَ عَذباً وسَلْسَلا[4].
فمنهم بُدورٌ سبعةٌ قد توسّطتْ | سماءَ العُلى والعدلِ زُهْرا وكُمّلا[5].
لها شُهُبٌ عنها أستنارتْ فنوّرتْ | سوادَ الدُّجى حتّى تفرّق وانجـلى[6].
وسوف تراهم واحداً بعدَ واحدٍ | مَعَ اثنينِ من أصحابِهِ مُتَمثِّلا[7]
تخيّرَهم نُقّادُهم كــلُّ بــارعٍ، | وليس عـلى قُرآنـه متأكّـلا[8].
فأمّا الكريمُ السِرُّ في الطِيب نافعٌ، | فذاك الذي اختار المدينةَ منزلا[9].
وقالونُ عيسى ثمّ عُـثمانُ وَرْشُهم | بُصحبتـه المجدُ الرفيعَ تأثّلا[10].
ومكّـةُ- عبدُ الله فيها مُقامُـه | هو ابنُ كَثيرٍ كاثرُ القومِ مُعتَلا[11]
روى أحمدُ البَزّي لـــه ومحمّــدٌ | على سَنَدٍ، وهو المُلقّب قُنْبُلا[12].

---

(١) النجل: الابن. الملأ: الأشراف.- إذا كان ذلك (البيت السابق) أجر الوالدين من ابنهما، فما قولك بأجر الابن نفسه؟.

(٢) حلاهم: صفاتهم.

(٣) الدنيا (الدنيّة).- تبدّل بالنفس الواحدة الدنية (في هذه الحياة) نفوساً كثيرة سامية (في الآخرة).

(٤) السلسل: السهل الجريان في الحلق.

(٥) الأزهر: الأبيض، اللامع (المشهور)؟ الكمّل (يقصد الكملة. بفتح ففتح): الكاملون.

(٦) الشهاب (هنا): النجم اللامع الظاهر. انجلى الدجى (الظلام): زال. تفرّق. ستأتي أسماؤهم.

(٧) سيذكر الشاطبي كلّ قارىء (حافظ للقرآن) ويذكر اثنين من أتباع كلّ واحد منهم.

(٨) النقّاد (العارفون بقراءة القرآن) هم الذين اختاروا هؤلاء القرّاء الحفّاظ (للقرآن) وممن ليسوا من المتأكّلين (المتكسّبين، المرتزقين) بقراءة القرآن.

(٩) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ = ٧٨٥ م)، من أهل اصفهان ومنزله (مسكنه) في المدينة.

(١٠) قالون هو أبو موسى عيسى بن مينا (ت ٢٠٥ هـ) ثمّ أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري، ولقبه ورش (ت ١٩٧ هـ). تأثّل: تشبّه. المجد الرفيع يتأثل (يتخلّق بأخلاق) قالون.

(١١) أبو معبد عبد الله بن كثير المكّيّ (ت ١٢٠ هـ). كاثر القوم: زاد عليهم (بالعلم). معتلٍ: قد علا فوق أنداده (؟).

(١٢) أبو الحسن أحمد بن محمّد بن أبي بزّة من أهل مكّة (ت ٢٤٣ هـ). البزّي بالفتح (؟). ثمّ أبو عمر محمّد بن عبد الرحمن، ولقبه قنبل (ت ٢٩١ هـ).

وأمّـا الإمـامُ المـازنيُّ صريحُهم أبو عمْرِو البَصْريُّ والدُه العَلا[1] .
أفاضَ على يحيى اليزيديِّ سَيْبَه فأصبحَ بالعَذْب الفُرات مُعَلَّلا[2] .
أبو عُمَرَ الدّوري وصالِحُهم أبو شُعَيْبٍ هو السوسيُّ منه تَقبّلا[3] .
وأمّا دِمَشْقُ الشام دارُ ابنِ عامرٍ، فتلك بعبدِ الله طابتْ مُحَلَّلا[4] :
هشام وعبـدُ الله كـان انتسابُه لذَكوانَ بالإسنـادِ عنـه تَنَقَّلا[5] .
وبالكوفــةِ الغرّاء منهم ثلاثــةٌ أذاعوا، فقدضاعتشَذاًوقَرَنفُلا[6] .
فأمّـا أبو بكرٍ، وعاصمٌ اسْـمُه، فشُعْبة راويهِ المُبرِّزُ أفْضَلا[7] .
وذاك ابنُ عيّاشٍ أبو بكرٍ الرِضَا وحفصٌ وبالإتقان كان مُفضَّلا[8] .
وحمزةُ مــا أزكـاهُ من مُتورِّعٍ إماماً صبوراً للقُران مرتِّلا[9] .

---

(١) المازني هو أبو عمرو بن العلاء البصريّ (ت ١٥٤ هـ). صريحهم (كان عربيّاً خالص النسب، وكانوا هم موالي: غير عرب). وفي نسب المازني خلاف.

(٢) يحيى بن المبارك اليزيديّ (ت ٢٠٢ هـ) من أهل البصرة. السيب: العطاء (من العلم). الفرات: الحلو (المازني أفاض علمه على اليزيديّ). المعلّل: الذي يُسقى الماء شيئاً فشيئاً.

(٣) وقد قرأ على اليزيديّ اثنان: أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوريّ الكوفيّ (ت ١٩٤ هـ) ثمّ أبو شعيب صالح بن زياد السوسي (ت ٢٦١ هـ).

(٤) المحلّل: المكان الذي ينزل فيه الناس (يسكنونه). أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي (ت ١١٨ هـ) ولد في قرية رحاب من البلقاء (شرق نهر الأردن) ثمّ انتقل إلى دمشق وسكنها.

(٥) أبو الوليد هشام بن عمّار الدمشقي (ت ٢٤٥ هـ) ثمّ أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان (ت ٢٤٢ هـ)، بالإسناد عنه (عن عبد الله بن عامر) تنقّلا (نقلا عنه غير مباشرة، بل بوساطة آخرين بينهما وبين ابن عامر).

(٦) الغرّاء: البيضاء (المشهورة). أذاعوا: نشروا (القراءة للقرآن). ضاعت الرائحة: انتشرت. الشذا: الرائحة (الطيّبة) القويّة.

(٧) أبو بكر عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٧ هـ) أخذ عنه شعبة، وهو في الأغلب أبو بسطام شعبة بن الحجّاج البصري (ت ١٦٠ هـ). أفضل: زاد في الفضل على غيره.

(٨) أبو بكر بن عيّاش بن سالم الكوفي أخذ عن عاصم بن أبي النجود (راجع وفيات الأعيان ٣ : ٩). الرضا: العدل. ثمّ أبو عمرو حفص بن سليمان الكوفي (ت ١٨٠ هـ)، بالاتقان كان مفضّلا (على أبي بكر ابن عيّاش).

(٩) حمزة بن حبيب الزيّات الكوفي (ت ١٥٤ أو ١٥٨ هـ) كان متورّعاً (لا يأخذ أجراً على تعليم القرآن) صبوراً (على العبادة) قليل النوم بالليل. مرتّل (كان يرى دائماً وهو يرتّل القرآن).

روى خَلَفٌ عنه وخلّادٌ الذي رواه سُلَيمٌ مُتقَناً ومُحصَّلا[١] .
وأمّا عليٌّ فالكسائيّ نَعْتُه لِما كان بالإحرام فيه تَسَرْبلا[٢] .
روى لَيْثُهم عنه أبو الحارثِ الرضا
وحفصٌ هو الدَّوريّ، في الذِكر قد خلا[٣]
أبو عَمْرِهم واليَحْصُبيُّ ابنُ عامرٍ صريحٌ، وباقيهم أحاطَ به الوَلا[٤] .
لهم طُرُقٌ يُهدى بها كلُّ طارقٍ، ولا طارقٌ يُخشى بها مُتمحّلا[٥].
وهنّ اللّواتي للمُواتي نَصَبْتُها مناصبَ فانْصَبْ في نصابِك مُفْضِلا[٦] .
وها أنَذا أسْعى لَعلّ حُروفَهم يَطوعُ بها نظمُ القوافي مُسَهَّلا[٧].
جعلتُ أباجادٍ على كلّ قارئٍ دليلاً على المنظوم أوّلَ أوّلا[٨].
ومن بعدِ ذِكري الحرفَ أُسْمي رجالَه؛ متى تنقضي آتيكَ بالواو فَيْصلا[٩]

---

(١) أبو محمّد خلف بن هشام البزّار الأسدي (ت ٢٢٩ هـ) كان من بلدة قرب واسط ثمّ انتقل إلى بغداد. ثمّ أبو عيسى خلّاد بن خالد الكوفي (ت ٢٢٠ هـ). ثمّ سليم بن عيسى بن الكوفي (وفيات ٧ : ٢٥٠ ، المتن والحاشية ٤، راجع ٢ : ٢٤١ ، ٢٤٢).- خلف وخلّاد قرآ على سليم، وسليم قرأ على حمزة (راجع الحاشية السابقة). متقن (محكم ومحفوظ). محصّل (مجموع).

(٢) أبو الحسن عليّ بن حمزة الكسائي الكوفي (ت ١٨٩ هـ)، سمّي الكسائي لأنّه أحرم (في الحجّ) في كساء له.

(٣) أبو الحارث الليث بن خالد أخذ القراءة عن الكسائي. وحفص الدوري في الذكر قد خلا: قد تقدّم ذكره (راجع الحاشية ٣ ص ٤٩٨).

(٤) أبو عمرو المازني (الحاشية ١، ص ٤٩٨) وعبد الله بن عامر اليحصبي (الحاشية ١٣، ص) عربيّان، وسائر القرّاء موالٍ (أكثرهم من الفرس).

(٥) الطرق (هنا): طريقة أخذ كلّ قارئ عمّن سبقه. يهدى (بالبناء للمعلوم في الأغلب). الطارق: النجم المضيء (كناية عن العالم). المتمحّل: الذي يطلب للأمور تفسيراً له وجه له.

(٦) هنّ اللواتي (أي القراءات). للمواتي (المؤاتي): الموافق (الذي يوافقني في قراءة هذه الألفية (الشاطبية، ويتقن رموزها). نصبتها (رفعتها) مناصب (أعلاماً، إشارات ظاهرة). فانصب (اتعب، أجهد نفسك في فهمها). في نصابك (أصلك): في نيّتك ومقصدك (نيّتك الحسنة في إرادة الفهم)، مفضلاً (فتصبح في تحصيل هذا العلم ذا فضل).

(٧) حروفهم (اختلاف القرّاء في رواية عدد من ألفاظ القرآن الكريم). طاعه يطوعه: لان له وانقاد. وربّما قصد بقوله «حروفهم»: الحروف التي رمز بها إلى القرّاء (راجع الحاشية التالية).

(٨) أباجاد: حروف أبجد هوّز حطّي الخ (راجع مقدّمة دراسة الشاطبية، رقم ٢).

(٩) الحرف (هنا) ما وقع من الاختلاف بين القرّاء في رواية لفظة من ألفاظ القرآن الكريم. لم يجعل =

سوى أحرُفٍ لا رِيبةٌ في اتّصالها ، وباللفظ أَستغني عن القَيْدِ إن جَلا[1] .

وربَّ مكانٍ كُرِّرِ الحرفُ قبلَها لِما عارضٍ والأمرُ ليس مُهوّلا[2]

ومنهن للكوفيّ ثـاءٌ مثلّـثٌ وستّتُهم بالخـاء ليس بأغفلا[3] .

عَنَيْتُ الأُلى أثْبَتُّهم بعدَ نافعٍ وكوفٍ وشامٍ ،ذا لهم ليس مُغفَلا[4] .

وكوفٌ معَ المكّيّ بالظاء مُعجَماً وكوفٌ وبَصْرٌ غَيْنُهم ليس مُهْمَلا[5] .

وذو النَّقْطِ شينٌ للكسائي وحمزةٍ ، وقُلْ فيهما مَعْ شُعبةٍ صَحبةٌ تلا[6] .

صِحابٌ هما مَعْ حَفْصِهم عَمَّ نافعٌ وشامٌ سما في نافعٍ وفتى العَلا[7] .

ومكٌ وحقٌّ فيه وابن العَلاءِ قُلْ. وقلْ فيهما واليَحْصُبيّ نفر حلا[8] .

= الشاطبي حرف الواو رمزاً لأحد (لحاجته إليه كثيراً في عطف الألفاظ وعطف الجمل). من أجل ذلك جعل الواو فيصلا (فاصلاً) بين مجموع من القراءات للفظة ما وللفظة أخرى.

(١) إذا كان الفرق بين القرّاء واضحاً (معروفاً) فربّما أستغنى عن الاتيان بواو العطف. جلا: ظهر، بان.

(٢) القاعدة أن يذكر الناظم الحرف الذي يرمز إلى القارىء بعد الواو (التي هي حرف عطف). ولكنّه قد يضطّر (لإقامة الوزن) أن يأتي بحرف الرمز قبل هذه الواو. لما عارض (ما زائدة): لأمر عارض. مهوّل: يخيف، مفزع (لأنّ مخالفة القاعدة هنا لا تجعل المقصود غامضاً).

(٣) منهنّ (من حروف الأبجدية). ثاء (منقوطة بثلاث نقط) تدلّ على عاصم بن أبي النجود وحمزة الزّيّات والكسائي (وهم الكوفيّون) إذا اجتمعوا كلّهم على قراءة واحدة. أمّا إذا اجتمع الستّة القرّاء (نافع ابن عبد الرحمن وابن كثير والمازني وابن عامر وعاصم بن أبي النجود وحمزة والكسائي، أي البصريون والكوفيون معاً) فإنّ الناظم يرمز إليهم بالحرف « خاء » (بنقطة من فوقه)، وهو حرف ليس بأغفل (غير منقوط) بل هو منقوط.

(٤) الذال (هنا) من كلمة « ذا » للرمز. ليس مغفلا (ليس متروكاً بلا نقطة) بل هو منقوط بنقطة. هذا الرمز « ذ » جعله الناظم للدلالة على الكوفيّين وابن عامر (وهو من الشام: سورية).

(٥) معجم: منقوط. مهمل: غير منقوط. وإذا اجتمع عاصم وحمزة والكسائي (وهم كوفيون) مع ابن كثير (وهو مكّيّ) على قراءة واحدة رمز إليهم بالحرف « ظ » (بنقطة).

(٦) والشين (المنقوطة) رمز على حمزة والكسائي معاً. أمّا إذا وافقهم شعبة بن الحجّاج البصري فإنّ الناظم يرمز إليهم جميعاً معاً بالكلمة « صحبة ». تلا: قرأ.

(٧) كلمة « صحاب » رمز لما اتّفق على قراءته حفص وحمزة الزّيّات والكسائي. وكلمة « عمّ » جعلها الناظم دالّة على اتّفاق لنافع وابن عامر معاً. أمّا كلمة « سما » فهي رمز لنافع وأبي عمرو وابن كثير. وكذلك

(٨) الكلمة « مك » (وحقّ؟) جعلها (جعلهما؟) رمزاً لابن كثير وابن عمرو (بن العلاء). ثمّ إنّ الكلمة « نفر » كانت رمزاً على ما اتّفق في قراءته ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو.

وحِرْمِيٌّ المكِّيُّ فيـــه ونافـــعٌ وحِصنٌ عن الكُوفِي ونافِعُهم عــلا[١].

ومهما أتـــتْ من قبـــلُ أو بعـــدُ كِلمـــةٌ

فكُنْ عند شَرْطي واقْضِ بالواوِ فَيْصلا[٢].

وما كان ذا ضِدٍّ فإنّي بضِدِّهِ غنيٌّ،فزاحِمْ بالذكاء لِتَفْضُلا[٣].

كَمَـدٍّ وإثبـاتٍ وفتـحٍ ومُدْغَمٍ وهَمْزٍ ونَقْلٍ واختلاسٍ تَحَصّلا[٤].

---

(١) الكلمة « حرمي » تدلّ على ابن كثير ونافع. وكلمة « حصن » جعلها دالّة على نافع وعلى الكوفيّين (وهم: عاصم وحمزة والكسائي).

(٢) هذه الرموز يمكن أن يأتي كلّ رمز منها قبل كلمة أخرى - فتكون كلمة « صحاب »، مثلا (وهي رمز) مضافة إلى غيرها، نحو: صحابهم - وتأتي أيضاً بعد كلمة أخرى، فتكون الكلمة (التي هي رمز) حينئذ مجرّدة مفردة مستقلّة (غير مضافة). فكن عند شرطي (أي: خذ بالرموز التي شرحتها لك مفردة، ولا يدخل عليك تردّد، إذا أنت رأيت رمزاً من هذه الرموز قبل كلمة أخرى أو بعدها (مضافة أو غير مضافة). فيصل: فاصل (إنّ واو العطف هي الدليل على انتقال الناظم من قارىء إلى قارىء (من قرّاء القرآن الكريم) ومن مجموعة من القرّاء إلى مجموعة غيرها.

(٣) إذا كان في قراءة خلاف على التضادّ (قارىء يبدأ بالبسملة وقارىء غيره يترك البسملة)، فالناظم يذكر أحد الوجهين فقط، وأمّا الوجه الآخر (الذي هو الضدّ فيكون مستدركاً معروفاً بنفسه. زاحم بالذكاء (نافس غيرك باستخدام ما عندك من الذكاء) لتفضل (لتكون أفضل من غيرك في هذا المجال).

(٤) المدّ: اعطاء حرف العلّة (الألف بعد حرف مفتوح، والواو بعد حرف مضموم، والياء بعد حرف مكسور)، نحو: قام يقوم نريد (فحقّ الألف والواو والياء هنا أن تمدّ كلّها حركتين: بمقدار ما يمدّ الإنسان على أصابعه « اثنين »). فإذا جاء بعد أحرف العلّة همزة، نحو جاء، يسوء، البريء، طال حرف العلّة أربع حركات. أمّا إذا كان حرف العلة في آخر كلمة ثمّ تلا الكلمة أولها همزة، نحو « ما أنزلنا » (فإنّ حرف العلّة هنا يطول بمقدار ستّ حركات).

- الإثبات: قراءة الآية على ما هي مدوّنة في المصاحف، نحو: « جنّات تجري من تحتها الأنهار ». وفي عدد من الآيات ورد شيء من الحذف، نحو: « جنّات تجري تحتها الأنهار » (بحذف « من »).
- الفتح: لفظ الألف المقلوبة عن ياء (أو عن واو) بفتحة ظاهرة، نحو: رأى، تلا، مجراها، ضحاها. ويفهم الفتح إذا قلنا إن ضدّه « الإمالة » (أي لفظ الألف المقصورة هنا أو الألف الطويلة محيّرة بين الفتح والكسر).
- الإدغام ضدّه (هنا) الإظهار. ففي الإظهار نقول مثلاً: قد جعل (بلفظ الدال والجيم مستقلّتين)، وفي الادغام يقول بعضهم: فجّعل (بقلب الدال جيماً وادخالها في جيم « جعل ». ومثل ذلك: إذ دخل (ادّخل) وقل ربّ (قرّب)، وإن يأتوكم (وايّأتوكم) ومن يعرض (وميّعرض)، الخ.
- الهمز هو لفظ واضح للهمزة: يؤمنون، الذئب، هزؤا. وضدّ الهمز: ترك لفظ الهمزة (يومنون، الذيب، هزوا). =

وتَثْبــــــتُ في الحالــــــين دُرًّا لوامِعــــــاً

وقـــل قـــالَ موسى واحـــذِفِ الواوَ دخلـــلا(١):

وجَزْمٌ وتذكـــيرٌ وغيـــبٌ وخِفَّـــةٌ وجَمعٌ وتنوينٌ وتحريكٌ اعمَلا(٢).

وحيث جرى التحريكُ غيرَ مُقيّدٍ هوالفتـحُ،والإسكانُ آخاه منزلا(٣).

وآخيـتُ بينَ النونِ واليا، وفتحِهِم وكسرٍ،وبينالنصبوالخفضمُنْزِلا(٤).

وحيـث أقول الضمُّ والرفعُ ساكتاً فغيرُهمُ بالفتـحِ والنصبِ أقبلا(٥).

وفي الرفـعِ والتذكيرِ والغَيْبِ جُمْلَةٌ على لفظِهاأطلقتُ مَنْ قيّدَالعُـــلا(٦).

النقل: اسكان الحرف وتقديم حركته إلى الحرف الذي قبله: إنّ الأرض (بلام التعريف الساكنة وفتح الهمزة)، فبالنقل يقال: إنّ الارض (بنقل فتحة الهمزة إلى لام وترك لفظ الهمزة): «إنّ لرض».

- الاختلاس: خطف الحركة (تسكين الحرف المتحرّك)، نحو «سرق» (بضمّ السين وكسر الراء وفتح القاف - مثلاً)، قرأها بعضهم: «سرق» (بضمّ السين وسكون الراء).

(١) الدخلل (بضمّ الدال ثمّ فتح اللام الأولى أو ضمّها): من يداخل غيره في الأمور. لعلّ المقصود أن نفراً من القرّاء يقرأون اللفظ الواحد على وجهين أو أكثر.

(٢) من الخلاف بين القرّاء: بالجزم (جزم الفعل للمضارع أو نصبه مثلا)، والتذكير (أو التأنيث) والغيب: جعل الفعل بصيغة الغائب، نحو: «ويسبّحوه (هم)- فمنهم من يقرأ: «وتسبّحوه» (أنتم). وخفّة (ضدّ الثقل)، نحو تساءلون (بفتح التاء والسين): يسأل بعضكم بعضاً، في مقابل: «تسّاءلون (بتشديد السين؟). والجمع (ضدّه الافراد: يقرأ بالجمع أو بالمفرد) إذا كانت الصيغة الواحدة يمكن باختلاف الحركات أن تقرأ مفرداً أو جمعاً، نحو: جدر (بفتح ففتح للمفرد) وجدر (بضمّ فضمّ للجمع). والتنوين أو اهمال التنوين. ففي قراءة: اهبطوا مصرا (أي مدينة كبيرة) وفي قراءة ثانية: اهبطوا مصر (القطر المصري). والتحريك (توالي حركتين)، فهنالك قراءة: لقد جئت شيئاً نكراً (بضمّ فسكون) ثمّ قراءة ثانية (لقد جئت شيئاً نكراً (بضمّ فضمّ).

(٣) إذا قال: هذه الكلمة بالتحريك فهي بفتح ففتح، نحو: نهر (بفتح النون والهاء) وأمّا إذا قال بالتسكين فهي «نهر» (بفتح النون وسكون الهاء).

(٤) إذا قال: إنّ فلاناً قرأ فعلاً بالياء (للغائب): «يكفّر عنكم سيئاتكم (مثلاً) يكون غيره يقرأها بالنون (لجمع المتكلّم): «نكفّر عنكم سيئاتكم» (مثلاً). وآخى أيضاً بين النصب والفتح (قرن بينهما، جعلها دالين على شيء واحد (مع أنها أمران مختلفان. إنّ الضمّ والفتح والكسر من الحركات الأصلية في الكلمة. أما الرفع والنصب والجرّ فهي علامات للاعراب. نقول: جاء زيد ورأيت زيداً. إنّ الضمّتين على الدال (من زيد) والفتحتين (من زيدا) هما علامة رفع وعلامة نصب. أمّا الفتحة والسكون والضّمة الراء والهمزة والتاء (في رأيت) فهي من بناء الكلمة (لا تتغيّر باختلاف الإعراب).

(٥ و ٦) في هذين البيتين يكرّر الناظم التأكيد: إذا ذكر قراءة أحد القرّاء بوجه فتكون قراءة القارىء (الذي لم يذكره) بالوجه الآخر.

وَقبلَ وبعدَ الحرفِ آتي بكُلّ ما   رَمزتُ بهِ في الجَمْعِ إذ ليس مُشْكِلا[1].
وسوف أُسمّي حيثُ يسمَحُ نظمُه   به مُوضِحاً جِيداً مُعِمًّا ومُخْوِلا[2].
ومن كان ذا بابٍ له فيه مذهبٌ   فلا بُدَّ أن يُسْمى فيُدْرى ويُعْقَلا[3].
أهلّــتْ فلَبّتْهــا المعــاني لُبابُهــا   وصُغْتُ بها ما ساغَ عذْباً مُسَلْسَلا[4]
وفي يُسْرِها « التَيْسيرُ » رُمْتُ اختصارَه   فأجْنَتْ بعونِ الله منه مُؤمَّلا[5].
وألفافُهــا زادتْ بنَشْرِ فوائــدٍ   فلَفَّتْ حَياءً وجهَها أن تَفَضَّلا[6].
وسَمَّيْتُها « حِرزَ الأمـاني » تَيَمُّناً   « ووَجْهَ التّهاني » فاْهْنِهِ مُتَقَبِّلا[7].
وناديتُ: أللّهُمّ يا خيرَ سامعٍ ،   أعِذْني من التَسْميع قولاً ومَفْعَلا[8].
إليك يدي ، منكَ الأيادي تَمُدُّها ،   أجِرني فلا أجْري بجَوْرٍ فأخطَلا[9].

---

(١) الحرف: القراءة من القرآن الكريم (نهر - بفتح فسكون أو بفتح ففتح - حرفان في اصطلاح قراءة القرآن الكريم). الرمز (هنا) هو الحرف من الحروف الهجائية التي جعلها الناظم علامة على كلّ قارىء. هذا الحرف الذي هو « رمز » يمكن أن يأتي في أبيات هذه الأرجوزة « قبل » الحرف الذي هو وجه من أوجه القراءة.

(٢) ولكن ربّما ذكر الناظم اسم القارىء صراحة (قالون، نافع، الخ) إذا أمكن ذلك في الوزن. موضحاً: مبيّناً. جيد: عنق. معمّ (فيه شبه من عمّه). مخول: (فيه شبه من خاله). « بجيد معمّ في العشيرة مخول » (شطر لامرىء القيس)، كناية عن صحّة النسب وكرم الأصل.

(٣) إذا كان لقارىء قراءة خاصّة به لا يقرأ بها أحد غيره فإنّ الناظم يذكر اسم ذلك القارىء صراحة ولا يرمز إليه بحرف من حروف الهجاء.

(٤) أهلّت: طلعت (بدت) كالهلال (منيرة). وأهل أيضاً: رفع الرجل صوته (كناية عن الوضوح). لبّتها المعاني (استجابت لها المعاني): استطعت أن أجمع فيها كلّ القراءات. لبابها (بدل من المعاني): الخالص من كلّ شيء (الصحيح، الأصيل). ساغ الشراب (جرى في الحلق بسهولة).

(٥) اختصر الناظم في هـذه الأرجوزة كتـاب « التيسير » (في القراءات) لأبي عمرو الـداني (ت ٤٤٤ هـ - راجع ترجمته في الجزء الرابع).

(٦) يقول الناظم: ومع أنّ في هذه الأرجوزة أحكاماً أكثر عدداً من تلك الموجودة في كتاب « التيسير »، فإنّي لم أشر إليها كيلا يظنّ نفر من الناس أنّني أريد أن أفتخر على صاحب كتاب « التيسير ».

(٧) فاهنه (اهنأ به - فعل أمر) متقبّلا: قابلا، راضياً بما فيها، ومقبلا عليها كي تستفيد ممّا فيها.

(٨) التسميع: طلب السمعة (الشهرة عند الناس).

(٩) الجور: الظلم، والحيد (بفتح فسكون عن الطريق السويّ. الخطل (بفتح ففتح). الكلام المضطرب الفاسد.

أمينَ وأمْنــاً للأمــينِ بسرِّهــا ، وإنْ عثَرتْ فهو الأمونُ تحمُّلا(١) .
أقولُ لحُرٍّ والمُروءَةُ مَرْؤُهــــا لإخوتهِ المرآةُ في النُّورِ مِكْحَلا(٢) .
أخي - أيّها المجتازُ نَظْمي ببابهِ - يُنادي عليه كاسدُ السوقِ : أجْمِـلا(٣)
وظُنَّ بها خيراً وسامحْ نَسيجَه بالإغضاء والحُسْنى وإنْ كان هَلْهَلا(٤)
وسَلِّمْ لإحـــــدى الحُسنَيَيْنِ إصابــــــة
والأخرى اجتهـــاد رام صَوْبــا فـأمْـحَـلا(٥) .

وإن كـانَ خَرْقٌ فادّرِكْهُ بفَضْلَةٍ من الحِلم ، وليُصْلِحْهُ من جاد مِقْولا(٦)
وقُـلْ صادقاً لولا الوِئامُ وروحُه لطاحَ الأنامُ الكلُّ في الخُلفِ والقِلى(٧)
وعِشْ سالماً صَدْراً ، وعن غَيْبةٍ فَغِبْ تُحَضَّرْ حِظارَ القُدْسِ أنقى مُغَسَّلا(٨)

---

(١) أمين: (آمين): اسم فعل بمعنى « استجب » (يا ربّ). أمنا (منصوبة بفعل محذوف): هب لي (يا ربّ) أمنا. الأمين (الرجل المؤتمن على ما في هذه الأرجوزة من الأحكام). وإن عثرت (وإذا كان فيها عثرة: خطأ) فهو (أي القارىء لهذه الأرجوزة) الأمون (الناقة القويّة) كناية عن يستطيع بسعة صدره أن يغضي عمّا يمكن أن يكون فيها من الخطأ.

(٢) الإنسان الحرّ يكون مرآة لإخوانه (يدلّهم على عيوبهم من غير أن يقرّعهم أو يفتخر عليهم).

(٣) « كاسد السوق » إشارة إلى ناظم الأرجوزة، فهو ينادي (يقول لقارئها): أجمل (قل فيها قولا جميلاً - وإن كانت لا تستحقّه).

(٤) بالإغضاء (بغضّ البصر عن العيوب). الملهل: الثوب الضعيف النسج (القول الركيك القليل المعنى).

(٥) في الأصل: اصابة واجتهاد (بالرفع بضمّتين). ولعل الأصوب نصبها على أنّها مفعول به من « سلّم ». إحدى الحسنيين (إشارة إلى الحديث الشريف: من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد): إذا كان في هذه الأرجوزة صواب فانسبه إلى اجتهادي الذي وافق الحقّ. وإن كان فيها خطأ فانسبه إلى حسن ظنّي ومدى معرفتي (القليلة). الصوب: سقوط الدفعة (بالضمّ) من المطر. أمحل المكان (أجدب) لم يسقط فيه مطر (لقد قصدتُ أن أصيب فلم يتيسّر ذلك لي).

(٦) الخرق: الخطأ الواضح الفاضح. وليصلحه (يصحّحه) من جاد (الذي يحسن) مقولا (القول): من عرف وجه الصواب فيما أخطأت أنا فيه فليتفضّل بأن يدلّ الناس عليه.

(٧) طاح: هلك، اضطرب، تاه، ضلّ. الأنام الكلّ: كلّ الأنام (الناس). الخلف: الاختلاف. القلى: البغضاء.

(٨) وعن غيبة (ذكر أخيك بما يكره) فغب (اهجر): لا تقل شيئاً رديئاً عن أحد. فإذا فعلت ذلك تحضّر (يدخلك الله) حظار (حظيرة: مكان فيه شجر تقي من الحرّ) القدس (الطهر ، المكان الطاهر ، النقيّ): الجنّة. انقى مغسّلا (نظيفاً عارياً من كلّ درن: وسخ ، ذنوب).

وهذا زمانُ الصبرِ، مَنْ لكَ بالتي كَقَبْضٍ على جَمْرٍ فتَنْجو من البَلا[1]
ولو أنّ عينـا ساعدت لتوكّفتْ سحائبُها بالدمعِ دِيَماً وهُطّلا[2]
ولكنّها عن قَسْوةِ القلبِ قَحْطُها، فيا ضيعةَ الأعمارِ تَمْشي سَبَهْلَلا[3]
بِنفسي مَنِ استَهْدى إلى اللهِ وحدَه وكانَ له القُرآنُ شِرباً ومُغْسَلا[4]
وطابتْ عليه أرضُه فتَفَتّقَتْ بكلّ عبيرٍ حينَ أصبحَ مُخْضَلا[5]
فطُوبى له والشوقُ يبعَثُ هَمَّهُ وزَنْدُ الأسى يهتاجُ في القلبِ مُشْعِلا[6]
هو المُجْتَبَى يغدو على الناسِ كُلِّهمْ قريباً غريباً مُسْتَمالاً مُؤَمَّلا[7]
يُعَدُّ جميعَ الناسِ مولًى لأنّهم على ما قضاهُ اللهُ يُجْرونَ أفعُلا[8].

---

(١) هذا الزمن الذي نعيش فيه زمن محنة ومصائب وفتن (قتال وعداوات) كقبض على جمر (نار)، لصعوبة الحياة فيه (إشارة إلى الحديث الشريف: يأتي على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر).

(٢) لو أنّ الناس يشعرون بما يحيط بهم من المصائب ويطلّ عليهم من التهديد لتوكّفت (قطرت، بكت) عيونهم. ديما (جمع ديمة: مطرة دائمة) وهطّلا: مع هاطل: مطر كثير.

(٣) السبهلل: الفارغ، المفرد (بنفسه لا شيء معه). - ولكن عيون هؤلاء الناس لا تبكي لقسوة قلوبهم. الأعمار تمشي: تمرّ، تنقضي. تمشي سبهللا (يسير المرء بفرح وتكبّر مع أن عمره خال من الأعمال الصالحة).

(٤) - أفدي بنفسي كلّ إنسان يستهدي (يطلب الهداية) من الله وحده ثم يتّخذ القرآن (بالاستمرار في قراءته) شربا (حظّا، نصيباً) ومغسلا (وسيلة إلى الاغتسال من الذنوب) لأنّ قراءة القرآن تزيد في حسنات قارئه.

(٥) فإذا أكثر المسلم من قراءة القرآن «طابت عليه أرضه» (صلحت حاله بالطاعة) و «تفتّقت» (تشقّقت: انتشر منها) بكلّ عبير (رائحة طيّبة): شعر بالسرور والسعادة حين أصبح مخضلا (مبتلاً بالماء): حين تعظم حسناته فيعظم سروره (لكثرة ما ينال من الخيرات من عند الله).

(٦) فطوبى له: ما أسعده (في هذه المدّة التي يقرأ فيها القرآن ويقوم بطاعة الله). وزند (حديدة تقدح بها النار من الحجر) الأسى (الحزن) يهتاج في القلب مشعلاً (ندماً على الزمن الذي مرّ في أوّل حياته ولم يكن فيه يقرأ القرآن أو يقوم بفروض الدين).

(٧) هو المجتبى (الذي يقرّبه الله إليه)، ثم يصبح هذا الإنسان قريباً من الناس (محبوباً عندهم)، ولكن غريباً (لأن أمثاله قليلون) مستالا (يحبّ الناس أن يقرّبوه إلى أنفسهم - أو يتقرّبون منه) مؤمّلا (يرجو الناس المعونة منه عند الشدائد).

(٨) مولى (خليقاً بالرعاية). في الأصل «أفعَل» (بفتح العين)، ولعلّ الأصوب أن تكون «أفعُل» (بضمّ العين (جمع قلّة قياسيًّا مثل أجبل وأنهر وأبحر). يحسن بالعاقل أن يعذر الناس لأنّ الأعمال السيئة التي يقومون بها (مثل أعمالهم الحسنة أيضاً) قد كتبها الله عليهم.

يرى نفسَه بالـــذمّ أولى لأنّهـــا | على الجد لم تلعَقْ من الصبْر والألا[١].
وقـد قيل كُنْ كالكلب يُقصِيه أهلُه | وما يأتلي في نُصْحِهم مُتَبذِّلا[٢].
لعلّ الّهَ العرشِ ، يا إخوتي، يَقي | جَماعتَنا كلَّ المكارهِ هُوَّلا[٣]،
ويجعلُنـــا مِمّنْ يكونُ كِتابُـــه | شفيعاً له إذ ما نَسُوه فيَمْحَلا[٤].
وبـالله حَوْلي واعتصامي وقُوّتي، | ومـا لِيَ إلاّ سترُهُ مُتَجلِّـلا[٥]
فيا ربِّ، أنتَ اللهُ حسْبي وعُدّتي، | عليكَ اعتمادي ضارعاً مُتوكِّلا[٦].

(ب) من المتن: «أحكام البسملة (شرح ابن القاصح على الشاطبية، ص ٣٠)».

وبَسْمَـلَ بـينَ السورتـين بسُنّـةٍ | رجـالٌ نَموْها دِرْيَةً وتحمُّلا[٧].
ووَصْلُكَ بين السورتين فَصاحةٌ، | وَصِلْ واسْكُتَن كل جَلاياهُ حصّلا[٨].

---

(١) الصبر (بفتح الصاد وكسر الباء - أو بسكون الباء مع كسر الصاد أو فتحها): عصارة شجر مرّ. والألا: شجر مرّ الطعم. - انّ من يلوم غيره (وهو لم يختبر ما اختبروه، أو لم يلق شيئاً من المشاقّ في الوصول إلى مكانته - أو لم يكلّف نفسه الثبات على طاعة الله) أحق من كلّ الناس بالذمّ.

(٢) إنّ الكلب أكثر وفاء للإنسان من الإنسان للإنسان. - ربّما طرد نفر من الناس كلباً كان عندهم (لسبب ما)، ولكن هذا الكلب يظلّ (برغم ذلك) يبذل جهده في نصح أولئك الناس (والدفاع عنهم).

(٣) يقي: يحمي. هوّل (المقصود أن تكون جمع هائل: مخيف).

(٤) الكتاب: الصحيفة التي تكون فيها أعمال الإنسان ثمّ تعرض عليه يوم القيامة. فإذا كانت حسنات الإنسان في صحيفته أكثر من سيّئاته شفعت له فدخل الجنّة. - وربّما كان «الكتاب» (هنا): القرآن. فمن حفظه وتلاه (وآمن بما فيه) كان القرآن شفيعاً له يوم القيامة. محل يمحل فهو ماحل (خصم). من هجر القرآن في الدنيا كان القرآن خصمه يوم القيامة. وفي الحديث: القرآن شافع مشفّع وماحل مصدّق. من شفع له القرآن يوم القيامة نجا، ومن محل به (كاده أو سعى به إلى السلطان) كبّه الله في النار على وجهه».

(٥) الحول: القوّة. الاعتصام: التمسّك.

(٦) حسبي: كفايتي (إذا اعتمدت عليه فلا أحتاج إلى أحد بعد ذلك). وعدّتي (للمستقبل). الضارع: الذليل الخاضع.

(٧) إذا قرأ المسلم سورة ثمّ استمرّ إلى الثانية، فلا ضرورة للبسملة (قراءة: بسم الله الرحمن الرحيم) بينهما. ولكن من السنّة (من عادة رسول الله أنّه كان يفعل ذلك). وهنالك رجال (قرّاء) نموا ذلك: رفعوه (رووه عن الرسول) دربة (أو دراية: بعلم يقين) وتحمّلا (حملا: رواية عن رجال آخرين - من الصحابة - كانوا يفعلون ذلك).

(٨) ويجوز أيضاً أن تصل بين السورتين (بنفس واحد) فتنتهي من سورة وتبدأ سورة من غير أن تبسمل بينهما. وكلّ جلاياه حصّلا: وجميع القرّاء يعرفون ذلك. ولكن إذا انتهى القارىء من سورة الناس =

ولا نصٌّ كَلاّ حُبَّ وجهٌ ذكرتُه		وفيه اختلافٌ جِيدُهُ واضحُ الطُّلا[1].
وسَكْتُهُمُ المُختـارُ دونَ تنفُّسٍ،		وبعضُهُمُ في الأربعِ الزُهْرِ بَسْمَلا[2].
لهم دون نصٌّ وهو فيهنّ ساكتٌ		لِحَمْزَةَ فافْهَمْه وليس مُخَذَّلا[3].
ومهما تَصِلْهـا أو بَـدأتَ براءةً		لِتنزيلها بالسيفِ لستَ مُبَسْمِلا[4].
ولا بُدَّ منها في ابتدائك سُورةً		سِواها، وفي الأجزاء خُيِّرَ مَنْ تلا[5].
ومهما تَصِلْها مع أواخرِ سُورةٍ،		فلا تَقِفَنَّ - الدهرَ - فيها فتثقُلا[6].

- أحكام تفخيم الراء وترقيقها (شرح ابن القاصح على الشاطبية، ص ١١٩ - ١٢٢):

ورقَّـقَ وَرْشٌ كـلَّ راءٍ وقبلَها		مُسَكَّنةً ياءٌ أو الكسرُ مُوصَلا[7].

= (رقم ١١٤ آخر المصحف) ثم أراد أن يصلها بالفاتحة (السورة الأولى أول المصحف) فيجب عليه أن يبسمل.

(١) ولا نصّ على أحد الوجهين (البسملة أو ترك البسملة) إذا انتهى القارىء من سورة ثم بدأ السورة التي تليها بنفس واحد. ولكنّ كلّ قارىء قد اجتهد واختار بحسب اجتهاده. الجيد: العنق. الطلا جمع طلاة (بالضمّ): العنق أو صفحة العنق. واضح الطلا: أمر ظاهر.

(٢ و٣) هنالك سور يستحسن السكت عليها - بلا تنفّس - أو البسملة عند الانتقال من احداها إلى التي تليها، لا ضرورة هنا لتفصيل ما يتعلّق بها).

(٤) وعند قراءة سورة «براءة» أو «التوبة» (السورة التاسعة في المصحف) لا يبسمل القارىء لها، لأن هذه السورة نزلت في الحرب وفي تهديد المشركين.

(٥) أمّا إذا ابتدأ القارىء قراءة سورة (غير براءة) فلا بدّ من البسملة. أمّا إذا أراد أن يقرأ جزءاً من سورة (فيبتدىء من ربعها أو وسطها الخ) فله أن يبسمل أو أن يترك البسملة.

(٦) يجوز عند الانتقال بالقراءة من سورة إلى سورة تليها: قراءة آخر السورة والبسملة وأول السورة التالية وصلا بنفس واحد - الوقف عند آخر السورة الأولى، والوقف على البسملة ثم الابتداء بقراءة أول السورة التالية - الوقف عند آخر السورة الأولى ثم قراءة البسملة وأول السورة التالية بنفس واحد. ولكن لا يجوز قراءة آخر السورة الأولى مع البسملة بنفس واحد ثم البدء بالسورة التالية بنفس جديد.

(٧) إنّ ورشا قد قرأ كلّ راء (مهما يكن الحرف الذي يسبقها أو الحركة التي تسبقها): لفظها نحيفة غير غليظة.

ولم يَرَ فَصْلًا ساكنـــــــاً بعـــــــدَ كسرةٍ
سوى حرفِ ٱلِاسْتعــلا سوى الخــا فيكمُــلا[1] .

وفخّمَهــا في الأعجميّ وفي إرَمْ
وتكريرِها حتّى يُرى مُتَعدّلا[2] .

وتفخيمُـــه ذِكراً وسِتراً وبابَــه
لَدى جِلّةِ الأصحابِ أعْمَرُ أرحُلا[3]

وفي شرَرٍ عنـــه يرقّـــقُ كلُّهم،
و« حيرانَ » بالتفخيمِ بعضٌ تَقَبّلا[4] .

وفي الراءِ عن وَرْشٍ سوى ما ذكرتُـــه
مذاهبُ شَذّتْ في الأداءِ تَوَقُّلا[5] .

ولا بــدَّ من ترقيقِها بعدَ كَسرةٍ
إذا سَكَنَتْ، يا صاحِ، للسبعةِ المَلا[6] .

ومـا حرفُ ٱلِاسْتعلاءِ بعدُ، فرَاؤه
لِكُلِّهمُ التفخيـمُ فيها تَذَلّـلا[7] .

ويَجْمَعُها قِظْ خُصَّ ضَغْطٍ، وخُلْفُهم
بِفَرْقٍ جرى بينَ المشايخِ سَلْسَلا[8] .

---

(١) ولكن ورشا يفخّم الراء إذا جاءت بعد حرف استعلاء (فخم بنفسه: خ، ص، ض، ط، ظ، غ، ق) نحو: فطرة، إصرا. ولكنّه يرقّق الراء بعد الخاء (شرح ابن القاصح ١١٩).

(٢) ثمّ إنّ ورشا فخّم الراء في الألفاظ الأعجمية: ابراهيم، عمران (بكسر العين)، إرم (بكسر الهمزة وفتح الراء)، وفي الكلمات التي تتكرّر فيها الراء، نحو: ضرارا – حتّى يرى (اللفظ) متعدّلا: فإنّ الراء الثانية مفخّمة ثمّ فخّمت الراء الأولى إلحاقاً.

(٣) جلّة الأصحاب: كبار صحابة رسول الله. أعمر الرحل (بفتح الراء: منزل الإنسان): جعله أكثر عمراناً (بضمّ العين). وفخّم ورش كلمات منها: سترا، وزرا، صهرا (بالكسر فيها كلّها) ولكن يجوز تفخيمها. غير أن ورشا يرقّق كلمة سرًّا، مثلا.

(٤) وجميع القرّاء الذين رووا عن ورش يرقّقون ألفاظاً مثل « بشرر (بترقيق الراء الأولى أيضاً، لأنّ ما بعدها مكسور، وإن كانت هي وما قبلها مفتوحين). ولكنّ ورشا نفسه كان إذا وقف على كلمة « بشرر » فخّم الراءين معاً. وأمّا غير ورش فإنّهم يفخّمون الراء الأولى في « بشرر ». وأمّا الراء الثانية فلها عند هؤلاء وجهان: التفخيم (إذا سكّنوها) والترقيق (إذا هم عاملوها بالروم – بفتح الراء –، أي باختلاس الحركة حتّى تدلّ شفتا القارىء على حركتها من غير أن يسمع القريب منه لفظها. وكذلك روى ناس عن ورش تفخيم الراء في كلمة « حيران ».

(٥) الأداء: طريقة لفظ الكلمات. توقّل: صعّد في الجبل. وهنالك روايات عن ورش في تفخيم الراء في عدد من الألفاظ مختلفة الأحوال وشاذّة عن القواعد فيحسن ترك التوسّع فيها (في الأرجوزة).

(٦) وجميع القرّاء يرقّقون الراء إذا جاءت بعد كسرة (في وسط الكلمة)، نحو: فرعون، شرعة (أو في آخر الكلمة)، نحو: فاصبر، سحر مستمرّ.

(٧ و ٨) وجميع القرّاء قد فخّموا الراء بعد أحد حروف الاستعلاء السبعة، وهي: الخاء والصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف (مجموعة في: قظ خصّ ضغط). ثمّ إنّهم يختلفون في ذلك اختلافاً يسيراً (رأينا قبلا أن ورشا يرقّق الراء إذا وقعت بعد هذه الأحرف إلّا الخاء، فإنّه يفخّم الراء بعد الخاء).

وما بعدَ كسرٍ عارضٍ أو مُفصَّلٍ ففَخِّمْ، فهذا حُكمُه مُتَبَذِّلا(١)
وما بعدَه كسرٌ أو اليا، فما لَهُمْ بترقيقِهِ نصٌّ وثيقٌ فيَمْثُلا(٢)
وما لقياسٍ في القراءةِ مَدخَلٌ، فدونكَ ما فيه الرِضا مُتَكَفِّلا(٣):
وترقيقُها مكسورةً عند وَصْلِهم وتفخيمُها في الوقْفِ أجمَعُ أشمُلا(٤)؛
ولكنَّها في وَقْفِهم مَعَ غيرِها تُرَقَّقُ بعدَ الكسرِ أو ما تَميَّلا(٥)،
أو الياءُ تأتي بالسكونِ، ورَوْمُهم كما وَصْلِهم فابْلُ الذكاءَ مُصَقَّلا(٦).

---

(١) وجميع القراء (وورش فيهم أيضاً) يفخّمون الراء إذا جاءت بعد كسر عارض (ليس من أصل الكلمة)، نحو: ارجعوا (فعل أمر لجماعة المخاطبين) وارتابوا، الخ ثم في امرأة، امرؤ، امرؤ... (لأن الراء هنا مسبوقة بسكون). وأمّا الكسرة في أول «ارتابوا» فإنّها أيضاً ساكنة (لأنها همزة وصل) ثم نحن أجزنا كسرها لنتمكّن من لفظها إذا نحن بدأنا لفظها غير موصولة بكلمة قبلها. إذا قرأنا: لكلّ امرىء الفظنا ذلك بكسر اللام الثانية (في لكلّ) وبتسكين الهمزة والميم معاً في «امرىء» (فتختفي حينئذ الهمزة وتبقى الميم ساكنة قبل الراء). أو مفصّل (مفصول بينه وبين الراء، نحو «امرىء»، فإنّه قد فصل بين الراء والهمزة المكسورة في اللفظ بالميم الساكنة). حكمه متبذّلا (مبذول، مشهور).

(٢) إذا وقع بعد الراء كسر أو حرف الياء، فلا نصّ حينئذ على ترقيق الراء فتكون الراء حينئذ مفخّمة. فيمثل (بالبناء للمعلوم، في الأصل): يكون أمثل ذا وجه صحيح. ويجوز بناء «يمثل» للمجهول فيكون معناها: تتّبع على أنّها قاعدة.

(٣) والأداء (قواعد القراءة في القرآن الكريم) رواية عن الصحابة عن رسول الله، فليس فيه قياس بعض ألفاظه على بعض. من أجل ذلك يحسن أن يكتفي المطالع بهذه الوصايا العامّة في تفخيم الراء أو ترقيقها.

(٤) إذا كانت الراء مكسورة: في أوّل الكلمات (نحو: رجال، رضوان) أو في وسط الكلمات (نحو: فرحين، الشاكرين) وجب ترقيقها. وأمّا إذا جاءت الراء المكسورة في آخر الكلمة، فإنّ لها حينئذ وجهين: إذا نحن وصلنا القراءة، نحو: إنّ المتّقين في جنّات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر. إنّ الراء في «نهر» (بفتح ففتح فجرّ) فالراء في «نهر» تكون مرققة. وأمّا إذا قرأنا: «إن المتّقين في جنات ونهر» (ووقفنا)، فإنّ الراء تكون حينئذ مفخّمة.

(٥) عند الوقف على الراء المكسورة (إذا كان ما قبلها مفتوحاً: «كلمح بالبصر»، أو مضموماً: «إلى أرذل العمر»، أو كانت مسبوقة بألف: «وقنا عذاب النار» أو بحرف ساكن سكوناً صحيحاً: «إنّ مع العسر يسرا»، أو بواو: (في عتوّ ونفور فإنّه يجب تفخيمها. وأما إذا جاءت الراء المكسورة (عند الوقف عليها) بعد حرف مكسور: «عند مليك مقتدر»، فإنّها ترقّق. تميّل من الأمالة (الحرف يحرك بين الفتح والكسر).

(٦) وإذا جاء قبل الراء (المفتوحة أو المضمومة) بعد الياء: نحو: «فافعلوا الخير - إنّ الله على كلّ شيء =

وفيما عدا هذا الذي قد وَصَفْتُه — على الأصلِ بالتفخيم كُنْ مُتَعَمِّـلا[١].

(جـ) الخاتمة:

وقـد وَفَّـقَ اللهُ الكريمُ بِمَنِّـهِ — لإكمالها حسناءَ مَيْمونةَ الجلا[٢].
وأبياتُهـا ألـفٌ تزيـدُ ثلاثـةً — ومَعْ مِائَةٍ سَبْعينَ زُهْراً وكُمَّلا[٣].
وقدْ كُسِيَتْ منها المعاني عِنايةً — كما عَرِيَتْ عن كلِّ عَوْراءَ مِفصَـلا[٤].
وتمّتْ بحمدِ اللهِ في الخَلْقِ سهلةً — مُنَزَّهةً عن مَنْطِقِ الهُجْرِ مِقْولا[٥].
ولكنّها تَبْغي من الناسِ كُفْوَها — أخا ثِقَةٍ يعفو ويُغْضي تجمُّلا[٦].
وليس لهـا إلّا ذُنوبُ وَلِيِّهـا؛ — فيا طيِّبَ الأنفاسِ، أحْسِنْ تأوُّلا[٧].
وقل: رَحِمَ الرحمنُ حَيّاً ومَيِّتاً — فتىً كانَ للإنصافِ والحِلْمِ مَعْقِـلا[٨].
عَسى اللهُ يُـدني سَعْيَـه بجَوازِه، — وإن كـان زَيْفاً غيرَ خافٍ مُزَلَّلا[٩].

= قدير »، فإنّها أيضاً ترقّق. - فابل (اختبر) الذكاء (ذكاءك) مصقّلا (مصقولاً مهذّباً، مثقّفاً): استعمل ذكاءك ومعرفتك في التفريق بين تفخيم الراء وترقيقها.

(١) أمّا في جميع الأحوال التي لم تذكر (في الأبيات الثلاثة السابقة) فيجب تفخيم الراء.

(٢) المَن: النعمة والإحسان والكرم. ميمونة: مباركة. الجلاء: العرض (على الناس).

(٣) زهر جمع أزهر (أبيض) وزهراء (بيضاء). كمّل جمع كامل.

(٤) عريت: خلت. العوراء: الكلمة القبيحة. مفصل: في القافية أو في وزن الشعر (يقول: ليس فيها عيب في نظمها من حيث وزنها ومن حيث قافيتها). والمفصل: اللسان (.... وليس فيها عيب في اللغة).

(٥) في الخلق (في البناء، في النظم). الهجر: الكلام الفاحش. المقول: اللسان (لم يلفظ لساني فيها بكلمة فاحشة).

(٦) تبغي: تطلب. الكفوْ: المثيل (هنا): العالم المنصف. أخو ثقة (في علمه) يعفو عن الخطأ (إذا كان هذا الخطأ غير مقصود) ويغضي (يغمض عينه عن تتبّع مواضع الخطأ: لا يقصد البحث عن أخطاء غيره). التجمّل: تكلّف الاتّصاف بالجمال أو بالفعل الجميل (يحسن بالقارىء إذا وقع على خطأ في هذه الأرجوزة أن يلتمس لناظمها عذراً في ذلك).

(٧) ليس في هذه الأرجوزة عيب إلّا ذنوب وليّها (ناظمها): ذنوبه في الدين (لا في نظم الشعر). التأويل (هنا) البحثُ عن وجه حسن لما تجده فيها من العيب (لأنّ ناظمها لم يقصد أن يخطىء).

(٨) فتى (يقصد بذلك نفسه): يسأل قارىء هذه الأرجوزة أن يطلب الرحمة لناظمها. الحلم: سعة الصدر ومسامحة الآخرين إذا أخطأوا. المعقل: الحصن (المأوى، المكان).

(٩) يدني: يقرّب. سعيه: عمله (هذه الأرجوزة). بجوازه (بانتفاع الطلّاب بهذه الأرجوزة - أو بجوازه: بسير ناظمها يوم القيامة على الصراط ودخل الجنّة). الزيف: الغش (خلط الشيء بما ليس من جنسه أو بما هو دون). المزلّل: الكثير الزلل والخطأ.

فيا خيرَ غفّارٍ ويا خيرَ راحمٍ ، ويا خيرَ مأمولٍ جَداً وتفضُّلا[1] ،
أقِلْ عَثْرتي وانْفَعْ بها وبقَصْدِها ؛ حَنانَيْكَ - يا اللهُ - يارافعَ العُـلا[2] .
وآخِرُ دَعْوانـا بتوفيـقِ ربِّنـا أنِ الحمـدُ للهِ الذي وَحْدَه عَلا .
وبعـدُ صـلاةُ الله ثمّ سَلامُـه على سيّدِ الخَلْقِ الرِضا مُتنخَّلا[3] :
مُحمّـدِ المختـارِ للمجـدِ كَعْبـةً صلاةً تُباري الريحَ مِسكاً ومَنْدَلا[4] ؛
وتُبـدي عـلى أصحابـهِ نَفَحاتِها بغـيرِ تَناهٍ زَرْنَبا وقَرَنْفُلا[5] .

٤- حرز الأماني ووجه التهاني (في القراءات السبع)، مصر (طبع حجر: بمطبعة حسن التتري؟) ١٢٨٦ هـ؛ نشرت في « مجموع لطيف »، مصر (حسن الطوخي) ١٣٠٢ هـ (؟)؛ بعنوان « متن الشاطبية » (شعبان محمّد إسماعيل)، مصر (مكتبة جمهورية مصر، بلا تاريخ.

- عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، القاهرة ١٢٨٢ هـ؛ في « مجموع لطيف »، مصر (حسن الطوخي) ١٣٠٢ هـ؛ مصر (مطبعة شرف) ١٣٠٨ هـ.

** من الشروح عليها:

- كنز المعاني... لمحمّد بن الحسن الفاسي (ت ٦٥٦ هـ)، بشاور[6] (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ.

- إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ)، مصر (مصطفى البابي الحلبي) لشعلة الموصلي الحنبلي (ت ٦٥٦ هـ)، القاهرة (على نفقة الاتحاد العام لجماعة القرّاء).

- سراج القارىء المبتدي وتذكار المقرىء المنتهي لعلاء الدين عليّ بن عثمان بن محمّد المعروف بابن القاصح العُذري البغداديّ (ت ٨٠١ هـ)، القاهرة ١٢٩٤، ١٣٠٤[7]، ١٣١٧، ١٣٣٠، ١٣٤١، ١٣٤٦.

---

(١) الجداء: العطاء.

(٢) أقال فلان عثرة فلان: أقاله (رفعه، أنهضه) من عثرته (وقوعه أرضاً، أو في الخطأ).

(٣) سيد الخلق: محمّد رسول الله. المتنخّل: المختار من الناس (من خيار الناس وأفضلهم).

(٤) تباري (تنافس) الريح (في الكثرة والقوّة والسرعة) مسكا ومندل (المندل: العود - نوع من البخور - الطيّب الرائحة).

(٥) ... وأن يظهر أثر هذه الصلاة (الدعاء لله على محمّد رسول الله) على أصحابه. النفحة: حركة الريح، وانتشار الرائحة الطيّبة. الزرنب والقرنفل: نبتان طيّبا الرائحة.

(٦) بشاور مدينة في الشمال الغربي من القارة الهندية، كانت (في أيام الاستعمار البريطاني) من الهند (واليوم هي في باكستان).

(٧) مصر (المطبعة العثمانية).

- ارشاد المريد إلى مقصود القصيد للشيخ علي محمّد الضباع، مصر (مطبعة محمّد علي صبيح) ١٣٤٧ هـ.
- الوافي في شرح الشاطبية، تأليف عبد الفتّاح القاضي، مصر (مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمّد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية)، بلا تاريخ.
- ..... لأحمد يوسف نجاتي.

معجم الأدباء ١٦ : ٢٩٣ - ٢٩٦؛ نكت الهميان ٢٢٨ - ٢٢٩؛ وفيات الأعيان ٤ : ٧١ - ٧٣؛ التكملة (رقم ١٩٧٣)؛ الذيل والتكملة ٥ : ٥٤٨ - ٥٥٧ (رقم ١٠٨٨)؛ العبر (للذهبي) ٤ : ٢٧٣ - ٢٧٤؛ الديباج المذهب ٢٢٤ - ٢٢٥؛ وفيات ابن قنفذ ٢٩٦؛ المنّ بالإمامة ٢٦٦ - ٢٦٨؛ بغية الوعاة ٣٧٩ - ٣٨٠؛ شذرات الذهب ٤ : ٣٠١ - ٣٠٣؛ نفح الطيب ٢ : ٢٢ - ٢٤؛ شجرة النور الزكية ١٥٩؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ٣٣٧ - ٣٣٨؛ بروكلمن ١ : ٥٢٠ - ٥٢٢، الملحق ١ : ٧٢٥ - ٧٢٧؛ الأعلام للزركلي ٦ : ١٤ (٥ : ١٨٠)؛ تاج العروس (الكويت) ٣ : ١٣١ - ١٣٢؛ سركيس ١٠٩١ - ١٠٩٢.

ابنُ مَضاء

١ - هو أبو العباسِ (أو أبو جعفر أو أبو القاسم) أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمدِ بنِ سعدِ بنِ حارثِ بنِ عاصمٍ اللخميُّ والقرطبيُّ؛ ولد سَنَةَ ٥١٣ (١١١٨ - ١١١٩ م) في بيتِ شرفٍ وجاهٍ. دَرَسَ ابنُ مَضاء النحوَ في إشبيلية على ابن الرمّاك وعلى ابنِ بَشْكُوالَ وابن سحنونٍ، كما درس الحديثَ في سَبْتَةَ على القاضي عِياض.

تولى ابنُ مضاء القضاءَ في فاسَ وبجايةَ ثم عيَّنَهُ السلطانُ يوسفُ بنُ عبدِ المؤمنِ قاضياً للجماعة. وبَقِيَ في هذا المنصبِ في أيّامِ يعقوبَ المنصورِ. وقد كانتْ وفاتُه في السابع والعشرينَ من جُمادى الأولى من سَنَةِ ٥٩٢ (٢٩/ ٣/ ١١٩٦ م)، وقيل قَبْل ذلك بأسبوعٍ.

٢ - كان ابن مضاء مشاركاً في عددٍ من العلوم: في الحديثِ والفِقْه واللغة والنحو والحِساب والهندسة والطِّبّ، كما كان أديباً شاعراً. ولكنه خَصَّ نفسَه بالنحو. ولقد بَقِيَ لنا من كتبه كتاب « الردّ على النحاة » ألّفه في أواخِر حياتِه وحمل فيه على

الذين يعملون بكَثْرة تَمَحُّلِهِم (تطلُّبهم للأوجه المتعددة الممكنة من القاعدة الواحدة) على تعقيد البحث في النحو وعلى أن تغمُضَ مناهجه وطُرُقُهُ، ثم دعا إلى تسهيل عَرْضِ النحو (في التآليف) وتعليمه.

وكان لابنِ مَضاء من الكُتُبِ أيضاً: المشرق في النحو - تنزيه القُرآنِ عمّا لا يَليقُ بالبيان.

٣- مختارات من آثاره:

- من كتاب «الردّ على النحاة» لابن مضاء:

* (من المقدّمة):

أمّا بعدُ، فإنّه حملني على هذا المكتوبِ قولُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحةُ....»، وعلى الناظر في هذا الكتابِ من أهل هذا الشأن - إنْ كان مِمَّنْ يحتاط لدينه ويجعَلُ العلم مِزلَفاً له من ربه - أنْ ينظُرَ، فإنْ تبيَّن له ما نُبَيِّنُه رجَعَ إليه وشكر الله عليه، وإنْ لم يَتَبيّنْ له فليتوقَّفْ توقُّفَ الوَرِع عند الإشكال. وإنْ ظهر له خِلافُه فَلْيُبَيِّنْ ما ظهر له بقولٍ أو كتابة.

وإنِّي رأيتُ النَحْوِيِّين - رحمةُ اللهِ عليهم - قد وضعوا صِناعة النحو لِحفظِ كلامِ العرب من اللَحْنِ وَصِيانتِهِ عَنِ التَغْيير فبلغوا من ذلك الغايةَ التي أمّوا، وانتهَوْا إلى المَطلوبِ الذي ابْتَغَوْا؛ إلّا أنَّهُمْ التزموا ما لا يلزَمُهم وتجاوزوا فيها القَدْرَ الكافي فيما أرادوه منها فتوعَّرتْ مسالكُها ووهَنَتْ مبانيها وانحطّت عن رُتبة الإقناع حججها...

على أنّها إذا أُخِذتِ المأخذَ المُبرَّأَ مِنَ الفُضول المُجرَّد عن المحاكاة والتخييل كانت من أوضحِ العُلوم بُرهاناً وأرجَحِ المعارفِ عند الامتحانِ ميزاناً، ولم تشتمل إلّا على يقين أو ما قاربه من الظنون.

وكذلك من أخذ من علم النحو ما يُوصِلُه إلى الغاية المطلوبةِ منه، واستعاضَ من تلك الظُنون - التي ليست كظنون الفِقْهِ التي نصبها الشارعُ صلى الله عليه وسلم أمارةً للأحكام، ولا كظنونِ الطب التي جُرِّبتْ وهي في الغالب نافعةٌ في الأمراض

---

* مرقاةً، مقرّبا.

والآلام - العلومَ الدينية السَمعية منها والنظرية - التي هي الجُنّة والهادية إلى الجَنّة - فقد نفعه اللهُ بالتعليم وهداه إلى صِراطٍ مستقيم. وأما مَنِ اقتصرَ كُلَّ الاقتصارِ على المعارفِ التي لا تدعو إلى جَنة ولا تزجُرُ عن نار - كاللغات والأشعار ودقائق عِلَلِ النحوِ ومُسَلِّيات الأخبار فقد أساء الاختيار...

★★ من المتن (ص ٨٥):

قصدي في هذا الكتاب أنْ أَحْذِفَ من النَّحوِ ما يستغني عنه النَحْويُّ وأنبِّهَ على ما أجمعوا على الخطأ فيه. فمِنْ ذلك ادّعاؤهم أنّ النصبَ والخفض والجزم لا يكون إلا بعاملٍ لفظيّ، وأنَّ الرفعَ منها يكونُ بعامل لفظيّ وبعامل معنوي. وعبّروا عن ذلك بعبارات تُوهِم في قولنا: «ضربَ زَيْدٌ عَمْراً» أنَّ الرفعَ الذي في «زيد» والنصبَ الذي في «عمرو» إنّما أحدثه (العامل: الفعل) «ضرب».... وأما في الحقيقة ومحصولِ الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجرّ والجزم إنما هو للمتكلّم نفسِهِ لا لشيءٍ غيرِه...

فإنْ قيل: أنت قد أبْطَلْتَ أن يكونَ في الكلام عاملٌ ومعمول، فأرِنا كيف يتأتَّى ذلك مَعَ الوُصول إلى غايةِ النحو؟ (ص ١٠٧)...

وممّا قالوا فيه ما لم يُفهَمْ وأضمروا فيه ما يُخالفُ مَقْصِدَ القائل أبوابُ نصبِ الفعل. وقد تكلّمتُ منها على باب الفاء والواو لِيُسْتَدَلَّ بها على غيرها وليُعْلَمَ أن ما أضمروه لا يُحتاجُ إليه في إعطاء القوانين التي يُحفَظُ بها كلامُ العرب.... الفاء (إذا كانت للسببية) ينتصب بعدها الفعل إذا كانت (تَرْبِطُ) جواباً لأحدِ ثمانيةِ أشياء: الأمرِ والنهي والاستفهامِ والنفيِ والعَرْضِ والتمني والتحضيض والدعاء.... قال الله تعالى (في حال النَهْيِ): «ولا تَطْغَوْا فيه فيَحِلَّ عليكم غضبي (ص ١٤٢ - ١٤٣)....

وممّا يجبُ أن يسقُطَ من النحو العِلَلُ الثواني والثوالث، وذلك مثل سؤال السائل عن «زيد» في قولنا: «قامَ زيدٌ»؛ لِمَ رُفِعَ؟ فيُقال لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع. فيقول: «ولِمَ رُفِع الفاعل»؟ فالصواب أن يُقالَ لَهُ: «كذا نطقت به العرب: ثبت

ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر. ولا فرقَ بينَ ذلك وبين مَنْ عَرَف أنَّ شيئاً ما حرامٌ بالنصّ - ولا يُحتاج فيه إلى استنباط عِلَّةٍ لِيُنْقَلَ حُكمُه إلى غيره، فسأل لِمَ حُرِّم؟ فإنّ الجواب على ذلك غيرُ واجب على الفقيه (ص ١٥١)...

وكما أنَّا لا نسألُ عن عَينِ عِظلم وجيم جَعفر وباء بُرثن لِمَ فُتحتْ هذه وضُمت هذه وكُسرتْ هذه، فكذلك أيضاً لا نُسألُ عَنْ رَفْعِ «زيد» (ص ١٦٠)...

وممّا يجب أن يسقُطَ من النَّحو الاختلافُ فيما لا يُفيد نُطقاً كاختلافهم في عِلّة رفع الفاعل ونصب المفعول وسائر ما اختلفوا فيه من العلل الثواني وغيرها مِمّا لا يُفيدُ نُطقاً.

٤ - كتاب الردّ على النحاة (نشره شوقي ضيف)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م.

** جذوة المقتبس ٧٦ (؟)؛ بغية الملتمس ١٩٣٠(رقم ٤٦٥)؛ التكملة ١٠٩ - ١١٠ (رقم ٢٣٤)؛ جذوة الاقتباس ١١٧؛ بغية الوعاة ١٣٩؛ الديباج المذهب ٤٧ - ٤٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٥٥ - ٨٥٦؛ الأعلام للزركلي ١: ١٤٢ (١٤٦ - ١٤٧).

أبو الحسن الجيّانيّ

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ موسى بنِ محمّدِ بنِ موسى بنِ محمّدِ بنِ خلفٍ الأنصاريُّ الجيّاني الأندلسيّ، سكن مدينةَ فاسَ (المغرب) وتولّى الخَطابةِ في جامعها. وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٥٩٣ هـ (١١٩٦ - ١١٩٧ م).

٢ - كان أبو الحَسنِ الجيّانيُّ من المشتغلين بالصَنْعة أو الكيمياء القديمة، أي مُحاولةِ قَلْبِ المعادنِ الخَسيسةِ (كالرَصاص والنُحاس) معادنَ شريفةً (كالفِضّة والذهب). وكان إلى جانب ذلك أديباً شاعراً حتّى سَمّوْهُ «شاعرَ الحُكماء وحكيمَ الشعراء». وله شعرٌ في الكيمياء عليه شيءٌ من الطلاوة. وقد قيل فيه: إنْ لم يُعَلِّمْكَ صِناعةَ الذهب علّمك صِناعة الأدب. ويُنْسَبُ إليه كتاب «شُذورِ الذهب» (وهو ديوانُ شعرٍ في الكلام على الكيمياء مرتّب على الحروف).

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي الحسن الجيّانيّ قصيدةٌ على الطاء ذاتُ ثلاثةِ مظاهرَ: ظاهرُها غزَلٌ، وهي مسوقة في ألفاظٍ مأخوذةٍ من حياة موسى عليه السلام ورسالته، ومن التصوف. أمّا باطنُها فكلامٌ على الكيمياء. منها:

بزيتونةِ الذهَبِ المُباركةِ الوُسْطى غَنينا فلم نُبْدِلْ بها الأثْلَ والخَمْطا[١].
صَفَوْنا فآنَسْنا من الطُّورِ نارَها تُشَبُّ لنا وَهْناً ونحن بذي الأرطى[٢].
فلمّا أتَيْناها وقرّبَ صَبْرُنا
على السيرِ، مِنْ بُعدِ المسافة، ما أبطا -[٣]
نُحاوِلُ منها جَذْوَةً ما يَنالُها
من الناس من لا يَعرِفُ القَبْضَ والبَسْطا -[٤]
هَبَطْنا من الوادي المُقدّس شاطئاً
إلى الجانبِ الغربيّ نَمْتَثِلُ الشرْطا...[٥].
وليّنةِ الأعطافِ قاسيةِ الحَشا إذا نَفَثَتْ في الصخر تَصدَّعُه هَبْطا[٦]،
كأنّ عليها من زَخارفِ جِلدِها رداءً من الوَشْيِ المُفوّفِ أو مِرْطا[٧].

(١) زيتونة الخ: كناية عن مصدر المعرفة (أو الكيمياء). غنينا: استغنينا، أصبحنا أغنياء. الأثل والخمط: نوعان من الشجر (المقصود: لا نقبل شيئاً آخر بديلاً من الزيتونة).

(٢) وَهْناً: نصف الليل. ذات الأرطى: اسم مكان. الأرطى جمع أرطاة (شجرة، نوع من الشجر). أرطة: حصن في الأندلس. الطور: جبل في سيناء صعد عليه موسى بعد أن رأى قربه ناراً (المقصود: لمّا صفت نفوسنا وأخلصنا للعلم، للكيمياء، عرفنا كلّ شيء من مصدره ونحن مقيمون في مكاننا).

(٣) لمّا صبرنا على الجد والتعب (مع طول الزمان الذي نحتاج إليه)...

(٤) نريد أن نحصل على جذوة (قطعة جمر)، أي شيء من المعرفة. لا ينالها: لا يحصل عليها. البسط والقبض من ألفاظ الصوفيّة (من أحوال القرب من الله).

(٥) الوادي المقدّس: مكان كان فيه موسى. نمتثل الشرط: نعمل بما اشترط الله علينا (خلعنا النعلين لأنّنا في مكان مقدّس): تركنا جميع أمور الدنيا وراءنا. (راجع في القرآن الكريم ٢٠ : ١٢ سورة طه (« إني أنا ربّك فاخلع نعليك إنك بالوادِ المقدس طوى »).

(٦) العطف (بكسر العين) جانب الجسم. الحشا: القلب. صَدَع: شقّق. الهبط: التشقّق (ظاهر الكلام على فتاة، والمقصود السائل الكياوي الذي تعالج به المعادن).

(٧) الزخرف: الزينة. الوشي: التزيين النافر. المفوّف: الكثير الألوان. المرط: الثوب من الحرير.

توصّـلَ إبليسٌ بهـا في هُبوطـه إلى الأرض من عَدْنٍ ففارقها سُخْطا[1].
أَمَتُّ بها حَيًّا وسوّدتُ أبْيَضاً، وأسرفتُ في قَلْعِ السواد فما أبطـا[2].
وأحْيَيْـــتُ تلــك الأرضَ من بعــدِ مَوتِهــا
بِريٍّ، وكانــت تشتكي الجَــدْبَ والقَحْطا[3].
كــأنّ العيونَ الثابتـــاتِ بخَصْرِهــا
عَقَـدْنَ نطاقــاً أو عــلى جيدهــا سِمطـا[4].
كأنّ من البدرِ المُنير مَشابِهاً، ومن أنجُمِ الجَوزاء في أذْنِها قُرْطا[5]
ظَفِرتُ بهـا بالنفسِ من جِسْمِ أمِّها كما ظَفِرَتْ بالقلب في صَدْرِه لَقْطـا[6].
وأرضَعْتُهـا بالـــدرّ من ثَـــدْيِ بِنْتِهـــا
فعاشتْ، وكانــت قبــلُ ماتــتْ بـه غَبْطـا[7].
فعلّتْ بهِ روحُ الحياة كأنّما مَزَجتُ لها في ذلك الدُّرّ إسْفَنْطا[8].
وصَيّرتُها بِنْتاً، وصَيّرتُ بِنْتَها لها مُرْضِعاً. فاعجَبْ لِمُرْضِعَةٍ شمطا[9]!
فحالَتْ هناك البِنْتُ والأمُّ فِضّةً فتًى لم يزاحِمْهُ العِذارُ ولا خطّا[10].

---

(١) عدن: الجنّة. هذه اللّيّنة الأعطاف (الكيمياء، راجع البيتين السابقين) تستطيع فعل كلّ شيء. استخدمها إبليس حتّى نزل من الجنّة إلى الأرض ثمّ أبغضها (لأنّه استخدمها في غير وجهها وأراد أن ينفع نفسه فأضرّ بنفسه).

(٢) أنا أيضاً فعلت بها أشياء: أحييت ميّتاً (جعلت الرصاص الميّت: الرخيص الخسيس الذي لا قدر له) فضّة حيّة (ثمينة شريفة)، وجعلت الأشياء السُّود بيضاً والأشياء البيض سوداً (كلّ شيء).

(٣) تلك الأرض: المعدن الخسيس (كالرصاص والنحاس). الرِّي: الإسقاء (المعالجة بالماء).

(٤) إنّ عيون المعجبين (بضمّ الميم وفتح الجيم) ثبتت (في النظر إلى خصرها النحيل) حتّى كأنّ تلك العيون قد أصبحت سمطاً (خيطاً فيه حبّات من اللؤلؤ: كناية عن العيون) أو حول جيدها (مكان العقد من عنقها).

(٥) السائل الكيماوي (الذي يقلب المعادن الخسيسة فيجعلها شريفة): جميلة فيها أشياء تشبه البدر...

(٦ - ١٠) يصف الشاعر هنا طريقة العمل بالكيمياء: يأخذ المعدن (الشريف) فيستخرج روحه منه (يستخرج أكسير الذهب من الذهب، فكأنّ الذهب أمٌّ وأكسير الذهب بنت ولدت منه). والذهب إذا أخذنا منه الأكسير لا يبقى ذهباً بل يصبح معدناً خسيساً. أعود حينئذ إلى ذلك المعدن الذي مات (وإلى أمثاله من المعادن كالرصاص والنحاس والخارصين والجبس) فأرضعه (أسقيه) من هذا الأكسير فيصبح حيًّا (ذهباً).

له منظرٌ كالشمس يُعطي ضِياؤه، وليس كمثلِ البدرِ يأخذُ ما أعطى[1].
فهذا الذي أعيا الأنامَ فأضمَروا لِمَنْ وَضَعَ الأرمازَ في علمِهِ سخطا[2].
وهذا هو الكَنْزُ الذي وَضَعوا له بَرابِيَ أخميمٍ وخَصّوا بها قِفْطا[3].
وتخليصُــه سهــلٌ بغــيرِ مَشَقّــةٍ لمن عَرَفَ التطهيرَ والعَقْد والخلطا[4].
أبا جعفرٍ، خُذْها إليك يتيمةً تَورّعَ لوقا أن يُوَرِّثَها قُسْطا[5].
ولكنّــني لمّــا رأيتُــكَ أهلَهــا سَمَحْتُ بها لفظاً وأثْبَتُّها خطّاً.

٤ - ** فوات الوفيات ٢: ١١٤ - ١١٦؛ نفح الطيب ٣: ٦٠٥ - ٦٠٦؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٧٨ (٢٦).

أبو مدين

١ - هو شيخُ الشيوخِ الغَوْثُ أبو مَدْيَنٍ شُعيبُ بنُ الحسنِ الأنصاريُّ الأندلسيُّ المَغربيّ التِلِمْسانيُّ، أصلُه من الأندلس من حُصْنِ مَنتوجةَ قُرْبَ إشبيليةَ.

وُلِدَ أبو مَدْيَنٍ نحوَ سَنَةِ ٥١٥ هـ (١١٢١ - ١١٢٢ م). ويبدو أنّه غادَرَ الأندلسَ باكراً إلى المَغرب ونَزَلَ في فاس فأخَذَ العِلْمَ فيها عن أبي يَعْزَى وعن أبي الحسنِ بن

(١) الشمس في اصطلاح علماء الكيمياء: الذهب. البدر: الفضّة. - يقصد أن الفضّة أسرع إلى أن تصبح ذهباً من جميع المعادن الأخرى. ويجوز في الشرح اللغوي يقصد أن له - لمعدن الذهب - ضياء الذي ينبع منه؛ وهو ليس كالفضة، التي تشبه البدر الذي يكون نوره من الضياء الذي استمده من غيره.

(٢) الأرماز، يقصد الرموز جمع رمز. أعيا: أتعب. - علماء الكيمياء تكلّموا على صنعتهم بالرموز فلم يفهمها الناس العاديّون فكرهوا أولئك العلماء.

(٣) هذا الكنز (الكيمياء) وضعوا (بَنَوْا) له برابي (أهرام) إخميم (بكسر الهمزة) بلد في مصر أو هي مصر. قفط: بلد في صعيد مصر.

(٤) تخليصه: تخليص الأكسير من المعدن. التطهير (التصفية، التنقية) العقد (التجميد) الخلط (المزج بمقادير صحيحة) من ألفاظ الكيمياء.

(٥) أبا جعفر: يا أبا جعفر (ينادي رجلاً لعلّه صديقه الذي كتب إليه بهذه القصيدة). تورّع: خاف، تردّد. قسطا بن لوقا: رجل كان في الدولة العبّاسية ينقل الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية. تورّع لوقا أنْ يورّثها قسطا: خاف لوقا أن يكشف سرّ الكيمياء لابنه (يضنّ بها كلّ إنسان على غيره حتّى على ابنه).

حِرْزِهم وأبي الحسنِ بنِ غالبٍ، ثمّ أخَذَ في تِلِمْسانَ عن نفرٍ كثيرين من العلماء. وذَهَبَ أبو مدينٍ إلى الحجّ فلَقِيَ في مَكّةَ عبدَ القادرِ الجيلانيَّ (٤٧١ - ٥٦١ هـ) وأخذ عنه طريقتَهُ فألْبَسَهُ عبدُ القادر الجيلانيُّ الخِرْقَةَ (دَلالةً على أنّه أصبحَ شَيْخاً من شيوخ الصوفية).

عادَ أبو مدينٍ إلى المغرب واستَوْطَنَ بِجايةَ وكانَ يُدرِّسُ في زاوية الفقيه أبي زكريا الزَواويِّ. فكَثُرَ أتباعه كَثْرَةً أخافَت المنصورَ الموحِّديَّ فاستدعاه إلى مَرّاكُش (كي يُبْعِدَه عن مركز نشاطِهِ ويجعَلَه في نِطاقِ رَقابته). وقد تُوُفِّيَ أبو مدينٍ في أثناء رِحلته إلى مَرّاكُش عند وادي يُسْرٍ، فَحُمِلَ إلى تِلِمْسانَ ودُفِنَ في جَبَلِ العُبّاد على مقربة منها، سَنَةَ ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م).

٢ - كان أبو مدينٍ من المتصوّفة الذين جَمَعوا بينَ الشريعةِ والحقيقة، ومن حُفّاظ الحديثِ ومن المُعْجَبين بكتاب «إحياء علوم الدين» للغزّالي (ت ٥٠٥ هـ). وكان فقيهاً يُفتي على مذهبِ مالكٍ. ولكنْ كان فيه تطرّفٌ: اعتقدَ في نفسه أنّه رأسُ السَبْعةِ الأبدالِ (بعدَ الأربعةِ الأقطاب) ثمّ تَخَيَّلَ أنّه وَقَفَ بين يَدَيِ اللهِ وخاطبه. وله شعرٌ ونثرٌ في الحِكَم. وله، مِمّا يصحّ أن يسمّى كُتباً: بِدايةُ المُريدينَ - أُنْس الوحيدِ ونُزهة المُريد.

٣ - مختارات من آثاره:

- من أقوال أبي مَدْين (عنوان الدراية ٦٢ وما بعد):

من رأيْتَهُ يدّعي حالاً لا يكونُ على ظاهرِهِ منه[١] شاهدٌ فاحْذَرْهُ - لا يصلُحُ سَماعُ هذا العلمِ[٢] إلّا لِمَنْ جُمِعَتْ له أربعةٌ: الزُهدُ والعلمُ والتوكُّلُ واليقين[٣] - من تعلّق

---

(١) ظاهره (ظاهر المدّعي: الإنسان المتصوّف) - منه (من الحال). والحال (مؤنّثة) هي جوّ نفساني يحيط بالصوفي وهو ينتقل في المقامات (للاقتراب من الله).

(٢) العلم: علم التصوّف. (علم حقائق الأمور).

(٣) العلم: العلم الديني (أو الكوني أيضاً). اليقين (الثقة بالله وحده).

بدَعْوى الأماني لم يفارقِ التّواني[1]- جَعَلَ اللهُ قلوبَ أهل الدنيا مَحَلّاً للغَفْلة والوَسْواس وقلوبَ العارفين محلّاً للذِكْرِ والاستئناس[2]- الفَتْرة هي الاشتغالُ بالخَلْق عن الخالق[3]- من أهْمَلَ الفرائض فقد ضيّع نفسَه- من عَرَفَ نفسه لم يَغْتَرَّ بثناء الناس عليه- احْذَرِ المُبْتدعين فهو أبقى على دينِك، واحذرْ مَحَبّةَ النساء فهو أبقى على قَلْبك.

- ومن نفح الطيب (٧: ١٣٩ وما بعد):

مَقامي العُبوديّةُ، وعلومي الألوهيّة، وصِفاتي مُستَمدّةٌ من الصِفات الربّانية: مَلأتْ علومُه سِرّيَ وجَهْرِيَ وأضاء بنورِه بَرّيَ وبَحْري. فالمُقَرَّب مَنْ كان بِهِ عليماً، ولا يَسْمو إلّا مَنْ أوتِيَ قلباً سليماً... يَسْلَمُ ممّا سِواه، ولا يكونُ (فيه) إلّا ما جعَلَهُ مولاه[4].

- وله نظم كثيرٌ مشهورٌ بأيدي الناس. وممّا يُنْسَبُ إليه قولُه (نفح الطيب ٧: ١٤٣ - ١٤٤) يذكُرُ مظاهرَ الطَبيعةِ بألفاظِها المألوفة ثمّ يذكُرُ ما يدلّ عليه باطِنُها:

بكتِ السّحابُ فأضْحَكَتْ لبُكائها ... زَهْرَ الرياضِ وفاضتِ الأنهارُ.
وأتـى الربيـعُ بخَيْلـه وجُنودِهِ ... فتَمَتَّعَـتْ في حُسْنـه الأبصـار.
والوردُ نـادى بالوُرود إلى الجَنى ... فتَسابـقَ الأطيـارُ والأشجـار[5].
والكأسُ ترقُصُ والعُقارُ تَشَعْشَعَتْ ... والجوُّ يضحَكُ والحبيب يُزار[6].
والعودُ للغِيـدِ الحِسانِ مُجاوِبٌ، ... والطـار أخفى صوتَه المِزْمار[7].

---

(١) التواني: الكسل، فتور الهمّة.

(٢) الوسواس: اختلاط الأفكار وتوهّم المحاذير. العارف: الصوفي الذي بلغ درجة القرب من الله. الذِكْر (جمعها: أذكار): ترديد جمل فيها تعبير عن قدرة الله (في التصوّف: استحضار الله في القلب). الاستئناس: الاطمئنان إلى الحضور مع الله.

(٣) الفترة: انقطاع المتصوّف عن الذكر. الخلق: المخلوق، مجموع المخلوقات. الخالق: الله.

(٤) ... لا يكون في القلب إلّا ما وضعه الله فيه.

(٥) الورود (مصدر): المجيء إلى الماء. الجنى: قطف الثمر.

(٦) العقار: الخمر. تشعشعت: مزجت بالماء (هنا: ظهر بريقها).

(٧) الطار: نوع من الدفّ (بضمّ الدال أو فتحها) يكون له وجه واحد (بخلاف الطبل الذي له وجهان).

لا تحسَبوا الزَمْرَ الحَرامَ مُرادَنـا؛ مِزْمارُنـــا التسبيـــحُ والأذكـــارُ.
وشَرابُنــا مِنْ لُطْفِــه، وغِناؤنـا، نِعْمَ الحبيـــبُ الواحــدُ القهّــارُ.
والعُود عـاداتُ الجميـلِ، وكأسُنا كـأسُ الكِياسةِ، والعُقار وَقـارُ.

٤ - ★ ★ أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد (شرحها شهاب الدين أحمد بن عبد القادر الملقّب باعشن في كتاب له سمّاه: البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد، مصر ١٢٩٧، ١٣٠٠، ١٣٠٦ هـ).

تعريف الخلف ٢: ١٧٢ - ١٧٨؛ عنوان الدراية ٥٥ - ٦٥؛ نيل الابتهاج ١٢٧ - ١٢٩؛ نفح الطيب ٥: ٣١٧، ٧: ١٣٦ - ١٤٤؛ شذرات الذهب ٤: ٣٠٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٣٧ - ١٣٨؛ بروكلمان ١: ٥٦٧ - ٥٦٨، الملحق ١: ٧٨٤ - ٧٨٥؛ الأعلام للزركلي ٣: ٢٤٤ (١٦٦)؛ ابن قنفذ ٢٩٧ - ١٣٩٧؛ سركيس ٣٤٥.

ابن صاحب الصلاة

١ - هو أبو مروانَ (وأبو محمّدٍ) عبدُ الملكِ بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمّدِ بنِ إبراهيمَ الباجيُّ المعروفُ بابنِ صاحبِ الصَلاة، ولعلَّ مَوْلِدَه كان في سَنَةِ ٥٣٧ هـ (١١٤٢ - ١١٤٣ م) في باجة[1].

تَقَلَّبَ ابنُ صاحبِ الصَلاةِ بينَ المَغرِبِ والأندلسِ كثيراً؛ كان في قَرَمونةَ، في مطلعِ سَنَةِ ٥٥٧ هـ (آخر ١١٦١ م). ثمّ قويَتْ صِلَتُه بالموحِّدين فرأيناه في السَنَةِ نفسِها في قُرْطُبَةَ، ثمّ انتقلَ إلى المَغرِب فزارَ سبتةَ وفاسَ ثمّ كان في مَرّاكُش في غُرّةِ رَجَبَ من سَنَةِ ٥٦٠ (١٤/ ٥/ ١١٦٥ م). وأقام في مَرّاكُش مدّةً.

ثمّ إنّه عادَ إلى الأندَلُسِ سَنَةَ ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م) وسكن إشْبِيلِيَةَ، ولذلك أصبحَ يُعْرَفُ بالإشبيليّ أيضاً. وبعدَ عامينِ رَجَعَ إلى مَرّاكُش ولكنّه عاد وَشيكاً إلى

(١) باجة قرب إشبيلية في الأندلس. وصاحب الصلاة منصب حدث في المغرب والأندلس في القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) - ومعناه الإمام الذي يؤمّ الناس في صلاتهم.

الأندلس. ولعلّ وفاته كانت بُعيد سَنَةِ ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م) وفي إشبيليةَ في الأغلب.

٢ - لابنِ صاحبِ الصَلاةِ كتابانِ: « ثورةُ المُريدين »[١] و « المَنُّ بالإمامة »[٢]. ولا يُعْرَفُ اليومَ إلّا الجزءُ الثاني من « المَنّ بالإمامة ». وعُرِفَتْ له أيضاً قِطعتانِ من الشِعر.

كتابُ « المنّ بالإمامة » يتناولُ تاريخَ الدولة الموحِّدية، وفيه جوانبُ سياسيةٌ وجوانبُ إداريةٌ (وصفٌ لعدد من وُجوهِ الإدارة) وجوانبُ اجتماعيةٌ (دينية واقتصادية) وأدبيةٌ لكَثْرة ما فيه من الرسائل الديوانية[٣] ومن الشِعر خاصّة. ويَغْلِبُ على ابنِ صاحبِ الصَلاةِ في كتابهِ هذا التَقَرُّبُ إلى الموحِّدين. وأُسْلوبُ المؤلِّفِ يتنقّل بينَ السَرْدِ العاديّ ومحاولةِ التأنّق (باللُّجوء إلى المُوازنة والسَجْع) من غيرِ بَراعةٍ خاصّة.

٣ - مختارات من آثاره:

- ذِكْرُ عُبورِ محمّدِ بنِ عبدِ المؤمنِ البحرَ من سَبْتَةَ إلى جبل طارق[٤] (ص ١٤٧):

قال المؤلِّفُ: ولمّا أنارتِ الآفاق بالعُدوة[٥] والأندلس بالبشائرِ الواصلة بقُرْب

---

(١) كان أبو العبّاس أحمد بن قسي من المولّدين (في الأندلس: المسلمين من الأسبان). ويبدو أنّه كان يُبطن عداءً للإسلام (كعمر بن حفصون وغيره) فجمع حوله طائفة من الناس يتظاهر أمامهم بشيء من التعبّد والتصوّف فكانوا له أتباعاً (مريدين: بلغة أهل التصوّف) ثمّ دفعهم إلى إثارة الفتنة وقتال الدولة المسلمة.

(٢) الاسم الكامل لهذا الكتاب: « تاريخ المَنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمّة وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحّدين على الملثّمين وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين » (ظهور: انتصار. المهدي: هو المهدي بن تومرت صاحب دعوة الموحّدين. الملثّمون: المرابطون، أصحاب الدولة الذين كانوا قبل الموحّدين. المقصود بأمير المؤمنين هنا: عبد المؤمن بن عليّ أول سلاطين الموحّدين. آخر الخلفاء الراشدين: الذي سلك مسلك الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ في التقوى والعدل).

(٣) الرسائل الديوانية: الرسمية (وكان له أسلوب خاص أنيق من استخدام أوجه البلاغة).

(٤) سبتة في إفريقية وجبل طارق في أوروبة وبينهما بحر الزقاق (مضيق جبل طارق).

الخليفة في الإياب من المسير، على أوفى الظفر والتيسير، أنفذَ السيّدُ الأجلّ الأعلى أبو يعقوبَ[١] عزمَه الأوّلَ بالإسراعِ والوَخْدِ والزَّميل[٢] لبركة اللقاء والاجتماع، واستناب بإشبيلية من طَلَبةِ[٣] الموحّدين - أعانهم الله - من يَنوب مَنابَه في مُحاربة أهلِ قَرَمونةَ الأشقياءِ أصحابِ ابن هَمُشْك[٤]....

- وُصولُ خبرِ الانتصار على ابنِ مردانيشَ[٥] إلى مَرَّاكُش (ص ٢٧٥):

ومن عجائبِ الفال قال المؤلِّف: كُنتُ صبيحةَ يومِ الأحدِ الذي وَصَلَتْ فيه هذه البُشرى الفاتحةُ قد بَكّرتُ على العادة، إلى مُنْتَيقمّي[٦] دارِ الخليفةِ رَضِيَ اللهُ عنه، جالساً مَعَ طلبةِ الحَضَر[٧] وأشياخِ أهلِ الأندلس نتطلّعُ إلى الأخبار وقد بَعُدَ زمانُها وتوقّف الواصلين[٨] بها، إذ رأيتُ قِطًّا على سقف دارِ الخليفةِ يمشي وفي فَمِهِ فَرْخُ حمامٍ قدِ افترسه، فقلتُ لمن كان معي مِنْ أشياخِ أهل الأندلس: اللهُ أكْبَرُ؟ هُزِمَ، واللهِ، ابنُ مَرْدانيشَ! فقالوا لي: بِمَ تقولُ هذا؟ فقلتُ لهم: هذا القطُّ شِبْهُ الأسد، والأسد عُدْوِيّ[٩] والحمام عَجَميّ. فقد غَلَبَتِ الموحّدون العَجَمَ وافترسوهم كافتراسِ هذا القطِّ الفَرْخَ!

---

(٥) العدوة (بضمّ العين وكسرها): جانب الوادي. وهنا: الشاطىء الإفريقي من المغرب.

(١) أبو يعقوب: يوسف بن عبد المؤمن بن عليّ كان والياً على إشبيلية (ثمّ أصبح سلطان الموحّدين بعد وفاة أبيه).

(٢) الوخد والزميل: الإسراع في المشي، الركض.

(٣) طلبة الموحّدين: أتباع الموحدين (؟).

(٤) هو إبراهيم بن أحمد، صهر ابن مردانيش (انظر، فوق، ص ٤٣٩) من المولّدين أيضاً ثار على الموحّدين، ثمّ تغلّب الموحّدون عليه وأسروه ونقلوه إلى المغرب فمات سنة ٥٧٢ هـ(١١٧٦ م) في مكناسة (في الجزائر اليوم).

(٥) ابن مردانيش (مردنيش) هو محمّد بن سعد من المولّدين، كما يدلّ عليه اسمه، استعان بالاسبان وثار على الموحّدين. حاصره الموحّدون في مُرْسِية (الأندلس) فمات في أثناء الحصار، سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١) في أيام يوسف بن عبد المؤمن بن عليّ.

(٦) منتيقمّي كلمة بربرية تطلق على «سقيفة» تكون في أعلى القصر (من خصائص العمارة المغربية).

(٧) طلبة الحضر:

(٨) كذا في الأصل. وتوقّف الواصلون بها: انقطعت (الأخبار) مدّة.

(٩) العدويّ (نسبة إلى العدوة): الجانب (الآخر: كناية عن الجانب الافريقي - موطن الموحّدين). - الأسد من وحوش افريقية وليس من أرض الأندلس.

فما كان (إلّا) مِقدارُ ما أكمَلْنا الكلامَ في هذا الفال، (حتى) دخل الفُرسانُ القادمون بالبُشرى في الحينِ بخَيْلِهم في مُنْتَيقِمّي - وبأيدِيهم علاماتُ ابنِ مردانيشَ مستورةً - على غير عِلْمٍ ولا مُقدّمَةٍ من وُصولِهم. فَفَزِعَ الناسُ أوّلاً لدُخولهم بغيرِ مقدّمةٍ ولا إذْنٍ. ثمّ عَلِموا من صحيح صِياحِهم أنّها بُشْرى بالفَتح. فقام التكبيرُ والتهليل وضُرِبتِ الطُبول واتّصلَ السرور...

٤ - تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين.... (استخرجه عبد الهادي التازي)، بيروت (دار الأندلس) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.

** التكملة ٦٢٠ (رقم ١٧٢٦)؛ الحلّة السيراء (ذُكِر ذِكراً عارِضاً ٢: ١٥٤ الخ) المقتضب ٦٨ - ٦٩؛ نفح الطيب (ذُكِرَ عَرَضاً ٢: ٥٣٣)؛ بروكلمان، الملحق ١: ٥٥٤؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٢٤ - ٩٢٥؛ الأعلام للزركلي (٤: ١٦٤)؛ بالنثيا ٢٤٢.

ابن رشد

١ - هو أبو الوليدِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بن أحمدَ بن رُشْدٍ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٢٠ (١١٢٦ م) في بيتِ علمٍ وجاهٍ. واتصل ابنُ رُشْدٍ بِبَلاطِ الموحّدين ونالَ حُظوةً فيه. وفي سَنَةِ ٥٦٥ أصبحَ قاضيَ قُرْطُبَةَ. ولمّا أرادَ ابنُ طفيلٍ أن يعتزلَ التطبيبَ في بَلاطِ الموحّدين (٥٧٨ هـ) خلَفه فيه ابنُ رشدٍ بتَوْصِيَةٍ من ابنِ طفيلٍ نفسِه.

ولَقِيَ ابنُ رُشْدٍ من عوامِّ الناسِ اضطهاداً شديداً بسبب آرائه الفلسفية، فاضطُرَّ إلى أن يعيش مُدّةً في عُزلة عن الناس. وكانتْ وفاتُه في مَرّاكُش، في تاسعِ صَفَرَ من سَنَةِ ٥٩٥ (١١ - ١٢ - ١١٩٢ م).

٢ - ابنُ رُشْدٍ أكبرُ فلاسفةِ الإسلامِ وأكبرُ الفلاسفةِ كُلِّهِمْ في العصورِ الوُسْطى وأعظَمُهم أثراً في التفكير الأوروبي الوسيط. وكانتْ عبقريةُ ابنِ رُشدٍ تتجلّى في أنه نَظَرَ إلى الدين مِنْ جانِبِهِ الغَيْبيِّ ومن جانِبِهِ الاجتماعيِّ معاً، وفي أنه أرادَ أنْ يُثَبِّطَ العامةَ عن التوسُّع في الجانب الأولِ (وهو جانبٌ نظريٌّ في الأكثر) للاهتمام بالجانب الثاني (وَهُوَ الجانبُ العَمَليُّ في الحياة الإنسانية).

ولابن رُشْدٍ شيءٌ من النقد الأدبي وشيءٌ من النظم.

كان لمعرفةِ ابنِ رشدٍ بكتابِ السياسة لأفلاطونَ (وَهُوَ الكتابُ المعروفُ عندَ نَفَرٍ من المتأدّبين بجمهورية أفلاطون) وبكتابِ الشِعر لأرسطو أثرٌ في اتجاهِ ابنِ رشدٍ في النَقْد الأدبيّ. ومَعَ أنّ مِعيارَ النقدِ اليوناني مختلفٌ من مِعيار النقد العربيّ (لاختلافِ فنونِ الشعر وموضوعاتِهِ بين اللغتين قليلًا أو كثيراً، ولاختلاف الثقافة والمُثُلِ العُليا لدى العرب واليونان)، فإن ابنَ رُشْدٍ أرادَ أن يستفيدَ من آراء الفيلسوفينِ اليونانيين العَظيمين في الحُكمِ على الشِعر العربيّ. وابنُ رشدٍ لم يتقيدْ بتفاصيلِ آراء الفيلسوفين العَظيمين، وذلك راجعٌ إلى خِطة ابنِ رشدٍ في شَرْحِ كتبِ أرسطو (إذ كان يتّخذُ الشرحَ لتلك الكتبِ - في بعضِ الأحيانِ - وسيلةً إلى إبداء رأيه هو). في هذا المُنحنى فَصّلَ الكلامَ على التشبيه والكِناية كما ألِفَها العرب.

وابنُ رُشْدٍ يَنهى عن تأديبِ الوُلْدانِ بأشعارِ الغَزَل ثمّ يحضّ على تأديبهم بالأشعارِ التي تحُثُّ على الشجاعةِ والكرم (وهذا مُوافق لرأيِ ابنِ سينا في تربيةِ الولدان).

٣- مختارات من آثاره:

- من مَطْلَعِ كِتاب « فَصْلِ المَقال وتقريرِ ما بينَ الشريعة والحِكمة[١] من الاتّصال »:

.... إنّ الغَرَضَ من هذا القَوْلِ أنْ نفحَصَ - على جِهةِ النَظَرِ الشرعيّ - هل النَظَرُ في الفلسفةِ وعلومِ المَنْطِقِ مُباحٌ في الشرعِ، أمْ مَحظورٌ، أم مأمورٌ بهِ، إمّا على جِهَةِ النَدْبِ وإمّا على جِهة الوُجوب[٢]؟ فنقولُ: إنّ فعلَ الفَلسَفة ليسَ شيئاً أكثرَ من النَظَرِ في الموجوداتِ واعتبارِها من جِهَةِ دَلالَتها على الصانع، - أعْني مِنْ جِهَةِ ما هي مصنوعاتٌ - فإنَ الموجوداتِ إنّما تَدُلُّ على الصانع لمعرفةِ صُنْعها[٣]. وإنّه كلّما كانتِ المعرفةُ بصَنْعَتِها أتمّ، كانتِ المعرفةُ بالصانعِ أتمّ.

---

(١) الحكمة: الفلسفة، التفكير بالعقل.

(٢) الوجوب: الفرض، الإلزام.

(٣) إذا كان الإنسان نجارًا مثلاً فإنه يستطيع أن يحكم حكماً أكثر عدلاً في اتقان أثاث المنزل وقيمته.

فأمّا أنّ الشرعَ دَعا إلى اعتبارِ الموجوداتِ بالعَقْلِ وتطلُّبِ معرفتها به، فذلك بَيِّنٌ في غيرِ ما آيةٍ من كتابِ اللهِ تباركَ وتعالى، مِثْلَ قولِهِ: «فاعْتَبِروا، يا أُولي الأبصارِ»[1]. وهذا نَصٌّ على وُجوبِ استعمالِ القِياس العقلي، أو العقليِّ والشرعيِّ معاً...

- من كتاب «تهافت التهافت»:

والقديمُ أيضاً يُقالُ على ما هُوَ قديمٌ بذاتِهِ و(على) ما هو قديمٌ بغيرِهِ[2]. وكذلك الفاعلُ أيضاً: منه ما يفعَلُ بإرادتِه، ومنه ما يفعل بطَبيعتِه[3] (ص ١٦)..... والقومُ (الفلاسفةُ) لَمّا أدّاهُمُ البرهانُ إلى أنَّ ههنا مُحَرِّكاً أزَلِيًّا لَيْسَ لوجودِه ابتداءٌ ولا انتهاءٌ - وأنَّ فعله يَجِبُ أنْ يكونَ غيرَ مُتَراخٍ عن وُجودِه[4] - لَزِمَ ألّا يكونَ لفعله مبدأ كالحالِ في وُجوده، وإلّا لكانَ فِعلهُ مُمْكِناً لا ضَرورِيًّا[5]. فيجب أن تكونَ أفعالُ الفاعلِ الذي لا مبدأ لوجودِهِ ليسَ لها مبدأٌ كالحالِ في وُجوده (ص ٢٠).....

- وقال ابن رُشْدٍ في العِشق والأدبِ الوقورِ (المغرب ١: ١٠٤ - ١٠٥):

ما العشقُ شأني، ولكنْ لستُ أُنْكِرُهُ.	كَمْ حَلّ عُقدةَ سُلواني تَذَكُّرُهُ[6]!
مَنْ لي بِغَضّ جُفوني عن مُخَبِّرَةِ الـ	ـأجفانِ قدأظْهَرَتْ مالستأُضمِرهُ[7].

---

(١) القرآن الكريم.... (٥٩: ٢، سورة الحشر).

(٢) القديم بذاته (ما ليس لوجوده سبب): الله. القديم بغيره (ما كان الله سبباً لوجوده): مجموع العالم.

(٣) ما يفعل بإرادته: الإنسان (يريد أحياناً أن يفعل شيئاً ولا يريد أحياناً أخرى أن يفعله). ما يفعل بطبيعته: العوامل الطبيعية كالنار والماء والسكين فإنها تحرق الاشياء القابلة للاحتراق أو تبلّل الأشياء القابلة للبلل أو تقطع الأشياء بلا شذوذ ولا توقف.

(٤) غير متراخٍ عن وجوده: ليس ثمة زمن فاصل بين وجوده هو وفعله (إن العالم فعلٌ لله - من خلق الله - والله سبب وجود العالم. فالعالم بهذا النظر غير متأخّر في الوجود عن وجود الله نفسه).

(٥) الفعل الممكن (ما يفعله صاحبه إذا شاء ويتركه إذا شاء: أفعال البشر عامّة). الضروري: ما ليس للكائن خيار في فعله: كإحراق النار لشيء من الخشب مثلاً يُلقى فيها أو كشعور الإنسان بالحر أو البرد في مكان كثير البرد أو كثير الحر.

(٦) ذكرى الحب (منذ أيام الشباب) تلحّ عليّ فلا أستطيع أن أنسى أنني إنسان يشعر ويحبّ.

(٧) لو كتم الإنسان حبه (بالسكوت أو بقلة التظاهر) فإن عيونه (ونظراته) تدلّ على ميله إلى الجمال.

لولا النُهى لأطَمْتُ اللحظَ ثانيةً فيمَنْ يَرُدُّ سَنا الألحاظِ مَنْظَره[1].
ما لابنِ ستّينَ قادَتْهُ لغايتهِ عَشْريّةٌ فنَأى عنه تَصَبُّره[2].
قد كان رَضْوى وَقاراً، فَهْوَ سافيةٌ: الحسنُ يُورِدُه والهُونُ يُصْدِرُه[3].

- من آخر «تهافت التهافت: (٥٨٤ - ٥٨٨):

.... إنّ الحكماء[4] بأجمعهم يَرَوْنَ في الشرائع هذا الرأيَ، أعني: أن يُتَقَلَّدَ (من الأنبياء والواضعين مبادىءَ العملِ والسُنَنَ* المشروعة في مِلّةٍ مِلّة. والممدوحُ عندَهم مِنْ هذه الأعمالِ الضروريّةِ هو ما كان منها أحثَّ للجُمهورِ على الأعمال الفاضلة حتّى يكونَ الناشئون عليها أتمَّ فضيلةً من الناشئين على غيرِها، مِثْلَ الصَلَوات عِندَنا[5]، فإنّه لا يُشَكُّ في (أنّها) تَنْهى عن الفحشاء والمُنكَر، كما قال تعالى[6]. وإنّ الصلاةَ الموضوعةَ في هذه الشريعة فيها هذا الفعلُ أتمُّ منه في سائرِ الصَلَوات الموضوعة في سائرِ الشرائع، وذلك بما شُرِطَ في عددِها وأوقاتها وأذْكارها وسائرِ ما شُرِطَ فيها من الطهارة ومن التُروك - أعني: تَرْكَ الأعمالِ المُفْسدةِ لها.

وكذلك الأمرُ فيما قيل في المَعادِ[7] فيما هو أحثُّ على الأعمال الفاضلة مِمّا قيل في غيرها. ولذلك كان تمثيلُ المَعاد لهم[8] بالأمور الجسمانية أفضلَ من تمثيلِهِ بالأمورِ الروحانية، كما قال سُبحانَه[9]: «مَثَلُ الجَنّةِ التي وُعِدَ المتّقون تجري من تحتها

---

(١) النهى: العقل. - قد تميل عيني إلى وجهٍ جميل ولكنّ عقلي ينهاني عن تكرار النظر، خوفاً من الوقوع فعلاً فيما لا يجوز (لابن ستين سنة).

(٢) عشرية: فتاة عمرها بضع وعشر سنين.

(٣) قد كنت وقوراً (كجبل رضوى) لا أميل إلى اللهو، والآن أصبحت خفيفاً مثل التراب الذي تسفيه (تنثره) الرّياح (في الجو): الجمال يجعلني أميل إلى صاحبه و(خوف) الهون (الذل واحتقار الناس) يصدرني (يردّني، يرجعني - بفتح الياء وكسر الجيم) عن ذلك.

(٤) الحكماء: فلاسفة اليونان القدماء. (*) السنن معطوفة على مبادىء.

(٥) عندنا (في الإسلام).

(٦) «.... وأقم الصلاة، إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر....» (٢٩: ٤٥، العنكبوت).

(٧) المعاد: الحشر (البعث-يوم القيامة).

(٨) لهم (للناس).

(٩) ١٣: ٣٥، الرعد.

الأنهار ». وقال النبيّ عليه السلام: « فيها ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ قطّ ». وقال ابن عبّاس[1]: « ليس في الآخرةِ من الدنيا إلّا الأسماءُ ». فدلّـ (ت هذه الأقوال) على أن ذلك الوجودَ (الآتي) نشأةٌ أُخرى أعلى من هذا الوجودِ وطَوْرٌ آخرُ أفضلُ من هذا الطور...

وقد رأيتُ أن أقطعَ ههُنا القولَ في هذه الأشياءِ والاستغفارَ[2] من التكلّم فيها. ولولا ضَرورةُ طلبِ الحقّ مَعَ أهلِه... وهو، كما يقول جالينوسُ[3]: « رجلٌ واحدٌ من ألفٍ »- والتصدّي إلى أن يقولَ فيه من ليس من أهله[4] ما تكلّمتُ، عَلِمَ اللهُ بحَرْفٍ.

٤- تهافت التهافت، مصر (المطبعة الخيرية) ١٣١٩ هـ؛ مصر (البابي الحلبي) ١٣٢١ هـ؛ (موريس بويج)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٠ م.

- فلسفة ابن رشد (عنوان مجموع يضمّ ثلاث رسائل: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتّصال- الكشف عن مناهج الأدلّة في عقائد الملّة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيّفة والعقائد المضلّة- ذيل لفصل المقال... الخ) (نشرها ملّلر) مونيخ (فرانز) ١٨٥٩ م؛ مصر (المطبعة العلمية) ١٣١٣ هـ؛ مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٢٨ هـ؛ مصر (محمود علي صبيح- المكتبة المحمودية) بلا تاريخ. ثمّ « فصل المقال.... » (ليون غوتيه)، الجزائر (كاربوغيل) ١٩٤٨ م؛ (تحرير فضلو حوراني)، ليدن (بريل) ١٩٥٩ م؛ (نشرها ألبير نادر)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٦١ م.- مناهج الأدلّة.... (تقديم وتحقيق محمود قاسم)، القاهرة (مكتبة الانكلو المصرية) الطبعة الثانية ١٩٦٤ م.

رسالة التوحيد والفلسفة (مولّلر)، مونيخ ١٨٧٥ م.

---

(١) عبد الله بن عبّاس (٣ قبل الهجرة- ٦٨ هـ) ابن عمّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم لازم (على صغر سنّه) الرسول وروى عنه الأحاديث الصحيحة، قيل فيه: ترجمان القرآن (لقدرته على تفسير القرآن)- وحبر (عالم) هذه الأمة (الإسلام).

(٢) وقد رأيت أن أقطع... والاستغفار...

(٣) جالينوس (نحو ١٣٠ - ٢٠٠ م) أشهر أطبّاء اليونان عند العرب برع في التشريح وكان قديراً في علاج المرضى، وله في الطبّ كتب كثيرة نقل جانب كبير منها إلى اللغة العربية.

(٤) ... ولولا ضرورة طلب الحقّ مع أهله (ولولا الخوف) من أن يتصدّى للكلام في ذلك من ليس من أهله.

رسائل ابن رشد، حيدر آباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٧ م.
بداية المجتهد ونهاية المقتصد (في الفقه)، فاس ١٣٢٧ هـ؛ الآستانة ١٣٣٣ هـ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٣٤ هـ؛ مصر (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٣٩ هـ.
الكلّيات (في الطبّ) (تحرير ألفريد البستاني)، العرائش- المغرب (منشورات معهد فرانكو) (مطبعة الفنون) ١٩٣٩ م.
رسائل ابن رشد (السماع الطبيعي- السماء والعالم- الكون والفساد- الآثار العلوية- كتاب النفس- ما بعد الطبيعة)، حيدر آباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٧ م.
تلخيص كتاب النفس، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٠ م.
تلخيص المقالة الأولى من كتاب الخطابة لأرسطو: في الشعر (لازينيو) فلورنسة ١٨٧٥ - ١٨٧٨ م.
تفسير ما بعد الطبيعة لأرسطو (تحرير موريس بويج)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٨ م؛ الطبعة الثانية ١٩٦٧ م.
فنّ الشعر (لأرسطو) مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد (ترجمه عن اليونانية عبد الرحمن بدوي)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٣ م.
تلخيص الخطابة لأرسطو (تحقيق محمّد سليم سالم)، القاهرة (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) ١٩٦٧ م.
تلخيص السفسطة لأرسطو (تحقيق محمّد سليم سالم)، القاهرة (دار الكتاب والوثائق القومية- مركز تحقيق التراث) ١٩٧٢ م.
كتاب النفس: الآراء الطبيعية المنسوبة إلى فلوطرخس- الحاسّ والمحسوس لابن رشد- النبات المنسوب إلى أرسطو (راجعها على أصولها اليونانية وشرحها وحقّقها عبد الرحمن بدوي)، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٤ م.
★- ابن رشد وفلسفته، تأليف فرح أنطون، الاسكندرية ١٩٠٣ م؛ بيروت ١٩٨١ م.
ابن رشد الفيلسوف، تأليف محمّد يوسف موسى، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٤٥ م.
ابن رشد (دراسة ومختارات)، تأليف يوحنّا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٩ م.
ابن رشد، تأليف عبّاس محمود العقّاد، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٣ م.
ابن رشد والرشديّة بقلم أرنست رينان (نقله إلى العربية عادل زعيتر)، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٥٧ م.
ابن رشد فيلسوف العرب، تأليف عبده الحلو، بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٦٠ م.
ابن رشد وفلسفته....، تأليف محمود قاسم، القاهرة (مكتبة الأنكلو المصرية) ١٩٦٩ م.
في فلسفة ابن رشد: الوجود والخلود، تأليف محمّد عبد الرحمن بيصار، بيروت (دار

الكتاب اللبناني)، الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م.
بغية الملتمس ٤٤ (رقم ٣٩)؛ التكملة ١ : ٢٦٩؛ الذيل والتكملة ٦ : ٢١ - ٣١ (رقم ١٢٩)؛ المغرب ١ : ١٠٤ - ١٠٥ ؛ طبقات الأطباء ٢ : ٧٥؛ قضاة الأندلس للنباهي ١١١؛ المعجب ١٧٤ - ١٧٥ ، ٢٢٤ - ٢٢٥؛ الديباج المذهب ٢٨٤ - ٢٨٥؛ مقدّمة ابن خلدون (دار الكتاب اللبناني) ٢٣٦ - ٢٣٧؛ وفيات ابن قنفذ ٢٩٨ - ٢٩٩؛ شذرات الذهب ٤: ٣٢٠؛ نفح الطيب ١ : ١٥٥ ، ٤٦٣ ، ٣ : ١٨٥ - ١٨٦ ، ١٩٢ ، راجع ١٨٠ - ١٨١ ، ٧ : ٨٧؛دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٠٩ - ٩٢٠؛ بروكلمن ١ :٤٧٩- ٤٨٠ ، الملحق ١ : ٦٦٢ (وفيه خلط بين أبي الوليد بن رشد الحفيد هذا وبين وجده أبي الوليد أحمد بن محمّد)، سركيس ١٠٨ - ١٠٩؛ بالنثيا ٣٥٣- ٣٦٩ ، ٤٢٧ ، ٤٦٩ - ٤٧١.

أبو القاسم بن البرّاق

١ - هو أبو القاسم محمّدُ بنُ عليِّ بنِ محمّدِ بنِ ابراهيمَ بنِ محمّدِ الهَمْدانيُّ الوادي آشيُّ المعروفُ بابن البرّاقِ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٢٩ هـ (١١٣٤ - ١١٣٥ م).

روى أبو القاسم بنُ البرّاق عن جماعةٍ كبيرةٍ من الشيوخ (راجعْ تحقيقاً بالغاً لأسمائهم وأزمانهم ولِصِلة ابنِ البرّاق بهم ولِما قرأ عليهم أوْ رَوى عنهم في «الذيل والتكملة» ٦: ٤٥٨ - ٤٦٧). ولعله بلغ إلى منصب الوزارة (راجع المطرب ٢٤٢ ع).

ولا نكاد نَعْرِفُ شيئاً من تفاصيلِ حياته، سوى ما قيل من أنْ الأميرَ ابنَ سعدٍ (؟) كان قد غَضِبَ عليه ثمّ غرّبه عن بلدهِ وألْزَمَه السُّكنى في مُرْسِيَةَ ثمّ في بَلَنْسِيَةَ. ولمّا مات ابنُ سعدٍ (سنة ٥٧١ هـ) عاد ابنُ البرّاقِ إلى وطنه. وكانت وفاةُ أبي القاسمِ بنِ البرّاق في مَطْلع رَمَضَانَ (ودُفِنَ في الثاني منه) من سَنَة ٥٩٦ (١٧/ ٦/ ١٢٠٠ م).

٢ - يبدو أن أبا القاسم بنَ البرّاق كان في أول حياتهِ مُتصوِّفاً مُتنسّكاً ثم بدّل قليلًا (راجع المطرب ٢٤١ - ٢٤٢).

وكان أبو القاسمِ بنُ البرّاق مُحدّثاً حافظاً راويةً مُكْثِراً وضابطاً (لروايته) ثِقَةً

وفقيهاً. وكان له أيضاً نظرٌ واسعٌ في الطِبّ، كما كان له كتابٌ في الفَلَك (بروكلمن ١ : ٦٥٩). وكذلك كان أديباً بارعاً وكاتباً بليغاً مُجيداً مُكثِراً سريعَ البديهة في النظمِ والنثر. والأدب أغلبُ عليه (الذيل والتكملة ٦ : ٤٦٧ س). وكان وشّاحاً مُكثِراً نظم نحوَ أربعمائةِ مُوشّحةٍ. ثمّ كانت له بديعيّاتٌ (في مدح محمّدٍ رسولِ الله). وفي نفح الطيب (٤ : ٢٨٧ - ٢٨٨) ما يدلّ على أنّه كان ناقداً أيضاً، فقد دَخَلَ في الخِلاف في نِسْبة المُقطّعةِ:

وَقانـــا لَفْحــةَ الرَمْضــاءِ وادٍ سَقاهُ مُضاعَفُ الغيثِ العَميمِ،

وقال: أنشدَتْنا حَمْدةُ (أو حمدونةُ) بنتُ زِيادٍ العَوْفيةُ (ت نحو ٦٠٠ - راجع ترجمتها) لِنَفْسِها.

وشِعْرُ أبي القاسمِ بن البرّاق متينُ السبك، لكنّ في بَعْضه شيئاً من الجَفاف (راجع، مثلًا الأبياتَ الواردةَ له في «زاد المسافر»، ص ١٥١ - ١٥٢).

وأبو القاسم بنُ البرّاق مُصَنِّفٌ بارعٌ مُكثِرٌ، وأكثرُ تصانيفهِ في الأدب. فمن هذه التصانيف (الذيل والتكملة ٦: ٤٦٨): بهجة الأفكار وفُرجة التّذكار في مختار الأشعار- مباشرة ليلة السَّفْح[1] من خبرِ أبي الأصبغِ عبدِ العزيز بن أبي الفتح[2] مَعَ الأعلام الجِلّة: أبي إسحاق الخَفاجي[3] وأبي الفضل بن شَرَفٍ[4] وأبي الحسن بن الزقّاق[5]- مقالةٌ في الإخوان (خرّجها من شواهدِ الحِكَمِ ومُصَنّفٍ في أخبار معاوية)[6]- الدُرّ المنظّمُ في الاختيار المُعَظّم (وهو مُقَسّمٌ على تأليفين: أحدُهما مُلَحُ

(١) السفح: أصل الجبل أو التلّة (عند اتّصالها بالسهل). ليلة السفح (كناية عن الاجتماع للسرور واللهو). يقول الشريف الرضيّ (ت ٤٠٦ هـ): «يا ليلة السفح، هلّا عدتِ ثانية.... الديم».

(٢) في المغرب (١ : ١٠٢): أبو الأصبغ عبد العزيز بن فاتح القرطبي، كان من عمّال (متولّين جمع المال) في قرطبة في مدّة (أيام حكم) لمتونة (المرابطين) واختصّ بأميرها الزبير بن عمر الملثّم (ت ٥٣٧ هـ) ونادمه. وكان أبو الأصبغ هذا شاعراً وعارفاً بالغناء.

(٣) الجلّة: الكبار المشهورين في قومهم. أبو اسحاق الخفاجي (ت ٥٣٣ هـ، راجع ترجمته).

(٤) أبو الفضل بن شرف (ت ٥٣٤ هـ، راجع ترجمته).

(٥) أبو الحسن بن الزقّاق (ت ٥٢٨، راجع ترجمته).

(٦) معاوية بن أبي سفيان أوّل خلفاء بني أميّة.

الخواطر ولُمَحَ الدفاتر - والثاني مجموعٌ في ألغاز) - روضةُ الحدائق في تأليف الكلام الرائق (وهو مجموعُ نظمِه ونثره، وفيه فصول منها: مُلتقى السبيل في فضل رَمَضانَ، قصيدة في ذِكْرِ النبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلّم و(ذكر) أصحابِه رَضِيَ الله عنهم، وقد سمّاها «القَرارة اليَثْربيّة المخصوصة بشَرَف الأحْناء القُدْسيّة»[١] - خَطَرات الواجد في رثاء الماجد[٢] - رجوع الإنذار بهجوم العِذار[٣] - تصريح الاعتذار عن تقبيح العِذار - قِطَعٌ من شعره (زُهْديّة ووَعْظيّة مَعَ فصولٍ أُخرى) - مجموعُ مُوشّحاتِه (وقد صَدّره بمقالةٍ سمّاها: «الإفصاح والتصريح عن حقيقة الشعر والتوشيح»). ثمّ له عددٌ من المُصنّفات شرع فيها ولم يُتِمَّها.

٣ - مختارات من شعره:

- لابنِ البرّاقِ أبي القاسمِ في الغَزَلِ المُورّى[٤]:

يـا سَرحـةَ الحيّ يـا مَطُولُ، شرحُ الـذي بيننـا يطولُ[٥].
ولي ديونٌ عليـك حَلّـتْ لو أنّـه ينفـعُ الحُلولُ[٦].

- وقعَدَ أبو القاسم بن البرّاق مَعَ أحدِ الأعيانِ[٧] على ضفافِ نهرٍ طَلَباً للراحة فقال يُخاطب ذلك العينَ (المغرب ٢: ١٥٠؛ راجع نفح الطيب ٣: ٥٠٦):

---

(١) هذه القصيدة قد سمّطها (أو خمّسها) أبو الكرم جودى - كان من أخصّ تلاميذه به - ولعلّه جودى بن جودى (المغرب ٢: ١١٠ - ١١١)، وكان معاصراً لموسى بن محمّد بن عبد الملك بن سعيد (٥٧٣ - ٦٤٠ هـ). وتخميس هذه القصيدة موجود في «الذيل والتكملة» (٦: ٤٦٩ - ٤٧٢).

(٢) الواجد: الحزين. الماجد: الشريف في قومه.

(٣) العذار: الشعر النابت في الوجه.

(٤) المورّى: المرموز عنه (كالكناية عن المرأة بالسرحة: الشجرة الطويلة - راجع هذه الكناية نفسها في قول حميد بن ثور: أبى الله إلّا أن سرحة مالك - في الجزء الأول). البيتان في نفح الطيب ٣: ٥٠٦ - راجع، فوق، الكتندي (ت ٥٨٤ هـ): هذان البيتان مع تتمة لها مرويان له في زاد المسافر (ص ٩٥).

(٥) السرحة: الشجرة الطويلة، العالية. المطول: المرأة التي تعد ولا تفي.

(٦) الحلول: حلول وقت استحقاق وفاء الدين، وصول.

(٧) العين: الرجل المنظور إليه في قومه.

انظُرْ إلى الوادي الذي مُذْ غرّدتْ أطيــارُه شقّ النسيمُ ثيابَــهُ[1].

أتراه أطْرَبَـــــــهُ الهَديـــــــلُ، وزادَه

طربـــاً - وحقِّــكَ - أنْ حَلَلْــتَ جَنابَــه[2]؟

- وله في غلامٍ آستقرّ على شَفَتَيْهِ شيءٌ من المِدادِ (الحِبر الأسود) من أثر وضع القلم على الفم لتبليلهِ بشيءٍ من الريق لِيُصْبِحَ الحبرُ بذلك أكثرَ مَيْعاً وسَيَلاناً وجَرْياً:

يا عَجَباً للمِداد أضحى على فَمٍ ضُمِّنَ الزُلالا[3]،

كالقــارِ أضحــى عــلى الحُمَيّــا والليــلُ قــد لامسَ الهِــلالا[4].

- واتّفق أن حضَرَ أبو القاسم بنُ البرّاق مجلسَ بعضِ الملوك الأكابر[5] فأمر ذلك الملكُ أنْ يُقدِّمَ الساقي له كاساً من الخمر مُشاركةً للحاضرين، فآنقبضَ آبنُ البرّاق عندَ ذلك وآشمأزّ. واتّفق في تلك اللحظةِ أنِ آنشقّتْ صُراحية (إناءٌ للخمر) وسال ما فيها. فتشاءم الملكُ من ذلك وحَزِنَ، فأنشدَ ابنُ البرّاق من فَوْره على البديهة:

ومجلسٍ بالسرورِ مُشْتَمَـــــــلِ لم يَخْـلُ فيه الزُجاجُ عن أَرَب[6].

سَرَى بأعْطافِــــه ترنُّحُنـــا فشقّ أثوابَـــه من الطرب[7].

فسُرّ الملك وزال ما به.

- من «القَرارة اليَثْربيّة بشرف الأحناء القُدسيّة» (في مدح رسول الله وصَحابته) لأبي القاسم بنِ البرّاق الهَمْدانيِّ الواديآشيِّ:

---

(١) الوادي: النهر.

(٢) الهديل: صوت الحمام. حللت جنابه: نزلت (سكنت) في أحد أطرافه.

(٣) الزلال: الماء الصافي العذب.

(٤) القار: الزفت. الحميّا: الخمر. العادة أن تختم آنية الخمر بالزفت.

(٥) الملوك الأكابر يمكن أن يكونوا الرجال الأغنياء من ذوي المكانة في قومهم.

(٦) مشتمل (محاط). الأرب: الحاجة، البغية، الأمنية.

(٧) سرى (هنا): انتشر. العطف (بالكسر): الجانب الأعلى من البدن. الترنّح: التمايل (من السكر أو الضعف). شقّ الثوب كناية عن شدّة السرور والانفعال.

بالمَضْب هَضْبِ زَرُودَ أو تَلَعاتِها شاقَتْـك هاتفـةٌ عـلى نَغَماتِها[١]؟
مـصـدورةٌ تَفْتَنُّ في تَرْجيعِهـا فيَبِينُ نفثُ السحرِ في نَفَثاتِها[٢].
إنْ راقَها رأْدُ الضُّحى أو راعَها جُنْـحُ الدُّجى سِيّانِ فيذِكَراتِها[٣]:
هـذا يُمتِّعُهـا، وذاك يَشُوقُهـا؛ فالموتُ في يَقَظاتِهـا وسِناتِهـا[٤].
لا دَرَّ دَرُّ القَطْرِ إن لم يُرْوِهـا من دَرِّه ويَلُـفُّ من شَجَراتِها[٥]،
حتّـى تُطارِحَـني بأبْهَرَ شَجْوَها وأفوقَهـا في بَثِّهـا حَسَراتِها[٦].
سَجَعَتْ عليك، أخا الذُّنوبِ، بسَحْرةٍ فغُرِيتَ بالفتّانِ من سَجَعاتِها[٧].
أَمُرِنَّـةٌ تَهْديـكَ للشكوى فـلا تمتـازُ إلّا بادِّعـاءِ صِفاتِهـا[٨]؟
هلّا اقتدَتْ بـك، يا مُتيَّمُ، في الهوى، إذ مـا وُسِمْتَ به يَبُذُّ سِماتِها[٩]؟

---

(١) المضب جمع هضبة (بفتح فسكون فيها): الأرض المرتفعة. زرود (اسم رمل)، ووزوده هنا إشارة إلى الحجاز. التلعة (بفتح فسكون): ما ارتفع من الأرض، المكان العالي يسيل منه الماء. هاتفة: (حمامة) تهدل (تصوّت، تغنّي).

(٢) مصدورة: في صدرها مرض أو همّ. تفتنّ (تتفنّن): تأتي بفنون مختلفة. الترجيع: ترديد الصوت في الحلق (عند الغناء). فيبين (يظهر) نفث السحر (النفخ على أداة السحر من شيء مكتوب أو خيط معقود، كناية عن قدرة الساحر). نفثة (هنا): النفس الضعيف (من همّ أو مرض).

(٣) رأد الضحى: أول الصبح. جنح (طرف) الدجى (جمع دجية وهي الظلمة بالضمّ فيها) ذكراتها...

(٤) هذا (أي جنح الدجى) يمتّعه (يطول عليه، يدوم)، وذاك (رأد الضحى) يشوقه: يهيجه (خوفاً من أن ينقضي). فالموت (الشقاء له) في يقظاته جمع يقظة (بفتح ففتح) عند الصبح وفي سناتها جمع سنة (بكسر ففتح): نوم.

(٥) لا درّ (سال) درّ (لبن) القطر: المطر (دعاء على المطر أن ينقطع) إذا لم يروها (إذا لم يسق المضب - راجع البيت الأوّل - ويشبعها) ويلفّ من شجراتها (يحيط بشجرها: يكفي جميع أشجارها).

(٦) تطارحني: تحاورني وتبادلني (أي الهاتفة: الحمامة) بأبهر: في أبهر (جبل في الحجاز) شجوها (حزنها) وأفوقها (أزيد عليها) في بثّها (التعبير عن) حسراتها. إنّ حزني وحسرتي أكبر من حزنها وحسرتها (أنا حزين لأنّني بعيد عن الحجاز - الأرض المقدّسة - وهي لا مسوّغ لها أن تحزن لأنّها موجودة في أبهر: أحد جبال الحجاز).

(٧) سجعت (غنّت) عليك (على سمعك فسمعتها) يا أخا الذنوب (يا كثير الذنوب). بسحرة (في أول الفجر) فغريت: أغريت (بالبناء للمجهول): أحببت الازدياد من سماع غنائها.

(٨) المرنّة المرأة التي تنوح تهديك للشكوى (تدلّك على الشكوى، تعلّمك الشكوى) فلا تستطيع أنت أن تفعل أكثر من القول إنّك تشكو.

(٩) كان من الواجب أن تحاول تلك الحمامة أن تقتدي بك في إظهار الحزن لأنك أنت متيّم في الهوى (قد =

أوَلَيْسَ حُبُّكَ للنبيِّ مُحمّدٍ | أضعافَ ما بَثّته من لَوْعاتها؟
يا كعبةَ الإسلام يا كهفَ الهُدى، | يا صارفَ الأيامِ عن عاداتها،
يا من تبلّجَ نورُه عن صادعٍ | بالواضحات الغُرّ من آياتها[1]،
يا شارعاً في أُمّةٍ جُعِلَتْ به | وَسَطاً فنالتْ مُستَدامَ حياتها[2]،
في دارِ خُلْدٍ لا يَشيبُ وَليدُها | حيثُ الشبابُ يَرِفُّ في جَنَباتها[3].
يا خاضِداً للشّركِ شوكَةَ حِزْبِهِ، | يا نابغاً للعُرْبِ في جَمَراتها[4]،
في الصِيدِ من أذْوائها والقَلْبِ من | صُرَحائِها والشُّمِّ من أبْياتها[5].
يا ناصباً عَلَمَ الديانةِ جاهِداً، | يا ذُخْرَها لحياتِها ومَماتِها،
يا آخِرَ النُّبّاءِ في إرْسالِها، | يا أوّلَ الأرسالِ في قُرُباتها[6]،
يا مَنْ إذا جلَتِ الغَزالةُ نورَها | فَلِوَجْهِها يُعزى جميلُ إياتِها[7]،

أمرضه الحبّ وذلّله). ذلك لأنّ ما وسمت أنت به (ما وصفت أنت به من الحبّ لرسول الله يبذّ، أي يغلب ما تتّصف هي به في شكواها.

(١) تبلّج: ظهر وأضاء. الصادع: الذي يشق (الظلام). والصادع بالشيء: الجاهر به والداعي إليه. بالواضحات (بالآيات الظاهرات البيّنات) الغرّ (البيض، الساميات).

(٢) الشارع: واضع القوانين. أمّة جعلت وسطاً (أفضل الأمم). راجع القول الفلسفي: الفضيلة توسّط بين نقيضتين، ثمّ المثل: خير الأمور الوسط، ثم ارْجعْ إلى القرآن الكريم (٢: ١٤٣ سورة البقرة): «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً...»

(٣) رفّ: تلألأ، اهتزّ (من النشاط). دار الخلد: الجنّة.

(٤) خضد: كسر، قطّع. شوكة: قوّة، سلاح. الجمرة من الناس: أهل المنعة (بفتح ففتح: الدفاع عن النفس) والقوّة والاتّحاد. النابغ: الذي يبرز ويفوق أنداده.

(٥) الصيد جمع أصيد: صاحب القوّة والسلطان. الأذواء (ذو يزن وذو نواس) من ملوك اليمن. الصريح: ذوو النسب النقيّ الواضح. القلب من صرحائها (أوضح الناس وأنقاهم نسباً). الأشمّ: العالي. البيت: الشرف، المنزلة الكريمة.

(٦) النبّاء: الأنبياء (جمع نبيّ). محمّد صلّى الله عليه وسلّم آخر الأنبياء الذين جاءوا إلى الإنسانية. الرسل (بفتح ففتح): الجماعة من الناس (والجمع أرسال). محمّد آخر الأنبياء، ولكنّه أوّل البشر (في المقدّمة منهم: في الشرف والجاه والمكانة والشجاعة، الخ).

(٧) الغزالة: الشمس. جلت:أظهرت.يعزى: ينسب. إياة (بكسر الهمزة): نور الشمس.

من لي بِحُسْنِكَ كلّما اعتَكَرَ الأسى ... في النفس فاشتملتْ على كُرَباتها[1].
أنتَ الذي أنقذْتَها من غُمَّةٍ ... فرّجتَ فيها الصعبَ من أزَماتها،
وحَبَوْتَها بِجَوامع الكَلِمِ التي ... بلَغتْ بلاغتُها مَدى مِيقاتها[2].
لولاك ما عُرِفَ السبيلُ إلى النُّهى ... ولَضَلّتِ الألبابُ عن مَنْجاتها[3].
فعليكَ فضلُ خُشوعِها وخُضوعِها، ... وإليك أجرُ صِيامِها وصَلاتها.
قَسَمْتَ أورادَ العُلا بشريعةٍ ... بَرَزَتْ وُجوهُ الفضل مِنْ قَسَماتها[4].
وحَسَمْتَ من طُرُقِ الضلالِ مآخِذاً ... غَرِقَتْ نفوسُ الخَلق في زلّاتها[5].
ما زِلتَ تَجْهَدُ في انتقاص شُرودِها ... وتُعَوِّضُ الأنوارَ من ظُلُماتها[6]،
حتى أضاء الحقُّ في مِنْهاجِهِ ... وتَرَقّتِ البُشرى على دَرَجاتها.
يا مَنْ تَوَضَّحَ جَمْرُه في زُمْرةٍ ... رَقِيَتْ بسُنّتِهِ يَفاعَ نَجاتها[7].
أقمارُ مِلّتِنا وشُهْبُ سمائها ... وذَوُو الخِلالِ الغُرِّ من سَرَواتها[8].
فَسَرِيُّها صِدّيقُه، وسَنِيُّها ... فاروقُها الوضّاحُ عن عَزَماتها[9].

---

(١) الكُرْبة: شدّة الحزن والغمّ. اعتكر: أظلم، اشتدّ. الأسى: الحزن. من لي (كيف لي) بحسنك (باحسانك، يا رسول الله، منقذاً)؟

(٢) حبا: منح، أعطى. جوامع الكلم: الحكم البالغة. مدى ميقاتها (وصلت جوامع كلمك والآيات التي نزلت عليك والإسلام الذي جئت به إلى أقصى الأرض).

(٣) في الأصل ما عرف (بالبناء للمعلوم) السبيل (بالنصب، على أنّه مفعول به)، والأصوب بالبناء للمجهول. اللّب (بالضمّ) العقل. المنجاة: النجاة وطريق النجاة أيضاً.

(٤) أوراد جمع ورد (بالكسر): القسم النصيب، أو الشرب من الماء. القسمة (بفتح ففتح ففتح أو بفتح فكسر ففتح): ملامح الوجه، والجمال.

(٥) حسم: قطع.

(٦) في انتقاص شرودها: في الإقلال من ضلالها.

(٧) توضّح: ظهر. جمره (؟) لعلّ المقصود: كفاحه وهداه. زمرة: جماعة. اليفاع: المكان العالي.

(٨) الملّة: الدين. الشهب: النجوم. الخلال: الخصال. الغرّ: البيضاء (الحميدة). السروات: رؤساء الناس وكرامهم.

(٩) السريّ: الشريف من القوم. الصديق (أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة - بالضمّ). السنيّ: العالي، ذو المكانة السامية. الفاروق هو عمر بن الخطّاب. الوضّاح الذي يبيّن الأمور. وقد سمّيَ عمر بن الخطّاب «الفاروق» لأنّه فرق بين الحق والباطل. العزمات (جمع عزمة): الحقوق.

وأثيرُهـا عُـثمانُ تـالي وَحْيِهـا ... ومُزَحْزِحُ الأزَماتِ عن ساداتِها[1] .
وعليُّهـا في المَكْرُمـاتِ عَليُّهـا ... ربُّ اخْتِراطِ النصْرِ في غَزَواتِهـا[2] ؛
بـابُ العلوم وخيرُ من جالتْ به ... هِمّاتُـه في مُرْتَقى صَهَواتِها[3] .
مَنْ حُـفَّ بالسبطينِ ذِروةُ عِزّهِ ... فتقهقرَ التغييرُ عن هَضَباتِها[4] .
لأبي عُبيـدةَ في الجَـلال مَنازعٌ ... يَفْتَرُّ ثَغْرُ الروضِ عن نَفَحاتِها[5] .
وحَريُّها العِفُّ ابنُ عَوْفٍ بالحِجى ... ورَفيعُهـا في حِلمِـه وأناتِها[6] .
وأخو حِراسَتِها بمُخْتَضَرِ الوغى ... سَعْدٌ مُبيدُ الذُّعْرِ دُون حُماتِها[7] .
فِئَـةٌ تواصَتْ بالسنـاء فأشرقَتْ ... شمسُ النُبُوَّةِ في سَنا جَبَهاتِها[8] .
فالبِشْر حَشْوُ ضُلوعِهـا، والفضل طَيْـ ... ـيُ بُرودِها، والمجد حَلْيُ طُلاتِها[9].
شَهِدتْ لها بالجنَّةِ الذاتُ التي ... وَطِئَتْ بأخمصِها ذُرى غُرُفاتِها[10].

(١) الأثير: الموثوق المفضّل. عثمان (بن عفّان). تالي وحيها (لاشتهار عثمان بن عفّان بتلاوة القرآن، فقد قتل وهو يتلو القرآن). الأزمة: الشدّة. كان عثمان يتبرّع بمبالغ كبيرة من المال لتجهيز الجيوش إلى الجهاد أو لتنفيس الكرب عن الناس.

(٢) عليّها الأولى: عليّ بن أبي طالب. وعليّها الثانية: أعلاها. ربّ: صاحب. اخترط السيف سلّه من غمده. النصر (؟). لعلّه يقصد أن عليّا كرم الله وجهه كان يحرز النصر في الغزوات للمسلمين بالسهولة التي كان يشهر (بفتح الياء والهاء) سيفه من غمده.

(٣) باب العلوم: العالم، فقد جاء في الحديث: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها». الصهوة من كلّ شيء أعلاه.

(٤) السبط: ابن بنت الرجل (ابن ابن الرجل: حفيد). السبطان: الحسن والحسين (سبطا الرسول من ابنته فاطمة): ابنا الإمام عليّ. الذروة: أعلى الشيء. تقهقر: تراجع. التغيير (؟).

(٥) أبو عبيدة عامر بن الجرّاح من كبار الصحابة وكبار المجاهدين وقوّاد الجيش الإسلامي. منازع: جمع منزع: قوّة، همّة، غاية. الجلال: الأعمال العظيمة. النفح والنفحة: انتشار الرائحة الطيّبة.

(٦) الحري بالحجى (بالعقل، بالتصرف الحكيم): الخليق به، من هو أهل لذلك. العف: العفيف. ابن عوف: عبد الرحمن بن عوف من كبار الصحابة. الرفيع: العالي المكانة. الحلم: سعة الصدر، العقل. الأناة: التأنّي.

(٧) الوغى: الحرب. سعد بن أبي وقّاص. الذعر: الخوف من الاضطراب. دون حماتها (مجاهدوها الأبطال). دون (أكثر من، دفاعاً عن؟).

(٨) السناء: الرفعة والعلوّ. السنا: النور.

(٩) البشر: طلاقة الوجه (ظهور السرور على الوجه عند لقاء الناس). البرد (بضمّ الباء): الثوب. الطلاة: العنق أو صفحة العنق.

(١٠) شهدت لهم (لهؤلاء النفر ولغيرهم ورد ذكرهم في أبيات ليست في هذه المختارات) بالجنّة (بدخول الجنّة) =

هِيَ صَفوةُ المُختارِ، فاَقْتَفِ سُبْلَها، وتَوَخَّ أنْ تَسْتَنَّ في مَرْقاتِها[1].

فَعَساكَ أنْ تَمتارَ من بَرَكاتِها رِفْداً به تَعْتَدُّ من طَبَقاتِها[2].

يا طَيِّباً ضَمَّتْهُ مِسْكَةُ طَيبةٍ فَتَضَوَّعَتْ دارِينُ عن جدراتِها[3]،

شَوقي لِتُرْبَتِكَ المُقدَّسةِ اقتضى دَنَفي وصدَّ النفسِ عن خَطَراتِها[4].

فَارْحَمْ بُكاءَ مُغرَّقٍ في أبْحُرٍ من دَمْعِه يختالُ في غَمَراتِها[5].

وأشْفَعْ لـه في تَوْبَةٍ يصفو بها نَفساً، فتُقْلِعَ عن قبيحِ سِناتِها[6].

كَيما يكونُ إلى المَعادِ مُشَمِّراً ويَكُفُّ للأهوالِ من عَثَراتِها[7].

ثُمَّ السلامُ عليكَ، يا شخصَ الرِّضا، ما دُمْتَ أصلَ رَشادِها لِغُواتِها[8]،

الذات (الشخصية الكريمة: أي محمّد رسول الله). الأخمص: باطن القدم. الغرفات جمع غرفة: أعلى الأمكنة في الجنّة. المقصود: إن الرسول أعلى مكاناً من هؤلاء في الجنّة. أمّا المبشّرون بالجنّة فهم عشرة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ والزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجرّاح وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد.

(١) صفوة المختار (رسول الله): الذين اصطفاهم (اختارهم الرسول) وبشّرهم بالجنّة. استنّ: سار بجدّ، ركض.

(٢) امتار: تزوّد. الرفد: العطاء. اعتدّ: صار معدوداً (في جماعة). ويجوز «تُعتدّ» (بالبناء للمجهول).

(٣) يا طيّبا (يا رسول الله) ضمّته (ضمّت جسده) طيبة (المدينة المنوّرة). المسكة: القطعة من المسك (مادّة طيّبة الرائحة). مسكة طيبة (تراب المدينة المنوّرة الطيّب الطاهر). تضوّع: انتشر طيب الرائحة. دارين:(مكان في الشام ومكان آخر في البحرين ذوا شهرة بوجود المسك. الجدرة (بفتح ففتح): حظيرة الغنم (وتكون عادة غير طيّبة الرائحة).

(٤) الدنف: المرض الذي يشرف بصاحبه على الموت. الخطرة: ما يخطر في بال الإنسان (من عمل غير حميد). يجوز: وصدّ (فعل ماض) النفس (مفعول به).

(٥) الغمرة: لجّة البحر، المكان الذي يكثر فيه الماء. يختال: يسير بفخر وازدهاء. مع أن الناظم غريق في دموعه (خوفاً من الذنوب التي اقترفها في حياته) فإنّه مسرور بهذا الدمع لأنه دليل على ندمه. وندمه هذا مدعاة إلى مغفرة ذنوبه.

(٦) أقلع الرجل عن فعل ما: ترك ذلك الفعل. سناتها جمع سنة (بالكسر): النوم، ولا وجه له هنا. (إلاّ أن يكون المقصود: نومها عن الأعمال الصالحة).

(٧) المعاد: يوم القيامة. مشمّراً: مسرعاً (إلى دخول الجنّة) ويكف: يردّ. الأهوال: (يوم القيامة، ممّا يجعله يعثر فيقع في جهنّم).

(٨) يا شخص الرضا (محمّد رسول الله). الغواة جمع غاو: ضالّ. أصل رشادها (سبب رشادها وسبيله).

وَوَهَبْتَهـا المأمولَ من طَلَباتِهـا ... ووَقَيْتَهـا المحـذورَ من آفاتِهـا،
وخَصَصْتَهـا عنـدَ الإلـهِ بحُظْوةٍ ... أقْطَعْتَهـا فيهـا جزيلَ هِباتِها.

٤ - زاد المسافر ١٥١ - ١٥٢؛ التكملة ٢٧١ (رقم ٥٥٦)؛ الذيل والتكملة ٦: ٤٥٧ - ٤٨٣ (رقم ١٢٣١)؛ المغرب ٢: ١٤٩ - ١٥٠؛ المطرب ٢٤١ - ٢٤٢؛ نفح الطيب ٣: ٥٠٦، ٤: ٢٧٨ - ٢٨٨؛ بروكلمن ١: ٦٥٨، الملحق ١: ٩١٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٦٨ (٦: ٢٨٠).

أبو بكر بن زُهْر

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ أبي مَروانَ عبدِ الملكِ بنِ أبي العَلاء زُهْرِ بنِ أبي مَروانَ عبدِ الملكِ (ت ٥٥٧) بنِ أبي بكرٍ محمّدِ بنِ مَروانَ بنِ زهرٍ الإياديُّ الأندلسيُّ الإشبيليُّ.

وُلِدَ أبو بكرِ بنِ زُهْرٍ سَنَةَ ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) - وقيل سنة ٥٠٤ هـ - في إشبيليةَ ونشأ فيها فحفِظَ القُرآنَ وسَمِعَ الحديثَ ثمّ أقبلَ على اللغةِ والأدبِ والفِقْهِ. ولازَمَ عبدَ الملكِ الباجيَّ سَبْعَ سَنَواتٍ وقَرأ عليه المُدَوَّنَةَ.

وأخذ أبو بكرِ بنُ زُهْرٍ صِناعةَ الطِبِّ عن أبيه عبدِ الملكِ (ت ٥٥٧ هـ) وباشرَ أعمالها ففاقَ أهلَ زمانِهِ وخَدَم بها المُلَثَّمينَ (سَلاطين المُرابطين) في آخرِ عَهْدِهِمْ ثمّ خدم بها سلاطين المُوحِّدين. وقدِ اسْتدعاهُ سُلطانُ الموحّدين أبو يوسفَ يعقوبُ المنصورُ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) إلى مَرّاكُش وأكرمه إكراماً كثيراً.

وكانتْ وَفاةُ أبي بكرِ بنِ زُهْرٍ قُبَيْل خِتامِ سَنَةِ ٥٩٥ أو في ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) في مَرّاكُش - قيل مسموماً.

٢ - أبو بكرِ بنُ زُهْرٍ طبيبٌ بارعٌ في المعالجة وشاعرٌ مُكْثِرٌ من القَصيد والمُوشّح. ولقد بلغتْ موشّحاتُه درجةً من الكمال أصبحتْ مَعَها نماذجَ للتوشيح البارع. وشعره جيّد يدور على الخمر والحِكَم والزُهْد.

٣ - مختارات من شعره:

- الموشّحة التالية لابنِ زهرٍ، وإن كانت أحياناً تُروى لغيره:

أيُّهـا الساقي، إليـكَ المُشتكى!　　قـد دَعَوْنـاك وإنْ لم تسمـعِ.

★ ★ ★

ونـــــديمٍ هِمْـــــتُ في غُرّتـــــهِ
وبشُرْبِ الرَّاحِ من راحتـــــــــــــه.
كلما آستيقــــــظ من سكرتـــــــه
جــذب الزِقَّ إليــه وآتّكــى،　　وسقــاني أرْبعــاً في أربــعِ.

★ ★ ★

مــــا لعيـــــني عَشِيَـــــتْ بالنظرِ:
أنكرَتْ بعــــــــــدك ضوءَ القمر.
فـــإذا مـــا شِئْـــتَ فـآسمعْ خبَري:
عَشِيَتْ عَيْنايَ من طول البُكا؛　　وبكى بعضي على بعضي معي[1]!

★ ★ ★

غُصْنُ بـــانٍ مـــال من حيـــثُ آلتوى؛
بـــــــــات من يهواه من فرط الجوى
خَفِـــــــــقَ الأحشاءِ موهونَ القُوى.
كلّما فكّرَ في البَيْنِ بكــــــى!　　ويحــه، يبكي لـمَا لم يقـعِ[2].

★ ★ ★

ليس لي صـــــــبرٌ ولا لي جَلَـــــدُ.

---

(١) عشي البصر يعشى: ساء البصر وضعف (في الليل وفي النهار).

(٢) البان شجر أغصانه سمراء ملساء مستقيمة. الجوى: الحزن الباطن وحرقة الحب. فرط الجوى: زيادته فوق ما يحتمل الإنسان. البين: الفراق والبعاد.

يـــــــا لَقَوْمي، عَذَلوا وآجتهـــــــدوا،
أنكروا دَعْوايَ مـــــــا أجِـــــــدُ.
مثلُ حالي حقُّها أن تُشتكي: كمدُ اليأس وذلُّ الطمع[1].

* * *

كَبِـــــــدٌ حَرَّى ودمـــــــعٌ يَكِـــــــفُ
يـــــــذرِفُ الدمـــــــعَ ولا ينـــــــذرفُ.
أيهـــــــا المعرِضُ عمَّـــــــا أصِـــــــفُ،
قد نما حبي بقلبي وزكا. لا تَخَلْ في الحب أني مُدّعي[2].

– لمّا كان أبو بكر بنُ زهرٍ في مَرّاكُشَ، وطالتْ غيبته عن إشبيلية، قال يتشوّق إلى بيته وأهله وإلى طفلٍ له صغيرٍ خاصّة:

ولي واحدٌ مثلُ فَرْخِ القَطاةِ صغيرٌ تخلَّفَ قلبي لَدَيْهْ؛
وأفرِدتُ عنه؛ فيا وحشتي لِذاك الشُّخَيْصِ وذاك الوُجَيْه.
تَشَوَّقَني وتشوقتُه، فيَبكي عليَّ وأبكي عليه.
وقد تَعِبَ الشوقُ ما بيننا: فمِنْه إليَّ ومِنّي إليه.

– وله في النسيب:

يا مَن يُذكِّرني بعهدِ أحِبَّتي، طابَ الحديثُ بذكرهم ويَطيبُ.
أعِدِ الحديثَ عليَّ من جَنَباتِهِ؛ إنَّ الحديثَ عن الحبيب حبيبُ.
ملأَ الضلوعَ وفاض عن أجنابها قلبٌ إذا ذُكر الحبيبُ يذوبُ.
ما زال يخفِقُ ضارباً بجَناحه؛ يا ليتَ شعري، هل تطيرُ قلوب؟

---

(١) عذلوا: لاموا، عتبوا. اجتهدوا: أكثروا، بالغوا.

(٢) وكف السقف: سال منه ماء المطر. وكف الدمع: زاد سقوطه. يذرف الدمع ولا ينذرف: لا ينتهي الدمع، لا يكفّ الدمع عن السيلان؛ أو لا ينذرف الدمع (جفّ دمعه لطول البكاء). نما: زاد (بعد أن كان قليلاً – نما الزرع: كبر وهاج بعد أن كان قليلاً صغيراً). زكا: طَهُرَ (كان بريئاً طاهراً عفيفاً).

- وله في الغزل والنسيب:

رَمَتْ كَبِدي أُخْتُ السماء فأقصدَتْ، ألَا بأبي رامٍ يُصيبُ ولا يُخطي[1].
قريبةٌ ما بين الخلاخيل إنْ مَشتْ، بعيدةُ ما بين القلادَة والقُرْط[2].
نعِمتُ بها حتى أُتيحَتْ لنا النَّوى؛ كذا شِيَمُ الأيام: تأخذ ما تُعطي[3].

- وقال يذكُر أيّام شبابه:

إنّي نظرتُ إلى المرآة قد جُلِيَتْ فأنكَرَتْ مقلتايَ كلَّ ما رأتا.
رأيتُ فيها شُيَيْخاً لستُ أعرِفُه، وكُنتُ أعهَدُه من قبلِ ذاك فتى.
فقُلتُ: «أين الذي بالأمس كان هُنا؟ متى ترحَّل من هذا المكانِ، متى؟»[4]
فاستضحكَتْ ثم قالَتْ وهيَ مُعجبَةٌ: «إنَّ الذي أنكرَتْهُ مُقلتاك أتى»[5].
كانَتْ سُلَيمى تنادي: «يا أُخيَّ»، وقد صارَتْ سليمى تنادي اليوم: «يا أبتا!»

- ونظم أبياتاً لتُكتب على قبره وجعل فيها إشارة إلى معالجة المرضى، وأنه قد آل إلى ما كان يعالج الناسَ خوفاً منه:

تأمَّلْ بفضلِكَ، يا واقفاً، ولاحِظْ مكاناً دُفِعْنا إليهِ.
تُرابُ الضريحِ على صَفْحتي كأنّيَ لم أمشِ يوماً عليهِ[6].
أُداوي الأنامَ حَذارَ المنونِ، فها أنا قد صِرْتُ رهْناً لديهِ[7].

---

(١) أخت (شبيهة) السماء (قمر السماء أو شمس السماء: فتاة بارعة الجمال). أقصدت: أصابت مقتلاً منّي (هنا: جعلتني ميتاً في حبّها).

(٢) تسير بخطى قصيرة، وعنقها طويل، وهذان من أوصاف الجمال عند العرب.

(٣) نعمت بها (تنعّمت بحبّها) حتّى (إلى أنْ، ثمّ). تاح الشيء: عرض، ظهر (بعد أن كان خافياً). النوى: البعد والبعاد والفراق.

(٤) الذي كان بالأمس: الشباب - الوجه الأملس والشعر الأسود، الخ.

(٥) الذي أنكرته مقلتاك (عيناك): الشيخوخة والهرم: الوجه المغضّن والشعر الأبيض، الخ.

(٦) صفحتي: صفحة وجهي، وجهي.

(٧) الأنام: جميع الناس. حذارَ: خوفاً مِنْ. المنون: الدهر، الموت. - شفيت كلّ الناس من المرض الذي قد يؤدّي إلى الموت ثم لم أستطع دفع الموت عن نفسي.

- موشّحة:

ما للمُوَلَّهْ   من سُكرهِ لا يُفيقْ؟   يا له سكرانْ

من غير خمرِ!   ما للكئيبِ المَشوقْ   يندب الأوطانْ؟[١]

★ ★ ★

هل تُستعادْ   أيامُنا بالخليجْ   وليالينا؟

أو يُستفادْ   من النسيم الأريجْ   مِسكُ دارينا؟

وإذْ يكادْ   حسنُ المكان البهيجْ   أن يحيينا.

نهرٌ أظلَّهْ   دَوْحٌ عليه أنيقْ   مُورقٌ فَيْنانْ.

والماءُ يجري   وعائمٌ وغريقْ   من جَنى الرَّيْحان[٢].

★ ★ ★

أو هلْ أديبْ   يُحيي لنا بالغُروسْ   ما كان أحلى،

معَ الحبيبْ   وصافياتِ الكؤوسْ   فاْسقني واْملا.

عيشٌ يطيبْ   ومَنْزَهٌ كالعروسْ   عندما تُجلى.

عيشٌ لعلَّهْ   يعود منه فريقْ   كالذي قد كانْ:

أضغاثُ فِكْرِ   تَحْدو به وتسوقْ   هذه الألحانْ[٣].

★ ★ ★

---

(١) المولّه (الذي فرّق الدهر بينه وبين ولده)، والذي حَزَنَهُ (أو أحزنه) الأمر وحيرّه، وأذهب عقله.

(٢) كلمة يستفاد (بالبناء للمجهول، هنا) قلقة. نقول: استفاد الرجل مالاً: (اكتسبه). الأريج: الرائحة الطيّبة. دارين مكان (في الشام، وفي البحرين) مشهور بالمسك. يجوز أن نقرأ البيت: أو يستفاد (بالبناء للمجهول) من النسيم الأريج (بالرفع: نائب فاعل) مسك (بالرفع: بدل من الأريج). أما التركيب الصحيح فيجب أن يكون: أو يستفيد مسك (فاعل) دارين أريجاً (مفعول به) من النسيم (الهواء الذي لا رائحة طيّبة له، بل هو يستفيد الرائحة من النبات ذي الرائحة الطيّبة؟). فينان: طويل الشعر، (وهنا) الواسع، المنبسط). الريحان: نبات ذو رائحة طيّبة.

(٣) الغرس (بالفتح) الشجر المغروس وجمعه غراس (بالكسر) وأغراس (راجع القاموس ٢: ٢٣٤). =

يـــا صاحِبَيَّـــا إلى مـــتى تَعْـــذُلاني؟ أقْصِرا شيَّــــــا،
قـد مِـتُّ حيًّـا والمُبتـــــلى بالغواني ميِّــــتٌ حيًّـا.
جَنـــى عَلَيَّـــا عَـذْبُ اللَّمى والمعاني، عاطرٌ ريَّــــــــا.
هِـــلالُ كِلَّــــهْ، غزالُ أُنْسٍ يفوقْ سائرَ الغِزلانْ.
يا لَيْتَ شِعري، هل لي إليهِ طريقْ أو إلى السُّلوانْ؟[1]

٤ - ** معجم الأدباء ٨: ٢١٦ - ٢٢٥؛ الوافي بالوفيات ٤: ٣٩ - ٤٣؛ الذيل والتكملة ٦: ٣٩٨ - ٤٠٣ (رقم ١٠٧٦)؛ المطرب ٢٠٣ - ٢٠٧؛ المعجب ٦١ - ٦٣؛ وفيات الأعيان ٤: ٤٣٤ - ٤٣٧؛ المغرب ١: ٢٦٦ - ٢٧٨؛ طبقات الأطبّاء ٢: ٦٧ - ٧٤؛ شذرات الذهب ٤: ٣٢٠؛ نفح الطيب ٢: ٢٤٧ - ٢٥٣، ٣: ١١١، ٢١١، ٤٣٤، ٤٦٨، ٧: ٩، ١١٣، ١١٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٨؛ بروكلمن ١: ٦٤٤، الملحق ١: ٨٩٣؛ نيكل ٢٤٨ - ٢٥١؛ مختارات نيكل ١٦٨ - ١٦٩؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٢٩ (٦: ٢٥٠)؛ بالنثيا ١٢٩، ١٥٧، راجع ٤٧١.

عبد المنعم بن الفرس

١ - هو أبو محمدٍ عبدُ المُنعمِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحيمِ بنِ محمدِ بنِ فرجٍ بنِ خلفِ بنِ سعيدِ بن هشامٍ الخزرجيُّ، ويُعْرَفُ بابنِ الفَرَسِ الغَرناطيِّ. وَلِدَ سَنَةَ ٥٢٤ أو ٥٢٥ (١١٣٠ - ١١٣١ م) في غَرْناطةَ. تَلقّى العِلمَ على أبيهِ وجَدِّه وعلى نفرٍ كثيرين من العُلَماء (راجع صلة الصلة ١٧ - ١٨).

والشاعر جمعها على «غروس» وعنى بها «مكاناً ذا شجر يذهب الناس إليه للنزهة». المنزه (بفتح فسكون ففتح): المكان البعيد. والشاعر عنى به «المتنزّه» (مكان النزهة). حدا السائق بالراكب (غنّى له في أثناء السفر): ساق. هذه الألحان (الأبيات من الشعر).

(١) عذل: لام. أقصرا شيّا: خفّفا من لومكما شيئاً (قليلاً). اللمى: السمرة في الشفاه. «عاطر» (هنا) قلقة. يجب أن نقول: العاطر الريّا (فتختلف القافية حينئذ وتقبح الإضافة اللفظية). وربّما قلنا: عاطراً (حال) ريّا (تمييز)، وفي ذلك تمحُّل. - غير أن هذا الصعب (مع جمال اللفظ فيه) من خصائص الموشّح. الكِلّة: الستر. هلال (فتاة جميلة) كلّة (محجوبة عن أنظار الناس). السلوان: النسيان، التسلّي عمّا يحبّه الإنسان.

وَلِيَ عبدُ المُنعمِ بنُ الفرسِ القضاءَ بجزيرةِ شُقْر ثُمّ في وادي آشَ ثمّ في جيّانَ ثمّ في غَرناطةَ. وعُزِلَ عن قضاءِ غَرناطةَ ثمّ ردّه المنصورُ المُوحّدي إلى قضائها مُكرّماً وأضافَ إليه النَظَرَ في الشُرطة والحِسْبة وغير ذلك.

وفي سَنَةَ ٥٥٣ و٥٦٦ه (١١٧١ م) وَجَدْناه في مُرْسِيَةَ. ويبدو أنّه اشتهرَ بالعلم بُعيدَ ذلك فقصدَهُ الناسُ من كلّ مكانٍ فتَصدّرَ للتعليمِ فَرَوَى عنه خلقٌ كثيرٌ. وفي سَنَةِ ٥٩٥ حَدَثَ له اضطرابٌ جَسَدي وعقليّ وكَثُرَ تَشتُّتُ فِكرهِ وغلب عليهِ النِسيانُ ثمّ ظلّ على هذه الحالِ حتّى تُوُفّيَ في رابعِ جُمادى الثانيةِ من سَنَةِ ٥٩٨ (١٢٠٢/٣/٢ م).

٢- كان عبدُ المُنعمِ ابنُ الفَرَسِ من بيتِ علمٍ مُستَبْحِراً في عددٍ من فنونِ المعرفة: من القِراءاتِ والتفسيرِ والحديثِ وأُصولِ الفِقه والفِقه وعِلم الكلامِ واللغة والنحو والأدب. وكان له عدد من التآليف: أحكامُ القرآن (وَهُوَ أجلُّ الكتبِ في موضوعه حَسَنٌ مفيدٌ جَمَعَهُ في إبّانِ نَشاطه ومُقْتَبَلِ حياتهِ وفَرَغَ من تأليفهِ في مُرسية سَنَةَ ٥٥٣)- كتاب في الأَبْنِيَةِ (الصرف)- كتاب في المسائل التي اختلف فيها النحويّون من أهلِ الكوفة وأهل البصرة- كتاب في صناعة الجَدَل- ردٌّ على رسالة ابنِ غرسِيَةَ (راجع ٤ : ٦٨٣ وما بعد) في تفضيل العجم على العرب. ثمّ إنّه اختصرَ عدداً من الكتب: الأحكام السلطانية (للماوردي؟)- ناسخ القرآن ومنسوخه لابن شاهين (صلة الصلة، ص ١٩)- كتاب المحتسب لابن الجنّي (صلة الصلة، ص ١٩). وكان له نثرٌ ونظمٌ.

٣- مختارات من آثاره:

- قال في العتاب بالاتّكاء على إشارة فقهية:

مـــا بالُنـــا مُتَّهَمَ وُدُّنـــا ... ونحن في وُدّكم نقتتـــــلْ
كأنّـــكم مِثـــلُ فقيـــهِ رأى ... أنْ يـــتْرُكَ الظاهرَ للمُحْتَمَـــلْ!

٤ - ** التكملة ٦٥١؛ الذيل والتكملة ٥ : ٥٨ - ٦٣ (رقم ١٢٩)؛ صلة الصلة، ص ١٧ -

٢٠؛ البلغة ١٣١ - ١٣٢؛ المرقبة العليا (قضاة الأندلس) ١١٠؛ بغية الوعاة ٣١٥؛ الديباج المذهب ٢١٨ - ٢١٩؛ بروكلمن، الملحق ١: ٧٣٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣١٧ - ٣١٨ (١٦٨).

ابن محشرة

١ - هو أبو الفضلِ محمّدُ بنُ عليّ(١) بنِ طاهرِ بنِ تميمٍ القيسيُّ، وُلِدَ في بِجاية سَنَةَ ٥٤٠ (١١٤٥ م) أو قبلَها بمدّةٍ يسيرةٍ. رَوى عن أبي القاسم القالمي وأبي محمّدٍ عبدِ الحقِّ ابن عبدِ الرحمن.

كان أبو القاسمِ القالِميُّ كاتباً للسِرِّ للخليفة أبي يعقوبَ يوسفَ (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ). فلمّا تُوُفِّيَ القالميُّ أرسلَ الخليفة إلى ابنِ مَحْشَرَةَ يَسْتَقْدِمُهُ. فانتقلَ ابنُ محشرةَ من بِجاية إلى مَرّاكُشَ وكَتَبَ لأبي يعقوبَ يوسفَ ثمّ لابنهِ يعقوبَ المنصورِ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). وكانت وفاةُ ابنُ محشرةَ سَنَةَ ٥٩٨ (١٢٠١ - ١٢٠٢ م).

٢ - كان ابنُ محشرةَ أكبرَ المترسّلين الذين ظهروا في الجزائر إلى جانبِ مُشاركةٍ في عددٍ كبيرٍ من فُنونِ المعرفة كالفِقه وسواه. وقد كان مُتَمَكِّناً من التَصرُّف في وجوهِ البلاغة.

٣ - مختارات من آثاره:

- كان من عادةِ ابن محشرةَ أن يُبطىء في مجيئه، إذا دعاه أميرُ المسلمين يوسفُ ابنُ عبد المؤمن. ولمّا عاتَبه أميرُ المسلمين في ذلك قال له:

يا أميرَ المؤمنين، أنتَ إمام المسلمين. وما أظُنُّ أن محلَّ الإقامةِ(٢) إلّا كمحلِّ الصلاة. وكما آتي إلى الصلاةِ آتي إلى هذا المحلّ. وقد قال رسولُ الله صلّى الله عليه

---

(١) وقيل في سياقة نسبه: أبو الفضل وأبو العليّ جعفر بن أحمد. وقيل أيضاً: أبو الفضل بن محمّد بن عليّ ابن طاهر بن تميم- وقيل ابن محشوّة (بالواو) مكان ابن محشرة (بالراء).

(٢) محلّ الإقامة (محلّ الإمام الذي يقيم الصلاة: يدعو الناس إلى الصلاة).....

وسلّم: «إذا أُقيمتِ الصلاةُ فلا تأتوها وأنتم تسعَوْنَ، وأتوها (وأنتم) تمشُون وعليكمُ السكينةُ. فما أدركْتُمْ فصلّوا، وما فاتكم فأتِمّوا».

- (لم أستطعِ الحصول على نُسخة من رسائلِ ابنِ محشرةَ - راجع رقم ٤).

٤ - رسائل ابن محشرة (ليفي بروفنسال)....
** راجع المعجب ١٧٦، ١٩٠؛ عنوان الدراية ٨٣ - ١٨٥؛ معجم أعلام الجزائر ١٦٥.

عبد الوهّاب القيسيّ المَنْشيّ

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ الوهّاب بنُ عليّ بنِ محمّدٍ القيسيُّ المَنْشيُّ (نسبة إلى المَنْشأة - وهي حِصْنٌ بغربيّ مالَقة) المالقيُّ المعروفُ بابن الأصمّ. وُلِدَ سَنَةَ ٥٢١ هـ (١١٢٧ م).

روى عبدُ الوهّابِ القيسيُّ عن أبي العبّاسِ بن سيدٍ وأبي عبدِ الله الحِجاريّ وأبي عبد الله بنِ الطَراوة وأبي محمّدٍ القاسمِ بنِ دحمانَ وأبي مروانَ عبدِ الملك بن مُجْبَر. وقد آثرَ سُكنى الباديةِ فلم تَتِمّ له شُهرةٌ. ويبدو أنّه آنتقل فيما بعدُ إلى سُكنى الحَضَرِ فنَزَلَ مالَقةَ لِيَقْصِدَ نفراً من الولاة.

ولمّا تُوفّي خطيبُ جامعِ مالقةَ، أبو عبد الله الإستِجيُّ تولّى عبدُ الوهّابِ القيسيُّ الإمامةَ والخَطابة مكانَه ثمّ آستمرَّ فيهما إلى وفاتِه في رابعَ عَشَرَ شوّالٍ من سَنَةِ ٥٩٨ (١٢٠٢/٨/٥ م).

٢ - كان عبدُ الوهّابِ القيسيُّ فقيهاً ماهراً في عقد الشروط، كما كان عارفاً باللغة والنحو. وكان أديباً مُحسناً مُجيداً في النثر والنظم، له رسائلُ وخطبٌ ومقاماتٌ وأشعارٌ حُلْوَةُ الأغراضِ طريفةُ الدُعابةِ. وكان ناقداً بصيراً. وله بيتانِ طريفانِ هُما:

يإحـــدى هـــذه الحَنِيّاتِ جـارهْ ... تَرى هَجْري وتَعْذيـــبي تِجـارهْ.
وكم ناديتُ: يا هذي، آرْحَمينا، ... فلَسْنــــا بالحديـدِ ولا الحِجـاره*!

* في القرآن الكريم (١٧: ٥٠، سورة الاسراء): «قل: كونوا حجارة أو حديداً....»

ولقد طَرِبَ لها أدباء كثيرون وذَيّلوها (زادوا عليها مِثْلَها) ولكنْ لم يبلُغْ أحدٌ إلى حُسنِ بنائِها ولا إلى خِفّة روحِها. ولقدِ اتّفقَ لعبدِ الوهّاب القيسيِّ أن يأتِيَ بيتاه من لُزوم ما لا يلزَمُ بأربعةِ أحرفٍ (جاره) ثمّ في مِصْراعَيِ البيتِ الأوّل بخمسةِ أحرفٍ (ت جاره- تجاره). ويكثُرُ لزومُ ما لا يلزم في قوافيهِ واسجاعه.

٣- مختارات من آثاره:

- قال عبدُ الوهّابِ القيسيُّ في الموت:

الموتُ حَصّادٌ بلا ا مِنْجَلِ · يسطو على القاطنِ والمُنْجلي[١].
لا يقبَلُ العُذْرَ على حالةٍ: · ما كان مِنْ مشكل أوْ مِنْ جَلي[٢]!

- وكتب إليه أبو الحجّاجِ بنُ الشيخِ في شأن بَيْتيه «بإحدى هذه الخيمات جارهْ»، فردّ عبدُ الوهّابِ عليه برسالةٍ منها:

إنّ خليلًا لي من قُضاعهْ · ذَكّرني أيّاميَ المُضاعهْ،
إذِ الهوى واللّهو لي بِضاعهْ. · مهلًا! فذاك الدَرّ قد أضاعهْ
خِلُّك لم يَسْتَدِم ارتضاعَهْ[٣].

أيّها الفاضلُ الحسيبُ، إلى متى هذا التغزُّلُ والنسيبُ؟ أَلَمْ تنفَدْ أيّامُ الجهل؟ ألم يَعُدِ الفتى كالكَهْل؟ أما، واللهِ، لقد أحاطتْ بالرقابِ السلاسلُ، وآن أنْ يَخافَ من العِقابِ المُتغزّلُ المراسِلُ[٤].... ثمّ ما أنت وعهدَ ساكناتِ الخيام وان كانتْ مِنْ

---

(١) القاطن: المستقرّ في بلده. المنجلي (النازح عن وطنه).

(٢) كلمة «أو» زائدة في الوزن (ويستقيم الوزن إذا حذفنا التنوين من «مشكل»). المشكل: الغامض. الجلي: الواضح.

(٣) الدرّ (بالفتح): حليب الأمّ. إذا توقّف الطفل عن الرضاع من أمّه فإنّ حليب الأمّ ينقطع.

(٤) أحاطت...:أصبح الإنسان مكرهاً على السلوك الحسن. وأصبح الغزل الصريح (ذكر المحبوبة في الشعر ممنوعاً، يعاقب عليه المخالف. وكان عمر بن الخطّاب قد منع التغزّل الصريح. وقد نثر صاحب الترجمة ذلك من بيتين لأبي خراش الهذلي (توفّي في خلافة عمر بن الخطّاب، ١٣ - ٢٣هـ). أمّا بيتا أبي خراش فهما (حاشية للدكتور احسان عبّاس، في الذيل والتكملة ٥: ١٧١، ص ٨٤):

وليس كعهد الدار، يا أمّ مالك؛ · ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل.
وعاد الفتى كالكهل: ليس بقائل · سوى العدل شيئاً، واستراح العواذل.

مباركات الأيّام؟ كَمْ تسألُ عن أنباء سعادَ سَعْداً! هلَّا قُلتَ قولَ الألبّا: سُحْقاً للهوى وبُعداً!.... تعالَ، فَلْنَخْلَعْ تلكَ اللَّيِّنات من الملابس، وَلْنَرْجِعْ عن التُّرَّهات البَسابس[1]. وَلْنَذَرِ الديارَ وساكناتِها وَلْنُقِرَّ الأطيارَ على وُكُناتِها[2] وَلْنَذْهَبْ في مِنهاجٍ من صالحِ العملِ وَلْنَتأهَّبْ لانزعاجٍ ليس يسعى به الجملُ[3]. هذا، واللهِ، هو الرأيُ السديدُ عند ذوي الرأيِ الحديدِ.... وقد ذَكَرْتَ أنّ قوماً من الشعراء ذَيَّلوا بيتاً كان عندي مَنْبوذاً بالعَراءِ وأردتَ أنْ أقفَ على أبياتِهم وأَعْرِفَ كيفَ تفاوُتُهم في غاياتِهم. وزعمتَ أن لي بَصَراً بالتفريقِ بينَ مَنْ سار قصداً أو مَنْ حادَ عنِ الطريقِ. فسأقفُ عليها وإن كان الباعُ قصيراً ولم يكُنِ الناقدُ بصيراً.... وحبّذا القائلُ (منهم):

شريفُ الحبِّ ليسَ يُريدُ وَصْلاً   سوى لَثْمٍ، فَصِلْ فيهِ نِجارَهْ[4].

هذا رجُلٌ يَرْجعُ إلى عَفافٍ ويقنع بكَفاف. سَلَكَ في هواه أحمدَ طريقِهِ وقَنعَ مِمَّنْ يَهْواه بمَجّةِ ريقِهِ. ليس كالعسلِ الطالبِ للنَسْلِ[5]. وإذا تمادتِ العِلّة واشتدّت الغُلّة[6]، فلا شافٍ كارتشافٍ ولا مُطفئٌ حريقٍ كرَشْفةِ ريقٍ.....

أعزَّكَ اللهُ. ربّما كان في كِلامي بعضُ دُعابَةٍ لم أذهَبْ بها إلى مَعابة[7]. فَلَكَ الفضلُ في بَسْطِ العُذْرِ لَدَيْهِمْ وإيصالِ التَحيّةِ إلَيْهم. ثمّ السلامُ الأتمُّ الأعمّ الأكرم على أخي وَوَلِيِّي في اللهِ، الفقيهِ الأجلّ أبي الحجّاجِ، ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

٤ - ** التكملة (رقم ١٧٧٧)؛ صلة الصلة ٢٨ - ٣٠؛ الذيل والتكملة رقم ١٧١، (٥: ٧٥ - ٩٤)؛ نفح الطيب، راجع ٣: ٤٠٣، ٤: ٣٢٨.

---

(١) التّرّهات البسابس: الأباطيل (المعجم الوسيط ٥٥).

(٢) الوكنة (بضمّ فسكون): عشّ الطائر.

(٣) الانزعاج الانتقال. ليس يسعى (يقدر عليه) الجمل (للبعد والمشقّة)، يقصد: الموت.

(٤) «صِلْ» (فعل أمر من «وصل»): اجعل ذلك متعلّقاً. النجار (بكسر النون): الأصل (النبيل).

(٥) عسل المرأة عسلا (بفتح فسكون): نكحها.

(٦) الغلّة: العطش.

(٧) المعابة: العيب.

صفوان بن إدريس

١ - هو أبو بحرٍ صَفْوانُ بنُ إدريسَ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمن بنِ عيسى بنِ إدريسَ التُجيبيُّ المُرْسيّ، وُلِدَ في مُرْسِيَةَ سَنَةَ ٥٦١ هـ (١١٦٤ م). وتلقّى صفوانُ العِلْمَ على نفرٍ كثيرين من أهلهِ ومِنَ العُلماءِ ؛ مِنْ هؤلاءِ أبو بكر بن مُغاورٍ، وأبو رجالِ ابنُ غلبون،وأبو العبّاسِ بنُ مَضاء (سَمِعَ منه صحيحَ مُسْلمٍ)، وابن بَشْكُوالَ، وأبو الوليدِ بنُ رشدٍ الفيلسوفُ. وكانت وفاةُ صفوان في سادسَ عشَرَ شوّالٍ من سَنَةِ ٥٩٨ (١٠/ ٧/ ١٢٠٢ م) في مُرْسِيَةَ.

٢ - صَفوانُ بنُ إدريسَ أديبٌ مشهور (نفح الطيب ٤ : ٤٧٥) فهو كاتبٌ مُتَرَسِّلٌ بليغٌ وشاعرٌ وُجدانيٌّ مُحْسِن، حُلوُ الألفاظِ رقيقُ المعاني سهلُ التراكيبِ رائقُ الديباجة، ثمّ هُوَ مَعَ ذلك كلّهِ سريعُ الخاطر. وشعرُه قصائدُ ومُقَطَّعاتٌ، وفنونُه البديعيّاتُ (في مدح الرسول). وله رثاءٌ أكثرُهُ في آلِ البيت وفي الحُسين خاصّةً. وكذلك له غزلٌ بديعٌ وأوصافٌ أنيقة. وصَفوانُ بنُ إدريسَ مُصَنِّفٌ، له: زادُ المسافر وغُرّة مُحيّا الأدب السافر (تكملة لقلائد العُقيان للفتح بن خاقان)- العُجالة (تتضمّن طَرَفاً من نثره وشعره)- كتاب الرحلة - ديوان شعر. وفي شعره تفنُّنٌ في القوافي احياناً.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال صفوانُ بنُ إدريسَ من بَدِيعِيَّةٍ (في مدح الرسول):

تحيّـــــةُ اللهِ وطيـــــبُ السلامْ عــلى رسولِ اللهِ خــيرِ الأنــامْ ؛
عــلى الــذي فتّــح بابَ الهُدى وقــال للناس: ادْخُلوها بسلامْ[١].
بـدرُ الهُدى، سُحْبُ النّدى والجَدا ؛ وما عسى أن يَتَناهى الكلام[٢].

(١) « ادخلوها بسلام » (كذا في الأصل)، وهي تضمين من القرآن الكريم. ويستقيم الوزن إذا قلنا: ادخلوها، سلام.

(٢) الندى: الكرم. الجدا: العطاء.

تحيّـــــــةٌ تهزأُ أنفاسُهـــــــا ... بالمِسْك، لا أرضى بِمِسْكِ الختام*،
تَخُصّـــــــهُ مِنّي ولا تَنْثَـــــني ... عن آلِهِ الصِيدِ السَراةِ الكِرام[1].
وقَدْرُهُمْ أرفـــــعُ؛ لكنّـــــني ... لم آلفِ أعلى لَفظةً من كِرام!

- وقال في الاعتماد على شفاعة رسول الله:

يقولونَ لي، لمّـا رَكِبْـتُ بَطالتي ... ركوبَ فتىً جَمّ الغَوايةِ مُعْتَدِ:
«أعِنْدكَ ماترجوالخَلاصَ بِهِ غداً؟» ... فقلت: «نعمْ، عندي شَفاعةُ أحْمدِ»[2].

- وقال يصف أغصان الأشجار (في روضة) تحركها الريح تحريكاً خفيفاً فيتساقط شيء من أزهارها:

وكأنّما أغْصانُهـــــا أجْيادُهـــــا ... قد قُلِّدَتْ بلآلِىءِ الأنوار[3].
ما جاءها نَفَس الصَبا مُسْتَجْدِياً ... إلّا رَمَـتْ بدَراهِمِ الأزْهار[4].

وقال يصف شجرة تهزّها الريح وغيمة تلقي بشيء من حبّات المطر على أطراف البستان:

والسَّرْحَةُ الغَنّـاءُ قد قَبَضَتْ بها ... كفُّ النَّسيمِ على لِواءٍ أخضرِ[5].
وكأنّ شكلَ الغيمِ مُنْخَلُ فِضّةٍ ... يرمي على الآفاقِ رَطْبَ الجَوْهَرِ.

- وقال في الغزل مع بعض المُجون والعَفاف:

يا حُسْنَهُ، والحسنُ بعضُ صِفاتِهِ؛ ... والسحرُ مقصورٌ على حَرَكاتـهِ.

---

(١) الصيد جمع أصيد (بسكون الصاد وفتح الياء): مائل العنق (من الاعتزاز بالقوّة والجد). السراة جمع سَرِيّ: أحد كبار القوم وأعيانهم.
(٢) غدا (يقصد يوم القيامة).
(٣) الأجياد جمع جيد (بكسر الجيم): العنق. الأنوار جمع نور (بفتح النون): الزهرة.
(٤) إذا هبّت عليها ريح الصّبا (الشرقيّة) تستجدي (تطلب منها شيئاً من الرائحة الزكية) رمت إليها (أعطتها) زهراً أبيض مستديراً (كالدراهم).
(٥) السرحة: الشجرة الكبيرة. الغنّاء: الناضرة (الكثيرة الورق). - تهزّها الريح كأنّ الريح تحمل في يدها راية خضراء وتحرّكها بعنف.
(٦) الجوهر (هنا) حبّات المطر.

بدرٌ، لو أنّ البدرَ قيل له: اَقترِحْ أمَلّا لقال: أكونُ من هالاتهِ.
والخالُ يَنْقُط في صَحيفة خدِّهِ ما خطّ حِبْرُ الصِدغ من نوناته[١].
وإذا هلالُ الأفْقِ قابلَ وَجْهَه أبصرتَه كالشكْلِ في مِرْآته.
عَبَثتْ بقلبِ مُحِبِّهِ لَحَظاتُه؛ يا ربِّ، لا تَعْبَثْ على لحظاته[٢].
ركِبَ المآثِمَ في آنتهابِ نُفوسِنا؛ فاللهُ يَجْعَلُهُنَّ من حَسَناتهِ[٣].
ما زِلتُ أخْطُبُ للزمانِ وصالَه حتّى دنا- والبُعْدُ من عاداته.
فغفَرْتُ ذنبَ الدهرِ مِنهُ بلَيْلةٍ غَطّت على ما كان من زَلّاتهِ.
غَفَلَ الرقيبُ فنِلْتُ منهُ نَظْرةً؛ يا ليتَه[٤] لو دام في غَفَلاته[٤].
ضاجَعْتُه، والليلُ يُذْكي تَحْتَنا نارَيْنِ من نَفَسي ومن وَجَناته[٥].
بِتْنا نُشَعْشِعُ، والعفافُ نَديمُنا، خَمْرَيْنِ من غَزَلي ومن كَلِماته[٦].
حتّى إذا وَلِعَ الكَرى بجُفونِهِ، وآمتَدّ في عَضُدَيَّ طَوْعَ سِناته[٧]
أوْسَقْتُهُ في ساعِدَيَّ لأنّه ظَبْيٌ خَشِيتُ عليه من فَلَتاته[٨].
فضممته ضمّ البخيلِ لمالِه يحنو عليه من جميعِ جهاته.
عَزَمَ الغرامُ عليَّ في تَقْبيلِهِ فنَفَضْتُ أيدي الطَوْعِ مِنْ عَزَماته.
وأبى عَفافي أن أُقبِّلَ ثَغْرَهُ؛ والقلبُ مَطْوِيٌّ على جَمَراته.

---

(١) النون (هنا) خصلة الشعر المعكوفة على الصدغ (الجانب الأعلى من الخدّ). الخال ينقطه في صحيفة خدّه «نقطة سوداء» تشبه لون شعره.
(٢) لا تعبث (!)، لعلّها: لا تعتب (؟).
(٣) ارتكب اثماً (ذنباً) لمّا انتهب نفوسنا (سلبنا نفوسنا، قتلنا بحبّه).- نرجو الله أن يجعل ذنوبه هذه حسناتٍ له (لكثرة حبّنا إياه).
(٤) يا ليته لو دام (ليت الرقيب دام في غفلته عنّا...).
(٥) أذكى: أشعل.
(٦) شعشع: مزج (أمزج كلامه بشعري، أو شعري بكلماته).
(٧) ولع الكرى (النوم) بجفونه: استغرق في نومه. العضد (الجزء الأعلى من الذراع). السنة (بكسر السين): النعاس (أول النوم).
(٨) أوسقته: جمعته (ضممته). الساعد: الجزء الأدنى من الذراع.- من عادة الظبي (الغزال) أن ينفر من الناس).

فاعجَبْ لُمْتَهِبِ الجوانحِ غُلّةً   يَشْكو الظَما والماءُ في لَهَواته(١)!

- ولصفوان بن إدريس قصيدة في رثاء الحسين مطلعها:

أَوْمِضْ بِبَرْقِ الأَضْلُعِ   وأَسْكُبْ غَمامَ الأدمُعِ،
واحزَنْ طويلًا واجزَعِ   فَهْوَ مكانُ الجزَعِ.
وانْثُرْ دِماءَ المُقْلَتَيْنْ   تَأَلُّمًا على الحُسَيْنْ
وَابْكِ بدَمْعِ دونَ عَيْنْ   إنْ قلّ فَيْضُ الأدمُعِ!

- وكتب صفوان بن إدريس إلى صديق له يعاتبه:

أدامَ اللهُ سُبحانَه مُدَّةَ الأخِ الذي أَسْتَديمُ إخاءه،وإن واجَهَتْني زَعازِعُه أرْتَقِبُ رُخاءه. وتَجاوَزْتُ عن يومِهِ لأمسِهِ وأَغْضَيْتُ عن ظَلامِهِ لشمسه، إناءً واعتناءً، وإنذاراً وإعذاراً. ورَحِمَ اللهُ مَنِ اعتمدَ على الأفهامِ وعصى أوامرَ الأوهام، ورأى الخليفةَ في المعقولِ لا في المُخْتَلَقِ المنقول. وبعدُ، فإنّه وَصَلَ كلامُكَ بل مَلامُك، وكتابُك بل عِتابك، ورِسالتك بل بَسالتك. أَسْمَعْتَني بألفاظِكَ العِذابِ سوء العَذابِ وأَرَيْتَني لَمَعانَ الحُسامِ من فِقَرِكَ الوِسام....

٤ - زاد المسافر، بيروت ١٩٣٩ م؛ (أعدّه وعلّق عليه عبد القادر محداد)، بيروت (دار الرائد العربي) (١٩٧٠ م).

** معجم الأدباء ١٢: ١٠ - ١٤؛ فوات الوفيات ١: ٢٤٥ - ٢٤٨؛ الذيل والتكملة ٤: ١٤٠ - ١٤٣ (رقم ٢٦٤)؛ المغرب ٢: ٢٦٠ - ٢٦١؛ الوافي بالوفيات ٢: ٢٨٢ (في ترجمة محمّد بن ثعلبة)؛ تحفة القادم ٨٢ - ٨٦؛ نفح الطيب ١: ١٧٠ - ١٧٥، ٤: ٨٧ - ٨٨، ٥: ٥٧ - ٧٤، ٦: ٢٥٣ - ٢٥٥؛ بروكلمان ١: ٣٢٢، الملحق ١: ٤٨٢؛ الأعلام للزركلي ٣: ٢٩٥ (٢٠٥).

ابن عميرة الضبّيّ

١ - هو أبو جعفرٍ (وأبو العبّاس) أحمدُ بنُ يحيى بنِ أحمدَ بنِ عُميرةَ الضَبِّيُّ

(١) الغُلّة: حرارة العطش. الظمأ: العطش. لهوات جمع لهاة (بفتح اللام): أقصى الفم

القُرْطُبي، وُلِدَ في بلدةِ بَلَّشَ في الأغلب، وفي نحو سَنَةِ ٥٥٥ هـ (١١٦٠م). وبدأ تَلَقّيَ العِلمِ في لُورِقةَ القريبةِ من مسقطِ رأسِهِ (قيل: قَبْلَ أنْ يبلُغَ العاشرةَ). ثمّ إنّه تَطوّفَ كثيراً في الأندلس والمَغرب، ولكنّ سَكَنه كان في مُرْسِيَةَ وقُرطبةَ. ورَحَلَ ٱبنُ عُميرة إلى المَشْرِقِ حاجًّا ولَقِيَ في أثناء رِحلتهِ هذه نفراً كثيرين من أهلِ العلم. ثم كانتْ وَفاتُـه في مُرْسِيَةَ، في الخامسِ والعِشرينَ من ربيعِ الآخِرِ من سَنَـةِ ٥٩٩ (١٢٠٣/١/١٠ م).

٢ - كان ابنُ عُميرةَ الضبّيّ مُحَدِّثاً كثيرَ الروايةِ صحيحَ النقل ثِقةً صَدوقاً. وكذلك كان مؤرِّخاً بارعاً حَسَنَ الضَّبْطِ لما ينقُلُ. له من الكُتب «مَطلَعُ الأنوارِ لِصحيح الآثار» - أحاديث رسولِ اللهِ - وقد جَمَعَ فيه بينَ (الأحاديثِ الواردةِ في صحيح) البُخاري و (صحيح) مُسْلِمٍ (ممّا كانا قدِ ٱتّفقا في رِوايته؟). غيرَ أنّ ٱبنَ عُميرةَ الضّبّيَّ اشتهرَ بكتابه: «بُغْيَةِ المُلْتَمِسِ في تاريخ رجالِ أهلِ الأندلُسِ: عُلمائِها وأُمرائها وشُعرائها وذَوِي النَّباهة فيها مِمّن دَخَلَ إليها أوْ خَرَجَ عنها مِمّا وشّى به رياض الحُميديّ[1] ونمنم وألْحَمَ سَداه[2] وتَمّمَ أحمدُ بنُ يحيى بنِ أحمدَ بنِ عُميرةَ الضّبّيُّ وفّقَهُ اللهُ». وكتابُ «بغية الملتمس» تتمّةٌ لكتاب «جُذوةِ المُقْتَبِسِ» للحُميدي وتنبيه على عددٍ من أخطائه. وفي «بُغيةِ الملتمس» كلامٌ وجيزٌ على فتح الأندلس وعلى مُلوكها (ص ٦ - ٣٥) ثمّ تَراجِمُ مُوجَزَةٌ - أو موجزةٌ جِدًّا، في أحيانٍ كثيرة. ومُعْظَمُ هذه التراجمِ لرجالِ العلمِ (الحديثِ والفِقه) وقليلٌ منها لرجالِ اللُّغة والأدب.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدّمة «بغية الملتمس»:

... لمّا كان الناظرُ في الحديثِ وعلومهِ مُفتقراً إلى معرفة أسماء رجالهِ ووَفَيَاتِهِمْ

(١) محمّد بن فتّوح الحميدي (ت ٤٨٨ هـ) صاحب كتاب «جذوة المقتبس». - هذه الجملة غير مستقيمة في السجع والموازنة. وأظنّ أن الجملة قد تستقيم إذا قرأنا «رياضه».

(٢) نمنم المؤلّف كتابه: نقشه (لوّنه) وزخرفه (زيّنه). السدى (بالفتح) الخيوط التي تمدّ (عند نسج الثوب أو حياكته طولاً) واللحمة (بالضمّ): الخيوط التي تمدّ عرضاً.

وبُلدانهم، اَستَخَرْتُ اللهَ تعالى على أنْ (أضَعَ كتاباً في) رُواةِ الحديث بالأندلس وأهلِ الفِقه والأدب وذوي النباهة والشِعر ومَنْ له ذِكْرٌ مِمّن دَخَلَ إليهم أو خرج عنهم في ما يتعلّق بالعلم والفضل والرئاسة والحرب وأجعل (ذلك) من وقتِ اَفتتاحها والذي تولّى فَتْحها ومَنْ دَخَلَها منهم من التابعين رَضِيَ اللهُ عنهم مُرَتِّباً ذلك على حروف المعجم.

ولم أجِدْ في كتب من تَقَدَّمَ كتاباً أقبل[1] من كتاب أبي عبدِ الله محمّدِ بنِ أبي نصرٍ الحُميديّ؛ إلاّ أنّه اَنتهى إلى حُدود الخمسينَ وأربعِ مِائَةٍ، فاعتمدتُ على أكثرِ ما ذكره وزِدتُ ما أغْفَلَه وغادَرَهُ وتَمّمتُ من حيثُ وَقَفَ. وجعلتُ ما اعتمدتُه من ذلك تَذْكِرَةً لنفسي ومُطالِعاً لأُنسي لم اَلْتَمِسْ عليه من مخلوقٍ عِوَضاً ولا طلبتُ به من أعراضِ الدنيا عَرَضا[2]، جارياً في ذلك على سبيل الاختصار[3] تاركاً للتطويلِ والإكثار.

٤ - بغية الملتمس (تحرير كوديره)، مجريط (مطبعة روخس) ١٨٨٤ م؛ القاهرة (دار الكاتب العربيّ) ١٩٦٧ م.

** التكملة لكتاب الصلة ١: ١١٤ - ١١٥ (رقم ٢٤٢)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٠٤ - ٧٠٥؛ بروكلمن ١: ٤١٥ - ٤١٦، الملحق ١: ٥٨٠؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٥٤ (٢٦٨)؛ سركيس ١٩٣؛ بالنثيا ٢٧٦ - ٢٧٧.

حمدة بنت زياد

١ - هي حَمدةُ (أو حَمدونةُ) بنتُ زِيادِ بنِ بَقِيٍّ العَوْفِيّ المُؤَدِّبِ (أو المُكَتِّبِ) من ساكني وادي الحِمّةِ بقريةٍ بادي قُرْبَ وادي آشَ، كانتْ تلميذةً للبرّاقِ (أو ابن

(١) اقرأ: أمثل (أحسن).
(٢) في الأصل: من أعواض الدنيا عرفاً.
(٣) بياض في الأصل. والكلمة منّي.

البرّاق)[1] كما حدّثتْ عن أبي الكَرَم جودي بنِ عبدِ الرحمنِ الأديب[1]. وَهِيَ مُعاصرةٌ لنَزْهون. ولعلّ وفاتَها كانتْ في سَنَةِ ٦٠٠ (١٢٠٤ م).

٢ - حمدةُ بِنْتُ زيادٍ نبيلةٌ من أهلِ الجَمالِ والمالِ والمعارفِ، وكانتْ بَرْزَةً (تحضُرُ مجالسَ الرجالِ) مَعَ صَوْنٍ وعَفافٍ ونَزاهةٍ. وَهِيَ أديبةٌ بارعةٌ مشهورةٌ وشاعرةُ جَميعِ الأندلسِ وخنساءُ المَغْربِ، مِنَ المُتَصرِّفات في فنونِ الشعرِ والمُتغزِّلاتِ المُتعفِّفاتِ ومن طَبَقةِ العَرَبياتِ (أولئك اللواتي يُحافِظْنَ على المعاني العربية في الحياةِ الخاصّةِ والعامّة). وشِعرُها وُجْداني أكْثَرُه الغزلُ والوَصْفُ. ويَنْسِبُ الأندلسيون إليها الأبياتَ الحِسانَ:

وَقانــــا لَفحــــةَ الرَمْضــــاءِ وادٍ سَقــاهُ مُضاعَفُ الغَيْثِ العميمُ!

ولكنّ هذه الأبياتَ للمَنازي[2] المَشْرِقيّ الذي عاش قبل حَمْدة بقرنٍ ونَصف قرنٍ. ولعلَّ الذي حَمَلَ الأندلسيّين على حُبِّ هذه الأبياتِ أنّها وَصْفٌ عليه نفحةٌ أندلسيّةٌ!

٣ - مختارات من شعرها:

- لِحَمدةَ بنتِ زِيادٍ مُقطّعتانِ مشهورتان تَجْمَعان إلى النسيب إعجاباً بجمالها:

** أبــــاحَ الدهرُ أسراري بِوادي لــه في الحُسنِ آثــارٌ بَوادي[3].
فمن نَهْرٍ يَطوفُ بكـلِّ رَوْضٍ ، ومن رَوْضٍ يطوفُ بكلِّ وادي[4].
ومِنْ بَيْنِ الظِبــاءِ مَهـاةُ إنسٍ سَبَتْ لُبّي وقد مَلَكتْ فُؤادي[5].

---

(١) هو الأديب أبو القاسم (أبو عبد الله) محمد بن علي الهمذاني الوادي آشي (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ).

(٢) راجع معجم الأدباء (١٠ : ٢٧٤، في الحاشية). ثم انظر الاحاطة (١ : ٣٧٦ س). وفي بغية الوعاة (ص ٢١٣): جودى بن عبد الرحمن بن جودى بن موسى...... أبو الكرم أستاذ في العربية (النحو) والأدب، شاعر مجيد، مات سنة ٦٣٣.

(٣) أحمد بن يوسف المنازي (ت ٤٣٧ هـ) راجع تاريخ الأدب العربي ٣: ١١٨ هو صاحب هذه الأبيات. راجع مناقشة نسبة هذه الأبيات سلباً وإيجاباً في معجم الأدباء ١٠ : ٢٧٦ - ٢٧٧ ونفح الطيب ٤: ٢٨٨ - ٢٨٩. (٤) الوادى: النهر.

(١) بوادي: في بادي (القرية التي ولدت حمدة فيها). بوادي= بَواد (جمع باد: ظاهر).

(٣) المهاة: بقرة الوحش (نوع من الظباء كبيرة العيون).

لهــا لَحْـــظٌ تُرَقِّــدُه لأمرٍ، وذاك الأمرُ يمنَعُــني رُقادي[1].
إذا سَدَلَــتْ ذَوائِبَهــا عليهــا رأيتَ البَدْرَ في أُفُقِ الدَآد[2].
كأنّ الصُبْحَ مات له شقيقٌ، فمن حُزْنٍ تَسَرْبَـــلَ بالسَواد!

** ولّما أبى الواشونَ إلّا فِراقَنا وما لَهُمُ عِندي وعندَكَ من ثار،
وشَنّوا على أسْماعِنا كلَّ غارةٍ، وقلّ حُماتي عند ذاك وأنصاري،
غَزَوْتَهُمُ من مُقْلَتَيْكَ وأدْمُعي ومن نَفَسي بالسَيْفِ والماءِ والنار!

٤ - ** التكملة ٧٤٦ (رقم ٢١٢٠)؛ المغرب ٢: ١٤٥؛ معجم الأدباء ١٠: ٢٧٤ - ٢٧٨؛ تحفة القادم ١٦٢ - ١٦٣؛ المطرب ١١؛ الإحاطة ١: ٤٩٧ - ٤٩٨؛ فوات الوفيات ١: ١٨٨؛ نفح الطيب ٤: ٢٨٧ - ٢٩٠؛ الأعلام للزركلي ٢: ٣٠٥ (٢٧٤).

ابن الفرس (أو المهر) الغرناطيّ

١ - هو أبو القاسمِ عبدُ الرحيم[3] بنُ إبراهيم بْنِ محمّدٍ الخَزْرجيُّ الغَرْناطيُّ المعروفُ بابن الفَرَس أو بالمُهْرِ بنِ الفرس، وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٥ هـ (١١٦٩ - ١١٧٠ م) وأخَذَ العِلمَ عن صِهْرِه أبي محمدٍ عبدِ المُنْعم بنِ عبدِ الرحيمِ بنِ الفرسِ (ت ٥٩٨ هـ) وغيرِه[4]. حَضَرَ ابنُ الفرسِ يوماً في مَجْلِسِ المنصورِ المُوحِّديّ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) فتكلّمَ بكلامٍ يُفْهَمُ منه أنّه يَغُضّ من خِلافةِ المُوحِّدين ويَكْشِفُ عن طُموحه هو إلى الإمامة. ثمّ خافَ عاقبةَ أمرِه فتَخَفّى مُدّةً. فلمّا ماتَ المنصورُ المُوحِّديُّ ظَهَر ابن

---

(١) ترقّده: تنيمه (تجعل لحظها فاتراً ناعساً، وهذا يؤثّر في العاشقين). وهذا الفعل يجعلني ازداد حبًّا لها وسهراً في التفكير فيها.

(٢) سدل وأسدل: أرخى الستر. الدآد (الليالي الثلاث الأخيرة من الشهر) تكون مظلمة جدًّا. رأيت (وجهها) في الدآد (بالنسبة إلى النساء الأخريات).

(٣) في بغية الوعاة (ص ٣٠٥): عبد الرحيم بن عبد الرحيم. وفي الاستقصا (١: ١٩٠): عبد الرحيم بن عبد الرحمن.

(٤) وكذلك تلا (القرآن؟) على ابن عروس (؟) وأخذ النحو عن ابن مسعدة (؟) - راجع بغية الوعاة ٣٠٥.

الفرس ودعا إلى نفسه في قبائل البربر جَنوبَ مدينة مَرّاكش، إذِ ادّعى أنّه المَهْديُّ المُنْتظَر أو أنّه القَحْطاني (الذي ذُكِرَ في الحديث أنّه سَيُبْعَثُ قبل أن تقومَ الساعة). فحاربه الناصرُ الموحّديُّ (٥٩٥ - ٦١١ هـ) ثمّ غَدَرَ به جَماعةٌ وقَتلوه وحَملوا رأسه إلى مَرّاكُشَ، سَنَةَ ٦٠١ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م).

٢ - جاء في «بُغية الوُعاة» (ص ٣٠٥): كان ابنُ الفرس «فقيهاً جليلَ القَدْرِ رفيعَ الذِكْر عارفاً بالنحو واللّغة والأدب، باهرَ الكِتابة رائقَ الشِّعْر، سريعَ البَديهة، تَفَقّهَ ومَهَرَ في العَقْليّات والعلومِ القديمة». وكذلك كان شاعراً مطبوعاً ووَشّاحاً.

٣ - مختارات من شعره:

- مُوشَّحةٌ مشهورةٌ لعبدِ الرحيمِ بن الفَرَسِ الغَرْناطي (المغرب ٢: ١٢٢):

يــــا مَنْ أُغالِبُــــهُ والشوقُ أغلــــبْ
وأرتجي وَصْلَــــــــــه والنجمُ أقربْ،
سَدَدتَ بــابَ الرضــا عنْ كــلِّ مَطْلَــبْ.
زُرْني ولو في المنــــام وجُــــدْ ولو بالسلام
فأقَــــلُّ القليــــلْ يُبقي ذَمــاءَ المُستهـام[1].

* * *

كم ذا أُداري الهوى وكم أُعانيــــــــهِ!
ولو شَرَحْــــتُ القليـــلَ مِنْ معانيــهِ
أمْلَلْـــتُ أسْماعَكُم مِمّـــا أُرانيــهِ.
هَيْهــاتِ، بــاعُ الكــلام مــا إنْ يَفي بِغَرامِ[2].

(١) الذماء: بقيّة الحياة في البدن. المستهام: الذي اضطرب عقله وتحيّر ثمّ هام (سار على غير هدى) على وجهه (من الحبّ).

(٢) الباع: مسافة ما بين أصابع اليد اليمنى وأصابع اليد اليسرى إذا مدّ الإنسان ذراعيه في خطّ مستقيم. باع الكلام (مجال الكلام).

أينَ قــالٌ وقيــلْ عن زَفْرتي وهُيامي[١]؟

* * *

أمّـا هواكُمْ ففي قلـبي مَصونْ
لَيْسَت مُرَجِّمَـةً فيـه الظنونْ.
إنْ لم أصُنْـهُ أنـا فمن يَكونْ*؟
نَزّهْـتُ فيـه مَقامي عن خَوْضِ أهْـلِ المَلام.
أين منّي جميـلْ وعُروةُ بنُ حزامِ[٢]؟

- تخيّـلَ عبدُ الرحيم بن الفَرَس نفسه المَهْدِيَّ صاحبَ الوقتِ (الذي يَجيءُ في آخرِ الزمان ليملأ الدُنيا عَدْلاً) فقال يُخاطبُ أبناءَ عبدِ المؤمن بن عليّ (مؤسسِ دولةِ الموحّدين):

قولوا لأبنـاءِ عبدِ المُؤمنِ بنِ عَلِي: تأهّبوا لوقوع الحـادثِ الجَلَل[٣].
أتاكُمُ خـيرُ قَحطـانٍ وعالِمُهـا وصاحِبُ الوقتِ والغَلّاب للدُوَل[٤].
والنـاسُ طوعُ عَصاهُ وهو قائِدُهُمْ، والأمرُ والنَهْيُ نحو العِلْم والعَمَـل.
فبـادِروا أمرَه، واللهُ ناصِرُه: واللهُ خـاذِلُ أهلِ الزَيْغ والزَلَل.

- وقال (وعلى قوله نفحةٌ دينيّة):

عسى عَطفةٌ من جانب القُدْسِ تَسْمَحُ وبارقـةٌ من جانب اللُطف تُلْمَحُ.
عسى اللهُ يُدنيـني إلى ساحةِ الرضا فأقرعَ أبوابَ الغُيوب فتُفْتَحُ* *.
ومـا زالَ فضلُ اللهِ يغمُرُ ساحتي ويَظْهَرُ لي من حيـثُ ما أتَلَمّحُ.

---

(١) الزفرة: النفس الحارّ (من الحزن...). الهيام (بالضمّ) - راجع الحاشية قبل السابقة.
(٢) جميل بن معمر (بفتح فسكون ففتح) أو جميل بثينة ثمّ عروة بن حزام (بالكسر) من الشعراء العشّاق في العصر الأموي. * لعل: فمن يصون.
(٣) أبناء عبد المؤمن بن عليّ: سلاطين الموحّدين. الجلل: العظيم.
(٤) صاحب الوقت: المتغلّب على أهل زمنه (بحقّه في الخلافة) * * تفتح (حقها النصب).

إلى المـلأُ الأعـلى سَمَوْتُ بهمَّتي كذلك شأنُ الشَّكْلِ للشكلِ يَجْنَـحُ[1].

– ومن معانيه الجميلة في موشّحة له ذَكر فيها الخمر فقال (المغرب ١ : ٢٧٧):

نَفُـــضٌ مِسْكَ الخِتـــامْ عن عَسْجـــديِّ المُـــدامْ!
ورِداءِ* الأصيـــــــــلْ تَطْويـــه كَـفُّ الظـــلام.

٤ – ** المغرب ١ : ٢٧٧، ٢ : ١١١، ١٢٢؛ الحلّة السيراء ٢ : ٢٧٠ – ٢٧٢؛ بغية الوعاة ٣٠٥؛ نفح الطيب ٤ : ٨، راجع ٣: ٢٠٤؛ الاستقصا ١ : ١٩٠ – ١٩١؛ نيل الابتهاج ١٧٧.

أبو جعفر الذهبي

١ – هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عتيقِ بنِ الحسنِ بنِ زيادِ بنِ جُرْجَ الذَهبيُّ البلنسيّ، من أهلِ قُرطبةَ، وكان أحدُ أجدادِه قدِ اشتغلَ بتذهيبِ الكتب فجاءتْ هذه النِسبةُ إلى أُسْرته.

وُلدَ سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) وتلقّىَ العِلمَ على ابنِ مَضاءٍ وأبي عبد الله بن حميدٍ وأبي الطاهرِ بن عَوْفٍ ثم دخل في خِدمةِ السيدِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ أبي حفصِ بنِ عبدِ المؤمن والي غَرناطةَ . وكان صديقاً للفيلسوف ابنِ رُشْدٍ (ت ٥٩٥ هـ) فلمّا ثارَ العامّةُ على ابنِ رشدٍ وأرادَ المنصورُ الموحّدي أن يترضّاهم فنفى ابنَ رُشْدٍ، استترَ أبو جعفرٍ خوفاً من الطلب. ثمّ رَضِيَ المنصور على ابنِ رُشْدٍ وقرّبَ أبا جعفرٍ. ويبدو أنّ أبا جعفرٍ قد قضى مُدّة في مَرّاكُشَ طبيباً في بلاط المنصور (٥٨٠ – ٥٩٥ هـ) وفي بلاط خَلَفِهِ محمّدٍ الناصر. وكانَ مرّةً مَعَ الناصر في الأندلس فتُوُفّيَ، سَنَةَ ٦٠١ هـ (١٢٠٤ – ١٢٠٥ م) وهما راجعانِ إلى مَرّاكُش.

٢ – كان أبو جعفرٍ الذهبيُّ مُتَفَنِّناً في العلوم ومُحيطاً بكثيرٍ من علوم الفلسفة، كما كان طبيباً ماهراً ومشاركاً في عددٍ من علومِ الشريعة. ثمّ إنّه كان شاعراً مُقِلّاً

(١) يجنح: يميل. * لعلها: وذا رداء الأصيل.

مُحْسِناً، ولكنّ الفلسفةَ غلبتْ عليه، وكان يقول: «عالَمُ النقصِ لا تكونُ فيه الكمالاتُ».

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي جعفرٍ الذهبيّ مُقطّعاتٌ منها:

** أيُّها الفاضلُ الذي قد هَداني ... نحوَ مَنْ قد حَمِدتُه بآختياري،
شكرَ اللهُ ما أتيتَ وجازا ... كَ، ولا زِلتَ أيَّ نجمٍ سارٍ[١]،
أيَّ برقٍ أفادَ أيَّ غَمامٍ، ... وصباحٍ أدّى لِضوءِ نهارٍ[٢].
وإذا ما غدا النسيمُ دليلي ... لم يُحِلْني إلّا على الأزهارِ[٣]!

** أنتَ عينُ الزمانِ لا تُنْكِرِ السُّقْـ ... ـمَ، فما ذاك مُنْكَرٌ في العيونِ[٤].

** نُسَرُّ بالأعيادِ، يا وَيْحَنا! ... وكلُّ عيدٍ قد تولّى بعامْ[٥].
والعُمْرُ دُرٌّ في نِظامٍ، وهل ... نفرَحُ أنْ يَنْقُصَ دُرُّ النِظامْ[٦]؟
ما في البرايا عاقلٌ؛ كلُّهم ... يَرْدى ولم يعمَلْ حسابَ الفِطامْ[٧].
والحَمْدُ للهِ على ما قضى، ... فهذه حِكمتُه في الأنامْ.

---

(١) أيّ نجم: نجم عظيم. الساري: السائر في الليل. النجم الساري (الذي ينتقل في السماء فيستدلّ الناس بحركته على الزمان - بخلاف النجم الثابت في رأي العين).

(٢) أي برق (عظيم تبعه رعد شديد) أفاد أيّ غمام (أيّ: مفعول به من «أفاد») جعل الغيم يسقط مطراً (كثيراً).

(٣) أحال الرجل صديقه على الشيء: أقبل، جاء به، دلّه على.

(٤) في هذا البيت كنايات وتوريات متداخلة: (أنت عين الزمان: أنت من الزمان بمكان العين، أنفس شيء فيه - وعين الزمان: من كبار القوم والمشهورين). لا تنكر السقم (فعل طلب وأمر) - كان المخاطب مريضاً، وكان الشاعر يعوده (يزوره في مرضه) - فما السقم في العيون (الطبيعية، أي النعس) منكر (غير مألوف) بل هو مستحبّ.

(٥) ... بعام = بمضيّ عام من عمر الإنسان.

(٦) درّ: لؤلؤ. النظام: الخيط الذي يجمع الدرّ عِقداً.

(٧) يردى (ا) يهلك (بكسر اللام).

** كنتُ في رُكْنٍ من الأر ض على مِقدارِ فَهْمي[1]،
مُفْرداً فيه مُخَلّى فارغاً من كلّ خصمٍ[2].
فدَعَوْا بي ثمّ قالوا: عَلِّمْ في كلّ علم.
عرّضوني للبلايا أتلقّى كلّ سَهْم.
يا لَقَوْمي، أتعبوا في قَصْدِهم روحي وجِسمي.

٤-** الفصون اليانعة ٣٦ - ٤١؛ نفح الطيب ٣: ٢٠٦ - ٢٠٧، ٤١١؛ طبقات الأطبّاء ٢: ٨١؛ المغرب ٢: ٣٢١؛ بغية الوعاة ١٤٤؛ راجع الأعلام للزركلي ١: ١٦٠ (١٦٧).

أبو العبّاس السبتي

١- هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ جعفرٍ الخَزْرجيُّ السَبْتي، وُلِدَ في سَبتة، سَنَةَ ٥٢٥ هـ (١١٣١ م). ونَزَلَ مرّاكُشَ وسَكَنها وفيها تُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٠١ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م).

٢- كان أبو العبّاس السبتيُّ رجلًا صالحاً عالماً من أهلِ التصوّف، وكانت له بَسْطةٌ في اللسان وقُدرةٌ على الكلام قويَّ الحُجّةِ في المناظرة ذا تأثيرٍ في الناس عامّةً وفي عوامِّ الناس خاصّةً. وقد رُوِيَتْ له كراماتٌ هي من باب الأعاجيب. هذه تُقْسَمُ في الحقيقة قسمينِ: قسماً يعودُ إلى ثباتِ نفسِه وقُوةِ تأثيرِه في الناس، ثمّ قسماً هو من باب الروايات التي لا تثبُتُ على مِحَكِّ المنطق والواقع. ولكنّ الرّجل يتمتّعُ بشُهرة وتأثيرٍ كبيرين.

---

(١) على مقدار فهمي (لمفيقي للحياة وأن لا ربح في معاشرة عوامّ الناس).
(٢) مفرد (بعيد عن الناس) مخلّى (من التبعات وتكاليف الحياة الاجتماعية).

٣- مختارات من آثاره:

- إنّما سُمّي هذا اليومُ يومَ عَرَفَةَ[١] لانتشار الرحمة فيه لِمَنْ تعرّفَ إليه[٢] بالطاعات.

- ما آمُرُ الناس إلّا بما ينتفعون به. وإنّي لمّا قرأتُ القُرآنَ وقعدتُ بين يَدَي الشيخِ أبي عبدِ الله الفَخّارِ، تلميذِ القاضي عياضٍ، ونظرتُ في كُتُبِ الأحكام وبلغتُ من السِنّ عِشرينَ سَنَةً، وَجَدتُ قولَه تعالى «إنّ اللهَ يأمُرُ بالعدلِ والإحسان» فتدبَّرْتُ (معنى ذلك) وقلتُ: أنا مطلوبٌ به (بهذا الأمرِ بالعدل والإحسان). فلم أزلْ أبحثُ عنه حتّى وَقَفْتُ على أنّها (أنّ هذه الآية) نَزَلَتْ حينَ آخى النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلّم بينَ المُهاجرين والأنصار، وأنّهم سألوا النَبيَّ صلّى الله عليه وسلّم أنْ يُعلِّمَهم حُكْمَ المؤاخاة فأمرهم بالمُشاطرة[٣]. ففهمت أن العدلَ المأمورَ به في الآيةِ هو المشاطرة...... فعقدتُ مَعَ اللهِ تعالى نيّةً أن لا يأتِيَني شيءٌ إلّا شاطرتُ فيه الفقراء. فعَمِلْتُ عليه عِشرين سَنَةً، فأثمر لي الحُكْمَ بالخاطر فلا أحكُمُ على خاطري بشيءٍ إلّا صَدَقَ. فلمّا أكملتُ أربعين سَنَةً راجعتُ تَدَبُّرَ الآيةِ فوَجَدتُ الشطرَ هو العدلَ. والإحسانُ ما زادَ عليه. فعَقَدتُ مَعَ الله نِيّةً (أن) لا يأتِيَني قليلٌ ولا كثيرٌ إلّا أمسكتُ ثُلُثَه وصرفتُ الثُلُثَيْنِ لله تعالى. فعَمِلْتُ عليه عِشرينَ سنة فأثمَرَ لِيَ الحُكْمَ في الخَلْق[٤] بالوِلاية والعَزْل فأُولّي مَنْ شِئْتُ وأعزِلُ من شِئْتُ........

- أَصْلُ الخيرِ في الدنيا والآخرةِ الإحسانُ، وأصلُ الشَرّ فيهما البُخْلُ.

٤- ** تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العبّاس، تأليف ابن الموقّت، فاس ١٩١٨ م.

---

(١) يوم عرفة (التاسع من ذي الحجّة): يوم الحجّ.

(٢) إليه (إلى الله).

(٣) لمّا هاجر المسلمون الأوّلون من مكّة إلى المدينة، أمر الرسول صلّى الله عليه وسلّم أن يشاطر الأغنياء من أهل المدينة إخوانهم الفقراء من أهل مكّة أموالهم (أن يعطي كلّ غنيّ مدنيّ) أخاه المكّي الفقير نصف ماله.

(٤) في الخلق: في الناس (أصبحت لي سلطة على التأثير في أحوال البشر بإذن الله).

نفح الطيب ٣: ٩٩ - ١٠٠، ٧: ٢٦٦ - ٢٧٩؛ نيل الابتهاج ٥٩ - ٦٣؛ النبوغ المغربي ١٥٠ - ١٥١؛ الأعلام للزركلي (١: ١٠٧) مع الإشارة إلى أنّ ترجمة السبتيّ هذا تقع في كتاب «الإعلام بمن حلّ مرّاكش وأغمات من الأعلام» تبلغ مائة صفحة (١: ٢٣٩ - ٣٣٨).

الحكيم الجلياني

١ - هو أبو الفضلِ عبدُ المُنعِمِ - وقيل: محمّدُ عبد المنعم (نفح الطيب ٢: ٦٣٥، راجع ٦٣٦، السطر الثالث من أسفل) - بنُ عُمَرَ بنِ عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ خَضِرِ بنِ مالكِ بنِ حسّانِ الغَسّانيُّ المالقي الجِلْيانيّ الوادي آشيّ الأندلسيّ، وُلِدَ في سابعِ المُحرَّمِ من سَنَةِ ٥٣١ (٥/١٠/١١٣٦ م) في قريةِ جِليانةَ من أعمالِ وادي آشٍ (قُرْبَ غَرناطةَ).

جاء الحكيمُ الجِلْيانيُّ إلى المغرب ثمّ رَحَلَ إلى المَشْرقِ وأقام في دِمَشْقَ مدّةً طويلةً واتّصلَ بصلاحِ الدين الأيوبيّ ومَدَحه بعددٍ من القصائد؛ مدحه سَنَةَ ٥٨٦ هـ بقصيدةٍ وأرسلها إليه فوصلت في صَفَرَ من سَنَةِ ٥٨٧ (آذار - مارس ١١٩١ م) وهو مُحاصِرٌ الفِرنجة في عكّا. ويبدو أنّ الجِلْيانيَّ قد تطوّفَ كثيراً في الشام وصار طبيب المارستان (المستشفى) السلطاني. ثمّ دَخَلَ بغدادَ، سَنَةَ ٦٠١ هـ. وكانت وفاتُه في دِمَشْقَ سَنَةَ ٦٠٣ هـ في الأغلب (١٢٠٦ - ١٢٠٧ م).

٢ - كان الحكيمُ الجلياني بارعاً في الطبّ وفي التكحيل (طبّ العيون) خاصّةً، مُلمّاً بالرياضيّات والفلسفة، وكان يُعاني صِناعةَ الكيمياء. وكذلك كان له كلامٌ في التصوّف، وقد عُرِفَ بلقب «حكيمِ الزمان». ثمّ إنّه كان أديباً ناثراً شاعراً. ولم يكن شعرُهُ كثيرَ الرَوْنق، ولكنّه كان يجيدُ المُقطّعات وخصوصاً ما يتناول منها الأغراض الحِكْميّة. وكان يطيلُ قصائدَ المديح غير أن مدائحَه عاديّة.

وللحكيم الجِلياني عددٌ من الكتب منها عَشْرة كتب هي (طبقات الأطبّاء ١٦١٢): «ديوان الحِكَم وميدان الكَلِم» يشتمل على الإشارة إلى كلّ غامض

المدرك من العلم وإلى كلّ صادق المنسَك من العمل وإلى كلّ واضح المسلَك من الفضيلة(وهـو نظم)- ديوان المُشَوِّقات إلى الملأ الأعلى (نظم)- ديوان أدب السلوك، وهو كلام مُطلَق يشتمل على مشارع كلمات الحكمة المُبْصِرات- نوادرُ الوحي، وهو يشتمل على كلام حكمة مطلق في غريب معانٍ من القرآن العظيم ومن حديث الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم- تحرير النظر، وهو يشتمل على كلمات حِكْمةٍ مفرداتٍ في البسائط والمركّبات والقُوى والحركات- سرّ البلاغة وصنائع البديع في فصل الخطاب- ديوان المبشّرات والقدسيّات (وهو نظم وتدبيج وكلام مطلق يشتمل على وصف الحروب والفتوح الجارية على يد صلاح الدين...)[1]- ديوان الغزل والتشبيب والموشّحات والدوبيت وما يتّصل بها منظوماً- ديوان تشبيهات وألغاز ورموز وأوصاف وزجريات (!) وأغراض شتّى منظوماً- ديوان ترسُّل ومخاطبات في معانٍ كثيرة وأصناف من الخطب والصدور والأدعية. ثمّ له: منادح الممادح- وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر صلاح الدين (ألّفه سنة ٥٦٩ هـ)- تعاليق في الطبّ- صفات أدوية مركّبة- جامع أنماط السائل[2] في العَروض والخطب والرسائل- نهج الوضاعة لأهل الخلاعة.

٣- مختارات من شعره:

- قال الحكيمُ الجلْيانيُّ في أمر الدنيا والناس:

ألا إنّما الدُّنيا بحارٌ تلاطمتْ؛ فما أكثرَ الغرقى على الجَنَباتِ.
وأكثرُ من لاقيتُ يُغرِقُ إلْفَه، وقلّ فتًى يُنْجي من الغَمَرات[3].

- وقال في مِثْلِ ذلك:

فأبخسُ شيءٍ حِكمةٌ عند جاهلٍ؛ وأهونُ شخصٍ فاضلٌ عند ظالمِ .

---

(١) لعلّه كتاب «المدبّجات» (في مدائح صلاح الدين).

(٢) كذا في نفح الطيب (٢: ٦١٤). لعلّها: المسائل.

(٣) الإلف (بكسر الهمزة): الأليف، العشير، الرفيق. الغمرة: معظم الماء من البحر.- كلّ إنسان يحاول أن يهلك الآخرين، ويندر أن يحاول إنسان إنقاذ غيره من مصائبه.

فلو زُفّتِ الحسناءُ للذئبِ لم يكن يُرى قُربَها إلّا لأكلِ المعاصم[1]!

- وله قصيدة طويلة يمدَحُ بها صلاحَ الدين منها:

فأنتَ الذي أيقَظْتَ حِزبَ مُحمّدٍ جِهاداً وهم في غفلةِ المُتناوِمِ.
فحاربتَ للإيمانِ لا لضغائنٍ، ورابطتَ للرِضْوان لا للمغانِمِ[2].
فدارُكَ، والأبطالُ ثارتْ حِيالَها، مَقرُّ سرورٍ في مَقرِّ مآتم[3].
فهجّرتَ حتّى قيلَ ليس بقائلٍ، وبَيَّتَّ حتّى قيل ليس بنائم[4]؛
وأرْجَفْتَ روما إذ خَرَقْتَ فرنجةً فكانوا غُثاء في سُيولِ الهزائم[5].
أفاتحَ بيتِ القُدْسِ، سيفُكَ مِفْتَحٌ لقُفْلِ الهُدى مِغلاقُ باب المآثم[6]
فأطْلَقْتَ تُرْكاً في ظهورِ سوابحٍ، وأغربتَ شِرْكاً في بُطون القشاعم[7]؛
غداةَ قَدَحْتَ البِيض في آلِ أصْفرٍ فلم يَبْقَ زَنْدٌ منهُمُ في معاصم[8].

---

(١) - لو زوّجنا الذئب امرأة حسناء لما وجد فيها فائدة إلّا أن يأكل منها.

(٣) رابط: أقام على حدود البلاد الإسلامية مدافعاً عنها. الرضوان: رضا الله.

(٤) دارك: منزلك (البلاد التي تحكمها). حيالها: إزاءها، بجانبها (حولها، فيها). مقرّ سرور (لقومك) في قلب مقرّ للمآتم (للإفرنج الصليبيّين الذين كانوا يحاربون في فلسطين).

(٥) هجّر: سار (عمل، حارب) في الهجير (وقت الحرّ، ظهراً). قائل: من قال يقيل (نام بعد الظهر، ارتاح). بيّت القائد جيش أعدائه (أعدّ خطّة في الليل للهجوم في الصباح).- إنّه لا يرتاح ليلًا ولا نهاراً. بيّت أيضاً: حارب في الليل.

(٦) خرقت فرنجة: مزّقت (هزمت) جموع الفرنجة فأرجفت (أخفت) روما (البابويّة) لأنّ انهزام الإفرنج الصليبيّين انهزامٌ لها وخطرٌ عليها. الغثاء: الزبد والأوساخ التي تطفو على سطح السيول.

(٧) مفتح: مفتاح. تبدو كلمة «المآثم» هنا قريبة من كلمة «مآتم»، وهذا في الأصل عيب في القافية. لعلها: المآثم (بثاء بثلاث نقط).

(٨) - الترك (الأتراك!) جنودك كانوا كثيرين على ظهور السوابح (الخيل). وأغربت شركاً في بطون القشاعم (النسور): قتلت أعداءك المشركين بالله وجعلتهم طعاماً للنسور.

(٩) قدح: طعن. لجأ الشاعر هنا إلى استعارة: جعل السيف حديدة بمقام الزناد (الذي تقدح به النار من حجر الصوّان). البيض: السيوف. آل أصفر: الروم (الإفرنج عموماً). لم يبق زند الخ: قطعت أيديهم (قتلتهم).

وإذْ دَرَجوا كالنمل أعْجزَ عَدُّهُ	إلى تـلٍّ عكّا كالدُّبا المتراكمِ[1] .
كـأنّ لهم في تـلّ عكّا مَصادةً	يُحاشُ لها أسرابُ وحشٍ سوائمِ[2] :
فسِرْبٌ كسيرٌ مُوبَــقٌ في حفائرٍ،	وسِربٌ حسير مُرهَقٌ في مَقاحمِ[3] .
وما زلتُ أجْلو من حُلاه عرائساً	يَظَـلُّ بها أهلُ النُهى في ولائمِ[4] :
معانٍ كبَهْرِ السحرِ في عِقدِ ناظرٍ،	ولفظٌ كشَذْرِ التِبْرِ في عقدِ ناظمِ[5] .
ستُنْسى بذِكراه أقاويلُ مَنْ مضى	ويَنْبَثُّ نوراً شائعاً في الأقالمِ.

- وله في النسيب:

أبـاحَ لـه نَجْواهُ بعـضُ شقائِـه	فبـاح بما أخفاه من بُرَحائِهِ[6]:
متى لَمَحَتْ عينُ العليلِ طبيبَه	فـلا بدّ أن يُومي إليه بدائه[7].
فكمْ في الهوى من مُكْتَسٍ بُرْدَ وجْدِه	ومُلْتَحِـفٍ من دائـهِ بردائـه[8].
سباه حبيبٌ غاب في فَيْضِ حُسنهِ	فأعْشى عيونـاً أُولِعَت ببهائه[9].
وليس لـه ثانٍ يُلاذ بـه، فمَنْ	حواه هواه لم يزل في حوائـه[10]!

---

(١) درج: مشى. الدبا: الجراد الصغير.

(٢) مصادة - يقصد الشاعر «مصادا» (بالفتح: مكان الصيد) أو مصيدا أو مصيدة (بالفتح فيها: أداة يُصاد بها أو شرك). حاش الناس الصيد: جاءوا من حواليه ليدفعوه إلى الحبالة (بالضم) أو الشرك. السوائم: الأنعام (الحيوانات الأليفة) المهملة التي لا راعي لها.

(٣) السرب: الجماعة من البهائم. كسير: مكسّر الأعضاء. موبق من وبق: هلك. الحفيرة: الحفرة. حسير: ضعيف النظر والحيلة. مرهق: مدرك، محاصر. المقحم في القاموس بضمّ الميم وفتح الحاء: الضعيف. والشاعر يقصد: المأزق الذي لا مخرج منه.

(٤) و (٥) بيتان يفتخر فيهما الشاعر بشعره في المديح. النهى: العقل. البهر في القاموس الإضاءة، النور. وهنا: الجمال القدرة التي تدعو إلى العجب). في عقد ناظم.... التبر: الذهب. الشذر: قطع صغيرة من الذهب توضع بين اللؤلؤة واللؤلؤة في العقد.

(٦) باح (سمح له) بعض شقائه (ألمه من المرض، أو الحب) نجواه (سرّه): ألمه جعله يبوح بما كان يحرص على كتمانه. البرحاء: الأذى الشديد (من المرض، الحبّ).

(٧) يومي = يومىء: يشير.

(٨) البرد: ثوب من حرير. مكتسي: لابس. ملتحف: مغطّى. - بعض الناس يعلن حبّه للناس، وبعضهم يكتمه عنهم.

(٩) سباه يسبيه: أسره. غاب في فيض حسنه:(كثير الجمال). أعشى النور البصر: أتعبه ومنعه الرؤية.

(١٠) هذا المحبوب ليس له شبيه حتّى يميل المحبّ إلى ذلك الشبيه، فهو أبداً أسير حبّ محبوبه الأوّل.

٤-★★ المقتضب من تحفة القادم ٩٠؛ الغصون اليانعة ١٠٤ - ١٠٨؛ التكملة، رقم ١٨١٥؛ الذيل والتكملة ٥: ٥٧ - ٥٨؛ طبقات الأطبّاء ٢: ١٥٧ - ١٦١؛ فوات الوفيات ٢: ٢١ - ٢٢؛ صلة الصلة ١٥ - ١٦؛ نفح الطيب ٢: ٦١٤، ٦٣٥ - ٦٣٧؛ نيكل ٣٢٦؛ مختارات نيكل ١٩١ - ١٩٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣١٧ (١٦٧).

أبو ذرّ الخشني

١- هو أبو ذرٍّ مُصْعَبُ بنُ أبي بَكرِ محمّدِ (ت ٥٤٤ هـ) بن مسعودِ الخُشَنيّ المعروفُ كأبيه باسمِ ابنِ أبي الرُكَب، من أهلِ جيّانَ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٣٤ هـ (١١٣٩ - ١١٤٠ م) رَوَى عن ابن قوقل وابنِ بَشكُوال وعبدِ الحقّ الإشبيليّ ثمّ تصدّر للقِراءة في بَلَده وفي غيرها. وقد تولّى الخطابة بإشبيلية ثم القضاء في جيّانَ في أيامِ المنصورِ المُوحّدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). ثمّ إنّه انتقل إلى المَغْرب وسكن فاسَ وتُوفّي فيها سَنَةَ ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م).

٢- كان أبو ذرٍّ الخُشَنيُّ مُتقدّماً في إقراء القُرآن الكريم ومن علماء الحديث والفقه، بارعاً في معرفةِ السِيرة (تاريخ الرسول صلّى الله عليه وسلّم) وفي معرفة أخبارِ العرب وأيّامها ولُغاتها وأشعارها، ونحويًّا ناقداً للشعر، كما كان له نظمٌ. وكذلك كان مُصَنِّفاً، له من الكتب: شرح السيرة النبويّة (الإملاء على سيرة ابن إسحاق)- شرحُ الإيضاح - شرح الجُمَل.

٣- مختارات من آثاره:

- من مقدمة شرح السيرة النبوية لأبي ذرٍّ الخُشَني:

.... الحمدُ لله باعِثِ الرُسُلِ وناهجِ السُبُل[1]، الذي هدانا للإسلامِ وشرّفنا بمِلّةِ مُحمدٍ عليه أفضلُ الصلاة والسلام. تَخَيَّرَهُ مِنْ أكْرَمِ نَسَبٍ وجعله سَيّدَ العَرَبِ

---

(١) نهج (وضّح) السبل (الطرق: مناهج الحياة).

والعَجَم. ثم بَعَثه بآياتِه الظاهرةِ وأيَّدَهُ بمعجزاتِه الباهرة[1]، وأمَرَه بجهادِ مَنْ صدَّ عن سَبيلهِ ولم يُجِبْ داعِيَ اللهِ ورسولِه[2]....

وبعدُ، فهذا إملاءٌ أمْلَيْتُه من حِفظي بلَفْظي على كتابِ سِيرةِ رسولِ الله صَلّى اللهُ علَيْهِ وسَلَّم، التي تَقدَّم محمدُ بنُ إسحاق[3] إلى جَمْعها وتلخيصِها، أوان سُمِعَ هذا الكتابُ مِنّي وقُيِّدتْ رِواياتُه بطُرُقِها[4] عني. قَصَدتُ فيه شَرْحَ ما آسْتَبْهَمَ من غَريبِه[5] ومَعانيه وإيضاح ما الْتَبَسَ تَقْييدُه على حامِلِه وراوِيه، مَعَ اختصارٍ لا يُخِلّ وإيجازٍ يَتِمّ به البَيانُ ويَستقلّ، لم يُقصَد فيه قَصْدَ التأليفِ فتُمَدَّ أطْنابه[6]، ولا ينحو نحو التصنيف فتُمَهّدَ فصولُه وأبوابه[7]. وإنّما هي عُجالةُ الخاطر وغُنْية الناظر[8]. ثم عُرِضَ عليَّ هذا الإملاءُ بعدَ كمالِه فتَصَفَّحْتُه، ورُغِبَ في حَمْلِه عنّي، فبعدَ لأْيٍ ما أذِنْتُ بذلك وأبَحْتُه[9]....

٤- شرح السيرة النبوية (بولس بورله) القاهرة (ويمر) ١٩٢٩ م.

** التكملة ١٣٨٥؛ المغرب ٢: ٥٥؛ زاد المسافر ١٤٧ - ١٤٨؛ بغية الوعاة ٣٩٢؛ شذرات الذهب ٥: ١٤؛ نفح الطيب، راجع ٤: ٩٠، ١٦٢؛ الأعلام للزركلي ٨: ١٥١ (٧: ٢٤٩)؛ معجم المؤلفين ١٢: ٢٩٢؛ سركيس ٣١١.

---

(١) الآية: العلامة (الدالّة على عظمة الله). أيّده: ساعده وسنده وجعله قويًّا. المعجزة: العمل الخارق للعادة. الباهر: المدهش، المحيّر.

(٢) صدّ: ردّ، منع. لم يجب... (لم يؤمن).

(٣) محمّد بن اسحاق المدني (ت ببغداد ١٥١ هـ) مؤلّف «سيرة رسول الله».

(٤) أوان: زمان (في وقت سماع هذه السيرة مني). بطرقها (باختلاف سلاسل رواتها).

(٥) استبهم: غمض. غريبه (غريب ألفاظه: الألفاظ القليلة التداول).

(٦) الأطناب (جمع طنب بضمّ فضمّ): حبال تشدّ بها الخيمة من جوانبها المختلفة إلى أوتاد مغروسة في الأرض حولها لتثبت جيّداً في مكانها.

(٧) تمهّد: تسوّى (توسّع).

(٨) ... شيء وضع على عجل فيه (غنية: كفاية) للناظر (القارىء).

(٩) اللأي: الشدّة والمشقّة (بعد التمنّع).

أبو عمران المارتلّيّ

١ - هو أبو عِمرانَ موسى(*) بنُ عِمرانَ المارتلّيُّ، نسبةٌ إلى مارتلّة أو ميرتلّة وهي بلدةٌ فيها حُصنٌ على نهرِ آنةَ، في الجَنوب الغربيّ من الأندلس (في البُرتغال اليومَ)، وُلدَ سَنَةَ ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م).

سَكَنَ أبو عِمرانَ المارتلّي إشبيليةَ وانصرف فيها إلى الزهد وخِدمةِ الناس. وكان يعمَلُ الخُوصَ (السِلال والقُفَف إلخ) ويَبيعُه حتّى يأكلَ من عمل يدِهِ حلالاً ويتصدّقُ على المحتاجين. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م) في إشبيليةَ.

- كان أبو عِمرانَ المارتلّيّ فقيهاً زاهداً، وكان له نثرٌ ونظمٌ يدوران على الزهد والحكم.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي عِمرانَ المارتلّيّ فِقَراتٌ من الحِكمة منها:

كلّ ما يَفنى ما له مَعنى - من خَفَّ لِسانُه وقَدَمُه كَثُرَ نَدَمُه - التغافلُ عن الجواب من فِعل ذوي الألباب - من أعطاكَ رِفْده[1] فقد مَنَحَك وُدَّه - مَلَكَ فؤادَك من أفادَك.

- وقال في عِتاب نفسِهِ:

إلى كَمْ أقولُ ولا أفعـــلُ، وكم ذا أحومُ ولا أنْزِلُ[2].
وأزْجُرُ عَيْـــني فـــلا تَرْعوي، وأنصــحُ نفسي فـلا تقْبَـلُ[3].

---

* أبو عمران موسى بن حسين بن موسى... المارتولي، الميرتولي، المارتلي.
(١) الرفد: العطاء.
(٢) حام حول الشيء: دار (أحوم ولا أنزل: أنوي ولا أنفّذ).
(٣) أزجر: أمنع، أنهى. ترعوي: ترجع عن الغيّ والجهل والذنب.

وكم ذا تُعَلِّلُ لي- وَيْحَها - بعلَّ وسوفَ؛ وكم تمطُلُ[1]!
وكم ذا أُؤمِّلُ طولَ البقاء وأغفُلُ، والموتُ لا يغفُلُ.
وفي كلِّ يومٍ يُنادي بنا مُنادي الرحيلِ: ألا فارْحَلوا.
أمِنْ بعدِ سبعينَ أرجو البقاءَ وسبعٍ أتتْ بعدَها تعجَلُ؟
كأنْ بي وشيكاً إلى مَصْرعي يُساق بنَعْشي ولا أُمْهَلُ[2].
فيا ليتَ شِعريَ بعدَ السؤالِ وطولِ المُقامِ لِما أُنقَلُ[3]؟

٤-** المغرب ١: ٤٠٦ - ٤٠٧؛ التكملة ٦٨٧؛ الغصون اليانعة ١٣٥ - ١٣٧؛ تحفة القادم ٩٢؛ نفح الطيب ٣: ٢٩٦ - ٢٩٧؛ نيكل ٣٢٥؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢٧١ (٣٢٢)- راجع الحاشية.

السيّد أبو الربيع الموحّديّ

١- هو الأميرُ أبو الربيعِ سُليمانُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المؤمن بنِ عليٍّ الكوميُّ المُوحِّديُّ، نشأ في البَلاطِ المُوحِّدي (في مدينةِ مَرّاكُشَ) ولكنْ على شيءٍ من الجَفوة، لِما كان بينَ أبيهِ وعمِّهِ يعقوبَ المنصورِ من المنافسةِ الخَفِيَّةِ على المُلك.

تَتَلمذَ أبو الربيع سليمانُ على أبي بكر بنِ زُهْرٍ (ت ٥٩٥) حينما كان ابنُ زُهْرٍ في مَرّاكُشَ. ولمّا تولّى يعقوبُ المنصورُ المُلْكَ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). ولّى أبا الربيعِ على بجايةَ، ولكنَّ عليَّ بنَ يحيى بن غانيةَ آستولى على بجاية، في صَفَرَ من سَنَةِ ٥٨١ (ربيع

---

(١) تعلل: تطلب لي العلل والأعذار لتسويف التوبة أو العمل الصالح: تأخيرها) علّ= لعلّ (رجاء المستقبل). سوف (حرف استقبال)- تقول لي نفسي: لعلّي أتوب، سوف أتوب. تمطل: لا تفي بقولها.
(٢) - ربما كان مصرعي (مقتلي، موتي) وشيكاً (قريباً).
(٣) فيا ليت شعري (لا أدري، ليتني أعلم) بعد السؤال (سؤال منكر ونكير لي في أوّل نزولي في قبري) وطول المقام (في القبر انتظاراً ليوم القيامة) لما (إلى أي مكان) أنقل (إلى جهنّم أو إلى الجنّة).

١١٨٥ م) فنَقَلَ المنصورُ ابنَ أخيه أبا الربيعِ إلى ولاية سِجِلْماسةَ. وكان أبو الربيعِ قدِ آتّخذ كاتباً له هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ ربّهِ المالقيُّ.

وكانت وفاةُ أبي الربيعِ سليمانَ الموحّدي سَنَةَ ٦٠٤ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م).

٢ - السيّدُ أبو الربيعِ المُوحّديُّ أديبٌ ناثرٌ شاعرٌ، وديوانُه قيل إنّه أقدمُ ديوانِ شعرٍ لشاعرٍ مَغْربيّ وَصَلَ إلينا. وشِعْرُه مُتفاوتٌ، قيل في سَبَبِ ذلك أنّ كاتبَه ابنَ عبدِ ربّهِ المالَقيَّ كان يَنْظِمُ أشياءَ من الشعر على لِسانه. وفنونُ شعره المديحُ والرثاء والغَزَلُ والزهد والألغاز. وله مُصَنّفٌ هو «مختصر كتابِ الأغاني».

٣ - مختارات من آثاره:

- من الغزل المشهورِ لأبي الربيعِ سليمانَ الموحّدي:

أقولُ لِركْبٍ أدْلجوا بِسُحَيْرةٍ: ... قِفوا ساعةً حتّى أزورَ ركابَها[1]
وأمْلأَ عَيْني من محاسنِ وَجْهِها ... وأشكو إليها أنْ أطالتْ عِتابَها.
فإنْ هِيَ جادتْ بالوِصال وأنْعَمَتْ، ... وإلّا فحَسْبي أنْ رأيتُ قِبابَها[2].

- وَفَدَ على مَرّاكُشَ وفدٌ من الشام فعَيّنَ يعقوبُ المنصورُ لهم موعداً في غَداةِ اليومِ التالي. ويبدو أنّ أبا الربيع كان ينتظرُ موعداً له مِنْ مُدّةٍ، فكَتَبَ إلى المنصورِ:

يا كَعبةَ الجُودِ التي حَجّتْ لها ... عَرَبُ الشآمِ وغُزُّها والدَّيْلَمُ[3]،
طوبى لِمَنْ أمسى يَلوذُ بها غداً ... ويَطوفُ بالبَيْتِ العتيقِ ويُحْرِمُ[4].
ومِنَ العجائبِ أن يفوزَ بنَظْرةٍ ... مَنْ بالشآم، ومَنْ بمكّةَ يُحْرَمُ!

- وقال يمدحُ المنصورَ ويُشيرُ إلى هَرَبِ العَدُوِّ منه:

---

(١) الرَّكْب: السَّفْر (بفتح فسكون) الجماعة يسافرون معاً. أدلجوا: ساروا ليلاً. سحيرة: قبيل الفجر
(٢) القبّة: الخيمة الكبيرة من جلد (المسكن).
(٣) الغزّ: قبائل من الترك. الديلم: جماعة من الفرس.
(٤) طوبى: الحسنى والخير. يلوذ: يلجأ. البيت العتيق: الكعبة. أحرم: استعدّ للقيام بمناسك الحجّ.

هبّتْ بِنَصْرِكُمُ الرياحُ الأربعُ، وجَرَتْ بسَعْدِكُمُ النجوم الطُّلَّـعُ.
وأَمَـدَّكَ الرحمنُ بالفَتْـح الـذي مَـلأَ البسيطَـة نورُهُ المُتَشَعْشِعُ.
للهِ جيشُكَ والصوارمُ تُنْتَضى والخيـلُ تجري والأسِنَّـةُ تلمَعُ[١].
إن ظَنَّ أنَّ فِرارَه مُنْـجٍ له، فَبِجَهْلِـه قد ظنّ ما لا ينفع.
أين المَفَرُّ؟ ولا فِرارَ لهـاربٍ، والأرضُ تُنْشَرُ في يَدَيْهِ وتُجْمَعُ[٢].
إن قِيلَ: مَنْ خيرُ الخلائقِ كُلِّها؟ فإلَيْـكَ، يا يعقوبُ، تومي الإصبَعُ[٣].
إنْ كنـتَ تَتْلو السابقـينَ فإنّما أنـتَ المُقـدَّمُ والخلائـقُ تُبَّـعُ!

- لمّا كان أبو الربيع والياً على سِجِلْماسةَ عَلِمَ أنَّ مَلِكَ السودان (في غانَةَ) يُضيّقُ على التُجارِ المَغاربةِ في بلادِه فكَتَبَ إليه من رِسالةٍ:

نحن نتجاوَرُ بالإحسانِ وإنْ تخالَفْنا في الأديان. ونتّفقُ على السِيرة المَرْضِيّة ونتألّفُ على الرِفق بالرعيّة. ومَعلومٌ أنّ العدلَ من لوازمِ الملوكِ في حكم السياسة الفاضلة، و(أنّ) الجَوْر[٤] لا تعانيه إلّا النفوسُ الشِرّيرةُ الجاهلة. وقد بَلَغَنا احتباسُ مساكينِ التجّارِ ومَنْعُهم مِنَ التصرّف فيما هم بِصَدَدِهِ[٥]. وتَردّدُ الجَلّابةِ[٦] إلى البلاد مُفيدٌ لسُكّانها ومُعين على التَمكُّن مِنَ استيطانِها. ولو شِئْنا لاحْتَبَسْنا مَنْ في جهاتِنا من أهل تلك الناحيةِ، لكنّا لا نَسْتَصْوِبُ فِعله. ولا يَنْبغي أن نَنْهى عن خُلُقٍ ونأتِيَ مِثْلَه[٧]. والسلام.

---

(١) الصارم: السيف. انتضى المحارب السيف: أخرجه من الغمد وشهره (رفعه). السنان: الحديدة في رأس الرمح.
(٢) تنشر في يديه وتجمع. (حكمه يحيط بالأرض كلها - كأن جميع البشر في قبضة كفه).
(٣) أومأ يومىء: أشار، دلّ على (شيء).
(٤) الجور: الظلم.
(٥) فيما هم بصدده: فيما يقومون به (يتاجرون).
(٦) الجلّاب: التاجر الذي ينقل البضائع من بلد إلى آخر.
(٧) من قول أبي العتاهية.
لا تنـه عن خلـق وتـأتي مثلـه؛ عـار عليـك إذا فعلـت عظـيم.

٤ - ديوان أبي الربيع سليمان الموحّد[1] (تحقيق محمّد القبّاج ومحمّد بن تاويت التطواني ومحمّد بن تاويت الطنجي وسعيد أعراب)، الرباط (جامعة محمّد الخامس - كليّة الآداب والعلوم الإنسانية).

- الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحّدي: عصره وحياته وشعره، تأليف عباس الجراري، الدار البيضاء (دار الثقافة) ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م.

** المغرب ٢: ٣١٦ - ٣١٧؛ تحفة القادم ١٠٥ - ١٠٦؛ الغصون اليانعة ١٣١ - ١٣٤؛ نفح الطيب ٢: ٩٨، ٣: ١٠٥ - ١٠٩؛ النبوغ المغربي ١٦٨، ٣٥٠، ٧١٨ - ٧٢١، ٨٥٨، ٩١١؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٩٠. (١٢٨).

أبو الحجّاج البلويّ

١ - هو أبو الحجّاجِ يوسفُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يحيى بنِ غالبِ البَلَويُّ[2] المالقيّ الأندلسيُّ، ويُقالُ له ابنُ الشيخِ، وُلِدَ في مالَقَةَ سَنَةَ ٥٢٦ (١١٣٢ م) وقيل سنة ٥٢٩.

تَلَقّى أبو الحجّاجِ البَلَويُّ العلمَ على نفرٍ كثيرين منهم (في مُدُنٍ مختلفةٍ): أبو محمّدٍ عبدُ الوهّاب (ألف با ٢: ٣٩٢) والأستاذُ الفقيهُ أبو عبد الله بن سورةَ (ألف با ١: ١٣) وأبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ يوسفَ بنُ قرقولٍ (٥٠٥ - ٥٦٩ هـ) وأبو زيدٍ السُهيلي (٥٠٨ - ٥٨١ هـ) وأبو محمدٍ عبدُ الحقّ بنُ الخرّاطِ الإشبيليُّ (٥١٠ - ٥٨١ هـ). ثمّ إنّه تولّى الخَطابةَ في بلدهِ مالَقَةَ وتصدَّرَ أيضاً للتدريس، كما كان بَنّاءً يعمَلُ في الإشراف على البناء وعلى البناء بيدِه أيضاً.

وفي سَنَةِ ٥٦١ (١١٦٦ م) رَحَلَ أبو الحجّاجِ البلويُّ فمَرَّ على الإسكندريةِ فسَمِعَ من المُحَدِّثِ الحافظِ أبي طاهرٍ أحمدَ بنِ محمّدٍ السلفيّ (ت ٥٧٦ هـ) وتولّى الخَطابةَ مدّةً في الإسكندرية. ثمّ حَجَّ وعاد إلى الإسكندرية. ويبدو أنّه زارَ الشامَ في هذه الأثناء وحاربَ الإفرنجَ الصليبيّين في جيشِ صلاحِ الدين.

---

(١) لم أستطع الاطّلاع على الديوان. والعنوان «الموحّد» من النشرة التي وزّعها الناشر.

(٢) في العرب قبيلة بَلِيّ (مثل غنيّ)، والنسبة إليها: بلويّ.

وعاد أبو الحجّاج البلويُّ إلى الأندلس وقام بكثيرٍ من أعمال الخير وبالمُرابطة: شاركَ في بناء عددٍ كبيرٍ من المساجدِ وفي حَفْر عددٍ من الآبار (بمالِهِ وبعِلمهِ وبعمل يده)، كما غزا مَعَ المنصور الموحّدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) إلى جانب ما كان يقومُ به من التدريس في مالَقةَ.

وكان البلويّ هذا مِزواجاً ولكن لم يُرْزَقْ من نسائه أولاداً ولا كان سعيداً في حياته مَعَهنّ. فتزوّج أخيراً فتاةً صغيرةً سوداءَ ليسعَدَ مَعَها. وقد رُزقَ منها على كِبَرٍ غُلاماً سمّاه عبدَ الرحيم.

وكانتْ وفاةُ البلويّ في مالقةَ سَنَةَ ٦٠٤ (١٢٠٧ م).

٢ - كان أبو الحجّاج البلويُّ مُشاركاً في عددٍ كبيرٍ من فنونِ المعرفة: في الفقه والأصول واللغة والنحو والأدب والحِساب والمِساحة (الهندسة) ومائلًا إلى التصوّف. ولكنْ غلبَ عليه الأدبُ. وكذلك كان شاعراً مُكثِراً، ولكنَّ شِعْرَه نَظْمٌ عاديٌّ كثيرُ التكلّفِ قليلُ الرَوْنق. أمّا نثرُه فمَتينٌ وإنْ كانَ كثيرَ التكلّفِ جدًّا.

وكان للبَلَويّ كتبٌ كثيرةٌ منها فِهْرسته (بأسماء شُيوخه: أساتذته) (ألف با ١ : ١٦٦) وكتابُ «تَكْميل الأبيات وتتميم الحكايات» مِمّا اختصرته للألبّا في كتاب ألف با (ألف با ١ : ١٧)، ثمّ كتاب «ألف با» وهو مجموعٌ مُوسِعِيٌّ ضَمّنه البلويُّ وُجوهاً من المعرفة استفادها من القُرآنِ والحديثِ والشِعر والتاريخ واللغة والصَرْف والنَحْو، وسمّاه «ألف با» لأنّه بناه على عددٍ من الألفاظ التي تبدأ بالألفِ وعلى عدد يسيرٍ تبدأ ألفاظه بالباء وعلى غيرها.

هذا الكتابُ يتألّفُ من مقدّمةٍ (١ : ٢ - ٧٣) ومن فَصْلٍ طويلٍ يزيدُ على ألفِ صَفْحةٍ، وهُوَ في الحقيقة قاموسٌ طريفٌ (وإن كان قليلَ الفائدة) لعددٍ من الألفاظ الثُلاثية التي يُمْكِنُ أن يتركّبَ من حروفِها ألفاظٌ كثيرةٌ. يتناولُ البلويُّ الكَلِمَةَ مِنْ مِثْل «باب» أو «أبّ» ويُقَلّبها في صُوَرِها المُختلفة (من حيثُ التصحيفُ): أب، آب، أتّ، أثّ، باب، تاب، ثاب، بات، الخ. وربّما استطردَ إلى كَلِماتٍ لا صِلةَ لها بالألف والباء إلاّ مَعَ التصحيف، نحو «زيد» (١ : ٩٩) فإنّه يقال فيها: زيد، زند،

زبد، ندر، دنر، دثر، بدر، درن، نرد، الخ.

وفي أثناء هذه الأحاجي اللفظية يستطرد إلى أمورٍ كثيرةٍ: يخرُجُ من لُغةٍ إلى قصّةٍ، ومن قصّةٍ إلى شعرٍ، ثمّ يذكّره شاعرٌ بشاعرٍ، وشاعرٌ بحكايةٍ، وحكايةٌ بقصيدةٍ الخ. وقد قَصَدَ بهذه الكتاب أن يُثقّفَ ابنَه الذي كان عندَ تأليفِ الكتابِ صغيراً.

وأمّا كتاب «التكميل» فقد ضمَّنه كثيراً ممّا جرى بينَه وبينَ شيخهِ وصديقه الأديب الزاهدِ أبي محمّدٍ عبدِ الوهّابِ القيسيِّ (ت ٥٩٨ هـ) مِنَ الكلام في الأدب والشعر والتاريخ وغيرها.

وكان البَلَوِيُّ قد جَمَعَ الألفاظ التي عالجها تلك المُعالجةَ في قصيدةٍ من نَظْمِه أثْبَتَها في المُقدّمة (ويَحْسُنُ أنْ نُشير إلى أنّ البلويَّ كان قد أثْبَتَ الكلماتِ مُهْمَلَةً لا نُقَطَ فيها ولا شَكْلٌ- ولكنّ ناشري الكتابِ تَوَلَّوْا التنقيطَ والتشكيلَ اجتهاداً من عندِ أنْفُسِهم). مَطْلَعُ هذه القصيدة:

أخيّ أجيءِ بقيـــل ثقيـــل مَهيـــب مُهيـــب بطَـلٌ بَطَـلْ.

ومنها:

يُفيـــد بِقنْـــدِ بعودٍ يَعود يُعيـــدِ بعيـــدِ المُحِـلّ المُجلّ
وبـــابَ وثـــابَ ونـابَ وتـابَ وثـــاب وبـــات وبَـــلّ وبـــلّ

والمقصود بهذه القصيدةِ أن تجمعَ الألفاظ المتماثلة في الرسم من غيرِ اهتمامٍ كبيرٍ بالمعنى (ولا بالرونق الشعري).

أمّا في سائرِ الكتابِ فإنّ البَلويَّ يعمِدُ إلى تفسير هذه الكلمات وأمثالها في أشكالها المختلفة كما ترى في «المختارات من آثاره». وفي أثناء هذا الشرح اللغويّ كان البلويُّ يستطرد إلى ذِكرِ أشعارٍ وقِصَصٍ وتاريخٍ وحِكَمٍ وحسابٍ وأشياءَ تتعلّق بالإنسان والحَيَوان والنبات، وإلى أمورٍ من الأديان والمذاهب، ونوادرَ من علمِ الصرف والنحو. ومَعَ أنّ هذه المعارفَ عاديّةٌ في الأكثرِ فإنّها منثورةٌ أيضاً على غير نظام. وقد أرادَ البلويُّ أن يكون هذا الكِتاب وسيلةً إلى تثقيفِ ابنه، ولكنّ هذا الكتابَ يُدْخِلُ على العقول تشويشاً. ولا نعلَمُ ما الذي استفادَهُ عبدُ الرحيم بن البلويّ من هذا الكتاب.

٣- مختارات من آثاره:

- من مقدّمة «كتاب ألف با»:

..... أمّا بعدُ- دام لنا ولكُمُ السعدُ- فإنّي عزمتُ، بعدَ استخارةِ ذي الطَوْل ومن بِيَدهِ القوّة والحَوْل ورَغْبتي إليه في السَداد[١] في العمل والقَوْل، على أن أجمع في هذه الأوراق كلَّ معنًى رقَّ أو راقَ ممّا هو عِنْدي مستحسَنٌ لا مستخشَنٌ، ومُسْتَملَح لا مستقبح، وأُثبِتَ فيه من الفوائد ما يُزْري بالفرائد[٢]، ومن بدائعِ العلوم والفهوم ما يرتقي من التخوم[٣] إلى النجوم. وجعلتُ ما أُؤلّفُ فيه وأَبْني[٤] لعبد الرحيمِ ابني ليقرأه بعدَ موتي وينظُرَ إليّ منه بعدَ فَوْتي[٥]، إذ لم يلحَقْ بعدُ- لصِغَرِهِ- دَرَجةَ النبلاء ولم يبلُغْ مرتبةَ العقلاء. وأرجو أن يجعَلَه الله منهم ولا يقطَعَ به عنهم، فيكونَ- إن شاء الله- بقراءة هذا الكتاب في الزيادة إلى أن يلحَقَ بالسادة:

إنّ الهـــلالَ إذا رأيــتَ نُمُوّهُ ... أيقَنْــتَ أن سَيَصيرُ بدراً كاملا[٦]!

وسمّيتُ ما جمعتُ لهذا الطِفْلِ المُربّا[٧]: كتاب ألف با....

- من متن «كتاب ألف با» (١: ٢٨٠):

والعَرَقُ: الطيرُ تصطفّ في السماء، واحدته عَرَقَةٌ. والعَرَقُ السطرُ من الخيل..... ومقلوبه قَعْرُ كلِّ شيءٍ أقصاه. وبئر قعيرة. وتقعّرَ الرجلُ إذا تَشَدَّقَ الرجل وتكلّم بأقصى قَعْرِ فِيه... ومقلوبه أيضاً رَعَقَ يرعَقُ رُعاقاً،وهو صوت يسمع من قتب[٨]

---

(١) الطول (بفتح الطاء): البقاء، القدرة، الغنى. ذو الطول: صاحب الطول (الله). الحول: القوّة. السداد: الصواب في القول والعمل.

(٢) الفرائد جمع فريد: الشذر (قطع من ذهب) تفصل بين اللؤلؤ في العقد. الفريد والفريدة: الجوهرة (اللؤلؤة) النفيسة أزرى: عاب، جعل (الشيء) محتقراً.

(٣) التخوم جمع تخم (بالفتح أو الضمّ): الفاصل بين أرض وأرض (المقصود: الأرض).

(٤) أبني (أنا)- من بنى يبني بناه (يؤلّف).

(٥) بعد فوتي (موتي): بعد أن أمضي ويصبح عاجزاً عن اللحاق بي (عن الاستفادة منّي).

(٦) البيت لأبي تمّام.

(٧) المربّى- يقصد: المربّى (المهذّب، المثقّف).

(٨) في القاموس: الرعيق صوت يسمع من بطن الدابّة. ورعق كمنع، أي مفتوح عين الفعل في الماضي والمضارع (رعق يرعق بفتح العين فيهما). قتب: سرج صغير.

الدابّة.... ومقلوبه أيضاً رَقَع الثوبَ رَقْعاً ورقعتُه. والرقيعُ الأحمق... ومقلوبه أيضاً عَقَرَ العقر، والعُقر مصدر العاقر من النساء. وقد عُقِرَت المرأة، وعَقَرت تَعْقِر فهي عاقرٌ وعقير. وفي التنزيل[1]: «وامرأتي عاقرٌ». والعاقرُ من الرمل ما لا يُنْبِتُ....

- وصفُ «كتاب ألفَ با» (١: ٦٤):

وهذا الكتابُ ألّفتُه - كما ذكرتُ - لولدي أو لِمَنْ يكون كَمِثْلِهِ مِنْ مُبتدي. فربّما جمعتُ فيه من الكلام بينَ الغَثّ والسَمينِ والرخيصِ والثمينِ، والجِدِّ والهَزْل والضعيفِ والجَزْل[2]، كما تقدّمَ فيه القولُ من قبلُ، وجلبتُ ما حَضَرَ من يابسٍ وأخضرَ. وعقولُ الناس مُدوّنَةٌ في أطرافِ أقلامِهِمْ، بها يُسْتَدَلُّ على مَعْرِفتهم وأفهامهم. وبتآليفِهِمْ وأوضاعهم يُعْرَفُ الطُولُ والقِصَرُ في باعِهِمْ[3] ويُدرى اختلافُ طِباعهم...

- ومن نظمه:

★★ وظننتُ القويَّ يبقى على ما	كان من قبلِ أن يُلاقِي الرِجالا.
فإذا القلبُ في الحقيقةِ قلبٌ	حارَ عمّا عَهِدتُّ فيه وحالا[4].
والذي قالَ قبلُ: «إنّي وإنّي»	من صِفات الرجالِ كان مُحالا[5].
فتذكّرتُ قَوْلَةَ المتنبّي،	حين قلبي عن البَسالةِ زالا[6]:
(وإذا ما خلا الجَبانُ بأرضٍ	طَلَبَ الطَعْنَ وحدَهُ والنِزالا).
★★ ظنّ قومٌ بأنّ حُبّي إلهي	مثلُ ما يُحْبِبُ الأنيسُ أنيسَهْ.

(١) في التنزيل (الوحي): القرآن الكريم (٣: ٤٠، آل عمران): «وقال: ربّ، أنّى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر؟».

(٢) الغثّ: النحيف (الغثّ والسمين كناية عن الرديء والجيّد). الجزل: الكثير العظيم. والكلام الجزل: الفصيح الألفاظ المتين التركيب الجامع للمعاني الشريفة.

(٣) الباع: المسافة بين الكفّين عند بسط الذراعين يميناً وشمالاً. طول الباع كناية على القدرة والبراعة، وقصر الباع بخلاف ذلك.

(٤) قلب (الثانية) انقلاب، خلاف في الاتّجاه. حال: تحوّل، تبدّل.

(٥) من قال عن نفسه متبجحاً: «إنّي وإنّي».... كان خالياً من صفات الرجال، أي أنا لي كثير من صفات الرجال. محال (بالضمّ) ما لا يمكن وجوده أحياناً: صفات ليست ممّا يجتمع في الناس عادة).

(٦) البسالة: الشجاعة.

غَلطوا في القيـاس، ما مِثلُه يُشْـ ـبـهُ شيئـاً فيَقْتضي أنْ تَقيسَهْ.
وكـذا حُبُّه يَجِلُّ عن الوَصْـ ـفِ، تعالى عن الصِفات الخسيسهْ.
إنّما حُبُّـــه لمَنْ كـــان أهلاً للمعـــالي وللمعـــاني النفيسه.
كــلُّ من كـان للمحبّـةِ أهلاً حُبُّــــه يلزَمُ النفوسَ الرئيسه.

٤ - كتاب ألف با (بتصحيح مصطفى وهبي)، القاهرة (نشرته جمعية المعارف بمصر - المطبعة الوهبية) ١٢٨٧ هـ.

** التكملة، ٧٣٧ (رقم ٢٠٨٩)؛ صلة الصلة ٤١٧ - ٤٢٠ (رقم ٤١)؛ بروكلمن ١ : ٣٧٨، الملحق ١ : ٥٤٣ - ٥٤٤؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٣٢٧ (٨ : ٢٤٧ - ٢٤٨)؛ سركيس ٣٠٠.

ابن شَكِيلٍ الصَدَفيّ

١ - هو أبو العبّاس أحمدُ بنُ يَعيشَ بن شَكِيلٍ (بفتح الشين) الصَدَفيُّ الشَريشيُّ الأندلسيُّ، تُوُفيّ سَنَةَ ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ - ١٢٠٩ م) مُغْتَبطاً (في شَبابه بلا علّة).

٢ - كان ابنُ شَكِيلٍ الصدفيُّ شاعراً مُجيداً سَهْلَ القَوْل. ويبدو أنّه لم يكُنْ يتكسّبُ بشعره. بَرَعَ في الوَصْف والتَخَيُّل، له مُقَطّعات في وصف الحَمّام وفي الأزهار. وقال، في أبي قَصَبةَ الجُزولي الذي ثار على المُوحِّدين سَنَةَ ٥٩٨ هـ ثمّ قُتِل وشيكاً، قصيدةً منها:

اللهُ أطفأ مـا أذْكـى أبو قَصَبَهْ من حَرْبِـهِ، وأزالَ السِحرَ بالغَلَبَهْ[1].
فمن أرادَ سُؤالاً عن قَضيّتِــــه فجُملةُ القول: إنّ الحقَّ قد غَلَبَهْ.
لقد شَفى النفسَ أنْ وافى بهامتِه صدرُ القناةِ مكانَ الصدرِ والرَقَبَه[2].

---

(١) أذكى: أشعل، أوقد (النار).
(٢) جاءوا برأسه مرفوعاً على رمح.

٣- مختارات من شعره:

- قال ابنُ شَكيلٍ يَصِفُ حَمّاماً:

تُلْهي العيونَ رُقومُــه فكأنّهــا قــد أُلبِسَتْ ساحاتُه دِيباجا[1]،
مجموعــةً أضــدادُه فــترى بهــا نـارَ الغَضا والوابلَ الثّجاجا[2].
حرّانُ مُنْسَكِــبُ الدموعِ كأنّما يَحْكي، بذاك، العاشقَ المهتاجا.
دُحِيَتْ بسيطةُ أرضهِ من مَرْمرٍ فجرى الزُجاج به وثارَ عَجاجا[3].
وجَلَـــتْ سماوَتُــهُ السماءَ، وإنّما جُعِلَتْ مكانَ النّيّراتِ زُجاجا[4].
قامتْ عـلى عَمَدٍ جُلِينَ عرائساً فترى لها السَّمْكَ المُكَلَّلَ تاجا[5]!

- وقال في زَنْبقةٍ (بيضاء) أُودِعَتْ شَقيقةً (حمراءَ):

سَوْسَنَــةٌ بيضــاءُ قــد أُودِعَــتْ شقيقــــةً قانيَــــةَ البُرْدِ[6]
أبْيَضُهـــــا يَنْشَقُّ عن أحمرٍ كالبُرْقُـــعِ انشقّ عنِ الخَـــدّ.

٤-** الوافي بالوفيات ٨: ٢٧٧ - ٢٧٨؛ المقتضب من تحفة القادم ٩٧؛ الأعلام للزركلي (١: ٢٧١).

---

(١) أرضه مبلّطة برخام عليه أشكال مختلفة. الديباج: نسيج من حرير.

(٢) الغضا: شجر له نار شديدة. الوابل: المطر. الثجّاج: الشديد الانصباب (في الحمّام حرّ شديد وماء كثير).

(٣) دحيت: بسطت، مهّدت. جرى الزجاج به (فيه) وثار عجاجاً (غباراً): الماء الحارّ يتحوّل فيه بخاراً لشدّة الحرارة (كالغبار) ثمّ يتجمّع قسم منه عند الزجاج فيسيل رطوبة. (شطرا البيت لا يأتلفان في المعنى).

(٤) جلت سماوته (سقوفه) السماء: سقف الحمّام يشبه السماء بنجومها - كان سقف الحمّام مزوّداً بأكر زجاجية (تسمح للنور بالمرور) ولا تسرّب الحرارة (لأنّ الهواء في هذه الأكر عازل للحرارة).

(٥) قامت (سقوف) هذا الحمّام: رفعت. عمد جمع عمود. جليت العروس: عرضت على زوجها في أبهى زينتها (كناية عن جمال تلك الأعمدة بما عليها من النقش والزخرف). السمك: أعلى الشيء (السقف). المكلّل (بتشديد اللام الأولى وفتحها: ببنائها للمجهول)، كانت السقوف أيضاً مزخرفة، فكأنّها كانت أكاليل (من الأزهار) على رؤوس تلك الأعمدة.

(٦) السوسنة: الزنبقة. الشقيقة (واحدة الشقائق: شقائق النعمان): زهرة برّيّة حمراء البتلات وفي وسط كلّ بتلة بقعة صغيرة سوداء. قانية (لونها قان: شديد الحمرة - من الفارسية، قان: دم).

أبو عبد الله بن يربوع

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ يَرْبوعٍ ، أصلُه من جَيّانَ. كان مولدُه نحوَ سَنَةِ ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م). سَكَنَ مُدّةً في بلَّش من أعمالِ لُورقَة.

روى أبو عبدِ اللهِ بنُ يَرْبوعٍ عن نَفَرٍ كثيرينَ، ولكنّ أكثرَ رِوايته عن أبي عبدِ الله ابن العربيّ وأبي القاسمِ السُّهيليّ وأبي محمّدٍ القاسمِ بنِ دحمانَ[١]. ثمّ إنّه أقرأ فنوناً كثيرةً، منها: قراءةُ القُرآنِ والحديثُ والعربيةُ (النحو) والأدبُ. وكان يتردّدُ في سبيلِ ذلك على جَيّانَ وقيطاجةَ وأُبَّذَةَ. وقدِ آستوطنَ قيطاجةَ ثمّ أُبَّذَةَ.

وكان وفاةُ أبي عبدِ اللهِ بنِ يربوعٍ في سَنَةِ ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ - ١٢١٠ م).

٢ - كان أبو عبد اللهِ بنُ يربوعٍ مُقرئاً ضابطاً ووافرَ البضاعة من رواية الحديث، وقد كان بارعاً فيما ينقُلُه. وكذلك كان بارعاً في علم العربية وعارفاً بالأدب، وبصيراً بالحساب. ثمّ كان كاتباً وشاعراً، ويبدو أنّ أكثرَ مَيلِه كان إلى الهجاء مَعَ شيءٍ من البراعةِ والمَرَح. وقد ألّف مجموعاً من الأشعار سمّاه « حديقةَ الأزهار »، وهو كتابٌ حسنٌ، وتَجدُ منه بضعَ مُقطّعاتٍ في كتاب نفح الطيب (٥: ٦٠١ - ٦٠٢).

٣ - مختارات من شعره:

- لمّا جاء آبنُ يربوعٍ إلى قيطاجةَ كتب إلى ماجدٍ (؟) أن يُنزله (في مسكنٍ أو دار)[٢] فأجابه ماجدٌ: « في كلّ جُحْرٍ ضَبّةٌ »[٣]. فردّ عليه آبنُ يربوعٍ بهذه الأبيات:

يا ماجداً إنْ جاد كان وَضيعا، ... أو قال قولاً كان فيه بديعا.
قيطاجةٌ قد ضَيّقت أجْحارَها، ... وأرى لكم ما بينهنّ وُقوعا[٤].

---

(١) أبو عبد الله بن العربي وأبو محمّد القاسم بن دحمان (؟؟). ولعلّ أبا القاسم السهيلي هو صاحب الروض الأنف والمتوفّى سنه ٥٨١ هـ.

(٢) لعلّ ماجداً هذا كان يتولّى شيئاً من الأحباس (الأوقاف) وتحت يده دور يمكن أن يسكن فيها الطارئون على قيطاجة من أولئك الذين لا يجدون مسكناً أو لا يستطيعون ذلك.

(٣) الجحر: ثقب في الأرض تسكنه الحشرات. والضبّة حيوان صحراوي يشبه الحرذون.

(٤) وأرى لكم ما بينهن وقوعاً (أعتقد أنّك، يا ماجد، من أولئك الذين يسكنون أحد تلك الأجحار).

وزعَمْتَ أن لكلّ جُحْرٍ ضبّةً،   فاسْتَبْدِلَنَّ مكانَــه يربوعــا[1].

- وقال يهجو مدينة لورقة:

أخْسِسْ بلُرْقَةَ، لا تَنْزلْ بساحتها،   فإنّ ساكنها في الوَيْلِ مدفونُ.

أرضٌ أبى الله أن تُنْشي أخا كرمٍ:   فإنّهــا سَقَرٌ والمــاء غِسْلــينُ[2].

- وقال أيضاً يهجو ابنَ أخلى كبيرَ مدينةِ لورقة:

قصــدتُ ابنَ أخــلى فألْفَيْتُــه   أشدَّ مُراراً من العَلْقَمِ[3].

عــلى المــاء في داره زَحْمــةٌ،   وفيها على الخبز سفك الدم[4].

٤ - ** التكملة ٥٩٢؛ الذيل والتكملة ٦: ٧٦ - ٧٧ (رقم ١٦٩).

ابن بدرون

١ - هو أبو مروانَ أو أبو القاسم[5] عبدُ الملكِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ بدرانَ أو بدرون[6] الحَضْرَميُّ الشِلْبيُّ، من أهلِ شِلْبَ؛ روى عن طائفةٍ من علماءِ بلدِهِ. ولَعلّه عاش مدّةً طويلةً في إشبيلية، في أيّام السُلطان يوسفَ بنِ عبدِ المؤمن (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ). وكانتْ وفاتُه في شِلْبَ سَنَةَ ٦٠٨ (١٢١٢ م) أو بعدها بقليل.

(١) .... لا بأس أن تنزلي مكان ضبّ أو ضبّة من الضباب. اليربوع حيوان صحراوي يشبه الفأر ولكنّ قائمتيه الأماميّتين قصيرتان جدًا وقائمتيه الخلفيّتين طويلتان جدًا هناك تورية بين «يربوع» (الحيوان الصحراوي) وابن «يربوع».

(٢) تنشي = تنشيء. سقر: مكان في قعر جهنم (شديد الحرّ). الغسلين: الوسخ الذي يسيل من الثوب عند غسله، ومادة تسيل من جلود أهل جهنّم.

(٣) المرار (بالضمّ): بقل بريّ مرّ. العلقم شجر الحنظل (مرّ). لا وجه للقول (في التركيب النحوي): «أشد مرار من العلقم»، وأصوب أن يقال: «أمرّ مذاقاً من العلقم».

(٤) زحمة: ازدحام (لقلّة الماء فيها؟).

(٥) بروكلمان ١: ٤١٥، الملحق ١: ٥٧٩.

(٦) نفح الطيب ١: ١٨٥. - المشهور بدرون (بفتح الباء) كذا ضبطها إحسان عبّاس في نفح الطيب (١: ١٨٥) ووفيات الأعيان (١: ٣٣٤). ثمّ ضبطها بضمّ الباء (وفيات الأعيان ٣: ٤٧٠، السطر التاسع ثمّ ٧: ٢١٧، السطر الثالث عشر).

٢ - هو الأديبُ (نفح الطيب ٧ : ٢١٧) ابنُ بَدْرونٍ، كان مُلمًّا بكثيرٍ من أوجهِ الثقافة وبالأحداثِ التاريخية خاصةً. وكان معروفاً بين أنداده وفي بَلَدِهِ باتّساعِ المعرفةِ حتّى أمكنَ أنْ يطلبوا منه شَرْحَ قصيدةِ ابنِ عبدونٍ (ت ٥٢٩ هـ). وشُهْرةُ ابنِ بدرونٍ تَرْجعُ في الحقيقة إلى شرحه على تلك القصيدة: «الدهرُ يفجَعُ بعدَ العينِ بالأثَرِ» (كِمامة الزَّهَر وصَدَفَة الدُّرَر: شرح البَسَّامة[١] بأطواق الحَمامة). ولولا تلك الشروحُ التاريخيّةُ التي عَلّقها ابنُ بدرونٍ على أبياتِ تلك القصيدةِ لظلَّ كثيرٌ من هذه الأبياتِ مُسْتَغْلقاً على القارىء العاديّ.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدّمة شرح البسامة (لابن عبدونٍ):

... جَمَعَني يوماً من الأيّام، مَعَ جماعةٍ من فرسانِ النُّثار والنظام، نديٌّ[٢] أدبٍ ومجلسٌ دعا إلى الإفاضةِ في هذا الشأنِ ونَدَبَ. فأفَضْنا قِداحَ المذاكرةِ في الأدب وجَماله، وأفَضْنا أقْداحَ[٣] راحِ الحَديث في الشِعر ورجاله، (الشعر) الذي هو ديوانُ العرب... وذَكَرْنا من دَرَجَ من الأمم، وفَرَجَ[٤] في الشِعر أبواباً لم يَفْرِجْها غيرُه ممّن كان له قَدَمُ القِدم، وما أبْدَعَ فيه من أنواعِ البديع.... كالتسميط والإشارة والمُقابلة والاستعارة والتوشيح والتجنيس[٥].... ثمّ جُلْنا في ذِكْر ذكر (؟) الإحالاتِ

---

(١) نيكل ١٧٨؛ وفي عدد من المراجع: البسّامة!

(٢) النثار (بالضمّ): ما تناثر من الشيء. والمقصود هنا النثر (خلاف النظم: الشعر). النديّ والنادي محلّ اجتماع القوم للتداول.

(٣) القداح جمع قدح (بالكسر): قطعة من خشب (أو غيره) تستخدم في الاستقسام (الميسر، القمار وغيره). الأقداح جمع قدح (بفتح ففتح): الكأس. الراح: الخمر.

(٤) درج: ذهب، مات، انقضى زمنه. فرج: فتح (أوجد أبواباً: أنواعاً جديدة).

(٥) البديع: تحسين اللفظ. التسميط: نوع من التوشيح (تعدد القوافي في المقطوعة الواحدة). الإشارة: اللمحة اليسيرة الدالّة على المعاني الكثيرة أو البعيدة. والإشارة أنواع (راجع العمدة لابن رشيق، نشرها محمّد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، ١: ٢٧١ - ٢٨٢). المقابلة تقال على الطباق (تضادّ المعاني: أبيض وأسود، صغير وكبير). وتقال على الموازنة (تقابل صيغ الألفاظ في الجملة الواحدة: (ما جرى جار في النهار وما سرى سار في الليل). الاستعارة: نسبة فعل إلى الذي لا يفعله =

ورَفَضْنا ما سواها. وذَكَرْنا ما انطَبَع فيها ومن رَمِدٍ حين شَواها[1]. فأَنْشَدَ أحدُ الحاضرين قصيدةَ الوزيرِ الكاتبِ أبي محمدٍ عبدِ المجيدِ بن عبدونٍ... فإنَّه ذَكَرَ فيها كَثيراً من المُلوك ممّن دَبّتْ إليهم الأيّامُ أيَّ دبيبٍ، وألْحَقَتْ شَمْسهم عند الظَهيرة بالمَغيب، ومَشَتْ إليهم الضرّاء[2]... فأكْثَرُهُمْ لم يَعْرِف كُنْهَ[3] حالاتِ تلك الإحالاتِ حتّى كانَ فِيهِمْ مَنْ قَالَ: ما هذه القصيدةُ إلّا كالمُعمّى[4]. فكانَ في القوم مَنْ أشار نَحوي وقال: لو شاء فلانٌ لافْتَتَحَ رتاجَها المُبْهَمَ، وأنْجَدَ في قَصِّ أخبارِها وأتْهَمَ[5].

- مثال من الشرح:

«وليتَها إذْ فَدَتْ عَمْراً بخارجةٍ فَدَتْ عَليًّا بمن شاءتْ من البشر».

هذا الذي ذُكِرَ هو عمروُ بنُ العاص.... وخارجةُ رجلٌ من سَهْم بنِ عمروِ بنِ هُصَيْصٍ رهطِ عمروِ بنِ العاص. وكان من خَبَرِه أنّه لمّا اجْتمعتِ الخوارجُ على قَتْلِ عليٍّ، رَضِيَ اللهُ عنه، ومُعاويةَ وعمروٍ- كما قَدّمنا ذِكْرَه- مَشى زادَوَيْهِ مولى بني العَنْبر إلى عمروٍ على وَعْدِهِ مَعَ صاحبيهِ[6]، في تلك الليلةِ، وأرْصَدَ لعَمْروٍ[7]. وشكا

عادة: ابتسم البرق- (فالبرق لا يبتسم، ولكنّه شبّه بالإنسان ثمّ نسب إليه فعل من أفعال الإنسان). التوشيح: بناء القطعة الشعرية على أشطر معيّنة في العدد والأوزان مختومة بقوافٍ مختلفة ولكن على نسق معلوم. التجنيس: المجيء في الجملة الواحدة بكلمات تتفق في اللفظ وتختلف في المعاني الصحائف: الأوراق والرسائل إلى جانب الصفائح أي السيوف).

(1) ذكر ذكر (كذا في الأصل)... الإحالات. الإحالة (نسبة الشيء إلى العالم به!). الرمد (بفتح فكسر) الكدر، الماء الآجن (المتغيّر، الفاسد). شوى الرجل الرجل: أصاب منه مقتلاً.

(2) دبّت إليهم الأيّام: عدت عليهم وقست. أصابتهم بالزوال، الضرّاء: الشدّة، الحال المضرّة.

(3) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته وغايته (وسرّه).

(4) المعمّى: الأحجية (المعنى المضمر الغامض).

(5) الرتاج: الباب. أنجد: جاء نجداً (المكان العالي) وأتهم: جاء تهامة (المكان المنخفض)- قدر على كلّ شيء.

(6) مع صاحبيه: عبد الرحمن بن ملجم (بضمّ فسكون ففتح) الذي أراد قتل عليّ بن أبي طالب ثمّ الحجّاج ابن عبد الله المعروف بالبرك (بضمّ ففتح) التميمي الذي أراد قتل معاوية.

(7) تخفّى ليقتل عمراً (كان عمرو بن العاص يمرّ من قصره إلى المسجد في كلّ يوم لصلاة الفجر... في ممرّ معروف).

عمروٌ في تلك الليلةِ من بطنهِ فلم يخرُجْ للصلاة. فخَرَجَ خارجةُ[١] ليُصلِّيَ بالناس عِوَضَ عمروٍ. فظنّه زادَوَيْهِ عمْراً[٢] فضربه وقتله. وأُخِذَ (زادويه) ودُخِلَ به على عمروٍ فسَمِعَهم يخاطبونه بالإمارة، فقال: أو مَا قتلتُ عمْراً؟ قيل له: لا، إنّما قتلتَ خارجةَ. فقال: أردتُ عمراً واللهُ أرادَ خارجةَ. فذلك قولُه: وليْتَها. والهاءُ عائدةٌ على الليالي...

- ولابن بدرونٍ في الغزل (نفح الطيب ١ : ١٨٥):

العشقُ لَذّتـه التَعنيـقُ والقُبَـلُ، كما مُنَغِّصُهُ التَثْريبُ والعذلُ[٣].
يا ليتَ شِعريَ، هل يُقضى وِصالُكُمُ؟ لولا المُنـى لم يكنْ ذا العمرُ يَتّصلُ!

٤ - شرح قصيدة ابن عبدون (نشرها دوزي)، ليدن ١٨٤٦ - ١٨٤٨ م؛ كمامة الزهر وصدفة الدرر (شرح البسّامة)، مصر ١٣٤٠ هـ؛ في «مجموعة....» (نشرها محي الدين صبري)، القاهرة ١٣٤٠ هـ (؟).

** الصلة رقم ٨٣١؛ التكملة (رقم ١٧٢٧) الذيل والتكملة ٥ : ٢١؛ نفح الطيب ١ : ١٨٥، ٥٢٩، ٤ : ٣٥٣؛ راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٦٨٠ (في ترجمة ابن عبدون)؛ بروكلمن ١ : ٤١٥، الملحق ١ : ٥٧٩ - ٥٨٠؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٣٠٦ (١٦١)؛ نيكل، راجع ١٧٦ (البَشّامة لا البسّامة)؛ تاريخ النقد الأدبي لداية ٢١١ - ٢١٥؛ سركيس ٤٥.

الكانِميّ الأسود

١ - هو أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن يعقوبَ[٤] الكانِميُّ، نِسبةً إلى كانمَ[٥] من قريةٍ

---

(١) خارجة بن حذافة رئيس الشرطة لعمرو بن العاص.

(٢) زادويه أو داذويه مولى بني العنبر.

(٣) التمنيق: أخذ أحد الشخصين بعنق الآخر. التثريب والعذل: اللوم.

(٤) في المقتضب: أبو اسحاق ابراهيم بن محمد. وفي تاج العروس أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن.

(٥) في تاج العروس: كانم جنس من السودان وهم بنو عمّ تكرور ثمّ بلدة بنواحي غانة، وهي دار ملك السودان الذي بجنوب الغرب (المغرب) وكذا تكرور اسم للأرض. وتقع كانم إلى الشرق والشرق الشمالي من بحيرة شاد سكنها أولاد سليمان والشوا (وهم من عنصر عربي). ويبدو أن بعضهم جاء من =

اسمُها بَلْمَةُ. ويبدو أنّه كان مِنَ العرب الذين انتقلوا إلى كانم من ليبيا، ومن أجل ذلك يُزاد في نَسَبه « الذكوانيّ السُّلَميّ »[1]. وقدِ اكتسبَ لونَه الأسودَ ولَقَبَه أيضاً من سُكناه في السودان (الغربيّ).

وجاء الكانميُّ، قبلَ سَنَةِ ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م)، إلى مَرّاكُشَ وأَقْرأَ فيها الآدابَ ثمّ دَخَلَ الأندلُسَ ومدح أكابرَ الدولة. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٦٠٨ (١٢١١ - ١٢١٢ م) أو ٦٠٩.

٢ - الكانمي الأسودُ أديبٌ شاعرٌ مشهورٌ[2] ولم يُعْرَفْ في أرضه شاعرٌ سِواه[3]. كانَتِ العُجمةُ غالبةً عليه، ولكنّه كان شاعراً مُحسناً جيّدَ النظم رُوِيَتْ له أبياتٌ في الحِكمة والفخر مَعَ شيءٍ من التصنيع. وكان عارفاً بالنحو.

٣ - مختارات من شعره:

- قال الكانميُّ الأسودُ يفتخرُ بنفسِه ويَعْتَذِرُ للَوْنهِ الأسودِ:

إنّي وإنْ ألْبَسَتْني العُجْمُ حُلَّتَها ... فقد نَماني إلى ذَكوانِها مُضَرُ[4].
فلا يَسُؤْكَ من الأغمادِ حالكُها ... إن كان باطنَها الصمصامةُ الذَكَرُ[5]!

ليبيا بعد أن كانوا قد انتقلوا إليها وإلى تونس من صعيد مصر في منتصف القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد) وكانم في جمهورية تشاد اليوم..

(١) الذكواني السلمي نسبة إلى ذكوان بن ثعلبة بن بهثة (بضمّ الباء) بن سليم (بضم السين وفتح اللام) (راجع عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب لأبي بكر محمّد بن أبي عثمان الحازمي الهمداني، الطبعة الثانية - مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م، ص ٦٢).

(٢) القاموس ٤: ١٧٣.

(٣) الوافي بالوفيات ٦: ١٧٠.

(٤) العجم: غير العرب (والمقصود هنا: الزنج). نماني: رفعني، رفع نسبي، وصل نسبي. مضر جدٌّ لعرب الشمال.

(٥) الغمد: قراب (بيت) السيف. الحالك: الأسود اللون. الصمصامة: السيف الذي يقطع في العظام. الذكر: الذي سقي الذكرة (بضمّ الذال المعجمة): الفولاذ فأصبح ليّناً من غير أن ينكسر، ثم اصبح مصقولاً أبيض.

- وقال في الموت وفي غَفْلة الناسِ في حياتِهم:

أفي الموتِ شكٌّ، يا أُخَيَّ، وبُرهانُ! فَفِيمَ هجوعُ الخَلْقِ والموتُ يَقظانُ[1]!
أتَسلو سُلُوَّ الطيرِ تَلْقُطُ حَبَّها، وفي الأرضِ أشْراكٌ وفي الجَوِّ عُقْبانُ[2]؟

- وقال يُعَبِّرُ عن كُرْهِهِ للهجاء:

كم سائلٍ: لِمَ لا تهجو؟ فقُلْتُ له: لأنّني لا أرى مَنْ خافَ « مِنْ هاجي ».
لا يكرَهُ الذمَّ إلّا كلُّ ذي أنَفٍ، وليسَ لُؤْمُ لِئامِ الخَلْقِ « مِنْهاجي »[3]!

- ودخلَ الأديبُ أبو اسحاقَ إبراهيمُ بنُ يعقوبَ الكانميُّ على المنصور الموحِّديِّ فأنشده (الاستقصا ١ : ١٨١):

أزالَ حِجابَــه عنّي، وعَيْــني تراه من المَهابــة في حِجــاب.
وقــرَّبــنــي تفضُّلــــه، ولكنْ بَعُــدتُ مَهابــةً عنــد اقــترابي.

٤-** الوافي بالوفيات ٦ : ١٧٠ - ١٧١؛ المقتضب ١٠٩ - ١١٠؛ نفح الطيب ٤ : ٣٨٠؛ الاستقصا ١ : ١٨١؛ تاج العروس ٩ : ٥١ .

محمّد بن سيدراي

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ سيدراي[4] بن عبدِ الوهّاب بن وزير[5] القيسيُّ من أمراء المَغْرب، كما كان أبوه من قبلِهِ وابنُه عبدُ الله من بعده[6]. وظلّ أبو بكر بن

---

(١) وبرهان (أي هل يحتاج إلى برهان؟). الهجوع: النوم.
(٢) أتنسى، أيها الإنسان، نفسك وأنت تتمتّع بالحياة، كما تنسى الطير نفسها وهي تلتقط طعامها من الأرض، وقد يكون حولها أشراك وفوقها في الجو عقبان (طيور كاسرة)؟
(٣) الأنَف: الاستكبار (ترك الأمور التي لا تليق بالرجل النبيل). لؤم (كذا في الأصل بالهمزة) والأصوب أن تكون « لوم » بالواو (هجاء).
(٤) في « نفح الطيب »: سدراي. (راجع ٤ : ٣٦٥، الحاشية: سيدراي). وفي « المغرب » سِرّاي.
(٥) كذا في نسق نسبه (الحلّة السيراء ٢ : ٢٧١). وفي المغرب ونفح الطيب: كان كاتباً ووزيراً.
(٦) راجع مناقشة طويلة مفيدة في تحقيق حول ولاية آل سيدراي في الأندلس (لحسين مؤنس، الحلة السيراء ٢ : ٢٧٢).

سيدراي والياً على قَصْرِ الفتح حتّى مقتلهِ في وَقْعة العِقاب[1]، نصف صفر من سنة ٦٠٩ (١٧/ ٧/ ١٢١٢ م).

٢ - كان محمّدُ بنُ سيدراي، كأبيه من قبلهِ، من رجالاتِ الأندلس في العقلِ والشجاعة وقائداً كبيراً. وكان شاعراً مُحسناً من فنونه الحماسةُ والغَزَلُ والطردُ (فله وصفٌ في الكلب وشعرٌ في حَمامة).

٣ - مختارات من شعره:

- قال محمّد بن سيدراي في الحماسة، في معركة انتصر فيها على الأسبان[2]:

ولمّا تلاقَيْنا جَرَى الطعنُ بَيْنَنا فمِنّا ومنهم طائحون عديدُ[3]:
رجالٌ غِرارُ الهندِ فينا وفيهمُ فمنّا ومنهم قائمٌ وحَصيد[4].
فلا صدرَ إلّا فيه صدرُ مُثَقَّفٍ، كِلانا على حَرّ الطِعان جَليد[5].
ولكنْ شَدَدْنا شَدّةً فتَبَلّدوا، ومن يَتَبلّدْ لا يزال يَحيد[6].
فولّوْا وللبيض الرقاق بهامِهمْ صليلٌ وللسُمْرِ الطِوالِ وُرود[7]!

---

(١) كانت وقعة العقاب (بكسر العين) قرب جيّان، جنوبيّ الأندلس، وقد انهزم الموحّدون فيها وباد معظم جيشهم.

(٢) لعلّه قال هذه الأبيات بعد المعركة (التي استردّ الموحّدون فيها قصر الفتح من البرتغاليين ٥٨٧ هـ (١١٩١ م).

(٣) طاح يطوح ويطيح: هلك.

(٤) الغرار: حدّ السيف. غرار الهند (نسبة إلى السيوف التي كانت تصنع في الهند وتعرف عند عرب الجاهلية بجودتها). الحصيد: المحصود (كناية عن القتلى).

(٥) - فلا صدر (إنسان) إلّا فيه صدر مثقف (صدر الرمح: القسم الأعلى من الرمح) كناية عن أن القتال كان مواجهة (لم يهرب أحد من الفريقين فيطعن في ظهره في أثناء هربه).

(٦) شددنا: هجمنا. تبلّدوا (كسلوا عن القتال، ملّوا). حاد: مال عن الطريق. ولا معنى واضحاً لها هنا. «لا يزال» حقّها أن تجزم (لا يزل) لأنّها جواب الشرط. وقد جزم الشاعر فعل الشرط «يتبلّد».

(٧) ولّوا: هربوا. البيض: السيوف. هامهم: رؤوسهم. صليل: صوت. السمر: الرماح. ورود: شرب. الرماح كانت ترد (أي تشرب دماءهم). في نفح الطيب (٤: ٣٨١، ٤٦٥):.... بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود.

- وقال في النسيب:

وَمُرَنَّحِ الأعطافِ تَحْسَبُ أنّه ... مُتَعَلِّلٌ أبداً بِصِرْفِ مُدامِهِ[1].
خَنِثُ المحاجِرِ والجُفونِ كأنّما ... يَسْري فتورُ جُفونِهِ لكَلامِهِ[2].
فَضَحَ الهلالَ بوَجْهِهِ، ولربّما ... فَضَحَ القضيبَ بلِينه وقَوامِه[3].
وغدا شقيقَ سَمِيِّهِ في حسنِهِ ... وغدا العَنا وقْفاً على لُوّامه[4].

٤ - ** الحلّة السيراء ٢: ٢٧١ - ٢٧٥، ٢٩٧؛ المغرب ٢: ٤٣٠؛ نفح الطيب ٣: ٤٠٧ - ٤٠٨، ٤: ٣٨١، ٤٦٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٥ (٦: ١٥٤).

أبو العبّاس الجراويّ

١ - هو أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ السلامِ الجَراويُّ[5]، نِسبةً إلى قبيلةِ جَراوةَ (وكانت مساكِنها بينَ قُسَنْطينةَ وقلعةِ بني حمّادٍ، بالجزائرِ اليومَ) وأصلُه من تادِلَة (قُربَ فاس، بالمغرب الأقصى)، ونَسَبُهُ في بني غَفْجومِ البربر. وقد كان مولدُه سَنَةَ ٥٣٠ (١١٣٥ م) قُربَ فاس (؟).

سَكَنَ أبو العبّاسِ الجَراويُّ مَرّاكُشَ ودَخَلَ الأندلسَ مِراراً. وكان الجَراويُّ قدِ اتّصلَ بالمُوحِّدين مُنذُ أيامِ أوَّلِهِمْ عبدِ المؤمنِ بنِ عليٍّ (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ)، ثمّ استمرّتْ

---

(١) مرنّح العطف (بكسر العين: الجانب الأعلى من البدن): متمايل الجسم (من الدلال أو السكر). المقصود أنّه « يفعل الشيء الواحد مرّة بعد مرّة ». صرف الراح: الراح الصرف (الخمر غير الممزوجة بماء) التي تحدث في شاربها سكراً شديداً.

(٢) مسترخي المحاجر (العيون) من الدلال لا من المرض. يسري (يسير ليلا): يرّ، ينتقل. فتور: هدوء.

(٣) ولربّما (كذا في الأصل)، ولو كانت: « ولطالما » لكانت أصحّ وأبلغ. القضيب: الغصن.

(٤) سميّه: الذي له مثل اسمه (القمر ؟). العناء: التعب (أصبح التعب على الذين يلومونه - أي يلومونني على حبّه - لأنّني لن أسمع منهم).

(٥) يقال فيه أيضاً: الكوراني والكورائي والكراوي. وقيل جراوة مكناسة اسم موضع. وقيل جراوة أو كراوة أو كورايا قبيلة من البربر منازلهم بضواحي فاس. وقيل كوراية برابر يعيبهم أهل المغرب - راجع في كلّ ذلك (وفيات الأعيان ٧: ١٧٦؛ الغصون اليانعة ٩٨، ١٥٨).

صِلَتُه بهم وثيقةً وخصوصاً في أيام يعقوبَ المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). وكانتْ وفاتُه في إشبيليةَ، سَنَةَ ٦٠٩ (١٢١٢ م) في الأغلب.

٢ - أبو العبّاسِ الجَراويُّ شاعرٌ مشهورٌ، ولكنَّ شعرَه الذي وَصَلَ إلينا لا يُبرِّرُ شُهرته. وقد كانَ كثيرَ التكَبُّرِ مُعْتَدًّا بنفسِه شديدَ الحَسَد للشُعراء، لا يُقِرُّ لأحدٍ منهم بالتقدّم عليه. وشِعرُه متينٌ مشرقيُّ الدِيباجةِ سهلُ التراكيب يدورُ في مُعظمه على المدحِ والهِجاء والحِكمة والغزَل والوصف. وهو يُكثِرُ الاتّكاءَ في وصفِ المعارك على أبي تمّامٍ والمتنبّي. وأُولع بالهِجاء حتّى هجا قومَه. وله هِجاء للمُدُنِ وللناسِ، وربّما أقذعَ في هِجائه. وكان الجراويُّ حافظاً لكثيرٍ من شِعر القُدامى والمُحْدَثين جَمَعَ منه كِتاباً عُنوانُـه: «صفوةُ الأدب ونُخبة كلام العرب» (ويُعرَفُ باسم «الحَماسة المَغْربية») صَنَعَه على مِثال حَماسة أبي تَمّامٍ.

٣ - مختارات من شعره:

- في سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م) جازَ المنصورُ الموحّديُّ إلى الأندلس وقاتل الإسبانَ في معركة الأرَكِ وانتصر انتصاراً مُبيناً زاد في وَجاهة الموحّدين وشدّد عزائمَ المسلمين وردَّ الخَطَرَ عن الأندلُسِ مدّةً من الزمن. فقال أبو العبّاسِ الجراويُّ يمدَحُ المنصورَ الموحّديَّ:

هو الفتحُ أعيا وصفُه النَظْمَ والنَثْرا ... وعَمّتْ جميعَ المُسلمين به البُشرى،
وأَنْجَدَ في الدُنيا وغارَ حَديثُه ... فراقتْ به حُسناً وطابت به نَشْراً[1].
لقد أوردَ الأذفونْشُ شِيعتَه الردَى ... وساقَهُمُ جَهْلًا إلى البَطْشة الكبرى[2].
أطارَتْهُ شَدّاتٌ تولّى أمامَها ... شريداً وأنْسَتْهُ التعاظُمَ والكُفْرا[3].

---

(١) أنجد: جاء إلى البلاد العالية. غار (يقصد أغار): جاء إلى البلاد المنخفضة. النشر: الرائحة الطيّبة.
(٢) الاذفونش والفونش من أسماء ملوك إسبانية (يبدو في المصادر العربية أنّه لقب للملوك الإسبان). وقد انتصر المنصور الموحّدي في معركة الأرك هذه على ألفونس الثامن، سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م). البطشة الكبرى: الهزيمة في معركة الأرك.
(٣) الشدّة: الهجمة.

رأى الموتَ للأبطال حولَيْهِ يَنْتَقي فطارَ إلى أقصى مَصارِعه ذُعْرا[1].
وقد أوْرَدَتْهُ الموتَ طَعْنَةُ ثائرٍ وإن لم يُفارِقْ من شَقاوتِهِ العُمرا[2]
ولم يَبْقَ من أفنى الزمانُ حُماتَه وجَرَّعَه من فَقْدِ أنصاره صبرا[3]؛
ودارتْ رَحى الهَيْجا عليهم فأصبحوا هشيماً طحيناً في مَهَبِّ الصَّبا مُذْرى[4]،
يطـيرُ بأشلاءٍ لهم كـلُّ قَشْعَمٍ. فما شِئْتَ من نَسْرٍ غدا بطنُه قَفْرا[5]!
فكيفَ رأى المُغترُّ عُقبى اغترارِه؟ وكيفَ رأى الغدّار في غَيِّهِ الغَدْرا؟
وكـان يرى أقطارَ أندلُسٍ لـه متى يَرْمِ لم يُخْطِئْ بأسهُمِهِ قُطْرا.
فسلّاه يومُ الأربعـاء عن المُنـى فما يرتجي مِمّـا تَمَلَّكَـهُ شِبْرا.

– وقال يُهنّىء المنصورَ الموحّديَّ بالعيد:

شَمِلَـــتْ ببقائِكُمُ الأُمَمُ وسَمَـــتْ برجائِكُمُ الهِمَمُ.
وهمـــتْ دِيَمٌ من راحَتِـكم هيهـاتِ تُساجِلُهـا الدِيَمُ[6]!
وعَنَـــتْ لعزائِمِكُمْ عَرَبٌ تَشقـى بصوارِمِهـا العَجَمُ[7].
أُسُدٌ تنقـادُ الأُسْدُ لَهـا، بُهَمٌ تنقـادُ لهـا البُهَمُ[8].
حُمِـدَتْ شِيَمُ الأيـامِ بكُمْ، وَلَكَمْ ذُمَّتْ منهـا الشِيَمُ!
أعيـا البُلغـاءَ مَقامُكُمُ وَلَوَ أنّ مَقالَهُمُ حِكَمُ[9].

---

(١) فطار إلى أقصى... (؟).
(٢) الثائر: (هنا) المنصور الموحّدي. يقول الشاعر إن ملك الإسبان مات في المعركة في مقتبل العمر، مع أنّ ألفونس الثامن عاش نحو ستين سنة وتوفي عام ١٢١٤ م (٦١١ هـ).
(٣) الصبر (يجب تسكين الباء فيها حتّى تستقيم في الوزن). الشاعر يقصد الصبر (بفتح فكسر): عصير شجر مرّ.
(٤) الرحى: الطاحون. الصبا: ريح الشرق (هنا: الريح). مُذرى (مفرّق).
(٥) الشلو (بالكسر) العضو، بقية الجسم بعد تقطيعه. – غداً بطنه قفراً (؟): قبراً.
(٦) همى، سحّ، انسكب المطر. الديمة: الغيمة المملوءة بالماء. تساجلها: تباريها، تعادلها، تساويها، تشبهها.
(٧) عنى: خضع. الصارم: السيف. العجم (في الأندلس) النصارى الذين لم يتعلّموا العربية (والنصارى الذين تكلّموا العربية كان اسمهم المستعربين).
(٨) البهم جمع بهمة (بضمّ الباء): الصخرة، الرجل الشجاع.
(٩) – البلغاء عجزوا (بفتح الجيم) عن توفية حقكم من المديح...

العيــــدُ أحـــقُّ بتَهْنِئَـــةٍ فلـــــــه بِكُمُ فخرٌ عَمَمُ.

– وقال يهجو مدينة تادلا وأهلَها من بني غَفْجوم ثمّ يستطردُ إلى هجاء قومه بني الملجوم:

يا ابنَ السبيلِ، إذا نَزَلْتَ بتادِلا لا تَنْزِلَنَّ عـلى بـني غَفْجوم[1]:
أرضٌ أغـارَ بها العدُوُّ فلن ترى إلّا مُجاوبَـــةَ الصَّـــدى للبوم.
قَوْمٌ طَوَوْا ذِكْرَ السَّماحــةِ بينَهم لكنّهم نَشروا لِواءَ اللُّوم[2].
لا حَـــــظَّ في أموالِهِمْ ونَوالِهم للسائـــلِ العـــافي ولا المحروم[3].
لا يَمْلِكون، إذا استُبِيحَ حَريمُهم، إلّا الصُّراخَ بدعوةِ المظلوم[4].
يا لَيْتَـني من غيرِهم، وَلو انّني من أهـلِ فاسٍ من بني الملجوم.

– وقال في هجاء أهل فاس:

مشى اللؤمُ في الدُّنيا طريداً مُشرّداً يجوبُ بـلادَ الله شرقاً ومَغْربا.
فلمّــا أتــى فاساً تَلقّــاهُ أهلُهـا وقالوا لـه: أهلًا وسهلًا ومرحبا!

– كان أبو العبّاس الجراويُّ في تُونِسَ، فتناول فتًى – كان الجراويُّ يميلُ إليه – سوسنةً صفراءَ وأدناها من خدِّه، فقال الجراويُّ ارتجالًا:

وعُلْوِيُّ الجَمالِ إذا تَبَـــــدّى أراكَ جَبينُـه بـدراً ونـارا[5]،
أشار بسَوْسَنٍ يَحْكيـــه عَرْفـــاً ويَحْكي لَوْنَ عاشقه اصفرارا[6].

---

(١) ابن السبيل: المسافر الذي انقطع (فقد ماله ووسائل العودة إلى بلاده).

(٢) السماحة: الجود، الكرم. اللوم= اللؤم.

(٣) النوال: العطاء. العافي: طالب المعروف (العطاء)، المحتاج.

(٤) الصراخ بدعوة المظلوم: الاستنجاد، القول بأنهم مظلومون.

(٥) علويّ نسبة إلى علو (بضمّ فسكون): أعلى كلّ شيء. علويّ الجمال: ذو جمال فوق طور البشر (كجمال الملائكة، في خيال الناس). أراك جبينه بدراً (طلعة بيضاء مضيئة) ونارا (احمراراً يزيد البياض جمالاً؟).

(٦) أشار بسوسن (بخدّ يشبه السوسن: الزنبق الأبيض) يحكيه (يشبه السوسن أيضاً) عرفاً (رائحة طيّبة) (؟). ثمّ إنّ البياض في الخدّ، إذا خالطه شيء من الصفرة كان أكثر جمالاً. ولكنّ الصفرة الكثيرة في =

٤-** زاد المسافر ٤٩ - ٥١؛ الوافي بالوفيات ٨: ٦١؛ وفيات الأعيان ٧: ١٣٦ - ١٣٧؛ برنامج الرعيني ٢٠٤؛ الغصون اليانعة ٩٨ - ١٠٣؛ نفح الطيب ٢: ٥٠٢، ٣: ٢٠٩ - ٢١٠، ٢٣٨، ٤: ٨٧ - ٨٨؛ النبوغ المغربي ١٦٩، ٥٩٨ - ٥٩٩، ٦٨٠ - ٦٨١، ٨٥٤ - ٨٥٨، ٩٠٩، ٩١٠؛ الأدب المغربي؛ الأعلام للزركلي ١: ١٤٥ (١٥٠)؛ الأدب المغربي ١٩٣ - ١٩٨.

الجزوليّ النحويّ

هو أبو موسى عيسى بنُ عبدِ العزيز بن يَلَلْبَخْتَ بن عيسى بن يُوما ريليَ الجُزوليّ اليَزْدكْتَنيَ. وُلدَ نحوَ ٥٤٠ هـ (١١٤٥ - ١١٤٦ م).

رَحَلَ الجُزوليُّ هذا إلى المشرق وحَجَّ ثمّ نَزَلَ مِصْرَ فقرأ النحو على ابنِ بَرّيّ (ت ٥٨٢ هـ): قرأ عليه كتابَ «الجُمَل» للزجّاجي. وكذلك قرأ مذهبَ مالكٍ وأُصولَ الفِقه على الفقيه أبي منصورٍ ظافرِ بنِ الحُسين (ت ٥٩٧ هـ). وعاشَ في مِصْر فقيراً يعمَلُ ليعيشَ ولم يدخُلْ مدرسةً[١].

وعاد الجُزوليُّ إلى المَغْرب ونَزَلَ في المَرِيَّة (الأندلس) ونالَ حُظْوةً عند الموحِّدين. ثمّ إنّه انتقل إلى بِجايَةَ (في المغرب الأوسط) وأقامَ فيها مُدّةً للإقراء والتدريس، ثمّ انتقل إلى مَرّاكُشَ وتولّى الخَطابةَ في جامِعها.

وكانت وفاةُ الجُزوليّ النَّحْويّ في آزمورَ (وقيل في هَسْكورة)، قُرْبَ مدينةِ مَرّاكُشَ، سَنَةَ ٦٠٧ هـ (١٢١٠ - ١٢١١ م)، وقيل قُبيلَ ذلك أو بُعيدَ ذلك ولكنْ قبلَ سَنَةِ ٦١٠ هـ. واختار ابنُ قُنفُذٍ (كتاب الوفيات، ص ٦٠٧): سَنَةَ ٦١٦ هـ.

كان أبو موسى الجُزوليُّ مِزواراً (في البربريّة: مُقدَّماً في قومه)، وكان تَقيّاً فاضلاً، وقد عَيّنَه الموحّدون للكَشْف على القُضاة والوُلاة (مفتّشاً) ثِقَةً منهم بعَدالته

= الوجه (من المرض، مثلاً) عبب. ولون وجه العاشق يكتسب صفرة من العشق الذي يصبح في صاحبه مرضاً.

(١) المدرسة (في الإسلام): مؤسّسة تنشئها الدولة أو ينشئها الأفراد للتعليم، ولكنّ خاصّتها أن يكون المبيت فيها والطعام مجّاناً.

وأمانته ونَزاهته. وكان الجُزوليُّ إماماً في النحو، له «المُقدّمة» (وتُعْرَفُ أيضاً باسم الكَرّاسة والقانون والاعتماد)، ألّفها في مِصْرَ، وقد نُتِجَتْ له من الأسئلةِ التي كان هو يُلقيها على ابن بَرّي في أثناء قِراءة كتاب «الجُمَل» ومن الأسئلة التي كان يُلقيها غيرهُ من الطلّاب. و «المُقَدّمة» هذه شديدةُ الإيجاز مُجرّدةٌ من الأمثلةِ والشواهد. من أجل ذلك كانتْ غامضةً عسيرة الفَهْمِ فشَرَحَها جَماعةٌ، ولكنْ ظلّت قليلةَ الفائدةِ العملية. ومعَ ذلك فالناس كثيرو الاهتمام بها.

وللجُزوليّ أيضاً: أمالٍ (في النحو) - مُختصر الفَسْرِ لابنِ جِنّي (في شرح ديوان المتنبّي)* - شرح أصولِ ابن السرّاج - شرح بانتْ سُعادُ

- شرح قصيدة «بانت سعاد.....»

** انباه الرواة ٢: ٣٧٨ - ٣٨٠؛ الوافي بالوفيات ٥: ٦٣٣؛ التكملة ٦٩٠ (رقم ١٩٣٢)؛ وفيات الأعيان ٣: ٤٨٨ - ٤٩١؛ صلة الصلة ٥٣ - ٥٤ (رقم ٩٥)؛ ابن قنفذ ٣٠٧ - ٣٠٨؛ بغية الوعاة ٣٦٩ - ٣٧٠؛ شذرات الذهب ٥: ٢٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٢: ؛ بروكلمن ١: ٣٧٦، الملحق ١: ٥٤١ - ٥٤٢؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٨٨ (١٠٤)؛ النبوغ المغربي ١٥٢ - ١٥٣.

أبو جعفرٍ الحِمْيري المؤدّب

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمّدِ بن يحيى الحِمْيَريُّ الوزغي. وُلِدَ سَنَةَ ٥١٤ هـ (١١٢٠ - ١١٢١ م) من أهل قُرطُبَةَ؛ أدْرَكَ جماعةً من كِبارِ العُلماء في الأندلس فأخَذَ عنهمُ القُرآنَ والحديثَ والآداب. ثمّ إنّه جَلَسَ للتأديب والإقراء يقرأ على الطالبين ديوانَ الحماسة وديوانَ المتنبيّ من حفْظِه. وكانت وفاتُه في صَفَرَ من سَنَةِ ٦١٠ (صيف ١٢١٣ م).

٢ - كان أبو جعفرٍ الحِمْيَريُّ المؤدّبُ مُحبّاً للعلم واسع الروايةِ للأدبِ من شعرٍ ونثرٍ وأمثالٍ وما يَتَعَلّقُ بها من أخبار وأسبابٍ وأحوالٍ، حَسَنَ التحديث. وكان خطيب جامع قرطبة.

٣ - مختارات من آثاره:

- كان عبدُ الواحدِ المَرَّاكُشيُّ يدرُسُ على أبي جعفرِ الحِمْيريِّ، فأنشدَ المَراكُشيُّ شيئاً من شِعْرِهِ أمامَ أبي جعفرٍ - وكان عِصامُ بن أبي جعفرِ حاضراً - فالْتَفَتَ أبو جعفرٍ إلى ابنهِ وقالَ له:

هذا - واللهِ - الشعرُ، لا ما كنْتَ تُصَدِّعُني به طولَ نهارِكَ. إن كُنْتَ تقولُ مِثلَ هذا (الذي قالَه عبدُ الواحدِ المَراكُشي) وإلّا فاسْكُتْ.

فلمّا كانَ من الغَدِ قال (أبو جعفرٍ لعبدِ الواحد): أعَلِمْتَ ما صَنَعَ عصامٌ أمْس .... كان كما قالوا في المَثَل: «سَكَتَ ألْفاً... »، لم يَزَلْ أمْسِ يُعْمِلُ فِكْرتَهُ، فبَعْد الجُهْدِ الشديدِ أخذَ مَعْنى بَيْتَيْكَ فَسَلَبَهُ رُوحَه وأعدَمَهُ رَوْنَقَهُ ومَسَخَه جُمْلَةً فقال.... ما زاد فيهِ أكثرَ من المَجاز والحقيقة.

فقُلْتُ أنا (أي عبدُ الواحد): هذا، واللهِ، أحسَنُ من شِعري. فتَغَيّر لي وقال: يا بُنَيَّ، دَعْ عنك هذهِ العادةَ، فإنّ أسوأَ ما تَخَلّقَ به الإنسانُ المَلَقُ وتَزْيِينُ الباطل، سيّما إذا أضافَ إلى ذلك الحَلَفَ الكاذبَ. واللهِ، إنّك لَتَعْلَمُ أنَّ هذا ليسَ بشيء، وإلّا فقدِ اخْتَلَّ مَيْزُكَ وساءَ اختيارُكَ. وما أظُنُّ هذا هكذا.

- كان أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ يحيى يُحِبّ أنْ يتملّحَ في الشعر. قرأ عليه غُلامٌ اسمُه عيسى ثمّ آتّفقَ أنْ قرأ عليه غُلامٌ آخَرُ اسمُه مُحمّدٌ، فقال:

تَبَدَّلْتُ مِنْ عيسىٍ بحُبِّ محمّدِ: هُديتُ. ولولا اللهُ ما كُنتُ أهْتدي.
وما عَنْ مَلالٍ كانَ ذاك، وإنّما شريعةُ عيسى عُطِّلَتْ بمُحمّدِ.

٤ - ** المغرب ١: ٢١٥؛ المعجب ٢١٩ - ٢٢٣؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٠٩ (٢١٧).

ابن أبي البقاء البلنسي

١ - هو الأستاذُ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ محمّدِ بنِ سليمانَ البلنسيُّ المعروفُ بابن أبي البقاء من أهل سَرَقُسْطَةَ، تعلّمَ العربيةَ (النحو) ثمّ تصدّر للتعليم فيها. وكانت وفاته

سَنَةَ ٦١٠ (١٢١٣ - ١٢١٤ م).

٢- كان ابنُ أبي البقاء البلنسيُّ بارعاً في العربية وقد اعتنى بتَقْييدِ الآثارِ (الحديث!)، كما كان شاعراً مُجَوِّداً مُحسناً في الوصفِ والغَزَل والرثاء.

٣- مختارات من شعره:

- قال ابنُ أبي البقاء البلنسيُّ يَصِفُ السَّيْفَ:

وذي رَوْنَقٍ كالبرق، لكنَّ وَعْدَه صَدوقٌ.ووعْدُالبرقِكِذْبٌ،ورُبّما[١].
عَقدتُ نِجادَيْهِ لِحَلِّ تَمائمي، وقُلتُ لـه: كُنْ للمَكارم سُلَّما[٢]!
وساءَ الأعـادي إذ بَكَتْ شَفَراتُه، وسَرَّ وُلاةَ الوُدِّ حـين تَبَسَّما[٣].

- وقال في الغزل:

غـيرُ خافٍ عـلى بصيرِ الغرامِ أنَّ يومَ الفِراقِ يومُ حِمامِ[٤]:
عَبَراتٌ تَصُـــدُّ عن نَظَراتٍ، ونَشيـجٌ يَحُولُ دونَ الكـلامِ[٥]؛
ودِمـــاءٌ تُراقُ باسمِ دُموعٍ، ونُفوسٌ تُؤدى[٦] برسم سَلامِ.
شَرِبَـتْ بَعـدَكَ الليـالي حيـاتي غـيرَ أوْشالِ لَوْعَـتي وسَقامي[٧].

---

(١) الرونق: الحُسْن والجمال، و(في السيف) صفاؤه ولونه. وعده صدوق: إذا هزّ (بضمّ الهاء) ولمع قبل أن يضرب به حامله كان صدوقاً (قاتلاً، مصيباً). أمّا برق السماء فقد يلمع ولكن يكذب (لا يعقبه مطر). - . وربّما أعقبه مطر أحياناً.

(٢) النجاد: حمالة (بكسر الحاء) السيف. لحلّ (عند فكّ أو خلع) تمائمي (التميمة حرز يعلّق في عنق الصبيّ الصغير): منذ طفولتي تمرّنت على القتال بالسيف.

(٣) حينما يبكي حدّ سيفي (يسيل عليه الدم) يكون قد قتل به عدوّ لقومي. تبسّ السيف: لمع (وهو يهتزّ في يد المحارب). يسرّ به الولاة (الأصدقاء - لأنه سينصرهم على خصومهم).

(٤) بصير الغرام: العارف بأمور الحبّ. الحمام (بكسر الحاء): الموت.

(٥) عبرات (دموع) تصدّ (تمنع، تحول دون) نظرات (الرؤية). النشيج: البكاء بصوت خافت في الصدر.

(٦) كذا في الأصل. ولعلّها « تودي » بلا همز (تهلك).

(٧) الوشل (بفتح ففتح): بقية الماء في الحوض ونحوه.

-. وله مَرْثِيَةٌ منها:

قد عَلَّمَتْني الليالي أنّ ريقَتَها صابٌ، وإنْ قال قومٌ إنّها عَسَلُ[1].
إنّ الذي كانتِ الآمالُ مُشْرِقَةً به وعَيْشُ الأماني بردُها خَضِلُ[2]
أصاب صَرْفُ الليالي منه قُطْبَ حِجًى يا مَنْ رأى الشُّهْبَ قد أعْيَتْ بها السُّبُلُ[3]
وهَدَّ للحِلْمِ طَوْداً شامِخاً عَلَماً. يا لَلّيالِيَ تشكو صَرْفَها الحِيَلُ[4]!
وضاقَ وجهُ الدُّجى عن نور بَهْجَته، فكيف توسعها إشراقها الأُصُلُ[5]؟

٤ - ** الوافي بالوفيات ١: ٢١٥.

ابن خروف

١ - تُشير المصادرُ، في هذه الحِقبة، إلى آثنين بآسم « ابنِ خَروفٍ »: (أبي الحسنِ عليٍّ بن محمّدِ بن عليٍّ، ثمّ أبي الحسن عليِّ بن محمّدِ بن يوسُفَ). وكِلاهُما قال شعراً وألّف في النحو. وكِلاهما رَحَلَ إلى المشرق وحجّ وزارَ مِصْرَ وسكن حَلَبَ (في شَمالِيّ الشام: سورية) مدّة. ولكنّ هنالك خِلافاً يسيراً في تاريخ وَفاتَيْهما (بين ٦٠٥ و ٦٢٠ للهجرة وما بينَهما) وفي مكانِ موتهما وصورة موتهما - أحَدُهما مات في إشبيلية (الأندلس)، والآخَرُ مات في حَلَبَ، أو ماتَ في حَلَبَ مُتَرَدِّياً (ساقطاً) في بئرٍ.

---

(١) صاب: شجر مرّ.

(٢) بردها، في الأصل بفتح الباء: (ضدّ الحرّ)، ولعلّها بضمّ الباء: الثوب الجميل من الحرير. الخضل: المبتلّ (الليّن، الجديد).

(٣) القطب: المحور الذي تدور عليه الأرض، الطاحون الخ (الرجل الركن في قومه). الحجى: العقل. الشهاب: النجم. (مع أنّ للنجوم مداراً معروفاً معيّناً محدّداً، فإنّ النجوم أصبحت - بعد موت المرثيّ - لا تهتدي في سيرها). صرف الليالي: الخطب، المصيبة.

(٤) الحلم: سعة الصدر والأناة (التفكير بهدوء)، العقل. الطود: الجبل. الشامخ: العالي. العلم: المشهور الظاهر من مكان بعيد. الشطر الثاني ورد هكذا. ربّما الجبل (بالجيم) مكان « الحيل » (بالحاء والياء).

(٥) كان الليل الدامس لا يستطيع أن يحجب نور وجه فلان المرثيّ، فكيف أظلم الأصيل (ما بين العصر والمغرب: غروب الشمس) عند موته (أو دفنه)؟

وفي ترجمَتَيِ ٱبْنَيْ خَروفٍ هذين، في المصادر (معجم الأدباء - وفيات الأعيان - صلة الصلة - نفح الطيب وغيرها) تداخلٌ شديد. نبّه عليه إحسانُ عبّاس (وفيات الأعيان ٣: ٣٣٥ ثمّ في نفح الطيب ٢: ٦٤٠) في حاشِيَتَيْن على شيءٍ من التفصيل، ولكنّ تَيْنكَ الحاشيتين ٱكْتَفتا بالإشارة الدالّة الواضحة ولكنْ لم تَفْصلا في الأمر. ومن الغريب أن قصّةً واحدةً وأبياتَ شعرٍ واحدةً ورسالةً واحدةً تأتي كُلُّها مَنْسوبةً إلى الآسمين في وَفَيات الأعيان (٧: ٩٤ - ٩٥، من القسم المرقّم بالأرقام الهندية) وفي نفح الطيب (٢: ٦٤٠ - ٦٤٢).

والمفروض أنّ ابنَ خَروفٍ المترجم هنا هو نظامُ الدين أبو الحسن عليُّ بنُ محمّدِ بن عليٍّ الأندلسيُّ النَّحْويُّ (بغية الوعاة ٣٥٤) والذي هو ضياء الدين أو نظام الدين.... القَيْسيُّ القُرطبيُّ القبذاقي[1] الشاعرُ، عند المَقّري (نفح الطيب ٢: ٦٤٠ - ٦٤٢)، بدليلِ عددٍ من النماذجِ المنسوبة إليه بأعيانها في المَصْدرين. ولعلَّ شيئاً من التَداخُل قد وَقَعَ أيضاً في الترجمةِ المُثْبَتَةِ على هذه الصَفَحات. وكان مَوْلدُ ابن خَروفٍ هذا نحوَ سَنَةِ ٥٢٥ للهجرة (١١٣١ م).

تَخَرَّجَ ابنُ خروفٍ في النحوِ على أبي الحسن بن طاهر الأندلسي المعروفِ بالخِدَبّ[2]. وقد كانَ في أثناء ذلك كلّهِ رَجُلًا رقيقَ الحاشيةِ يَعْمَلُ خيّاطاً. ثمّ إنّه جَعَلَ يَتَعرّض بالمدحِ للأمراء والأعيان: مَدَحَ إدريسَ بنَ يوسفَ بنِ عبدِ المؤمن في سَبْتَةَ، ومدح الوزيرَ أبا سعيدِ بنَ جامعٍ في مَرّاكُشَ، ولكن يبدو أنّه لم يَنَلْ حُظوةً عند الممدوحين. ثم مَدَحَ أبا عبدِ اللهِ محمّدَ بنَ عَيّاشٍ - وكانَ كاتباً ليعقوبَ المنصور الموحّديّ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ولابنهِ الناصر (٥٩٥ - ٦١١ هـ) فلم يُسَرَّ منه قَطُّ فعزم

---

(١) القيذافي (نفح الطيب ٢: ٦٤٠). وفي الغصون اليانعة (ص ١٣٨): القيذاف حصن بين غرناطة وقرطبة وهو القبذاق (اعمال الأعلام ٣٣٤، السطر التابع، ٣٦٥، اسماء الأماكن؛ الاحاطة ٥٦٩).

(٢) الخدبّ (بكسر ففتح فتشديد) هو أبو بكر محمّد بن أحمد بن طاهر الأنصاري (ت ٥٨٠ هـ) مقرىء للقرآن وحافظ للحديث ونحويّ مشهور (راجع الوافي بالوفيات ٢: ١١٣ - ١١٤؛ بغية الوعاة ١٢). والخدبّ هو الرجل الطويل (بغية الوعاة ١٢). والخدبّ في تاج العروس (الكويت ٢: ٣٣٧): الشيخ العظيم الجافي الضخم.

على ترك المَغرب فرَحَلَ إلى مِصْرَ ثم إلى حَلَبَ وأقام فيها مُدّةً. ثم إنه عاد إلى الأندلس وتُوُفِّيَ في إشبيلية، سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) في الأغلب[١].

٢ - كان ابنُ خروفٍ نَحْوِيًّا مُحيطاً بعلوم العربية له مُصَنّفاتٌ بارعةٌ: شَرَحَ كتابَ سِيبويهِ شَرْحاً جَيّداً وشرح كتاب الجُمَل للزّجاجيّ. وهو شاعرٌ مُحْسِنٌ أيضاً في شعره لَفَتاتٌ قائمة على التأنُّقِ البلاغي.

٣ - مختارات من آثاره:

- كتبَ ابنُ خروفٍ النحويُّ إلى قاضي القُضاة مُحْيِي الدين بن الزكي يَسْتَقيله من مُشارَفَةِ مارِسْتانِ نورِ الدينِ، وكانَ بوّابُ المارستانِ يُسمّى السِيد (بكسر السين: الذئب):

مولايَ مولايَ، أجِرْني فَقَـــدْ | أصْبَحْتُ في دارِ الأسى والحُتوفْ[٢]:
وليس لي صـــبرٌ عـــلى مَنْزِلٍ | بوّابُـه السِيـد وجَـدّي خَروفْ!

- وكتب إلى القاضي بهاء الدين بن شَدّادٍ يطلُبُ منه فَروةَ خَروفٍ:

بَهـــاءَ الـــدينِ والدُنْيـــا | وبَحْرَ الحَمْـــــدِ والحَسَبِ[٣]،
طلبتُ مَخافَةَ الأنوا | ء من جَـدْواكَ جِلْـدَ أبي[٤].
وفَضْلُـــــــــــكَ عالِمٌ أنّي | خَروفٌ بـــــــــارِعُ الأدب:
حَلَبْـــــــــتُ الدهرَ أشْطُرَهُ؛ | وفي حَلَـــبِ صفـــا حَلَـــبي[٥]!

- وقال في نهر النيل وفيضانه:

---

(١) في الذيل والتكملة (٥: ٣٩٩): توفي بحلب متردياً في بئر في «نحو» العشرين وستمائة.
(٢) الأسى: الحزن. الحتف: الهلاك.
(٣) الحسب: الأصل الكريم، الفعل الكريم.
(٤) النوء: حال الجوّ (وتطلق في كلام الناس عادة على هبوب الريح وزيادة البرد).
(٥) حلب أشطر الدهر (كان ذا اختبار واسع). وكان ابن خروف قد أقام في حلب (مدينة في شماليّ الشام: سورية) مدّة.

مـا أعجبَ النيلَ، ما أحْلى شَمائِلَه   في ضِفَّتَيـهِ من الأشجـار أدْواحُ[1].
مِنْ جَنَّةِ الخُلْد فَيّاضٌ على تُرَعٍ   تَهُبُّ فيها هُبوبَ الريح أرواح[2].
ليستْ زِيادَتُه ماءً، كما زَعموا؛   وإنّما هِيَ أرزاق وأرواح[3].

- وقال في صَبيٍّ مليحٍ حبسه القاضي (لأنّه سرق مالاً):

أقاضي المسلمينَ، حكمتَ حُكماً   أتـى وجهُ الزمانِ به عَبوسا:
حَبَسْتَ عـلى الدراهمِ ذا جَمالٍ،   ولم تَحْبِسْهُ إذ سَلَـبَ النُفوسا!

- وكان ابن خَروفٍ يُكْثِرُ من هجاء نَجْمِ الدين بنِ اللّهيبِ؛ من ذلك قولُه:

لابن اللّهيـــبِ مَذْهَـــبٌ   في كـلّ غَيٍّ قـدْ ذَهَـبْ[4]؛
يَتْلو لِمَنْ يُبْصِرُه: «تَبَّـتْ يَـدا أبي لَهَـبْ!»[5].

- وقال أبياتاً فيها شيء من الغزل الصريح:

ومُنَوَّعِ الحركـاتِ يلعبُ بالنُهى   لَبِسَ المحاسنَ عند خَلْعِ لباسهِ[6].
مُتـأوِّدٌ كالغُصْنِ بـين رياضِـهِ،   مُتلفِّتٌ كالظَّبْيِ عِنْدَ كِناسهِ[7].
بالعقلِ يلعبُ مُقْبِلاً أو مُدبراً،   كالدهرِ يلعبُ كيف شاء بناسهِ!

- ولابنِ خَروفٍ رسالةٌ (وفيات الأعيا ٧: ٩٤ - ٩٥؛ نفح الطيب ٢: ٦٤١ - ٦٤٢) يقولُ فيها بعد الأبيات «بهاء الدينِ والدنيا» (راجع فوق في المختارات):

---

(١) الشمائل: الصفات الحميدة. الأدواح جمع دوح.
(٢) أرواح (هنا) جمع روح (بالفتح): رحمة.
(٣) أرواح جمع روح (بالضمّ): نفس (بفتح فسكون)، حياة.
(٤) الغيّ: الضلال.
(٥) «تبّت يدا أبي لهب» تضمين من القرآن الكريم (١١١ : ١). أبو لهب هو عبد العزّى بن عبد المطّلب (عمّ الرسول) وكان يؤذي الرسول. (التضمين كناية عن العذاب: من رأى ابن اللهيب فكأنّه (لقبح ابن اللهيب وجفائه) يعاني عذاب جهنّم.
(٦) النهى: العقل.
(٧) متأوّد: متمايل. الكناس: المكان الذي يأوي إليه الظبي (الغزال).

ذو الحَسَبِ الباهر والنسب الزاهر[1] يسحَبُ ذُيولَ سِيراءِ السَّرّاء[2] ويُحِبُّ النُّحاة من أجل الفَرّاء[3]، ويَمُنُّ[4] على الخَروفِ النبيهِ بجِلْدِ أبيه: قاني الصباغ قريبَ عهدٍ بالدِباغ[5]، ما ضلَّ طالبُ قَرَظِهِ ولا ضاعَ، بل ذاعَ ثناءُ صانِعه وضاع[6]. أثيثُ خمائلِ الصوف، يهزأُ من الرياح بكلِّ هَوْجاءَ عَصوفٍ[7]. إذا طَهَّرَ إهابه يخافه البَرْدُ ويَهابه[8]. ما في الثياب له ضريبٌ إذا نَزَلَ الجَليدُ والضريبُ[9]، ولا في اللباس له نظيرٌ إذا عَرِيَ من وَرَقِه الغُصنُ النَّضير؛ لا كَطَيْلَسانِ ابنِ حَرْبٍ[10]، ولا جِلدِ عمرٍو الممزّقِ بالضَّرْبِ[11]...

٤ - ** زاد المسافر ٦٢ - ٦٤؛ المغرب ١: ١٣٦ - ١٣٩؛ الغصون اليانعة ١٣٨ - ١٤٤؛ معجم الأدباء ١٥: ٧٥ - ١٧٦؛ برنامج الرعيني ٨١ - ٨٢؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٣٥؛ فوات الوفيات ٢: ١٠٠ - ١٠١؛ التكملة، رقم ١٨٨٤؛ الذيل والتكملة ٥: ٣١٩ - ٣٢٣؛ صلة الصلة ١١٤ - ١١٥ (رقم ٢٣٢)، راجع ١٢٢ - ١٢٣ (رقم ٢٤٥)؛ وفيات ابن قنفذ ٣٠٤؛ بغية الوعاة ٣٥٤؛ نفح الطيب، راجع ٢:

---

(١) الحسب: العمل الحميد. الزاهر: اللامع، (المشهور).

(٢) يسحب ذيول (طويل يحسن أن يسير لابسه متبختراً مفتخراً). السيراء: ثوب حرير فيه خيوط صفر. السرّاء: النعمة والمسّرة (؟).

(٣) الفرّاء هو يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ) إمام علماء النحو الكوفيّين وأكثرهم معرفة بالنحو.

(٤) منّ عليه: أنعم عليه وأكرمه بعطاء جزيل (كثير، ثمين) بلا مقابل.

(٥) قان: دم (أحمر). قريب عهد بالصباغ (جديد).

(٦) القرظ: شجر عظام يؤخذ منها مادّة يصبغ بها. القارظ: الذي يجمع القرظ. ضاع (الأولى): ضلّ طريقه، فُقد (بالبناء للمجهول)، هلك. وفي المثل: حتّى يؤوب (يرجع) القارظان (كناية عن الذي يذهب في طلب شيء ثمّ تضيع آثاره) - . ضاع (الثانية): انتشر (اشتهر).

(٧) الأثيث: الكثيف. الخميلة: الشجر الكثير الملتفّ (هو يريد هذا الجلد كثير الصوف).

(٨) الإهاب: الجلد. هاب: خاف. طَهَّرَ (كذا: مشكولة - وفيات الأعيان ٧: ٩٥) وطهر (بلا شكل - نفح الطيب ٢: ٦٤١). ولعلها ظهر: انكشف (للبرد).

(٩) ضريب (الأولى): نظير، شبيه، مثيل. ضريب (الثانية): الصقيع (الجليد المتجمّد على الأرض) كناية عن شدّة البرد.

(١٠) إشارة إلى قول ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ): «يا ابن حرب، كسوتني طيلساناً»، وكان هذا الطيلسان (ثوب سابغ من الحرير) قديماً متهرّئاً.

(١١) إشارة إلى المثل المألوف في الكتب القديمة في النحو (على الفاعل والمفعول به): ضرب زيدٌ عمراً.

١٦٦، ٦٤٠ – ٦٤٢، ٣: ١٨٤، ٢٠٤، ٤٦٣، ٤: ٨٩؛ بروكلمن ٣: ٦٢٠، يشار إلى أن اسمه يرد في ١: ١٠٢ و١١٠ من الطبعة الأولى (أي ١٠٠ – ١٠١ و١٠٠ – ١١١ من الطبعة الثانية، ولكن لم أعثر على اسمه في هذه الصفحات)؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٥٠ – ١٥١ (٤: ٣٢٠).

أبو محمّد بن الحسن القرطبي

١ – هو أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ عبدِ الله الأنصاريُّ المالقيُّ القرطبيُّ أصلُ أهلِهِ من قُرطبةَ، وأبوه هو الذي انتقلَ منها إلى مالَقَةَ.

وُلِدَ أبو محمّدِ بنِ الحَسَنِ القرطبيُّ في مالَقَةَ في ٢١ من ذي القَعْدةِ من سَنَةِ ٥٥٦ (١١٦١/١١/١١ م). دَرَسَ في مالَقَةَ على أبيهِ وعلى نَفَرٍ، منهم أبو زيد السُهيليّ والقاسمُ بنُ دحمانَ وأبو عبدِ اللهِ بنُ الفَخّار وأبو إسحاقَ بنُ قرقولٍ؛ ثمّ تصدّرَ للتدريسِ قبلَ أن يُجاوزَ العشرين. وتجوّلَ في الأندلُسِ لِلقاءِ المشايخِ وزارَ إشبيليةَ فلقِيَ أبا بكرِ بنِ الجَدِّ وأبا بكرِ بنِ صافٍ وجعفرَ بنَ مَضاءٍ، كما زارَ غَرناطةَ ومُرسية ورَحَلَ إلى سَبْتَةَ. وخَطَبَ مُدّةً بجامعِ مالَقَةَ ثمّ قُطِعَ عن الخُطْبة. وقد كان له، في جامعِ مالَقةَ الأعظمِ، مَجلِسٌ عامٌّ للحديثِ غيرُ مَجلِسِ تدريسِهِ. وكانت وفاتُه في سابعِ ربيعِ الثاني من سَنَةِ ٦١١ (١٢١٤/٨/١٦ م).

٢ – كان أبو محمّدِ بن الحسنِ القرطبيُّ صَدْراً في المُقرئين في زَمَنِهِ، وقد غَلَبَ عليه علم الحديث. وكان أديباً ناثراً ناظماً. وشعرُه صحيحٌ ولكنّه قليلُ الطَّلاوة. غيرَ أنّ أهمَّ ما له في النَظْمِ أبياتٌ جَعَلَها موازينَ للشعر نَظَمَها في بحور الشعر وأدْخَلَ في أوّل العَجْزِ من كلّ بيتٍ اسمَ البحر الذي نَظَمَ ذلك البيتَ عليه (كي يحفَظَ هذه الأبياتَ من لا يستطيعُ معرفةَ بحور الشعر من تِلقاءِ نفسِه، فيستعينَ بهذه الأبياتِ على الاستدلال على ما يُريد من بُحور القصائد). وكان لَه مُصنّفاتٌ منها: مجموعٌ في قِراءةِ نافعٍ – تلخيص أسانيد المُوطأ – مختصر في علم العَروض.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو محمّد بن الحسن القرطبي في التجنيس:

لَعَمْرُكَ، ما الدنيا بسُرعةِ سَيْرِها   بسُكّانِها إلّا طريقُ مَجازِ[١].
حَقيقتُها أنّ المُقامَ بغيرِها،   ولكنّهم قد أُولِعوا بمَجازِ[٢]!

** سَهِرَتْ أعيُنٌ ونامتْ عيونُ   في أمورٍ تكونُ أو لا تكونُ.
فاطْرُدِ الهَمَّ ما استَطَعْتَ عَنِ النـ   ـنَفْس، فحِمْلانُك الهُمومَ جُنونُ.
إنّ ربًّا كَفاك بالأمسِ ما كا   نَ سيَكْفيكَ في غَدٍ ما يكون.

** وهل نافعي أنْ أخطأ الشَّيْبُ مَفْرِقي   وقَدْ شاب أترابي وشابَ لداتي[٣].
لَئِنْ كان خَطْبُ الشيب يُوجَدُ عَيْنُه   بتِرْبي فمَعْناه يقومُ بذاتي[٤].

- وله من الأبياتِ التي جَعَلَها موازينَ للشعر:

** قَدُمْ دائِباً تُسني وتُدني أمانياً   (طويلَ) الأيادي ما تُسامى مَعاليكا.
** نَبا نَبَأٌ أشادَ به رسولٌ   (بوافر) نعْمةِ شَمِلَ الجَميعا.
** أخي راعى أماديحي   و (تهزيجي) وراعاكا.

٤ - ** برنامج الرعيني ١٤١؛ الذيل والتكملة ٤: ١٩١ - ٢١٧ (رقم ٣٦٣)؛ بغية الوعاة ٢٨٠؛ نفح الطيب ٣: ٢٢٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٠٧ (٧٨).

عبد البر بن فرسان

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ البَرِّ بنُ فَرْسان بن إبراهيم بن عبدِ الرحمن الغَسّاني من أهل

---

(١) المجاز: العبور، المرور من جانب إلى جانب (في الطريق. في النهر، في البحر، الخ).
(٢) المقام (الدائم) بغيرها (في الآخرة). المجاز: ضدّ الحقيقة.
(٣) الترب (بكسر التاء) واللدة (بكسر اللام وفتح الدال): من ولد معك في وقت واحد.
(٤) إذا كان خطب الشيب (الضعف والدنوّ من الموت) بوجد عينه (أي ظاهره: اللون الأبيض) فمعناه (ففعله) يقوم بذاتي (أشعرأنا به في نفسي).

وادي آشَ، لعلّ مَوْلدَه كان نحو ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م). اتّصل بعَليٍّ بنِ إسحاقَ بن غانيَةَ الثائر على الموحِّدين في الجزائر الشرقية وشَرقيِّ الأندلُس. وقد أرْسَلَهُ عليٌّ سَفيراً له في بعض الأمورِ إلى بغدادَ لأنّ عليًّا كان يريدُ الاستعانةَ بالعبّاسيّين على المُوحِّدين لتَثْبيتِ حُكمهِ هو. ولمّا ماتَ عليٌّ (٥٨٥ هـ ١١٦٠ م) خَلَفَهُ أخوه يَحْيى فأسْنَدَ جميعَ أموره إلى عبدِ البَرّ بن فرسان.

وفي سَنَةِ ٥٩٩ خَسِرَ يحيى سُلطته على جزيرةِ مَيورقةَ فَنَقَلَ نشاطَه إلى إفريقيَةَ واستولى على كثيرٍ من بلادِها (فيما يُعْرَفُ اليومَ بالجزائر خاصّة)، وذلك سَنَةَ ٦٠١. وقدِ انتقلَ عبدُ البَرّ بنُ فرسان إلى إفريقية واستمرّ في تَوَلّي الكِتابَة ليحيى بن اسحاق.

وكان عبدُ البَرّ من الرجالِ الأقوياء الشجعان والبارعين في أمور الحرب، فكان يخوض المعارك مع يحيى. ثمّ لمّا تقدّمت به السنّ كثيراً ملّ ذلك. وكانت وفاته سنة ٦١١ هـ (١٢١٤ م) وقد عُمِّر طويلا.

٢ - كان عبدُ البرّ بنُ فَرسان من جلّةِ الأدباء وفحول الشُعراء ومن الكُتّاب البارعين. وَهُوَ متينُ الأُسلوب عالي النَفَس في نثرِه وشعره، إلاّ أنّه في نثره أمْيَلُ إلى التكلّف. وفي شعرِه وصفٌ وفخر وعِتاب.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال عبدُ البَرِّ بنُ فَرسان الغسّانيّ بعدَ معركةٍ انتصرَ فيها مَخْدومُه:

ولَمّا تلاقَيْنا مَعَ القوم الذين دعاهُمْ شيطانُ الفِتنة إلى أن يسجدوا للشِفار ويَحْمِلَهم سَيْلُ المِحنةِ إلى دارِ البوار[1]، أقْبَلْنا إقبالَ «الريح العَقيمِ ما تَذَرُ من شيءٍ أتتْ عليه إلاّ جعَلَتْهُ كالرميم»[2]. فانجَلَتِ الحربُ عن تمزيق الأعداء كلَّ مُمَزَّقٍ،

(١) الشفار جمع شفرة: نصل السيف والسكّين، الخ. المحنة: الابتلاء، البليّة، المصيبة. دار البوار (الهلاك): جهنّم.

(٢) الريح العقيم: الحارة التي تقضي على أسباب الحياة. تذر: تترك، تبقي. الرميم: الهالك، المتهرّىء. في =

وأبصرناهم كَصَرْعى السُكارى من مُدام السيوف. وخَفَقَتْ بنودُنا. وسَعْيُهُمْ أخْفَق.

- ولمّا طَعَنَ في السِنّ وضَعُفَ عن مُتابعة القِتال أرادَ اعتزالَ الحياةِ السياسية والذَهابَ إلى الحَجّ فكَتَبَ إلى يحيى بنِ إسحاق بن غانية:

امْنُنْ بتسريـــحٍ عــــليَّ فَعَلَّــهُ ... سببُ الزيارةِ للحطيمِ ويَثْرِبِ(١).
ولَئِنْ تَقوّلَ كاشحٌ أنَّ الهوى ... دَرَسَتْ معالمُهُ وأنكَر مذهبي(٢)،
فمقالــتي: مــا إن مَلِلْتُ، وإنّما ... عُمري أبى حملَ النجاد بِمَنْكبي(٣)،
وعَجَزْتُ عن أن أسْتَثيرَ كَمينَها ... وأشُقَّ بالصَمصام صدرَ المَوْكِبِ(٤)!

- وسمع طائراً (حمامة) تسجَعُ على غُصْنٍ فقال:

نَدًى مُخْضِلًا ذاك الجَناح المُنَمْنَما ... وسَقْياً وإنْ لم تَشْكُ، يا ساجعاً، ظَما(٥)!
أعِدْهُنّ ألحاناً على سمع مُعْربٍ ... يُطارحُ مُرتاحاً على القُضْبِ مُعْجِما(٦).
وطِرْ غيرَ مقصوصِ الجَناح مُرَفَّهاً ... مُسَوَّغَ أشتــاتِ الحُبوب مُنَعَّما(٧)،
مُخَلّـى وأفراخاً بوكْرِكَ نُوَّماً، ... ألا ليتَ أفراخي مَعي كُنَّ نُوَّما(٨)!

- في القطعة التالية أسلوبٌ طبيعيّ لعبدِ البَرّ بنِ فَرسان مختلفٌ مِنْ أسلوبه المُنمّق. جاء في نفح الطيب (٢: ٦١٣ - ٦١٤):

= القرآن الكريم (٥١: ٤١ - ٤٢، الذاريات): «وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلّا جعلته كالرميم».

(١) الحطيم (في مكّة)، أي الحج. يثرب: المدينة.

(٢) تقوّل: قال قولاً كاذباً. الكاشح: المبغض.

(٣) النجاد: سير من جلد يحمل به السيف. المنكب: الكتف.

(٤) الكمين: العدوّ المتربّص في مكان مغطّى.

(٥) ندى مخضلا (بالنصب) أسأل الله لك ندى (بلل الليل - كناية عن النوم الهادىء الآمن) أخضل: بلّ. الساجع: المترنّم (حمامة). الظمأ: العطش.

(٦) المعرب (العربي: المبيّن في كلامه): الإنسان. يطارح: يبادل. مرتاح: مسرور. المعجم (العجمي: الذي لا يبين في كلامه): طائر، حيوان.

(٧) مرفّه: عائش في رفاهية وخصب. مسوّغ: معطى، مرزوقاً.

(٨) مخلّى: متروكاً في أمن.

- تشاجرَ له (لعبدِ البَرِّ بنِ فَرْسان) ولدٌ صغيرٌ مَعَ تِرْبٍ له من أولادِ أميرِه أبي زكريّا (يحيى بن اسحاق). فنالَ منه ولدُ الأمير وقال: «وما قَدْرُ أبيك؟» فلمّا بَلَغَ ذلك أباه (أي عبدَ البرّ بنَ فَرسان) خَرَجَ مُغْضَباً[1] لحِينِهِ ولَقِيَ ولدَ الأمير المُخاطِبَ لولدِهِ وقال: «حَفِظَكَ اللهُ تعالى. لَسْتُ أَشُكُّ في أنّي خَدِيمُ[2] أبيك، ولكنّي أُحِبُّ أن أُعَرِّفَكَ بنفسي ومِقْداري و (بـ) ـمِقْدارِ أبيك. اعْلَمْ أنّ أباك وَجّهني رسولاً إلى دارِ الخِلافة ببَغْداد بكتابٍ عن نفسِه. فلمّا بَلَغْتُ بَغْدادَ أُنْزِلْتُ في دارٍ اكْتُرِيَتْ لي بسبعةِ دراهمَ في الشهر، وأُجْرِيَ عليّ سبعةُ دراهمَ في اليوم. وطُولِعَ بكِتابي، وقيل: مَنِ المَيُرْقِيُّ الذي وَجَّهَهُ[3]؟ فقال بعضُ الحاضرين: هو رَجُلٌ مَغْرِبِيٌّ ثائرٌ على أُستاذه. فأقَمْتُ شهراً، ثمّ اسْتُدْعِيتُ. فلمّا دخلتُ دارَ الخِلافة وتكلّمتُ مَعَ مَنْ بها مِنَ الفُضلاء وأربابِ المعارفِ والآدابِ اعتذروا إليّ وقالوا للخليفة: هذا رجلٌ جُهِلَ مِقدارُه. فأُعِدتُ إلى مَحَلٍّ اكْتُرِيَ لي بسبعينَ دِرهماً، وأُجْرِيَ عليّ مِثلُها في اليوم. ثمّ اسْتُدْعِيتُ فودّعتُ الخليفةَ واقْتَضَيْتُ ما تَيسّرَ[4] من حوائجِهِ وصَدَرَ لي شيءٌ له حظٌّ من صِلَتِه[5]. وَانْصرفتُ إلى أبيك. فالمُعاملةُ الأولى كانت على قَدْرِ أبيك عندَ مَنْ يَعْرِفُ الأقدارَ. والثانيةُ كانت على قَدْري!».

٤ - ★★ المغرب ٢: ١٤٢ - ١٤٣؛ المقتضب من تحفة القادم ١١٥؛ نفح الطيب ٢: ٦١١ - ٦١٤، ٣: ٤٩٩، ٥٦٣؛ الأعلام للزركلي ٤: ٤٧ (٣: ٢٧٣).

ابن حوط الله الحارثي

هو أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ سُليمانَ بنِ داوودَ بنِ عبدِ الرحمن بنِ سُليمانَ بنِ عُمَرَ بنِ

(١) المغضب (بضمّ فسكون ففتح): الذي أغضبه من آخرين مجانبة الحقّ فغضب للاعتداء على حقوق الله (لا لنفسه ولا لشيء ماديّ).
(٢) الخديم (ليست في القاموس): الخادم.
(٣) يحيى بن اسحاق بن محمّد بن عليّ المسوفي المعروف بابن غانية (ت ٦٣٣ هـ) كان لأسرته الحكم على جزيرة ميورقة.
(٤) اقتضيت ما تيسّر (نَفّذْتُ ما قدرت عليه ممّا طُلب منّي؟).
(٥) صدر لي (أمر الأمير لي) شيء (بشيء؟). حظ: نصيب. صلته: عطائه.

حَوْطِ[1] الله الحارثيّ الأنصاريّ الأُنْدِيّ الأندلسيّ، وُلِدَ في أُنْدَةَ (قُربَ بَلَنْسِيَةَ)، في رَجَبَ من سَنَةِ ٥٤٩ (مطلع الخريف من عام ١١٥٤ م).

إنّ الحياة لم تَمنحْ أبا محمّدِ بنَ حَوْطِ آستقراراً، فقد قضى حياتَه في التَّطْوافِ في الأندلس وفي المَغرب - وكان في أثناء ذلك يسمَعُ من العُلَماء - سَمِعَ من أبي جعفرٍ أحمدَ بن عبدِ الملكِ بن عُمَيْرَةَ[2] الضَبّيّ (نحو ٤٨٠ - ٥٧٧ هـ) وغيره. ثمّ إنّه وَليَ القضاء في إشْبيليَةَ وقُرطُبةَ ومُرْسِيَةَ وجزيرةِ مَيورقَةَ (في الأندلس) وفي سَلا وسَبْتَةَ (المغرب) وكان - في أثناء ذلك كلِّهِ يتصدّرُ للتدريس، فقد كان يُدرِّسُ الحديثَ (في المغرب)، سَنَةَ ٥٩٧ للهجرة (نفح الطيب ٣ : ٩٨)، كما كان يدرّسُ المُوطّأ (نفح الطيب ٢ : ٦٠٤).

وكانتْ وفاةُ ابن حَوْط الله في غَرْناطةَ، في ثاني ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٦١٢ (١٢١٥/٧/١ م).

كان ابنُ حوطِ اللهِ الحارثيُّ حافظاً للحديث عارفاً بالفِقه والأُصول (على مذهب أهل الظاهر)، ونَحْويًّا وأديباً كاتباً وشاعراً. وكانتْ له تصانيفُ ضاعتْ في أثناء أسفاره المُضْطَرِبة. فمن تصانيفه هذه كتابُ تَسْمِيَةِ شيوخِ البُخاريّ ومُسْلِمٍ وأبي داوودَ والنَّسائيّ والتِرْمذيّ[3] (ولم يُتِمَّه).

-★★ التكملة ٥٠٦؛ بغية الوعة ٢٨٣؛ شذرات الذهب ٥: ٥٠؛ نفح الطيب ٤: ٣٣٤ - ٣٣٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٢٤ (٩١)؛ بالنثيا ٣٩٩ - ٤٠٠، راجع ٢٣٨.

---

(١) أصله حوطَلّه، مصغر حوت (بضمّ الحاء: سمكة) مؤنّث على لغة شرقيّ الأندلس، فإنّهم يفتحون أوّل الكلمة من نحو الحوت والسود (وهما في الأصل بالضمّ) وينطقون بالتاء طاء ثمّ يلحقون آخر المصغّر لاما مشدّدة مفتوحة في المؤنث مضمومة في المذكر وهاء ساكنة، فيقولون: حوطَلّة وحوطِلّه. ويأبي هذا كتابة الأفاضل إيّاه سلفاً عن خلف (كذا في بغية الوعاة ٢٨٣). وهذه اللام المشدّدة في آخر الاسم هي علامة التصغير في اللغة الاسبانية.

(٢) نفح الطيب ٢ : ٦٠١.

(٣) هؤلاء من كبار المؤلّفين في الحديث لهم مجاميع معتمدة: صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داوود وسنن النسائي والجامع الصحيح للترمذي.

ابن جبير

١ - هو أبو الحسين محمدُ بنُ أحمدَ بن جُبير بن سعيدِ بن جُبير بن محمّد بن عبدِ السلام الكِنانيُّ دخل جدّه عبدُ السلام إلى الأندلس في وِلاية بَلْجِ بنِ بِشْرِ القُشيريّ، سنة ١٢٣ هـ ونزَل في شَذونة. ثمّ إنّ أهلَه انتقلوا فيما بعدُ إلى شاطِبَةَ ثمّ سكنوا بَلَنسِيَة.

وُلِدَ ابن جُبيرٍ في العاشر من ربيع الأول من سَنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥/٩/١ م) في مدينةِ بلنسيةَ ودرس الحديثَ والفِقهَ على أبيه وتلقّى علومَ الأدب والشعر في شاطبة. ومن شيوخهِ، غيرَ والده: أبو عبد الله الأصيليُّ، وأبو الحسن عليُّ بن محمّدِ بنِ أبي العيش (ت ٥٦٠ هـ)؛ وقد سَمِعَ في دِمَشْقَ من أبي الطاهر بركاتِ بنِ إبراهيمَ الخشوعيّ (ت ٥٩٨ هـ)، ومن فقيهِ الشامِ قاضي القضاة أبي محمّد بن أبي عَصْرونَ المَوْصِليّ (٤٩٢ - ٥٨٥ هـ) والحافظ أبي محمّدِ القاسمِ بن عساكرَ (ت ٦٠٠ هـ).

وكان ابن جُبير قد سَكَنَ غَرْناطة وكَتَبَ فيها لواليها السيدِ أبي سعيدِ بن عبدِ المؤمن الموحّدي.

وَرَحَلَ ابنُ جُبيرٍ إلى المشرق مرّتين أو ثلاثاً: بدأ رحلَتَه الأولى في الثامن من شوّالٍ من سَنة ٥٧٨ (١١٨٣/٢/٣ م) من جَزيرة طريفٍ إلى سبتةَ فالمدينةِ فمكّةَ ثمّ زارَ العراقَ والشام. بعدئذٍ أبحر من عكّاءَ إلى جزيرةِ صِقِلّيَةَ فإلى قَرْطاجَنّةِ الخُلفاء من الساحل الجَنوبيّ الشرقيّ من الأندلس (جَنوبَ مُرْسِيَة) وحلّ في غَرْناطة في أوائلِ ٥٨١ هـ (نَيْسان - أبريل ١١٨٥). ثمّ إنّه عاد إلى المَشْرق في مَطْلَع سنة ٥٨٥ هـ (أوائل آذار - مارس ١١٨٩ م) وحَضَر استردادَ القدسِ من الإفرنجِ الصليبيّين على يَدِ صلاحِ الدين الأيّوبي (٢٧ رجب من سنة ٥٨٣). ويبدو أنّه رَحَل رِحْلة ثالثة بقصدِ الحجّ، سنة ٦١٣ هـ فتُوُفّيَ في أثناء رُجوعه، في الأسكندرية، في التاسعِ من شَعبانَ ٦١٤ (١٢١٧/١١/١٣ م) في الأغلب.

٢ - بَرَعَ ابنُ جُبيرٍ في صِناعة القَريض والكِتابة، وكان شاعراً مُكْثِراً، على شعرِه نَفْحةٌ من زُهْدٍ وتصوّفٍ، وكان له أيضاً مَدْحٌ في صلاحِ الدين الأيّوبي. على أن شُهْرته

إنّما هِيَ في رِحْلته المعروفة برحلة ابن جبير. وأسلوبُه في رحلته نثرٌ رصينٌ جَزْلُ الألفاظِ سَهْلُ التركيب بارعُ السبكِ مُوجَزٌ بليغٌ يَصْدُرُ عن شعورٍ بما يرى ويتأثّر به، والجانبُ القَصَصيّ في رِحلته بارعٌ جدًّا كما أن أوصافَه طريفةٌ ناطقةٌ بما تُعَبِّرُ عنه.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابنُ جبيرٍ في النسيب:

طولُ اغـــترابٍ وبَرْحُ شوقٍ، لا صــبرَ- والله- لي عليْــهِ[١].
إليـــك أشكو الـــذي أُلاقي يــا خــيرَ من يُشتكَى إليْـهِ[٢].
ولِي بغَرناطـــــةٍ حبيــــبٌ قــد غَلِـقَ الرهنُ في يَدَيْـهِ[٣].

- لَمّا كان ابن جُبيرٍ في بَغدادَ اتّفق له أن قَطَعَ غُصْناً نضيراً من أحدِ بساتينها فذَوَى الغصنُ (جَفَّ ويَبِسَ) في يدِه وشيكاً، فقال يُوازِنُ بينَ الغصنِ المقطوع من شجرتهِ وبين المُغْتَرب عن وطنهِ:

لا تَغْتَرِبْ عن وطنٍ واذْكُرْ تصاريفَ النَّوى[٤]؛
أمـــا تَرى الغُصْنَ إذا مـا فارقَ الأصلَ ذَوى!

- وقال في تذكّر الأوطان:

غريــــبٌ تذكّرَ أوطانَـــــه فهَيَّــج بالذِكْرِ أشجانَـــهُ[٥]؛
يَحُـــــلُّ عُرى صَبْرِهِ بالأسى ويَعْقِــدُ بالنجمِ أجْفانَـــه[٦]!

---

(١) البرح: العذاب.
(٢) يا خير من يُشتكى إليه (الله).
(٣) غلق الرهن: ضاع (إذا لم يستطع أن يؤدّي الراهن دينه إلى الدائن في مقابل شيء مرتهن، سقط حقّ الراهن في الشيء المرتهن).
(٤) التصاريف: تقلّب الأحوال وسيرها. النوى: البعاد.
(٥) الأشجان جمع شجن (بفتح ففتح): الحزن.
(٦) العرى جمع عروة (بضمّ العين): ما تمسك به الدلو (والعروة أخت الزر تمسك مع الزر جانبين من الثوب). الأسى: الحزن. يعقد بالنجم أجفانه: يديم التطلّع إلى النجم (يديم السهر، لا ينام).

- وقال في تنزيه نفسهِ ولسانهِ عن العَوْراء (الكلمة القبيحة):

تَنَزَّهْ عنِ العوراءِ مهما سَمِعْتَهـا   صِيانَـةَ نفسٍ، فَهْوَ بالحُرِّ أشْبَهُ[1].
إذا أنـتَ جاوبتَ السفيهَ مُشاتِماً؛   فمَنْ يَتَلَقَّى الشتمَ بالشتمِ أسْفَهُ!

- وقال في طبائع الناس:

النـاسُ مِثْلُ ظُروفٍ حَشْوُها صَبِرٌ،   وفوقَ أفواهِها شيءٌ من العَسَلِ[2].
تَغُرُّ ذائِقَهـا حتّـى إذا كُشِفَتْ   له تَبَيَّنَ ما تَحْويهِ من دَخَلِ[3].

- وابن جبير مُغْرَمٌ بالبديعِ في شِعره وخصوصاً في لزوم ما لا يلزمُ (في القافية)، من ذلك قوله:

إذا بَلَـغَ العبـدُ أرضَ الحِجـاز   فقـد نـالَ أفضـلَ ما أمَّلَهْ[4].
فـإنْ زارَ قـبرَ نَبيٍّ الهُـدى   فقـد أكْمَـلَ اللهُ مـا أمَّلَـه!

- ومن شعرِ ابن جبيرٍ ذي النَفْحة الدينيةِ يَتَشَوَّقُ فيه إلى مناسِكِ الحجِّ في الحجاز:

يـا وفودَ اللهِ، فُزْتُمْ بالمُنـى؛   فهَنيئـاً لَكُمْ، أهـلَ مِنـى[5]!
قـدْ عَرَفْنـا عَرَفـاتٍ بعـدَكم،   فلهـذا بَرَحَ الشَّوْقُ بنـا[6].
نَحْنُ في الغَرْبِ، ويَجْري ذِكْرُكم   بغُروبِ الدَمْـعِ تجري هُتّنا[7].

---

(١) مهما سمعتها (مهما كثر سماعك لها). فهو... (فذلك).

(٢) الظرف (بفتح الظاء): الوعاء. الصبر (بفتح فكسر): عصارةُ (بضمّ العين) شجر مرّ.

(٣) كشفت له: ظهرت له حقيقتها. الدخل: الفساد، العيب.

(٤) أمّ له: قصد إليه. أمّله: تمنّاه.

(٥) وفود الله: الحجّاج إلى بيت الله (الكعبة في مكّة). المُنى جمع منية: المبتغى، الشيء المراد. منى (بكسر الميم وبلا تنوين): منسك من مناسك الحجّ (مكان يبيت فيه الحجّاج بعد نزولهم من عرفات). هنيئاً لكم يا أهل منى لأنّكم في حجّ دائم.

(٦) عرفة أو عرفات: هضبة يجتمع عليها الحجّاج. والاجتماع في عرفات هو المنسك الأعلى في الحجّ لا يصحّ الحجّ إلا بالوقوف في عرفة. - نحن عرفنا عرفات بعدكم (مدّة يسيرة) ولذلك يكثر شوقنا إليه.

(٧) في الغرب: في الأندلس. غروب الدمع: أطراف العينين التي يسيل منها الدمع. هتنا (جمع هاتن): وهو الذي يسيل بكثرة).

سِرْ بِنا، يا حاديَ الرَّكْبِ، عسى أن نُلاقي يوم جَمْعٍ سِرْبَنا[1].
شِمْ لنا البرقَ إذا لاح وَقُلْ: جَمَعَ اللهُ بجَمْعٍ شَمْلَنا[2]؛
عَلَّنا نَلْقى خيالا مِنكُمُ بلذيذِ الذِكْرِ وَهْناً، عَلّنا[3].
لَوْ حَنا الدهرُ علينا لَقَضى باجْتماعٍ بِكُمُ بالمُنْحَنى[4].
لاحَ بَرْقٌ مَوْهِناً من نَحْوِكُمْ؛ فَلَعَمْري ما هَنا العيشِ هُنا[5]!
أنْتُمُ الأحبابُ نشكو بُعْدَكُم؛ هل شَكَوْتُمْ بَعدَنا مِنْ بُعْدِنا؟

– من رِحلة ابن جبير: حال الفرنجة الصليبيّينَ بين المسلمين.

ثم عُدْنا إلى عَكَّةَ في البحر وحَلَلْناها صبيحةَ يومِ الاثنينِ الثالثِ والعشرين من جُمادى المذكورة[6] وأولَ يومٍ من شهرِ أكتوبر. واكْتَرَيْنا في مركبٍ كبيرٍ[7] نُريد الإقلاع إلى مَسِّينةَ من بلاد جزيرةِ صِقِلِّيَةَ[8]....

ومنهم * من استهواه حُبُّ الوطن فدعاه إلى الرجوع والسُكنى بينَهم * *، بعدَ أمانٍ كُتِبَ[9] لهم في ذلك بشُروط اشْترطوها. واللهُ غالبٌ على أمرِه - سُبحانَه جَلّتْ قُدرتُه ونَفَذت في البَرِيّة مشيئتُه - وليستْ له عندَ الله مَعْذرةٌ في حُلولِ بلدةٍ من بلاد الكُفر إلّا مجتازاً وهو يَجِدُ مندوحةً في بلاد المسلمين[10] لمَشقّاتٍ وأهوالٍ يُعانيها في بلادهم

(١) حادي (سائق) الركب (القافلة التي يسافر الجماعة فيها. الركب: الجماعة يسافرون معاً). جمع = يوم جمع: يوم الوقوف في عرفة. سِربَنا: قطيعَنا (جماعتنا).
(٢) شام يشيم البرق: نظر إليه. جمع (راجع الحاشية السابقة).
(٣) وهناً: بعد منتصف الليل.
(٤) المنحنى: القطعة المستديرة من الرمل (مكان في الحجاز تغزّل به الشعراء).
(٥) الموهن: الوقت بعد منتصف الليل. ما هنا (هناءة: لذّة) العيش هنا (عندنا، في غير مكّة).
(٦) جمادى الثانية.
(٧) واكتربنا «مكاناً» في مركب كبير.
(٨) الإقلاع: السفر في البحر. مسّينة: مدينة في أقصى الشمال الشرقي من جزيرة صقلّية (جزيرة كبيرة في جنوب شبه جزيرة إيطالية).
(٩) بينهم (بين النصارى، بين الإفرنج الصليبيّين).... معاهدة أمان...
(١٠) ... لا يجوز لمسلم أن يسكن في بلاد أهلها من الكفّار إذا كان يستطيع السكنى في بلد إسلامي (إلّا إذا كان مسافراً ومرّ في ذلك البلد ثم بقي فيه وقتاً ما حتّى يتيسّر له متابعة السفر).

منها المذلّةُ والمَسْكنة الذمّية[١]، ومنها سَماعُ ما يُفجعُ الأفئدةَ من ذِكْرِ من قدّسَ اللهُ ذِكْرَهُ[٢] وأعلى خطره لا سيا من أراذلهم وأسافلهم؛ ومنها عدمُ الطهارة والتصرف بين الخنازير وجميعُ المحرَّماتِ إلى غير ذلك مما لا ينحصر ذكره ولا تَعداده.

- من الحياة الاجتماعية في أثناء الحروب الصليبية:

ومِنَ العَجَب أنّ النصارى المُجاورين لجبلِ لُبنانَ إذا رأَوْا به أحدَ المُنْقَطعين من المسلمين جَلَبوا لهمُ[٣] القُوتَ وأحْسنوا إليهم، ويقولون: هؤلاء مِمّنِ ٱنقطعَ إلى اللهِ عز وجلّ فتجب مُشاركَتُهم. وهذا الجبلُ من أخصبِ جِبالِ الدنيا فيه أنواعُ الفواكهِ وفيه المياهُ المُطَّرِدةُ والظِّلالُ الوارفة[٤]. وقلّما يخلو مِنَ التبتُّل والزَهادة[٥]. وإذا كانت هذه مُعاملةَ النصارى لِضِدِّ مِلّتِهم هذه المعاملةَ، فما ظنُّكَ بالمسلمين بعضِهِم مَعَ بعضٍ. ومنْ أعجبِ ما يُحدَّثُ به أنّ نيرانَ الفِتنة تشتعلُ بينَ الفئتين مُسلمين ونصارى. وربما يَلْتقي الجَمْعانِ ويَقَعُ بينَهُمُ المَصافُّ[٦] ورِفاقُ المسلمين والنصارى تَخْتَلِفُ بينَهم[٧] دون اعتراض، شاهَدْنا في هذا الوقت - الذي هو شهر جُمادى الأولى[٨] - مِنْ ذلك خُروجَ صلاحِ الدين بجميعِ عسكرِ المُسلمين لِمُنازلةِ حِصْنِ الكَرَكِ، وهو أعظمُ حصونِ النصارى، وهو المُعْتَرِضُ في طريقِ الحِجاز والمانعُ لِسَبيلِ المسلمين على البَرِّ - بينَه وبينَ القُدْس مَسيرةُ يومٍ أو أشفُّ قليلًا[٩]... فنازَلَهُ هذا السلطانُ وضيّق عليه

---

(١) يعانيها: يقاسيها، يخضع لها. المسكنة الذمّيّة (الخضوع لغير المسلمين).

(٢) يفجع (يؤلم) الأفئدة: (القلوب) من ذكر من قدّس الله ذكره (الرسول).

(٣) النصارى الذين كانوا (في مطلع القرن السابع للهجرة = الثالث عشر للميلاد) يسكنون جوانب من الساحل.

(٤) المطّردة: (الأنهار) التي يتتابع جريان مائها. الوارف: المتسع.

(٥) التبتّل: ترك الزواج، الانقطاع إلى عبادة الله. الزهادة (بالفتح): الزهد (بالضمّ: ترك الرغبة في أمور الدنيا).

(٦) الجمعان: الفريقان المتعاديان. المصاف: الوقوف في موقف المستعدّ للقتال.

(٧) ورفاق المسلمين والنصارى (من الذين لا يتقاتلون) تختلف (يختلفون: يتنقّلون) بينهم (بين الذين يتقاتلون) من مكان إلى آخر.

(٨) من سنة ٥٨٠ هـ (صيف ١١٨٤ م).

(٩) صلاح الدين الأيوبي.... الكرك (بلدة عند الطرف الجنوبي الشرقي من البحر الميت). أشفّ: (أقلّ؟).

وطال حِصارُه، واختلافُ القوافلِ من مِصْرَ إلى دِمَشْقَ على بلاد الإفْرنج غيرُ مُنْقَطع. واختلافُ المسلمين من دِمَشْقَ إلى عكّة كذلك. وتُجّارُ النصارى أيضاً لا يُمْنَعُ أحدٌ منهم ولا يُعْتَرَض. وللنصارى على المسلمين ضريبةٌ يُؤَدّونها في بلادِهم[1]، وَهِيَ من الأمنة على غايةٍ. وتُجّار النصارى أيضاً يُؤَدّون في بلاد المسلمين على سِلَعِهم[2]. والاتفاقُ بَيْنَهم والاعتدالُ في جميع الأحوال. وأهْلُ الحرب مُشتغلون بحَرْبِهم، والناسُ في عافِية. والدنيا لمن غَلَب.

٤- رحلة ابن جبير (رايت)، ليدن (بريل) ١٨٥٢ م، الطبعة الثانية (ده خويه)، ليدن (بريل) ١٩٠٧ م؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م)؛ (تحقيق حسين نصّار، القاهرة (مكتبة مصر) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٩ م؛ القاهرة (دار التحرير والنشر) ١٩٦٨ م.

** زاد المسافر ١١٤ - ١١٥؛ المغرب ٢: ٣٨٤ - ٣٨٥؛ التكملة رقم ٥٩٨؛ الذيل والتكملة ٥: ٥٩٥ وما بعد؛ الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) ٢: ١٦٨ - ١٧٤؛ شذرات الذهب ٤: ٦٠؛ نفح الطيب ٢: ٣٨٠ - ٣٨٩، ٤٨٥ - ٤٩٧؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٧٥٥؛ بروكلمن ١: ٦٢٩، الملحق ١: ٨٧٩؛ نيكل ١٩٣ - ١٩٤؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢١٤ (٥: ٣١٩ - ٣٢٠)؛ سركيس ٦١ - ٦٢؛ بالنثيا ٣١٦ - ٦١٨؛ المكتبة العربية الصقلية ٧٦- ١٠٤؛ تراجم اسلامية ٣٢٨ - ٣٣٧.

ابن حزمون المرسيّ

١- هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ الرحمنِ بن حزمونٍ كان مُتّصلاً بالمُوحِّدين وله مدائحُ جليلةٌ في المنصور الموحِّديّ. ويبدو أنّه كان يُرافقه في عددٍ من الغَزَوات. وفي سَنَة ٦١٤ هـ (١٢١٧ - ١٢١٨ م) كان في مُرْسِيَةَ فَلَقِيَ فيها عبدَ الواحدِ المَرّاكُشيّ (ت نحو ٦٤٧ هـ) ولعلّ ابنَ حزمون تُوُفّيَ في تلك السَنَة (أي ٦١٤ هـ) أو بعدَها بقليل.

---

(١) في بلادهم (بلاد النصارى: البلاد التي استولى عليها الإفرنج الصليبيّون).

(٢) السلعة: الحاجة المعروضة للبيع.

٢ - كان أبو الحسن بنُ حزمونٍ متّسعَ القولِ في أنواعِ الشعر يقول القَصيدَ ويَغْلِبُ عليه القولُ في الموشّح. وفُنونُه المديحُ والهِجاء والغَزَل. وكان كثيرَ المَيْلِ إلى الهجاء يُقْذِعُ فيه جِدًّا. ثم هو لم يترُكْ مُوَشَّحَةً سارتْ على ألسُنِ الناس إلّا عارضَها فقَلَبَها هِجاءً مُقْذِعاً. وكان ابنُ حزمونٍ ناقداً بصيراً. قال: ما الموشّحُ بموشّحٍ حتّى يكون عارياً من التكلُّفِ. فقيل له: على مِثْلِ ماذا؟ فقال: على مثلِ قولي:

يا هاجري، هلْ إلى الوصالْ مِنْكَ سبيلْ؟
أو هلْ يُرى عن هواكَ سالْ* قلبُ العليلْ؟

٣- مختارات من شعره:

- لمّا رَجَعَ المنصورُ الموحِّديُّ من غَزْوة الأَرَك، سَنَةَ ٥٩١ للهِجرة (وقد انتصرَ فيها نصراً عظيماً) قال ابنُ حزمونٍ يمدحُه:

حَيَّتْـــــكَ مُعطَّرَةَ النَفَسِ ... نَفَحـــاتُ الفتـــحِ بأندَلُسِ؛
فَـــذَرِ الكُفّـــارَ ومأتَمهم؛ ... إنّ الإسلامَ لَفي عُرُسِ.
أإمـــامَ الحـــقِّ وناصرَه، ... طَهّرْتَ الأرضَ من الدَنَسِ،
ومــلأتَ قلوبَ النــاسِ هُـدًى ... فَدَنــا التوفيــقُ لُملتمس.
ورفعــتَ مَنــارَ الــدينِ عــلى ... عَمَــدٍ شُمٍّ وعــلى أُسُسِ[1].
وصَدَعْــــتَ رِداءَ الكُفرِ كما ... صَـدَعَ الديجورَ سنـا قبسِ[2].
جـــاءوك تضيـــقُ الأرضُ بِهِمْ ... عـــدداً لم يُحْـصَ ولم يُقَسِ.
خرجوا بَطَراً ورِئـــاءَ النـــا ... سِ لِيَخْتلسوا مَـعَ مُخْتلس[3].

(*) السالي: الناسي

(١) عمد جمع عمود: أسطوانة..شمّ جمع أشَمّ: عال.

(٢) صدع: شقّ. الديجور: الظلام (مفعول به مقدّم). سنا: نور (فاعل «صدع» الثانية).

(٣) «خرجوا بطرا ورئاء الناس» اقتباس من قوله تعالى «ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس» (٨: ٤٦، سورة الأنفال)، إشارة إلى قريش الذين جاءوا، في سنة ٥ للهجرة (٦٢٧ م) بجيوش كبيرة لحصار المدينة (في غزة الخندق أو الأحزاب).

ومَضَيْـــتَ لأمرِ اللهِ عـــلى ثِقَـــةٍ بـــالله ولم تَخِس[1].

ثمّ يصف الخيلَ وهزيمةَ الأذفنش (لقب لملوك الإسبان) ثم يخاطبُ الأندلسَ:

مـــلأ التوحيـــدُ أعِنَّتَهـــا وأغـــارَ بهـا روحُ القُـدُس[2].
جاستْ جَنَبـــاتِ الكُفْر فـــلم تَتْرُكْ لَهُمْ مـــا لم يُجَس[3]
لم يَبْـــقَ بهـــا مَثْوى رَجُـــلٍ إلّا وعليـــــه شَذا فَرَس[4]
لَحِقوا بقُرون الشُمِّ فـــــلا سُقيَـــا لطُلولِهمو الـــدُرُس[5].
إن كـــان نجـــا أذْفُنْشُهُمو فـــإلى عيشٍ نَكِـــدٍ تَعِس
فمضى لم يُلْوِ عـــلى أحـــدٍ، ورمـــى بالـــدِرْعِ وبالتُرُس
لصَليـــلِ الهنـــدِ بمَفرِقـــه لا يَسمَـعُ صَلْصلـةَ الجَرَس[6].
أجزيرةَ أندلُسَ، اعْتَصِمي بإمـــامِ الأُمّـــةِ واحْتَرسي.
أرْعـــاكِ حِراسَتَـــه مَلِـــكٌ جبريـــلُ لـــه أحَـدُ الحَرَس.

- وله من موشّحة[7] وَهِي تُروى لأبي الحسن بن نزارٍ (ت قبل ٥٧٥ هـ) راجع فوق.

اشرَبْ عـــلى نَغمـــةِ المَثـــاني ثـانِ[8]

---

(١) خاس يخيس: ذلّ، نقض العهد، خان.

(٢) ملأ التوحيد (الإسلام) أعنّة الخيل (خرجت للجهاد في سبيل الله). وأغار: هجم. روح القدس: جبريل. - ما أنت الذي قادها إلى النصر، بل جبريل قادها إلى النصر بإذن الله.

(٣) جاست (دارت وتردّدت) الخيل في جوانب بلادهم (بالحرب). ما لم يجس (بالبناء للمجهول): بقعة لم تصل إليها بالحرب.

(٤) مثوى (مقام) رجل (بقعة بمقدار يكفي لمقعد رجل واحد). الشذا: الرائحة الطيّبة (؟).

(٥) لحقوا بقرون الشمّ: وصلوا، هربوا (من الخوف) إلى الجبال العالية. فلا سقيا (لا سقى الله، لا بارك الله) في طلولهم (بقايا بيوتهم التي تهدّمت بالحرب) الدُرُس (جمع دارس: الذي محيت آثاره).

(٦) إنّ صوت وقع السيوف في مفارقهم (مقدّم رؤوسهم) كان شديداً حتّى لو أنّهم - لو قرعت الأجراس على مقربة منهم لما سمعوها.

(٧) لاحظ أن القافية في كلّ شطر هي الجزء الأخير من القافية الأولى.

(٨) المثنى: وتر من أوتار العود (المثاني هنا: الآلات الموسيقية). ثان (ثانياً) مرّة ثانية!

ولا تكَنْ في هَوى الغواني وانِ[1]
وقُــلْ لِمَنْ لامَ في مُعــانِ: عانِ[2]
مــاذا من الحُسْن في بُرودِ رودِ[3].

* * *

يَهيــجُ وَجْــدى إذا الأنــامُ ناموا[4]
قومٌ إذا عَسْعَسَ الظــلامُ لاموا[5]
ومــا بــه هــامَ مُستهــامُ هاموا[6]
فقُــلْ لِعَيْنٍ بــلا هُجودِ: جودي[7]

- وقال يهجو نفسَهُ ثمّ يَسْتَطْردُ إلى هِجاء شخص يسميه مُحمّدَ بنَ عيسى:

تأمّلتُ في المِرآةِ وجهي فخِلْتُه كَوَجْه عجوزٍ قد أشارتْ إلى اللّهْوِ[8].
فلو كُنتُ مِمّا تُنبِتُ الأرضُ لم أكُنْ من الرائقِ الباهي ولا الطيِّبِ الحُلْوِ.
وأقبــحُ من مِرْآيَ بَطْني، فإنّــه يُقَرْقِرُ مثلَ الرعدِ قرقرَ في الجوِّ،
وإلّا كقَلْــبِ بــينَ جَنْبَيْ محمّــدِ سليلِ ابنِ عيسى حينَ فَرّ ولم يُلْوِ[9].
يَوَدُّ بأنْ لو كــان في بَطْنِ أمّــهِ جَنيناً ولم يسمَعْ حديثاً عن الغَزْوِ.

---

(١) الغانية: المرأة التي تستغني بجمالها عن التزيّن بالحلى. وان (وانياً) تعب.
(٢) المعاني (بضمّ الميم): الذي عرف الحبّ ولقي فيه عذاباً. عانِ (فعل أمر): قبل أن تلومه على حبّ أحْبِبْ أوّلا مثله. («عان» تحتاج إلى مفعول به هو «ماذا» في الشطر التالي).
(٣) ... ما تنطوي عليه برود (ثياب حرير) رود (امرأة بضّة الجسم ناعمة).
(٤) الوجد: الحبّ.
(٥) عسعس الليل: أتى بظلامه.
(٦) هام: تحيّر، أحبّ حبًّا شديداً. هاموا: أحبوا.
(٧) هجود: نوم. جودي بالبكاء: ابكي كثيراً.
(٨) أشارت إلى اللهو: أرادت اللهو والغزل (وهذا قبيح من المجانز).
(٩) ألوى: التفت، مال. - فر ولم يلو: هرب ثمّ لم يلتفت إلى ورائه (من الخوف).

ثقيـلٌ ولكنْ عقلُـهُ مثـلُ ريشةٍ تطـيرُ بها الأرواحُ في مَهْمَهٍ دَوِّ[1].
تَميـلُ بِشِدْقَيْهِ إلى الأرضِ لِحْيةٌ تُظَنُّ بهـا مـاءٌ يُفَرَّغُ من دَلْوِ

** ٤ زاد المسافر ١٠٦ - ١٠٨؛ المغرب ٢: ١٤٧، ٢١٤ - ٢١٥، ٢١٦ - ٢١٨؛ المعجب ٢١٣ - ٢١٦؛ الذيل والتكملة ٥: ٢٤٠ - ٢٤٦؛ نفح الطيب ٣: ٤٦٥ - ٤٦٦، ٧: ٩ - ١٠؛ نيكل ٣٤٢؛ الأعلام للزركلي ٥: ٧٨ - ٧٩ (٤: ٢٧١).

ابن المُرخَى المَغربيّ

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عليٍّ بن محمّدِ بنِ عبدِ الملك بن عبد العزيز اللَّخميّ*[2] تَلَقّى العلمَ على أبيه أبي الحَكَم عليٍّ، وقد أجازَ له أبوه في شَوّالٍ من سَنَةِ ٥٧٩، كما تلقّى أشياءَ من العِلم أيضاً على اللصّ (أحمدَ بنِ عليِّ بن سيدِ الكِناني المُتوفّى ٥٧٧ هـ) ومن غيرِه. وكانتْ وفاةُ ابنِ المُرْخَى المَغْربي سَنَةَ ٦١٦ (١٢١٩ - ١٢٢٠ م).

٢ - كان ابنُ المُرْخَى المَغْربي من بيتِ علمٍ وأدب ووَجاهة وروايةٍ وكِتابة: كان أبوه أبو الحكمِ عليٌّ كاتباً، وكان جَدّه أبو بكرٍ محمّدٌ من أهل البَيان والبلاغة. وابن المُرخى صاحبُ هذه التَرْجمة لُغويّ وأديبٌ كاتبٌ بارعٌ وشاعرٌ مُحْسن. ثمّ هو مُصنِّف: اختصر كتاب «الغريب المصنّف» (لأبي عُبيدِ بن سَلّام الهَرويّ المتوفّى نحو ٢٢٣ هـ) وسمّاه «حِليةَ الأديب». وله أيضاً من المصنّفات «ذِروة المُلْتَقط في خُلُق الخيل» وغيرُ ذلك.

٣ - مختارات من شعره:

- كتب ابنُ المُرخَى المَغْربيّ إلى أُستاذه ابنِ سيدِ اللص يُخاطبه بالأبيات التالية:

---

(١) المهمه (الصحراء الواسعة) الدوّ (الفلاة الواسعة). الأرواح جمع ريح.

(٢) راجع صلة الصلة ص ١٠٦. في الوافي بالوفيات (٤: ١٥٧): محمّد بن علي بن محمّد بن عبد العزيز. وفي بغية الوعاة (ص ٧٥): محمد بن علي بن أبي بكر بن عبد الملك بن عبد العزيز. راجع أيضاً حاشية مفيدة في الأعلام للزركلي (٧: ١٦٨) فيها أن مصدراً ذكره باسم ابن المرجيّ (بالجيم) وأن مصدراً آخر لم يذكره لا باسم ابن المرجي (بالجيم)، لا ابن المرخى (بالخاء).

سأهجُرُ العِلمَ لا بُغضاً ولا كَسلا، حتّى يُقالَ ارعوى عن حُبِّهِ وسَلا[1]؛
ولا أُمُرُّ ببيتٍ فيه مَسْكَنُه كيلا يُمَثِّلَ شوقي حيثُما مَثَلا[2].
إذا ظَمِئْتُ، وكان العَذْبُ مُمْتَنِعاً، فلستُ عن غيرِ ذاك العَذْبِ معتزلا[3].
إذا طُرِدتُ قَصِيًّا عن حِياضِكُمُ فإنّ نَفْسِيَ مِمّا تكرَهُ النَهَلا[4].
قد كان عِندي زعيمَ القومِ عالِمُهُمْ، فاليومَ عِندي زعيمُ القوم مَنْ جَهِلا.
ما إنْ رأيتُ الذي يَزدادُ مَعْرِفةً إلّا يزيدُ انتقاصاً كُلّما كَمَلا.
وآيةُ الصِدقِ في قولي وتَجْرِبتي أنّ الجوادَ على العلّات ما وألا[5]!

٤ - ★★ المطرب، راجع ٢٠٨ - ٢٠٩؛ الوافي بالوفيات ٤: ١٥٧؛ راجع صلة الصلة ١٠٦ (رقم ٢١٦)؛ بغية الوعاة ١٧٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٦٨ (٦: ٢٨٠).

أبو القاسم بن سعيد

١ - هو أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ سعيدٍ العَنْسيُّ من أُسرةِ مُصنِّفي كتاب «المُغرب». كان شابًّا قَلِقاً طَموحاً. ولمّا استولى الموحِّدون على الأندلس كان الوالِيَ منهم على غَرناطةَ السيّدُ أبو سعيدِ بنُ عبدِ المؤمن فاتّخذ أبا جعفرٍ أحمدَ بنَ عبدِ الملك بنِ سعيدٍ كاتباً له. وكان أبو القاسم عبدُ الرحمنِ بنُ سعيدٍ مَعَه. وحدثتْ نُفرةٌ بين أبي سعيدِ بنِ عبدِ المؤمنِ وأبي جعفرِ بنِ سعيدٍ. ثمّ كان أنْ فرَّ

(١) ارعوى... عن حبّه للعلم: رجع. سلا: نسي وتعزّى.
(٢) ... مسكن العلم. مثل (بفتح ففتح أو بفتح فضمّ): قام منتصباً (وُجدَ). كيلا يمثّل شوقي حيثما مثل: كيلا أشعر باحترام لذلك المكان فأقف (أو أبقى) فيه على مقدار حبّي (الأوّل) للعلم.
(٣) الواضح: إذا لم أنل نصيبي في الحياة من العلم أحاول أن أناله عن غير طريق العلم. ولكن الملموح وبالمقارنة بالبيت التالي يقتضي حذف كلمة «غير» فيصبح المعنى: إذا لم أجد ماء عذباً (خلواً، أي علماً صحيحاً)، فإنّني لا أرضى شيئاً دون (أدنى من) ذلك.
(٤) قصيًّا: بعيداً. الحوض: مجمع الماء. النهل: الشرب الأوّل (المقدار اليسير من حاجة العطشان).
(٥) آية: علامة. الجواد: الحصان. العلّة: الشربة الأولى. - أنّ الحصان إذا بدأ يشرب فإنّه لا يئل (يرجع) عن الشرب حتّى يستوفي حاجته من الماء (وأنا - مع كلّ ما أصابني على يد الجهّال - إذا رأيت مجلس علم فلا أغادر مكانه حتّى أستوفي حظّي منه).

عبدُ الرحمنِ إلى محمّدِ ابنِ مَرْدنيشَ مَلكِ شرقيِّ الأندلسِ (٥٤٢ - ٥٦٦ هـ. أبي سعيدِ بنِ عبدِ المؤمن فيها فقَتَلَ أبا جعفرٍ.

رَحَلَ عبدُ الرحمنِ عنِ الأندلسِ إلى المَغْرب ثمّ تابَعَ الرِحْلة شرقاً إلى مِ فالشام فالحجازِ فالعراق فبلادِ العَجَم إلى ما وراء النهرِ وسَكَنَ في بُخارى. وقُتِل عبدُ الرحمن في بُخارى يومَ دَخَلَها التتارُ وقتلوا أهلَها بعدَ أن كانوا قد أمّنوهم، وذلك في المُحرَّمِ مِنْ سَنةِ ٦١٧ (آذار - مارس ١٢٢٠ م) (راجع نفح الطيب ٢ : ٣٧٣ ثم ابن الأثير ١٢ : ٣٨٩ ، شذرات الذهب ٥ : ٧٢).

٢ - كان أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ سعيدٍ أديباً مفطوراً سَلِسَ النَثْرِ عَذْبَ الشِعر ينكشفُ نثرُه خاصّةً عن إلمامِهِ بعددٍ من العلوم، ويبدو أنّه أكثرَ القراءةَ في الجُغرافية والتاريخ. في نثرِهِ سجعٌ قليلٌ وصِناعة خفيفة سائغة. وشعرُه وُجْدانيٌّ تَغْلِبُ عليه الشكوى. وهو حَسَنُ السَرْدِ.

٣ - مختارات من آثاره:

- كتب أبو القاسم عبدُ الرَحْمنِ بنُ سعيدٍ من سَمَرْقَنْدَ[١] إلى أهلِه بالأندلُسِ يَصِفُ شقاءه في أسفاره ويُبدي يأساً من الإياب (العودة) إلى الأندلُسِ:

مَنْ لصَبٍّ يرعى النجومَ صَبابَهْ ... ضيَّعَ السيرُ في الهُمومِ شَبابَهْ[٢]؟
زِدْتُ بُعْداً فزِدتُ فيه اقتراباً ... بِوِدادي، كذلك حُكْمُ القَرابه[٣].
منزلي الآنَ سَمَرْقَنْدُ، وبالقَلْـ ... ـعَةِ رَبْعٌ وَطِئْتُ طِفلاً تُرابه[٤].
شَدَّ ما أبْعَدَ الفِراقُ انتزاحي! ... هكذا الليْثُ ليس يَدْري اغترابه[٥].

---

(١) سمرقند من أمّهات مدن ما وراء النهر (التركستان).
(٢) الصبّ: المحبّ. والصبابة: شوق، رقّة الشوق أو حرارته. رعى النجوم: راقبها (قضى الليل ساهرا).
(٣) حكم (قانون، عادة) القرابة أن الإنسان إذا اغترب زاد اشتياقه إلى أهله.
(٤) قلعة بني سعيد أو قلعة يحصب (نفح الطيب ٢ : ٣٣٠) من عمل إلبيرة (المغرب ٢ : ١٥٩) من نواحي غرناطة.
(٥) شدّ ما: ما أشدّ! ما أكثر. الانتزاح: الابتعاد. والليث: الاسد (الرجل المقدام ليس يدري اغترابه: لا يشعر أنه يقطع المسافات.

لا ولا أرتجي الإيابَ لأمرٍ إنْ يكنْ يرتجي غريبٌ إيابَه .

- وكتب إلى أهله من بُخارى:

إذا هبّتْ رِياحُ الغَرْبِ طارتْ إليها مُهْجتي نحوَ التلاقي[1].

وأحْسَبُ مَنْ تَرَكْتُ بهِ يُلاقي، إذا هَبّتْ صباحاً، ما أُلاقي[2].

فيا لَيْتَ التفرُّقَ كان عَدْلاً فحُمِّلَ ما يُطيقُ مِنَ اشتياقي[3]

وليتَ العُمْرَ لم يبرَحْ وِصالاً ولم يُخْتَمْ علينا بالفِراق.

إذا كانَ الشوقُ فوقَ كلّ صِفة فكيفَ تُعَبِّرُ عنه الشَفَة؟ ولكنّ العُنوانَ دَلالةٌ على بعضِ ما في الصَحيفة. والحاجبُ قد ينوب في بعضِ الأمور مَنابَ الخليفة[4]. وما ظنُّكم بَشُوقٍ طريحٍ في يدِ الأشواق طليحٍ[5] ؟ يقطَعُ مِساحات الأرض ذاتِ الطول والعرض، ويَجُوبُ أهْوِيَةَ الأقاليم السَبْع[6]، خارجاً بما أدخله فيه اللّجوج عنِ الشرع[7]. فكانَ خليفةَ الإسْكندرِ[8]، لكنّ ما يَجيشُ من همومِ الغُربة بِفكري قائمةٌ مقامَ الجيشِ والعسكر[9]. جُزْتُ إلى برِّ العُدوة من الغَرْبِ الأقصى[10]،

---

(١) رياح الغرب (من جهة الغرب) المهجة: دم القلب (القلب).

(٢) الصبا: ريح الشرق. - أظنّ أن أهلي يحبّون ريح الشرق كما أحبّ أنا ريح الغرب.

(٣) ... لعل الشاعر يلوم أهله لأنّهم كانوا هم سبب الابتعاد عنهم ثمّ يدعو الله أن يحملوا من ألم الفراق مثل ما يحمله هو.

(٤) الحاجب (في الأندلس): رئيس الوزراء (الكناية غامضة، إلّا إذا كان المقصود أن العنوان أحياناً يمكن أن يدلّ على كلّ ما في الصحيفة).

(٥) الطليح: الذي بلغ منه الهزال (بالضمّ: النحول) والإعياء (بالكسر: التعب) مبلغاً عظيماً.

(٦) يجوب: يقطع (يطوف). أهوية جمع هواء (مناخ، بالضمّ). الأقاليم السبعة (كان القدماء قد جعلوا القسم المسكون من الأرض - شمال خطّ الاستواء - سبعة أقاليم، أي سبع درجات من المناخ). - يريد أن يقول: إنّه قاسى الحياة في جميع الأحوال.

(٧) اللجوج (بفتح اللام؟): الشديد الخصومة. خارجاً بما.... الشرع (؟): القانون المألوف.

(٨) خليفة الاسكندر (ذو القرنين) الذي قطع البلاد من جانب إلى جانب حتّى وصل إلى منقطع الأرض (إلى مكان ليس وراءه بشر في ظنه).

(٩) - لكن الاسكندر المقدوني كان معه جيوش يستأنس بها ويعتمد عليها في دفع الأعداء، أمّا أنا فلم يكن معي سوى هموم الغربة (كنت وحدي تساورني المخاوف). قائمة (؟)، لعلّها: «كان قائماً. ماثلاً، حاضراً».

فطَمِحَتْ نفسي إلى مُشاهدة الغربِ الأوسطِ فلاقيت فيما بينهما من المسافه من المشاق ما لا يُحصَرُ. ثمّ تشوّقتُ إلى إفْرِيقِيَّةَ دَرْبِ بلادِ الشرق(١) ، فاستشعرتُ من هنالك ما بينَها وبينَ بلادي من الفرق. واخْتُطِفَتْ من عيني تلك الطِلاوةُ(٢) وانتُزِعَتْ من قلبي تلك الحلاوة...... ثمّ نازعَتْني نفسي التَوّاقةُ إلى الدِيار المِصريّة.... وجُزْتُ بحرَ جُدَّةَ وذُقتُ تباريحَهُ(٣). وقَضَيْت الحجَّ والزِيارةَ(٤)، ومِلْتُ إلى الشام دِمَشْقَ والنفسُ بالسوء أمّارة(٥). فهنالك بِعْتُ الزِيارة بالأوزار(٦)، وآلَتْ تلك التِجارة إلى ما حَكَمَتْ به الأقدار(٧).... فلِلّهِ ما تضمَّنَ داخلُها من الحُورِ والوُلدان(٨) وما زُيِّنَ به خارجُها(٩) من الأنهار والجِنان..... ولم أزلْ أسمَعُ عن حَلَبَ أنّها دار الكَرَم والأدب، فأردتُ أن يَحْظى(١٠) بَصَري بما حَظِيَ به سَمْعي. ورَحَلْتُ إليها وأقمتُ فيها جابراً بالمُذاكرة والمُطايبة صَدْعي(١١). ثمّ رَحَلْتُ إلى المَوْصِلِ فألفَيْتها مدينةً عليها رونقُ الأندلسِ ،

---

(١٠) جزت (قطعت بحر الزقاق، بين الأندلس وقارّة افريقية) إلى برّ العدوة (الجانب الجنوبي من بحر الزقاق: شماليّ افريقية).

(١) الغرب (المغرب) الأوسط: القطر الجزائري. إفريقية: (هنا) القطر التونسي. درب بلاد الشرق (الطريق التي تصل بالمسافر من الأندلس إلى الشرق: مصر والشام والحجاز وما وراءها شرقاً).

(٢) استشعر: أضمر (الخوف)، والمقصود (هنا): شعر، أحسّ. الطلاوة (بالفتح وبالكسر وبالضمّ) الحسن والرونق (ما يسرّ العين).

(٣) جدّة: مرفأ مكّة (على البحر). بحر جدّة: البحر الأحمر. التباريح: الشدائد.

(٤) الحجّ: القيام بمناسك الحجّ في الموسم (من الثامن إلى العاشر من شهر ذي الحجّة: الشهر الثاني عشر من السنة الهجرية). الزيارة: زيارة قبر الرسول صلّى الله عليه وسلم في المدينة.

(٥) بالسوء (بالعمل القبيح). «إنّ النفس لأمّارة بالسوء» (١٢ : ٥٣ ، سورة يوسف).

(٦) الوزر (بالكسر): الإثم، الذنب. بعت الزيارة بالأوزار: ارتكبت (في دمشق) ذنوباً ذهبت بالحسنات التي كنت قد نلتها من زيارة المدينة المنوّرة.

(٧) آل: صار، رجع. التجارة (هنا): القيام بأعمال قبيحة بعدما قمت بمناسك الحجّ وبزيارة المدينة (ما ربحته من الحسنات في الحجّ والزيارة خسرته في ارتكاب الذنوب في دمشق الشام). ما حكمت عليّ به الأقدار (ما كان مكتوباً عليّ أن أعمله من الذنوب).

(٨) الحور جمع حوراء (المرأة الجميلة).

(٩) خارجها (خارج دمشق): ضواحيها (الغوطة ودمّر والهامة، الخ).

(١٠) أردتّ أن يحظى بصري (ينال بصري حظّاً) بما حظي به سمعي: أردتّ أن أشاهد ما كنت قد سمعت به (عن حلب).

(١١) جابرا صدعي (شقّي، كسري): مصلحاً ما فسد من أمري. المذاكرة (ليست في القاموس): مراجعة =

وفيها لَطافةٌ وفي مبانيها طِلاوةٌ ترتاح إليها الأنفُسُ. ثمّ دخلتُ إلى مَقرّ الخِلافة ببَغْداد فعايَنْتُ من العِظَم والضخامة ما لا يَفي به الكَتْبُ ولو أنّ البحرَ مِداد[1] . ثمّ تَغَلْغلتُ في بلادِ العَجَم بَلَداً بلداً، غيرَ مُقْتَنِعٍ بغايةٍ ولا قاصِداً أمَداً[2] ، إلى أن حَلَلْتُ ببُخارى قُبّةِ الإسلامِ ومجمَعِ الأنام. فألْقَيْتُ عصا التِسيار[3] وعكَفتُ على طلب العلم واصلاً في اجتهادِه سوادَ الليلِ وبَياضَ النهار.

٤ - ** المغرب ٢ : ١٧٢؛ نفح الطيب ٢ : ٣٧٠ - ٣٧٤، ٤ : ١٨١.

ابن طلحة الإشبيلي

١ - هو أبو بكرٍ محمدُ بنُ طلحةَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ خَلَفِ بنِ أحمدَ بنِ الأسعدِ ابن حزمٍ الأُمَويُّ الإشبيليّ، وُلِدَ في يابُرَةَ في ذي الحِجّة[4] من سَنَةِ ٥٤٥ (ربيع ١١٥١ م). أخذَ القراءاتِ السبعَ عن أبي بكرِ بنِ صافٍ، وأخذ النحوَ عن أبي إسحاق ابن ملكونٍ وأبي الوليد جابرِ بنِ محمدِ بنِ نامٍ. وقد تصدّرَ باكراً للتدريس وبَقِيَ أُستاذَ

أشياء من الجدّ (بالكسر) كأنواع العلوم والأخبار التاريخية مع نفر من الناس. المطايبة: الخوض مع نفر من الناس في شيء من المزح والقصص الخفيف (ممّا تسرّ به النفس من غير فائدة عملية).

(١) مداد: حبر (سائل أسود يستخدم في الكتابة). لو كان عندي حبر بمقدار ما في البحر من الماء ثمّ كتبت في أحوال بغداد لفرغ(بفتح ففتح فكسر) البحر من مائه قبل أن أفرغ (بضمّ الراء) أنا من تدوين وصف بغداد على الورق. راجع القرآن الكريم (١٨ : ١٠٩، سورة الكهف): « قل: لو كان البحر مداداً (بالكسر) لكلمات (بفتح الكاف وكسر اللام) ربّي، لنفد (بفتح ففتح فكسر) البحر قبل أن تنفد (بفتح الفاء) كلمات ربّي..... ». فرغ (بكسر الراء) يفرغ (بفتح الراء): خلا، أصبح (الإناء) فارغا. خاليا. ثم فرغ (بفتح الراء) يفرغ (بضم الراء): انتهى (الرجل من عمله).

(٢) بلاد العجم (الذين لا يتكلّمون اللغة العربية): البلاد الواقعة وراء العراق شرقاً. ولا قاصداً أمدا (غاية): لم أقصد أن أسير في بلاد العجم مسافة معيّنة.

(٣) بخارى: عاصمة بلاد ما وراء النهر (جيحون) في أواسط قارّة آسية. ألقيت عصا التسيار (المسير): استقررت، سكنت.

(٤) في بغية الوعاة (ص ٥٠): ولد في منتصف صفر سنة ٥٤٥ ومات بإشبيلية في منتصف صفر سنة ٦١٨.

إشبيليةَ أكثرَ من خمسينَ سَنَةً. وكانتْ وفاتُه في مُنْتَصَفِ صَفَرَ من سَنَةِ ٦١٨ (٨/ ٤/ ١٢٢١ م).

٢ - كان ابنُ طلحةَ الإشبيليُّ يُقرىء اللغةَ والنحوَ والأدب. وكان يقرىء كُتُباً منها (برنامج الرعيني ٧٩): الأشعارُ السِتّة (المعلّقات) - كتاب سِيبَويْهِ (ت ١٨٠ هـ) - شعرُ حبيبِ (أبي تمّام، ت ٢٣٢ هـ) - كتاب الحماسة (لأبي تمّام) - إصلاحِ المنطق (لابن السكّيت، ت ٢٤٤ هـ) - الأمثال (كتاب الأمثال لابن السكّيت؟) - الكامل (للمبرِّد، ت ٢٧٦ هـ) - فصيحُ ثعلبِ (ت ٢٨٦ هـ) - الجُمل (للزجّاجي، ت ٣٤٠ هـ) - الإيضاح (في علل النحو للزجّاجي؟) - أدب الكُتّاب (للصولي، ت ٣٣٥ هـ) - النوادر لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) - المقامات (؟ للحريريّ، ت ٥١٦ هـ)، وكان يُقرىء «على طريقةِ التَفَقُّه والتعلّم» (برنامج الرعيني ٧٩). ولابنِ طلحةَ شِعْرٌ رقيقٌ خارجٌ عن شعرِ النُّحاة (نفح الطيب ٣: ٤٧٦).

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ طلحةَ الإشبيليُّ في غُلامٍ كان له شَعْرٌ وافرٌ ثمّ قَصّ شيئاً منه:

بـــــدا الهِـــــلالُ، فلمّـــــا ... بـــــدا نَقَصْـــــتُ وتَمّـــــا[1].
كـــــأن جِسْمِيَ «فِعْـــــلٌ» ... وسِحْرُ عَيْنَيْـــــهِ «لَمّـــــا»[2].

- وله في الوصف:

إلى أيِّ يومٍ بعدَه يُرْفَعُ الخَمْرُ؟ ... وللوُرْقِ تغريدٌ وقد خَفَقَ النَهْرُ[3].

---

(١) يشبّه وجه الغلام بالهلال (حينما كان شعره وافراً ولا يرى إلّا جانب صغير من وجهه). فلمّا قصّ الغلام شيئاً من شعره بدا جانب أكبر من وجهه (فكأنّه أصبح بدراً). نقصت (نقصت قوّتي بتقدّم السن عن التمتّع بثمرات الجمال).

(٢) فعل: فعل مضارع معتلّ، و «لمّا» (من أحرف الجزم) ينقص بها الفعل المعتلّ (يقول، ينمو: لم يقل، لم ينمُ!).

(٣) - إلى متى يؤجّل شرب الخمر؟ الورقاء: الحمامة. خفق النهر: زاد ماؤه (يكون ذلك في الربيع).

وقد صَقَلَتْ كَفُّ الغزالةِ أُفْقَها، وفوقَ مُتونِ الروض أرديةٌ خُضْر[1].
وكَمْ قدْ بَكَتْ عينُ السماء بدَمْعِها عليها! ولولا ذاك ما ابْتَسم الزَهْر.

٤ - ** برنامج الرعيني ٧٩ - ٨٠؛ المغرب ١ : ٢٥٣؛ بغية الوعاة ٤٩ - ٥٠؛ نفح الطيب ٣ : ٤٧٦ - ٤٧٧.

الشريشيّ

١ - هو كمالُ الدين أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ المؤمنِ بنِ موسى بنِ عيسى بنِ عبدِ المؤمنِ القيسيُّ الشَريشيُّ، وُلِدَ في شَريشَ سَنَةَ ٥٥٧ (١١٦٢ م).

تطوّفَ أبو العباسِ الشريشيُّ بالأندلسِ وتلقّى العلمَ على نَفَرٍ، منهم: القاضي أبو الحسنِ عليُّ بنُ لَبّالِ الشريشيُّ (ت ٥٨٣ هـ) والفقيهُ محمدُ بنُ سعيدِ بن زرقونِ الشريشيُّ (٥٠٢ - ٥٨٦ هـ) وأبو بكرِ بنُ زُهْرٍ (ت ٥٩٦ هـ) والقاضي مُصْعَبُ بنُ أبي رَكْبِ الخُشَني الجيّانيُّ (ت ٦٠٤ هـ) وعليُّ بنُ محمدِ بنِ خَروفٍ النحويُّ (٥٢٤ - ٦٠٤ هـ) وغيرُهم. ورَحَلَ الشريشيُّ فزارَ مِصْرَ والشامَ.

وتصدّرَ الشريشيُّ للتدريسِ في شريشَ وبَلَنْسِيَةَ لإقراء اللُّغة والنحوِ والعَروض والأدب، كما كان الأدباءُ يقرأون عليه « شَرْحَه » لمقاماتِ الحريريِّ. وقد كانتْ وفاتُه في شَريشَ في ذي الحِجّة من سَنَةِ ٦١٩ (أوائل ١٢٢٣ م).

٢ - كان أبو العبّاسِ الشريشيُّ واسعَ المعرفةِ بعلومِ اللغة عارفاً باللغات (لهجات العرب) وبفنون النحو والشعر والأدب. وكان مُصَنِّفاً بارعاً له: مُختصر نوادرِ القالي (ت ٣٥٦ هـ) - شرح الجُمَل للزجّاجي (ت ٣٣٩ هـ) - شرح الإيضاح لأبي عليّ الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) - شرح عَروض الشعر - عِلَل القوافي - وغيرها. غير أنّ شُهرتَه تقومُ على شرح « المقامات » للحريري (٥١٦ هـ) صنع منه ثلاثَ نُسَخٍ: شرحاً كبيراً وشرحاً وسيطاً وشرحاً صغيراً. وذاع شرح الشريشيِّ للمقاماتِ في أيامهِ ذُيوعاً

(١) صقلت كفّ الغزالة (الشمس) أفقها (أزالت منه الغيوم). يرفع (اقرأ: نرفع) فالخمر مؤنثة.

عظيماً، قيل إنّه أجاز سَبْعَمِائَةِ نُسخةٍ منه، وقد أقبلَ عليه النصارى واليهودُ ونقلوه إلى عددٍ من لهجاتهم. ذلك لأنَ مقاماتِ الحريريّ نفسَها كانت قد وصلتْ إلى الأندلس ولَقِيَتْ رَواجاً كبيراً ونَسَجَ على مِنوالِها نفرٌ كثيرون. والشريشيُّ قد جَمَعَ شرحَه للمقامات من عددٍ من الشروح عليها وأضافَ إليها أشياءَ كثيرةً من معرفته الواسعة بفنون العلم.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال الشريشيُّ في مُقدّمة «شرح المقامات الحريرية»(*):

الحمدُ للهِ الذي ٱختصّ هذه الأُمّةَ بأفصح الألسنةِ وأفسح الأذهان وشرَّف عُلماءَها بالافتنانِ في أفانينِ[1] البلاغةِ والبَيان....

أما بعدُ: فإنّ العلمَ أربحُ المكاسبِ وأرجحُ المناصب وأرفعُ المراتبِ وأنْصعُ المناقب[2]، وحِرفةُ أهلِ الهِمَمِ من الأُمَم، ونِحْلةُ أهلِ الشرفِ من السلف[3]، لم يَتَقلَّدْ سِلْكَهُ إلّا جيدُ ماجدٍ[4]، ولم يَتَوَشَّحْ بُرْدَهُ إلّا عِطْفُ جادٌّ في طلبِ الكمالِ جاهدٍ[5]، ولم يَسْتَحِقَّ ٱسْمَهُ إلّا الواحدُ الفذُّ[6] بعدَ الواحد. وهُوَ وإنْ تَشَعَّبَتْ أفانينُه وتَنَوَّعَتْ دواوينُه[7] فَعِلْمُ الأدبِ عَلَمُهُ والأُسُّ الذي يُبنى عليه كَلِمُه، والرُوحُ الذي يَخِبُّ في

(*) راجع ٣: ٢٣٨.
(١) افتنّ افتناناً: تفنّن (أكثر أوجه الصناعة، نوّع البحث). أفانين جمع أفنان (جمع فنن - بفتح ففتح: غصن): أنواع.
(٢) الراجح: الثقيل، الرزين، الوقور، الكامل العقل. الناصع: الصافي، الواضح. المنقبة: الفعل الكريم، المفخرة.
(٣) النحلة: العمل الذي يكسب الإنسان به معاشه.
(٤) تقلّد الشيء: علّقه في عنقه. السلك: الخيط الذي تنظم فيه حبّات العقد. الجيد: العنق. الماجد: الذي له مجد (نبل وشرف).
(٥) توشّح بالشيء: لفّه على أعلى جسده. البُرد: الثوب من حرير. العطف (بكسر العين): الجانب الأعلى من الجسم. الجاهد: الذي يبذل أقصى ما في وسعه.
(٦) الفذّ: الفرد، المتفرّد (الذي لا يدانيه أحد في صفاته الحميدة).
(٧) الأفنون (بضمّ الهمزة): الغصن. الديوان: المجموع من فنّ من النشاط الإنساني (الميدان).

ميدان الطِرْس قَلَمُه[١]. ولذلك كان أوْلَى ما تَقْتَرِحُه القرائحُ وأعلى ما تجنَحُ إليه الجوانحُ[٢]..... ولم يَزَلْ في كلّ عَصْرٍ من حَمَلَتِه بدرٌ طالعٌ، وزَهْرُ غُصْنٍ يانعٌ، وعَلَمٌ ترنو إليه أبصارٌ وتُومِىءُ إليه أصابعُ[٣]؛ وصناعةُ البراعةِ بَيْنَهم تَتَمكَّنُ وتَتأصّلُ وتنويعُ البديعِ يَنْضَبطُ ويتحصّل، والآخرُ[٤] يَكِدُّ ذِهْنَهُ في تَتْمِيمِ ما غادَرَهُ الأوّلُ، إلى أنِ اعتدلتْ كِفّتاه وامْتلأتْ ضِفّتاه وراق مُجْتَلاه ومُجْتَناه وتَناهى[٥] في الحُسْن والإحسانِ لَفْظه ومعناه. وكان آخِرَ البُلغاء وخاتمةَ الأدباء أوّلُهم بالاستحقاقِ وأوْلاهُمْ بسِمَةِ السِباق[٦] ..... أبو مُحمّدٍ القاسمُ بنُ عليٍّ الحريريُّ.... فَبَسَطَ لِسانَ الإحسان ومدّ أفنان الافْتِنان[٧]، ومَهّدَ جادّةَ الإجادةِ وقَوّى مادّةَ الإفادة، ولم يُبْقِ في البلاغة مُتَعقَّباً ولا للزيادةِ مُتَرَقَّباً[٨]، لا سِيّما في المقاماتِ التي ابْتَدَعَها والحِكاياتِ التي نَوَّعَها وفرّعها[٩] والمُلَحِ التي وَشَّحَها بِدُرَرِ الفِقَرِ ورَصَّعَها[١٠]، فإنّه بَرَزَ فيها سابقاً وبَزَّ البُلغاءَ فائقاً[١١]..... ولمّا كانتْ من البراعةِ بهذا المَحَلِّ الشهيرِ وسارَتْ مَسيرَ النَيِّرَيْنِ بينَ مَشاهيرِ الجَماهير[١٢]، جعلتُ الاعتناءَ بها سَهْمَ فَهْمي، والعُكوفَ عليها حَزْمَ عزْمي[١٣] والدُؤُوبَ في ضَبْطِ لُغاتِها وفَكَّ مُخَبَّآتها أُمَّ هَمّي[١٤]..... فكان أوّلَ

(١) خبَّ الفرس: عدا، ركض (أسرع). الطرس: الورقة.

(٢) جنح: مال. الجانحة: الضلع (القلب).

(٣) اليانع: الناضج؛ ذو اللون الزاهي الجميل. رنا: تطلّع. أومأ: أشار.

(٤) الآخر (الذي يأتي فيا بعد).

(٥) الكفّة (بكسر الكاف): وعاء في كلّ جانب من جانبي الميزان. الضفّة (بكسر الضاد): جانب النهر. راق: حسن. المجتلى: المنظر. المجتنى: القطاف، الثمر. تناهى: بلغ النهاية.

(٦) السمة: العلامة.

(٧) الفنن: الغصن. الافتنان: التفنّن، المجيء بالشيء على أشكال مختلفة.

(٨) تعقّب الرجل الشيء: تتبّعه ليبصر ما فيه من نقص. ترقّب: انتظر.

(٩) - الحريري لم يبتدع (يخترع) فنّ المقامات، وإنْ كان قد توسّع في موضوعاتها.

(١٠) الملحة: الكلمة (أو اللفتة) البارعة الحلوة. الدرّة: الجوهرة، اللؤلؤة. الفقرة (بكسر الفاء): العظمة في العمود الفقري (بكسر ففتح)، الجملة أو جزء منها. رصّع: زيّن.

(١١) بزّ: غلب. الفائق: المتفوّق، الذي يزيد في الإحسان على الآخرين.

(١٢) النيّران: الشمس والقمر. مشاهير الجماهير: المشاهير عند الجماهير (؟).

(١٣) سهم فهمي (أوجّه إليها كلّ تفكيري). العكوف على الشيء: الإقبال عليه والنظر فيه. حزم عزمي (تأكيد قوّتي = الإصرار بجميع مقدرتي).

(١٤) الدؤوب: المثابرة. اللغات: الكلمات المختلفة التي تتقارب في المعاني. أمّ همّي: أصل اهتمامي ورغبتي.

مَنْ أخذتُ عنه روايتَها وتَلَقّيْتُ منه دِرايَتَها بِبَلدي الفقيهُ المُقْري أبو بكرِ بنُ أزهرَ الحِجْريُّ[1] ...... ثم لم أدَعْ كِتاباً أُلِّفَ في شَرْحِ ألفاظِها وإيضاحِ أغراضها... إلّا أوْعَيْتُهُ نظراً وتَحَقَّقْتُه مُعْتَبِراً ومُخْتَبِراً[2] ;.... ولم أتركْ في كتابٍ منها فائدةً إلّا استخرجتُها ولا فريدةً إلّا استدرجتُها ولا غريبةً إلّا استَلْحَقْتُها[3]..... فاجتمع من ذلك حِفْظاً وخَطّاً أعلاقٌ جمّةٌ[4] وفوائدُ لم تَهْتَمَّ بها قبلي هِمّةٌ. ثمّ لم أقنعْ بتَبْيِين الدواوين ولا اقتصرتُ على توقيفِ التصانيف حتّى لَقِيتُ بها صُدورَ الأمصار[5] وعُلماءَ هذه الأعْصار، فباحثتُ وناقشتُ وتأوّلتُ وتداولتُ.... وأنا في خِلال ذلك ألْتَمِسُ مَزيداً ولا أسأمُ بحثاً ولا تَقْيِيداً، إلى أن عَثَرْتُ على شَرْحِ الفَنْجَدِيهيّ للمقاماتِ والفنجديهيُّ هو الشيخ الحافظُ أبو سعدٍ محمّدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمدٍ المَسْعوديُّ[6] من قريةِ فَنْجَديهةَ من أعمالِ خُراسانَ، فرأيتُ في شرحِهِ الغايةَ المطلوبةَ والبُغْيةَ المرغوبة.... فاستأنفتُ النَظَرَ ثانياً، وشَمّرتُ عن ساعدِ الجدّ لا متكاسلاً ولا مُتوانياً[7]، وعاينتُ نورَ المَعْنى في نورِ اللفظ فأصبحتُ مُجْتَلِياً جانياً فاستَوْعَبْتُهُ أيضاً أبْلغَ استيعابٍ[8] وقيّدتُ من فوائِده ما لم أجِدْ قبلَه في كتاب.... فاستَخَرْتُ اللهَ في ضَمّ ما انتشرَ من فوائِدِها ونَظْمِ ما انْتَثَرَ من فَرائدها والاعتناء بتأليفٍ في المقامات يُغني عن كلّ شرحٍ تقدَّمَ فيها ولا يُحْوِجُ إلى سواه في لَفْظٍ من ألْفاظِها ولا

---

(١) المقري: الذي يقرىء القرآن. في نفح الطيب (٢: ١١٥): الشريشي أخذ عن أبي بكر بن أزهر.

(٢) أوعيته (حفظته) نظراً (جعلت فيه كلّ نظري ودرسي). الاعتبار: التأمّل في الشيء.

(٣) الفريدة (في الأصل): اللؤلؤة، فكرة جميلة. استدرجتها: احتلت حتّى جعلتها تأتي إليّ.

(٤) حفظاً (ما كنت قد تلقّيته من أفواه الرجال) وخطّاً (ما هو مدوّن في الكتب). العلق (بكسر العين): الشيء النفيس الثمين.

(٥) صدور (كبار العلماء). الأمصار: جمع مصر (بكسر الميم): المدن الكبيرة في المقاطعات (بغداد قاعدة أو عاصمة. الكوفة مصر، والبصرة مصر، الخ).

(٦) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود.... البندهي (أو البنجديهي: نسبة إلى قرية بنج ده) من أهل الفضل والأدب والفقه (٥٢٢ - ٥٨٤ هـ)، شَرَحَ مقامات الحريري (راجع بغية الوعاة ٦٦ - ٦٧).

(٧) التواني: التباطؤ والتكاسل.

(٨) مجتلياً جانياً (راجع، فوق، ص ٦٢٦، الحاشية ٥). استوعب فلان الشيء: أدخله كله في شيء آخر.

مَعنًى من معانيها. فتَمَّ من ذلك مجموعٌ جامعٌ وموضوع بارع واودعتها من اللغات[1] أصَحَّها وأوضَحَها.

وكلُّ ذلك بلُطفِ اللهِ تعالى وبِسَعْدِ من شرَّفْتُ كِتابي بخِدمتهِ وبَنَيْتُ تأليفي على أداءِ شُكرِ نعمته.... عِمادُ الأنامِ والظلُّ الممدودُ على المُسلمين والإسلام.... سيِّدُنا الخليفةُ الإمامُ أميرُ المؤمنين أبو عبدِ اللهِ ابنُ إمامِ الأئمّةِ الراشدين ووَليُّ عهدِهِ سيدُنا الأميرُ الأجلُّ أبو يعقوبَ[2].

- مطلَعُ المَقامة الأولى (الصَنْعانية) للحريريّ:

حدّثَ الحارثُ بنُ هَمّامٍ قال: لمّا اَقْتَعَدتُ غارِبَ الاغتراب، وأنْأَتْني المَتْرَبَةُ عن الأتراب، طَوَّحَتْ بي طوائحُ الزمنِ إلى صَنعاءِ اليمن، فدَخَلْتُها خاوِيَ الوِفاضِ باديَ الأنْفاضِ، لا أمْلِكُ بلُغَةً ولا أجِدُ في جِرابي مُضْغَة.

★★★ من شرح الشريشيّ:

إن قيل: لِأيِّ معنىً اَخْتارَ الحريريُّ حارثاً وهَمّاماً وأبا زيدٍ دونَ غيرِهم من الأسماء؟ فالجوابُ أنّه إنّما قَصَدَ ذلك لأنّهم أصْدَقُ الأسماء، قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم في الحديثِ المرفوع: «تَسَمَّوْا بأسماء الأنبياء. وأَحَبُّ الأسماء إلى الله عبدُ الله وعبدُ الرحمن، وأصْدَقُها الحارثُ وهَمّامٌ، وأقْبَحُها حَرْبٌ ومُرّةُ»[3]. وصِدْقُها أنّه ليس أحدٌ إلّا وهُوَ يَحرُثُ، أي يُحاولُ الكسبَ أو يَهُمّ بحاجته. وأمّا أبو زيدٍ، فإنْ صَدَقَ أنّه إنسانٌ بعَيْنِه[4]- كما تَقَدَّمَ في الصدر[5]- وَقَعَ الاكتفاءُ به[6]، وإن لم يَصْدُقْ فَقَدْ حكَى أهلُ اللغة أنّه كُنْيةُ الكِبَرِ.... وقال ابنُ الأعرابيّ: يُقال للشيخِ الكبيرِ أبو زيدٍ وأبو سعيدٍ! والسَّروجيُّ في الغالب إنّما يَصِفُهُ بالكِبَرِ والهَرَمِ. وإنّما

---

(١) اللغات: الألفاظ (المختلفة والمستعملة في القبائل المختلفة أو الاماكن المختلفة).

(٢) أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ثاني سلاطين الموحّدين (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ).

(٣) أبو مرة كنية ابليس.

(٤) إذا كان الاسم «أبو زيد» يدلّ على رجل معيّن...

(٥) الصدر: التصدير (شبه مقدّمة للكتاب). بدأ الشريشي شرح «الصدر» على الصفحة السادسة.

(٦) - لم نحتج إلى أن نتلمّس مقصد الحريري من اختياره.

عَنى بالحارثِ بن هَمّام نفسَه[١] لأنّه مِمّن يَحْرُثُ ويَهُمّ. ولذلك نَسَبَهُ إلى البصْرة وَهِيَ بَلَدُ الحريريّ. وإنّما وَضَعَ أبا زيدٍ كُنْيَةً للدهر لأنّ (الحريريَّ) يَصِفُه بأشياءَ لا تَليق إلّا بالدهر.

قوله (اقتعدتُ) أيْ ركِبتُ، وأصله اتّخذْتُ قُعْدة أو قَعوداً وهما اسْمان للبَعير يَقْعُدُ عليه صاحِبُه. و(الغاربُ) مُقَدَّمُ سِنام البعير. و(الاغتراب) والغُربة التجوّل في البُلدان والبُعدُ عن الأوطان.... وأرادَ: لَمّا اتّخذتُ ظهرَ الغُربة قَعوداً. (أنأتني) أبْعَدَتْني. (المَتْربة) الفقر. (الأتراب) الأصحاب على سِنٍّ واحدةٍ. (طوّحت) رَمَتْ. و(طوائحُ) نوائبُ. وتقول: طوّحتُ بالرجُلِ إذا رَمَيْتَ به إلى الهَلاك. وقياسُ الطوائحِ المطاوحُ...

- قال أبو العبّاسِ الشريشيُّ (وهُوَ في مِصْرَ) يتشوّقُ إلى الشام:

يا جيرةَ الشامِ، هلْ مِنْ نَحْوِكُمْ خَبَرٌ؟ فإنّ قَلْبي بنارِ الشوق يَسْتَعِرُ[٢].
بَعُدتُ عنكم. فَلا، واللهِ، بَعْدَكُمُ، ما لَذّ للعينِ لا نومٌ ولا سَهَرُ.
كأنّني لم أكُنْ بالنَيْرَبَيْنِ ضُحًى والغيمُ يبكي، ومنه يضحَكُ الزَهَرُ[٣]؛
والوُرْقُ تُنْشِدُ، والأغصانُ راقصةٌ؛ والدَوْحُ يطرَبُ بالتصفيق والنَهَر[٤].
والسفْحُ، أينَ عَشِيّاتي التي ذَهَبَتْ لي فيه؟ فَهِيَ، لَعَمْري، عِنْدِيَ العُمُر!

- وكَتَبَ، وهو في الشامِ (في حَلَبَ؟) إلى بدرِ الدينِ بن الدقّاق ناظرِ أوقافِ حلب (وفي البيتينِ جِناسٌ بينَ «كمال الدين» لَقَبِ الشريشي و«البدر عِندَ الكمال» - التَوْرية في «عند الكمال»):

---

(١) الحارث بن همّام إشارة إلى الحريري نفسه.
(٢) استعر: توقّد (اشتدّ اشتعاله وكثرت حرارته).
(٣) النيرب: قرية قرب دمشق على نصف فرسخ منها بين البساتين، وهي أنزه المواضع في دمشق (تاج العروس - الكويت ٤: ٢٥٩). وترد في الشعر مثنّاة «النيربين». ويقال اليوم: باب النيرب. والنيرب أيضاً قرية قرب حلب أو ناحية بها. ضحى: أول النهار (بعد ارتفاع الشمس قليلاً).
(٤) الورقاء: الحمامة. الدوحة (بالفتح): الشجرة الكبيرة.

مولايَ بدرَ الدينِ، صِلْ مُدْنَفاً صَيّره حُبُّكَ مِثلَ الخِلال[1].
لا تَخْشَ من عارٍ إذا زُرْتَني. فما يُعابُ البدرُ عند الكَمال[2]

٤ - شرح مقامات الحريري (المقامات الحريريّة، المقامات الأدبية، بولاق ١٢٨٤ هـ؛ القاهرة ١٣٠٠؛ القاهرة (المطبعة الخيريّة) ١٣٠٦ هـ؛ مصر ١٣١٢، ١٣١٤ هـ.

** فوات الوفيات ١ : ٧٦؛ الوافي بالوفيات ٧ : ١٥٨؛ برنامج الرعيني ٩٠ - ٩١؛ التكملة ١٣٧ - ١٣٨، (رقم ٢٨١)؛ الذيل والتكملة ١ : ٢٦٨ - ٢٧٠؛ بغية الوعاة ١٤٣؛ نفح الطيبُ ٢ : ١١٥ - ١١٦، ٣٩٢، ٣ : ٤٤٦ - ٤٤٧؛ المنهل الصافي ١ : ٣٥٤؛ بروكلمن (في ترجمة الحريري) ١ : ٣٢٧، الملحق ١ : ٤٨٧، ٥٤٤؛ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٤ : ٣٣١؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٥٨ (١٦٤)؛ الداية ٢١٧ - ٢٣٠؛ سركيس ١٢٢١ - ١٢٢٢.

ابن عبد ربّه المالَقيّ

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عبدِ ربّهِ المالَقيُّ من أهلِ الجزيرةِ الخضراء، له رِحْلةٌ إلى مِصْرَ لَقِيَ فيها ابنَ سَناءِ المُلْك (ت ٦٥٨). وقد كان كاتباً لأبي الربيعِ سُليمانَ بنِ عبدِ المؤمنِ (ت ٦٠٤)، كما كان صديقاً لعبدِ الواحدِ المَرّاكُشيّ[3].

ويبدو أنّ شُهرتَه بالشِعْر كانتْ سَنَةَ ٥٩١. أمّا وفاتُه فلَعلّها كانت قريباً من[4] ٦٢٠ (١٢٢٣ م).

٢ - كان ابنُ عبدِ ربّهِ المالَقيُّ أديباً ناثراً مُترسّلاً وشاعراً مُحْسِناً مُجيداً له مَدْحٌ

---

(١) المدنف: الشديد المرض والذي قرب من الموت. الخلال (بالكسر) وجمعها أخلّة (بفتح الهمزة وكسر الخاء وتشديد اللام): عود رفيع يتخلّل به الناس (يخرجون به بقايا الطعام من بين أسنانهم).

(٢) البدر (قمر السماء - بدر الدين الدقّاق). الكمال (كمال القمر: امتلاؤه - وكمال الدين الشريشي).

(٣) قال عبد الواحد المراكشيّ: «فقال في ذلك صديق لي من الكتّاب اسمه محمّد بن عبد ربّه (المعجب ٢٩٧، السطر ٨، راجع أيضاً ٢٩٨ - ٣٠٠).

(٤) قال سعيد العريان (١٣٢٣ - ١٣٨٤ هـ): عبد الواحد المرّاكشيّ ألّف كتاب «المعجب» في نحو الأربعين من عمره.... وكان مولده سنة ٥٨١ (فكان تأليف المعجب اذن نحو سنة ٦٢١). وعبد الواحد المرّاكشيّ نفسه يقول (المعجب ٢٩٨): «وأنشدنّه - رحمه الله - يوماً.....»

ورِثاء، ووَصْفه بارعٌ جِدًّا، وله مقامةٌ. وكان مُشاركاً في أشياءَ من علومِ التعاليم (الرياضيّات) والمَنطِقِ والفلسفة. ثمّ إنّه كان مُصنِّفاً جَمَعَ ديوانَ أبي الربيعِ سُليمانَ بنِ عبدِ المؤمن، وله رِسالةٌ في صِقِلّيَةَ ذكرَ فيها ما جَرى عليه في مِصْرَ وحَذّرَ من الأسفارِ لِما كان قد قاسى في أثنائها. ويبدو أنّه لم يُرْوَ له شِعرٌ كثيرٌ. قال عبدُ الواحدِ المَرّاكشيُّ (المعجب ص ٢٩٩ - ٣٠٠): «ولأبي عبدِ اللهِ هذا اتّساعٌ في صِناعةِ الشعر. إلّا أنّه نَحَلَ كثيراً من شِعرِه السيّدَ الأجلَّ أبا الربيعِ سُليمانَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المؤمن، أيامَ كِتابتِه له. ولم يَدّعِ بعدَ ذلك في شيءٍ ممّا نَحَلَهُ إياه من شِعرِه، ولا ذَكَرَ أنّه له. فكان أكثرُ شِعرِهِ يُنْشَدُ لأبي الربيعِ وتَرْويهِ الرُواةُ له (لأبي الربيع). عَرَفْتُ ذلك بعدَ مُفارقتِهِ إياه[1]، لأنّي فَقَدتُ شِعرَ السيّدِ أبي الربيعِ واختلفَ عليّ كلامُه. ورأيتُ بخَطِّهِ أشعاراً نازلةً عن رُتْبةِ الشِعرِ جِدًّا. فعَلِمْتُ أنّ ذلك الأوّلَ ليس من نَسْجِه».

٣ - مختارات من شعره:

- لابنِ عبدِ ربّهِ المالَقيِّ مُقطّعاتٌ منها:

★★ وفي جَنَباتِ الرَوْضِ نهرٌ ودَوْحةٌ ... يَروقُك منها سُنْدُسٌ ونُضارُ[2].
تقول - وضوءُ البدرِ فيه مُغَرِّبٌ - : ... ذِراعُ فَتـــاةٍ دارَ فيـــه سِوارُ!

★★ مـا كُـلُّ إنسانٍ أخٌ مُنْصِـفٌ ... ولا الليـــالي أبـــداً تُسْعِـفُ.
فـلا تُضِعْ إنْ أمْكَنَتْ فرصةٌ ... واصحبْ منَ الإخوانِ مَن يُنْصِفُ[3].
وانْتِـفْ من الدهرِ ولو ريشةً؛ ... فإنّما حَظُّـــك مـــا تَنْتِـــفُ.

★★ بينَ الرياضِ وبينَ الجوِّ مُعْتَرَكٌ: ... بيضٌ من البرقِ أو سُمْرٌ من السُمُرِ[4].

---

(١) كذا في الأصل، والملموح: مفارقته ابن عبد ربّه لأبي الربيع سليمان. ولعلّ الأصوب «مفارقتي إياه» (مفارقة المراكشي لابن عبد ربّه).

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة. يروقك: يعجبك. سندس: أخضر (ورق). نضار: ذهب (زهر، ثمر). والملموح أن ضوء البدر جعل منها جانباً أحمر (فكيف يمكن، إذن أن يرى اللون الأخضر ليلاً؟).

(٣) يمكن أن نقرأ: فلا تضع - أن أمكنت، فرصة (بالنصب على أنّها مفعول به من «تضع»).

(٤) راجع الأبيات كلّها في ترجمة أبي الربيع سليمان الموحّدي (ت ٦٠٤). هذه الأبيات موجودة في ديوان =

★★ لمّا رأتْهُ الشمسُ يفعَلُ فِعْلَها في العالمــينَ مُقاسِياً ومُساهِيا[1]،
خافتْ تَوالي الجودِ يُنْفِدُ مالَه نَثَرَتْ عليـــهِ دَنانِراً ودراهِيا[2].

٤ - ★★ تحفة القادم ٩٤ (رقم ٦٠)؛ المعجب ٢٩٧ - ٣٠٠؛ الوافي بالوفيات ٣: ٢٠٣ - ٢٠٥؛ المغرب ١: ٤٢٧؛ نفح الطيب ٢: ٩٧ - ٩٩، ١١٨ - ١١٩، ٦: ٢٥١ - ٢٥٦.

أبو عبد الله محمّد بن أصبغ (ابن المُناصف)

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عيسى بنِ محمّدِ بنِ أصبغَ الأزديُّ القُرطُبيّ المعروفُ بابن المناصف. كان أهلُه من ساكني الأندلس، ولكنّ والدَه عيسى غادرَ الأندلسَ في أثناء الفِتنة التي تَلَتِ انقضاءَ عهدِ المرابطين (٥٤٣ هـ). ولعلّ هذه الفِتنةَ قد دامتْ إلى سَنَةَ ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) حينَما آستطاعَ السُّلطانُ عبدُ المؤمن بنُ عليٍّ مِنَ آستخلاصِ غَرْناطةَ.

وآنتقلَ عيسى إلى إفريقيَةَ (القُطر التونسيّ) وسكنَ مدينةَ المَهْديّةَ، وفيها وُلِدَ آبنُهُ محمّدٌ (صاحبُ هذه الترجمةِ)، في رَجَبَ (في سَنَةَ ٥٦٣ هـ) ونشأ.

ووَلِيَ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عيسى في الأندلس قضاءَ مدينةِ بَلَنْسِيَةَ ثمّ قضاءَ مدينةِ مُرسية. بعدَئذٍ صُرِفَ عن القضاء فسكَنَ حيناً في قرطبةَ. ثمّ بدا له أن يرحَلَ عنِ الأندلسِ فآنتقلَ إلى مِصْرَ وسكنَها مُدّةً يسيرةً عاد بعدَها (في الأغلب) إلى قُرطبة. وأخيراً آنتقلَ إلى المَغرب ونزَل في مدينةِ مَرّاكُشَ إلى أنْ تُوُفّيَ سَنَةَ ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م).

= أبي الربيع (راجع نفح الطيب ٢: ٩٨، الحاشية ٣ - في الوقت الحاضر ٤/ ٥/ ١٩٧٦ لم أستطع الحصول على الديوان للأحوال الحاضرة). ولكنّها في نفح الطيب والمعجب تروى لابن عبد ربه المالقي.

(١) يعمّ الناس كلّهم بجوده كما تعمّ الشمس جميع الأرض بنورها.

(٢) دنانر (جمع دينار على مفاعل. والمشهور جمعه على مفاعيل: دنانير). نثرت (الشمس) عليه دنانر ودراهم: وقع عليه نورها أبيض وأصفر (كالدراهم والدنانير).

٢ - كان أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ أصبغَ فقيهاً متينَ العِلمِ فيما يتعلّقُ بالأُصول والفُروع، كما كان لغوياً وأديباً وشاعراً. ولكنْ يبدو - من الأبيات القليلة التي وصلتْ إلينا من شِعرِه - أن شعرَه عاديٌّ. ثمّ إنّه كان مُصنِّفاً له: السيرة النبوية - تنبيه الحُكّام في الأحكام (تنبيه الحكّام في سيرة القُضاة وقَبول الشهادات وتنفيذ الأحكام والحِسبة ؟) - مُذْهَبَة في نظم الصفات من الحُلى والشِيات (أُرجوزة، نحوَ ألفِ بيتٍ، في اللغة) - مُعَقِّبة (تعقيب أو مُلحق للمُذهبة) - أُصول الدين.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو عبدِ اللهِ بنُ المُناصف (نفح الطيب ٤: ٣٠٥):

ألْزمـتُ نَفْسِي خُمولاً   عن رُتبـةِ الأعْـلامِ(١)،
لا يُخْسَفُ البـدرُ إلّا   ظُهورَه في تَمامِ(٢).

- وقال (المغرب ١: ١٠٦):

تَغِيـبُ عنّي وقلـبي   لَدَيْـكَ رَهْنٌ مُعـذَّبْ(٣)؛
فَرُدَّهُ لي وبِنْ حَيْـ   ـثُ مـا تشا وتَغَيَّـبْ(٤).
أَللهُ يـعـلَـمُ أنـي   طُولَ الدُّجـى أتَقَلّـبْ(٥).
فَجُـدْ عَلَيَّ بطَيْـفٍ،   إنْ كُنـتَ في الوصـلِ ترغَبْ.
إنْ لم تَلُـحْ ليَ بـدراً،   فَلُـحْ - فَدَيْتُـكَ - كوكـبْ(٦).

---

(١) الأعلام جمع علم (بفتح ففتح): الرجل البارز في قومه المشهور.
(٢) خسوف القمر لا يكون إلّا إذا صار القمر بدراً (عند تمامه).
(٣) رهن: مرهون (محبوس).
(٤) بن (فعل أمر من «بان»: ابتعد).
(٥) طول الدجى = طول الليل.
(٦) تلوح: تظهر (تأتي لزيارتي). تلوح بدراً (كناية عن امتلاء القمر وتمامه): كثيراً. لح لي كوكباً (قليلا). - كان القدماء يعتقدون أن القمر أكبر من النجوم (ولم يعرفوا أن النجوم تظهر صغيرة لبعدها - ثمّ عرفوا هذه الحقيقة. ولكنّ الأدباء ظلوا يأخذون بالنظرية القديمة لموافقتها للخيال والشعر).

٤ - ** التكملة ٣٢٥ - ٣٢٦؛ المغرب ١: ١٠٥ - ١٠٦؛ الوافي بالوفيات نيل الابتهاج ٢٢٨ - ٢٢٩؛ نفح الطيب ٤: ٣٠٥؛ بروكلمن ١: ٤٨٠ - ٤٨١؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢١٤ - ٢١٥ (٦: ٣٢٢ - ٣٢٣)؛ معجم المؤلفين ١١: ١٠٧ - ١٠٨.

ابن سالم المالقيّ

١ - هو أبو عمرٍو سالمُ بنُ صالحِ بنِ عليِّ بنِ صالحِ بنِ سالمٍ الهَمْدانيُّ المالَقِيُّ، وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٥٥٧ للهجرة (١١٧٠ م) وتلقّى العلمَ على أبيه وعلى جماعةٍ كبيرة. ويبدو أنّه لم يَرْحَلْ ولكنّه راسلَ نفراً من عُلَماء المشرق في مِصْرَ والحِجاز فكتبوا إليه بإجازتِهِمْ له. وكانتْ وفاتُه في ثامِنَ عَشَرَ رَمَضانَ من سَنَة ٦٢٠ (١٤/ ٩/ ١٢٢٣ م).

٢ - كان ٱبنُ سالمٍ المالَقِيُّ طيِّبَ النفس سليمَ الصدر جميلَ الصُّحْبة متواضعاً مائلاً إلى الزُّهد. وكان متّسعَ الرِواية (في الحديث) مُعْتَنياً بالتقييد (بتدوين الروايات) جيّدَ الضبطِ لِمَا يُدَوِّنُ. ثمّ كانَ أديباً حافلاً حاشداً (يكثُرُ الناسُ في مجالسه) حَسَنَ الحديثِ كثيرَ الإمتاع ناظماً ناثراً يُنْسَبُ إليه شعرٌ قليلٌ جيّد.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ٱبنُ سالمٍ المالَقِيُّ (راجع الذيل والتكملة ٤: ٥)[١]:

عزَّ مَنْ لا يموتُ، يا مَنْ يموتُ، ... وتَعالى فلم تَنَلْهُ النُّعوتُ[٢].
إنّ دنياكَ هذه غرّةٌ، ما ... لِثَباتِ الأنامِ فيها ثبوتُ[٣].

(١) قال مؤلف «الذيل والتكملة» محمّد بن محمّد بن عبد الملك المراكشي (٦٣٤ - ٧٠٣ هـ): «ومن شعره (شعر ابن سالم المالقي) ما أنشدته على شيخنا أبي الحسن الرعيني (٥٩٢ - ٦٦٦ هـ)». ويقول الرعيني نفسه في برنامج شيوخه (ص ١٠٧): «وجدت منسوباً لشيخنا أبي عمرو (ابن سالم المالقيّ) المذكور (يقصد الأبيات: عز من لا يموت)، ولا أحقّقها له».

(٢) من لا يموت: الله تعالى. من يموت = الإنسان. النعت: الوصف (إنّ الله لا يمكن أن يوصف بصفة يعرفها البشر). تعالى: ارتفع عن مشابهة المخلوقين وتنزّه عن صفاتهم (عن أن يشبه أحداً من خلقه أو يشبهه أحد من خلقه).

(٣) غرّة - يقصد: غرور (بفتح وضمّ بلا شدّة - أو غرّارة (بالتشديد): خدّاعة (تخدع الإنسان الغافل =

فأترُكَنْهـــا فإنّهـــا أمُّ دَفْرٍ   لِبَنيهـــا غرّارةٌ خَلَبوتُ[1].

٤ - ** برنامج الرعيني ١٠٥ - ١٠٧؛ الذيل والتكملة ٤ : ٢ - ٦.

أبو الحسن بن حريق

١ - هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ سَلَمَةَ بنِ حريقٍ المخزوميُّ البَلَنْسِيُّ، وُلِدَ في بَلَنْسِيَةَ سَنَةَ ٥٥١ هـ (١١٥٣ م).

تَكَسَّبَ أبو الحسنِ بنُ حريقٍ بالشِعْر، رأيناه بُعيدَ ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) في جَيّانَ يمدَحُ إبراهيمَ بنَ محمّدِ بنِ صنانيدَ - وكان أبوه والياً على جَيّان. ثمّ ذهب إلى سَبْتَةَ في أيامِ المُسْتَنْصِرِ المُوحِّدِي (٦١١ - ٦٢٠ هـ) ليمدَحَ واليَها ابنَ عبدِ الصمد.

وكانتْ وفاةُ أبي الحسنِ بنِ حريقٍ في بَلَنْسِيَةَ سَنَةَ ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م).

٢ - كان أبو الحسنِ بنُ حريقٍ مُتَبَحِّراً في اللغة والأدب، حافظاً لأشعارِ العرب وأيّامِهم. وكان شاعراً ذا بَدِيهة، متصرّفاً في المدح والوصفِ والنسيب، وله هجاءٌ لطيفٌ ومُوَشّحاتٌ. وقد ألّفَ عدداً من كُتُبِ الأدب.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحسنِ بنُ حريقٍ يُفَضِّلُ سُكنى بلنسيةَ مع ما كان يَنزِلُ فيها من مصائبِ الجوعِ والخوفِ على أيْدي الإسبان في أواخرِ أيّامِها:

بَلَنْسِيَـــةٌ قَرارةُ كـــلِّ حُسْنٍ   حديـثٌ صحّ في شَرْقٍ وغَرْبِ.

= القليل التجربة). ثبوت: دوام (لثبات الأنام فيها ثبوت - لا وجه لاستعمال ثبات وثبوت في تركيب واحد). ولكن إذا نحن أخذنا صيغة «ثبيت» (العاقل) من المصدر «ثبات»، وضح المعنى قليلاً: «ثبات الأنام (الناس)، أي صحّة عقولهم (ممّا يدلّ عليه سلوكهم في الدنيا) لا ثبوت له (لا يقوم عليه عندنا دليل».

(١) أمّ دفر: الداهية، المصيبة الكبيرة - وبها سمّيت الدنيا: أمّ دفر (لكثرة المصائب فيها)، راجع تاج العروس - الكويت ١١ : ٣٠٤. وفيه أيضاً (٢ : ٣٧٨) رجل خلبوت: خدّاع، كذّاب.

فإنْ قالوا: مَحَلٌّ غلاءِ سِعْرٍ ومسقَطُ دِيمَتَيْ طَعْنٍ وضربِ؛
فقلْ: هِيَ جَنَّةٌ حُفَّتْ رُباها بمكروهَيْنِ من جوعٍ وحربِ.

- قال في الوقوفِ على أطْلال الأحِبَّةِ:

يا صاحِبَيَّ - وما البخيلُ بصاحبي - هذي الديارُ، فأينَ تلك الأدْمُعُ[1]؟
أتَمُرُّ بالعَرَصاتِ لا تبكي بها، وَهْيَ المَعاهِدُ مِنْهُمُ والأرْبُعُ[2].
هَيْهاتِ! لا ريحُ اللّواعِجِ بَعْدَهُمْ رَهْوٌ، ولا طَيْرُ الصَّبابَةِ وُقَّعُ[3].
يا سَعْدُ، ما هذا المُقامُ وقدْ مَضَوْا؟ أتُقيمُ من بَعْدِ القُلوبِ الأضْلُعُ[4]!
جاروا على قلبي بسِحْرِ جُفونِهِمْ؛ لا زالَ يَشْعَبُه الأسى ويُصَدِّعُ[5].
وأبى الهوى إلّا الحلولَ بِلَعْلَعٍ. ويحَ المَطايا، أينَ منها لَعْلَعُ[6]!
لم يَدْرِ أينَ ثَوَوْا فلم يَسْألْ بِهِمْ رِيحاً تَهُبُّ ولا بُرَيْقاً يَلْمَعُ[7].
وكأنَّهُمْ في كلِّ مَدْرَجِ ناسمٍ؛ فَعَلَيْهِ مِنْهُمْ رِقَّةٌ تَتَضَوَّعُ[8]
فإذا مَنَحْتُهُمُ السلامَ تَبادَرَتْ تَبْليغَه عَنّي الرِياحُ الأرْبَعُ!

- وقال في فَناء اللذّاتِ إلّا قليلًا منها:

وما بَقِيَتْ من اللّذّاتِ إلاّ مُحادَثَةُ الرجالِ على الشَّرابِ،
ولَثْمُكَ وَجْنَتَيْ قَمَرٍ مُنيرٍ يَجولُ بِخَدِّه ماءُ الشَّبابِ.

---

(١) هذه ديار الأحبة (ومن عادة الزائر أن يبكي إذا لم يجد أحبابه في ديارهم)، فأين الأدمع (أدمعي أنا: لماذا لا أبكي).
(٢) العرصة: الفسحة أمام الدار. المعهد والربع: المكان المعدّ للسكن.
(٣) اللاعج: النار المتوقّدة (نار الحبّ في القلب). رهو: ساكن، هادىء. الصبابة: الحبّ. وُقَّع جمع واقع: موجود على غصن أو في وكره. - سيكون حزني بعد فراقهم شديداً، ولن أتمتّع بحبي.
(٤) يا سعد (الشاعر يخاطب رفيق سفره)، لماذا نظلّ واقفين وأهل الدار قد رحلوا؟
(٥) شعب وصدع: شقّ. الأسى: الحزن.
(٦) الهوى: الحبّ، المحبوب. لعلع اسم مكان (يكني به الشاعر عن البعد).
(٧) ثوى: استقرّ، أقام، سكن.
(٨) مدرج ناسم: المكان الذي تهبّ عليه الريح فتترك عليه علامات من هبوبها. - كأنّهم يسكنون في كلّ مكان، ففي كلّ مكان تجد رائحتهم الطيّبة رقة (كذا في المغرب ٢: ٣١٩).

٤ - ** زاد المسافر ٦٤ - ٦٩ (رقم ٧)؛ المغرب ٢: ٣١٨ - ٣٢٠، ٣٣٩ - ٣٤١ (موشحة)؛ فوات الوفيات ٢: ٨٨ - ٨٩؛ التكملة، ٦٧٩ (رقم ١٨٩٥)؛ الذيل والتكملة رقم ٥٥٣ (١: ٢٧٥ - ٢٧٧)؛ صلة الصلة ١٢٩؛ بغية الوعاة ٢٤٦؛ نفح الطيب ٢: ١١٦، ٣: ٤٠٩ - ٤١١؛ نيكل ٣٣١؛ مختارات نيكل ١٨٩ - ١٩٠؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٥٢ (٤: ٣٣١).

ابن الفكّون

١ - هو أبو عليٍّ حسنُ بنُ عليِّ بنِ عُمَرَ القُسنطيني[١]، ويُعْرَفُ بابنِ الفكّونِ، من أهل قسنطينة. اتّصلَ ابنُ الفكّونِ بوُلاةِ بني عبدِ المؤمن (الموحِّدين) في بِجاية ومَدَحَهم. وفي سَنَةِ ٦٠٢ هـ جاء الخليفةُ الموحِّديُّ مُحمّدُ الناصرُ إلى قُسنطينةَ فمَدَحَهُ أيضاً. ثمّ كانتْ لابنِ الفكّونِ رِحلةٌ إلى مدينةِ مَرّاكُشَ (لَعلّها متأخّرة). وكانتْ وفاتُه في أوائلِ القرنِ السابعِ للهجرة (أوائل القرن الثالث عشر للميلاد)* .

٢ - ابنُ الفكّون فقيهٌ وأديبٌ وشاعرٌ. كانتْ شُهرتُه في الشِعر، إذ كان شاعراً مُكثِراً بارعاً في التوشيح. «وهو من الأدباء الذين تُستَظْرَفُ أخبارُهم وتَروقُ أشعارُهم»[٢]، ولكنّ عليه مآخذَ كثيرةً في شعرِه، فإنّ عدداً من أبياتِ شعرِه مختلُّ الوَزْنِ وفي عددٍ منها لَحْنٌ[٣] (أخطاء في النحو). ولمّا رَحَلَ ابن الفكّون إلى مَرّاكُشَ نَظَمَ قَصيدةً ذَكَرَ فيها البُلدان التي مرّ بها بين قُسنطينةَ ومَرّاكشَ. والأوصافُ التي جَعَلَها ابنُ الفكّون للمدنِ التي مرّ بها أوصافٌ عامّةٌ، وفي أكثر الأحيانِ غيرُ مناسبةٍ للموضوعِ لأنّ تلكَ الأوصافَ تدورُ على أغراض من الغَزَل (وفي هذه القصيدة مآخذُ كثيرة من اللغة والنحو والعَروض).

---

(١) في نفح الطيب (٢: ٤٨٣، السطر الأوّل): القسمطيني (بالميم مكان النون الأولى).

(*) سنة ٦١٩ (؟).

(٢) «عنوان الدراية»: ٢٨٠.

(٣) راجع «عنوان الدراية»: ٢٨٤ - ٢٨٦.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو عليٍّ حسنُ بنُ الفكّون يَصِفُ قَصْرَ الربيع(١):

عَشَوْنا إلى نارِ الربيعِ، وإنّما عَشَوْنا إلى نارِ النَدى والمُحَلَّق(٢).
ركِبنا بواديهِ جِيادَ زوارقٍ نَزَلْنا إليها عن ضوامِرَ سُبَّقِ(٣).
وخُضنا حَشاه والأصيلُ كأنّه بصَفْحته تبدي مروق زنبق(٤).
وسيِّدُنا قد سار فيه لأنّه بزَوْرقهِ إنسانُ مُقْلَةِ أزرق(٥).
فقلت وَطَرْفي يَجْتلي كلَّ عِبْرةٍ وزورقُه يَهوي بنا ثمّ يرتقي:
أيا عَجَباً للبحرِ عَبّ عُبابُه تَجمَّعَ حتّى صارَ في بَطْنِ زَوْرقِ(٦)
ولمّا نَزَلْنا ساحةَ القصرِ راعَنا بكلِّ جَمالٍ مُبْهِجِ الطَرْفِ مرتق
فما شِئتَ من ظلٍّ وريف وجَدْولٍ وروضٍ متى تُلْمِمْ به الريحُ يعبَقِ(٧)
وشادٍ معاني!! الحُسْنِ في نَغَماتِه يُطارِحُه هَدْرُ الحَمامِ المُطوَّق(٨).

---

(١) في عنوان الدراية (ص ٢٨١، الحاشية الأولى): الأنسب أن يقال: قصر الرفيع، والرفيع قصر بناه الموحّدون في بجاية، ووصفه الشاعر لمّا زار بجاية ومدح واليها من سادات بني عبد المؤمن (الموحّدين).

(٢) عشى الرجل النار يعشوها: رآها من بعيد فقصدها. الندى: الكرم. المحلّق: والمحلّق بن حنتم كان رجلاً مِئْناثاً (نسله كلّه بنات)، وكان من عوامّ الناس. جاء مرّة إلى الشاعر الأعشى في الجاهلية (ومنحه شيئاً يسيراً) وطلب منه أن ينوّه ببناته. فأنشد الأعشى فيه، في عكاظ أبياتاً منها:

لعمري، لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرّق،
تشبّ لمقرورين يصطليانها، وبات على النار الندى والمحلّق.

فتزوّجت بنات المحلّق كلّهن.

(٣) يشبّه الزوارق بالجياد (الخيل). الضامر: الحصان الخفيف البطن (ويكون سريعاً). السُّبَّق جمع سابق.

(٤) إذا سكّنّا الياء في «تبدي» وشدّدنا الواو في «مروّق» يستقيم الوزن، ولكن يظلّ المعنى غامضاً.

(٥) فيه (في البحر أو النهر). إنسان مقلة أزرق (بؤبؤ العين: أكرم الناس). أزرق (البحر!).

(٦) عبّ عبابه: تعاظم موجه. تجمّع حتّى صار...: اجتمع البحر كلّه (العلم والكرم) في الخليفة محمّد الناصر وهو راكب زورقاً. فالبحر (محمّد الناصر) يركب في زورق يسبح في بحر (مجتمع من الماء).

(٧) وريف (مصدر «ورف»): اتّسع. ويجوز وصف الاسم بالمصدر. تلمم: تمرّ به مرًّا خفيفاً. يعبق: تنتشر منه رائحة طيّبة.

(٨) في الأصول: وشادي مغاني. هدر الحمام: ردّد صوته، غنّى. المطوّق: الحمام ذوات الطوق (ريش مغاير للّون العام في الحمامة يكون حول عنقها كالطوق أو كالعقد).

فيا حسنَ ذاك القصرِ لا زالَ آهلاً، ويـا طيـبَ ريّـا نَشْرِهِ المُتَنَشَّق.
رَتَعْنـا به في رَوْضةِ الأُنس بعدَما هَصَرنا به غُصْنَ المَسرّةِ مورق[1]!
ويُضْحِكُنـا طولُ الوِصالِ، وربّما يَمرُّ على الأوهامِ ذِكْرُ التَفرّقِ،
فتُضْحي مَصوناتُ الدموعِ مُذالةً ونحن على طِرْفٍ من الدهر أبلق[2].
لمِثْلِها من مَنْزَهٍ ونَزاهــــةٍ يُجرِّر ذَيْلَ الدَّلِّ كلُّ مُوَفّق[3].
فللّـهِ ساعـاتٌ مَضَيْنَ صوالـحٌ عليهنّ من زقّ الصبا أيّ رَوْنق[4].
خَلَعْنـا عليها النُسْكَ إلّا اقلَّه، وإن عاوَدَتْ نَخْلَعْ عليها الذي بَقي.

- وله، نثراً، مِمّا ألْحَقَهُ بقصيدتِه القافيّة:

ولّما نَضَبَ ماءُ الأصيلِ ورَقّ نسيمُه العليلُ، وهَمّ العَشِيُّ بانْصِرامٍ ووَدّعَ النهارُ بسلامٍ، وأرخى الليلُ فَوْقَنا سُدولَه وجَرّرَ على الأُفُق ذُيولَه، عُدْنا إلى زَوْرقِنا ذلك ومُحَيّا الجَوِّ غيرُ مُحتجبٍ ووجهُ الأُفقِ غير مُتَلَفّعٍ بثَوْبِ الغَمام ولا مُنْتَقِب.

- من قصيدته في السفر إلى مَرّاكُش:

وجِئْـتُ بِجايـةَ فَجَلَـتْ بُدوراً يَضيـقُ بوصفِها حَرْفُ الرَوِيّ[5].
وفي أرضِ الجزائرِ هـامَ قلـبي بمَعْسول المراشف كوثريّ.
وفي مِليانــةٍ قـد ذُبْـتُ شَوْقـاً بلِين العِطـف والقلبِ القَسِيّ[6].

(١) هصر الغصن: شدّ به ليقطف ما عليه من الثمر. مورق (حقّها النصب على أنّها «حال»). ولكن يجوز أن تكون: هصرنا بغصن للمسرّة مورق فتستقيم القافية والوزن أيضاً.
(٢) مذالة: مهانة (مرسلة بكثرة). في الأصل «هدالة» (ولا معنى لها، لعلّها خطأ مطبعي). الطرف (بالكسر): الكريم من الناس ومن الخيل (وأكثر ورودها متّصلة بالخيل). الأبلق: ما كان فيه سواد وبياض. «ونحن على طرف من الدهر أبلق» (فيه بياض وسواد: في حياتنا سرور وحزن؟).
(٣) الدلّ: الدلال، أو الإدلال (جرأة المحبوب على المحبّ في المطالب وفي المعاملة)، وحسن الحديث (مع الإعجاب بالنفس ومع الثقة بإعجاب الآخرين).
(٤) الرونق: الحسن، الجمال الذي يعجب العين. أيّ رونق: رونق كثير.
(٥) حرف الرويّ: الحرف الأصيل في القافية (وهي الياء المشدّدة، في هذه المقطوعة). لا يفي الشعر بوصفها.
(٦) العطف: الجانب الأعلى من الجسد. القسيّ: القاسي.

وأبـــدتْ لي تِلِمْسانٌ قُـــدوداً جَلَبْنَ الشَّوْقَ للقلـــبِ الخَلِيِّ[1].
وأطلـعَ قُطْرُ فـاسٍ لي شُموسا مَغارِبُهُنّ في قلـــبي الشَّجيِّ[2].
وفي مَرّاكُشٍ، يـا ويحَ قلبي، أتـى الوادي فطَمَّ على القَريِّ[3]:
بـدورٌ بـل شُموسٌ بـل صباحٌ بَهِيٌّ في بَهِيٌّ في بَهِيِّ[4].
فها أنا قد تَخِذْتُ الغَرْبَ داراً وأُدْعَـــــى اليوم بالمَرّاكُشِيِّ.
فلي قلبٌ بأرضِ الشرقِ عانٍ، وجسمٌ حـلّ بالغَرْبِ القصيِّ[5].

٤ - ** عنوان الدراية ٢٨٠ - ٢٨٦؛ نفح الطيب ٢: ٤٨٣ - ٤٨٤؛ معجم أعلام الجزائر ٦٦ - ٦٧؛ الطهار ٧٧ - ٨٠؛ الأصالة ٤: ١٩ (ص ١٠٦).

أبو القاسم بن هشام القرطبي

١ - كان لأبي الوليدِ هِشامٍ الأزديّ القُرطبيّ ابنان: عامرٌ (ت ٦٢٣) وكُنْيَتُه أبو القاسم ثمّ أبو بكر (٦٣٥) وكُنيته أبو يحيى. وكانا كِلاهُما شاعرين. وربّما اخْتَلَطَتْ حقائقُ حياتِهما ومُفَرداتُ آثارِهما في عددٍ من المصادر.

وصاحبُ هذه التَرْجَمةِ هو أبو القاسمِ عامرُ بنُ هشامٍ القُرطبيُّ كان مشهوراً بالبَطالة والمُنادمة مُغْرَماً بشُرب الخمر مُستهتراً بأنواع اللهو ثمّ صَلَحَتْ حالُه بعد ذلك وأقبلَ على النُسْك. وكانت وفاتُه سَنَةَ ٦٢٣ (١٢٢٦ م).

٢ - كان أبو القاسمِ بنُ هِشامٍ القُرطبيُّ أديباً مُحسناً في النثر والشعر، في القصائد والمُقطّعات. وأغراضُ شعرِه الخمر واللهو والمُجون. وكان إذا أراد الجِدّ أتى

(١) الخليّ: الذي لم يعرف الحبّ بعد.
(٢) الشجيّ: الذي اجتمع عليه الهمّ والحزن.
(٣) طمّ الوادي على القريّ، مثل. الوادي: النهر، السيل. القريّ: مسيل ماء - يقصد: مرّاكش تفوق كلّ البلدان في الجمال.
(٤) هذا البيت ضعيف جدًّا.
(٥) عانٍ: أسير. الغرب القصيّ (البعيد بالإضافة إلى القطر الجزائري والقطر التونسي).

بالشعر الجَزْلِ المتين (كما نرى في المقطوعة الضاديّة). ويبرُزُ في شِعره الأدبُ (الحكمة) والعُنْصُر الشخصيُّ (كما نرى في قصيدته النونية الطويلة). وقيل: كانتْ له موشّحاتٌ.

٣- مختارات من آثاره:

- رقّتْ حالُ أبي القاسمِ بنِ هِشامٍ القُرطبيِّ فنَصَحَه بعضُ إخوانه بأنْ يذهَبَ إلى بَلاط المُوحِّدين في مَرّاكُشَ (للتكسّب) فأبى وقال قصيدةً يذكُرُ فيها ذلك ويتغزّلُ بقُرطبةَ. من هذه القصيدة:

يا هَبّةً باكَرَتْ من نحوِ دارينِ، وَافَتْ إليّ على بُعْدٍ تُحيّيني[1]،
سَرَتْ على صَفَحاتِ النهرِ ناشرةً جَناحَها بين خَيْرِيٍّ ونِسرينِ[2].
ردّتْ إلى جَسَدي روحَ الحياةِ، وما خِلْتُ النَسيمَ إذا ما مِتُّ يُحْيِيني.
أهْدَتْ إليّ أريجاً من شَمائِلِكُمْ فقُلْتُ: قَرِّبْني مَنْ كان يُقْصيني[4]!
يا مَنْ يُزَيِّنُ لي التَرْحالَ عن بلدي، كم ذا تُحاولُ نَسْلًا عندَ عِنّينِ[5]!
وابنَ يَعْدِلُ عن أرجاء قُرطُبةٍ مَنْ شاء يَظْفَرُ بالدُّنيا وبالدينِ[6]:
قُطْرٌ فسيحٌ، ونهرٌ ما بهِ كَدَرٌ حَفّتْ بشَطّيْهِ ألفافُ البساتينِ[7].
يا ليتَ لي عُمْرَ نوحٍ في إقامَتِها، وأنّ ماليَ فيها كَنْزُ قارونِ[8]:
كِلاهُما كُنتُ أُفنيه على نَشَوا تِ الراحِ نَهْباً ووَصْلِ الخُرَّدِ العِينِ[9].
وإنّما أسَفي أنّي أهيمُ بها وأنّ حَظّيَ منها حظُّ مَغبونِ.
أرى بِعَيْنَيّ ما لا تَستطيلُ يدي منه، وقد حازَه مَنْ قَدْرُه دوني[10].

---

(١) دارين بلد في البحرين وفي الشام مشهور بالطيب (المسك).
(٢) الخيريّ: نبت له زهر طيّب الرائحة. النسرين: ورد أبيض اللون (له رائحة طيّبة).
(٤) الأريج: الرائحة الطيّبة. الشمائل (جمع شمال بالفتح): الصفات. أقصاه: أبعده.
(٥) العِنّين: الذي لا يقوى على الجماع.
(٦) يعدل: يميل (يهجر).
(٧) الألفاف جمع لفيف: مجموع من الشجر يقرب بعضها من بعض.
(٨) قارون: رجل كان غنيًّا جدًّا.
(٩) الراح: الخمر. الخريدة (الجميلة) العين (جمع عيناء: واسعة العينين).
(١٠) استطال مستعملة في غير المعنى القاموسي (يقصد: نال، وصل إلى).

وأنكدُ الناسِ عَيْشاً من تكونُ له نفسُ الملوكِ وحالاتُ المساكين.
لا تُجْتَنى راحةٌ إلّا على تعبٍ، ولا تُنال العلا إلّا من الهُون.
وصاحبُ العقلِ في الدنيا أخو كَدَرٍ؛ وإنّما الصفْوُ فيها للمجانين.
يا آمِري أنْ أحُثَّ العِيسَ عن وطني لَمّا رأى الرزقَ فيه ليس يَكْفيني[١]،
نَصَحْتَ؛ لكنّ لي قلباً يُنازعُني. فلو ترحّلتُ عنه حَلّهُ دوني[٢].
لأَلْزَمَنْ وطني - طَوْراً تُطاوِعُني قُودُ الأماني، وطوراً فيه تَعْصيني[٣] -
مُدَلَّلا بين عِرفاني، وأُضْرِبُ عن سَيْرٍ لأرضٍ بها من ليس يَدْريني[٤]؛
هذا يقولُ: غريبٌ ساقَهُ طَمَعٌ؛ وذاك حينَ أُريهِ البِرّ يَجْفوني[٥].
لأَصْبِرَنَّ على ما كانَ من كَدَرٍ لِمَنْ عَطاياهُ بين الكافِ والنون[٦]!

- وله مُقَطَّعاتٌ منها:

** وممّا زادَ في شَجْوي وأبكى صغيرُ السِنّ مُقْتَبِلُ الشباب[٧]،
تَعوّضَ بالحِجارة عن حُجورٍ، وصار عن الترائبِ للتُراب[٨].
** الفقيهُ ابنُ نُصيرٍ خطُّهُ خطٌّ نبيلُ:

(١) العيس جمع عيساء: الناقة.
(٢) لو رحلت عن وطني لابتعدتُ عنه بجسمي وبقي قلبي فيه.
(٣) القوداء: (الفرس) الطويلة العنق والظهر، دليل أصالتها وقدرتها على السير وسرعتها.
(٤) العرفان: (مصدر) المعرفة. والشاعر يستعملها بمعنى المعارف (المعروفين) الذين يعرفونك وتعرفهم (الأصدقاء). أضرب عن الأمر. أعرض عنه، التفت عنه، أهمله، رفضه.
(٥) البِرّ: الطاعة للقبيل (لأهل الرجل). جفاه: عاداه وابتعد عنه.
(٦) من عطاياه...: الله. الكاف والنون (فعل أمر): كنْ. اقتباس من قوله تعالى (٣: ٤٧، آل عمران): «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون!».
(٧) يبدو أن هذين البيتين في طفل له مات. الشجو: الحزن. مقتبل الشباب: مرجوّ له شباب مقبل.
(٨) الحجر: الحضن الترائب جمع تريبة (هنا): جانب الصدر يقابل الشاعر بين ما حدث لطفله - إذْ مات - وما كان سيحدث له - لو عاش -: - مات فردم تحت الحجارة (القبر) - ولو عاش لوضع في الحجور: حجر أمه وأبيه ومحبيه - مات فصار للتراب - ولو عاش لصار بين الترائب - يقصد الأتراب - اللّدات.

أَلِفَـــــاتٌ كَرِمَـــــاحٍ   بينَهَـــا المَغْنَـــى قتيـــلُ[1].

** وأبي المُدامةِ، ما أريدُ بشُرْبِها   صَلَفَ الرقيعِ ولا انهاكَ اللاهي[2].
لم يَبْقَ من عهدِ الشبابِ وطِيبِهِ   شيءٌ، كعهدي لم يَحُلْ، إلّا هي[3].
إن كنتُ أشْرَبُها لِغيرِ وَفائِها   فتَرَكْتُهـــا للنـــاسِ لا للهِ[4]!

- وسَكِرَ في ليلةٍ مُطرةٍ ثمّ أحبَّ أن يرقُد في عُرض الشارع. فرآه بعضُ الحُرّاس وعَرَفَه فرفَعَهُ وجَرَّده من ثِيابه المُبلَّلةِ وألبسه شيئاً من مَلابسه هو ثمّ حمله إلى مَنْزِله. فلمّا أفاق وعَرَفَ صُورةَ الحالِ قال:

أقـــولُ وقـــد أوردتُ نَـفسِـيَ مَـوْرِداً
أبَحْـتُ بـه مـا شاءه السُّكْرُ من عِرضي[5]،
وقـــد صِـرتُ سَدًّا بالطريـــق لسائـــلٍ
من القَطْرِ، إذ لا بُسْطَ تحتي سوى الأرضِ[6]،

(١) - خطّه حسن ومعانيه سقيمة.

(٢) المدامة: الخمر. وأبي المدامة (يقسم بالخمر لحبّته لها). الصلف: التكبّر. الرقيع: الأحمق. انهاك (انغماس، إسراف) اللاهي (طالب اللهو، الذي همّه في الحياة اللهو). - ويجوز: وأبي، المدامة ما أريد بشربها (بقسم بأبيه)، وتكون «المدامة» مرفوعة على الابتداء. والأول أبلغ. ويبدو أن هذه الأبيات متنازعة بين نفر من الشعراء. في الوافي بالوفيات (٨: ٥١) عن ابن الأبار: «وهذه الأبيات قد أنشدنيها بعض الأعلام لأبي القاسم عامر بن هشام، وإنّما هي لأبي جعفر (أحمد بن عبد الرحمن اللخمي الكاتب) من أهل قرطبة ويعرف بالربضي لسكناه الربض الشرقي منها. كتب أبو جعفر هذا للولاة حيناً، وكانت وفاته في أول شوال من سنة ٦١٦ (١٠/ ١٢/ ١٢١٩ م). ورويت أيضاً لأبي سليمان داوود بن أحمد الطبيب المالقي.

(٣) حال: تغيّر وتبدّل (أشياء كثيرة اختلفت فيّ اليوم عمّا كانت في أيام شبابي - ما عدا الخمر، فإنّني ما زلت أجد فيها ما كنت أجده من قبل).

(٤) أشرب الخمر في أيام مشيبي لأنّها وفيّة لي منذ أيام شبابي. فلو أنّي تركتها الآن لكان تركي لها رياء للناس....

(٥) العرض: شرف الأسرة. - العمل الذي عملته الآن (ولو كان في السكر) لا يليق بي!

(٦) السائل (الجاري على وجه الأرض). من القطر (المطر). البسط: ما يبسط على الأرض (وطاء، بكسر الطاء): الحصير (ما يقال له: سجّادة).

وقـــد هَــزّنــي في آخِــرِ الليـــــلِ مرسَلٌ
من اللهِ أحْيـــــاني وألْحَـــقَ بي غَمْضي[1]:

سأُثني عليك الدهرَ في كلِّ مَحْفِلٍ؛ وما كلّ من أوليتَه نِعْمةً يقضي[2].
(ولم أَدْرِ من أَلقى عليه رِداءه خلا أنّه قد سُلّ عن ماجدٍ مَحْضِ)[3].

- ومن قوله في مُخاطبةِ أحدِ الرؤساء:

... وإنّي لَكالأرضِ الكريمة إنْ نُظِرَ منها[4] وسُقِيَتْ أنْبَتَتْ وأزْهَرَتْ وأوْدَعَتْ لِسانَ النسيمِ ما يُعَبِّرُ به في الآفاقِ عن شُكرِ الخيرِ الجسيم. وإنْ أُهْمِلَتْ صَوّحَتْ[5] وأوْدَعَتِ السوافيَ ما يُعمي العَيْنَ ويُرْغِمُ الأنفَ[6]. وإنّ لِسَيّدي كبيرَ حقٍّ، ولِمُعَظِّمِه[7] صغيرَ حقّ. ورَعْيُ أحدِهما مَنوطٌ بالآخَرِ[8].

٤ - ** زاد المسافر ١٠٤ - ١٠٥ (رقم ٢٨)؛ المغرب ١ : ٧٥ - ٧٦؛ الذيل والتكملة رقم ٢٠٢ (٥ : ١٠٦ - ١١٠)[9]؛ نفح الطيب ١ : ٤٧٣، ٥٤٢ - ٥٤٤، راجع ٣:

---

(١) هزّني (ردّني إلى نفسي). ألحق به غمضي (جعلني أنام نوماً طبيعيًّا).

(٢) هذا من قول بشّار بن برد (ت ١٦٧) يمدح خالد بن برمك (٩٠ - ١٦٣ هـ):
لعمري، لقد أجدى عليّ ابن برمك، وما كلّ من كان الغنى عنده يجدي.
أجدى على: أعطى.

(٣) هذا البيت لأبي خراش الهذلي (ت في أيام عمر بن الخطّاب، بين ١٣ و٢٣ هـ) قاله من مقطوعة لمّا وجد أخاه عروة مقتولاً وقد ألقي عليه رداء. سلّ: نزع. المحض: الخالص.

(٤) نظر فيها!

(٥) صوّح: يبس.

(٦) السافية: الريح التي تحمل التراب. يرغم الأنف: يجعل في الأنف رغاماً (بضمّ الراء: تراباً)، أو ألصقه بالتراب.

(٧) معظّمه: يقصد الكاتب (أبو القاسم بن هشام) نفسه.

(٨) منوط: متعلّق، مرتبط.

(٩) في حاشية الذيل والتكملة (٥ : ١٠٦): ترجمته في صلة الصلة ١٥٣، والتكملة رقم ٢٤٣٩. وبالرجوع إلى صلة الصلة (ص ١٥٣، رقم ٣٠٢) نجد ترجمة أبي الحسن عامر بن محمد (ت ٥٤٠)، أي قبل ثمانين سنة من أبي القاسم عامر بن هشام. وليست التكملة بين يدي الآن.

٢٢٨، ٤: ٨٩ قطعتان منسوبتان في «القدح المعلّى» (أسفل ص ٩١ وأعلى ص ٩٢) لأخيه أبي يحيى؛ راجع برنامج الرعيني ١٧٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٥ (٣: ٢٥٥).

عبد السلام بن مشيش

١ - هو الشيخُ العارفُ الكاملُ أبو محمدٍ (أو أبو عبد الله) عبدُ السلام بن مَشيشٍ (أبو بشيش) بن أبي بكرِ بنِ عليِّ بنِ حُرْمَةَ بنِ عيسى بن سلّامِ بنِ المِزْوار بن حيدرةَ ابن محمدِ بنِ إدريسَ بنِ إدريسِ بنِ عبدِ اللهِ الكاملِ بنِ الحسنِ المثنّى بنِ الحسنِ السِبْطِ ابن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ (راجع النبوغ المغربي ١٥١). كان مولدُه في بني العَروس في جَبَل العلم (قرب تَطوانَ - شَمالِيِّ المَغرِب)، رَحَل (إلى الشرق) ثم عادَ وتَتلمذَ على أبي مدينٍ في بِجايةَ. بعدئذٍ رَجَعَ إلى موطنهِ. وهُوَ أستاذُ أبي الحسنِ الشاذليِّ.

وقُتِلَ ابن مَشيش شهيداً في رِباطِ جَبَلِ العَلَم، نَحْوَ سَنَةِ ٦٢٥ (١٢٢٨ م)، في مُقاومة آبنِ أبي الطواجين الكُتاميِّ الساحرِ، ودُفن في قنّة جبل العلم.

٢ - كان عبدُ السلامِ بن مَشيشٍ من رجال التصوّف المعتدل القائمِ على حُسنِ العمل لا على الكلام في المُغَيَّبات. وقد كانَ متشدّداً في القِيام بفروضِ الإسلام وفي الأمرِ بالمعروفِ والنَهْيِ عن المُنْكَرِ. ومكانتُه في المغرب كمكانةِ الشافعيِّ في المَشرق. ويُعَدُّ ابنُ مَشيشٍ أحدَ الأقطابِ الأربعة في المَغْرب.

ولـه: كتابُ إعانةِ الراغبين في الصلاة والسّلام على أفضلِ المرسلين (ويُعرفُ اختصاراً بصَلَواتِ ابن مشيشٍ). وعلى هذه «الصلواتِ» عددٌ من الشُروحِ منها (راجع بروكلمان، الملحق ١: ٧٨٨): كتاب الصلاة على النبي لمحمّد بن علي الخرّوبي المتوفى سَنَةَ ٩٦٣ - اللَمَحات الرافعات - التدهيش عن معاني صلاة ابن مشيشٍ لمصطفى بن كمال الدين البكريّ المتوفّى سَنَةَ ١١٦٢ - النَفَحاتُ القدسية لعبد السلام ابن حَمدونِ البنّاني - الروضة العرشية في الكلام على الصلوات المشيشيّة، وغيرُها.

٣ - مختارات من آثاره:

- الصلاة المشيشيّة (دعاء لأبن مشيش):

اللّهُمَّ، صَلِّ على مَنْ مِنْهُ انْشَقَّتِ الأسرارُ وانفلَقَتِ الأنوارُ، وفيه ارتقتِ الحقائقُ وتنزّلتْ علومُ آدمَ فأعجز[١] الخلائق؛ وله تضاءلتِ الفهومُ فلم يُدْرِكْهُ مِنّا سابقٌ ولا لاحق.... اللّهمَّ، إنّه سِرّكَ الجامعُ الدالُّ عليك وحِجابُك الأعظمُ القائمُ لك بينَ يَدَيْك. اللّهمَّ، أَلْحِقْني بِنَسَبِهِ وحَقِّقْني بِحَسَبِهِ[٢]، وعَرِّفْني به معرفةً أَسْلَمُ بها من مَوارِدِ الجهلِ وأكرَعُ بها من موارد الفَضْلِ[٣] واحْمِلْني على سَبيله إلى حَضْرتِك حَمْلاً محفوفاً بنُصْرتِك...

(ثمّ يقول، وفي قوله تطرُّفٌ مخالفٌ لما ذُكِرَ عنه من الاعتدال):

.... زُجَّ بي في بِحار الأحَديّة وانشِلْني من أوْحال التوحيد وأغْرِقْني في عَيْنِ بحرِ الوَحْدةِ[٤] حتّى لا أرى ولا أسمعَ ولا أجِدَ ولا أُحِسَّ إلّا بها[٥]، واجعَلِ الحِجابَ الأعظمَ حياةَ روحي، ورُوحَه سِرَّ حقيقتي، وحقيقَتَه جامعَ عوالمي بتَحْقيق الحقِّ الأوّل...

- قال عبد السلام بن مشيش:

انظُرْ ببَصَرِ الإيمانِ تَجِدِ الله في كلِّ شيءٍ وعندَ كلِّ شيءٍ ومَعَ كلِّ شيءٍ، وقبلَ كلِّ شيءٍ وبعدَ كلِّ شيءٍ، وفوقَ كلِّ شيءٍ وتحتَ كلِّ شيءٍ، وقريباً من كلِّ شيءٍ

---

(١) أعجز يجوز فيها البناء للمجهول حتى تكون الخلائق مرفوعة لمناسبة السجع مع «الحقائق». ويجوز أن تكون مبنية للمعلوم وفاعلها عائد على «من» (أي محمّد رسول الله). ويجوز أن تكون «أعجزت» والضمير فيها راجع إلى «العلوم».

(٢) النسب: القرابة. والحسب: العمل النبيل المجيد.

(٣) الموارد (الأولى) من «ورد» (أشرف على، وصل إلى). والمورد (الثانية) من «ورد» (ذهب إلى الماء).

(٤) الأحدية: الاعتقاد بأنّ الله واحد. التوحيد: الاعتقاد بأن الله غير العالم (وهذا في التصوّف المتطرّف غير مقبول، لأنّه يجعل العالم غير الله فيخرج العالم من الوجود الإلهي). الوحدة: الاتّحاد (الاعتقاد بأن المتصوّف يمر في حال يصبح فيها مع الله «واحداً» بالعدد).

(٥) بها = بالوحدة (أي لا أرى الخ إلّا أنّ وجودي قد فني في وجود الله: فنيت أنا عن الوجود، وبقي الله الموجود الوحيد).

ومُحيطاً بكلّ شيء: بقُربٍ هو وَصفُه وبحَيْطةٍ هي نعتُه. وعَدِّ عنِ النظرِ فيه والحَدِّ وعنِ الأماكنِ، وعنِ الصُحبة والقُرْبِ والمَسافات وعن الدَوْرِ بالمخلوقات. وامْحُ الكلّ بوَصْفهِ الأوّلِ والآخِرِ والظاهرِ والباطن. وهُوَ: هُوَ هُوَ. كانَ اللهُ ولا شيءَ مَعَهُ، وهُوَ الآنَ على ما كان.

- وقال ابن مشيش:

أفضلُ الأعمالِ أربعةٌ بعدَ أربعةٍ: المحبّةُ للهِ، والرضا بقضاء الله والزُهد في الدنيا والتوكُّل على الله. هذهِ أربعةٌ. وأمّا الأربعةُ الأخرى فالقِيامُ بفرائضِ الله والاجتنابُ لِمَحارمِ الله والصَبْرُ على ما لا يَعْني والوَرَعُ من كلِّ شيءٍ يُلْهي.

٤ - إعانة الراغبين (مع شرح لها)، استانبول ١٢٥٦ هـ.
- اللمحات الرافعات، فاس (طبع حجر) بلا تاريخ.
- النفحات القدسيّة، بومباي (طبع حجر) ١٣١١ هـ.
- (مطبوع في) «بغية المشتاق لأصول الديانة والمعارف والأذواق، الخ» لعبد القادر بن عبد الكريم الورديغي، بولاق ١٢٩٨ هـ (ص ١٤٦ - ١٥٩).
** النبوغ المغربي ١٥١ - ١٥٢، ٣٥٦ - ٣٥٧ (١٢ و١٣ قبل ٣٥٨ من النقلة الأولى)؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩١؛ بروكلمان ١: ٥٦٩، الملحق ١: ٧٨٧ - ٧٨٨؛ الطبقات الكبرى للشعراني (القاهرة ١٣٢٩) ٢: ٦؛ الاستقصا ١: ٢١؛ الأعلام للزركلي (٤: ٩).

أبو اسحاق بن أصبغ القرطبي

١ - هو الإمامُ أبو إسحاقَ ابراهيمُ بنُ عيسى بنِ محمّدِ بنِ أصبغَ الأزديُّ من أهل قُرطُبَةَ ومن بيوتاتِها الأصيلة، وكان أهلُهُ يُعرفون ببني المناصف.

وَلِيَ أبو إسحاقَ بنُ أصبغَ قضاءَ دانيةَ ثمّ صُرِفَ عنها، سَنَةَ ٦٢١ هـ. وفي هذه السَّنةِ نفسِها - وفي صدرِ الفِتنة المُنبعثة فيها - كان أبو أسحاقَ يُملي في دانيةَ. وكان قد سَكَنَ بَلَنْسِيَةَ أشْهُراً ثمّ آنتقلَ عنها. ثمّ إنّه تولّى القضاءَ في سِجِلْماسَةَ (في المغرب الأقصى) إلى حينِ وفاتهِ في سَنَةِ ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م) في الأغلب.

٢ - يَرِدُ ذِكْرُ أبي إسحاقَ هذا بِنَسَبِهِ الكامل في« بُغية الوُعاة » على أنّه نَحْويّ. وأمّا الصَّفَديُّ فيذكُرُ أنّه من كبارِ الفُقهاء المالكية ثمّ يُورِدُ له بِضْعةَ أبياتٍ تدُلّ على أنّه شاعرٌ رقيقٌ أيضاً. ويبدو أنّ بَراعته الأولى قد كانتْ في النحو فكان شيخَ العَرَبية (النحو) وواحدَ زمانِهِ فيها، أمْلى في قول سِيبوَيْهِ « هذا عِلْمُ ما الكَلِمُ من العربية » عِشرينَ كرّاساً بَسَطَ القولَ فيها في مِائةٍ وثلاثينَ وجْهاً (نفح الطيب ٤: ١٤١).

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن المُناصفِ النَحْويُّ في الخَيال:

وزائرٍ زارَني وَهْنـاً فقُلْـتُ لـه: ... أنّى اهْتديتَ وسَجفُ الليلِ مسدولُ(١)

فقـالَ: آنستُ ناراً من جوانِحِكُمْ ... أضاء منها لدى السارين قنديلُ(٢).

فقلت: نار الهوى مَعنًى، وليس لها ... نورٌ يَبـينُ. فما ذا منك مقبولُ.

فقـال: نِسبتُنا من ذاك واحدةٌ: ... أنـا الخيـال ونارُ الحُب تَخْيِيل!

٤ - ** الوافي بالوفيات ٦: ٧٦ - ٧٧؛ بغية الوعاة ١٨٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٥٠ (٥٦)؛ تحفة القادم ١٣٢.

أبو الحسن بن الفضل المُعافري

١ - هو أبو الحسنِ محمّدُ بنُ الفَضْلِ المُعافريُّ أصلهُ من أوريولَةَ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٣ هـ (١١٦٧ - ١١٦٨ م). لَزِمَ أبو الحسنِ بنُ الفضلِ سُكنى إشبيليةَ فصارَ معدوداً في أعيانِها، وقد سَكَنَ غَرناطةَ مُدّةً ثمّ خَرَجَ عنها لأنّ سُكنى إشبيليةَ كان أحبَّ إليه. وكانتْ بينَه وبينَ صَفوانَ بنِ إدريسَ (ت ٥٩٨ هـ) صداقةٌ ومُكاتباتٌ ومُساجلاتٌ، ولَعلّه كان يمدَحُه تكسُّباً. وقد تكسّبَ بالشعر: سارَ إلى مَرّاكُشَ ومدح المُسْتَنْصِرَ

(١) وهنا: بعد نصف الليل. السجف (بالفتح أو بالكسر): السجاف (بالكسر: الستر، الستار، الستارة). مسدول: مرخي. آنس: أحسّ (علم، رأى).

(٢) الجوانح جمع جانحة: عظم بجانب الصدر (يقصد: من قلبكم المشتعل بالحبّ). الساري: السائر في الليل.

المُوَحِّدِيّ (٦١١ - ٦٢٠ هـ) وطَلَبَ أن يتولّى في إشبيليةَ خُطّةَ الزكاةِ والمواريثِ فظَفِرَ بذلك. ومدح مُحمّدَ بنَ يوسفَ بنِ هودٍ صاحبَ مُرْسيةَ (٦٢١ - ٦٣٥ هـ).

وكانتْ وفاتُه سَنَةَ ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م).

٢ - أبو الحسنِ بنُ الفضلِ ناثرٌ شاعر وشّاحٌ فصيحُ الألفاظِ سهلُ التراكيب عذبُ الأُسلوب صحيحُ السبكِ يُجيد القصائدَ والمقطّعاتِ وينكشف شِعرُه عن تسلسُلٍ مَنطِقيّ. وأغراضُه الوُجدانيةُ يمتزجُ فيها الجِدّ والهَزْل، وربّما مال في عددٍ منها إلى المُجون. وهو بارعٌ في المدح والوصف والغزَل.

٣ - مختارات من آثاره:

- اجتمع مرّةً في أحَدِ مُتَنَزَّهاتِ إشبيليةَ جماعةٌ فيهم أبو بحرٍ صَفوانُ بنُ إدريسَ (ت ٥٩٨ هـ) وأبو الحسنِ بنُ الفَضْلِ ورجلٌ يَدّعي أنّه يُحْسِن الرَّمْيَ بالقَوْس وهُوَ لا يُحْسِنُه. وأرادَ الجماعةُ أن يَتَندّروا بهذا المُدّعي فطلبوا منه أن يُصيب طائراً كان واقفاً على غُصُنٍ شجرةٍ قريبةٍ. فرَماهُ بسَهْمٍ فلم يفعَلْ شيئاً. فقال صَفوانُ في ذلك قصيدةً مطلَعُها:

أعِدْ على سَمْعي أحاديثَ المُنى؛ فما قبيحٌ أن تُعيد الحَسَنا.

فأجابَه أبو الحسنِ بنُ الفَضْل المُعافريُّ بقوله من قصيدةٍ طويلةٍ:

أفْضَلُ ما حاز الفتى قَناعةٌ وعِفّةٌ تَثْنيهِ عن سُبْلِ الخَنا[1].
انظر إلى أجْداثِهِمْ مُعْتَبِراً، هلْ ثَمّ فرقٌ بينَ فَقْرٍ وغِنى[2]؟
وليس للإنسانِ إلّا ما سَعى، وأنّ خَيْرَ السَّعْيِ تخليدُ الثَنا[3].
لولا ابنُ إدريسَ وفَضْلُ خُلْقهِ لَما بدا من مَدْحه ما بَطَنا:

---

(١) تثنيه: تردّه. الخنا: القول أو العمل القبيح.
(٢) الجدث (بفتح ففتح) القبر.
(٣) في القرآن الكريم: «وأنْ ليس للإنسان إلّا ما سعى، وأنّ سعيه سوف يرى، ثم يُجزاه الجزاء الأوفى» (٥٣: ٣٩ - ٤١، سورة النجم).

شقيــــقُ نفسي تُرْبَــةً وغُربــةً   وأدبــاً ومذهبــاً وسَنَـــا[1].
تلوّنَ الدهرُ عــــلى عاداتــــهِ،   وَهْوَ كما أدْريــهِ مــا تَلَوّنــا.
مُهــذَّبُ الفِكرةِ مصقولُ النُهــى   مُسْتَعْذَبُ الخبرة معسولُ الجَنى[2].
أشهرُ من نُور الصباحِ المُجتلى،   أنضرُ من نَوْرِ الأقاح المُجتنى[3].
إيـهِ أبـا بَحْرٍ، وعِنـدي مِقْوَلٌ   يُحْسِنُ أن يشكُرَ تلك المِنَنا[4]،
ألستَ من سَيَّرَهَــا غرائبــاً   تُتَوِّجُ الشامَ وتكسو اليَمَنــا[5]!
أصْغَتْ لها بَغدانُ حتّى اسْتَصغرتْ   حبيبَهـــا ومُسْلِماً والحَسَنــا[6].
أتذكُرُ العهــدَ الــذي مرّ بنــا   بِذي النَقا حيثُ ظباءُ المُنحنى[7]؟
أيّــامَ ظَــلّ الدهرُ عنّــا غافلاً   حتّى جَنَيْنا العيشَ غضّاً لَيِّنا.
ولا كيومٍ شَرِبَــتْ أرواحُنــا   راحَ الهوى فيه بكاساتِ المُنى،
في فِتْيــةٍ - أو فِتْنــة - تَنَظّموا   سِمْطاً. أأبصرتَ النجومَ مَوْهِنا؟
كنــتُ أذُمُّ زَمَــني من قَبْلِهِمْ،   فيومَ صافَوْني حَمِــدتُّ الزمنــا!
. . . .
وصاحــبٍ حُلوِ المُزاحِ مُمْتِــعٍ   يُصفي السرورَ ويَقُدُّ الشَجَنا[8]،
خادَعَنــا لمّــا مشى مــا بَيْنَنــا   مُحْتَجِنــاً لقوسِهِ مُضْطبنــا[9].

---

(١) تربة: في الوطن. السنن: الطريقة، المنهج.
(٢) النهى: العقل. الجنى: الثمر (الحديث، الكلام). الخبرة (الخبر: ما تعرفه من الإنسان بعد اختباره).
(٣) المجتلى: المنظور (الذي يحبّ الناس أن ينظروا إليه). النور (بالفتح) الزهر الأبيض. الأقاح جمع أقحوان. المجتنى: المقطوف حديثاً.
(٤) المقول: اللسان. المنّة: المعروف (العطيّة).
(٥) سيّرها: سيّر القصائد (جعلها مشهورة). تتوّج الشام (مع أن الشام كانت مصدر الملوك!). وتكسو اليمنا (مع أن اليمن مشهورة بصناعة النسج).
(٦) أصغى: استمع. بغدان = بغداد. حبيب بن أوس أبو تمّام ومسلم بن الوليد صريع الغواني والحسن بن هانئ أبو نواس.
(٧) النقا: الرمل الأبيض. المنحنى: تلّة من الرمل مستديرة.
(٨) الشجن: الهمّ والحزن. قدّ: شقّ (؟). في المغرب (٢: ٢٨٧): «يحيي السرور ويميت الحزنا».
(٩) احتجن الشيء: ضمّه إلى نفسه (يحمل قوسه ولا يستخدمها). اضطبن الشيء: حمله بجانبه.

يحكي لنـا مـا شاءه تَظَرُّفـاً ويَزْدَهي بَرمْيِـهِ تَمَجُّنـا[1].
ويدّعي التصميمَ في أغْراضهِ. ولو رمى بَغدانَ أصْمى عَدَنا[2].
حتّى تَدلّى طائرٌ من أيْكـةٍ لم يبقَ إلّا أن يقولَ: ها أنا!
قُلنا له: قد أكْثَبَ الصيدُ، فقُمْ فأرِنا من بعضِ ما حَدّثْتَنا[3].
فقـام كَسلانَ يـمُطُّ حاجبـاً ويَتَمَطّى بـينَ أينٍ وونى[4].
وبَيْنَما أوْتَرَهـا، وبينَما كانتْ تَشَظّى في يَدَيْهِ إحَنا[5]،
وعندَما رمى حَمامَ فَنَنٍ أخطـأه وما أصابَ الفَنَنا[6].
أستغفرُ اللهَ لـه. إن لم يكُنْ أطْعَمَنا الصيدَ فقد أضحكنا.
لو أنّ رَضْوى مَثُلَتْ من كَثَبٍ لِسَهْمِهِ لصافَ عنها وانْثنى[7].
والمرءُ مغرورٌ ببادي رأيـهِ. ويظهَرُ الحقُّ إذا ما آمْتُحِنا[8]!

- ولأبي الحسنِ بنِ الفَضْلِ من موشّحةٍ (المغرب ٢: ٢٩١):

في طَرْفٍ من أهواهْ سيـفُ المَنونْ[9].

(١) يزدهي: يفتخر. الرميّ: اطلاق النبل عن القوس. التاجن: خلط الجدّ بالمزح.
(٢) التصميم: إصابة الشيء مباشرة وفي وسطه. الغرض: الهدف. بغدان= بغداد. أصمى أصاب المقتل (ولكن في عدن: بعيداً جدًّا عن بغداد، عن الهدف الذي أراد أن يصيبه).
(٣) أكثب: اقترب.
(٤) الأين: التعب. الونى: فتور الهمّة والضعف.
(٥) أوتر الرجل القوس: وضع السهم في وترها ليطلقه. تشظّي: تتشمّث (ينفصل منها قطع). الإحنة (بكسر الهمزة): الحقد. - تشظّى في يديه (يتمزّق بين يديه لأنّه لا يعرف أن يمسك بها فضلًا عن أن يعرف الرمي بها).
(٦) الفنن: الغصن.
(٧) رضوى: جبل في بلاد العرب (يؤثر عن الشعراء القدماء بأنّه كبير). مَثُلَ: انتصب، وقف منتصباً. من كثب: من قرب. صاف السهم: حاد عن الهدف.
(٨) بادي الرأي: الرأي الذي يخطر للإنسان لأوّل مرّة فيقبله من غير تفكير. وهو تضمين (راجع ١١: ٢٧، سورة هود).
(٩) الطرف: النظر، العين. المنون: الموت.

والقلـــــــبُ في بَلواهْ   مِـــمّـــنْ يَـخـــون[1]
يا قدَّ غُصْنِ البانْ   إذا آنثنــــى[2]،
الراحُ والرَّيْحــــان   بـــلِ المُنـــى[3]
في ذلـــك الوَسْنــانْ   إذا رنــــــا[4].
يـــــا ربِّ، مــــا أقساهْ!   تُرى يَـهـــون[5]؟
والصـــبُّ مـــا أرْجـــاهْ   مــــــــــــا لا يكونْ[6]!

- وله من مطلع موشّحة:

ألا هـلْ إلى ما تَقضّى سبيـلْ   فيُشْفى الغليلُ وتوسى الكُلومْ[7]؟

* * *

رعـى اللهُ أهـلَ اللّوى واللّوى   ولا راعَ بالبَيْنِ أهلَ الهوى[8].
فواللهِ، مـــا الموتُ إلّا النَوى؛   عَرَفْتُ النوى بتَوالي الجَوى[9]،
ومِمّـــا تخلّـــلَ جِسمي النحيـلْ   لقـد كِدتُ أنْكُرُ حَشْرَ الجُسومْ[10].

* * *

---

(١) - قلبي في بلوى(مصيبة، شقاء)ممّن يخون(من المحبوب الخائن الذي يعد ولا يفي أو الذي يحبّك مدّة، فإذا تعلّقت به تركك وانصرف إلى غيرك).

(٢) قوامه كغصن البان (وللبان أغصان طوال مستقيمة رشيقة). انثنى (تمايل في مشيه).

(٣) الراح: الخمر. الريحان: نبات طيّب الرائحة. المنى جمع منية (بالضمّ): أمل، غاية. الوسنان: الناعس، الفاتر (صفة للعين). رنا تطلّع. - النظر إلى هذا المحبوب كشرب الخمر (يسكر) وكشمّ الريحان (ينعش).

(٤) ترى يهون: هل يصبح الوصول إليه عليّ أهون (؟).

(٥) الصبّ: الشديد الحبّ. ما أرجاه ما لا يكون: ما أشدّ رجاءه (أمله، تعلّقه) بما لا يكون (بالمستحيل).

(٦) الغليل: العطش. توسى: تؤسى (!) تداوى. الكلم (بالفتح): الجرح.

(٧) اللوى الرمل المستدير (جانب التلّة): كناية عن مساكن العرب. البين: البعاد والفراق.

(٨) النوى: البعد. الجوى: ألم الحبّ.

(٩) دخل في جسمي أمراض كثيرة فأفسدته إلى حدّ أنّه يصعب إحياؤه.

فواحسرتــــــا لِزمـــــانِ مضى عَشِيَّــــةَ بــــانَ الهوى وانْقضى
وأُفردتُ بالرُّغْمِ لا بالرضـــــا وبتُّ على جَمَراتِ الغَضا[1]
أعانــــقُ بالفِكر تلــــك الطُّلولْ وأَلْثِمُ بالوَهْمِ تلك الرُّسومْ.

- كَتَبَ أبو الحسنِ بنُ الفَضْلِ من مدينةِ مَرّاكُشَ إلى موسى بنِ محمّدِ بنِ سعيدٍ[2] رِسالةً فيها شيءٌ من أدبِ الرحلةِ وشيءٌ من المُجون:

.... وأمّا ما نَشأ من عجائبِ هذه السَفْرةِ التي أطْربتْ نوادرُها وأضْحكتْ مَوارِدُها ومصادرُها[3]: حِكايةُ شيخِنا القلطي[4] مَعَ خديمِهِ المُراهقِ الأسمرِ الفائقِ ذي الطَرْفِ الكَحيل والخدّ الأسيل[5] والرِدْف الثقيلِ والخَصْر النحيل:

ذاك الذي مِتُّ من وَجْدٍ به، وغَدَتْ فيه أحاديثُ جُلّاسي وسُمّاري[6].
نَشوانُ من خَمْرةِ الدلّ التي شَغَلَتْ منْ ظَلّ يعشَقُه عن كلّ خَمّار[7].

يا لها أُعجوبةً طريفةً أطرفَ من فِقه أبي حَنيفةَ:

أُعجوبــــةٌ مــــا سَمِعنــــا بأختِهـــــا في أوان[8].
قــد صــار شيخُــك منها أُضحوكــــةً في الزمــــان.

وذلك أنّا لمّا خَرَجْنا من عين القدح قاصدين قَصْرَ كُتامة[9]، ظَهَرَ من هذا الشيخ

---

(١) الغضا شجر جزل (كثيف المادّة) تكون ناره شديدة.

(٢) زار أبو الحسن بن الفضل مَرّاكُش مراراً. وموسى بن محمّد سار إلى الحجّ سنة ٦٣٩ هـ وتوفّي وشيكاً في الإسكندرية، سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ - ١٢٤٣ م).

(٣) الموارد والمصادر (الذهاب إلى الماء والرجوع عنه): الأسباب والنتائج، الأحوال المختلفة.

(٤) القلطي، إذا لم تكن علماً أو نسبة، فهي (بفتح ففتح): القصير، الخبيث.

(٥) الأسيل: الأملس.

(٦) الوجد: الحبّ، الشوق، الميل. السامر: الذي يحادثك في الليالي. - هذا المحبوب أصبح حديث الناس (لجماله).

(٧) النشوان: السكران. الدلّ: الثقة بالنفس والطمع بالناس الذين يعجبون بصاحب هذا الدلّ. الخمّار: بائع الخمر. - اكتفى الناس من السكر بالنظر إليه فاستغنوا (بفتح النون) عن شرب الخمر.

(٨) الأوان: الزمان.

(٩) قصر كتامة (في معجم البلدان): مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الاندلس (جنوبيّ الاندلس). ولعلّ المقصود (هنا) مكان في المغرب.

في هذا الأسرِ ما لم يظهَرْ من الذي تَمنّى أن يكونَ هامةً[١]. وصار يَغارُ عليه من الألحاظ ولا يَبرَحُ متى كلَّمَ أو نُظِرَ يغتاظُ، إلى أن وَصَلْنا إلى وادي المخازن، والسَّيْلُ قد ضاقت[٢] بطلائعهِ صدرُهُ، وهو أبداً يَزيدُ مَدُّه ولا يُلِمُّ به جَزْرُه[٣]. ولم يسع الوقتُ جوازَ الشيخِ والغلامِ، بل بادَرَ بتَجويزه[٤] وقد أقبلتْ كتائبُ الظلام. فلمّا أن دَخَلَ الشيخ في ذلك الجانب، بعد اللَّتَيا والتي[٥] من خَوْضِ ذلك العُباب مَنَعَ الوادي نفسَه بُمزاحمة المياه[٦]. وبَقِيَ الشيخُ في أعظمِ مُصابٍ. وكنتُ، يا أخي، في مَنْ ظَفِرَ بالمَجاز وحصلت له الحقيقة بعد المَجاز[٧]:

فبــاتَ الشيــخُ في هَمٍّ وغَمٍّ ضجيعَ الفِكرِ والحُزْنِ الطويلِ.
وبِــتُّ ضجيــعَ أسْمرِه أُنـادي بحَيَّ عـلى التواصلِ والوُصولِ[٨].
فلا تسألْ - فديتُكَ - عن مَبيتي هناكَ؛ وسَلْ صِحابَكَ عن مَقيـلي[٩].

ثمّ إنّه لمّا وَضَحَ النهارُ وأصبحَ الشيخُ كالمُوَلَّهِ لِفَقْدِ الجوار[١٠]، اكْتَرى الشيخُ مَنْ سَبَحَ به إلينا، وأرْسَلَ الله منه نِقْمَةً علينا. وجُملةُ الأمرِ: أنّا ظَفِرنا ليلةً برَبٍّ هواهُ، وصَفَعْنا نهارَه جَميع قَفاهُ!

(١) أن يكون هامة: أن يموت (؟).

(٢) كذا في الأصل. والصواب: ضاق بطلائعه (أوائله) صدره وادي المخازن مكان قرب القصر الكبير (شمال شرقيّ الرباط وجنوب شرقيّ العرائش) في المغرب.

(٣) الجزر: تراجع مياه البحر. والمدّ علوّ ماء البحر عند الشطّ. لا يلمّ به جزره: لا يحدث انخفاض في مائه.

(٤) الجواز: الانتقال عبر الماء من جانب إلى جانب. التجويز: جعل الآخرين يجوزون.

(٥) بعد مصاعب كثيرة.

(٦) العباب: الموج. منع الوادي (النهر) نفسه (منع الناس من الجواز عبره).

(٧) الحقيقة: دلالة الكلمة على المعنى الذي وضع لها في القاموس (الشمس: الجسم المشتعل الذي يضيء الأرض). والمجاز: دلالة الكلمة على غير المعنى الوضعي لها (الشمس: المرأة الجميلة) حصلت له الحقيقة بعد المجاز: ظفر بالمحبوب بعد أن كان يتمنّى الظفر به (؟).

(٨) التواصل والوصل: نيل الرغبة من المحبوب.

(٩) لا تسأل عن مبيتي (نومي) في تلك الليلة (لأنّي لم أنم فيها) اسأل عن مقيلي: النوم في النهار (لأنّي كنت في الليل ساهراً مع المحبوب).

(١٠) المولّه: الذي اشتدّ حزنه حتّى كاد عقله يذهب. لفقد الجوار (جوار محبوبه).

٤ - ** زاد المسافر ١٠٦ (رقم ٣١)؛ المغرب ٢: ٢٨٦ - ٢٩١؛ القدح المعلّى ١٠٨ - ١١١؛ الذيل والتكملة رقم ٦٥١ (؟: ٣٧٦ - ٣٨٧)؛ ازهار الرياض ٢: ٢١١.

أبو زيد الفازازيّ

١ - هو أبو زيدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ يَخْلَفْتَنَ بن أحمدَ اليَجَنْشيّ، وُلدَ بُعيد سَنَة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) في قُرطبةَ ونشأ فيها. ثمّ إنّه سكن تِلمْسانَ وغيرَها.

سَمِعَ أبو زيدٍ الفازازيُّ من جماعةٍ فيهم الحافظُ عبدُ الرحمن السُهيليّ (٥٨١ هـ)، فيما قيل، والحافظُ أبو الوليدِ يزيدُ بنُ عبدِ الرحمن بن بَقيٍّ القاضي وأبو الحسن جابرُ ابنُ أحمدَ القُرَشيُّ التاريخيُّ وأبو عبد الله بن الفَخّارِ التُجيبيّ.

وقد كَتَبَ أبو زيدٍ الفازازيُّ دهراً طويلاً في الأندلُسِ لِوُلاةِ الُموحّدين. وفي سَنَةِ ٦٢٦ للهِجرة - في مَطْلَعِ حُكمْ السُّلطانِ الُموحّديّ المأمونِ أبي العَلاءِ إدريسَ (٦٢٦ - آخر ٦٢٩ هـ) - نالَتْهُ جَفْوةٌ على يَدَيِ الوالي في قُرطبةَ وإشبيليةَ (؟)، فألزَمَهُ السلطانُ دارَه ثمّ نفاه عَن الأندلس فانتقلَ إلى العُدْوة. وفي شَعْبانَ من سَنَةِ ٦٢٧ (أيلول - سبتمبر ١٢٣٠ م) زار أبو زيدٍ الفازازيُّ مَرّاكُشَ وترضّى السلطانَ المأمونَ، فَرَضِيَ السلطانُ عنه. ولكنّ أبا زيدٍ لم يَعِشْ بعدَ ذلك طويلاً فكانت وفاتُه في مَرّاكُشَ في ذي القَعْدة من سَنَةِ ٦٢٧ نفسِها (أيلول - تشرين ١٢٣٠ م).

٢ - كان أبو زيدٍ الفازازيُّ مُشارِكاً في عددٍ من فنونِ العلم من الفِقه والتاريخ وعلم الكلام (وكانتْ بضاعتُه من الحديثِ قليلةً)، وكان أديباً ناثراً مُترسّلاً وشاعراً يَغلِبُ على شِعره مدحُ الرسول وأشياءُ من الزهد والتصوّف والحِكمة، وربّما جاء في شعرهِ بُلزوم ما لا يلزَمُ.

ثمّ إنّه مُصنّفٌ له: سفينةُ السعادةِ لأهل الضّعْفِ والنِجادة (مجموع قصائد) - ديوان الوسائل المُتقبَّلة - القصائد العِشرينيّات (وهي قصائدُ تتألّفُ كلّ قصيدةٍ منها من عِشرينَ بيتاً) في مدحِ رسول الله محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم. وهذه القصائدُ شائعةٌ جدًّا ومُحَبَّبَةٌ إلى النفس، وخصوصاً في السودان الغربي (غربيّ إفريقية). وربّما أوردَ

نَفَرٌ من المؤلفين أسماء هذه المجموعةِ بعَناوينَ مختلفةٍ: المُعَشّراتُ في مدح النبيّ- القصائدُ العشريّات (العشرينيّات في النصائحِ الدينية والحِكَمِ الزُّهدية- المنظومات المعشّرات الزهدية والمعشّرات الحُبّيّة والنَفَحات القلبية التي كلُّ قصيدةٍ (منها) عِشرونُ بيتاً في المدائح النبويّة.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو زيدٍ الفازازيّ في مديحِ الرسول:

كَمَلَتْ بنَعْتِ محمّدٍ خيرِ الورى غُرَرُ القصائدِ كلُّها وحجولها[١]،
واختُصَّ دونَ الأنبياء بدعوةٍ وَسِعَ العِبادَ عُمومُها وشُمولُها.
فاضَتْ على الثَقَلَيْنِ منه أشِعّةٌ طَلَعَتْ وما عَقَبَ الطلوعَ أفولُها[٢].
فالإنسُ تعلَمُ أنّه مقصودُها، والجِنُّ تُوقِنُ أنّه مأمولُها.

- وقال في الرسول أيضاً (وهو من لُزومِ ما لا يلزَمُ):

أتى والوَرى أسْرى، فكان غِياثُهم بنورِ سماءٍ ينقلوه عن الإسرا[٣]
وعَفّى رسومَ الكافرين وأهلَها، فلا قيصرٌ من بعدِ ذاك ولا كِسرى[٤].

---

(١) القصائد الغرر جمع غرة (بالضمّ فيها): البياض في جبهة الفرس، أوّل كلّ شيء وأكرمه. كلّها، لعلّه يقصد كللها جمع كلّة (بالكسر فيها): ستر رقيق ينصب على خدر المرأة ونحو ذلك. والحجول جمع حجل (بالكسر) الخلخال (بالفتح). - يريد أن يقول إنّ هذه القصائد أصبحت خير القصائد لأنّ فيها مدحا لمحمّد رسول الله.

(٢) الثقلان: عالم الإنس وعالم الجنّ (بالكسر فيها). عقب وأعقب فلان فلاناً: خلفه وجاء بعده. الأفول: الغياب.

(٣) أتى (محمّد رسول الله). الورى (جميع الناس). الغياث (نزول المطر، كناية عن إنقاذ الناس من الضلال والبلاء والقحط، الخ). ينقلوه (كذا في الأصل. ويجب أن تكون «ينقلونه»).الاسراء: انتقال محمّد رسول الله من مكّة إلى القدس فإلى السماء ثمّ رجوعه إلى مكّة (ليلا). وكان ذلك في آخر الدور المكّي، قبل الهجرة من مكّة إلى المدينة. واختلفت الرواة في هذا الإسراء: أكان بالروح فقط أم بالروح والجسم معاً؟.

(٤) عفّى: محا. الرسوم جمع رسم: النظام المألوف في المعاملات، الطريقة (هنا: الشرائع). قيصر (لقب ملوك الروم: اليونان) وكسرى (لقب ملوك الفرس).

تقــدّمَ كــلَّ العالمــين إلى مَـدًى تظَـلُّ به الأوهامُ ظالعةً حَسْرى[1]

فسُبحـــــــانَ مَنْ أسرى إليـــــــه بعَبْــــــدِه،

وبُورِكَ في الساري وبُورِكَ في المَسْرى[2].

٤ - سفينة السعادة لأهل الضعف والنجادة، القاهرة ١٣٢٠ هـ.

- الوسائل المتقبّلة (مع سابقات الجياد ليوسف بن اسماعيل النبهاني)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٢ هـ.

- القصائد العشرينيّات[3] في مدح سيدنا محمد، القاهرة (دار الكتب الكبرى) ١٣٣٤ هـ.

★★ التكملة ٢: ٥٨٥ - ٥٨٦؛ بغية الوعاة ٣٠٤؛ نيل الابتهاج ١٦٣؛ نفح الطيب ٢: ١١٩، ٤: ١٢٢، ٤٦٨ - ٤٦٩، ٧: ٥٠٧ - ٥١٢؛ بروكلمن ١: ٣٢٢، الملحق ١: ٤٨٢ - ٤٨٣؛ الأعلام للزركلي ٤: ١١٨ (٣: ٣٤٢)؛ معجم المؤلفين ٥: ١٩١؛ سركيس ١٤٢٧ - ١٤٢٨؛ تحفة القادم ١٣٣ - ١٣٤.

أبو الحجّاج التادليّ آبن الزّيّات

١ - هو أبو الحجّاج أبو يعقوبَ يُوسُفُ بنُ يحيى بنِ عيسى بن عبدِ الرحمنِ التادِلي (نسبةً إلى تادلة في المَغْرب، بين مدينة مَرّاكُشَ ومدينة فاسَ)، ويُعْرَفُ بابنِ الزّيّات. وقد كانتْ وفاتُه سَنَةَ ٦٢٧ أو ٦٢٨ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م).

٢ - كان أبو الحجّاج التادليُّ من أئمّةِ اللغة والنحوِ والأدب، ويبدو أنّه اتّجه اتّجاهاً قويًّا إلى التصوّف في أواخرِ حياتهِ وأصبح شديدَ الإيمان بالكَرامات الخارقةِ

---

(١) إلى مدى (مسافة بعيدة). الظالع: الذي يعرج (بفتح الراء) في مشيه، لا يستطيع الجري بسرعة أو بيسر (بضمّ الياء). حسرى جمع حسير (للمؤنث والمذكّر): الكليل، الخائر القوى، الضعيف، العاجز (راجع تاج العروس- الكويت ١١: ١٢- ١٣).

(٢) «سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام (مكّة) إلى المسجد الأقصى (القدس)» آية من القرآن الكريم (١٧: ١، سورة الإسراء). الساري: محمّد رسول الله. المسرى: الانتقال (برسول الله) من مكّة إلى بيت المقدس.

(٣) راجع عناوين لها مختلفة (في خصائص الفازازي، رقم ٢)؛ وعليها شرح لمحمّد الزهري الغمراوي.

للعادةِ وللطبيعة من المَشْيِ على الماء (التشوّف، ص ٩٨، ١٩٢، ٣٢٥، ٣٦٥) والطَيَرانِ في الهواء (ص ٢٥٢) وبجعل ماء البحر عَذْباً حُلواً (ص ٢٨٠) وتكليم الموتى في قبورهم (ص ٢٨٧، وغيره). ثمّ هو مُصنِّفٌ، له: نهاية المقامات في دراية المقامات (شرح لمقامات الحريري المتوفّى ٥١٦ هـ)- مناقبُ أحمدَ السَبتيّ دفينِ مرّاكُشَ- التشوّف إلى رجال التصوّف (بدأ بتأليفه ٦١٧ هـ). في هذا الكتاب تراجمُ للذين سبقوا عصرَه، إذْ لم يترجم للأحياء. والكتابُ مملوءٌ بأفعالٍ منسوبة إلى المتصوّفين أشبهَ شيءٍ بالخرافات. وفي الكتاب شعرٌ كثيرٌ، يبدو أن قليلَه لأصحابِ التراجمِ التي يَرِدُ ذلك الشعرُ في أثنائها، ويبدو أن أكثرَه غيرُ ذلك[1]. وهو يُورِدُ ذلك الشعرَ مقطوعاً مُغْفَلًا لا يَنْسِبهُ إلى أصحابِ التراجمِ ولا إلى غيرِهم، إلّا في النادرِ الشاذّ.

٣- مختارات من آثاره:

- من مقدّمة كتاب «التشوّف إلى رجال التصوّف»:

.... لم يَخْلُ زمانٌ من وَليٍّ من أولياءِ اللهِ تعالى يَحْفَظُ اللهُ به البلادَ والعِباد. وكانت طائفةٌ منهم عظيمةٌ بأقصى المغرب أُهْمِلَتْ أخبارُهم وجُهِلَتْ آثارُهم حتّى ظَنّ مَنْ لا علمَ له بهم أنّه لم يكنْ منهم بأقصى المغرب أحدٌ.... وما زال كثيرٌ من الصالحين يَكْرهون الإقامةَ في قواعدِ البلادِ خيفةً من الفِتَن[2]، ومنهم من كان مُقيماً بها على وجهِ الاضطرار...... ولمّا خَفِيَ عن كثيرٍ علمُ مَنْ كان بحضرةِ مَرّاكُشَ[3] من الصالحين ومَنْ قَدِمَها من أكابرِ الفضلاء رأيتُ أن أَفْرُغَ لذلك وقتاً[4] أجمعُ فيه طائفةً

---

(١) هو يورد مثلاً أبيات القاضي الجرجاني (٣٩٢ هـ):

يقولون لي: فيــــك انقبـــــاض! وإنّما رأوا رجــلاً عن موقــف الــذل أحجما.

في ترجمة أبي الربيع سليمان الصنهاجي التلمساني (ت ٥٧٩ هـ). راجع ص ٢٧٣.

(٢) خيفة من الفتن: خوفاً من أن يشتهروا فيكثر الناس من احترامهم والتبرّك بهم فيدخل على نفوسهم شيء من الغرور يفسد تصوّفهم.

(٣) حضرة مرّاكش: المدينة التي هي العاصمة (يحضر فيها الملك).

(٤) أفرغ: اتخلّى عن كلّ شيء وأهتمّ بشيء واحد. وقتاً (مدّة من الزمن)- وهي هنا ظرف مفعول فيه منصوب.

أُدَوِّنُ أخبارَهم.... وتَحَرَّيْتُ في نقلِ ذلك عن أهل الثِقَةِ والأمانة والخَبَرِ والصلاح والمستورين(١) ما استطعتُ.... وسَمَّيتُ هذا الكتابَ بالتشوّف إلى رجال التصوّف، وإن كان مُشتملاً على أضرابٍ من أفاضلِ العلماء والفُقهاء والعبّاد والزُّهّاد والوَرعين... فإنّ اسمَ الصوفيّ يَصْدُقُ على جميعِهم..... والذي يُعَوَّلُ عليه أنَّ الصوفيَّ هو المنقطعُ بهمّتِهِ الى الله تعالى، المتصرّفُ في طاعته......

وجَرّدتُ هذا الكتابَ من علومِ التصوف واقْتَصَرْتُ على إيراد أخبارِ الرجالِ، فإنّ «إحياءَ علومِ الدين»......... للغزّالي.... هو المُنْتَهى في ذلك.......

٤ - التشوّف إلى رجال التصوّف (اعتنى بنشره وتصحيحه أدولف فور) الرباط (مطبوعات افريقية الشمالية الفنّيّة) ١٩٥٨ . (مطبوعات معهد الأبحاث العليا المغربية ١٢).

★★ نيل الابتهاج (بهامش الديباج المذهب) ٣٥٢؛ بغية الوعاة ٤٢٥؛ البلغة ٢٩٤؛ بروكلمن، الملحق ١ : ٥٥٨ - ٥٥٩؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٣٣٩ - ٣٤٠ (٨ : ٢٥٧).

أبو عبد الله محمّد بن حماد الصنهاجي

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ عليِّ بنِ حَمَادٍ (أو حَمَادو أو حَمَادةَ) - وكلُّها بتخفيف الميم: بلا شدّة عليها - من أهلِ قلعة بني حماد(٢). وُلِدَ نحوَ سَنَةِ ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) في قريةِ بُرج حمزةَ من حَوْز قلعةِ بني حماد (البويرة - دائرة البيبان)، شرقَ مدينة الجزائر، وفيها نشأ.

بدأ ابنُ حَمادٍ الصُّنْهاجيُّ تلقّيَ العلمِ في بلده قلعة بني حماد (وكانت حاضرةً من حواضرِ العلم) ثمّ في بجاية، ثمّ في عددٍ من مُدن المغرب، وفي الأندلُس أيضاً. وقد كان من شُيوخه الفقيهُ أبو عليٍّ حسنُ بنُ عليٍّ المَسيليُّ (ت نحو ٥٨٠ هـ) من أهلِ بِجايةَ،

(١) المستورون: الذين لا يتظاهرون بالتصوّف ولا يريدون أن يُعرف عنهم أنّهم متصوّفون.

(٢) المشهور في قلعة بني حمّاد وفي بني حمّاد من الأسر الحاكمة في المغرب أنها بتشديد الميم. وفي تاج العروس (الكويت): حمادة، كحمامة (بلا شدّة على الميم) ناحية باليمامة (٨ : ٤١). ولقد سمّى العرب حمّاداً بتشديد الميم (٨ : ٤٠، راجع ٤٥).

وكان يُلقَّبُ « أبا حامدِ الصغيرَ » تشبيهاً له بأبي حامدِ الغزّاليّ (ت ٥٠٥ هـ) ثمّ المحدّثُ عبدُ الحقّ بنُ عبدِ الرحمن الأشبيليُّ المعروفُ بابن الخرّاط الأزديّ الإشبيلي (ت ٥٨١ هـ) ثمّ أبو تميمٍ مَيْمونُ بنُ جُبارةَ بن خَلْفونِ الفِردادي (ت ٥٨٤ هـ) من أهل بجايةَ (القُطر الجزائري) ثمّ الصوفيّ المشهورُ أبو مَدْيَنٍ شُعيبُ بنُ الحسن (ت ٥٩٤ هـ) ثمّ أبو العبّاس بن مبشّر (؟). ولقد تلقّى آبنُ حَمَادِ الصّنهاجيُّ العِلمَ على هؤلاء وعلى غيرِهم أيضاً في عددٍ من مُدُنِ القُطر الجزائري والقطرِ المَغربي وفي الأندلُس.

وتولّى آبنُ حَمَادِ القضاءَ في الجزيرة الخضراء (جَنوبيَّ الأندلُس) إلى سَنَة ٦١٣ هـ. ثمّ نُقِلَ إلى مدينة سَلا (قرب الرباط - المغرب) فتولّى فيها القضاء إلى أن تُوُفِّيَ فيها، سَنَةَ ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ - ١٢٣١ م).

٢ - يُعَدُّ آبْنُ حَمَادِ الصّنهاجيُّ من أئِمّة العِلم في زَمَنه فَهُوَ أديبٌ شاعرٌ ومؤرِّخٌ وفقيهٌ وراويةٌ للحديث. وشِعرُه الباقي لنا، وهو قليلٌ، أكثرُه في الوصف، ثمّ هو على شيء من العُذوبة والطّلاوة. وآبْنُ حَمَادِ مُصَنِّفٌ، له: بَرْنامجٌ (الشيوخه: فيه أسماؤهم وما أخَذ عنهم من فنونِ العِلم وما قرأ عليهم من الكتب) - ديوان شعر - شرح مقصورة ابن دُريد (ت ٣٢١ هـ) - عُجالة المودّع وعُلالة المُشيّع (في الأدب والشعر) - شرح الأربعين حديثاً (للنووي؟) - شرح كتاب الإعلام بفوائد الأحكام لعبد الحقّ الإشبيلي (بن الخرّاط ؟) - أخبارُ ملوكِ بني عُبيد (الفاطميّين) - الدِيباجة أو النُبَذُ المُحتاجة[1] في أخبار صِنهاجةَ بإفريقِيَةَ وبِجاية - نُبْذَةٌ في أخبارِ البربر - تلخيص كتاب ابن جريرٍ الطبري.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو عبدِ اللهِ بنُ حمادِ الصِنهاجيّ (رحلة التجاني ١١٧):

علــى عــين السلام سَلامُ صبٍّ غذاه ماؤها العَذْبُ النّميرُ[2].

---

(١) المقصود: المحتاج إليها (ولكن حينئذ يبطل السجع).

(٢) المنار (المنارة: بناء مرتفع يوقد في أعلاه نار لهداية المسافرين في البحر وفي غير ذلك). وعين سلام عين بالوادي المعروف بوادي جراوة، والعروسان مبنى بناه الناصر بن علناس (من حكّام بني حماد في قلعة =

تـأوّدَ أيْكُهـا وجَرَتْ صَباهـا وشمْألُهـا كما فُتِـقَ العَبـيرُ[1].
وأبردُ مـا يكونُ المـاءُ فيهـا وأنْدى حينَ يحتدمُ الهَجيرُ[2].
ومـا أدري: أيجْري فوقَ دُرٍّ أمِ آبتسمـتْ بمَنْبَعِهـا الثُّغور؟
وقـد قـام المَنـار على ذُراها كما قـام العَروسُ أوِ الأمير[3].
بنـاءٌ يُزْدَرى إيوانُ كِسرى، لَدَيْـهِ، والخَوَرْنَـقُ والسَّدير[4].

- وقال أيضاً في الوصف (رحلة التجاني ١١٦):

ألا ليتَ شِعري هلْ أبيتَنَّ ليلةً بوادي الجَوى ما بينَ تلك الجَـداول؟
وهل أسْمَعَنْ تلك الطيورَ غُدَيَّةً تَجاوَبُ في تلك الغُصون المَوائـل[5]؟
وهلْ أرِدَنْ عينَ السلامِ على الصَّـدى فأبْرِدَ من حرِّ الضُّلوع النَّواهل[6]،
وأنظرُ طيـقانَ المَنـارِ مُطِلَّـةً على الوَجَنات الزاهراتِ الخمائـل[7]؟
كـأنَّ القبـابَ المُشْرفاتِ بأُفْقِـه نجومٌ تبَدّتْ في سُعودِ المنازل[8].

بني حماد، من سنة ٤٥٤ إلى سنة ٤٨١ هـ). وكلّ هذه الأماكن مبان في قلعة بني حماد (رحلة التجاني ١١٥ - ١١٦). النمير: الطيّب الذي يروي (يمنع العطش).

(١) تأوّد: تمايل. الأيكة: مكان فيه شجر كثيف (الصورة البلاغية غير صحيحة، فإنّ الأشياء لا تمايل: تتحرّك يميناً وشمالاً في مجال واسع إلّا إذا كانت متباعدة). الصبا: ريح الشرق. الشمْأل = الشمال (ريح الشمال). العبير = الرائحة الطيّبة. كما فتق العبير (كما فتق أو شقّ أو فتح إناء العبير للمرّة الأولى فتنبعث منه رائحة قويّة).

(٢) وأندى (ما تكون الريح): أكثر بللاً. الهجير: اشتداد الحرّ في نصف النهار.

(٣) الذرى أو الذرا (بالضمّ فيها) جمع ذروة (بالكسر أو بالضمّ): أعلى الشيء. العروس أو الأمير بناء في قلعة بني حماد (راجع الحاشية التي قبل حاشيتين هنا).

(٤) إيوان كسرى: بناء ضخم عال شرق بغداد (بناء الفرس). الخورنق والسدير بناءان في العراق (عربيّان). ازدرى فلان شيئاً: احتقره. يقصد بناء العروس أو الأمير أعظم من إيوان كسرى ومن قصر الخورنق وقصر السدير.

(٥) غديّة: في الصباح. تجاوب = تتجاوب (يجيب بعضها بعضاً): كأنّها تغنّي على اشتراك فيما بينها.

(٦) ورد الماء: ذهب إليه ليشرب منه. الصدى: العطش. الناهلة: (الدابّة) الذاهبة إلى المنهل (المشرب) لأنّها عطشى.

(٧) الطيقان جمع طاق: فتحة في الجدار شبه الشبّاك يشرف منها الإنسان على ما تحتها. الخميلة: بقعة فيها زهر كثير يحمل بعضه بعضاً. الوجنات (؟).

(٨) المشرف: العالي المطلّ على غيره. الأفق: الناحية من الأرض (في اصطلاح المغاربة). - في علم الفلك =

فإنْ ثَنَتِ الأيّامُ عنها أعِنّتي وأنْزَلَنـي في غيرِ تلك المنازل،
فصبرٌ جميلٌ، غيرَ أنّ صَبابتي ستبقى بقاءَ الطالعاتِ الأوافل[١] .

- من كتاب «نبذة المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجة» (المكتبة العربية الصقلّية، ص ٣٦٧):

(من الفصل الأوّل)... والمِظلّةُ التي آختَصّوا بها[٢] من دون سائرِ الملوك شِبهُ دَرَقةٍ في رأسِ رُمحٍ[٣] مُحكمةُ الصَّنعة رائقة المنظرة صُرف فيها من[٤] الصّناعة في الصِّياغة ونَظْمِ الأحجار العالية الغالية ما يَروقُ[٥] مرآهُ ويُذهِشُ مَنْ رآه، يُمسِكُها فارسٌ من الفُرسان يُعْرَفُ بها - فيقال: صاحِبُ المِظلّة -. وكانتْ عندَهم خُطّةٌ يَتَداوَلُها من يؤهّل[٦] فيُحاذي بها المَلِكَ من حيثُ كانت الشمسُ يَقيه حرّها بظِلِّها[٧]. وفيه يقول محمّدُ بنُ هاني[٨] من قصيدةٍ يمدحُ بها مَعَدًّا المُعِزَّ الذي يأتي ذكره[٩].

ولا يُعْلَمُ أحدٌ من الملوك آتّخذَ هذه المِظلّةَ إلّا بنو عُبيدٍ ثمّ مَلِكُ الرومِ

القديم أن الشمس والقمر ينزلان (في أثناء جريهما) بمنازل (بمواقع في السماء) منها ما يدلّ على السعد ومنها ما يدلّ على النحس.

(١) الصبابة: الشوق أو الشوق الشديد. الطالعات الأوافل (الغاربات): النجوم. ستبقى بقاء الطالعات الأوافل: ستدوم.

(٢) كانت مخصوصة (أو خاصّة) ببني عبيد الله المهدي (ملوك الفاطميّين). بها (بهذه المظلّة).

(٣) درقة: ترس من جلد. في رأس رمح (محمولة على رمح).

(٤) المنظر والمنظرة: ما نظرت إليه فأعجبك (تاج العروس- الكويت ١٤: ٢٤٦). صرف (بالبناء للمجهول: بضمّ الصاد وكسر الراء - مشدّدة أو غير مشدّدة) فيها (غير موجودة في الأصل).

(٥) الأحجار أي الحجارة الكريمة كالزمرّد والماس (ولا تقل الألماس، فإنّه من لحن العامة، راجع تاج العروس - الكويت، ١٦: ٥٢٦). يروق: يسرّ.

(٦) الخطّة (بالضمّ): المنصب (الوظيفة). يؤهّل (في الأصل: يزهل): يعدّ لها، يكون لها أهلا (مستحقًّا).

(٧) يقيه: يحفظه، يحميه. حرّها (حرّ الشمس). ظلّها (ظلّ المظلّة). حاذى - حازاه: وازاه، قاربه.

(٨) محمّد بن هاني الأندلسي الشاعر (ت ٣٦٢، راجع ترجمته في الجزء الرابع).

(٩) المعزّ لدين الله الفاطمي معدّ بن اسماعيل (رابع الأئمّة الفاطميّين ٣٤١ - ٣٦٥ هـ)، وفي أيامه استولى الفاطميّون على مصر. «يأتي ذكره» (سيذكره ابن حماد في كتابه).

باصقيلية[1]. وأحسبُ[2] أنهم أهدَوْها إليه في بعض هداياهم. وكأنّي سَمِعتُ هذا.

٤- أخبار ملوك بني عبيد (فان در هايدن)، الجزائر (منشورات جامعة الجزائر - السلسلة الثالثة، رقم ١٢) ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م).

** التكملة (رقم ١٦٣٧)؛ رحلة التجاني ١١٦ - ١١٧؛ عنوان الدراية (نشره عادل نويهض) ١٢٨ - ١٢٩، (نشره رابح بونار) ١٩٢؛ ابن قنفذ ٣١١؛ راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٢؛ تاريخ الجزائر العامّ ١: ٣٩٨ - ٣٩٩؛ الطمّار ٧٥ - ٧٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ١٦٩ (٢٨٠)؛ المكتبة العربية الصقلية ٣١٧ - ٣١٨.

ابنُ مُعْطٍ الزَواويُّ

١- هُوَ زَيْنُ الدين أبو زَكَرِيّا يحيى بنُ عبدِ المُعْطي بنِ عبدِ النور الزَواويُّ الجُزوليُّ النحويّ الحَنَفيّ المعروف بابن مُعْطٍ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٤ هـ (١١٦٨ - ١١٦٩ م)، ودرس في الجزائر على أبي موسى الجُزوليّ (ت ٦٠٧ هـ). ثمّ إنّه رَحَلَ إلى مِصْرَ ثمّ انتقل إلى دِمَشْقَ وسكن فيها مُدّةً طويلةً ودَرَسَ على الحافِظِ ابنِ عساكرَ.

وعَمِلَ ابنُ مُعْطٍ في أولِ الأمرِ، في دِمَشْقَ، «شاهداً» لِيَكْسِبَ قُوتَه. ثمّ ظهرتْ مكانتُه وعَظُمتْ شُهرتُه فولّاه الملكُ المُعَظّم (٦١٥ - ٦٢٤ هـ) مَصالحَ المساجدِ (في دمشق). ثمّ إنّ المَلِكَ الكاملَ (٦١٥ - ٦٣٥ هـ) سُلطانَ مِصْرَ رَغّبَهُ في الانتقال إلى مصر فسافرَ إليها وتَصَدّرَ لتدريس الأدب في الجامع العتيق (جامع عمرٍو بالفُسطاط: مصر القديمة) وجعل له راتباً جارياً. واستمرَّ على ذلك إلى أن تُوُفِّيَ في ٣٠ من ذي القَعْدةِ من سَنَةِ ٦٢٨ (٢٩/ ٩/ ١٢٣١ م).

٢- ابن مُعْطٍ الزَواويُّ أحدُ أئمّةِ اللغة والنحو في عصره: ماهرٌ في العربية (النحو) مبرّزٌ في علمِ الأدب قادرٌ في النظم والنثر. وهو مؤلّف، له: قصيدة في

---

(١) باصقيلية = بصقلّية (في صقلّية). وهذه المظلّة لا تزال إلى الآن مستخدمة في المغرب: يركب ملك المغرب حصاناً ثمّ يسير بجانبه رجل يحمل مظلّة (من نسيج) يدفع بها حرّ الشمس عن الملك.

(٢) في الأصل: حسب.

القراءات السبع - نَظْمُ الجوهرة لابن دُريدٍ - الأرجوزة الألْفية (ولَعلّها أوّلُ أَلْفِيَّةٍ في النحو) - الفصول الخمسون (في النحو) - البديع في صِناعة الشعر - ديوان شعر - ديوان خُطَب - حواشي على أصول ابن السرّاج - نظم الصحاح للجوهري (لم يُكمّله) - المثلث في اللغة (وهي قصيدة في العروض؛ راجع معجم الأدباء ٢٠ : ٣٥).

والعُنوانُ الكاملُ لألفيّةِ ابنِ مُعطٍ هو: «الدُرّة الألفيّة في عِلم العربية»، وهي - في الحقيقة - ألفٌ وواحدٌ وعشرونَ بيتاً من مشطور بَحْر الرَجَزِ (راجع البيت الثالثَ عَشَرَ منها):

لِعِلْمِهِمْ بــأنّ حِفــظَ النَّظْمِ وَفْـقُ الذكيِّ والبعيدِ الفَهْمِ[1]،
لا سِيّما مشطورُ بحرِ الرَجَزِ إذا بُنِي على ازدواجٍ مُوجَزِ[2].

وألفيّةُ ابنِ مُعْطٍ جافّةٌ شديدةُ الإيجازِ لا تُفْهَمُ إلّا بشرحٍ طويل. ولعلّها مفيدةٌ لِمَنْ يُتْقِنُ النحو والصرف. أمّا الذي يبتدئ تعلُّمَ النحوِ بِحِفْظِها فلا يستطيعُ أنْ يستفيدَ منها (ولا مِنْ أمثالها) شيئاً. وفي هذه الأرجوزة جَوازاتٌ شاذّة (لا أعلَمُ إذا كانتْ من صاحبها أو من النسّاخ).

٣ - مختارات من آثاره:

- من الدرّة الألفية في علم العربية(*):

★ من مبدأ الألفيّة:

يقولُ راجي ربِّـــــهِ الغَفورِ يَحْيى بنُ مُعْطٍ ابنُ عبدِ النورِ:

---

(١) راجع تفسير هذا البيت في «المختارات».

(٢) في تاج العروس (الكويت): والمشطور من الرجز والسريع ما ذهب شطره (نصفه) وذلك إذا نقص ثلاثة أجزاء من ستّته (١٢ : ١٧٢). وهذا التعريف لا ينطبق هنا على ألفيّة ابن معط، فإنّه قد التزم فيها الازدواج (مستفعلن ستّ مرّات). والازدواج (في البيت المشار إليه يعني ازدواج القافية (مجيء كلّ شطرين على رويّ واحدٍ مستقلّ، بدلاً من أن تكون جميع أشطر الأرجوزة على رويّ واحد).

(*) لن أتناول الأبيات بشرح مفصّل لأن ذلك سيكون استعراضاً لقواعد النحو وشواذه أيضاً.

الحمـــدُ للهِ الـــذي هَدانـــا بأحمدٍ دينـــاً لـــه آرتضانـــا[١].
فـلم يَزَلْ ينمـــى بـــه الإسلامُ حتّى استبانَتْ للهُدى أعلامُ،
مُؤيَّـداً منـــه بِخيـرِ الكُتُبِ وَحيـــاً إليـــه بِلِسانٍ عَرَبِي،
لِكَوْنـــهِ أشرفَ مـا بـهِ نُطِقْ، كما الرسولُ خـيرُ مخلوقٍ خُلِقْ.
صلّـــى عليـــهِ اللهُ ثُمَّ سَلَّما وآلـــهِ وصَحْبِـــه وكَرّمـــا.
وبعـدُ، فالعِلْمُ جليـلُ القَـدْرِ وفي قليلـــهِ نَفـــادُ العُمْرِ.
فابْـــدَأْ بمـا هُو الأهَمُّ فالأهَمّ، فالحـازمُ البادئُ فيما يُسْتَتَمّ[٢].
فـــإنَّ مَنْ يُتْقِنُ بعـــضَ الفنّ يُضْطَرُّ للباقي ولا يَسْتغـــني.
وذا حدَا إخوانَ صِدْقٍ لي على أنِ آقتضَوْا منّي لهم أنْ أجعَلا[٣]
أُرجوزةً وجـــيزةً في النَّحْوِ عِدّتُهـا ألْـفٌ خَلَتْ من حَشْوِ،
لِعِلْمِهِم بـــأنّ حِفـــظَ النَّظْمِ وَفْـقُ الذَكيّ والبعيـدِ الفَهْمِ[٤].
فقلـــتُ غـــيرَ آمنٍ مِنْ حاسدِ أو جاهـلٍ أو عـالمٍ مُعانـدِ[٥]:
* القَوْلُ في الإعراب والبِنـاء، الأصـــلُ في الإعرابِ للأسماء:
وحَـــــدُّه تَغَيُّرٌ في الآخِرِ بعامـــلٍ مقـــدَّرٍ أو ظاهرِ[٦]:
بالرفـعِ أو بالنصـبِ أو بالجرِّ كـ «مَرّ زيـدٌ راكبـاً بعَمْرو».
والجزْمُ من ألقابـه، كـ «لَمْ يَرِمْ». وليس في الأسماءِ شيءٌ ينجزِمْ[٧].

---

(١) أحمد من أسماء محمد رسول الله.

(٢) إن العاقل يبدأ بالقيام بالأمور التي يستطيع أن يتمّها.

(٣) حدا: دفع. اقتضى فلان فلاناً حقّاً: طلبه منه.

(٤) النظم (الشعر) أهون في الحفظ على الذكي وعلى بعيد (قليل) الفهم. وفق: قدر (أي يوافق ويساوي).

(٥) ... وأنا أخشى أن ينهض لي رجل جاهل أو رجل عالم ولكنه محب للعناد (الجدال) يحسدني على ما أفعله فينتقدني ويخطّئني ظلماً في عدد من الأمور.

(٦) العامل (السبب في الإعراب). جاء زيد (زيد فاعل مرفوع بالفعل «جاء» - عامل ظاهر). زيد غائب (زيد مبتدأ مرفوع بالابتداء - عامل مُقَدَّر).

(٧) من ألقابه (من خصائص الفعل). رام الرجل مكانه يريمه: برحه (غادره، تركه). - الجزم خاصّ بالأفعال وليس من خصائص الأسماء.

وليس في الأفعالِ ما يَنْجَرُّ فَعُوِّضَتْ جزماً بها يُقَرُّ[1].
والحرفُ مَبْنِيٌّ بكلِّ حالِ، والأصلُ في البِناء للأفعالْ.
فالمُعْرَبُ الاسمُ الذي تَمَكَّنَا ثمّ مضارعٌ سيأتي بيِّنا[2].
★القولُ في إعرابِ الاسْمِ الواحدِ: كلُّ صحيحٍ بانصرافٍ واردِ[3].
فَرَفْعُهُ بضَمَّةٍ تَبِينُ ويَتْبَعُ الحَرَكَةَ التنوينُ.
والنصبُ فيه بانفتاحِ الآخِرِ، والجرّ فيه بانكسارٍ ظاهرِ.
وإن يكُنْ آخِرُه مُعْتَلّا بألفٍ، نحو: الفَتى وحُبْلى
سُمِّيَ مقصوراً بهِ تُقَدَّرُ: الحركاتُ كُلُّها لا تَظْهَرُ.
وإن يكن ياءً وكسرٌ قبلَهُ سُمِّيَ منقوصاً لنَقْصِ حَلِّه[4]؛
نحوَ: الشَّجِيْ. والنصبُ فيه يظهرُ؛ والرفعُ كالجرّ به يُقَدَّرُ.
والواوُ والياءُ إذا ما كانا في اسمٍ حَوَى قَبْلَها إسْكانا،
أو كان مهموزاً كمِثْلِ الشاءِ والظَّبْيِ والآيِ والكِساءِ
والعَدْوِ والعَدُوِّ والكُرسِيِّ جئستَ بإعرابٍ لها جَلِيّ.
وسِتَّةٌ بالواوِ رفعاً إنْ تُضِفْ والياءِ في الجرِّ، وفي النصبِ الألفْ:
أخٌ أبٌ حَمٌ هَنٌ وفُوهُ؛ ذو المالِ قُلْ، ولا يَجوزُ ذُوهُ.
وكلُّ ما لم يَنْصَرِفْ تفتَحُهُ جرًّا - كإسحاقَ - ويأتي شَرْحُهُ.

---

(١) الفعل لا يجرّ (لا تظهر على آخره كسرة، إلّا في مثل قولنا: لم يُشدَّ - إذ يتعذر ظهور السكون على الشدّة فيصبح الحرف الواحد عليه سكونان. ذلك لأن الشدة في الحقيقة تمثل حرفين متماثلين أولهما ساكن وثانيهما متحرك. فإذا نحن سكّنّا آخر الكلمة أصبح على آخرها سكونان، وهذا متعذر في اللفظ) لم يشدَ (يجوز أن تظهر على آخرها الضمة أو الفتحة أو الكسرة).

(٢) الاسم المتمكن: المنتهي بحرف صحيح كالجيم والنون مثلا، لا بحرف علة، أي بألف طويلة (مثل العصا) أو ألف مقصورة (مثل الفتى) أو ياء معلولة (مثل القاضي). أما الواو والياء في مثل العدوّ والسعي فتعامل في الإعراب معاملة الحرف الصحيح.

(٣) كل اسم صحيح الآخر يرد (يأتي) مصروفاً (تظهر عليه الحركات الثلاث). وغير المنصرف أو غير المصروف، تكون الفتحة علامة جره.

(٤) الاسم المنقوص ما ختم بياء قبلها كسرة، نحو: القاضي - لأن الياء تنقص منه إذا نكّرناه (تركنا تعريفه باللام): قاض ...

- ورورى ياقوت الحَمَويُّ لابن عبد المعطي مقطوعتين هما (معجم الأدباء ٢٠: ٣٦):

★ قالوا: تلقّبَ «زينَ الدين»، فهْوَ لهُ نعتٌ جميلٌ به أضحى اسمُه حَسَنا.
فقُلْتُ: لا تَغبطوه. إنّه لقبٌ وقْفٌ على كُلِّ نَحْسٍ. والدليلُ أنا.
★ وإذا طلبتَ العِلْمَ، فاعلَمْ أنه عِبءٌ لتَنْظُرَ أيَّ عِبءٍ تَحْمِلُ.
وإذا عَلِمْتَ بأنه مُتفاضِلٌ فاشْغَلْ فؤادَكَ بالذي هُوَ أفضلُ(١).

٤ - الفصول الخمسون (سيوغرن)، ليبسيك ١٨٩٩ م.
- الأرجوزة الألفية في علم العربية (تسترشتاين)، ليبسيج ١٩٠٠ م★.
★★ معجم الأدباء ٢٠: ٣٥ - ٣٦؛ تعريف الخلف ٢: ٥٨٧ - ٥٨٨؛ وفيات الأعيان ٦: ١١٩٧؛ العبر للذهبي ٥: ١١٢؛ بغية الوعاة ٤١٦؛ شذرات الذهب ٥: ١٢٩؛ نفح الطيب، راجع ٢: ٢٣٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٩٣؛ بروكلمن ١: ٣٦٦ - ٣٦٧، الملحق ١: ٥٣٠ - ٥٣١؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٩٢ - ١٩٣ (٨: ١٥٥)؛ أعلام الجزائر ٢٠١ - ٢٠٢؛ تاريخ الجزائر العامّ ٢: ٥٥ - ٥٦؛ سركيس ٢٤٥ - ٢٤٦؛ الطمّار ٩١ - ٩٢؛ سركيس ٢٤٥ - ٢٤٦.

أبو الوليد الشقنديّ

١ - هو أبو الوليدِ اسماعيلُ بنُ محمّدٍ الشُّقُنديُّ، وُلِدَ في شُقُندَةَ(٢). تَطَوّفَ حِيناً في المَغرب، وكانتْ صِلته بالموحّدين وثيقةً. جالسَ أبا يوسفَ يعقوبَ المنصورَ (٥٨١ - ٥٩٥ هـ)؛ وولّاه المنصورُ القضاءَ في الأندلس: في بيّاسةَ ثمّ في لُورقة وفي أُبّذةَ من

(١) متفاضل: بعضه أفضل من بعض.

(★) لا شكّ في أنّ هذه «الألفيّة» قد طبعت في عدد من البلاد العربية مرارا، ولكن لم أقع، بالوسائل التي بين يديّ، على مثل هذه الطبعات.

(٢) شُقُندة قرية من قرى قرطبة إلى الغرب من الرّبَض (الضاحية الجنوبية من قرطبة) جنوب الضفّة الجنوبية لنهر الوادي الكبير.

أعمال جَيّان. ورأيناهُ مرّةً في المَغرب عندَ أبي يحيى بن أبي زكريا والي سَبْتَةَ[1]. وكانتْ وفاتُه في إشْبِيلِيَةَ، سَنَةَ ٦٢٩ هـ (١٢٣١ - ١٢٣٢ م).

٢ - كان أبو الوليدِ الشُقُنديُّ جامعاً لفنونٍ كثيرةٍ من العلوم الحديثة والعلوم القديمة[2] (نفح الطيب ٣: ٢٢٣) حافظاً للحديث أديباً وناثراً بارعاً. وكان شِعْرُه عاديًّا، وفي شِعرِه شيءٌ من المُجون (نفح الطيب ٣: ٢٢٤). وله من الكتب: الطرف (نفح الطيب ١: ٣٩٩، ٢: ٢٧، ٣: ٣٦٩) أو طرف الظرفاء (بروكلمان، الملحق ١: ٤٨٣).

٣ - مختارات من آثاره:

- من رسالة الشُقُنْديّ (نفح الطيب ٣: ١٨٦ وما بعد):

كان الشُقُنديُّ عند أبي يحيى بنِ أبي زكريا والي سَبْتَةَ، فجرَى بينَه وبين أبي يحيى ابن المُعَلّمِ الطَنْجيِّ[3] نزاعٌ في التفضيل بين البَرّيْنِ (بين الأندلُسِ والمَغْرِب). ولمّا طال النزاعُ قال والي سبتةَ: الرأيُ عندي أن يعمَلَ كلُّ واحدٍ منكما رسالةً في تفضيلِ برِّهِ (راجع نفحَ الطيب ٣: ١٨٦ وما بعد). فعَمِلَ الشُقُنديُّ رسالةً في فضل الأندلس جاءت قطعةً بارعةً من النَثْرِ الأصيلِ السَهْلِ المتينِ المُمْتِعِ بروح الفُكاهةِ خاصّةً. وهي تنكشف عن علمٍ كثيرٍ، كما تدلّ على ذَوْقِ الشُقُنديّ في اختيار نماذجِ الشعرِ التي جاء بها في ثنايا تلك الرسالة:

- ص ١٨٧:

الحمدُ للهِ الذي جعل لمَنْ يَفْخَرُ بجزيرة الأندلس أنْ يتكلّمَ مِلْءَ فيه، ويُطْنبَ ما شاء فلا يجد من يَثْنيه[4]؛ إذ لا يُقال للنهار: يا مُظْلِمُ، ولا لوجهِ النعيم: يا قبيحُ!....

---

(١) كان أبو يحيى صهر الناصر الموحّدي (٥٩٥ - ٦١١).

(٢) العلوم القديمة (العلوم الدخيلة): الفلسفة والفلك الخ. العلوم الحديثة علوم الدين والعربية (؟).

(٣) أبو يحيى بن المعلم الطنجي (لم أهتد إلى صاحب هذا الاسم إلا في هذا النص. ولم يرد هذا الاسم في مكان من الفهرس الهجائي لنفح الطيب).

(٤) أطنب: بالغ، أكثر الكلام في موضوع ما. ثناه يثنيه: ردّه، منعه.

أمّا بعد، فإنّه حرّك[1] منّي ساكناً وملأ منّي فارغاً - فخرجتُ عن سَجيّتي في الإغضاء مُكْرَهاً إلى الحَميّة والإباء[2] - مُنازعٌ (فاعل حرّك) في فضل الأندلُس أراد أن يَخْرقَ الإجماعَ ويأتيَ بما لا تَقْبَلُه النواظرُ والأسماع..... رامَ أنْ يفضّلَ برّ العُدوةِ على برِّ الأندلس فرامَ أن يفضّلَ على اليمين اليَسارَ، ويقولَ: الليلُ أضوأُ من النهار...

- ص ١٨٨:

.... اقْنِ حياءَك أيُّها المُغرِّدُ بالنحيب[3]، المتزيّنُ بالخَلَقِ المتحبّبُ إلى الغواني بالمَشيب الخَضيب[4].... أبلغت العصبيّةُ مِنْ قلبِكَ أن تَطْمِسَ على نُوريْ بَصَرِكَ ولُبِّك[5]؟ أمّا قولُك: «الملوكُ منّا»؛ فقد كان الملوكُ منّا أيضاً[6]. وما نحن إلّا كما قال الشاعر:

فيومٌ علينـــا ويومٌ لنـــا، ويوم نُساءُ ويومٌ نُسَرّ.

إن كان كرسيُّ جميعِ بلادِ المَغرب[7] عندكم بخلافةِ بني عبد المؤمن - أدامَها اللهُ تعالى - فقد كانت عندنا بخلافة المَشرقيّين الذين يقول مَشْرِقيُّهم[8]:

وإنّيَ من قومٍ كِرامٍ أعِزّةٍ لأقدامِهم صِيغتْ رؤوسُ المنابرِ.

---

(١) فاعل (حرّك) «منازع» (في السطر التالي).

(٢) السجية: الطبيعة. الإغضاء: غض البصر، السكوت عن أمر من الأمور. الحمية: الحماسة، شدة المدافعة عن أمر ما (حقاً أو باطلاً). الإباء: الرفض، الامتناع عن عمل ما.

(٣) المغرِّد (المغنّي) بالنحيب (رفع الصوت بالبكاء).

(٤) المتزين بالخَلَق (بفتح ففتح): المتهرىء من الثياب. الغانية: المرأة المستغنية بجمالها عن الحلي. بالمشيب الخضيب (المخضوب: المصبوغ باللون الأسود) - في هذه المتناقضات التي تقال هنا هزلاً وهزواً قاعدة أساسية من قواعد الشعر الحديث (وإن كان الشعر الحديث لا يأتي بمثل هذا الوضوح والتهكم العاقل).

(٥) اللبّ: العقل.

(٦) ان مدينة مرّاكش الآن (في أيام الشُّقُندي) كانت عاصمة المغرب الإسلامي (في إفريقية والأندلس). وقد كانت قرطبة من قبل (في أيام بني مروان في الأندلس) عاصمة للبلاد.

(٧) هذا الشعر للعتبي (بالضمّ) وهو أبو عبد الرحمن بن محمّد، وينتهي نسبه إلى عتبة بن أبي سفيان بن حرب. وأبو سفيان كان في الجاهلية رأس البيت الأموي. وكانت وفاة العتبي سنة ٢٢٨ هـ (راجع وفيات الأعيان ٤: ٣٩٩).

خلائفُ في الإسلام، في الشِركِ قـادةٌ. بهم وإليهم فخرُ كـــلِّ مُفاخرِ.

ويقول مَغْرِبيُّهم(١):

أَلَسْنـا بـني مروانَ كيفَ تَبَدَّلتْ بنـا الحالُ أو دارتْ علينا الدوائرُ.
إذا وُلِــدَ المولودُ منّـا تَهَلَّلــتْ لـه الأرضُ واهتزّتْ إليه المنابر.

- ص ١٩٢ :

.... وإنّك إذْ تَعَرّضتَ للمفاضلةِ بالعلماء فأخبِرْني: هل لكم في الفِقْه(٢) مثلُ عبدِ الملك بن حبيبٍ الذي يُعمَلُ بأقوالهِ إلى الآنِ، ومثلُ أبي الوليدِ الباجيّ، ومثلُ أبي بكرِ بن العَرَبي، ومثلُ أبي الوليدِ بنِ رشدِ الأكبرِ، ومثلُ أبي الوليد بنِ رُشْدِ الأصغرِ - ابنِ ابنِ رُشْدِ الاكبر - نجومُ الإسلامِ ومصابيحُ شريعةِ محمّدٍ عليه السلامُ. وهل لكم في الحِفْظ(٣) مثل أبي محمّدٍ بنِ حزمٍ الذي زَهِدَ في الوزارة والمال ومالَ إلى رُتْبةِ العلم ورآها فوقَ كلِّ رُتْبةٍ ثمّ قال وقد أُحْرِقَتْ كُتُبُهُ:

دَعوني من إحراقِ رَقٍّ وكاغِـــدٍ وقولوا بِعِلْمٍ، كي يَرى الناسُ مَنْ يَدْري.
فإنْ تُحْرِقوا القُرطاسَ لا تُحرقوا الذي تَضَمَّنَهُ القرطاسُ، إذ هو في صــدري!

- ص ١٩٣ :

... وهلْ لكم في عِلْمِ اللُّحونِ والفلسفة كابنِ باجّه، وهلْ لكم في علمِ النجوم والفلسفة والهندسة مَلِكٌ كالمقتدرِ بنِ هودٍ صاحبِ سَرَقُسْطَة، فإنّه كان في ذلك آيةً(٤)؟ وهل لكم في الطِبّ مثلُ ابنِ طُفيلٍ صاحبِ رِسالةِ حيِّ بنِ يقظانَ المُقَدّمِ في علمِ الفلسفة، ومثلُ بني زُهْرٍ أبي العَلاء ثمّ ابنهِ عبدِ الملكِ ثمّ (ابن) ابنهِ أبي بكرٍ(٥): ثلاثةٍ في نَسَقٍ؟

---

(١) البيتان التاليان للأمير محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر في أواخر أيام المروانيين في قرطبة (راجع الحلة السيراء ١: ٢٠٨ - ٢١٠؛ وراجع نفح الطيب ٣: ١٨٨، الحاشية الرابعة).

(٢) فيا يلي أسماء علماء وأدباء يحسن أن ترجع إلى شيء من أخبارهم وأحوالهم في الصفحات السابقة من هذا الجزء أو في الجزء السابق.

(٣) في حفظ الحديث.

(٤) كان في ذلك آية (عظيم البراعة).

(٥) أبو بكر بن زهر (ت ٥٩٥ هـ) والذي كان أيضاً وشّاحاً.

... وهل لكم في بَلاغة النَثْر كالفتح بن عُبيدِ الله[1] الذي إنْ مَدَحَ رَفَعَ وان ذمّ وَضَعَ[2]. وقد ظَهَرَ له من ذلك في كتاب « القلائد » ما هو أعدلُ شاهدٍ، ومثلُ ابنِ أبي الخِصال في تَرْسِيله[3] ومثلُ أبي الحسن سهل بنِ مالكٍ الذي (هو) بينَ أَظْهُرِنا الآنَ في خُطَبِهِ؟ وهلْ لكم في الشعر مثلُ المُعْتَمِدِ بن عبّادٍ في قوله:

ولَيــلٍ بسُدِّ النهرِ أُنساً قطَعْتُـه ... بذاتِ سِوار مِثْلِ مُنْعَطِفِ النَهْرِ[4].
نَضَتْ بُرْدَها عن غُصْنِ بانٍ مُنَعَّمٍ، ... فيا حُسْنَ ما انشقَّ الكِمامُ عن الزَهْرِ[5]!

..... ومثلُ ابنهِ الراضي في قولِهِ:

مرّوا بِنـا أُصُلا من غيرِ ميعاد ... فأَوْقَدوا نارَ قلبي أيَّ إيقادِ[6].
لا غَرْوَ إنْ زادَ في وَجْدي مُرورُهم، ... فرُؤْيَةُ الماء تُذكي غُلّةَ الصادي[7]!

..... وهل لكم مَلِكٌ أَلّفَ في فنونِ الآدابِ كتاباً في نحو مائةِ مجلّدةٍ مثلُ المُظَفَّرِ بنِ الأفطَسِ مَلكِ بَطَلْيَوْسَ ولم تَشْغَلْهُ الحروبُ ولا المملكةُ عن هِمّةِ الأدب؟ وهل لكم من الوزراء مثلُ ابنِ عمّارٍ في قصيدته التي سارت أشردَ من مَثَلٍ وأحبَّ إلى الأسماع من لقاءِ حبيبٍ وَصَلَ، وهي التي يقول فيها -

- ص ١٩٤ :

أثْمَرْتَ رُمْحَكَ من رؤوسِ ملوكِهِمْ ... لمّا رأيتَ الغُصْنَ يُعْشَقُ مُثْمِرا.
وصَبَغْتَ دِرْعَك من دماءِ كُماتِهِمْ ... لمّا رأيتَ الحُسْنَ يُلْبَسُ أحمرا[8]!

---

(١) هو الفتح بن خاقان.
(٢) وضع فلان مكانة فلان: خفضها، أنزلها (أذله).
(٣) الترسـيل: كتابة الرسـائل.
(٤) ذات سوار: المرأة (وفي المثل: لو غير ذات سوار لطمتني!).
(٥) نضت (خلعت) بردها (ثوبها الحرير) عن غصن بان (قامه طويلة رشيقة) منعَّم (لينة، جميلة). الكِمامة (بالكسر): الأوراق الخضر التي تحتوي الأوراق الملونة في الزهرة.
(٦) الأصيل: ما بين العصر وغروب الشمس.
(٧) الغلة: العطش. الصادي: العطشان.
(٨) الكمي: الفارس (الشجاع) الكامل السلاح.

- ص ١٩٩ :

..... وهل منكم شاعرٌ رأى الناسَ قد ضجّوا من سَماعِ تشبيهِ الثَغر بالأقاح[١]، وتشبيهِ الزَهْرِ بالنجوم، وتشبيهِ الخُدود بالشَقائق[٢]؛ فتَلَطفَ لذلك في أن يأتيَ به في منزعٍ يُصَيِّرُ خلَقَهُ[٣] في الأسماعِ جديداً، وكَليلَه في الأفكارِ حَديداً[٤]، فأغرَبَ أحسَنَ إغرابٍ وأعرَبَ[٥] عن فَهمِه بحُسْنِ تَخَيُّلِهِ أنبلَ إعرابٍ، وهو ابنُ الزَقّاقِ:

- ص ٢٠٠ :

وأغيدٍ طافَ بالكؤوسِ ضُحًى   وحَثَّها والصباحُ قد وَضَحا[٦]،

والروضُ أهْدى لنا شَقائقَه،   وآسُهُ العَنْبريُّ قد نَفَحا،

قُلْنا: وأينَ الأقاحُ؟ قال لنا: أوْدَعْتُه ثَغر من سَقَى القدحا[٧].

فظلّ ساقي المُدامِ يَجْحَدُ ما   قال، فلمّا تَبَسَّمَ افتضحا[٨]!

وقال:

ورياضٍ من الشقائقِ أضْحَتْ   يَتهادى بها نَسيمُ الرِياحِ[٩]،

---

(١) تشبيه الثغر (الفم): يقصد الأسنان. الأقحوان (بضم الهمزة والحاء وفتح الواو) وجمعه أقاحٍ وأقاحيّ: زهر بتلاته بيض ووسطه أصفر.

(٢) شقائق النعمان (حمراء اللون).

(٣) منزع تأتي في القاموس بفتح فسكون ففتح أو بكسر فسكون ففتح (ولا توافق المقصود من الجملة)- المقصود من الجملة «الاتجاه، الطريقة». الخَلَق (بفتح ففتح): البالي، المتهرّىء.

(٤) الكليل: الضعيف (السيف الذي لا يقطع). حديد: حادّ، قوي، قاطع.

(٥) أغرب: أتى بالغريب (البعيد، النادر، المستغرب، الجميل). أعرب: أوضح، بيّن.

(٦) الأغيد: الناعم، المتثنّي (الجميل). حثّ الرجل رفيقه: استعجله، سأله موالاة العمل بسرعة.

(٧) الأقاح (يقصد بتلات الأقحوان، وتكون شبيهة بالأسنان الأمامية (إذا كانت تلك الأسنان سليمة نظيفة). في البيت السابق يذكر الشاعر شقائق النعمان (الأحمر) والآس (الأخضر). فيسأله سائل عن الأقحوان (ذي البتلات البيض والوسط الأصفر)، فيقول الشاعر إنّ الروض قد خصّ ثغر (فم) الساقي (ساقي الخمر، النديم الجميل) بالأقحوان، إذ منحه الأقحوان أسناناً.

(٨) وسئل الساقي عن ذلك فجحده (أنكره). ولكن لـمّا اتّفق أن ابتسم الساقي وبانت أسنانه، ظهرت أسنانه كبتلات الأقاحي.

(٩) شقائق النعمان (زهر أحمر اللون). تهادى: سار وهو يتمايل.

زُرْتُهـــا والغَمامُ يَجْلِـــدُ منهـــا   زَهَراتٍ تروقُ لَوْنَ الراحِ[1].
قُلْتُ: ما ذنبُها؟ فقال مُجيباً:   سَرَقَــتْ حُمْرَةَ الخُـدودِ المِلاحِ!

فانظُرْ كيفَ زاحمَ بهذا الاختيالِ المُخترِعينَ وكيف سابق بهذا اللفظ المُبْتدعين...

- ص ٢٠٩:

... وقد أطَلْتُ عِنانَ[2] النَظْم، على أنّي اكْتَفَيْتُ مِنَ الاستدلال على النهارِ بالصَباح. فبالله، إلّا ما أخْبَرْتَني: مَنْ شاعِرُكم الذي تقابلون به شاعراً ممّن ذكرتُ؟ لا أعْرِفُ لكم أشهَر ذِكراً وأضخمَ شِعراً من أبي العَبّاس الجراويّ. وأولى لكمْ[3] أن تَجْحَدوا فَخْره وتَنْسَوْا ذِكْرَه. فقد كفاكم ما جرى من الفضيحة عليكم في قولِهِ من قصيدةٍ يمدحُ بها خليفةً:

إذا كـان أملاكُ الزمانِ أراقماً،   فإنّكَ فيهم - دائمَ الدهر - ثُعبانُ[4]!

فما أقبحَ ما وَقَعَ ثعبانُ، وما أضعفَ ما جاء دائم الدهر! ولقد أنشدتُ أحدَ ظُرفاء الأندلسِ هذا البيتَ فقال: لا يُنْكَرُ هذا على مِثْلِ الجراوي. فسُبْحانَ من جَعَلَ نَسَبَه ورُوحَه وشِعرَه تتناسَبُ في الثقالة...

وأمّا غَرْناطةُ فإنّها دِمَشْقُ بلادِ الأندلُسِ مَسْرَحُ الأبصار ومَطْمحُ الأنفس، لها القَصَبَةُ المَنيعةُ ذاتُ الأسوارِ الشامخة[5] والمباني الرفيعة.... وزانَها اللهُ تعالى بأنْ جَعَلَها مُرَتَّبَةً على بَسيطِها[6] المُمْتَدِّ الذي تَفَرّعتْ فيه سبائِكُ الأنهار بين زَبَرْجَدِ[7] الأشجار...

---

(١) جلد: ضرب. يجلد زهرات (يجعلها تمايل). راق: أعجب. وفي القاموس (٣: ٢٣٨ س) راق عليه: زاد عليه فضلاً. لون الراح (الخمر): الحمرة.

(٢) العنان: الرسن. أطلت عنان النظم (تكلمت كثيراً في الشعر والشعراء).

(٣) أولى لك: أليق بك، خير لك.

(٤) الأرقم: حية خبيثة. الثعبان: حية ضخمة. دائم الدهر: دائماً، طوال (بفتح الطاء) الدهر.

(٥) القصبة: المدينة (الرئيسة) المنيعة (المحصنة) التي يمتنع على العدوّ اقتحامها. الشامخة: العالية.

(٦) البسيط: السهل، الأرض المستوية.

(٧) سبيكة: قطعة مسبوكة. سبكاً على شكل مستطيل (من الفضة: كناية عن النهر بمائه الأبيض). الزبرجد: حجر كريم أخضر اللون.

- قال أبو الوليد الشُّقُنديُّ في النسيب:

عَلّلاني بذِكْر من هِمْتُ فيه، وعِداني عنه بما أرْتَجيه[1].
وإذا ما طربْتُما لارْتِياحي فاجْعَلا خَمْرتي مُدامَةَ فيه[2].
ليتَ شِعْري - وكم أُطيل الأماني - أيَّ يوم في خَلوةٍ ألْتَقيه؟.
وإذا ما ظَهرْتُ يوماً بشَكْوَى قال لي: أينَ كلُّ ما تَدّعيه؟
لا دموعٌ ولا سَقامٌ، فإذا شاهدٌ عنك بالذي تُخفيه؟.
قلت: دعني أمت بدائي فإنّي لو براني الغرام لا أبديه[3].

٤ - رسالة المفاضلة بين الأندلس وبر العدوة (تحقيق إحسان عبّاس)، بيروت ١٩٦٨؛ (تحقيق صلاح الدين المنجّد) بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م.

** المغرب ١: ٢١٣ - ٢١٤؛ اختصار القدح المعلى ١٣٨ - ١٣٩؛ الغصون اليانعة ٣٦ - ٣٧؛ نفح الطيب ١: ١٤٧ - ١٤٨، ١٥٦ - ١٥٧، ١٧٦، ٣: ١٨٦ وما بعد، ٢٢٢ - ٢٢٤؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٨٤؛ نيكل ٣٣٠ - ٣٣١؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٢٣ (٣٢٣ - ٣٢٤).

أبو الروح عيسى بن عبد الله النفزي

١ - هو أبو الرَوْحِ عيسى بنُ عبدِ الله بنِ محمّدِ بنِ موسى بنِ محمّدِ بنِ عبدِ الله بنِ إبراهيمَ بن خليلٍ النَّفزيُّ الحِمْيَريُّ التاكُرونّيُّ، وُلِدَ في تاكُرونّا، على مقرُبَةٍ من قُرطُبَة، سَنَةَ ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م). تركَ عيسى بنُ عبدِ الله النَفْزِيُّ الأندلُسَ باكراً فمرَّ بمِصْرَ ولَقِيَ عُمَرَ بنَ الفارض[4] ثمّ إنّه تابَعَ رِحْلَتَه إلى الشام والعراقِ فَوَصَلَ إلى

(١) علّ الساقي شخصاً (وعلّله): سقاه (الماء شيئاً بعد شيء. وعلّله (أيضاً): داواه من علّة فيه. هام فلان بفلانة: أحبها حبًّا شديداً. عد (بكسر فسكون) فعل أمر من «وعد».
(٢) الارتياح: السرور والاطمئنان والنشوة. المدامة: الخمر (ولا تقل: خمرة). فيه (فمه).
(٣) برى يبري: نحت (أنحل، أمرض). أبدى: أظهر.
(٤) الشاعر الصوفي (ت ٦٣٢ هـ) راجع ٣: ٥٢٠.

إرْبِلَ (جنوبَ شرقِ المَوْصل)، سَنةَ ٦٢٧ هـ. ثمّ وصَلَ إلى آمِدَ، ومن آمِدَ عاد إلى أرْزُنَ من دِيارِ بكْرٍ (جنوبَ شرقِيّ تُرْكِيَةَ اليومَ) فتُوُفِّيَ فيها سَنةَ ٦٢٩ هـ (١٢٣١ - ١٢٣٢ م).

٢ - كان عيسى بن عبدِ اللهِ شابًّا مُتأدِّبًا فاضلًا يقولُ الشعر تَبْبِيتاً وارْتِجالاً وله شِعرٌ حَسَنٌ. وشِعره وُجْدانيٌّ فيه وصفٌ وغَزَل.

٣ - مختارات من شعره:

- مقطعات لعيسى بنِ عبدِ الله النَفْزيّ:

** يا قلبُ، ما لك لا تُفيقُ من الهوى ... أوَما يَقِرُّ بـك، الزمانَ، قرارُ[١]؟
أَلِـكُلِّ ذي وجهٍ جميـلٍ حَنّـةٌ ... ولكلِّ عهدٍ سالفٍ تَذْكار[٢]؟
** إنْ أودعَ الطِرْسَ مـا وشّاهُ خاطِرُهُ ... أبدى لِعَيْنَيْكَ أزهاراً وأشجارا[٣].
وإن تهدَّدَ فيه، أو يَعِدْ كَرَماً: ... بَثَّ البَرِيّةَ آجالًا وأعمارا[٤].
** أوْصَيْتُ قَلْبِيَ أنْ يَفِرَّ عن الصِبا ... ظنًّا بأنّي قد دعوتُ سَميعا.
فأجابَـني: لا تَخْشَ منّي بعدَما ... أفْلَتُّ من شَرَكِ الغرامِ وقوعا[٥].
حتّى إذا نادى الحبيبُ رأيتَه ... آوَى إليهِ مُلَبِياً ومطيعا[٦]،
كذُبالَـةٍ أخمدتَّهـا، فإذا دنـا ... منها الضِرامُ تَعَلَّقَتْه سريعا[٧].

٤ - ** نفح الطيب ٢: ٦٠٦ - ٦٠٨.

---

(١) الزمانَ (منصوبة لأنّها ظرف مفعول فيه): طول الزمان، طول حياتي.
(٢) حنّة: حنين (شوق). سالف: ماض.
(٣) وشّاه: طرّزه. الطرس: الورق (إن كتب ناثراً أو ناظماً).
(٤) البريّة: الخلق كلّهم. آجالا (انتهاء الأعمار: قتل الناس). أعماراً (امتداد الحياة: وهب الناس أعماراً جديدة).
(٥) في نفح الطيب (٢: ٦٠٨) افلتَّ (بفتح التاء).
(٦) آوى: لجأ (ذهب إليه).
(٧) الذبالة: فتيلة السراج. الضرام: النار المشتعلة بلهب. تعلّقته: جعلت (النار) تتعلّق بها (اشتعلت).

المأمون الموحّديّ

١ - هو أميرُ المؤمنينَ المأمونُ إدريسُ بنُ يعقوبَ (المنصور) بن يوسفَ بن عبد المؤمن أولِ سلاطينِ المُوحّدين. كان المأمونُ المُوَحّديُّ في أول أمره والياً في الأندلس على مالَقَةَ ثمّ على قُرْطُبةَ ثمّ على إشبيلية. في ذلك الحينِ كان أمرُ المُسلمين في الأندلس قد أصبحَ ضعيفاً جِدًّا، استبدّ بنو هودٍ بما كان قد بَقِيَ للمسلمين في الجانب الشَرقي الجَنوبيّ في الأندلس، وكان يُنازِعُهم بنو نَصْرٍ الذين استبدّوا فيما بعد بغرناطة وما حولَها. وكانت سُلطةُ الموحّدين لا تَزالُ مبسوطةً على عدد من المُدن كقُرطبة وإشبيلية ومالَقة، فكان المأمونُ المُوحّديُّ بشجاعتهِ وبقدرته في القتالِ يَحولُ بينَ الإسبان والمُدُنِ الأندلسية ما أمكنَ، كما كان يَحولُ بينَ الثائرين المسلمين (من أمثالِ بني هود) وتقليصِ سُلطةِ الموحّدين في الأندلس.

وكذلك كان أمرُ المَغرب مُضطرباً بتنازع رجالِ الموحّدين على الحُكم. لمّا تُوُفّيَ السُلطانُ أبو محمّدٍ عبدُ الله العادلُ (٦٢٤ هـ) أُخِذَتِ البَيْعةُ للمأمونِ في مَرّاكُش وفي الأندلس. ثمّ رأى جماعةٌ من أهل المَغرب أن يَعْدِلوا عن بَيْعةِ المأمون إلى بَيْعة ابن أخيه يحيى بنِ العادلِ - وكان صغيرَ السنّ، ورَجا الناكثون للبَيْعة أن يستبدُّوا بالأمرِ في أيامِه - . نَسِيَ المأمون الموحّديُّ (مَعَ الأسف) كلّ شيءٍ إلّا حقَّه الشخصيَّ في المُلْك فقضى مُدّةً جَمَعَ في أثنائها جيشاً كبيراً ضمّ إليه اثْنَيْ عَشَرَ ألفاً من فُرسانِ الإسبان (النصارى) وجاء بذلك الجيشِ إلى المَغْرب. وانتصر المأمونُ على ابن أخيه يحيى وأبادَ الجانبَ الأكبر من جَيْشه ثمّ تَتَبَّعَ الناكثين لبَيْعته بالقتل. وكان المأمونُ المُوحّديُّ بعملِه هذا قد زادَ أمر المغرب والموحّدين اضطراباً، كما كان قد تَرَكَ الجوّ في الأندلس خالياً للإسبان يُخرجون منها المُسلمين شيئاً فشيئاً.

وكانتْ وفاةُ إدريسَ بنِ يعقوبَ المأمونِ الموحّديِّ في ذي الحِجّة من سَنَة ٦٢٩ (خريف ١٢٣٢ م) بعيداً عن مَرّاكش.

٢ - كان المأمونُ المُوحّديُّ رَجُلًا ذَكِيًّا عاقلًا وشُجاعاً حازماً وجَواداً كريماً. وكان أيضاً مُغرَماً بالبِناء عارفاً بوجوهِه حتّى أنّ عُرَفاء البَنّائين كانوا لا يتصرّفون إلّا

بنَظَرِه (برأيه وإرشاده). وكذلك كانتْ له مشاركةٌ في عددٍ من فنونِ المعرفةِ. وفي رسائلهِ وأشعارِه ما يدُلُّ على معرفةٍ بالقُرآن والحديث والفِقه. ثمّ إنّه كان أديباً وكاتباً فصيحاً وناظماً للشعر.

٣- مختارات من آثاره:

- رسالة للمأمون الموحِّدي بإبطالِ دعوىَ المَهْدِيِّ (ابن تومرت) وعِصمته[١]:

.... للحقِّ لسانٌ ساطعٌ وحُكْم قاطعٌ، وقضاءٌ لا يُرَدُّ وباب لا يُسدّ، وظِلالٌ على الآفاق تمحو النِفاق. والذي نوصيكُمْ به تَقْوَى اللهِ والاستعانةُ به والتوكّلُ عليه، ولِتَعْلموا أنّنا نَبَذْنا الباطلَ وأظْهَرْنا الحقَّ، وأنْ لا مَهْديَّ إلّا عِيسى بنُ مريمَ[٢] الناطقُ بالصِدق. وتلك[٣] بدْعَةٌ قد أزَلْناها، واللهُ يُعينُنا على القلادة التي تَقَلّدناها[٤]؛ كما أزَلْنا لفظَ العِصمة[٥] عمّن لا تثبُتُ له، وأسْقَطْنا عنه وَصفَهُ ورسمَهُ. وقد كان سيّدُنا المنصورُ[٦]، رَضِيَ اللهُ عنه، هَمَّ أن يصدَعَ بما به الآن قد صَدَعْنا[٧]، وأن يرقَعَ للأمّة الخَرْقَ الذي رَقَعْنا. فلم يُساعِدْهُ لذلك أَمَلُهُ، ولا أجّلَهُ إليه أجَلُهُ[٨]. فَقَدِمَ على ربِّهِ بصِدْقِ نيّةٍ وخالصِ طَوِيّةٍ[٩]. وإذا كانتِ العِصْمَةُ لم تثبُتْ عند العُلماء للصَّحابة[١٠]، فما الظنُّ بمَنْ لا يَدْري بأيِّ يدٍ يأخذُ كِتابه[١١]. أفٌّ لهم، قد ضَلّوا

---

(١) النبوغ المغربي ٣٤٧ (الترقيم الثاني: يصل الكتاب إلى ص ٤٤٠، ثمّ يبدأ ٣٤١ الخ - راجع في باب المصادر والمراجع: النبوغ المغربي).

(٢) حينما ينزل في آخر الزمان.

(٣) أي دعوى المهدي بن تومرت.

(٤) القلادة: سلسلة توضع في العنق (هنا: التبعة التي تقلّدناها أي أخذنا أنفسنا بحملها).

(٥) العصمة: التنزّه عن الذنب والخطأ (وبهذا المعنى ليست في الإسلام إلّا لله).

(٦) أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ثالث سلاطين الموحّدين ووالد المأمون (لكنّ المأمون تأخّر في المجيء إلى العرش).

(٧) صدع بالأمر: أعلنه.

(٨) أجّله (أخّره) إليه (إلى إعلان الإبطال لدعوى المهدي بن تومرت) أجَلُه (انتهاء عمره).

(٩) - توفّي وقصده أن يفعل ذلك (راجع الحاشية السابقة).

(١٠) الصحابة: الذين عاشوا في عصر الرسول واتّصلوا به وصحبوه.

(١١) لا يعلم إذا كان يوم القيامة سيأخذ كتابه بيمينه (يستحقّ الجنّة بأعماله الصالحة) أو بشماله - بكسر الشين - (يستحقّ النار بأفعاله السيّئة).

وأضلّوا، وسقطوا في ذلك وزلّوا. اللّهمَّ، اشْهَدْ أننا تَبَرَّأْنا منهم تبرُّءَ أهلِ الجنةِ من أهلِ النار. ونَعوذُ بِكَ من أمْرِهِمُ الرَّثيثِ[1] وفِعْلِهِمُ الخبيثِ، لأنّهم في المُعْتَقَدِ كفّارٌ. والسلامُ على مَنِ اتّبعَ الهُدى واستقام.

- وقال المأمونُ المُوحّديّ لمّا قَتَلَ جُنْدُهُ ابنَ أُختٍ له:

ما ٱبنُ أُختي مِمّن يَعِزّ على رو ... حي، وإنْ كان قومُه أعدائي[2].
لا تُشلُّ اليدُ التي جَرّعتهُ ... حَتْفَه! فهو زائدٌ في الداء[3]!

- ولمّا بلغه قولُ الناس عنه إنّه حجّاجُ المَغربِ لكَثْرة قَتْلِهِ، قال:

أنا الحجّاجُ؛ لكنّي صبورٌ ... مُقِرٌّ بالحساب وبالعِقاب[4].
وأعلَمُ أنّ لي بفَناء قومٍ ... عَمُوا عن رُشْدِهِم - ذُخْرَ الثواب[5]!

٤ - ** الوافي بالوفيات ٨: ٣٢٠ - ٣٢٣؛ الإحاطة ١: ٤١٧ - ٤٢٦؛ شذرات الذهب ٥: ١٣٥؛ الاستقصا ١: ١٩٧ وما بعد؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٣: ٢٢٣ - ٢٢٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٦٩ - ٢٧٠ (٢٨١ - ٢٨٢)؛ النبوغ المغربي ٣٤٧ - ٣٥٠.

ابن إدريس التُّجيبيّ

١ - هو أبو عمرو إبراهيمُ بنُ إدريسَ التُّجيبيُّ من أهلِ مُرْسِيَةَ، تولّى قضاءَ

---

(١) الرثيث: الجريح الذي لا يزال به رمق: بقيّة من حياة (وهو يقصد: الرّث: رديء المتاع، والنسيج المتهرّىء!).
(٢) لا أفضّل ابن أختي على نفسي.....
(٣) الحتف: الهلاك. فهو زائد في الداء (كان ابن أختي في حياته سبباً من أسباب شقائي).
(٤) الحجّاج بن يوسف الثقفي والي الأمويّين على العراق من سنة ٧٥ إلى سنة ٩٥ للهجرة (سنة وفاته). واتّهم الحجّاج بالظلم وبإكثار القتل في الناس. لقد كان الحجّاج بن يوسف حازماً شديداً وعنيفاً أيضاً (والمظالم التي تنسب إليه مبالغ فيها كثيراً). والحجّاج هو الذي أقرّ الأمن في العراق وأقرّ الملك لبني أمية في المشرق. الحساب والعقاب (يوم القيامة).
(٥) بفناء (هلاك) قوم (من أعداء المأمون الموحّدي). عموا عن رشدهم (لم يعرفوا الصواب). الذخر: ما يهيّأ للإنسان في المستقبل. الثواب (يوم القيامة).

مُرْسِيَةَ والخُطبةَ في جامِعِها. وكانت وفاتُه في أوّل سَنَةِ ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م).

٢ - كان ابنُ إدريسَ التُجيبيُّ شاعراً فَحْلًا متينَ التركيبِ سَهْلَ التعبيرِ، من فُنونِهِ المدحُ ووصفُ الحربِ والطبيعة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ إدريسَ التُجيبيُّ يمدَحُ مَلِكاً (لعلّه محمّدُ بنُ يوسفَ بنِ هودٍ) غزا الرومَ (الإسبان):

شِيَمُ الصَوارمِ أنْ تُقَرِّبَ ما نَأى ... لكنْ على مَنْ عزمُه كَظُباتِها[1].
أخْلَصْتَ للرحمنِ نِيّةَ عالِمٍ ... أنّ النفوسَ لـه على نِيّاتها[2].
أوْطأتَ أرضَ المُشركين كَتائباً ... كادتْ تُميدُ الأرضَ من وَطَآتِها،
كالبحرِ يطفَحُ مَوْجُه جَرْياً إذا ... هبّتْ رِياحُ النصرِ في راياتِها.
ظَنّوكَ لا تَسطيعُ دَفْعَ كُماتِها ... إذْ لم تُطِقْ بالجُود رَدَّ عُفاتها[3].

٤ - ★ ★ تحفة القادم ١٣٨؛ الوافي بالوفيات ٥: ٣١٧ - ٣١٨؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٤. (٣١).

أبو القاسم البلويّ الإشبيلي

١ - هو أبو القاسمِ أحمدُ بنُ محمّدِ البَلَويُّ الإشْبيليّ، من أهلِ إشْبيلِيَةَ، كان في أوّلِ أمرهِ يكتُبُ لِنفَرٍ من وُلاةِ المُوحّدين في الأندلس. ثمّ لَحِقَه ما جَعَلَ الناسَ يتشاءمون بصُحبته وبرُؤيته «لا يَتعرّضُ لرئيسٍ فيَسْتَكْتِبَه (يجعلُه كاتباً في الدولة)

(١) شيم (صفات) الصوارم (السيوف). نأى (ابتعد). الظبة (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدُّ السيف.
(٢) «أنّ» بفتح الهمزة - لأنّ الجملة المؤوّلة من «أن وما بعدها» في محلّ نصب مفعول به من «عالم». - أنّ النفوس تلاقي من الخير بقدر ما تكون ناوية أن تفعل من الخير.
(٣) الكميّ: الفارس (الشجاع) الكامل السلاح. ظنّوك لا تستطيع ردّ (هزم) أعدائك لأنّك لم تستطع من قبل أن تردّ عفاتك (طالبي معروفك) خائبين (بلا عطاء).

ولا يأخُذُ (يحاول) في صُحبة نبيلٍ فيصْحَبَه » (؟- إلّا حدَث لهذا النبيل أو لذلك الرئيسِ حادثٌ مُؤلمٌ أو أمرٌ مُؤذٍ). فانقطَعَ رزقُهُ وسُدّت أبوابُ الرزْق في وجههِ وعاش مُعتزلاً في مَنزِله يشكو غَدْرَ الزمانِ وخيانةَ الإخوانِ حتّى قال عليٌّ بنُ موسى بنُ سعيدٍ (٦١٠ - ٦٨٥ هـ)، صاحبُ كتاب « القِدْح المُعَلّى »: صِرْتُ أتراوغُ (أتحاشى) عن لِقائِهِ وأدعو الله ألّا يُعَذِّبَه بطولِ بقائِه (كان يرجو له ألّا تطولَ حياتُه). وكانتْ وفاتُه في سَنَةِ ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ - ١٢٣٥ م) بعدَما أصابَه وَسواسٌ شديدٌ كاد يذهَبُ بعقلهِ كلّهِ.

٢ - كان أبو القاسمِ البلويُّ أديباً شاعراً ناثراً مشهوراً بصِناعة الكِتابة مُكْثِراً من النثر والشعر. وأوسع فنونه - فيما يبدو - الأدبُ. ولمّا جَلَسَ أبو العلاء إدريس المُوحِّدي الوالي على إشبيليةَ للهناء بمَقْتَلِ السيدِ أبي محمّدٍ البيّاسي الثائرِ عليه (والبيّاسي من الموحّدين أيضاً)، وذلك سَنَةَ ٦٢٣ هـ، قال أبو القاسمِ البلويُّ قصيدةً مطلَعُها: « يا قُبّةَ السعدِ هُزّي قبّةَ الوادي » كان لها سَيْرورةٌ على الألْسِنَةِ واسعةٌ حتّى قال ابنُ سعيدٍ أبو الحسنِ عليٌّ بنُ موسى (ت ٦٨٥ هـ): « لم ألْقَ بإشبيليةَ من الأدباء والشعراء إلّا من يحفَظُها ويلهَجُ بذِكْرِها، ثمّ لا يحفظون ما بَعْدها » (القِدح المعلّى ١٢٠).

وكذلك كان أبو القاسمِ البَلَويّ مُصَنِّفاً، صَنّفَ كتاباً في رسائلِ كُتّابِ عصره.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو القاسمِ البَلَويُّ الإشبيليُّ، لمّا انزوى في بيتِه بعدَ أن هجَرَهُ الناسُ (نفح الطيب ٣: ٣٢٥):

لِمَنْ أشكُو مُصـابي في البَرايـا	ولا ألْقـى سِوى رَجُلٍ مُصابِ!
أمورٌ لو تَدَبَّرَهـا حكـيمٌ	لعـاشَ مَدى الزمان أخا اكْتِئاب.
أمـا في الدهرِ من أُفضي إليـه	بأسْراري فيُؤْنِسَ بالجواب
يَئِسْتُ من الأنـام فما جليسٌ	سرى عنّي الهمومَ سِوى كِتـابي[1].

(١) سرى (فعل متعدّي) عنّي الهموم (سار بها، أذهبها). يقال سرى فلان ثوبه: نزعه عنه.

- ويبدو أنّ أبا القاسم البَلَوِيَ الإشبيليّ كان في أثناء مِحْنته القاسيةِ يكتُبُ إلى نَفَرٍ من إخوانهِ يسألُهم ما يَستعينُ به على شَقاءِ الحياة. من ذلك:

★ وما كتبتُ إليك، يا أخي المُشْفِقَ الحدب[1]، هذا الكتابَ إلاّ وأنا مُوَلَّهُ العقلِ مّما حلّ بي مِنَ اعتداءِ الزمانِ وخِذلانِ الأصحاب. وأشدُّ من ذلك اختلالُ أحوالِ ربّةِ الدار وكونُها جارَتْ في أفعالها وأقوالها وجَرَتْ على غيرِ الاختيار:

عِنـدي من الحُزْنِ ما لو أنّ أيْسَرَه　　　يُلقى على الفَلَكِ الدوّارِ لم يَدُرِ.

وكيف يهنأ العيشُ مَعَ سوءِ الحالِ باطناً وظاهراً ووارداً وصادراً. أحْياني اللهُ بالحِمام وحيّاني بحُلول دارِ السلام[2].

★ لا مُشْتَكَى، يا أخي، إلاّ إلَيْكَ- وإن كنتُ أُورِدُ من ذلك ما يَشُقُّ عليك. لكنيّ أعلَمُ حُسْنَ مُشاركَتِكَ في السرّاء والضرّاء[3] ومُحافظَتِكَ على شروطِ الوِداد والإخاء.

- وكتب في وَصْفِ الفِتنة التي كانت في أيامِه (حينما كان الإسبانُ يستَوْلون على المُدُنِ الأندلسية):

ولو شاهدتَ ما نحن فيه مِنَ اشتمالِ الفِتنةِ واشتغال أصناف الناسِ بأنواعِ المِحْنة، لَذَهِلْتَ عن تلفيقِ كَلِمَتَيْنِ، وحَمِدتَ اللهَ فيما[4] حَماك به عن هذا المَوْطىء المَسْخوط عليه من البَيْنِ[5]: سَيفٌ مجرّدٌ وخَيْفٌ محدّدٌ، وحِقدٌ لا يقتصرُ على النفوس، وغِلّ[6] لا يُشفى إلاّ بقطف الرؤوس.

٤ - ★★　القِدح المعلَّى ١٢٠ - ١٢٢؛ نفح الطيب ٣: ٣٢٥.

---

(١)　الحدب: الرجل والمرأة إذا حدبا (عطفا على ولديها). المولّه: الذي ولّهه الحب أو الحزن (ذهب بعقله).

(٢)　الحِمام: الموت. أحياني الله بالحمام (أنقذني الله من شقاء حياتي في الدنيا بالموت). وحيّاني (استقبلني رضوان: خازن الجنّة) بحلول (عند حلول: دخول) دار السلام (الجنّة).

(٣)　السراء: النعمة والرخاء. الضرّاء: الشدّة، المرض الدائم.

(٤)　كذا في الأصل. اقرأ: على ما.

(٥)　الموطىء: المكان الذي يطأ (يدعس، يمشي) الناس فيه (المكان الذي يكثر فيه الناس). المسخوط: المكروه. البين: الفراق. البعاد.

(٦)　الغلّ: الحقد.

ابن طلحة الأنصاري

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ طلحةَ الأنصاريُّ من أهلِ جزيرةِ شُقْرَ من أعمالِ بَلَنْسِيَةَ، كان يكتُبُ عند وُلاة المُوحِّدين في الأندلس. فلمّا ثارَ محمّدُ بنُ يوسفَ بنِ هودٍ بالصُّخيرات (من عمل مُرْسية)، سَنَةَ ٦٢٥ للهجرة، واستقلّ عن المُوحِّدين اتّخذَ ابنَ طلحةَ كاتباً. وأصبح لابنِ طلحةَ في دولةِ بني هودٍ مكانةٌ حتّى إنّه كان ينوبُ عنِ الوزيرِ إذا غاب. ثمّ غَضِبَ ابنُ هودٍ على ابنِ طلحةَ (لزندقة ابنِ طلحةَ واستهتارِه وتعرُّضِه بالهجاء لرجالِ الدولة) ففرّ ابنُ طلحةَ إلى سَبْتَةَ (ساحل المغرب). فأحسنَ إليه أبو العبّاسِ السبتيُّ (القائمُ بأمر سبتة). ولكنّ ابنَ طَلْحَةَ أوغرَ صَدْرَ أبي العبّاس (في حديثٍ طويلٍ) فدبّر أبو العبّاس مقتله في رَمَضَان (وقيل في ثامن شوّالٍ) من سَنَةِ ٦٣٢ (ربيع عام ١٢٣٥ م).

٢ - كانَ أبو جعفرِ بنُ طلحةَ فاسقاً مُتَهَتِّكاً مُستهتراً بالخمرِ والغزلِ مُتَوثِّباً على الناسِ وكان كثيرَ الإعجابِ بنفسِه وبشعرِه يَحُطّ من قَدْرِ جميعِ الشعراء، وشعراء المشرقِ خاصّةً حتّى أبو تمّامٍ والبحتريُّ والمتنبّي. وأكثرُ شِعْرِه الوَصْفُ للطبيعة وله فيه جَوْدَةٌ. وله هجاءٌ وغزلٌ ومُجونٌ.

٣ - مختارات من شعره:

- من أوصافه في الطبيعة والخمر:

* يا هلْ ترى أظرَفَ من يَوْمِنا ... قَلَّدَ جيدَ الأُفْقِ طَوْقَ العَقيقْ[1].
وأنطَقَ الوُرْقَ بعيدانِها ... مُرْقِصَةً كلَّ قضيبٍ وَريقْ[2].
والشمسُ لا تشرَبُ خَمْرَ النَّدى ... في الرَّوْضِ إلّا بكُؤوسِ الشَّقيقْ[3]!

---

(١) قلّد: جعل قلادة (عقداً - بالكسر) جيد (عنق). العقيق: حجر كريم أحمر - كناية عن احمرار الأفق الشرقي بالفجر (قبل طلوع الشمس).

(٢) الورق جمع ورقاء: حمامة. العيدان جمع عود (الآلة التي يعزف عليها) كناية عن هديل (غناء) الحمام. قضيب: غصن. وريق (عليه ورق أخضر).

(٣) الشقيق (أزهار شقائق النعمان: بتلاتها حمراء) الشمس لا تشرب خمر الندى (لا تبخّر الندى الذي يسقط في الليل على الأغصان والأوراق والأزهار.....)

★ أدِرْهــا فالسماءُ بَـدَتْ عروساً	مُضَمَّخَــــةَ الملابسِ بالغَوالي[1]،
وخَـدُّ الروضِ خَفَّرَهُ أصيـلٌ،	وجَفْنُ النَهرِ كُحِّـلَ بالظِـلال[2].
وجيـدُ الغُصْنِ يُشرِفُ في لآلٍ	تُضيءُ بهنّ أكنـافُ الليــالي[3].
★ هـاتِ المُدامَ إذا رأيتَ شَبيهَها	في الأُفقِ، يا فرداً بغيرِ شبيهِ[4]!
فالصُّبْحُ قد ذَبَحَ الظلامَ بنَصْلِهِ	فغَـدَتْ تُخاصمُه الحمائمُ فيه[5].
★ أَلِفْـتُ الحربَ حتّــى علَّمتـني	مُقارعَــةَ الحوادثِ والخُطوب[6].
ولم أكُ عالمـاً، وأبيـكَ، حرباً	بغيرِ لواحظِ الرَشأ الربيبِ[7].
فها أنـا بينَ تلك وبينَ هذي	مُصـابٌ من عَـدُوٍّ أو حبيـبِ.

٤ - ★★ المغرب ٢: ٣٦٤ - ٣٦٥؛ المقتضب ١٥٧؛ القدح المعلّى ١١٤ - ١١٧؛ ٨: ٤٦ - ٤٧ الوافي بالوفيات ٨: ٤٦ - ٤٧؛ الإحاطة ١: ٢٤٣ - ٢٤٧.

---

(١) أدرها (طف علينا بها: بالخمر). مضمّخة الملابس (في ملابسها أشياء من الطيب). الغوالي جمع غالية: نوع من الطيب يعمل من أخلاط طيّبة الرائحة.

(٢) خفّره (جعله يخجل فيحمرّ). الأصيل: بعد العصر وحينما تبدأ الشمس بالانحدار إلى المغيب (فيبدأ الأفق الغربي بالاحمرار). وجفن النهر (جانبه، ساحله) كحّل بالظلال: ظهر على جانبه (شاطئه) لون أسود لأنّ الأشجار على ضفّتيه (بالكسر) تمنع عنه نور الشمس.

(٣) جيد: عنق. اللآل: جمع لؤلؤة. الكنف (بفتح ففتح): الناحية، الطرف. - الصورة بعيدة. إذا قصد الشاعر باللآلي «الندى»، فإنّ الندى لا يسقط على الأغصان إلّا بعد نصف الليل يشرف (؟).

(٤) المدام: الخمر التي أديم طبخها بالنار. شبيه الخمر في الأفق (اللون الأحمر على الأفق الشرقي قبل طلوع الشمس - راجع البيت التالي). يا فردا: أيّها الساقي الجميل (الذي لا يشبهه أحد في جماله).

(٥) بنصله (بطرف الأفق - لأنّ الليل ينكشف أولاً عند الأفق ثمّ يعلو الضوء في الصباح شيئاً فشيئاً). وعلامة ذبح الظلام اللون الاحمر (الفجر) على طرفه (على الأفق). تخاصمه الحمائم = الحمائم تخاصم الصبح في ذبح الظلام (الليل) لأنّها كلّها تتغنّى بأصوات كثيرة مختلط بعضها ببعض.

(٦) المقارعة: ضرب الأبطال بعضهم بعضاً في الحرب بالسيوف. الخطوب جمع خطب (بفتح فسكون): المصيبة).

(٧) لم أكن عالماً حرباً (لم أكن أعرف من أمور الحرب شيئاً). الرشأ: ابن الغزال (الغلام الجميل). الربيب (الصغير الذي لا يزال يحتاج إلى عناية أمّه).

ابن دِحْيةَ الكلبيّ

١ - هو الحافظُ مجدُ الدينِ أبو الخطّابِ عمرُ بنُ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ محمّدِ بنِ الجُميِّل ابن فَرَحِ بنِ خَلَفِ بن قومِس بن مَزلالَ بنِ مَلالَ[1] بنِ بدرِ بنِ أحمدَ بنِ دِحيةَ بنِ خليفةَ ابن فروةَ الكلبيُّ - المعروفُ بذي النَسَبين[2] - الأندلسيُّ البَلَنْسيُّ. قال ابنُ خلّكانَ (٣ : ٤٤٨): « نَقَلْتُ نَسَبَهُ على هذهِ الصورةِ من خَطِّه، وكان قد قَيّدَهُ وضَبَطه كما هُو هُنا ».

وُلِدَ ابنُ دِحيةَ الكلبيُّ في سَبْتَةَ، في الأغلبِ، في مُسْتَهَلِّ ذي القَعْدةِ من سَنَةِ ٥٤٤[3] (آذارِ - مارس ١١٥٠ م). وقدِ اشتغل بطَلَبِ الحديثِ في أكثرِ المدنِ الأندلسيّةِ فسَمِعَ من ابنِ بشكُوالَ (ت ٥٧٨ هـ) وابنِ زَرْقونِ (ت ٦٣١ هـ). ويبدو أنّه سكن بلنسيةَ طويلًا حتّى عُرِفَ أيضاً بالبلنسيّ.

وتولّى ابنُ دِحيةَ القضاءَ مرّتينِ في مدينةِ دانِيَةَ ثمّ صُرِفَ عنه لسِيرةٍ نُعِيَتْ[4] عليه، فَرَحَلَ إلى برِّ العُدْوةِ وتَطوّفَ في المَغرِبِ وإفريقيَةَ فزارَ مدينة مَرّاكُشَ وبِجايَةَ ثمّ جاء إلى تُونِسَ، سَنَةَ ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) أو قُبيلَ ذلك، ودرس الحديثَ.

بعدَئِذٍ رَحَلَ إلى المشرقِ فمرَّ بِمصْرَ في طريقِهِ إلى الحجِّ، وتطوَّف في الشام والعِراق وفارسَ ومازَنْدرانَ فسَمِعَ من العلماءِ والمُحدِّثين فيها. ويذكر المَقّريّ (نفح الطيب ٦ : ٢٧٣ - ٢٧٥) أنَّ ابنَ دِحيةَ سمع في بغدادَ من الحافظ أبي الفرج بن الجَوْزيّ (ت ٥٩٧ هـ)، وفي أصْفهانَ من أبي جعفرٍ الصَيْدلانيّ (ت ٦٠٣ هـ)، وفي نَيْسابورَ من أبي سعيدِ بنِ الصفّارِ (ت ٦٠٠ هـ) ومنصور بن الفراويّ (ت ٦٠٨ هـ) والمؤيَّدِ

---

(١) قومس أو القومس (بفتح القاف أو بضمّها) لقب فرنجي، حاكم. وبنو ملال بلدة بين مدينة مَراكُش ومدينة فاس (؟؟).

(٢) ذو النسبين أو ذو النسبتين لأنّ جدّه لأبيه دحية كان من أصحاب رسول الله ولأنّ أمّه أمة الرحمن كانت من نسل الحسين بن عليّ. وينكر بعض النسّابين على ابن دحية صحّة هذا النسب وينسبونه حيناً إلى جدٍّ من البربر وحيناً آخر إلى جدٍّ من الموالي. (راجع الحاشية السابقة).

(٣) وروي أنّه ولد في سنة ٥٤٦، ٥٤٧ أو ٥٤٨ هـ.

(٤) لمسلك معيب عرف عنه.

الطُّوسيّ (ت ٦١٧ هـ). فإذا نحن تأمّلْنا تاريخَ وَفَياتِ هؤلاء، ثمّ عَلِمنا أنّ ابنَ دِحيةَ كان في تُونِسَ سَنَةَ ٥٩٥ هـ، استَبْعَدْنا أن يكونَ قد جاء من تُونِسَ إلى مِصْرَ فَمَكَثَ فيها مُدّةً ثمّ ذَهَبَ إلى الحَجّ، وبعدَ ذلك أدْرَكَ ابنَ الجوزي وابنَ الصفّار والصيدلانيَّ.

وفي أوائل سَنَة ٦٠٤ هـ (صيف ١٢٠٧ م) كان ابنُ دحيةَ في إرْبِل مُتَوَجِهاً إلى خُراسانَ (وفيات الأعيان ٣: ٤٤٩)، وكان أميرُها الملكُ المعظّمُ كوكبوري يستعدُّ للاحتفالِ بمَوْلدِ الرسولِ فَعَمِلَ له ابنُ دِحيةَ كتاباً سمّاه «التنوير في مولدِ السِراجِ المنير» وقرأه عليه بنفسِه فأعطاه الملكُ المعظّمُ ألفَ دِينارٍ.

ثمّ رَجَعَ ابنُ دِحيةَ إلى مِصْرَ فعَهِدَ إليه الملكُ العادلُ (الأوّلُ) بتأديبِ وَلَدِه محمّدٍ. فلمّا رَقِيَ محمّدٌ هذا العرشَ باسم «الملكِ الكامل» (سَنَة ٦١٥ هـ) أكرمَ ابنَ دِحيةَ وبنى له المدرسةَ الكامليةَ لعلوم الحديث. ثمّ تَغيّر قلبُ الملكِ الكاملِ عليه فَعَزَلَهُ عن المدرسة.

وكانتْ وفاةُ ابنِ دِحيةَ في القاهرةِ، في رابعِ عَشَرَ ربيعِ الأوّلِ من سنة ٦٣٣ (١٢٣٥/١٠/٣٠ م).

٢ - كان ابنُ دِحيةَ الكلبيُّ على المذهب الظاهريّ[1]، وكان مُحَدِّثاً ثِقَةً (وإنْ كان نفرٌ من العلماء يُجَرِّحونه) عارفاً باللغةِ فصيحِها وحُوشِيِّها[2] وبالنحو وبأيامِ العرب وأشعارها. وقد نَشَرَ كثيراً من علمِ الأندلس في المشرق. غير أنّ شُهْرته الصحيحةَ كانتْ في روايةِ الحديث وعلومه.

ولابنِ دحية شيءٌ من الشِعرِ ومن النثر في قصائدَ ورسائلَ ومخاطباتٍ، ولكنّ هذه كلَّها ليستْ من الطَبَقة العالية. ثمّ هو مُصَنِّفٌ مُكْثِرٌ، فمن مُصنّفاته: الابتهاجُ في المِعراج - استيفاء المطلوب في تهذيب الحروب - أنوارُ المَشْرِقَيْن في تنقيح

(١) المذهب الظاهري مذهب بائد (بطل العمل به). يقوم على الأخذ بظاهر ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف، وضعه داوود بن عليّ بن خلف الأصفهاني (ت ٢٧٠ هـ)، وكان أكبر أنصاره في الأندلس أبو محمّد علي بن حزم (ت ٤٥٦ هـ).

(٢) الحوشيّ والوحشي من الألفاظ: الغريب القبيح اللفظ القليل الاستعمال.

الصحيحين[1] المُشَرَّفَيْنِ - تاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم - سلسلة الذهب في نسب سيّد العجم والعرب - التحقيقُ في مناقب أبي بكرٍ الصّديق - التنوير على (في) مولد السِراج المنير - عِصْمة الأنبياء - العَلَمُ المشهور في فضائلِ الأيام والشهور - مَرْجُ البَحرَيْنِ في فضائلِ المَشْرقين والمَغربين - المُسْتَوْفى من أسماء المُصْطفى - النبراس في خلفاء بني العبّاس - نهاية السُول في خصائص الرسول - الجَمْر في تحريم الخمر - المُطْرب من أشعار أهلِ المغرب - كتاب الاعتبار.

ومن خصائص ابن دحية في كتابه «المطرب» أنه يُحشّي التراجم فيُوردُ في كل ترجمة ما يعجبه فلا تكون تلك الترجمة خاصة بصاحبها، بل يكون فيها أجزاء من عدد من التراجم ومن المختارات المختلفة.

ثم هو يعتمد في محاولاته النقدية الذوقَ ولا يلجأ إلى أسسٍ أو قواعدَ. وتجد في ترجمته نماذج من هذه المحاولات. أما محاولة دفاعه عن شعراء الأندلس فتراه في مثل النموذج التالي (المطرب ١٤٥):

«وهذا الشعر[2] لَوْ رُوي لعمرَ بن أبي ربيعة أو لبشّار بن بُردٍ أو لعباس بن الأحنف[3] ومَنْ سلك هذا المسلك من الشعراء المحسنين لاستُغْرِبَ له. وإنّ ما أوجب أن يكون ذكره مَنْسِيًّا أن كان أندلسيًّا، وإلاّ فما له أُخمِلَ وما حق مثله أن يُهمل. وهل وَصْفُه إلّا الدرُّ المنتظم[4]؟ وهل نحن إلاّ (أن) نُظلَم في حقّنا ونُهتَضَم؟ يا لله لأهل المشرق قولة غاصٍّ بها شرق[5]: ألا نظروا إلى الإحسان بعين الاستحسان وأقصروا عن استهجان الكريم الهِجان[6]، لم يُخرجْهُمُ الإزراءُ بالمكان عن حَدّ الإمكان».

---

(١) الصحيحين: صحيح البخاري وصحيح مسلم (وهما مجموعان من أحاديث رسول الله).

(٢) وهذا الشعر الرقيق الجيّد).

(٣) بشار بن برد والعبّاس بن الأحنف من الشعراء المحدثين (المجدّدين). ومثلهما عمر بن أبي ربيعة (وان كان من العصر الأمويّ، فانّ كثيرا من خصائص شعره تشبه خصائص الشعر العبّاسيّ المحدث).

(٤) الدرّ (اللؤلؤ) المنتظم (المنظوم في عقد: على نسق معيّن جميل).

(٥) الغصّة: ما يعترض في الحلق ويمنع الطعام أو الشراب من المرور. الشرق: الذي يغصّ (بفتح الغين) بريقه.

(٦) الاستهجان: عدّ الأشياء قبيحة. الهجان (هنا): الجيّد، الكريم الأصل.

ولابنِ دِحيةَ الكلبي أحكام تنحو نحوَ النقد يُريد أن يدافع بها في الأكثر عن شعراء الأندلس ويلتمسَ العُذر في قِلّة شُهرتهم بالإضافة إلى شعراء المشرق. وربّما ساق أحكامه هذه مَساقَ الفتح بن خاقان[1] في جُمَلٍ عامّةٍ لا «تُوجِبُ حُكماً صحيحاً» (راجع المطرب ١٦٤ و١٧٢):

«في قصائده التي ضربتْ في الإبداع بسَهْم، وطلعت في كل خاطر ووَهم، ونَزَعتْ مَنْزِعاً قصّر عنه حبيبٌ وٱبنُ الجَهْم[2] - وهذه القصيدةُ من غُرر القصائدِ ودُرَرِ القلائد، وكل بيتٍ منها بيتُ قصيدٍ وواسطةُ سِلْكِ فريد[3]».

وربما ٱتكأ في نقده على النحو وأبدى في ذلك براعةً (المطرب ٢٣٤ - ٢٣٥):

- قال أبو القاسم السُّهيليُّ (ت ٥٨١ هـ) أبياتاً في الآبتهال منها:

يـــا مَنْ خزائنُ رزقـــهِ في قول: «كُنْ»،
أُمْنُنْ، فـــإنّ الخـــيرَ عنـــدَكَ أجمَعُ[4].

فعلّق ٱبنُ دِحيةَ على هذا البيتِ بقولِهِ (المطرب ٢٣٤ - ٢٣٥):

أمّا رفعُ «أجمع» في هذا البيت فيجوز أن يكونَ توكيداً لمكان «إنّ» الآبتدائيةِ، إذ موضعُها الآبتداءُ. وَهِيَ مُؤكِّدةٌ للجُملة لم تُغَيِّرْ معناها وإنْ غيّرتْ لفظَها. ألا تراهُمْ قد عطفوا على ٱسمِها بالرفعْ - وهو إذا ٱستَوْفَتْ خبرَها، نحو: إنّ زيداً قائمٌ وعمرٌو[5]. وإذا لم تستَوْفِ خبرَها، فلا يُجيز البصريّون ذلك. وذلك أنّك إذا قلت: انّك وزيدٌ قائمانِ، وجبَ أن يكون «زيدٌ» مرفوعاً بالآبتداء، ويكونَ

---

(١) الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) صاحب كتاب «قلائد العقيان» (راجع ترجمته).

(٢) حبيب هو أبو تمّام الشاعر العبّاسي (ت ٢٣٢ هـ). وعليّ بن الجهم (ت ٢٤٩ هـ) شاعر عباسي.

(٣) بيت القصيد أو بيت قصيد هو أبرع الأبيات في القصيدة (والمقصود من قولها). الفريد (جمع فريدة: لؤلؤة). السلك: الخيط الذي ينظم فيه عقد اللؤلؤ. الواسطة (أكبر حبّات العقد، وتكون في وسطه - ولذلك سمّيت الواسطة).

(٤) الأصل أن تكون «أجمع» (مبنية على الفتح في محلّ نصب حال: مجموعا معاً).

(٥) «إن» تنصب (بكسر الصاد) الاسم وترفع الخبر. وقد استوفت هنا اسمها وخبرها (إنّ زيداً قائم)؛ بقيت «عمرو» فتخريج إعرابها هنا: إنّ زيداً قائم، وعمرو قائم.

عاملًا في خبرِ زيدٍ وإنّ عاملهُ في خبر الكاف[1]. ولا يجوزُ اجتماعُ عاملينِ على معمولٍ واحدٍ[2]. وأمّا الكوفيون فاختلفوا، فذهب الكِسائي إلى جوازِ ذلك مُطلقاً، سواءٌ تبيّنَ عملُ «إنّ» أو لم يتبيّنْ[3]، نحو: إنّ زيداً وعمرًا قائمان، وإنّه وبكرٌ مُنطلقانِ. واستدلّ بقولهِ جلّ وعلا: «إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون[4]»، فعطَفَ ورفَعَ[5]. وذهب الفرّاءُ إلى أنّه لا يجوزُ العطفُ إلّا على ما يَبِينُ فيه العملُ، نحو: إنّك وزيد ذاهبانِ، لأنّه بعَدَمِ التأثير ضَعُفَتْ، فجاز العطفُ كما لو كان على المبتدأ. وإذا كان (ذلك) كذلك، جازَ أيضاً توكيدُ الموضعِ بالرفعِ. واللهُ أعلمُ.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدّمة «المُطرِبِ من أشعارِ أهلِ المغرب»:

..... أمّا بعدُ، فإنَّ مَوْلانا سلطانَ العربِ والعجم، عِزَّ الملوكِ العصريةِ ومالكَ فَضيلَتَي السيف والقلم، وملكَ اليمنِ والشامِ والديارِ المِصْرية: أبا المعالي أبا المُظَفَّرِ محمّداً الكاملَ الكاملَ الأوصافِ - لا بَرِحَتْ بِبَقائهِ الممالكُ مُهْتَزّةَ الأعطافِ مُعْتَزّةَ الأطرافِ[6] - تقدّمَ إليَّ أمرُه المُطاعُ، الواجبُ له عليّ من الجُهْدِ غايةُ ما يُستطاعُ، أنْ أجْمَعَ له ما اجتمعَ عِندي من الأناشيدِ التي رَوَيْتُها عن شعراء الأندلسِ وسائرِ

---

(١) في خبر «الكاف» من «انّك» (الكاف في محلّ نصب اسم «انّ»). أمّا «زيد» (هنا) فيجوز أن يقال فيها: انّك وزيدا (معطوفة على الكاف) قائمان. ويجوز أن يقال: انّك وزيد (بالرفع في خبر الكاف)، أي تقول (في الأصل): أنت قائم وهو (أي زيد) قائم، فلمّا أدخلت «إنّ» على الجملة، عملت (أثّرت) «إنّ» في الكاف ولم تؤثّر في «زيد» (إذ فصلت الكاف بين «إنّ» وزيد).

(٢) المقصود اجتماع عاملين يعملان عملين مختلفين......

(٣) سواء أتبيّن عمل «إنّه» أم لم يتبيّن.

(٤) القرآن الكريم (٥: ٦٩، سورة المائدة).

(٥) «الذين هادوا» (اليهود) معطوفة على «الذين آمنوا» وفي محلّ نصب. أمّا «الصابئون» فليست (هنا) معطوفة بل مبتدأ بها (هي مبتدأ على الاستئناف).

(٦) لا برحت: بقيت، دامت. العطف (بكسر العين) الجانب الأعلى من الجسم. مهتزّة الأعطاف: فرحة مزهوّة (مفتخرة). الأطراف: المناطق البعيدة عن العاصمة. معتزّة الأطراف: قويّة وثيقة الاتّصال بالعاصمة أو بأهل الملك (والعادة أن البلاد البعيدة عن العاصمة تكون مهملة معرّضة لهجمات العدوّ وقليلة الولاء للعاصمة في أحيان كثيرة).

المَغربِ بأقربِ الأسانيد[١]. فجَمَعْتُ منها لخِدْمَةِ مَقامهِ العالي ما يُوكَلُ بالضمير ويُشْرَبُ، ويُهْتَزُّ عند سَماعه ويُطْرَب، في الغَزَلِ والنسيب والوصف والتَشْبيب، إلى غير ذلك من مُسْتَطْرَفاتِ التَشْبيهات المُسْتَعْذَبَةِ ومُبْتكرات بَدائع بَدائه[٢] الخواطِرِ المُسْتَغْرَبَةِ، ولُمَحِ سِيَرِ ملوكِ المَغْرب ومُلَحِ أخبارِ أُدبائهِ، ورَقيقِ معاني كُتّابه، وجَزْلِ ألفاظِ خُطبائه.

وبالجملة، فقد نَثَلْتُ في هذا المجموع كِنانة محفوظاتي في المعارف الأدبية، ولم أُخْلِهِ[٣] من أخايرِ ذخائرِ ما الْتَقَطْتُهُ من أفواهِ مشايخي من مُشْكِلِ عِلْمَيِ الغَريبِ والعَرَبية[٤]. إلّا أنّي لم أقْصِدْ جمعَ ذلك على الترتيب، ولا سَلَكْتُ فيه مَسْلَكي المعهودَ في التبويبِ والتهذيب، بلِ استَرْسَلْتُ فيه مَعَ الخاطر على ما يجودُ به ويسمَحُ ويَعِنُّ له ويسنَحُ[٥]. فالناظرُ فيه يسرَحُ في بساتينَ ويمرَحُ في ميادينَ ويخرُجُ من فَنٍّ إلى فنونٍ، والحديثُ ذو شُجونٍ[٦].

- وقال (المطرب، ص ٢٤) في استيلاء الإسبان على بعض بلادِ الأندلس:

قال ذو النسبين[٧]: وقدْ أخَذَ الآنَ هذه البلادَ ابنُ ألريق[٨] اللعينُ، وحانَ لها يومُ شرٍّ ما كان أحدٌ يظُنُّ أنه يَحينُ. فتَمَلَّكَتْ شَنْترينُ والأشبونةُ[٩] لمّا خاف أهلُها من

---

(١) الإسناد: رواية الخبر عن رجل رجل. الخبر القريب الإسناد هو القريب من زمننا يرويه رجل أو رجلان أو ثلاثة، بينما الخبر البعيد الإسناد يرويه نفر كثيرون حتّى يصلوا به إلى قائله الأوّل.

(٢) البدائه ما قيل من الشعر على البديهة (بلا استعداد سابق).

(٣) نثل: استخرج، سحب من وعاء، الخ. الكنانة: وعاء مستطيل توضع فيه السهام. أخلى فلان قلبه من الهمّ: أفرغه. لم أخله: لم أجعله خالياً.

(٤) العربية: النحو.

(٥) عنّ: ظهر، بان. سنح: مرّ في الخاطر.

(٦) الشجن (بفتح ففتح)الغصن المتشعّب. الحديث ذو شجون: يبدأ الحديث على نسق واحد ثم يتشعّب (يتناول أشياء كثيرة).

(٧) قال ذو النسبين: ابن دحية الكلبي (هو يقول ذلك عن نفسه).

(٨) ابن ألريق: أنريك، هانريك. وهو هنا بيدرو الثاني ملك أرغون بن ألفونسو أنريكيز (وقد فقدت اللغة الإسبانية صوت الهاء فهم يقولون في هنركو أنريكو).

(٩) شنترين والأشبونة (لشبونة اليوم) ثغران على الشاطىء الغربي (في البرتغال اليوم).

القتل، ورأوْا أنّ الأسْرَ دونه[1]، لكَثْرَةٍ من جاءهم في البرّ والبحرِ و(لـ) ـقُعود المُسلمينَ عن الحِماية لهم والنصر، حتّى مَلَكَ الكُفّارُ مَعاقلَهُمُ المُمْتَنِعةَ وحُصونَهُمُ المرتَفِعَة.

- وله من مُقدِّمةِ قصيدةٍ يمدَحُ بها الملكَ الكاملَ (وفيها معانٍ صوفية):

أمنـازلَ الأحبـاب، أينَ أحِبّتي؟ فهُمُ إذا جَنَّ الظـلامُ الأنْجمُ[2].
ولقـد وَقَفْـتُ برَبْعِ عَزّةَ مُنْشِداً: يا ربعُ، أينَ تَرى الأحبّةَ يَمّموا[3]؟
نادَيْتُهم، وهُمُ المُنـى بمِنـى وقدْ ضربوا بها حُمْرَ القِبابِ وخيّموا[4].
هُمْ في السّوادِ، وفي السُّويدا خَيّموا: ما أعْرقوا، ما أيْمنوا، ما أشْأموا[5]!
وهُمُ الـذين إذا سُئِلْتُ: مَن الذي تَهواهُمُ؟ قُلْـتُ: الذين هُمُ هُمُ[6]!
أحبابَنـا، طـالَ المِطـالُ بوَعْدِكُمْ لي بالوِصـالِ، وطال لَيْلي فيكمُ[7].
حَكّمْتُكُمْ في مُهْجَـتي فحَكَمْتُمُ فيهـا بمـا شاء الغرامُ وشِئْتُمُ[8].

(١) رأوا أنّ الأسر دونه: دون (أهون من) القتل.

(٢) جنّ الظلام: غطّى (كلّ شيء)، اشتدّ. هُمُ الأنجم: هم الذين أستأنس بهم وأهتدي بهم في أيام الشدّة.

(٣) الربع: المكان المسكون. العزّة: بنت الظبية. وعزّة محبوبة كثيّر (بضمّ الكاف وكسر الياء المشدّدة) بن عبد الرحمن العُذري الأموي (ويكنّى بعزّة عن كلّ محبوبة). يمّم: قصد، ذهب.

(٤) المنى (بضمّ الميم) جمع منية (بضمّ فسكون): مراد، غاية. منى (بكسر الميم) منسك في مكّة يبيت فيه الحجّاج (ويكنى بها عن التقرّب إلى العزّة - بكسر العين - الإلّهية). ضربوا (نصبوا) حمر الخيام: الخيام الحمر الكبيرة المصنوعة من جلد، (وتكون عادة خيام الملوك). وخيّموا: نزلوا، سكنوا.

(٥) هم في السواد (سواد عيني): هم قريبون منّي جدًّا. وفي السويدا (السويداء: سويداء القلب)، وفي الكلمة تورية (لأنّ السويداء أيضاً اسم لعدد من البلدان أحدها قرب المدينة بالحجاز، وأحدها في حوران بالشام وثالثة في أعلى العراق ورابعة في شمالي الشاطىء السوري) في السويداء خيّموا (هم في قلبي - كناية عن العزّة الالّهية)، ما أعرقوا (ما ذهبوا إلى العراق) ما أيمنوا (ما ذهبوا إلى اليمن) ما أشأموا (ما ذهبوا إلى الشام: سورية).

(٦) مَن الذي (يقصد الذين، وهو خطأ استعمله الشاعر لضرورة الوزن). الذين هم هم: المقصودون المعروفون لدى جميع الناس (الله).

(٧) المطال (بكسر الميم) المماطلة، تأخير الوفاء بالوعد، الإخلاف بالوعد. الوصال: اللقاء. وقد تكون المطال (بفتح الميم) من الطول: طول المدّة (أي وعدتّم وعداً بعيد الأجل جدًّا). طال ليلي فيكم (طال سهري وعذابي في انتظار لقائكم). طاوله: ماطله (القاموس ٤ : ٩).

(٨) المهجة: دم القلب. - جعلتكم حكماً في قلبي (أعزّ شيء عندي، نفسي، حبّي) فحكمتم عليّ بقسوة (ببعدكم عنّي).

ورَحَلْتُمْ بالقلـــب يومَ رَحَلْتُمْ، وظَعَنْتُمْ بالصـــبر يوم ظعنتم.

٤ - النبراس في خلفاء بني العبّاس (حقّقه عبّاس العزّاوي)، بغداد ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م.
- المطرب من أشعار أهل المغرب (بتحقيق إبراهيم الإبياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي، - بإشراف وزارة التربية والتعليم، الإدارة العامّة: إدارة نشر التراث القديم)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٤ م؛ (تحرير مصطفى عوض الكريم)، الخرطوم ١٩٥٤.

* * التكملة (رقم ١٨٣٢)؛ وفيات الأعيان ٣: ٤٤٨ - ٤٥٠؛ صلة الصلة ٧٣ - ١٧٤؛ العبر (للذهبي) ٥: ١٣٤ - ١٣٥؛ عنوان الدراية ٢٢٨ - ٢٣٨؛ بغية الوعاة ٣٦٠؛ شذرات الذهب ٥: ١٦٠؛ نفح الطيب ٢: ٩٩ - ١٠٤، ٣: ١٣٦ - ١٣٨؛ (الاختلاف في أمره)، ٥: ١١٥ - ١١٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٤٧؛ بروكلمن ١: ٣٧٨ - ٣٨٠، الملحق ١: ٥٤٤ - ٥٤٥؛ نيكل ٣٢٥؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٠١ - ٢٠٢ (٤٤).

مَرجُ الكُحْل

١ - هو أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ إدريسَ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ الجَزيريُّ الأندلسيّ. المعروفُ بمَرْجِ الكُحْل أو ابنِ مرجِ الكحل نِسْبَةً إلى مَرْجِ الكحل على مقرُبَةٍ من بلدةِ جزيرة شُقْر قُرْبَ بلنسية.

وُلِدَ مَرجُ الكُحل سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) في مَرْجِ الكُحل (وفيات الأعيان ١: ٣٧٨) ونَشأ يَتَعَيَّشُ ببَيْعِ السَمَكِ يُنادي على بضاعته في الأسواق، وقيل كان أُمّيًّا. وكذلك كان يَتزيّا بزيِّ أهلِ البادية. وكانتْ وفَاتُه في جزيرةِ شُقْر ثانِيَ ربيعِ الأوّلِ من سَنَةِ ٦٣٤ (٣/١١/١٢٣٦ م).

٢ - كان مَرْجُ الكُحل أديباً بارعاً في النثر والنَظْم، وهُوَ شاعرٌ وُجْدانيٌّ رقيقٌ حسَنُ التوليدِ، وأكثرُ شِعره الوصفُ والنسيبُ والعِتاب.

٣ - مختارات من شعره:

- قال مرجُ الكُحل في طَلَب الرزق:

مَثَـــلُ الرزْقِ الـــذي تَطْلُبُـــهُ مَثَـلُ الظِـلِّ الـذي يمشي مَعَـكْ.
أنـــتَ لا تُدْرِكُـــهُ مُتَّبِعـــاً، وإذا وَلَّيْـــتَ عنـــه تَبِعَـــكْ!

- وقال في الغَزَل والنسيب على النهجِ القديمِ:

وعِنـدي من مراشِفِها حديـثٌ يُخَبِّرُ أن ريقَتَهـا مُـدامُ[1].
وفي أجفانِهـا السَكْرى دَليـلٌ؛ ومـا ذُقْنـا، ولا زَعَمَ الهُمامُ[2].
تعـالى اللهُ، مـا أجرى دُموعي إذا عَنّـتْ لُمقْلَتِيَ الخِيـامُ[3]،
وأشْجـاني إذا لاحـتْ بُروقٌ وأطرَبَـني إذا غنّـتْ حَمامُ.

- وله قصيدة طويلة في وصف الطبيعة منها:

نَهَرٌ يَهِـيمُ بحُسْنِـه من لم يَهِمْ ويُجيدُ فيه الشعرَ مَنْ لم يَشْعُرِ[4].
ما اصْفرَ وَجْهُ الشمسِ عندَ غُروبِها إلا لفُرقـةِ حُسْنِ ذاك المنظر.
أرأتْ جُفونُك مِثْلَه من مَنْظرٍ: ظـلٌ وشمسٌ فوقَ خدٌ مُعْذِرِ[5]؟
وجـداولٌ كأراقمٍ حَصْباؤهـا كبُطونِهـا وحَبابُهـا كالأظهرِ[6].
أمَـلٌ بَلَغْنـاه بهَضْـبِ حَديقـةٍ قـد طَرَّزَتْـه يدُ الغمامِ المُمْطرِ،
فكأنّه - والزهرُ تاجٌ فوقَه - مَلِـكٌ تجلّـى في بساطٍ أخضر.

٤ - ** زاد المسافر ٦٩ - ٧١؛ المحمّدون من الشعراء ١٤٦ - ١٤٧؛ المغرب ٢: ٣٧٣ - ٣٧٤؛ وفيات الأعيان ٢: ٣٩٦ - ٣٩٧؛ الوافي بالوفيات ٢: ١٨١؛ برنامج الرعيني ٢٠٨ - ٢١١؛ التكملة ٣٤٤ (رقم ١٠٠٥)؛ الذيل والتكملة ٦: ١١٠ - ١١٧ (رقم ٢٩٧)؛ الإحاطة (القاهرة) ٢: ٢٥٢ - ٢٥٦؛ أعمال الأعلام ٢٧٨ (أبيات)؛ نفح الطيب ٥: ٥٠ - ٦٢ (متقطّعاً)؛ أزهار الرياض ٢: ٣١٥ - ٣١٦؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٥١ (٢٧).

---

(١) مدام: خمر.

(٢) في هذا البيت اقتباس من قول النابغة الذبيانيّ عن أبي قابوس النعمان بن المنذر في القصيدة زعم الهمام ولم أذقه، انّه...

(٣) ما أجرى دموعي: ما أكثر بكائي. إذا عنّت لمقلتي الخيام: إذا رأيت مسكن المحبوب..

(٤) هام به: أحبّه إلى درجة الجنون.

(٥) خدّ مُعذِر: بدأ نبات الشعر فيه.

(٦) الجدول: النهر الصغير. الأرقم: الحيّة. في قاع الجدول حصباء (حصى صغار) بيضاء تجعل القاع مستويًا كبطن الحيّة. أمّا الحباب (الفقاقيع على وجه الجدول) فتشبه ما على ظهر الحيّة.

أبو الربيع بن سالم الكِلاعي الأندلسي

١ - هوأبوالربيع سُليمانُ[1] بنُ موسى بن سالمٍ بنِ حسّانِ بن سالم (وقيل: سُليمانُ) ابن أحمدَ بنِ عبدِ السلام الحِميريُّ الكَلاعيّ (نسبة إلى ذي الكَلاع أحدِ ملوك اليمن القدماء) الأندلسيُّ، وُلِدَ في خارجِ مدينة بَلَنسِيَةَ (وقيل: مُرْسِيَةَ) - في مُسْتَهَلِّ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٦٥ هـ (١٨/ ٥/ ١١٧٠ م) - ثمّ حُمِلَ إلى بَلَنسية وعُمُرُه سَنَتانِ فنشأ فيها.

سَمِعَ أبو الربيعِ بنُ سالمٍ الحديثَ في بلده من أبي العطاء بنِ نذير وأبي عبد الله ابنِ نوحٍ وأبي الخطّابِ بن واجبٍ. ثمّ إنّه تجوّل في الأندلس وفي المَغْرِب وتلقى أشياءَ من العلم على جَماعةٍ منهم: أبو عبدِ الله بن الفَخّار وعبدُ المُنْعِمِ بنُ الفَرَس وأبو الوليدِ ابنُ رُشْدٍ وأبو القاسم بن حُبيشٍ وأبو بكر بنِ الجَدّ وأبو عبد الله بن زَرْقونٍ.

وتولّى أبو الربيعِ الخُطْبَةَ بالمسجدِ الجامع في بَلَنسِيَةَ في أوقاتٍ مُتفرّقةٍ وتولّى القضاءَ أيضاً. ولقد كان في أثناء ذلك كُلّه يذهَبُ في الغَزَواتِ ويُباشِرُ القِتالَ بنفسِه ويُبْلي فيه البَلاءَ الحَسَنَ.

ولمّا شدّد الإسبانُ الحصارَ على بَلَنْسيَةَ خرج أبو الربيع على رأس جيش من المسلمين مُجاهداً وخاض معركة أنيجة، وكان يَصيح إذا رأى تراخِياً خَلفه: «أمن الجَنّةِ تَفِرّون!» حتّى سَقَط شهيداً، في ١٨ من ذي الحِجّة من سَنَةِ ٦٣٤ (١٢/ ٨/ ١٢٣٧ م).

٢ - كان أبو الربيع سليمانُ الكَلاعيُّ حافظاً للحديث، مُحدّثاً وفَقيهاً مُحيطاً بعلومِ اللغة والأدب، يُحبّ العلمَ والأدب ويَجْمَعُ حولَه العلماءَ والأدباء حيثُما كان في ولايته. وكذلك كان ناثراً ناظماً. وهو شاعرٌ مُكْثِرٌ ضاع مُعْظَمُ شِعْرِه. وشعرُه الباقي لنا يدلّ على أنه قديرٌ في النظم ميّال إلى تَكَلُّفِ البديع؛ ونحنُ نَجدُ على شعره نفحةً دينيةً صوفيةً شديدةً. وفي شِعْرِهِ اعتذارٌ وغَزَلٌ ونَسيبٌ.

---

(١) هو غير أبي الربيع سليمان بن عبد الواحد المتوفى سنة ٦٠٤ (راجع الديباج المذهب ١٢٢ - ١٢٣).

وكانتْ لأبي الربيعِ بنِ سالمٍ الكَلاعيّ تصانيفُ في الحديث والتاريخ والأدب منها: تُحْفة الرُوّاد ونَجْعة الوُرّاد (وقيل: تحيّة الروّاد وتحفة الورّاد) في العَوالي البَدَليّة[1] الإسناد -الاكتفاءُ في مَغازي رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ومغازي الثلاثةِ الخُلفاء - الإعلامُ بأخبارِ البُخاريِّ الإمام - المُعْجَمُ في مَشْيَخَةِ أبي القاسمِ بنِ حُبيشٍ. وله في الأدب: جَنِيُّ الرُّطَبِ في سَنِيِّ الخُطَبِ (ثمانون من خُطَبِهِ في أيامِ الجُمَع والأعياد وغيرِها) - نُكْتَةُ الأمثال ونَفْثَة السِحر الحلال (بنى فيه الكلامَ على التوشيح بما تَضَمّنه كتاب أبي عُبيد من أمثالِ العَرَب واضطرارِ العَرَبِ من الخطباء والأدباء) إليها (إلى الاستشهاد بها) - جُهْدُ النَصيح وحَظُّ المُنيح في مُعارضة المَعرّيّ في خُطْبَة الفصيح - الامتثالُ لِمِثال المُبْهِجِ في ابتداع الحِكَمِ واختراعِ الأمثال - مُفاوضةُ القلبِ العَليل ومُنابذة الأمَل الطويل بطريقةِ المَعرّيّ في مَلْقى السبيل - مِائَةُ مسألة مُلْغَزَة - نَتيجةُ الحُبِّ الصميم وزكاةُ المنثورِ والمنظومِ (؟ النثير والنظيم) في مِثال النَعْلِ النَبَويّةِ على لابِسِها الصلاةُ والسلام (؟ أفضل الصلاة والتسليم) - الصُحُفُ المُنَشَّرة في القِطَعِ المُعَشّرة - ديوانُ رسائِله - ديوانُ شِعرٍ.

٣ - مختارات من آثاره:

غَضِبَ والي بلنسيةَ على أبي الربيعِ فأقصاهُ (سنة ٥٨٧ هـ ؟)، فكَتَبَ إليه أبو الربيعِ يعتذرُ إليه ويَسْتَعْطِفه (إعتاب الكتّاب ٢٤٩ - ٢٥١):

وبعدُ فكَتَبَ الذي قَصَّرَ ثمّ عايَنَ قَصْدَهُ وأبْصرَ، واقْتَرَفَ فَاْعتَرَفَ[2] واْجتَرحَ فلَمْ يَرَ أجْدَى منْ أن قَرَعَ بابَ المَغْفِرَةِ واستَفْتَحَ[3]. وفي عِلْمِ المَوْلى أنّ العبيدَ أهلُ الخَطَأِ ومَظَنّةُ السَعْيِ المُسْتَبْطأ[4].... ومَتى نُوقشوا الحسابَ على كلِّ زَلّةٍ وعُوقِبوا في

---

(١) راجع «الاكتفاء» لأبي الربيع بن سالم، الصفحة: ي.

(٢) عاين قصده: رأى بعينيه الغاية المقصودة. اقترف: اكتسب ذنباً.

(٣) أجدى: أنفع. استفتح: طلب أن يفتح له (باب المغفرة).

(٤) المولى: السيد المتفضّل المسيطر. مظنّة: مكان. المستبطأ: الذي يجيء بطيئاً (فيصل بعد فوات الأوان). مظنّة السعي المستبطأ (من عادتهم أن يتأخروا في إصلاح الخطأ).

كلَّ ضلّة أفناهُمُ العِقابُ سريعاً وأهْلَكَهُمُ التأديبُ جَميعاً. وإنّما بَقاؤهم في أنْ يُسْبِلَ المَوالي على هَفَواتِهِمْ سِتْرَ الإغْضاء ويُقَرِّبوا عَلَيْهِمْ مَدارِكَ الإرضاء[1]......

- كتب أبو الربيع بن سالم الكَلاعي إلى بحرِ بن صفوانَ بنِ إدريسَ (سَنَةَ ٥٨٧هـ) عَقبَ انفصالِهِ (خروجه) من بَلَنْسِيَةَ:

أحِنُّ إلى نَجْدٍ ومن حلّ في نجدِ؛ وماذا الذي يُغْني حَنيني أو يُجدي[2]؟
وقد أوْطَنوها وادعين، وخلّفوا مُحِبَّهُمُ رَهْنَ الصَّبابةِ والوَجْدِ[3].
تَبَيَّنَ بالبَيْنِ اشتياقي إلَيْهِمُ ووَجْدي، فساوَى ما أُجِنُّ الذي أُبدي[4].
وضاقتْ عليّ الأرضُ حتّى كأنّها وِشاحٌ بِخَصْرٍ أو سِوارٌ على زَنْد.
إلى الله أشكو ما أُلاقي من الجَوى؛ وبعْضُ الذي لاقَيْتُه مِن رَدي[5]
فيا ليتَ شِعْري، هل تَعودُ لنا المُنى وعيشٌ كما نَمْنَمْتَ حاشِيَتَيْ بُرْدِ[6].

- قال أبو الربيع الكلاعي لمّا بدأ شبابُه يُفارِقُهُ والشَيْبُ يَخُطُّ شَعْرَه:

تَوَلَّتْ لَيالٍ للغَوايةِ جُونُ ووافى صَباحٌ للرَّشادِ مُبينُ[7]:
رِكابُ شَبابٍ أزْمَعَتْ عنكَ رِحلَةً، وجيشُ مَشيبٍ جَهّزَتْه مَنونُ[8].
ولا أكْذِبُ الرحمنَ في ما أُجِنُّهُ؛ وكَيْفَ؟ ولا يَخْفى عليه جَنينُ[9].

---

(١) يسبل: يسدل، يغطّي. الهفوة: الغلطة الصغيرة (غير المقصودة). الإغضاء: إغماض العين عن تقصير الآخرين. المدارك: أسباب الوصول إلى.

(٢) أغنى، كفى، نفع. أجدى: نفع.

(٣) وادع: ساكن، هادىء، مطمئن. الصبابة: الشوق. الوجد: الحزن.

(٤) البين: الفراق، البعاد. جنّ: كتم. أبدى: أظهر.

(٥) الجوى: اشتداد المرض من عشق أو حزن. أردى: أهلك.

(٦) البرد: الثوب من حرير. نمم: طرز الثوب تطريزاً ناعماً (صغير الزركشة).

(٧) تولّت: راحت، ذهبت، انقضت. الغواية (بفتح الغين): البطالة، الضلال. جون: سود. وافى: وصل، حلّ. صباح: (شيب، هرم). مبين: واضح، ظاهر، أبيض (شيب أبيض).

(٨) الركاب: المطايا، ما يركب للسفر أو للحرب. أزمع: نوى، قصد. المنون: الموت.

(٩) أجنّه: أكتمه، أخفيه. الجنين: المكتوم، الخفيّ.

وَمَنْ لم يَخَلْ أنّ الرياءَ يَشِينُه، فمِنْ مَذْهَبِي أنّ الرياءَ يَشِين[1].
لَقَدْ رِيعَ قلبي للشّبابِ وفَقْدِهِ، كما رِيعَ بالعِلْقِ الفَقيدِ ضَنين[2]؛
وآلَمَنِي وَخْطُ المَشيبِ بِلمَّتي فخُطَّتْ بقلبي للشُّجونِ فُنون[3].
ولَيْلُ شَبابي كانَ أنْضَرَ مَنْظراً وآنَقَ مَهْما لاحَظَتْه عُيون[4].
فآهاً على عَيْشٍ تكدَّرَ صَفْوُهُ وأُنْسٍ خَلا مِنْه صَفاً وحَجون[5].
ويا وَيْحَ فَوْدي أو فُؤادِيَ كُلَّما تَزَيَّدَ شَيْبي، كَيْفَ بعدُ يكون[6]؟
حَرامٌ على قَلْبِي سكونٌ بِغُرَّةٍ؛ وكَيْفَ مَعَ الشَّيْبِ المُمِضِّ سُكون[7]!
وقالوا: شَبابُ المَرْءِ شُعْبة جِنَّةٍ؛ فما لي عَراني لِلْمَشيبِ جُنون[8]!
وقالوا: شَجاكَ الشَّيْبُ حدثانَ ما أتى، ولم يَعْلَموا أن الحديثَ شُجون[9].

---

(١) خال: ظنّ: يشين: يعيب، يَصِمُ الإنسان بالنقص والعيب.

(٢) ريع (المجهول من راع): أخيف، خاف، جزع. العِلق: الشيء النفيس الذي يحرص الإنسان على الاحتفاظ به. الفقيد: المفقود، الذي فقده صاحبه. الضنين: البخيل.

(٣) وخطه الشيب: اختلط الشيب بسواد شعره (قليلاً أو كثيراً). اللِّمّة: الشعر في مقدّم الرأس. خطّت: كُتبت (بالبناء للمجهول). الشجون: الأحزان. ثم فنون: أنواع، أصناف.

(٤) كان ليل الشباب (سواد الشعر) أنضر (أحسن، ألين، أزهى). آنق: أجمل. مهما لاحظته عيون: مهما يكُنْ عدد الذين يرونه (يقصد: جميع الناس يقولون ذلك).

(٥) الأُنس: السرور. خلا منه صفاً (مكان بسفح جبل أبي قبيس بمكّة) وحجون (جبل فوق مكّة)، يقصد: إذا نزل الشيب بالإنسان انتفى السرور حتّى في الأماكن التي يكثر فيها السرور، وهو يشير بذلك إلى البيت القديم:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكّة سامر!

(٦) الفود: الشعر على جانبي الرأس.

(٧) لا يجوز لقلبي أن يطمئنّ. بغرّة: في غفلة (عن نتيجة تزايد الشيب في الرأس). الممضّ: المؤلم (لأنّه يذكّر بقرب انتهاء الحياة).

(٨) شعبة جنّة: نوع من الجنون. عراني: أصابني. (في الشباب يكون جنون الإنسان - إتيانه بما لا يُعقل - من الفرح. أمّا في الشيخوخة فيكون جنونه من الحزن).

(٩) شجاك الشيب حدثان ما أتى (الإعراب والمعنى غامضان): شجاك (حزنك أو أحزنك) الشيب (فاعل) حدثان (بدل: الأحداث التي جاءت مع الشيب هي التي حزنتك أو أحزنتك). والحدثان (بالكسر) جمع حادث (النائبة، المصيبة). و «الحديث ذو شجون» (فنون، أنواع) مثل.

- وله من شعره ذي النفحة الدينية:

أَمْوَلى المَوالي، لَيْس غيرُك لي مَوْلى؛ وما أحدٌ سيارِبُّ، مِنْكَ بذا أَوْلى[1].
تَبارَكَ وَجهٌ وُجِّهَتْ نَحْوَهُ المُنى فأوْزَعَها شُكْراً وأوْسَعَها طَوْلا[2].
وما هُوَ إلّا وَجْهُكَ الدائمُ الذي أَقَلُّ حُلَى حِلْيائِهِ يُخرِسُ القَوْلا[3].
تَبرَّأْتُ من حَوْلي إلَيْكَ وقُوَّتي، فكُنْ قُوَّتي في مَطْلَبي وكُنِ الحَوْلا[4]؛
وهَبْ لي رِضاً -مالي سِوَى ذاكَ مُبْتَغَى ولَوْ لَقِيَتْ نفسي على نَيْلِهِ الهَوْلا!

- من مقدّمة كتاب «الاكتفاء»:

.... هذا كتابٌ ذهبتُ فيه إلى إيقاع الإقناع وإمتاع النفوس والأسماع، باتّساق الخبر عن سيرةِ رسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم وذِكْرِ نَسَبِهِ ومَوْلدِهِ وصِفته ومَبْعَثِه وكثيرٍ من خصائصِهِ وأعلامِ نُبُوّته[5] وأيّامه، من لَدُنْ مَوْلدِهِ إلى أنِ استأثرَ اللهُ به وقَبَضَ رُوحَه الطيِّبَةَ إليهِ، صَلَواتُ اللهِ وسَلامُه وبَركاتُه عليه؛ مُقَدِّماً لذلك ما يَجِبُ تقديمُه، ومُتَمِّماً - من ذِكْرِ أوّليّتهِ المباركةِ بلداً ومَحْتِداً[6] - بما يَحْسُنُ عِلمُه وتعليمه، مُلَخِّصاً جميعَه من كُتُبِ أئمّةِ هذا الشأنِ، (أولئك) الذين صَرَفوا إليه اعتناءهم واستَنْفَذوا[7] فيه آناءهم[8].... ولكنّ عِظَمَ المُعَوَّلِ كانَ، بحُكمِ الخاطر الأوّل، على كتاب (محمّدِ) بنِ إسحاقَ[9]: إيّاهُ أردتُّ، وتجريدَه من اللّغاتِ وكثيرٍ من الأنساب

(١) مولى الموالي: سيّد الأسياد (الله). أولى: أحقّ.
(٢) المنى: الأمانيّ، الرغبات. أوزعها شكراً: أعانها على أن تشكر (المنعم عليها). أوسعها طولاً (القوة، القدرة): جعلها أقدر على بلوغ أمانيّها.
(٣) الحلى جمع حلية (بكسر الحاء): الزينة، الجمال.
(٤) الحول: القوّة، القدرة على التصرّف، نفوذ البصر في الأمور. تبرّأت إليك من حولي وقوّتي (استسلمت إليك واعتمدتّ عليك).
(٥) الاعلام: الدلائل، العلامات.
(٦) المحتد: الأصل الكريم.
(٧) استنفدوا (في الأصل: بالذال أخت الدال). اقرأ: استنفدوا (بالدال المهملة).
(٨) الآناء جمع أني (بفتح فسكون أو بكسر فسكون): الساعة، الجزء من الوقت. استنفدوا آناءهم: أنفقوا جميع أوقاتهم.
(٩) محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ) صاحب «السيرة النبويّة» (وهي مفقودة). ولكن نجد معظمها في «السيرة» (لابن هشام) وفي تاريخ الطبري.

والأشعار قصدتُ[1]، وعلى ترتيبهِ غالباً جَرَيْتُ، ومَنْزَعَه[2] في أكثرِ ما يَخُصُّ المَغازيَ تحرّيتُ..... ثم بَدا لي أنْ أزيدَ على هذا المِقدارِ ما يحسُنُ في هذا المِضمار، و(أن) أُعَوِّضَ ما حذفتُ منه من اللُّغاتِ والأنساب والأشعار، بما يكون- إن شاء اللهُ- مَزِيَّةَ الاختيارِ ويَرُوقُ عليه رَوْنقُ الإيثار[3] مُنْتَقِياً ذلك من الدواوينِ التي طارَ لها في الناس طائرُ الاشتهار، ومُتَخَيِّراً له من الأماكن التي لا يَسْتَقِلُّ بحَصْرِ فوائدها وانتقاء فرائِدِها[4] كلُّ مُختار...... ثم القصدُ الثاني مُتَوَفِّرٌ على إيناسِ الناسِ بأخبارِ نَبِيِّهِمْ، صلّى اللهُ عليه وسلّم، وعمارة خواطِرِهم بما يكونُ لهم في العاجلِ والآجلِ[5] أنْفَعَ وأسْلَم. وقد عَمَّ عليهِ الصلاةُ والسلام بِبَرَكَةِ دُعائه سامعَ حديثِهِ ومُبَلِّغَه. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «ما أفادَ المُسلمُ أخاه المُسلمَ أفضلَ من حديثٍ حَسَنٍ بَلَغَهُ فبَلَّغَهُ».

٤ - الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (تحقيق مصطفى عبد الواحد)، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م؛ بيروت (مكتبة الهلال) ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م.

** تحفة القادم ١٣٩ - ١٤٢؛ التكملة ٧٠٨ (رقم ١٩٩١)؛ اعتاب الكتّاب ٢٤٩ - ٢٥٣؛ برنامج الرعيني ٦٦ - ٧٢؛ المغرب ٢: ٣١٦ - ٣١٧؛ فوات الوفيات ١: ٢٣٠؛ الذيل والتكملة ٤: ٨٣ - ٩٥ (رقم ٢٠٣)؛ المرقبة العليا ١١٩ - ١٢٢؛ الديباج المذهب ١٢٢ - ١٢٣؛ شذرات الذهب ٥: ١٦٤؛ نفح الطيب ٤: ٤٧٣ - ٤٧٦ ثم اشارات مختلفة (راجع الفهرس - والرقم ٤: ٣٢٢ في الفهرس خطأ وصوابه ٣٣٢ - ٣٣٣)؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٩٩ (١٣٦).

---

(١) تجريده من اللغات (ذكر الأوجه المختلفة من اللفظة الواحدة) وكثير من الأنساب والأشعار (باختصارها).

(٢) المنزع: الغاية، الاتّجاه، المقصد.

(٣) راق: حسن، صار حسناً. الرونق: الجمال المعجب للعين. الإيثار: التفضيل.

(٤) الفريدة: اللؤلؤة النفيسة (الثمينة، الغالية).

(٥) (الزمن) العاجل (الدنيا) والآجل المتأخّر (الآخرة).

أبو يحيى بن هشام القرطبي

١ - هو أبو يحيى (كُنيَتُه) أبو بكرِ (اسْمُه) بنُ هِشامِ القُرطبيُّ (أخو أبي القاسمِ المُتوفّى سَنَةَ ٦٣٢ - انظر ترجمته) قال فيه عليُّ بنُ موسى بنِ سعيدِ المَغربي (المغرب ١: ٧٤ - ٧٥):

هُوَ مِمّنْ قرأتُ عليه، وأدْرَكْتُه يكتُبُ عن الباجي مَلكِ إشبيليةَ[1]. وكتب عن المأمونِ[2] أيامَ ولايتهِ على قُرطبةَ. ثمّ لَحِقَ بالبيّاسيّ الثائر[3] وكتب عنه. ثمّ قُتِلَ البيّاسيُّ فاستخفى (أبو يحيى) حِيناً ثمّ لَحِقَ بإشبيلية. بعدئذٍ حاول أن يَترضّى المأمونَ فدَخَلَ عليه مُعتذراً وأنشدَهُ قصيدةً مَطْلَعُها:

مولايَ، إنّ بَلِيّـتي مَعَ خِدمَـتي   خَصْمانِ؛ فاحْكُمْ للـتي هِيَ أقْدَمُ.

ولكن المأمونَ لم يَرْضَ عنه.

وكانت وفاة أبي يحيى أبي بكر بالجزيرة الخضراء، سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ - ١٢٣٨ م).

٢ - أبو يحيى أبو بكرِ بنِ هِشامِ أديبٌ شاعرٌ ناثرٌ مُتَرسّلٌ. وشِعرُه مُقطَّعاتٌ وُجدانيةٌ في الخمر والغزل والوصف، وفي عددٍ منها لَفَتاتٌ بارعة. وهو شيخُ كُتّاب الأندلس (في وقته)، وكان سهلَ الطريقة.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي يحيى أبي بكر بن هشام مقطّعات منها:

★★ لاموا عـلى حبّ الصِبا والكاس   لمّا بدا وَضَحُ المشيب براسي[4].

---

(١) الباجي (ولم أقع على اسمه كاملا في نفح الطيب) ثائر انتزع إشبيلية من ابن هود، ثم قتله ابن الأحمر (نفح الطيب ١: ٢١٦).

(٢) يبدو أنّه إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، كان يلي قرطبة قبل أن يتولّى الملك (٦٢٦ - ٦٣٠ هـ).

(٣) لعله السيد أبو محمّد من أمراء الموحّدين، ثار بالأندلس، سنة ٦٢٢ أو ٦٢٣ ووصل يده بيد الإسبان. وفي تعليق إبراهيم الإبياري على «القدح المُعَلّى» (ص ٨٩): هو أبو العلاء إدريس بن منصور.

(٤) وضح: بياض.

والغُصنُ أحوجُ ما يكونُ لِسقْيِهِ		أيّـانَ يبـدو بالأزاهرِ كاسي[1].

** أمسى الفَراشُ يطوفُ حولَ كُؤوسِنا		إذْ خالَها تحتَ الدجى قِنديلا[2].

ما زال يَخْفِقُ حولَها بجَناحِهِ		حتّى رَمَتْه على الفِراشِ قتيلا[3]!

** وأغْيَدَ وافى يَعْطِفُ السكْرُ قَدَّهُ،		وأيُّ قَضيـبٍ يَنْثني مِثْلَ قَدِّهِ[4]؟

... ـطلّع للأبصارِ في نَرْجِسِيّةٍ		كَلَوْنِ الـذي يشكو مَرارةَ صَدِّهِ[5]،

وفي يَدِهِ اليُمنى شَبيهُ عِذارِهِ،		وفي يَدِهِ اليُسرى شَبيهةُ خَدِّهِ[6]!

- وله من جوابٍ على كتابٍ جاءه من صديقٍ طَلَبَ إليه أن يقوم بإسداء صنيعة في سبيل صاحِبِ حاجةٍ:

وإلى هذا فإنّا كَتَبْنا إليكم - كَتَبَ اللهُ لكم من النَعْماء ما يَهْطِلُ غَمامُه، ومن العِزّة القَعْساء ما تتفتّحُ عن زَهْرِ المَسرّة أكْمامُه[7]، من قُرطبةَ حرسَها اللهُ، والخيراتُ تزدَحِمُ علينا، والمسرّاتُ تتسابقُ إلينا. والذي بَيْنَنا لا يحتاجُ إلى وَساطةِ الأقلام، ولا يُخافُ عليه تَغيُّرُ الليالي والأيام. ولمّا وصل بكتابِكُمُ المَرْعِيِّ المحفوظِ المقبولِ الملحوظ الفقيهُ أبو فلانٍ وجَدَ منه فيما الْتَمِسَ ضِدَّ ما وَجَدَ المُتَلَمِّسُ. وعادَ من قضاء

---

(1) هذا مخالف لما يعرفه الفلاحون: إنّ الأشجار والنباتات التي تنعقد أزهارها ثمراً تعطّش في زمن إزهارها.

(2) خالها: ظنّها.

(3) خفق الطائر: طار. خفق (الفراش): اضطرب وتحرك.

(4) الأغيد: الجميل. وافى: أتى (إلينا). قدّه: قامته (جاء يتمايل من كثرة سكره). القضيب: الغصن. وأيُّ قضيب ينثني مثل قدّه؟: أيُّ الأغصان يكون تمايلها محبّباً إلى النفس مثل تمايله!

(5) الحرف الأوّل من الكلمة الأولى ساقط. لعلّ الكلمة: «تطلّع» (طلع، طلع علينا: جاء إلينا). نرجسيّة (يبدو أنّها نوع من الثياب، أو ثياب بلون قلب النرجس، أي صفراء). الصدّ: الإعراض والهجر. كلون......: أصفر اللون.

(6) العذار: الشعر النابت في الوجه. - لو قال: «وفي كفّه (مرّتين) لتلافى الزحاف (بفتح الزاي، بلا تشديد للحاء) «خطف المدّ» (حذف السكون). - كان يحمل في يده اليمنى قضيب آس وفي يده اليسرى وردة.

(7) القعساء: العالية (المنيعة). الكمّ: الكأس (الأوراق الخضر التي تضمّ الزهرة قبل تفتّحها).

غَرَضهِ عَوْدَ المباكر المُغَلّس[1]. وهو لَعَمْرَ اللهِ أهلٌ لأنْ تتَحقّقَ أغراضُه ولا تَتَصوَّحَ[2] بالإهمالِ رِياضه. ومِثْلُه من تُشفِّعَ فيه وتُطُلِّب له ما يكفيه.

٤ - ** المغرب ١ : ٧٤ - ١٧٥؛ تحفة القادم ١٥٩؛ القدح المعلّي ٨٩ - ٩٣؛ نفح الطيب ٤ : ٢٠ - ٢١ (٨٩، قطعتان ترويان لابن القاسم بن هشام، وهما مرويّتان في القدح المُعلّى لصاحب هذه الترجمة).

أبو بكر بن الصابونيّ الإشبيلي

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ الفقيه أبي العبّاس أحمد بن محمّد الصابوني الصدفي الإشبيليّ، وكان أبو بكرٍ بنُ الصابونيّ يُلَقَّبُ بالحمار، لقّبه به أبو عليٍّ بنُ الشلوبينِ فَلَزِمَه هذا اللقبُ؛ وكان هو يقلَقُ منه ويكرهُه (الذيل والتكملة ٦ : ٥٩؛ نفح الطيب ٣ : ٥١٩؛ القدح المعلى ٧٠).

وأبو بكرٍ بنِ الصابونيّ من أهل إشبيلية، رَوى عن أبي الحَسَن الدبّاج وأبي الحُسين ابن زَرْقونٍ وأبي عليٍّ بنِ الشلوبين (الذيل والتذكرة ٦ : ٥٩). أمّا أبو الحسن عليٌّ بنُ جابرٍ الدبّاجُ فقد وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٦ للهجرة وتُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٤٦ (صلة الصلة، ص ١٣٧). وأمّا أبو عليٍّ عمرُ بنُ محمّدٍ المعروفُ بالشلوبينِ (صلة الصلة، ص ٧٠) أو بابن الشلوبين فقد وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٢ للهجرة وتُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٤٥. وأمّا أبو الحُسينِ بنُ زَرْقونٍ (الذيل والتكملة ٦ : ٥٩) فلم أهْتَدِ إلى شيءٍ من تفاصيلِ حياتِه، ولكنّ القرينةَ تدلّ على أنّه كان مُعاصراً للشلوبينِ وللدبّاجِ. ومن الغريبِ أنْ يكونَ أبو بكرٍ بنِ الصابونيّ قد رَوَى عن جماعة تُوُفُّوا بعدَه بِبِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، إلّا أنْ يكونَ هو أصغرَ سِنًّا ولكن

(١) المتلمّس: شاعر جاهلي (خال طرفة بن العبد) كتب له عمرو بن هند (أحد المناذرة من حكّام الحيرة) صحيفة (رسالة) إلى عامله على البحرين. وكان عمرو بن هند قد أوهم المتلمّس أن في الصحيفة أمراً إلى العامل بعطيّة له، مع أنّه كان قد أمر العامل فيها بقتل المتلمّس. المغلّس: (ظلام آخر الليل): باكراً جدًّا.

(٢) صوّح وتصوّح: يبس.

آعْتُبِطَ - مات شابًّا - قبلَهم، وأنا أُرَجِّحُ ذلك لِما ستراه في قِسمِ خصائصِه (رقم ٢، من هذه الترجمة).

واتّصلَ أبو بكرِ بنِ الصابونيِّ برجالِ الدولتين المُوحِّدية والحَفْصيّة: تقدّمتْ مكانَتُه عند أبي العَلاء إدريسَ بنِ يعقوبَ المُلَقَّبِ بالمأمون المُوحِّدي، تاسعِ سلاطينِ الموحّدينَ (٦٢٦ إلى آخرِ ٦٢٩ هـ). ثمّ رأى أنْ يَقْصِدَ سُلطانَ إفريقِيَةَ (القُطرِ التونسيّ) أبا زكريّا يَحْيى الأوّلَ مُؤسِّسَ الدولةِ الحَفْصية وأوّلَ سلاطِينها (٦٢٥ - ٦٤٧ هـ) فَلَقِيَه في مِليانةَ (القُطر الجزائري) ومدحَه بقَصيدة مطلَعُها (المغرب ١: ٢٦٣):

اللهُ جـارُك في حِـلٍّ ومُرْتَحَـلِ، يـا مُعْلِياً مِلّةَ الإسلامِ في المِلَلِ.

ويبـدو أنّه لم يَنَلْ ما يُؤمِّلُه فعَزَمَ على الرِحْلة إلى المشرق. فلمّا وَصَلَ إلى مِصْرَ لم يَجِدْ مَنْ قَدَرَهُ قَدْرَهُ[1]، و «عاجَلَتْهُ مَنِيَّتُه» فماتَ في الإسكندرية قبلَ سَنَةِ ٦٣٨ للهجرة (المغرب ١: ٢٦٣). أو في طريقِه بينَ القاهرةِ والإسكندرية (يُريدُ مُغادرةَ مِصْرَ، سَنَـةَ ٦٠٤ (أربعٍ وسِتِّمِائةٍ)، كما وَرَدَ في فَواتِ الوَفَيات (٢: ٢٠٩) وفي «اختصار القدح المعلى» (ص ٧٠) وفي الوافي بالوَفَيات (٢: ٩٩). أمّا سَنَةُ ٦٠٤، فلا رَيْبَ في أنّها خطأٌ مَطْبعيٌّ، مِمّا نرى من آتّصاله بالمأمون المُوحِّدِي (جاء إلى الحُكم سَنَةَ ٦٢٦) وبيحيى الحَفصي (جاء إلى الحُكم سَنَةَ ٦٢٥). وفي «المُغرب» أنّه تُوُفِّيَ قبلَ ٦٣٨ (ثمانٍ وثلاثينَ وسِتِّمِائةٍ). ولعلَّ التاريخَ الذي آقترحَهُ خيرُ الدينِ الزِرِكليّ (الأعلام ٦: ٢١٥، الطبعة الرابعة ٥: ٣٢٠) قريبٌ من الصواب، أي ٦٣٤ هـ (١٢٣٧ م). وقَبِلَ إحسانُ عبّاسٍ (نفح الطيب ٣: ٥١٨، الحاشية الأولى) سَنَةَ ٦٣٦ للهجرة.

٢ - يبدو أنّ أبا بكر بن الصابونيِّ لم يكُنْ سليمَ الأعصاب، بلْ كانَ مَريضًا. فقد كان ضيِّقَ الصدر شديدَ الآنحرافِ عن المَسْلَكِ الاجتماعيِّ السَوِيِّ، سيِّئَ التصرّف. والأغلبُ أن أُستاذَه أبا عليٍّ الشلوبينيَّ قد لَقَّبَه بآسم «الحِمار» من أجْلِ ذلك كُلِّه. وفي نفح

---

(١) قدر الإنسان الشيء قدراً: بيّن مقداره، عرف مكانته وقيمته.

الطيب (٣: ٥١٨) حِكايةٌ تَشْرَحُ شيئاً من هذا:

كان آبنُ الصابونيّ في مجلسِ أحدِ الفُضلاء في إشبيلِيَةَ فقُدِّمَ - فيما قُدِّمَ (في ذلك المجلس) - خِيارٌ. فجعَلَ أحدُ الأدباء يُقشّر (واحدةً منها) بسِكّينٍ. فخَطِفَ آبنُ الصابونيّ السِكّينَ من يدهِ. فألَحّ عليه (ذلك الأديبُ) في (رَدِّها إليه). فقال له ابنُ الصابوني: « كُفَّ عنّي وإلّا جَرَحْتُك بها ». فقال صاحبُ المنزل (لذلك الأديبِ): « آكفُفْ عنه لِئلّا يَجرَحَك ويكونَ جُرْحُك جُباراً »، تعريضاً بقولِ النبيّ (إشارة إلى قولِ النبيّ) صلى اللهُ عليه وسلم: « جُرْحُ العجماء جُبارٌ »[1]. فآغتاظَ آبنُ الصابونيّ، وخَرَجَ مِنَ الآعتدالِ، وأخْطأَ بلسانهِ. وما كَفَّ إلّا بعدَ الرَّغْبة والتضرُّع.

أمّا في الشعر فكان جيّدَ المعاني متينَ السبك جَزْلَ القول. وفنونُه المدحُ والهِجاء والرثاءُ والحماسةُ (وصف الحرب) والوصف والغَزَل والحكمة. وله موشّحاتٌ أيضاً ثمّ هو شاعرٌ مجيدٌ مشهورٌ، ولكنّ تطرُّفَه في الإعجاب بنفسه (وقد وَرِثَ ذلك عن أبيه) قد كَسَبَه عداواتٍ كثيرةً وألقى ستاراً على شُهرتِه.

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي بكرِ بنِ الصابونيّ الإشبيليّ شعرٌ كثيرٌ في الحَماسة (وصف الحرب)، راجع « الوافي بالوفيات » (٢: ٩٩)، منها:

أَلْقَتْ إلى الحرب الأعداءُ أنفسَها   وما عَبَيْتَ لها جيشاً سِوى الرَهَب[2].

---

(١) جبار (بالضمّ): هدر (بفتح فسكون)، لا قصاص فيه ولا ضمان لما تتلفه العجماء (أي الدابّة، الحيوان). وهذا الحديث قد أصبح المادة الرابعة والتسعين من الموادّ الكليّة في مجلّة الأحكام العدلية. غير أن هذه المادّة ليست مطلقة، ولكنّها مشروطة بشروط وأحوال. إذا جنت العجماء جناية من عند نفسها (كأن خطف ثعلب دجاجة أو أكل ذئب خروفاً أو كانت دابة ترعى في مرعى عامّ ثمّ اتفق أن دعست طفلاً) فجنايتها تلك لا تعاقب هي عليها (لأنّ العقاب أو القصاص لا يكون إلّا مع التكليف، والتكليف لا يكون إلّا للإنسان العاقل الراشد المميّز). ولكن إذاكان رجل يركب دابّة في السوق أو في مكان يجتمع فيه الناس ثمّ دعست تلك الدابة طفلاً فراكب تلك الدابة (أو صاحبها إذا كان راكبها قاصراً، وكان يركبها بإذنه أو بغفلة وتقصير منه) ضامن للضرر الحاصل منها ومعاقب عليه.

(٢) كذا في الأصل: عبيت. والصواب: عبأ الأمير الجيش يعبأه (بفتح الباء) أو عباه يعبوه أو عبّأه (بالتشديد): حشده وجهّزه. الرهب: الخوف.

خيرُ الكتائبِ ما لم يُغْنِ غائِبُه،   وأفضلُ الفتحِ ما وافى بلا تَعَب[1].
*والبيضُ تُسْكِنُ أوصالَ الكُماة، وقد   شَحا له الضربُ كالأفواهِ للجَدَل[2].
إذا المَقاتِلُ عن قَصْدِ الردى كهَمتْ   سَوّى لها الطعنُ مثلَ الأعينِ النُّجُل[3].
وللشِفارِ شُروعٌ في الدّروعِ كما   تواتَرَ الطيرُ في الغُدرانِ للنَهَل[4].

- ولأبي بكرِ بنِ الصابونيّ في الغزَلِ أيضاً أشياءُ كثيرةٌ (فوات الوفيات ٢: ٢١٠؛ الوافي بالوفيات ١:١٠٠؛ ٣: ٥١٨، ٤: ١٦٠):

أمَا وعِذارٍ فوقَ خَدّكَ، إنّه   لأنْكأُ فِعْلَيْ مُقْلَتَيْكِ لَفاعِلُ[5].
وما خَيَّلَتْ نفسي إليّ بأنّه   ستَفْعَلُ أفعالَ السيوفِ الحمائلُ[6].

---

(١) الكتيبة: الجيش. ما لم يغن غائبه (ما لم تكن محتاجاً معه إلى نجدة). - خير الجيوش ذلك الجيش الذي معك وهو قادر وحده على إحراز النصر.

(٢) البيض جمع أبيض: سيف. تسكن (كذا في الأصل)، اقرأ: تمكن (تساعد، تعين). أوصال جمع وصل (بالكسر أو بالضمّ): عظم مستقل في الجسم، عضو (يد، ذراع). الكميّ: الشجاع الكامل عدّة الحرب من السلاح. شحا القتال يشحو (اتّسع مجال القتال فيه - بعدت فيه المسافة بين المتقابلين)، من أجل ذلك يستطيع المقاتل أن يجعل السيف صلة لذراعه ثم يمدها فيصل بالسيف إلى خصمه. الضرب: القتال بالسيف. كالأفواه للجدل (للجدال والخصومة)..... التشبيه «كالأفواه للجدل» غامض (إلّا أن يكون المقصود: عند اشتداد القتال). هذه الأبيات من قصيدة في مدح أبي زكريا يحيى الأول الحفصي.

(٣) المقتل: المكان في الجسم إذا أصيب مات صاحبه (كالعنق والقلب). الردى: الموت. كهم: أبطأ. العين النجلاء (الواسعة).- يقول: إذا كانت الجراح بالسيوف والتي تصيب المقاتل (من الخصوم) لم تكن كافية لتميت الخصم الذي أصيب في مقتله، فإنّ الطعن (بالرماح) حينئذ يصل إلى جسم الخصم (لأنّ الرمح أطول من السيف) ويحدث فيه جراحاً واسعة (كبيرة) تميته.

(٤) الشفرة: السيف. شروع: بدء. تواتر: توالى وتتابع بسرعة. الغدير: فرع يخرج من النهر. النهل: الشرب.- يقول: تبدأ السيوف أولّاً فتقطّع دروع الخصوم في أماكن مختلفة يستطيع الرمح أن ينفذ (بضمّ الفاء) منها إلى جسم الخصم.

(٥ و٦) وعذار (الواو للقسم. العذار: الشعر النابت على جانبي الخدّين والذي يؤلّف فيا بعد اللحية). نكأ الرجل خصمه: جرحه وقتله. المقلة العين. يشبّه الشاعر عيني المحبوب بالسيف، ويشبّه عذاره (بالمثنّى) بحمالة (بكسر الحاء): علاقة (بكسر العين) السيف. ثم يقول: المألوف أن السيف (هنا عيني المحبوب) هو الذي يقتل، ولكن أرى الآن أن حالة السيف (الشعر على خدّي المحبوب) هو الذي يقتلني (يجعلني متيّماً بحب صاحبها). فعلا مقلتيك (عينيك): إيقاع الناظر في حبّك ثم قتل الناظر إليك.

★ رأيـــتُ في خـــدِّه عِـــذاراً خَلَعْتُ في حُبِّه عِذاري[١].
قدْ كَتَبَ الحُسْنُ فيه سَطْراً: (ويُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهار)[٢].

★ أقبــــلَ في حُلَّــــةٍ مُورَّدَةٍ كالبدرِ في حُلَّةٍ من الشَّفَقِ[٣].
تحسَبُــــــــه كلَّما أراقَ دمي يمسَحُ في ثَوْبِهِ ظُبَى الحَدَقِ[٤].

★ بعثــتُ بِمِرآةٍ إليــكَ بديعــةٍ فأَطلِعْ بسامي أُفْقِها قَمَرَ السعْدِ[٥]،
لتنظُرَ فيهـا حُسنَ وجهِك منصفاً وتعذُرَني فيما أُكِنُّ من الوجدِ[٦].
فأَرْسِلْ بذاك الخَدِّ لَحظَكَ بُرهةً لتَجْنيَ منه ما جَناه من الوردِ[٧].
مثالُكَ فيها منك أقربُ مَلْمَساً وأكثرُ إحساناً وأبقى على العَهْدِ[٨].

- كانَ أحدُ الفُقهاءِ قد سأل أبا بكر الصابونيَّ الإشبيليَّ أنْ يَنْظِمَ له شيئاً يتعلّقُ بما يجوزُ مِنَ البيع وبما يُعَدّ من البيع رباً[٩]. فقال أبو بكرِ الصابونيُّ (الذيل والتكملة ٦: ٦٠):

---

(١) عذار (راجع الحاشية السابقة). خلع فلان العذار (الرسن): اندفع في طلب الشهوات جهراً بلا حياء.

(٢) في القرآن الكريم (١٢: ٦١، سورة الحج): «ذلك بأنّ الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير». يولج: يدخل أحدهما في الآخر كلّما زاد ضوء النهار نقص ظلام الليل، وكلّما زاد ظلام الليل نقص ضوء النهار. يشبّه الشاعر وجه المحبوب بالنهار لبياضه، ويشبّه عذار المحبوب بالليل لشدّة سواده.

(٣) حلّة: ثوب. مورّدة (ذات لون أحمر). الشفق: اللون الأحمر على الأفق الغربي بعد غياب الشمس.

(٤) أراق: سفك، أسال، أجرى - كلّما جرحني المحبوب وهو ينظر إليّ. الظبة (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدّ السيف. الحدقة: العين. - انّ اللون الأحمر في ثوبه من كثرة ما مسح أجفانه بثوبه بعد تكرار النظر إلى المحبّين وجرحهم بسيوف عينيه.

(٥) فأطلع بسامي أفقها (في الجزء الأعلى من المرآة) قمر السعد (وجهك).

(٦) كن الرجل الشيء وأكنّه: ستره. الوجد: الحزن (وألم الحبّ).

(٧) برهة: مدّة. لتجني: تقطف (تتمتّع). منه (من خدّك). ما جناه: ما أجرم فيه (ارتكب جناية) من اكتسائه بدماء العاشقين.

(٨) فيها (في المرآة). أقرب ملمساً (أكثر ثباتاً، لا يتغير) وأكثر إحساناً (إلى الناس لأنّ خيالك في المرآة لا يستطيع أن يؤذي أحداً، إذ لا يراه أحد غيرك). وأبقى على العهد (؟).

(٩) الربا: استبدال عرض (سلعة) بعرض مثله (مال بمال، حنطة بحنطة، تمر بتمر، الخ) بنسيئة (بتأخير في ردّ الدين) وبزيادة في المقدار (مائة دينار مكان سبعين ديناراً أو ستّة أرطال تمر مكان خمسة أرطال تمر).

إمّـــــا أردتَّ صحيـــــحَ البيــــع تعلَمُـــــهُ
من جنسٍ فاسدهِ فآسْتَفْتِنِي وسَلِ[1]

إنْ وافقَ الثمنُ المثمون فآجتمعا
في الجِنس كانـــا عـــلى قسمــين في العمـــلِ[2]:

فـــــإنْ يكُنْ رَبَوِيَّــــــا لم يَجُزْ أبـــــداً
- إذا تفاضـــــلَ مَنْسِيَّـــــا إلى أجـــــلِ[3]-،

وإنْ يكُنْ ضِـــــدَّ هـــــذا، فَلْتَكُنْ أبـــــداً
مِنْ أن يُبــــاعَ بتأخـــيرِ عـــلى وَجَـــلِ[4].

وبعْـــــهُ نَقْـــــداً بفَضْـــــلٍ أوْ مُماثلـــــةٍ،
وآسْلُـــكْ سبيـــلي؛ فهـــذا أوضـــحُ السُّبُـــلِ[5].

وإنْ هما آفترقـــــا في الجنس وآختلفـــــا
لم يَخلُوا أنْ يكونــــا ساعــــةَ البَــــدَلِ[6]

إمّـــــا طَعامَيْن أو عَيْنَيْنِ قـــــد حَضَرا
أو غـــيرَ ذلـــك، هـــذا الرأيُ لم يَفِـــلِ[7].

فـــــإنْ يكن ذاك عَيْنــــاً لم يكُنْ أبـــــداً
فيـــه النساء بوجـــهِ فاعتقـــلْ همـــلِ[8]

---

(١) البيع الصحيح: الجاري على قواعد الشرع الإسلامي (تفصيل ذلك في الأبيات التالية).

(٢) إذا وقع الاتّفاق على ثمن بضاعة وكان الثمن والبضاعة من جنس واحد (أي بيع نوع من التمر بنوع آخر من التمر) فلذلك وجهان.

(٣) البيع الربويّ (راجع الحاشية بمقدّمة هذه المقطوعة). تفاضل الشيئان: زاد أحدهما على الآخر. المنسيّ (اقرأ: المنسوء: المؤجّل، المؤخّر). لا يجوز بيع بضاعة بسعر أغلى من سعرها الحاضر احتجاجاً بأن ثمنها سيقبض بعد مدّة.

(٤) وإذا لم يكن المقصود من البيع ربا (ديناً لعجز المشتري عن دفع الثمن فوراً) فاحرص على ألّا تقبل بذلك (التأجيل في الدفع).

(٥) بع البضاعة نقداً بفضل (بزيادة في الثمن: ربحاً صافياً) أو مماثلة (بمثل ثمنها).

(٦) وإذا كانت البضاعة مختلفة (في النوع من الثمن...... (راجع البيت التالي).

(٧ و٨) إمّا أن يكون الثمن والبضاعة طعامين (قمحاً وتمراً أو جوزاً ولحماً، الخ) أو عينين (معدنين من معادن =

ومِثْلُهُ كُلُّ مطعومٍ سَمِعتَ بِهِ،
فَلْتَسْرِ في أثري تأْمَنْ من الزَّلَلِ[١].

وما عدا ذَيْنِ كان البيعُ أجمَعُهُ
فيهِ يجوزُ، فلا تركَنْ إلى العِلَلِ[٢].

إلّا إذا كان ما تُعطي إلى أجَلٍ
من جنس ما بِعْتَ، فاْحذَرْ ذاك وٱمْتَثِلِ[٣].

أو كان أكْلًا، ولم يَقْبِضْهُ منك فلا
تَزِدْهُ أكْلًا نَسيئاً. خُذْ بذا وقُلِ[٤].

وإنْ يكُنْ ذاك مطعوماً ويَقْبِضُهُ
فلا تَرُدَّ طعاماً مُنْسَئاً تُحِلِ[٥].

وإن يكُنْ رَبَوِيًّا في الطعامِ فلا
تَزِدْهُ من جنسه، حُيِّيتَ من رجُلِ[٦].

النقد أو العملة: ذهباً وفضّة) فيجوز تبادلها (بزيادة أحدهما على الآخر؟) ولكن بلا تأجيل في الاستيفاء. فاعتقل همل (؟). اقرأ: اعتقد هملي (تركي للوجه الآخر: بيع فضّة بذهبٍ مع فضل - زيادة مقدار أحدهما على الآخر - نقداً وفوراً جائز (؟). قال الرأي يفيل: أخطأ.

(١) ومن باب الاحتياط كل مطعوم (مادّة للطعام) تعامل معاملة القمح والتمر (راجع الحاشية السابقة). يرى نفر من الفقهاء أن كلّ طعام بيع بطعام آخر مع فضل أو بزيادة أحدهما على الآخر في المقدار فهو ربا. ويرى آخرون أن الربا خاصّ بالموّاد الأساسية (لا تدخل فيها الفاكهة مثلًا).

(٢) ما عدا ذين (هذين): الطعام والنقد أو العملة فالبيع فيه جائز (مثلًا وفضلًا: بثمن المثل أو بربح أكبر، ونقداً أو ديناً). لا تركن (تطمئن، تلجأ) إلى العلل (تخريج الأسباب).

(٣) إلّا إذا كان الثمن المؤجّل من جنس البضاعة مع زيادة في مقدار أحدهما (فهذا ربا): اربعة أرطال قمح بخمسة ارطال قمح بعد مدة.

(٤) وكذلك إذا كانت البضاعة مما يؤكل، ولم يقبض ثمنه فوراً، فلا يجوز أن تزيد في مقدار البدل (إذا كان ذلك البدل من جنس تلك البضاعة المأكولة ثم كان ذلك البدل أيضاً موجّلًا إلى زمن لاحق).

(٥) وإذا كانت البضاعة طعاماً وقبضتَه فوراً، فلا تردّ بدله طعاماً مثله منسئاً (موّجلًا) تحل (يكن ذلك منك حيلة؟)، فهذا أيضاً ربا.

(٦) وإذا استدان رجل طعاماً على أن يؤدي فيما بعد بدله طعاماً مثله فلا يجوز أن يكون في البدل زيادة في المقدار.

وفي المزيـــدِ عـــلى المُبتـــاعِ تَقْبِضُـــه
عـــلى الإقالـــةِ أصْـــلٌ غـــيرُ ذي دَخَـــلِ[١].

- ولأبي بكرِ بنِ الصابونيِّ مُوشّحةٌ حَسَنَةٌ مَطْلَعُها والبيتُ الأوّل منها (نفح الطيب ٧: ١٠):

قسَماً بالهوى لِـــــــذي حِجْرِ   مـا لِلَيْـلِ المَشوقِ من فَجْرِ[٢].

* * *

خَمَـدَ الصُّبحُ ليس يُطْرَدْ.
مـا لِلَيْـلي فـيما أظُنُّ غدْ.
صَـحَّ، يا ليلُ، أنّكَ الأبدْ.

أو تقضّـــــــتْ قوادِمُ النَّسْرِ   فنُجومُ السماءِ لا تَسْري[٣].

- وله موشّحة غيرُ هذهِ منها (نفح الطيب ٧: ١١):

مـا حالُ صبٍّ ذي ضَنًى وٱكْتئابْ   أمرَضَـهُ، يـا وَيلتاهُ، الطبيبْ[٤]
عامَلَـــهُ محبوبُـــه بٱجتنـــاب   ثـمّ ٱقتدى فيه الكَرى بالحبيبْ[٥]

* * *

(١) الإقالة: الرجوع عن البيع (أو الشراء). الدخل: الفساد، والعيب والريبة.- إذا اتّفق بائع ومشتر على ثمن بضاعة ثمّ رأى أحدهما أن يرجع عمّا كانا قد اتّفقا عليه، فلا مانع من أن يدفع الناكل (الراجع عن الاتّفاق) مبلغاً هو تعويض أو غرامة.

(٢) الحجر (بالكسر): العقل. في القرآن الكريم (٨٩: ٥، الفجر): «هل في ذلك قسم لذي حجر».

(٣) خمد: سكن، هدأ (لم يتحرّك). تقضّت: انقطعت. القوادم: الريش الكبار في جناح الطائر. النسر: مجموعتان من النجوم (النسر الطائر والنسر الواقع). تسري (هنا): تجري. يقول الشاعر: لعلّ الريش الكبار في جناح النسر (الذي في السماء) قد قصّت فهو لا يتحرّك (ولا تتحرك النجوم معه)، ولذلك استمر الليل نازلاً لا يطلع صباحه.

(٤) الصبّ: المحبّ (الذي صبا: مال إلى المحبوب). الضنى: المرض الذي يخشى معه الهلاك. أمرضه الطبيب (أي الحبيب الذي يملك شفاءه، إذا عطف حبيبه عليه).

(٥) الاجتناب: الهجران. الكرى: النوم. اقتدى الكرى بالحبيب (النوم هجر المحبّ العاشق كما هجره المحبوب).

جفـــا جُفوني النومُ لكنّـــني ... لم أبكِـهِ إلّا لِفَقْـدِ الخَيـالْ[1].
وذو الوِصالِ اليومَ قد غرّني ... منه كما شاء وشاء الوِصالْ[2].
فلستُ بالـــلائمِ مَنْ صَـــدّني ... بصورةِ الحقّ ولا بالمُحـــالْ[3].

٤ - * * المغرب ١ : ٢٦٣ ؛ تحفة القادم ١٦١ ؛ القدح المعلّى ٦٩ - ٧٢ ؛ الذيل والتكملة ٦ : ٥٩ - ٦٠ (رقم ١٢٩) ؛ فوات الوفيات ٢ : ٢٠٩ - ٢١٠ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٩٩ - ١٠٠ ؛ نفح الطيب ٣ : ٥١٨ - ٥١٩ ، ٤ : ١٥٩ - ١٦٠ ، ٧ : ١٠ - ١١ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٢١٥ (٥ : ٣٢٠).

ابن نعيم الحضرمي

١ - هو أبو محمّدٍ عبدُ اللهِ بنُ نعيمٍ الحَضْرمي القُرطبي، وُلِدَ بُعيدَ ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) في تونسَ. وفيها نشأ وتَصدّرَ للتدريس. كان مُشرفاً في بجايةَ أيامَ واليها السيدِ ابن عِمرانَ المُوحّديّ. ثمّ إن يحيى بْنَ عانيَـةَ[4] استوْلى على بجاية (٥٨٠ هـ). وفي شهرِ صَفَرَ من العام التالي (أيار - مايو ١١٨٥ م) استردَّ المنصورُ الموحّديُّ بجايةَ وأخذَ من أنصارِ ابنِ غانيةَ أسْرى كانَ فِيهِمُ السيدُ ٱبنُ عِمرانَ والشّاعرُ ٱبنُ نعيمٍ الحَضْرمي. وقدِ ٱتّفَقَ لابنِ نعيمٍ - وهو أسيرٌ في سِجْنه - أن يُخمّسَ القصيدةَ المنفرجة[5]. فيُقالُ إنّ المنصورَ المُوحّديَّ[6] رأى في مَنامه الرسولَ يطلُبُ

---

(١) الخيال: المنام، الرؤيا. لم أحزن لأنّ النوم جفاني (فارقني)، ولكن حزنت لأنّ مفارقة النوم لي منعتني من أن أرى حبيبي في منامي.
(٢) ذو الوصال (المحبوب الذي يملك أن يعطف عليّ) قد غرّني (تظاهر بأنّه يعطف عليّ).
(٣) لا ألوم الذي صدّني (ردّني عن وصال الحبيب)...... (؟).
(٤) يحيى بن عليّ بن يوسف المسوفي المعروف بابن غانية (ت ٥٤٣ هـ). وغانية أمّه، وكانت إحدى قريبات يوسف ابن تاشفين أوّل سلاطين المرابطين. ولّاه المرابطون، في أيام دولتهم على عدد من المدن في المغرب وفي الأندلس. ولمّا سقطت دولة المرابطين وجاءت دولة الموحّدين ظلّ على ولائه للمرابطين وقاوم الموحّدين.
(٥) القصيدة المنفرجة لابن التوزري النحوي (٤٥٣ - ٥٤٣ هـ؛ راجع ترجمته).
(٦) المنصور الموحّدي أبو يوسف يعقوب ثالث سلاطين الموحّدين (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

منه إطلاقَ سَراحِ آبنِ نعيمٍ. وآستيقظَ المنصورُ من منامهِ في جوفِ الليلِ وأمر بإطلاق آبنِ نعيمٍ مُكرَّماً.

وكانت وفاةُ آبنِ نعيمٍ الحضرميِّ في قُسَنْطِينَةَ في سَنَةِ ٦٣٦ هـ (١٢٣٨-١٢٣٩ م).

٢ - كان آبنُ نعيمٍ الحضرميُّ أديباً ناثراً وناظماً، كما كانَ من الفقهاء. وقدِ اشتهرَ بتَخميسِ القصيدةِ المنفرجة. ومَعَ أن التَخْميس أقلُّ طلاوَةً من القصيدةِ الأصليةِ، فإنَّ الروحَ الدينيَّ والسهولةَ في التعبيرِ ظاهرانِ عَلَيه.

٣ - مختارات من شعره:

- من تخميس المنفرجة:

لا بُدَّ لِضيقٍ من فَرَجِ   والصبرُ مَطِيَّةُ كلِّ شَجِ[1]
وبدعوةِ أحمدَ فأبتهجِ   (آشتدّي، أزمةَ، تَنْفَرِجي[2]
قدْ آذَنَ لَيْلُكِ بالبَلَجِ)[3].
يا نفسُ، رُوَيْدَكِ: لا حَرَجُ   وثِقي بالله. عسى فَرَجُ[4].
وكذا ما ضاق له فُرَجُ،   (وظلامُ الليل له سُرُجُ
حتّى يَغشاهُ أبو السُّرُجِ)[5].
فلكلِّ مُحاولةٍ قَدَرُ   وقَضاً لا يدفَعُهُ حَذَرُ،

(١) مطيّة: دابّة للركوب (وسيلة). الشجي (بلا تشديد أو بتشديد): الحزين والذي أثقله الهمّ.

(٢) أحمد = محمّد رسول الله. ابتهج: فرح. أزمة: شدّة. وحقّ «أزمة» (هنا) البناء على الضمّ (لأنّها منادى مقصود بالنداء)، والرواية بالنصب.

(٣) البلج (بفتح ففتح) مصدر من بلج (بفتح فكسر) وجهه: أشرق سروراً. والشاعر يقصد ظهور النور في الصباح (بعد انقضاء الليل)، وهذا هو البلوج من الفعل بلج (بفتح فكسر).

(٤) رويدك: مهلاً. الحرج: الضيق.

(٥) السرج (جمع سراج)، هنا: كناية عن النجوم. أبو السرج: الشمس. - يظلّ في الليل (في أيام الشدّة) نجوم (أمل بالنور وبالفرج) حتّى يطلع أبو السرج أو الشمس (الفرج الكامل).

ورُجوعُـــكَ عن هـــذا غَرَرٌ. (وسَحـــابُ الخـــيرِ لـــه مَطَرٌ
فإذا جاء الإبّانُ يَجي)[1].
تَفويضُـــكَ للرحمنِ رَجـــا. كم جـاءَ صباحٌ بعدَ دُجى[2]!
ويكون الصـــبرُ لـــه دَرَجَـــا. (ورضـاً بقضـاءِ اللهِ حِجـى[3]
فعَلى مَرْكوزَتِه فعُج)[4]
فتَحَرَّ بمـــا تَلْقـــى رَشَدا لا يَمضي عمْرُكُ عنك سُدى[5]،
واقطَـــعْ أيامَـــكَ مُجتهـــدا (وإذا انفتحـــت أبوابُ هُـــدى
فأعْجَلْ لِخَزائِنِها ولُجِ)[6].

٤ - ** عنوان الدراية ٢٧١ - ٢٧٨.

أبو الحجّاج الإشبيلي الطبيب

١ - هو أبو الحجّاج يوسفُ بنُ عُتبةَ الإشبيليُّ، من أهل إشْبيلِيَةَ، رَحَلَ إلى مِصْرَ، لمّا اضْطربتِ الأندلُسُ بثورةِ ابنِ هودٍ، سَنَةَ ٦٢٥ هـ، ولكنّه لم يَلْقَ نَجاحاً. عَطَفَ عليه جمالُ الدين موسى بنُ يغمورَ بن جلدَك[7] المَغربيّ فجعله مُشاركاً مَعَ أطبّاءِ المارستانِ (المستشفى). كانتْ وفاتُه في القاهرةِ سَنَةَ ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ - ١٢٣٩ م).

٢ - كان أبو الحجّاجِ الإشبيليُّ طبيباً. ويبدو أنّ اهتمامَه بالأدبِ كانَ أكثرَ مِنَ اهتمامِهِ بالطِبّ. كانت له قصائدُ ومُوشّحاتٌ. وكان شِعرُه سهلاً واضحَ المعاني عليه

(١) الإبّان: الزمن، الوقت (كلّ شيء يأتي في وقته).
(٢) الرحمن: الله تعالى. الدجى جمع دجية (بالضمّ): الظلمة (بالضمّ).
(٣) درج: تدرّج (وسيلة إلى الارتقاء أو إلى الوصول). الحجى (والأصوب الحجا): العقل.
(٤) المركوزة (الثابت من الاعتماد على قضاء الله). عاج على المكان: عطف، مال إليه (التجأ).
(٥) تحرّى في الأمور: قصد أفضلها ودقّق فيها.
(٦) الخزائن (هنا): الثروات (بفتح ففتح) الروحية. ولج: دخل.
(٧) جمال الدين بن يغمور رئيس الديار المصرية (نفح الطيب ٢ : ٣٦٨) وهو الأمير جمال الدين أبو الفتح موسى بن يغمور بن جلدك (نفح الطيب ٢ : ١١٢).

مسحةٌ من المَرَح. وكان مُصنِّفاً لعددٍ من الكتب.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحَجاج الإشبيليُّ في الغزل الصريح:

أنجزَتْ وَعــدي عــلى غَرَرِ ... فقطَعنـا الليـلَ بالسَهَرِ[١]
في حديـثٍ لا يُكـدِّرُه ... مَرُّ وَسْواسٍ من الفِكَرِ[٢].
وكأنّي إذ أُضاجِعُهـا ... بِتُّ في روضِ النَّدى العَطِرِ[٣]،
في خِتـامٍ من تَعانُقِهـا ... خِلْتُـه مِنْ نَسمـةِ السحرِ[٤].
فدَعَتْـني للوداع فـلم ... تُبْـقِ من نفسي ولم تَـذَرِ[٥].
قُلـتُ: مـاذا السيرُ في عَجَـلٍ ... وغرابُ الليـلِ لم يَطِرِ[٦]؟
فانثَنَـتْ كالغُصْنِ مُشتَمِـلًا ... بفنونِ النَّوْرِ والزَّهَرِ[٧].
ثمّ قالـتْ قولَ ذي غَنَـجٍ ... ودَلالٍ غـيرِ مُعْتَـذِرِ[٨]:
قُمْ فَودِّعْ غـيرَ مُنْتَقِـدٍ ... قبـلَ شَوْبِ الصَفْوِ بالكَـدَرِ[٩].
فتعانَقْنـا لِفُرقَتِنـا ... ثمّ لا تسأَلْ عنِ الخَـبرِ!

- وقال في مِصرَ (يأسف لِقلّة نجاحه فيها):

---

(١) الغرر: التعرّض للهلاك (والخطر).
(٢) الوسواس: الفكرة (التي تنذر بوقوع السوء: الخوف من مجهول).
(٣) بات: قضى الليل. الندى: البلل، الغضّ، الطري.
(٤) ؟
(٥) يذر (بفتح ففتح): يترك (ولا يقال من هذا الفعل وذر ولا يقال واذر). - أتلفت نفسي لمّا طلبت منّي فراقها (أن أذهب كيلا تحدث فضيحة).
(٦) غراب الليل (سواد الليل) لم يطر (لم يذهب)- لا يزال الليل مظلماً والصبح بعيداً.
(٧) انثنت: التفتت، مالت (إليّ). النور (بالفتح): الزهر الأبيض.
(٨) قول ذي غنج غير معتذر (تمتنع عمّا طلبت منها).
(٩) قم فودّع (قبل ذهابك.... مرّة ثانية). قبل شوب (خلط) الصفو بالكدر (قبل أن يراك أحد فيحدث ما لا تحمد عقباه لي ولك).

أصبحــــتُ في مِصرَ مُستضامـاً أرقُـــصُ في دولـــةِ القرود[1].
واضَيْعَةَ العُمرِ في أخير مــعَ النصـارى أو اليهود[2]!
بالجَدّ رِزْقُ الأنام فيهم لا بــذواتٍ ولا جُــدود[3].
لا تُبْصِرُ الدهرَ من يُراعي معنًــى قصيــدٍ ولا قُصود[4].
أوَدُّ من لُؤمِهِمْ رُجوعاً للغَرْب في دولـــةِ ابنِ هود[5].

- وله من موشّحة:

فقُمْ نُباكِرْهـــا للاصطبــاحْ[6]
والشُهْبُ تُنْثَرُ من خَيْطِ الصباحْ[7]

---

(١) استضام فلان فلاناً: ضامه (ظلمه ونقصه شيئاً من حقّه). أرقص في دولة القرود (أخدم أناساً أقلّ منّي قيمة ومكانة).

(٢) في أخير (في آخر العمر). مع النصارى أو اليهود (كان النصارى واليهود كثيرين في المارستانات (المستشفيات حيث كان الشاعر يعمل).

(٣) الجدّ (بالفتح): الحظّ. الذوات جمع ذات (شخص الإنسان): قيمة الفرد بالنظر إلى الفرد نفسه. الجدود جمع جدّ (بالفتح) أبو الأب (أي بالنسب الشريف).

(٤) لا يراعي معنى قصيد (لا يفهم شعراً) ولا قصود (؟): جمع مقصد (بكسر الصاد) وقصد (بالفتح): المعنى، الغاية (ولا يفهم معنى الكلام العاديّ).

(٥) للغرب (إلى الأندلس) في دولة ابن هود - المتوكّل محمّد بن يوسف بن هود المستبدّ بأمر مرسية (٦٢١ - ٦٣٥ هـ) ثمّ استولى على عدد كبير من المدن الأندلسية ووقعت في أيامه حروب كثيرة مع الموحّدين ومع عددٍ من الأمراء المستبدّين. وجاء في «نفح الطيب» (١: ٢١٥):
«.... إلى أن ثار ابن هود وتلقّب بالمتوكّل، ووجد قلوباً منحرفة عن دولة برّ العدوة (بضمّ العين أو بكسرها: المغرب، دولة الموحّدين) مهيّأة للاستبداد فملكها بأيسر محاولة، مع الجهل المفرط وضعف الرأي. وكان مع العامّة كأنّه صاحب شعوذة: يمشي في الأسواق ويضحك في وجوههم ويبادرهم بالسؤال. وجاء للناس منه ما لم يعتادوه (اقرأ: يتعوّدوه) من سلطان. فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامّتهم العمياء..... فآل ذلك إلى تلف القواعد (المدن) العظيمة... وخروجها من يد الإسلام».
وفي نفح الطيب أيضاً (٤: ٤٦٥ - ٤٦٦): «ودخل العدوّ كورة ماردة (وقد أخذها) من يد محمّد بن هود سنة ستّ وعشرين وستّمائة، وكانت مفتتح المصائب على يده.....»

(٦) نباكرها (نباكر الخمر) نشربها باكراً. الاصطباح: شرب الخمر في الصباح.

(٧) الشهب (والشاعر يقصد النجوم) تنثر من خيط الصباح (يشبّه الشاعر الصباح بسلك أو شبكة تجمع فيها النجوم ثمّ تغيب نجماً فنجماً مع انتشار الضوء بعد طلوع الفجر - ولكن الصورة الطبيعية غير صحيحة. كان يجب أن يقول: «والشهب يخفيها ضياء الصباح».

والقُضُبُ ترقُصُ في أيدي الرياحْ[1]

عـــــلى غنـــــاء الحَمامْ   والكأسُ ذاتُ ابتسامْ

والظـــــلامُ قتيــــلْ   والصبحُ دامي الحسام[2].

٤ - ** المغرب ١: ٢٥٨ - ٢٥٩، ٢٧٦ - ٢٧٧؛ القدح المعلّى ١٦١ - ١٦٤؛ نفح الطيب ٢: ١١١ - ١١٢، ٦٦٣ - ٦٦٤؛ الأعلام للزركلي (٨: ٢٤١).

ابن خبّازة الخطّابي

١ - هو أبو عمرٍو مَيمُونُ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ الخالقِ الخَطّابي المعروفُ بابنِ خبّازةَ، أصلُه من قبائلِ صِنْهاجة. كان مَوْلدُهُ في فاسَ، نَحْوَ ٥٧٠ هـ (١١٧٥ م). وقد تَولّى، في أواخرِ أيامهِ، حِسْبةَ الطَعامِ في مدينةِ مَرّاكُشَ. وكانتْ وفاتُه في الرِباط، سَنَةَ ٦٣٧ هـ (١٢٣٢ - ١٢٣٣ م).

٢ - كان ابنُ خبّازةَ الخطّابيُّ شاعراً مُكثراً مُطيلًا سَهلَ القولِ متينَ التعبيرِ سريعَ البديهةِ في النَظْمِ والنَثْر. وأبرزُ فنونهِ المدائحُ النَبويةُ. فبديعيّتُه اليائيةُ «حقيقٌ علينا أن نُجيبَ المَعاليا» مِائَةٌ وثمانيةٌ وأربعونَ بيتاً ثمّ بيتٌ مُضَمّنٌ. وله شيءٌ من الرِثاء والتصوّف والوَعْظ، وله ترسُّلٌ أيضاً.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ميمونُ ابنُ خبّازةَ الخَطّابيُّ في مديح الرسول:

حَقيقٌ علينـا أن نُجيب المعاليا   لِنُفْنِيَ في مـدحِ الحبيب المعانيا.

فألسُنُ أربـــاب البيـــانِ صَوارمٌ   مَضارِبُها تُنسي السيوفَ المَواضيا[3].

---

(١) القضب (جمع قضيب): أغصان الأشجار.

(٢) الحسام (السيف). يقول الشاعر: إنّ الصبح قتل الليل فظهر دم الليل (الفجر) على حسام الصبح (الأفق الشرقيّ).

(٣) أرباب (أصحاب) البيان (المقدرة على قول الشعر والنثر الواضحين البليغين). الصارم: السيف. مضرب السيف. السيوف المواضيا (هنا) سيوف الأبطال الماضين (؟).

لِنُطْلِـعَ من أمْـداحِ أحمد أنجُماً	تلوحُ فتَجْلو من سَناه الدَياجيا[1].
فـلا مدحَ إلاّ للـذي بمديحـهِ	تُطيعُ إذا ما كُنتَ بالمدحِ عاصيـاً[2].
رسولٌ بَراهُ اللهُ من صَفْوِ نورِهِ	وألْبَسَهُ بُرْداً من النور صافيـا[3].
ومـا زال ذاك النورُ من عَهدِ آدمٍ	يُنـير بهِ اللهُ العصورَ الخواليا[4].
وآياتُـه جلّـتْ عن العَـدّ كَثرةً	فما تبلُـغُ الأقوالُ منها تَناهيا.
وأعظمُها الوحيُ الذي خصّه به	فبلّـغَ عنـه آمراً فيه ناهيا[5].
تَحدّى به أهلَ البيانِ بأسْرِهم	فكلُّهم ألفـاهُ بالعَجْز وانيـا[6]
وجاء به وَحْياً صريحاً يَزيدُهُ	مرورُ الليـالي جِـدّة وتَعاليـا.
تَضمّنَ أحكـامَ الوُجودِ بأسْرِهـا	وعمّ القضايا مُثْبِتاً فيه نافيا[7].
وأخبَرَ عمّا كان أو هو كائنٌ:	يُرى ماضياً أو ما يُرى بعدُ آتيا:
ووافـق أخبـارَ النبيّـين كلِّهم	وتَمّمَ بالغايـاتِ منـه المَباديـا.
ومـا كتبتْ يُمنـاهُ يوماً صحيفةً	ولا رِيءَ يومـاً للصحائفِ تاليا[8].

٤ - ** أزهار الرياض ٢: ٢٧٩ - ٢٩٢؛ الأدب المغربي ١٩٩ وما بعد؛ النبوغ المغربي ١٧٠، ٤٠٦ - ٤١٢ (التعداد الثاني) وما بعد، ٨٥٨ - ٨٦٨، ٩١٢، ٩٢٩ - ٩٣٣؛ الأعلام للزركلي ٨: ٣٠٠. (٧: ٣٤١).

(١) أحمد = محمّد رسول الله. السنى: النور. الدياجي: الظلمات.
(٢) لا مدح ذو قيمة إلّا مديح تطيع الله به (تكون به صادقاً = مدح رسول الله)، إذا أنت كنت يوماً عاصياً بمديح نفر من الناس (وكذبت في مديحهم).
(٣) براه الله (خلقه). البرد: الثوب.
(٤) في الخبر أن النور كان قد قسم بين آدم وحواء ثمّ افترق في أجيال البشر. بعدئذ وصل الجانب الذي كان في آدم من النور إلى عبد الله بن عبد المطّلب، ووصل الجانب الآخر الذي كان في حوّاء إلى آمنة بنت وهب. فلمّا تزوّج عبد الله بن عبد المطّلب آمنة بنت وهب ثمّ كانت ولادة محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) من هذا الزواج اجتمع ذلك النور في محمّد.
(٥) الوحي الذي خصّ الله محمّداً به (القرآن الكريم). عنه (عن الله).
(٦) ألفى: وجد. الواني: الضعيف، التعب (بفتح فكسر).
(٧) مثبتاً (آمراً بالقيام بما يجب عمله) ونافياً (ناهياً عن فعل ما لا يجوز فعله).
(٨) الصحيفة: الورقة المكتوبة (الكتاب). ريء (رئي: «رأى» مبنيّة للمجهول). التالي: القارىء.

محيي الدين بن عربي

١ - لمحيي الدين بنِ عربيٍّ تَرْجَمَةٌ مُفصّلةٌ في الجزء الثالث من هذه السِلسلةِ، وأحبَبْتُ أن آتِيَ له بترجمة ثانيةٍ هنا لأنّه ابن الأندلُس برُغْمِ رِحلته وآستقراره في المشرق[١].

هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عليٍّ بنِ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الله الحاتَميُّ من نسلِ عبدِ الله بن حاتِمٍ أخي أحمدَ بنِ حاتِمٍ البصريِّ (ت ٢٣١ هـ) راويةِ الأصمعيّ.

وُلِدَ في مُرْسِيَةَ في سابعَ عشَرَ رَمَضانَ من سَنَة ٥٦٠ (١١٦٥/٧/٢٧ م) في الأغلب. وكان يُعرَفُ بآسم «آبن العربي» (بلام التعريف) وبآسم آبنِ سُراقةَ (عنوان الدراية ٥٦).

وآنتقلَ آبنُ العربيِّ من مُرسِيَةَ، سَنَة ٥٦٨ ونزَل في إشبيليةَ وبَقِيَ فيها إلى سَنَة ٥٩٨ للهجرة. ولا شكّ في أنّه كان في تلك الأثناء يزورُ البُلدانَ التي حولَه، فقد سَمِعَ في قُرطُبَةَ من أبي القاسم بن بَشْكُوالَ (ت ٥٧٨ هـ) وغيرِه. ودخل بِجايةَ (في القطر الجزائري) في رَمَضان من سَنَة ٥٩٧.

ويبدو أنّه بدأ حياتَه بالاتّصال برجالِ الدولة، فقد كَتَبَ في الأندلس لبعضِ الأمراء ثمّ إنّه «تزوّج مريمَ بنتَ محمّدِ بنِ عبدونِ بنِ عبدِ الرحمن الباجيّ»[٢]. وعند ذلك بدأ مجرى حياتِهِ يتغيّرُ، وكان سببَ هذا التغيّر ما كان يسمَعُه من مواعظِ زَوْجه[٣] التي ضربتْ له المثلَ الصالح في الورع. وكذلك ألحّتْ عليه أمّه بالإقلاع عمّا

---

(١) لقد اقتضى هذا النظر أن يكون لأبي عليّ القالي (ت ٣٥٦ هـ) ترجمة منفردة في الجزء الثاني من هذه السلسلة ثمّ ذكر على شيء من التفصيل في الجزء الرابع منها.

(٢) هذا المقطع مأخوذ برمّته (بضمّ الراء) من «تاريخ الفكر الأندلسي»، تأليف آنخل خنثالث بالنثيا (نقله إلى العربية حسين مؤنس). وكان الناقل قد أهمل (في الطبعة الأولى) جميع الحواشي التي تذكر المصادر، بعد أن كان قد وضع لتلك الحواشي أرقاماً في المتن. وقد رأيت الناقل من عهد قريب وقال لي إنّه أعد طبعة ثانية وأنّه قد أثبت الحواشي كلّها، وأن الطبعة الثانية ستظهر قريباً جدًّا. ولكنّي لم أر هذه الطبعة الثانية.

(٣) الزوج تقال للرجل وللمرأة.

هو فيه. ثم أصابه مرضٌ فلَزِمَ الفِراشَ مدّةً تراءتْ له في أثنائها مناماتٌ تمثّلَ له فيها عذاب جهنّم[1]. وتُوُفّيَ أبوه - عليُّ بنُ العربي - في أعقاب ذلك، وكان (هو) قد أخبر أباه بيوم وَفاتِه قبلَ حُلول أجلِهِ بخمْسَةَ عَشَرَ يوماً. وتجمّعت هذه العواملُ كلها ودفَعَتْ بمُحْيِي الدين بنِ عربيٍّ في طريقِ الزُّهدِ والتصوّف. (من أجل ذلك كلّه) نراه، قبلَ سَنَةِ ٥٧٩ للهجرة (١١٨٤ م)- أي قبلَ وفاةِ أبيه - قد سَلَكَ الطريقَ (طريق التصوّف)[2].

ومُنْذُ ذلك الحينِ تَرَكَ ٱبنُ عربيٍّ مناصبَ الدولة والإقبالَ على زَهْرة الحياةِ كُرْهاً بهذا المسلَكِ في الحياة وزُهْداً في الدنيا (راجع الذيل والتكملة ٦ : ٤٩٤).

وفي سَنَةِ ٥٩٨ للهجرة بدأ رِحلته إلى المشرق (ولا نعلَمُ إذا كان قد عادَ من بِجايةَ إلى إشبيليةَ أو أنّه ٱستأنفَ الرِحلة من بِجاية). ودخل، في أثناء طريقه، مِصْرَ ثمّ تابعَ سَيْرَه إلى الحِجاز لأداء فريضةِ الحجّ. ومكثَ في مكّةَ سَنَتَيْنِ. وفي سَنَةِ ٦٠٠ للهجرة (١٢٠٤ م) لَقِيَ نفراً من حُجّاجِ الأناضولِ (آسية الصغرى) الأتراكِ فرافَقَهُمْ إلى بلادهم، بطريقِ بَغْدادَ والمَوْصِلِ، فوَصَلَ إلى مَلَطِيَةَ في ذي القَعْدة من سَنَةِ ٦٠١ (تموّز - يوليو ١٢٠٥ م).

وتردّد ٱبنُ عربيٍّ في المشرق: حجّ (٦٠٢ هـ = ١٢٠٦ م) ثمّ وجَدْناه في قونيةَ في الجَنوبِ الغربيِّ من آسيةَ الصُغرى (سَنَة ٦٠٦) ثمّ في بَغْدادَ بعدَ سنتين (نفح الطيب ٢ : ١٦٣) ثمّ في حَلَبَ (سَنَةَ ٦٠٩) ثمّ في الأناضولِ أيضاً (سنة ٦١٢)، في بَلدَةِ آق سَراي، من أواسط آسيةَ الصغرى، شَرْقَ بحيرةِ طوز، وفي سِيواس، على نحوِ أربعمِائةِ كيلو مترٍ شرقَ أنقرةَ (سنة ٦١٢). ثمّ سكن مَلَطِيَةَ (في الجَنوبِ الشرقيِّ من آسية الصغرى)، وفيها وُلِدَ ٱبْنُه سعدُ الدينِ محمّدٌ، في رَمَضانَ من سَنَةِ ٦١٨ (نفح الطيب ٢ : ١٧٠) ولعلّ إقامتَه في مَلَطِيَةَ لم تطُلْ، فلقدِ ٱنْتَقَلَ إلى دِمَشْقَ (سَنَة ٦٢٠، في الأغلب)، إلّا أنّه، على كلّ حالٍ، كان مُستقرًّا فيها سَنَةَ ٦٢٧.

---

(١) نجد أشياء من هذه المنامات، ومن منامات أخرى، في «الفتوحات» ٤ : ٥٥٢ وفي «عنوان الدراية» ١٥٨؛ وفي «نفح الطيب» (٢: ١٧٣ - ١٧٤، ١٨٠).

(٢) بالنثيا ٣٧١ - ٣٧٢.

ولم تكنْ إقامة مُحْيِي الدينِ بنِ عربيٍّ في دِمَشْقَ هادئةً مُطمئنّةً، فإنَّ أهلَ دِمَشْقَ كانوا على سِيرة السَّلَف، بينما هو كان صوفيًّا متطرّفاً مُجانِبًا لِسِيرةِ السلف في تفكيرِه وفي كثيرٍ من جوانبِ حياته الشخصية.

وفي دِمَشْقَ عُرِف ٱبنُ عربيّ (نفح الطيب ٢ : ١٥٧) بلقب « سيدي مُحيي الدين » وبنِسبته « ٱبن عربي »، بإسقاط لام التعريف، تمييزاً له من أبي بكرِ بنِ العربي الفقيه (ت ٥٤٣ هـ).

ثمّ بدا على حياتِهِ شيءٌ من الهُدوء وٱلْتَفّ حولَه نَفَرٌ من الناس. وكانتْ وفاتُه ليلةَ الجُمُعة (يومَ الخَميسِ مساءً) في الثامنِ والعشرين من ربيعٍ الآخِرِ من سَنَة ٦٣٨ (١٥/١١/١٢٤٠ م) ودُفِنَ في سَفْح جبل قاسِيونَ (في الغرب الشّماليّ من المدينة). وقبرهُ قائمٌ هنالك إلى اليوم في مَقام يُزار. ولا يزالُ الحيّ حولَه يُعْرَفُ باسم « سيدي مُحيي الدين ».

٢ - ٱختلفَ الناسُ في مُحيي الدين بن عَربيّ: مِنْهم من عدّه في الأتقياء والأولياء، ومنهم من جعله في المُلحدين المارقين. وإذا نحن رَجَعْنا إلى ما قاله هو في نثره وفي شعره رأينا في نثره وفي شعره « شَطْحاً » كثيراً. والشطحُ قولٌ يدلّ ظاهرُه على الانحراف عنِ الشريعة ولا يسلَمُ باطنُه مَعَ التأويل. من ذلك مثلًا قولُه: إنّ إيمانَ فِرعَوْنَ كان إيماناً صحيحاً، ذلك لأنّ فِرْعونَ قد آمَنَ لمّا أيقَنَ بالهلاك وبدا له وجهُ الحقّ. وقيل إنّ ابن عربي كان يَرْمِزُ بكلمةِ فرعونَ إلى « النفس »، إلى نفسِه، ثمّ يستشهدون على ذلك بقولِهِ (نفح الطيب ٢ : ١٦٩)، وهو مِمّا نَسَبَه إليه غيرُ واحدٍ (أي أكثرُ من واحد):

قلـبي قُطْـبي وقالَـبي أجْفـاني، سِرّي خِضْرِي، وعَيْنُـه عِرفاني[1].

---

(١) الخضر (بفتح فكسر) أو بكسر فسكون - وقيل بفتح وسكون. والعامّة يقولون: « خضر » (بضمّ فضمّ): قيل فيه رجل صالح عاصر موسى عليه السلام، وأنكر آخرون وجوده (راجع تاج العروس - الكويت ١١ : ١٨٣ - ١٨٥). ومن الأسلم ألّا نفسّر هذين البيتين.

روحي هرونُ، وكَليمي موسى،   نَفْسي فِرْعَوْنُ، والهوى هامـاني[1].

ففي هذين البيتينِ يُمْكِنُ أن يَتأتّى الدفاعُ عن جميعِ التعابيرِ إلّا عن تعبيرٍ واحدٍ: «كَليمي موسى». إنّ موسى كليمُ الله، ولا يجوزُ لأحدٍ أن يَدّعِيَ مثلَ هذا التعبير، مهما يَنْتَحِلْ لنفسِه من الأعذار البلاغية والرمزيّة.

ولا ريبَ في أن مُحيي الدينِ بْنِ عربيّ كان من الذين لا يأمنون على أنفُسِهم في الدولة الإسلامية التي تُقيم شرائعَ الإسلام وحُدودَه، وكان آبنُ عربيّ أشدَّ خوفاً على نفسِه من جميع هؤلاء. من أجلِ ذلك لم تكُنْ رِحلةُ آبنِ عربيّ إلى المشرق حبًّا بالرِحلة فقط، بل خوفاً على النفس أيضاً. أوردَ آبْنُ خَلِّكانَ (ت ٦٨١ هـ) في كتابه «وَفَيات الأعيان» (٧: ١١) هذا المقطعَ:

«وكانَ الأميرُ أبو يوسفَ يعقوبُ المذكورُ[2] يُشَدِّدُ في إلزامِ الرعيّةِ بإقامةِ الصَلَوات الخَمْس؛ وقَتَلَ في بعض الأحيانِ[3] على شُربِ الخمر، وقَتَلَ العُمّالَ[4] الذين تَشْكو الرعايا منهم. وأمَرَ برَفْضِ فروعِ الفِقه[5] وبأنّ العُلماءَ لا يُفْتونَ إلّا بالكِتاب والسُّنّة ولا يُقلّدون أحداً من الأئمّة المُجتهدين المتقدّمين، بل تكونُ أحكامُهم مِمّا يُؤدّي إليه آجتهادُهم مِنَ آستنباطِهِمُ القضايا من الكِتاب والحديث والإجماع والقياس[6]. ولقد أدْرَكْنا جماعةً من مشايخ المَغْرب[7] وصلوا إلينا، إلى

---

(١) هرون أخو موسى بن عمران. وهامان: وزير فرعون.

(٢) هو يعقوب المنصور ثالث سلاطين الموحّدين (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

(٣) في بعض الأحيان (يقصد في عدد من المرّات).

(٤) العامل، في الأصل، هو المكلّف بجمع الزكاة (وبجمع أموال الضرائب).

(٥) في هذه الجملة «وأمر برفض فروع الفقه» نقص أدّى إلى غموض (إذ فروع الفقه: الصلاة والصوم، الخ). وهذا الغموض تبيّنه الجملة التالية: «وأن العلماء لا يفتون إلّا بالكتاب (القرآن الكريم) والسنّة (أقوال رسول الله وأعماله) ولا يقلّدون أحداً من الأئمّة المجتهدين المتقدّمين». فمعنى ذلك: الرجوع في فروع الفقه (العبادات والمعاملات) إلى القرآن والحديث فقط من غير تقيّد في ذلك بما قاله أصحاب المذاهب (أبو حنيفة ومالك الخ) ممّا هو آراء لهم.

(٦) مصادر التشريع في الإسلام أربعة: الكتاب (القرآن الكريم) والسنّة (أقوال رسول الله وأعماله) والإجماع (اتّفاق أهل الحلّ والعقد على أمر لم يرد في القرآن والحديث خلافه). القياس: النظر بالعقل والمنطق من مسلم كفء في أمر (لم يرد فيه حكم في الكتاب والسنة ثم لم يتمّ فيه اجماع) بالتنظير بين ذلك

البلاد، وهُمَ على ذلك الطريق[1]: مثلَ أبي الخَطّاب بنِ دِحْيَةَ وأخيه أبي عُمَرَ[2] ومُحْيي الدينِ بنِ عربيٍّ نزيلِ دِمَشْقَ وغيرِهم. و (كذلك) كانَ (أبو يوسفَ يعقوبُ) يُعاقِبُ على تَرْكِ الصلاة ويأمُرُ بالنداء في الأسواق بالمُبادرة إليها، فمَنْ غَفَل عنها أو آشْتَغَلَ (في وَقْتِها) بمَعيشتِهِ عزّرَه تَعْزيراً شديداً »[4].

ولا شكَّ في أنّ آبنَ خلِّكانَ قد عَنَى بقولِهِ: « وهم على ذلك الطريق » (ولم يقُلْ على هذا الطريق)، الطريقَ المُخالف للطريقِ الذي آتَّبَعه الأميرُ أبو يوسف يعقوبُ.

والشَّطْحُ في آثارِ آبْنِ عربيٍّ كثيرٌ جدًّا، كقولِهِ مثلًا: الوَليُّ خيرٌ من النَبيِّ. أو كقولِهِ أيضاً: « من قال: « لا إلَهَ إلّا اللهُ فقدْ كَفَرَ » (وكانَ الواجبَ أنْ يقولَ: « لا موجودَ إلّا اللهُ »). وكُلّ هذا الشطح مُخالفٌ للإسلام ومخالفٌ للعقل والمنطق ومُفْسِدٌ للوازع الاجْتماعي (مُقْلِقٌ لاطمئنانِ الجماعات).

وكان آبن عربيٍّ مُصنِّفاً مُكْثِراً، قيل بلَغتْ تصانيفُه نَيّفاً وأرْبَعَمِائَةٍ (نفح الطيب ٢ : ١٧٧) أوْرَدَ آبنُ عبدِ المَلِك المراكشيُّ (ت ٧٠٣ هـ) عدداً كبيراً منها (الذيل والتكملة ٦ : ٤٩٤ - ٤٩٦). وأكثرُ عناوين هذهِ الكُتُب تَجْري مجرى الرمْز، منها: مِفتاح السعادة في المدخل إلى طريق الإرادة - الجَلا في آستنزال رُوحانيّاتِ الملأ الأعلى - كشف المُعَمّى عن سِرّ الأسماء الحُسنى - إنزال الغيوب على مراتب القلوب - مُشاهداتُ الأسرار القدسيّة - مِفتاح أقفال الإلهام الوحيد - الفُتوحاتُ

الأمر وأمر آخر يشبهه أو يقربه وورد فيه حكم في الكتاب أو في السنّة (هنالك شروط لهذه كلّها، راجع موجزاً لها في كتاب « فلسفة التشريع في الإسلام » للدكتور صبحي المحمصاني، بيروت - دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة مثلاً ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م، ص ١٤٤ - ١٨١).

(١) من المشتغلين بالأمور الشرعية.

(٢) على الاهتمام بآراء أصحاب المذاهب والأخذ بأحكامهم ومراعاة خلافاتهم.

(٣) ابن دحية: أبو الخطّاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي (ت ٦٣٣ هـ) محدّث فقيه ومؤرّخ وأديب كان كثير البحث في الخلاف الفقهي بين الأئمّة. وهو صاحب كتاب « المطرب » (راجع ترجمته في هذا الجزء). ثمّ يأتي أخوه أبو عمر عثمان بن الحسن بن دحية (ت ٦٣٤ هـ) - وكان أسنّ من أخيه أبي الخطّاب (راجع وفيات الأعيان ٣ : ٤٥٠).

(٤) عزّره: أدّبه، وبّخه وعاقبه عقاباً أقلّ من الحدّ الشرعي (أقلّ من القتل أو الجلد).

المكّية - القَسَمُ الإلَهيّ بالاسم الربّاني - الجداول والدوائر - تِسعةٌ وتِسعون[1] - ٱلْهُوَ (هُوَ مُحلّاةٌ بلامِ التعريف) - القديمُ - القِدَم - الرقيم - العَيْن - الرمز - كُنْ[2] - الثواني - الخزائن - النمـل - المُؤمن والمُسلم والمُحسن - الأنفاس والروائح - الأرواح - زيـادة الكبـد - العرش - الهبـاء - التِسْعَـةَ عَشَرَ[3] - الإنسان الكامل......

ويبدو بوضوحٍ أنّ مُحْيِيَ الدينِ بنَ عَرَبِيٍّ كانَ أكثرَ المتصوّفةِ المسلمينَ ٱطّلاعاً على أشياءَ من الفلسفةِ القديمةِ (اليونانيةِ خاصّةً). من أجل ذلك، فيما يبدو أيضاً، عُرِفَ بألقابٍ منها: الشيخُ الأكبر والكبريت الأحمر[4] وابن أفلاطونَ. غير أنّ الذي في آراء ٱبنِ عربي من الفلسفة القديمة إنما هو لفَتاتٌ على غيرِ مِنهاجٍ، فليس من المألوف في المتصوّفِ أن يَخُطَّ نهجاً واضحاً ثابتاً في شيءٍ من أمور الحياة.

وإذا كانت أشياءُ من فلسفةِ أفلاطونَ[5] قد أعْجَبَتِ ٱبنَ عربيٍّ فإنّ اتّجاهَه كان أكثرَ تأثّراً بآراء أفلوطينَ[6]. ومِنَ المنتَظَرِ أن يكونَ قد مالَ إلى شيءٍ من فلسفةِ

---

(١) تسعة وتسعون (أسماء الله الحسنى).

(٢) في القرآن الكريم: «إنّما أمره (أمر الله تعالى) إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون» (٣٦: ٨٢، يس؛ راجع ١٦: ٤٠، النحل؛ ١٩: ٣٥، مريم؛ ٦: ٧٣، الأنعام).

(٣) في القرآن الكريم: «وما أدراك ما سقر (جهنّم)؟ لا تبقي ولا تذر. لوّاحة للبشر، عليها تسعة عشر. وما جعلنا أصحاب النار (الموكّلين بجهنّم) إلّا ملائكة، وما جعلنا عدّتهم إلّا فتنة للذين كفروا (٧٤: ٢٧ - ٣١، المدّثّر).

(٤) الكبريت الأحمر معدن نادر (يقصدون: كان أمثال ابن عربيّ قليلين).

(٥) أفلاطون فيلسوف يونانيّ (ت ٣٤٧ ق.م.) كانت فلسفته مثالية نظريّة خيالية، وكان هو قديراً في الجدل المتسّق الذي لم يكن قد أصبح علماً هو المنطق. واعتقد أفلاطون أن جميع الأشياء الموجودة في عالمنا موجودة صورها (أو مثالاتها) في الملأ الأعلى (العالم الإلهي) وأن صورة الشيء يمكن أن تكون موجودة قائمة بنفسها غير متّصلة بمادة. واعتقد أن النفوس كلّها موجودة في الملأ الأعلى تتأمل في الله. فإذا غفلت نفس عن ذلك سقطت واتّصلت بجسد في الأرض حتّى تعاقب على خطيئتها في الملأ الأعلى. وأشهر كتب أفلاطون كتاب «السياسة» (بولوتيا) والناس يسمّونه «الجمهوريّة» (وذلك نقل لفظيّ خاطىء للكلمة اللاتينية: رِس بوبليكا (الشؤون العامّة).

(٦) أفلوطين (ت ٢٦٩ للميلاد) من أهل أسيوط (في مصر) تعلّم في الاسكندرية تلقّى مذهبه عن فيلون اليهوديّ (ت ٥٠ م.). وقد حرص فيلون على التوفيق بين التوراة والفلسفة اليونانية بأن فسّر قصص =

أرسطوطاليس[1] أيضاً، ولكنّ الغالبَ عليه أنّه كان يُلَفِّقُ بينَ الآراء: يأخُذُ ما يظُنُّ أنّه ينصرُ رأيَه هو ويُساعده على «أنْ يجعلَ مِنَ الإنسانِ كائناً قريباً من الملأ الأعلى»[2]، وهذا يَجِدُهُ ٱبنُ عَرَبيٍّ عندَ فلوطنَ (أو أفلوطينَ) أكثرَ مِمّا يَجِدُه عند أفلاطونَ، ثمّ هو لا يَجِدُ شيئاً منه عند أرسطو.

ومعَ كلِّ هذا التشويهِ الذي يُمْكِنُ أنْ يلحَقَ بالنُّظُمِ الفلسفيةِ حينما تَمُرُّ تلك النظُمُ - أوْ يُمرُّ عددٌ من أوْجُهها وآرائها في الخَيَال الصوفيّ - فإن هذا الاتّجاه المُشَوَّهَ قد لَقِيَ شيئاً من القَبولِ عند نَفَرٍ من المتصوّفة في الإسلام وعندَ نَفَرٍ من المفكرين في أوروبّةَ النَّصرانيةِ في العصورِ الوسطى ومَطْلَعِ العصورِ الحديثة[3].

٣ - مختارات من آثاره:

- مقاطعُ لمُحيي الدين بن عربيٍّ سليمةُ الظاهرِ والباطن: (نفح الطيب ٢ : ١٨٤):

يـا حبّـذا المسجـدُ من مسجـدٍ وحبّـذا الروضـةُ من مشهَـدِ[4].

التوراة وآراء التوراة تفسيراً رمزيّاً (حوّاء كناية عن الحسّ المادّي، والحيّة كناية عن اللذّة). وأفلوطين فعل في النصرانية ما كان فيلون قد فعله في اليهوديّة. وقال أفلوطين (توسيعاً لقول أفلاطون) إنّ العالم فاض من الله، ثم جعل المادّة تفيض من الله الذي هو روح حتّى يسوّغ القول بمجيء عيسى المسيح من الله (على مذهب النصارى في ذلك). وتكلّم أفلوطين على «الإشراق» (وصول المعرفة إلى الإنسان من الملأ الأعلى من غير حاجة إلى توسّط الحواس أو توسّط العقل الإنساني).

(١) أرسطوطاليس أو أرسطو (ت ٣٢٢ ق. م.) تلميذ أفلاطون ومخالف له في اتّجاهه الفلسفي. إنّ فلسفة أرسطو واقعية عملية مادّيّة. وأرسطو منظّم علم المنطق ومفرّع فنون المعرفة الانسانية (علم الحيوان - علم النفس - السياسة - الاخلاق، الخ). ثمّ هو يبحث في العالم الواقع لأنّ العقل الإنساني لا سلطة له على ما وراء الحسّ. وكلّ كائن مادّي في الحياة له سبب مادّيّ، ولا يفهم الوجود بغير ذلك. والمادّة عند أرسطو سابقة على كلّ شيء ..... والسياسة عنده واقعيّة: الغاية من الدولة أن يكون حكم الوالي على الرعيّة حكماً صالحاً جيلا، وبعدئذ فليسمّ الوالي حكمه ما شاء من الأسماء: ملكاً، جمهورية، استبداداً، سلطاناً عسكرياً).

(٢) الملأ الأعلى: العالم الإلهي.

(٣) راجع «تاريخ الفكر الأندلسي» (بالنثيا) ص ٣٧٩ - ٣٨٦.

(٤) المسجد = المسجد الحرام في مكّة المكرّمة. الروضة = المكان الذي فيه قبر رسول الله في المدينة. المشهد: المكان الذي يشهده (يحضر فيه) عدد كبير من الناس.

وحبّــذا طَيبــةٌ من بلــدةٍ فيها ضريحُ المُصطفى أحمدِ[1].
صلّــى عليــه اللهُ من سيِّــدٍ لولاه لم نُفلِــحْ ولم نهتَــدِ.
قــد قَرَنَ اللهُ بــه ذِكرَهُ في كُــلِّ يومٍ فاْعتَبِرْ تَرْشَدِ[2]
عَشْرٌ خَفِيّـــاتٌ، وعَشْرٌ إذا أُعْلِنَّ بالتــأذينِ في المسجــدِ[3].
فهـــذه عِشرونَ مَقْرونــةٌ بأفضــلِ الذِكرِ إلى المَوْعِــدِ[4].

★ قال الشيخُ سيدي محيي الدينِ بن عَرَبيّ، رَضِيَ اللهُ تعالى عنه: رأيتُ بعضَ الفقهاء في النوم- في رُؤياً طويلةٍ- فسألني: كيف حالُك مَعَ أهْلِكَ؟ فقُلْتُ (نفح الطيب ٢ : ١٦٧):

إذا رأتْ أهـلُ بيتي الكيسَ مُمْتَلِئاً تبسّمتْ ودَنَتْ منّي تُمازحني[5].
وإنْ رأتْــه خَلِيًّا من دراهِمِهِ، تجهّمتْ وآنْثَنَتْ عنّي تُقابحني[6].

فقال لي: صدقت! كلّنا ذلك الرجل.

★ إذا حـــلّ ذِكرُكُمْ خاطري فَرَشْتُ خدودي مكانَ التُّراب[7].
وأقعَــدَني الــذُّلّ عــلى بابكم قُعودَ الأسارى لضَرْبِ الرِّقاب[8].

---

(١) طيبة = المدينة المنوّرة. أحمد = محمّد رسول الله.
(٢) به (بالله)، ذكره (ذكر محمّد رسول الله). في كلّ يوم (في الآذان وفي إقامة الصلاة). اعتبر الرجل بأمر (وجد فيه عبرة، حكمة، مغزى). واعتبر (هنا): فكّر في الأمر. رشد (بفتح فكسر) يرشد (بفتح فسكون ففتح): بلغ الرشد وكان ناضج الحكم. قرن الله به ذكره (قد جمع في الآذان وإقامة الصلاة بين اسم الله تعالى واسم محمّد رسول الله: أشهد أن لا آله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله).
(٣) عشر (لأنّ كلّ واحدة تقال خمس مرّات في اليوم - في النهار والليل - وتكرّر في كلّ مرّة دفعتين). خفيّات (في إقامة الصلاة لأنّها تقال في قلب المسجد أو في بيت الرجل المصلّي) وعشر معلنة (لأنّها تقال من رؤوس المآذن ليسمعها جميع الناس).
(٤) أفضل الذكر (ذكر الله تعالى). إلى الموعد (إلى يوم القيامة).
(٥) الأهل: الزوج (المرأة - لأنّ الزوج تقال على الرجل والمرأة)، ولذلك قال الشاعر إذا «رأت» أهل بيتي. الكيس (كيس المال).
(٦) تجهّم وجه الرجل: عبس، أظهر التكرّه. انثنت: مالت عنّي، ابتعدت. قابح فلان فلاناً: شاتمه (سابّه: قابله بالشتم والسبّ ونسب إليه أحوالاً ساقطة).
(٧) ذكركم (ذكر الله). فرشت خدودي مكان التراب (تذلّلا لله). قعود الأسارى.... (بخضوع وذلّة) - في هذين البيتين معنى صوفي في التوجّه إلى الله تعالى.

★ ليـــتَ شِعري هـــل دَرَوْا أيَّ قَلْـــــــبٍ ملَكوا،
وفُــؤادي لـــو دَرَى أيَّ شِعْـــبٍ سلَـكـوا[1]؟
أتَـــراهُـم سَـلِـموا أمْ تَـراهُــمْ هلَـكوا؟
حــارَ أربـــابُ الهوى في الهـوى وارْتَـبَـكوا.

- من كتاب «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» (١ : ٥ - ٦):

أمّا بعدُ، فإنّي أودعتُ في هذا الكتابِ الذي سَمّيته «مُحاضرةَ الأبرار ومُسامرةَ الأخيار» ضُروباً من الآداب وفُنوناً من المواعظِ والأمثالِ والحِكاياتِ النادرةِ والأخبارِ السائرة وسِيَر[2] الأوّلِينَ من الأنبياء - صَلَواتُ اللهِ وسَلامُه عليهم - والأممِ وأخبارِ ملوكِ العربِ والعَجَمِ ومكارمِ الأخلاق وعجائبِ الاتّفاقِ وما رَوَيْناه من الأحاديثِ النَبَوِيّةِ في ٱبتداءِ الأمر وإنشاء العالم[3] وما أوْدَعَ اللهُ من عجائبِ الصُّنع وبدائعِ الحِكمة وحكاياتٍ مُضحكةٍ مُسلّيةٍ - ما لم تكُنْ مُفسدةً - مِمّا تستريحُ النفوسُ إليها عند إيرادها مِمّا لا أجرَ فيه ولا وِزْرَ[4].

ونزّهتُ كتابي هذا عن كلّ هجاءٍ ومَثْلَبَةٍ، وضَمّنتُه كلَّ ثناءٍ ومَنْقَبَة[5]. وإذا كانتِ الحكاياتُ المُضحكة في رجلٍ مُعْتَبَرٍ مشهورٍ من أهل الدين أو العلم لِهَفْوَةٍ صَدَرَتْ منه ضَحِكَ لها الحاضرون، أو فِعلةٍ بدت منهم[6] من غير قصد منه إليها فأذكُرُها لِمَا فيها من الراحةِ للنفس ولا أُسَمّي الشخصَ الذي ظهرَ عليه ذلك حتى تَتَوَفَّرَ حُرمتُه ولا تزدري لقدره[7] من بعدِ شُهرتهِ وتعظيمه.

---

(١) الشعب (بالكسر): الفرع من الطريق.
(٢) السيرة: تاريخ لحياة شخص واحد.
(٣) ابتداء الأمر (أمر الله بوجود العالم) وإنشاء العالم (خلقه).
(٤) ..... مّما تسرّ به النفس من الأعمال المباحة التي لا أجر (ثواب في الآخرة عليها) ولا وزر (ذنب يقتضي عقاباً في الآخرة) فيه.
(٥) المثلبة: العيب. المنقبة: الفعل الكريم، المفخرة.
(٦) «منهم» لا حاجة إليها.
(٧) ولا تزدري (تحتقر) لقدره اقرأ: ولا يزدرى (بالبناء للمجهول) قدره.... أو: لا تزدري أنت قدره.

- ومن كتاب « محاضرة الأبرار » (٥: ١١ - ١٤):

وكلُّ ما سطَرتُه في كتابي هذا، فمنه ما شاهَدتُه أوْ حَدَّثني به مَنْ شاهدَهُ، ومنه ما نقلتُه من كُتُبٍ مشهورةٍ رَوَيْتُها سَماعاً أو مُداولةً أو كِتابةً[١]، مثلَ: كتابِ « الإمتاع والمؤانسة » للفاضلِ الأديبِ النحريرِ أبي حَيّانَ التَّوْحيديّ[٢]، رَحِمَهُ الله......، وجعلتُهُ مجالسَ[٣]

وقد قدّمتُ في صدرِ هذا الكتابِ أسانيدَ[٤] إلى الذين أقولُ عنهم، ورَوَيْنا من حديثِ فلان متّصلاً[٥]. وقد أسوقُ إسنادَ ذلك المذكورِ إلى الخَبَر، وقد لا أسوقُه، على حَسْبِ ما يتّفق. وأوْدَعْتُهُ أيضاً مّما لنا من منظومٍ في فنونٍ مختلفةٍ من أدبٍ ونَسيبٍ ومَعْرِفَةٍ وحِكمة ومُفاخرةٍ بِحَسَبٍ[٦] وحماسةٍ[٧]، وغيرِ ذلك، ممّا تَقِفُ عليه - إنْ شاء الله تعالى - واللهُ أعلمُ وبهِ نستعين.

..... وإذا قُلتُ: رَوَيْنا من حديثِ ابنِ هِشامٍ[٨]، فَهُوَ ما حدَّثَنا به عبدُ الواحدِ ابنُ إسماعيلَ عن أبي حفصٍ عُمَرَ بن عبدِ الحميدِ بنِ عمرَ بنِ الحُسينِ بنِ عُمَرَ بنِ أحمدَ القُرَشِيّ الدّارميُّ ثمّ الرِياشيّ إجازة[٩]، قال: حَدَّثَنا أبو محمدٍ عبدُ المُعطي بنُ المسافرِ

---

(١) سماعاً: اصغاء إلى متكلّم. مداولة: مبادلة للحديث ومناقشة. كتابة: استملاء (تدوين النصوص والآراء المسموعة).

(٢) أبو حيّان عليّ بن محمّد التوحيدي (ت نحو ٤٠٠ هـ) أديب واسع المعرفة ومفكّر. والباقي لنا من كتبه يدّل على مقدرة في الفلسفة والعلم والأدب وفي فنون التحديث في المجالس.

(٣) المجالس (هنا) جمع مجلس: مقدار من الزمن يجتمع فيه الناس لتداول أمر من الأمور.

(٤) الاسناد: السلسلة من الأشخاص المتوالين في الزمن والذين نقلوا لنا الخبر عن قائله الأوّل.

(٥) الحديث المتّصل: ما كان اسناده متّصلاً لا فرق كبيراً في الزمن بين ناقل وناقل عنه (يجب أن يكون كلّ ناقل قد اتّصل بالذي نقل عنه).

(٦) الحسب: العمل الشريف.

(٧) الحماسة: الشجاعة والحرب.

(٨) ابن هشام هو الذي سيأتي في آخر هذا الحديث. وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (بكسر الحاء وسكون الميم) المعافري (ت ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م) كان عالماً بالأنساب واللغة وبأخبار العرب، ولد في البصرة ونشأ فيها ثمّ سكن مصر وتوفّي فيها.

(٩) إجازة (إفادة، شهادة): السماح لطالب العلم أن يروي ما تلقّاه عن شيخه (استاذه).

بالإسكندرية قال: ثنا[١] أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الحبّالُ، أنبا[٢] أبو محمّدٍ عبدُ الرحمن بنُ عُمَرَ النحّاسُ، أنبا عبدُ الله بنُ جعفرِ بنِ الورديِّ عنْ أبي مُحمّدٍ عبدِ الرحيم بنِ عبد الله البَرْقيِّ[٣] عنْ أبي محمّدٍ عبدِ الملكِ بن هِشام .....

- قِصّةٌ آتّفقت لابنِ عربيٍّ نفسِه (محاضرة الأبرار ١: ٣٠٨ - ٣٠٩):

... آتّفق في بَلَدنا، بإشبيلية (أنْ) كان عِندَنا رجلٌ من سَفَلَةِ الناس يقال[٤] له جُمعةُ يَبيعُ الخُبز. وكان يتحاكَمُ إليه أطرافُ الناس[٥]..... آختصم إليه مرّةً، في إشبيليةَ، رجلٌ طباخٌ يطلُبُ حَقّ إدامِه[٦] من رجلٍ آخرَ. فقال (جمعة للطباخ) فكيف تُرتِّبُ لي[٧] ما تدّعيه على هذا الرجل؟ فقال: إنّي رجُلٌ طبّاخٌ أبيعُ في الدُّكّان ما أطبُخه. فجاء هذا الرجل وبيده قُرصةٌ[٨] من خُبز ، فجعل يأخُذ اللُّقمةَ ويَعْرِضها على بُخار القِدْر الصاعدِ ويأكلُ حتّى فَرَغَتْ[٩] . فطلبتُ منه حَقَّ بُخارِ القدر. فقال جُمعةُ (للرجل الآخَرِ): وَجَبَ عليك (الثمنُ)، يا هذا. أعِنْدَكَ قطعةُ فِضّة[١٠]؟ قال: نعمْ (ثمّ) أخرج المُدَّعَى عليه قِطعةَ فضّةٍ. فقال جُمعةُ للطبّاخ: أَصْغِ بأُذُنِك. ورمى القطعةَ على الحَجَر[١١] فَسُمِعَ لها طنينٌ. فقال: يا طبّاخُ، خُذْ هذا الطنينَ في حقّ بُخارِك، ورُدَّ القطعةَ الفِضّةَ لِخَصْمِك[١٢]. فقال الطبّاخُ: ما نَقَصَهُ شيءٌ. فقال جُمعةُ: ولا (هو) أخَذَ من قِدْرِكَ شيئاً.

---

(١) ثنا = حدّثنا (هكذا تكتب اختصاراً).

(٢) أنبا = أنبأنا، أخبرنا (هكذا تكتبان اختصاراً).

(٣) البرقي (برقة بلدة في فارس). وهنالك أيضاً مقاطعة «برقة» (شرقيّ ليبيا اليوم).

(٤) سفلة الناس = أراذلهم من الذين لا يريدون أن يحملوا تبعة في الحياة.

(٥) أطراف الناس (يبدو أن لكلمة «أطراف» معنيين»: الأشراف من الآباء والأمهات ثم البعيدين عن مجتمع القوم، أولئك الذين لا قيمة لهم في المجتمع الذي يعيشون فيه).

(٦) الادام (بالكسر): ما يأتدم بـه: يغمس به الآكل قطعة الخبز).

(٧) كيف ترتّب لي ذلك = كيف تعرض أمرك عليّ وتفهمني إياه.

(٨) القرصة (الرغيف).

(٩) فرغ (بفتح ففتح): انتهى، تلاشى. فرغ (بفتح فكسر): خلا من الأشياء التي كانت فيه .

(١٠) قطعة فضّة: قطعة من العملة الفضّية.

(١١) على الحجر (على الأرض القاسية، أو على صخر، الخ).

(١٢) تناول القطعة من الأرض ثم ردّها إلى الزبون الذي تنازعه.

٤- التعريفات[1] (فلوغل)، ليبزج (فوغل) ١٨٤٥ م.
- فصوص الحكم، الاستانة ١٢٥٣؛ مصر (مطبعة الترجمان والمطبعة الشرفية) ١٣٠٤ هـ؛ ١٣٢٣ هـ.
- ديوان (ابن عربي)، القاهرة (دار الطباعة الباهرة) ١٢٧١ هـ؛ نسخة مصورة بالأوفست (بلا مكان طبع ولا تاريخ).
- ردّ معاني الآيات المتشابهة إلى معاني الآيات المحكمة، بيروت (نادي الكتب العربية) ١٩١١ م.
- شجرة الكون، بولاق ١٢٩٢ هـ.
- ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق (في مجموعة: التحفة البهيّة)، الآستانة (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م.
- الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل الطريق من الشروط (في مجموعة التحفة البهيّة)، الاستانة (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م.
- قصيدة المعشّرة (وشرحها: مأوى الرغائب في مجد النصائح للشيخ عثمان عبد المنّان)، الاستانة ١٣٠٦ هـ.
- مجموع الرسائل الآلهية، مصر، مصر ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧ م.
- مجموع رسائل: الرسالة الآلهية - القدسية - الاتحادية - السريانية - المشهدية - الفردوسية - العذريّة - الوجوديّة، القاهرة (مطبعة كردستان) ١٣٢٨ هـ.
- تاج الرسائل ومنهاج الوسائل في إيضاح المعاني الآلهية المودعة في المعاني الروحية (في مجموع)، القاهرة (مطبعة كردستان) ١٣٢٨ هـ.
- الأخلاق، القاهرة (مطبعة التقدّم) بلا تاريخ.
- الدور الأعلى (في مجموع الهي؟) القاهرة ١٢٨٢ هـ.
- الوصايا، بيروت (مؤسسّة الأعلمي للمطبوعات) بلا تاريخ.
- رسائل محيي الدين بن عربي، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٨ م.
- العقيدة النظامية (محمّد زاهد الكوثري)، القاهرة (مطبعة الأنوار) ١٩٤٨ م.
- مجموعة ساعة الخبر[2] (عليّ محمد الضباع)، القاهرة (مصطفى البابي الحلبي) ١٩٤٩ م.
- العواصم من القواصم (محبّ الدين الخطيب)، القاهرة (لجنة الشباب المسلم) ١٣٧١ هـ.
- أحكام القرآ· (عليّ محمّد البجاوي)، القاهرة (البابي) ١٩٥٧ - ١٩٥٨.

---

(١) الكتب الواردة هنا لم ترد في ترجمة ابن عربي في الجزء الثالث.
(٢) في التنجيم.

- ترجمان الأشواق (حرّره نكلسن)، لندن ١٩١١ م؛ بيروت (دار صادر) ١٩٦١ م ثم ١٩٦٦ م.
- تفسير القرآن الكريم، القاهرة (بولاق) ١٢٨٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٧ هـ؛ بيروت (دار اليقظة العربية) ١٩٦٨ م.
- محاضرات الأبرار، بيروت (دار اليقظة العربية) ١٩٦٨ م.
- رسالة القدس أو روح القدس (عزّة حصرية)، دمشق (مطبعة العلم)، ١٩٦٤ و١٩٧٠ م.
- الفتوحات المكيّة (عثمان يحيى)، القاهرة (الهيئة العامّة المصرية للكتاب) ١٩٧٢ - ١٩٧٨.

★ -الفتح المبين في ردّ اعتراض المعترض على محي الدين، تأليف عمر العطّار الدمشقي، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ.
- تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي: تحذير العباد من أهل العناد، تأليف برهان الدين البقاعي[1].
- شروح رسالة الشيخ أرسلان في علوم التوحيد والتصوّف، تأليف وتحقيق[2] عزّة حصريّة، دمشق (مطبعة العلم) ١٩٦٥.
- ابن عربي: حياته ومذهبه، تأليف ميغيل آسين بلاثيوس (ترجمة عبد الرحمن بدويّ)، القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية) ١٩٦٥ م.
- فهرست مؤلفات محي الدين بن عربي، عُني بجمعه كوركيس عوّاد[3].

التكملة (رقم ٦٥٢)؛ الذيل والتكملة ٦: ٤٩٣ - ٤٩٨؛ عنوان الدراية ١٥٨ - ١٦٠؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣: ٧٠٧ - ٧١١؛ الأعلام للزركلي (٦: ٢٨١ - ٢٨٢)؛ سركيس ١٧٥ - ١٧٩؛ بالنثيا ٣٧١ - ٣٨٦، ثم في أماكن أخرى (راجع الفهرس الهجائي) فيها أشياء مفيدة؛ نيكل ٣٥١ - ٣٥٢؛ مختارات نيكل ١٧٢ - ١٧٣؛ سركيس ١٧٥ - ١٨٠.

سهل بن محمّد الأزدي الغرناطي

١ - هو أبو الحسنِ سَهْلُ بنُ (الحاجّ أبي عبدِ الله) محمّدِ بنِ سَهْلِ بنِ مالكِ الأزديُّ

---

(١) تحقيق وتعليق عبد الرحمن الوكيل (راجع نقده في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣١: ١٣٠).

(٢) كذا على غلاف الكتاب. ويبدو أن الكتاب رسالة جامعية (؟) يمتزج فيها التأليف بالنصوص.

(٣) راجع مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣٠: ٥١.

الغَرْناطيّ[1]، وُلِدَ بغَرناطةَ سَنَةَ ٥٥٩ للهجرة (١١٦٣ - ١١٦٤ م) وتَلَقّى العِلْمَ على نفرٍ كثيرين[2] منهم في (غَرناطة): خالُه أبو عبد اللهِ بنُ عروسٍ وأبو محمّدٍ عبدُ المُنْعم ابن الفَرَس (٥٢٤ - ٥٩٩ هـ) و(في مالَقَة) أبو القاسم السُّهيلي (ت ٥٨١ هـ) وعليُّ بنُ ابراهيمَ بنِ الفَخّار (ت ٦٤١ هـ) وأبو القاسم بن حُبيش و(في إشبيلية) أبو بكر بن الجَدّ وأبو عبدِ الله بن زَرْقونٍ (ت ٥٨٦ هـ). ثمّ إنّه تصدّر للإقراء في غَرناطةَ وإشبيليةَ ثمّ في مُرسيةَ أيّامَ مَنفاهُ فيها![3]. وكانتْ وفاتُه في مُنتَصف ذي القَعْدة من سَنَةِ ٦٣٩ (١٢٤٢/٥/١٧ م).

٢ - كان سهلُ بنُ محمّدٍ الأزديُّ الغَرناطيُّ بارعاً في عددٍ من فنونِ المعرفة: القراءاتِ والحديثِ والفِقْهِ واللُّغة والنحو والأدب، وكان له نظمٌ ونثرٌ وترسُّلٌ وخُطَب. وكان مُصنِّفاً، له كتابٌ في العربية (النحو) مُرتّبٌ على نَسَقِ كتاب سِيبَوَيْهِ[4] (ولكن لم يُتِمَّه) ثمّ له تعاليقُ على كتاب المُستصفى في أُصول الفِقه (للغزّاليّ المتوفّى سنة ٥٠٥ هـ).

٣ - مختارات من شعره:

- قال سهل بن محمّد الأزدي الغرناطي في أخلاق الناس:

نهـارُك في بحرِ السفاهةِ تسبَحُ، وليلُـك عن نَوْم الرفاهةِ يصبح[5].

---

(١) هذا النسب مأخوذ من برنامج الرعيني (ص ٥٩) لأنّ الرعيني تلميذه. وفي التكملة والذيل (٤: ١٠١): سهل بن أحمد بن سهل بن أحمد بن مالك...

(٢) راجع أسماء شيوخ الرعيني والمعارف التي كانوا يقرئونها في برنامج شيوخ الرعيني وفي الذيل والتكملة.

(٣) نفي من غرناطة إلى مرسية، في أيام المتوكّل بن هود المستبد بجنوب الأندلس (٦٢١ - ٦٣٥ هـ) قبل بني الأحمر.

(٤) هو سيبويه عمرو بن عثمان (نحو ١٤٠ - ١٨٠ هـ) إمام النحاة المصريين، له كتاب في النحو جامع مشهور جيّد يعرف بكتاب سيبويه أو بالكتاب فقط.

(٥) نهارك (بالنصب) ظرف مفعول فيه، أي «تبقى طول نهارك». وليلك مثلها. يصبح: يدخل في الصباح - إذا ذهب الليل وطلع الصبح كنت قد نمت نوماً هادئاً هانئاً.

وفي لَفْظِكَ الدَّعْوَى، وليسَ إزاءَها من العَمَلِ الزاكي دليلٌ مُصَحِّحُ[١].
إذا لم تُوافِق قَوْلةً منك فَعلةٌ، ففي كلّ جُزْءٍ من حديثِك تُفضَحُ.
تَنَحَّ عن الغاياتِ، لست بأهلها. طريقُ الهُوينا في سُلوكِكَ أوضَحُ[٢].
إذا كُنتَ في سِنِّ النُّهى[٣] غيرَ صالحٍ، ففي أيِّ سنٍّ بعدَ ذلك تصلُحُ؟

- وقال في الاضطراب والاطمئنان:

مُنَغَّصُ العيشِ لا يأوي إلى دَعَةٍ من كان ذا بلدٍ أو كان ذا وَلَدِ[٤].
والساكِنُ النفسِ من لم تَرْضَ هِمَّتُه سُكنى مكانٍ ولم يركَنْ إلى أحدِ[٥]!

- وله في الحماسة (وصف صلابة نفسه): من «برنامج الرعيني»:

أُدافِعُ هَمّي عنْ جوانبِ هِمّتي، وتأبى همومُ العارفينَ على الدفع[٦].
وأَلْتَمِسُ العُتْبى وحيداً، وعاتِبي وصَرفُ الليالي والحوادثُ في جَمْع[٧].
وإنّيَ - من عَزْمي وحَزْمي وهِمّتي وما رُزِقَتْهُ النفسُ من كَرَمِ الطبع -
لَفي مَنْصِبٍ تعلو السماءَ سِماتُه فتَثْبُتُ نوراً في كواكِبها السَّبْع[٨].

---

(١) الدعوى: الادّعاء (ادّعاء المرء ما ليس فيه). إزاءها: إلى جانبها، معها. الزاكي: الطاهر، الصالح. مصحّح: صحيح (مؤيّد بأفعالك الصالحة الدالّة على كلامك وادّعائك).

(٢) تنحّ: ابتعد، اترك. الغاية: علامة منصوبة يستبق الناس (يسابق الناس بعضهم بعضاً في الوصول) إليها. بأهلها = بأهل لها (لا تليق بك لأنّك غير قادر عليها). الهوينا: التأنّي والبطء. - إنّ الذي يراقبك يدرك أنّك تفضّل الحياة التي لا كفاح فيها.

(٣) النهى: العقل.

(٤) - (اجمل الشطر الثاني في اجتلاء المعنى قبل الشطر الأوّل). من كان ذا بلد (صاحب دار أو بيت) البلد: الدار (لفظة يمانية، تاج العروس، الكويت ٧: ٤٤٤). وسهل بن محمّد أزديّ (أصله من أزد اليمن). - من كان ذا بلد وذا ولد (يحمل تبعة).

(٥) - من أراد أن يعيش هادئاً فلا يسكن في مكان لا يثق بأحد من أهله.

(٦) - أحاول أن أبعد الهموم عنّي، ولكن علمي العميق بحقائق الحياة لا يمكّنني من نسيان تلك الهموم.

(٧) العتبى: الرضا، وإرضاء العاتب (اللائم، المنتقد). - المصائب والأحداث تسوّغ أن يظلّ العاتب عاتباً.

(٨) سماته (؟) لعلّها جمع سمة (بكسر ففتح): علامة (صفة، فضيلة). - فضلي يخلع نوراً على النجوم.

غلا صَرْفُ دهري إذ علا، فإذا به تُرابٌ لِنعلِي أو غبارٌ على شَسْعي[1].
تدرّعتُ بالصبر الجميل - وأجْلَبَتْ صُروفُ الليالي كَيْ تُمَزِّقَ من دِرْعي -
فما مَلأتْ قلبي ولا قَبَضَتْ يدي ولا نَحَتَتْ أصْلي ولا هَصَرَتْ فَرْعي[2].
فإن عَرَضَتْ لي لا يَفوهُ بها فَمي، وإن رَجَعَتْ لي لا يَضيقُ بها ذَرْعي[3].

- وقال يصف شمعة:

ولا مِثْلَ يومٍ قد نَعِمنا بحُسنه، مُذَهّبِ أثناء المُروجِ صَقيلِ[4]،
إلى أن بَدَتْ شمسُ النهار تَرُوعُنا بسيرٍ صحيحٍ واصفرارٍ عليلِ[5].
ولَمّا توارتْ شمسُه بحِجابِها، وآذَنَ باقي نورِها برَحيلِ[6]،
وغابتْ فكان الأُفْقُ عند مَغيبها كَقَلْبِيَ مُسْوَدًّا لفَقْدِ خليلِ،
أتانا بها صفراءَ يسطَعُ نورُها فمَزّقَ سِربالَ الدُجى بفَتيلِ[7].
فرَدّتْ علينا شَمْسَنا وأصيلَنا بمُشْبِهِ شمسٍ في شَبيهِ أصيلِ[8]!

---

(١) - لمّا عظمت مصائب دهري عليّ غلت (أفرطت، بالغت في محاولة إذلالي فلم تنل منّي غايتها). الشسع: سير تربط به النعل.

(٢) ملأت قلبي: أخافتني. قبضت يدي: منعتني التصرّف العاقل في الأمور. نحتت أصلي: عابتني، نقصت من شرفي. هصرت (خفضت) فرعي (غصني): لم تذلّني، لم تخضعني لعلّها: نحت أثلي (الأثل نوع من الشجر). وفي القاموس (٣: ٣٢٧): وهو ينحت في أثلتنا (يطعن في حسبنا).

(٣) - لا أشكو منها ولا يضيق ذرعي (صدري): أغضب.

(٤) - لم نسرّ بحسن يوم من قبل كما سررنا بيومنا هذا. أثناء المروج: صفوف النبات فيها (؟). مذهّبة (بالزهر أو بنور الشمس!).

(٥) راعه: أعجبه مع شيء من الهيبة والخوف. - تسير في الفلك كالرجل الصحيح (مستقيمة السير دائبة) ولكن كالرجل العليل (صفراء اللون) - لعلّ ذلك كان في أوائل الربيع!

(٦) توارت بالحجاب: غابت، اقتباس من «حتّى توارت بالحجاب» (٣٨: ٣٢ سورة ص). آذن به: أعلم (أوشك، اقترب). باقي نورها: الشفق (اللون الباقي على الأفق الغربي بعد غياب الشمس).

(٧) بها (بشمعة). سربال: ثوب. فتيل: خيط مفتول يكون في الشمعة وتضاء بوساطته.

(٨) ردّت شمسنا: أضاءت لنا (في الليل). أصيلنا (الوقت بين الظهر والمغرب)، أي جعلت النور في الليل مثله قرب الغروب لا عند الظهر (كان ضوؤها قليلاً). في شبيه أصيل: لون الشمعة كان أصفر مثل لون الجوّ عند الأصيل .

- وله أيضاً (نفح الطيب ٣: ٦٠٠ - ٦٠١):

ورُبَّ يومٍ وَرَدْنا فيه كلَّ مُنًى، وقَلَّ في مِثْلِ ذاك اليومِ أن نَرِدا[٣]،
في رَوْضَتَيْنِ بِشَطَّيْ سَلْسَلٍ شَبِمٍ كما اجْتَلَبْتَ مِنَ المحبوبِ مُفْتَقَدا[٤].
يُبَدِّدُ القَطْرُ في أثْنائِهِ حَلَقاً فتَنْظِمُ الريحُ منها فوقَه زَرَدا[٥].

- ويُروى له (المغرب ٢: ١٠٥):

كُلُّ وَجْدٍ سَمِعْتُمُ دُونَ وَجْدي لأصيلٍ يَفوتُ طَرْفي بنَجْدِ[٦]،
حيثُ جَرَّرْتُ ذَيْلَ كلِّ مُجونٍ بَيْنَ حُورٍ تَميسُ فيه ورَنْدِ[٧]،
وسَواقٍ كأنّهنّ سُيوفٌ جُرِّدَتْ في الرِياضِ من كُلِّ غِمْدِ.

- (من نفح الطيب ٧: ٩ - ١٠)[٨]:

قال ابنُ سعيدٍ[٩]: سَمِعْتُ أبا الحَسَنِ سهلَ بنَ مالكٍ يقولُ: إنّه دَخَلَ على ابنِ زُهْرٍ[١٠]، وقد أسنَّ (ابنُ زهر) وعليه زيُّ البادية - إذ كان يسكُنُ بحُصْنِ سَبْتَةَ - فجَلَسَ حيثُ انتهى به المَجْلسُ. وجرَّتِ المُحاضرةُ أن أنشَدَ (أبو الحسن سهلُ بن مالك) مُوشحةً وَقَعَ فيها:

---

(٣) المنية: المشتهى، الغاية. ورد: شرب (تمتّع).

(٤) السلسل: الماء العذب (الخفيف) الذي يمرّ في الحلق بسهولة. شبم: بارد. - كما لو رجع إليك محبوبك الذي كان قد هجرك.

(٥) القطر: المطر. في أثنائه: في أثناء النهر. - يجري النهر فيندفع ماؤه في شبه حلقات متفرّقة، فإذا هبّت الريح على النهر قرّبت بعض تلك الحلقات من بعض فتبدو كأنّها زرد درع.

(٦) وجد: حبّ، شوق. دون: تحت (أقلّ) لأصيل.... إلخ (؟).

(٧) تمتّعت بكلّ لهو. الحور جمع حوراء: بيضاء (امرأة جميلة). الرند شجر طيّب الرائحة. ماس: تمايل. ويجوز: الحور (بالفتح): نوع من الشجر الكبير العالي.

(٨) يبدو المقطع التالي وكأنّه غريب عن حياة صاحب الترجمة، ولكنّه يوافق أحداث حياة صاحب الترجمة في المكان والزمان والاسم. فيحسن التفطّن إلى ذلك.

(٩) ابن سعيد = علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد (ت ٦٨٥ هـ) أحد مؤلّفي كتاب «المغرب في حلى المغرب».

(١٠) ابن زهر = أبو بكر محمّد بن عبد الملك بن زهر (ت ٥٩٥ هـ) طبيب موفّق وشاعر مجيد ووشّاح بارع.

كُحْلُ الدُّجى يجري من مُقْلَةِ النَّهْرِ على الصباحْ،
ومِعْصَمُ النهر في حُلَلٍ خُضْرٍ من البِطاحْ.

فتحرّكَ ابنُ زُهرٍ وقال: أنتَ تقولُ هذا؟ قال: اخْتَبِرْ. قال (ابن زهر): ومَنْ تكونُ؟ فأخْبَرَهُ فقال (ابن زهر): ارْتَفِعْ، فواللهِ، ما عَرَفْتُكَ......

(ومِمّن اشتهرِ بالتوشيح) أبو الحسن سَهْلُ بنُ مالكٍ بغَرْناطةَ. قال ابنُ سعيدٍ: كان والدي يُعْجَبُ بقولِه:

إنّ سَيْلَ الصَّباحِ في الشَّرْقِ عادَ بَحْراً في أجْمَعِ الأُفُقِ[1]
فتداعَتْ نوادِبُ الوُرْقِ[2] أتَراها خافَتْ مِنَ الغَرَقِ
فبَكَتْ سَحْرَةً على الوَرَقِ[3]!

٤ - ** زاد المسافر ٩٦ - ٩٧ (رقم ٢٣): برنامج الرعيني ٥٩ - ٦٣؛ المغرب ٢: ١٠٥؛ الذيل والتكملة ٤: ٢٢٩ (ص ١٠١ - ١٢٤)؛ الديباج المذهب ١٢٥؛ بغية الوعاة ٢٦٤ - ٢٦٥؛ نفح الطيب ٢: ١١٢، ٣: ١٩٣، ٣٧٢، ٦٠٠ - ٦٠١، ٤: ٨، ٣١١، ٧: ٩ - ١٠، الأعلام للزركلي (٣: ١٤٣).

أبو بكر بن قسُّوم

١ - هو أبو بكرٍ محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ بن إبراهيمَ بنِ عبدِ الله بن قسُّوم[1] بنِ أُصبغَ بنِ مهني

(١) سيل الصباح: عمود النور الذي يرى فوق الأفق الشرقي بعد الفجر. عاد بحراً: انتشر.

(٢) تداعت: دعا بعضها بعضاً. النوادب جمع نادبة (اشتهر صوت الحمام بأنّه يوحي بالفرح والحزن في وقت واحد). الوُرْقُ جمع ورقاء: الحمامة.

(٣) سحرةً: في الصباح الباكر. على الوَرَق: على الأغصان (المكتسية بالورق).

(١) لعلّ «قسّوم» تصغير «قاسم». «مهني» ضبطت بفتح فسكون ثمّ كسرة من غير شدّة على الياء (برنامج الرعيني ٩٢). وضبطت في الذيل والتكملة (٦: ٢٤٣) «بضمّ الميم وبفتحة حائرة بين الهاء والنون وبألف مقصورة: بياء بلا نقطتين). وفي تاج العروس (الكويت ١: ٥١٤): المهنّأ (بضمّ ففتح ففتح على نون مشدّدة ثمّ همزة) اسم رجل.

الأندلسيّ اللخميُّ الإشبيليّ، وُلدَ لثلاثَ عَشْرَةَ ليلةً خلَتْ من رَجَبَ سَنَة ٥٦٣[١] (١١٦٨/٤/٢٥ م).

روى أبو بكرِ بنُ قسومٍ عن نفرٍ من العُلماء منهم ٱبْنُ عِمرانَ المارتلّي (ت ٦٠٤ هـ؛ راجع ترجمته)، لازَمَهُ مُدةً طويلةً وأخذَ عنه طريقةَ التصوّف. ثمّ كان منهم: أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمّدِ بنِ ملكونٍ الحَضْرَميّ الإشبيلي النَّحْويّ (ت ٥٨١ هـ) والحافظُ أبو بكرٍ بنُ الجَدّ، وقد أجاز له؛ ومنهم أيضاً أبو العبّاس بن سيد، وكان كثيرَ الرِواية عنه ثمّ أبو إسحاقَ بنُ أحمدَ بنِ سيّدِ أبيه[٢].

ودخل أبو بكرِ بنُ قسُّومٍ - في أوّل أمرهِ - في خِدمةِ أحدِ أمراءِ وقتهِ ونال مَعَه دنياً واسعةً وجاهاً عريضاً. ثمّ إنّه زَهِدَ وترك ذلك كلَّه وٱشتغلَ مُدّةً بإقراء القُرآنِ ونَسْخِ المصاحف. ثمّ كُـفَّ بصرُه في آخرِ عُمُرِه. وكانتْ وفاتُه في رابعِ ذي الحِجّة من سَنَةِ ٦٣٩ (١٢٤٢/٦/٦ م).

٢ - كان أبو بكرِ بنُ قسّومٍ وَرِعاً زاهداً، وقدِ ٱشتهرَ بذلك. وكذلك كان يقضي كثيراً من أيّامه صائماً معَ الإقلال من الطعام. وهُوَ أديبٌ بارع وناظمٌ وناثر، سهلُ اللغةِ واضحُ المعاني قليلُ التكلّف، ولكنّ أكثرَ معانيهِ مأخوذٌ من الأمثال ومن الأشعار.

من ذلك مثلاً »:

قـد قُلتُ قولاً للخليفةِ ناصحاً   قولَ المُحقّقِ والنصيحِ المُشْفِقِ:
لا تَصْحَبَنْ، ما عِشتَ، قارىءَ مَنْطِقٍ؛   « إنّ البـلاءَ مَوكَّـلٌ بالمنطقِ ».

وكذلك قولُه :

(١) في برنامج الرعيني (ص ٩٣): ثلاثة (!) وخمسون وخمسمائة.

(٢) أبو العبّاس بن سيد لم يرد في فهرس برنامج الرعيني (ولم أهتد أنا إلى شيء عنه). ابن سيّد أبيه هو (برنامج الرعيني ١٢٠) إبراهيم بن أحمد بن محمّد الزهري من أهل إشبيلية ومن القرّاء (للقرآن) والحفّاظ (للحديث).

★ أصبحتُ لا أنا في الزُّهّاد مُنْقَطِعٌ حقًّا، ولا كاسبٌ أغدو إلى السوقِ[1]:
مثلُ النَّعامةِ لا طيرٌ فتُلْحِقَها مَعَ الطيورِ ولا تُحْدَى مَعَ النُّوقِ[2].
★ دَفَعْتُ إلى الزمانِ غُرابَ بَيْنٍ فعَوَّضني الزمانُ بهِ حَماما[3].
فإنْ يَكُنِ الغُرابُ جَنى آغترابًا، فقد جَلَبَ الحَمامُ لنا حِماما[4].

ضَحِكْنا، وكان الضَّحْكُ منّا سَفاهةً. وحُقَّ لنا، أهلَ البسيطةِ، أن نَبْكي،
ألم ترَ أنَّ الموتَ حقٌّ وأنّنا سنَحْيا لِمُلْكٍ أو سنحيا إلى هُلْكِ[5]؟
هلِ المرءُ إلّا كالزُّجاجةِ كُلَّما تَخَلَّلَها صَدْعٌ أُعِيدتْ إلى السَّبْكِ[6]؟

أمّا فنونُه فَهِيَ الزُّهدُ والحِكمة والرِّثاء. ويبدو أنّه كان مُكْثِراً من النظم والنثر والترسُّل (في أيامِ خِدْمته في ديوان أحدِ الأمراء) ولكنّه أتْلَفَ ما كان قد أنشأ منَ الرسائل ونظم من الشعر. ومَع ذلك فقد حُفِظَ من شعره جانبٌ غيرُ قليل.

وكذلك كان أبو بكرِ بنُ قسّوم مُصنِّفاً في الزهدِ والتصوّف ورجالِها، له: محاسنُ الأبرار في مُعاملة الجبّار[7] - النُّبذةُ المشتمِلةُ على شُذورِ المنظوم والمنثور (لعلّ هذه النبذةِ هِيَ التي كان آبنُ قسّومٍ قد أتلفها).

---

(١) منقطع (لا يعمل عملًا آخر). الكاسب: الذي يسعى لكسب رزقه. غدا: ذهب في الصباح.

(٢) تلحقها (أنت): تنسبها إلى الطير، تعدّها في الطيور. تحدى (تساق). النوق جمع ناقة.

(٣) غراب بين (فراق): شعر أسود كالغراب من المعروف أنّه سيبين (سيبتعد): سيصبح بعد سواده أبيض. حمام (كناية عن الشعر الأبيض).

(٤) إذا كان الشعر الأسود لمّا جاء إلى رأسي جاء ومعه التهديد بالاغتراب (بالهجر، بالذهاب)، فإنّ الحمام (بفتح الحاء: اللون الأبيض في الشعر) جاء ومعه نذير بالحِمام (بكسر الحاء: الموت).

(٥) البيتان الأوّل والثالث تزييف لبيتي أبي العلاء المعرّي:

ضحكنا وكان الضحك منّا سفاهة وحقّ لسكّان البريّة أن يبكوا.
يحطّمنا ريب الزمان كأنّنا زجاج ولكن لا يعاد له سبك.
★ وللسبك عاد كسير الزجاج ولا يسبك الدرّ إذ ينكسر، الخ.

(٦) الهلك: الهلاك. سنحيا لملك (؟).

(٧) الصدع: الشق (بالفتح).

(٨) الأبرار جمع بارّ: الرجل العابد الزاهد (والكثير الطاعة لله والرحيم بأهله). الجبّار (من أسماء الله الحسنى). راجع تاج العروس (الكويت ١٠: ١٥٤).

٣- مختارات من شعره:

- لأبي بكرٍ بنُ قسومٍ مَثانٍ:

تجَنّبْ ما آستطعتَ إخاءَ قومٍ حديثُهُمُ، إذا اعتُبِروا، عُجابُ[1]:
فظاهِرُهُمْ، إذا نُظِروا، ثِيابٌ؛ وباطِنُهمْ، إذا خُبِروا، ذِئابُ.

★ عِلْمُ الشريعةِ قد عفَتْ آثارُهُ، فالكُلُّ يَخبِطُ منه في عَمْياءِ[2].
ومضى الحلالُ، فما بَقِي منه سِوى خَبَرٍ كما وَصَفوا عنِ العَنْقاءِ[3].

★ أقولُ، وحُكْمُ اللهِ ينفُذُ في الورى، وقد عَلِمَ الرحمنُ صِدْقَ مُرادي:
ألا ليتَ عيني أذهَبَ الدَّمْعُ نورَها، ويا ليتَ خَوْفَ النار فَتَّ فُؤادي.

★ لا ذنبَ لي عند الغواني، إنْ بدا منّي المَشيبُ فعِفْنَ ما قد عِفْتُهُ[4].
كَرِهَ الغواني من بَياضِ مَفارِقي ما لَوْ بدا بِرُؤوسِهِنّ كَرِهْتُهُ[5].

★ إذا كنتَ ذا مالٍ فكُنْ ذا مَحامدٍ، فما خيرُ مالٍ لا يُؤثِّلُ بالحَمْدِ[6]؟
هلِ المالُ إلاّ عارةٌ مُسْتَرَدَّةٌ؟ فجُدْ كَرَماً؛ إنّ العوارِيَ للرَّدِّ[7].

★ إذا شِئْتَ يوماً أنْ تَخِفَّ على الورى وتُحْرِزَ من أهلِ المودّاتِ وُدَّهُمْ،
فأعْطِهِمُ ما كان عندَكَ وافراً، ووَفِّرْ علَيْهِمْ كُلَّ ما كان عِنْدَهُمْ.

---

(١) العجاب «(بالضمّ)»: ما يدعو إلى العجب الشديد.

(٢) عفا أثره (امّحى، زال). خبط: سار على غير هدى. العمياء (أرض عمياء لا يرى السائر فيها علامة تدلّه على الطريق).

(٣) الحلال (الكسب من وجوه مشروعة). كما وصفوا (كذا في الأصل)، لعلّها: كما ذكروا (وهذا أصحّ في المعنى). العنقاء: طائر خرافي.

(٤) عاف: كره، هجر، ترك.

(٥) انّ الغواني (جمع غانية: المرأة الجميلة والمستغنية بجمالها الطبيعي عن التزيّن بالحلى) تكره الشيب في رأس الرجل كما يكره الرجل الشيب في رأس المرأة.

(٦) أثّل الحمد: نمّاه (زاد في قيمته).

(٧) العارة والعارية: ما تعطيه لغيرك على شرط أن يردّه إليك (أو يردّ إليك مثله) فيما بعد. والعواريّ (بتشديد الياء جمع عاريّة). وجمع عارة عوار. وهذان البيتان اتّكاء على قول بشّار بن برد في مديح خالد بن برمك. والبيت الأخير من مدحة بشّار:

فأطعم وكل من عارة مستردّة ولا تبقهـــا، إنّ العواري للردّ.

- وقال أبو بكرٍ بنُ قَسومٍ يرثي ابناً له تُوُفِّيَ وله مِنَ العُمُرِ ثلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً (ويبدو أنّه كان ٱبناً وحيداً):

يَمُرُّ الحبيــبُ بقــبرِ الحبيــبْ ... فلا ذا يُنادي، ولا ذا يُجيبْ.
وكيــفَ يُجيــبُ رَهـينُ الثَّرى ... رَمـاه الحِمام بسَهْمٍ مُصيـب[1]؟
تُنُوسِيَ لَمّــا نــأى عَهْــدُهُ، ... وأقْفَرَ منه اللِّوَى والكَثيـبْ[2].
إذا أُودِعَ المَيْــتُ في لَحْـدِه، ... فليس لـه - وَيْحَه، من حبيبْ.
★ شطّتْ بِمَنْ تَهواه عنكَ الدارُ، ... وقَضَتْ عليك بحُكْمِها الأقدارُ[3].
بَرِّدْ لَهيـبَ الشَّوْقِ منك بعَبْرةٍ ... تنقَعْ ضُلوعَك، إنّها لَحِرارُ[4].
رحَلَ الحبيبُ عن الحبيبِ، فدَمْعُه ... عنـدَ التذكُّر واكِـفٌ مِـدرارُ[5].
في الجَفْنِ منــه عَــبرةٌ سَيّالَــةٌ ... تَسْقي الخُدودَ، وفي حَشاه النار.
يـا حُرقةً، يـا فجعةً، يا لَوْعةً ... سَكَنَـتْ فُؤادي ما لها مِقْدارُ[6].
يـا ظاعِناً حَطَّ الرِّكابَ بمَعْشَرٍ ... عَمِيَتْ علينا مِنْهُمُ الأخبارُ[7]،
للهِ منــك هِلالُ عَشْرٍ قُورِنَتْ ... بثلاثـةٍ لو يكمُـلُ الإبـدارُ[8]!
أنسَتْ بزَوْرَتِك القبورُ، وأصبحتْ ... منــك الديـارُ كأنّهُنَّ قِفـارُ[9].

---

(١) الرهين: المرهون (المحبوس). الحِمام (بالكسر): الموت. الثرى: التراب.
(٢) نأى: ابتعد. نأى عهده (طال الزمان بعد انقضاء حياته). اللوى (الرمل المستدير) والكثيب (الرمل المستطيل المحدودب) كناية عن الأماكن التي يسكنها البدو (أو يسكنها الناس عامة).
(٣) شطَّ: أصبح بعيداً.
(٤) العبرة: الدمعة (البكاء). نقع الماء غلّتي (حرارة جوفي): أذهبها. والأصل: نقع الماء العطش (أذهبه). حرار جمع حرّى: شديدة العطش أو الحزن (أو الحرارة).
(٥) دمعه (الهاء ضمير يرجع إلى «الحبيب» الثاني). واكف: سائل. مدرار: كثيرالسقوط (كالمطر).
(٦) الفجعة: فقد عزيز (كموت قريب أو حبيب أو نسيب) أو خسارة ثمين (كالمال). واللوعة: الحرقة والألم من حبّ أو حزن. مال ها مقدار (ما لها مقدار معروف = عظيمة جدًّا).
(٧) الظاعن: الراحل. حطّ الرحال (جمع رحل بالفتح): السرج على الجمل أو الفرس (كناية عن السكنى الدائمة).
(٨) عشر = عشر ليال. بثلاثة (كذا في الأصل. والصواب بثلاث = مع ثلاث ليال). لم يكمل الابدار (بلوغ القمر تمامه حتّى يصبح بدراً (ليلة أربع عشرة). - يقول فقد ابنه، وعمر ابنه ثلاث عشرة سنة (ولم يبلغ بعد أربع عشرة سنة) يشبيهاً بالبدر الذي يبلغ تمامه في الليلة الرابعة عشرة.
(٩) القفار (بالكسر) جمع قفر (بالفتح): أرض خالية.

ولقدْ أرَدتُّكَ أن تعيشَ لكَبْرتي | وزَمانَــتي، فـأرادكَ الجَبّــار[1] .
ولقــد تَرَاكَضْنـا الحيـاةَ لِغايةٍ: | فسَبَقْتَ أنتَ، وخانَني المِضْمار[2] .
ما إنْ وجدتُ على مُصابك ناصراً | إلّا الدُّموعَ، فإنّها أنْصارُ[3] .

– وقال أبو بكرِ بنُ قَسّومٍ يذُمّ الذين يشتغلون بالمَنْطِق وعلوم الأقدمين (الفلاسفة) ثمّ هم يُهمِلون علومَ الشريعة:

ألَا قَبَّحَ الرحمنُ شَرَّ عِصابةٍ | تَدينُ بأقوالِ الغُواةِ، وتَقْتَدي[4].
تُصَدِقُ ما قال آبنُ سيناءَ ضِلّةً، | وتُكَذِبُ قولَ الهاشميِّ مُحَمَّدِ[5].
أقاويـلُ إفْـكٍ ما لها من حقيقةٍ | تُفيد سِوى الكُفْرِ الصريحِ المُجرّدِ[6] .
ألَا غَضْبَــةٌ للهِ في نَصْرِ دِينِــهِ | تقُــدُّ طُلاهُمْ بالحُسام المُهَنّدِ[7]؟
★ عذيرِي، عذيرِيَ مِنْ فُرقَــةٍ | غَدَتْ للشريعة أعْـدى العِدى[8]
تَــدينُ بِمــا قالَــهُ فاسِقٌ | تَزَنْـدَقَ في قولِـه وآعتَـدى[9]:
تُصَــدِّقُ قولَ آبنِ سينائِهــا | وتُكَـذِبُ قولَ نَـبيِّ الهُـدى[10].

---

(١) الكبرة التقدّم في السنّ كثيراً (حتّى يعجز الإنسان عن قضاء حاجاته) والزمانة: المرض الدائم المقعد. أرادك (فضلّ أن يأخذك منّي) الجبّار (الله).

(٢) تراكضنا: ركضنا معاً (تسابقنا). يقال تراكضنا خيلنا (بنصب خيل على أنّها مفعول به) جعلناها تركض في السباق. تراكضنا الحياة (بالنصب): جرت حياتي وحياتك في سباق (وكان المنتظر أن أسبقك أنا إلى الموت لأنني أبوك وأكبر منك سنًّا. فسبقت أنت (متّ قبلي. وخانني أنا المضمار، أي الحلبة – بفتح ففتح – التي تتسابق فيها الخيل. أنا عجزت عن أن أسرع في السباق).

(٣) لم أجد ناصراً (من الناس) يخفّف من حزني. فكانت الدموع وحدها أنصاري. (تعينني على تحمّل المصيبة). ولعلّه يقصد أن يقول: أنصار جمعا لنصر (بالفتح) ونصرة (بالضمّ) بمعنى المطر (تاج العروس – الكويت ١٤: ٢٢٤ و٢٣٤) وحسن المعونة (ص ٢٢٥).

(٤) الغواة جمع غاو: الممعن (المبالغ) في الضلال (في الحيد عن الصواب).

(٥) ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) طبيب عالم بارع وفيلسوف. ضلّة (بالكسر): اتّباع غير الرشاد وغير الصواب.

(٦) الأفك: الكذب.

(٧) ألا غضبة لله (من حاكم قادر). تقدّ: تقطع. الطلا جمع طلاة (بالضمّ فيها): الرقبة، العنق. الحسام: السيف الذي يحسم (يقطع اللحم والعظم) المهنّد (صنع الهند) ويكون جيدّ الحديد جيّد الصنع.

(٨) العذير: العاذر والناصر والمساعد. عذيري من فلان: من يعيني على (قتال) فلان؟

(٩) دان: خضع وذلّ. اعتقد، عمل بقاعدة ما. الفاسق: الذي خرج عن طاعة الله، المجاهر بالمعصية.

(١٠) ابن سينا (راجع حاشية تابعة للمقطوعة السابقة). نبي الهدى: محمّد رسول الله.

متى يأذَنِ اللهُ في حَسْمِها بضَرْبِ الحُسامِ وحَزِّ المُدى؟[1]

٤ - ** التكملة ٢: ٧٥٤ (رقم ٢١٢٧)؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٤٢ - ٢٥٢ (رقم ٧٠٥)؛ برنامج الرعيني ٩٢ - ٩٥؛ الأعلام للزركلي (٦: ٢٣٢).



(١) حسمها: قطعها (إبادته تلك الفرقة الفاسقة). الحسام: السيف القاطع. المدية (بالضمّ): السكّين.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس أعلام الأشخاص

* وفيه عدد يسير من المدارك العامّة.
* ثم يَرِدُ في المقدّمة عدد من الأعلام أخذتُها من كتب أُخرى أمثلة فلم أُدْخِلْها في هذا الفهرس، وكذلك الأسماء الواردة في قائمة المصادر والمراجع.

ح = في الحاشية؛ م = مكرّر.

* والنِّسبة «ابن فلان» مقدمة على الكُنية «أبو فلان»، إلا إذا كانتِ الكنية مشهورةً جِدًّا او إذا كانتِ النِّسبة مجهولة.
* واللقب: الصدفي، الصيرفي، الحجاري مقدّمة على الكُنية عموماً.

* في الأصل: ابن سعد الخير البلنسي (ولد نحو سنة ٥١٠ هـ) وتلقّى العلم على ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١) واختصّ به (وهذا موضع نظر - الاّ اذا كان مولد أبي الخير البلنسي أسبق في التاريخ).

---

* راجع الصفحة ٢٨٣ (الحاشية السابعة).

ث

ج

خ

د

ذ

ر

ش

غ

ن


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس بأسماء الكتب

يدخل في هذا الفهرس تلك الكتب التي عرّفت في هذا الجزء أو وصفت أو ذكرت في تراجم أصحابها (وكانت مطبوعة) ثمّ الكتب التي أخذ منها نصوص:

ذ

ر ز

س

ثاني ذي القعدة ١٤٠١
٣١/ ٨/ ١٩٨١.